

البفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف

أ. أحمد عبد الرزاق مريوش

بسم الله الرحمن الرحيم

مفاهيم سورة الاعراف

التعريف بالسورة:-

هذه السورة مكية ماعدا الآيات ثمان. آيات. من قوله تعالي وستلهم عن القرية... الي قوله واذ نتقنا الجبل فوقهم.. الخ وآياتها (٢٠٦) ايه ونزلت في السنة العاشرة للبعثه في الفتره الواقعه بين الهجره للحبشه وحادثه الاسراء والمعراج

وترتيبها من حيث النزول فهي التاسعه والثلاثون ونزلت بعد. سورة ص

وترتيبها بين السور التي بدأت بالحروف المقطعه فهي الثالثه وترتيبها بين طوال السور من حيث النزول الاولي أما ترتيبها في المصحف فهي السابعه

وبالوقوف علي الرقم (٧) الذي هو ترتيب هذه السوره والتي عدد حروف كلمتها (الاعراف) أيضا ١٧حرف

كما نجد أن كلمه (كتاب) تكررت سبع مرات وذكر اسم ادم في السوره سبع مرات وذكرت كلمه الشيطان ٦مرات وكلمه ابليس ١واحد اي المجموع ٧مرات وكررت كلمه الجنه ٧مرات وكذلك كلمه النار ٧مرات وكذلك تكررت كلمه عدو وأعداء سبع مرات وكلمه اذكروا ٦مرات وكلمه اذكر مره اي أن المجموع سبع مرات وكلمه السحر تكررت سبع مرات وكلمه الفساد تكررت سبع مرات وتكررت كلمه السجود سبع مرات واحتوت علي سجده واحده (أن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) والإنسان يسجد علي سبعة اعضاء

وهذا العدد له دلالات واسرار عظيمه تدل علي عظمه القران حيث نجد انه اضاف له ذلك فإن سمه التقابل جاء متطابقا في السوره حيث نجد أن كلمه الدنيا تكررت (٤) مرات وكذلك كلمه الاخره تكررت بنفس العدد وكلمه الحسنه والحسنات تكررت ٤مرات وكذلك نجد أن كلمه السئيه والسئيات تكررت اربع مرات وكلمه انزل تكررت ٣مرات وكذلك كلمه أنزلنا تكررت ثلاث مرات وكلمه المومنين والمومنون تكررت ٦مرات وكذلك فإن كلمه الكافرين والكافرون تكررت ست مرات وكلمه رجال تكررت اربع مرات وقابل ذلك كلمه نساء اربع مرات وكلمه الحياه الدنيا ثلاث مرات وقابل ذلك كلمه يوم القيامه ثلاث مرات وكلمه أصحاب الجنه تكررت اربع مرات وقابل ذلك تكرر كلمه أصحاب النار اربع مرات أيضا بنفس العدد تماما وذكر أصحاب الاعراف مره واحده وهي المنطقه التي تفصل بين الجنه والنار وكأننا أمام ميزان دقيق محكم فهذا التنسيق يدل أن القرآن منزل من عند الله فكان هذا متناسبا مع ما افتتحت به السوره من الحديث عن القران الكريم وأنه معجزه والوعد الرباني بتيسر الأمر عليه ومتناسبا مع ما استهلكت به السوره من الحروف المقطعه التي لا يعلم معناها الا الله تعالي وفيها التحدي للعرب أن ياتوا بمثله وهم يتحدثون العربية الفصحى في حين أن النبي صلى الله عليه وسلم امي لايعرف القراءه و الكتابه ولم يخالط أو يجالس أهل علم فقال تعالي (المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به... الخ

وهذا يظهر لنا جليا التناسب الداخلي للسوره والتي تحدثت عن العديد من القصص بشكل منسجم واحداث متسلسله لاسيما الحديث عن الرسل واقوامهم والصعوبات التي وجهت الرسل والنهايه لذلك وهلاك المكذبين وهذه الأمور كلها من اخبار الغيب التي لم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلمها ولا قومه فهي تثبت صدق الرسول صلى الله عليه وسلم

وكذلك يظهر تناسب السوره مع طول السور حيث نجد أن سوره البقره أكثر سور الطول ذكرا لاصوال العقيده بما في ذلك التوحيد و البعث والنشور والحديث عن أهل الكتاب وقد جاءت سور الطول متممه بما فيها فالسور الثلاث الاولي وهي ال عمران والنساء والمائده فصلت الأحكام والقواعد المتعلقة بالحكم والعلاقات في جميع صورها وتحدثت عن أهل الكتاب بالتفصيل ثم جاءت سوره الانعام فيها الحديث الذي يفصل أحوال المشركين وهنا جاءت سوره الاعراف تتحدث بالتفصيل عن أهل الكتاب والمشركين

سبب تسميه السوره (الاعراف):-

لاحتواءها علي لفظ الاعراف ولم يذكر في سواها قال تعالي (وبينهما حجاب وعلي الاعراف رجال... الخ

ولحديتها عن حال اهل الاعراف في الاخره وهم الذين استوت حسناتهم وسئياتهم ويطلق علي المكان المرتفع

(القضايا التي تناقشها السوره)

انه بالنظر الي الموضوعات الرئيسييه والقضايا الاساسيه التي تطرحها السوره للنقاش وتحاورهم بها وتدعوهم للإيمان بهانجد أنها مرتبطه بما انتهت إليه سوره الانعام والتي ركزت علي دعوتهم للاتي :-

1

دعوتهم للإيمان ب الله تعالي وتوحيده في الوهيته وربوبيته وانه المستحق للعبادة فقال تعالي (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا اول المسلمين)

2

الدعوه للإيمان بالرسول والتصديق بالرسالة

فقال تعالي (وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون.. الخ

3

الدعوه للإيمان باليوم الآخر والجنه والنار والقضاء والقدر والعواب والعقاب اي انها تتحدث عن اصول الدين والإيمان بها فقال تعالي (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأت بعض آيات ربك لاتنفع نفس... الخ

فذكرت الآيات أن بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم ايه تعبت صدق دعوته ونبوته وتوجب الايمان والتغيير لأن بعثته من علامات الساعه فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول (بعثت انا والساعه كهاتين) وهذا يوجب قراءه بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم أنها مقدمه هامه لتحويلات متعلقه بالكون كون بعدها يكون قيام القيامه

فالله يقول (هل ينظرون إلا الساعه أن تأتيهم بغته فقد جاء اشراطها) فذكر الحق بعدها أن معرفه ذلك توجب الاتحاد والاعتصام بمنهج الله للتحذير من خروج قرار الحكم العام من دائره الاسلام الي مسميات أخرى تمثل سياسه الكفر نظرا لان التحويلات تتطلب فهم السنن التي تحكمها حتي لاتقع في مصيده الشيطان الذي يسعى للوصول إلي أهدافه في المسلمين كما وصل للمشركين والكفار فزين لهم قتل اولادهم وعباده الأصنام فإنه سوف يلجاء الي التفرقه بين المسلمين والتحريرش بينهم فبذلك يتحقق للشيطان غرضه من الاحتناك و القعود علي الصراط المستقيم حيث أن ذلك يودي الي الانحراف والخروج عن دائره الايمان والاسلام الي الكفر يخرج عن دائره الوعي ا لإسلامي الي الكفر ولهذا قال تعالي (أن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء)

ولذلك تأتي النصوص بعدها مبينه أن أول خطوه للخلاص من ذلك هو الوسيطيه والاعتدال بالسير بالطريق المستقيم الموصل الي مايرضي الله بلا إفراط ولا تفریط وهذا مرتبط بمعرفه الغايه من الوجود الإنساني في الأرض بأنه خلق ليعبد الله ومعرفته ومحبه وعبادته وتوحيده والإنسان خلق علي الاسلام فقد أراد الله أن ينهمك الإنسان في عبادته ومحبه بكل قواه ولهذا نجد أنه ينكر علي الذين عينوا لأنفسهم ولحياتهم أهدافا متباينه لاتخرج عن نطاق الشهوات والملذات وهم مخلوقات خلقها الله تعالي وقد استخلفهم الله في الأرض لغايه وهدف

فقال تعالي (وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما اتاكم ان ربك سريع العقاب وأنه لغفور رحيم)

وهذ فيه اعلان انتقال القياده لاهم الاسلام فالايه وردت في مقام الامتنان والشكر لله وبيان سنه الله في الاستخلاف البشري فالايه وردت في إطار الحوار والمناقشة باصطفاء الله امه العرب لحمل امانه الخلافه في هذه الفتره الزمنيه تحديدا فقد ورد في بدايه المقطع (أن تقولوا إنما انزل الكتاب علي طائفتين من قبلنا وأنا كنا عن دراستهم لغافلين.... الخ

فجاءت سوره الاعراف تفصيل قواعد الاستخلاف وقوانينها وسنته تعالي في الاستخلاف بشكل مفصل فقال تعالي

(المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتندر به وذكرى للمومنين اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون وكم من قريه اهلكناها فجاءها باسنا بيانا أو هم قائلون فما كان دعواهم إذ جاءهم باسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين فلنسلن الذين أرسل إليهم ولنسلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين الوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا يظلمون)

وهذا فيه الآتي

الموضوع الاول

(ا ن القرآن هو المنهج الذي يكون فيه تحقيق المطلب الرباني والمعجزه الداله علي صدق الرسول صلى الله عليه وسلم)

ابتدأت الايه بقوله تعالي (المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتندر به وذكرى للمومنين)

لأن الايه قبلها بينت أن الخلافه ابتلاء وامتحان فقد جعل الله الإنسان مسؤولا عما يفعل ويقول فإن اختيار الله امه العرب لحمل رأيه الهديه وأمانه الخلافه والقيادة التي اختص الله بها امه العرب علي العالم مسؤوليه توجب العلم بالنواقض والنقائض اي الفتن ومضلا تها والعلم بالاسباب والمسببات والمقدمات التي تشير الي النتائج وإدراك السنن التي تحدثت عنها الايات تحتاج إلي العلم ودليل العمل التعامل مع الحياه بكل تحولاتها وفق سنن وقوانين واقدار مطرده ونظام محكم فلا يمكن التعامل معها دون استعياب هذه السنن وامتلاك ك القدره علي تسخيرها بحاجه الي العلم الذي يكون فيه قادرا علي قراءه التاريخ وتفسير الأحداث في مجال الخير والشر ومعرفة الخلل ومحدث الأزمات والقدره علي معالجه أسبابها وترميم آثارها كون ذلك منوط بفهم هذه السنن وحسن تنزيلها علي الواقع وما يلحق بها من ازمات وامتلاك القدره علي معالجتها وتجاوزها وامه العرب لم تكن تعرف الدول والقانونيين وهي امه اميه تجهل التعاليم وغارقه في الأوثان ولهذا فإن من أهم الأغراض التي ركزت عليها سوره الاعراف هو اعاده تشكيل عقولهم ونفوسهم وتفكيرهم ليكونوا اهلا لقياده العالم ولهذا ابتدأت النصوص بالتهجي (الف لام. ميم صاد)

فيه بيان أن المعجزه هي عين المنهج لأن رساله الاسلام عالميه تتجاوز حدود الزمان والمكان فأخبره الله أن القرآن هو المعجزه الداله علي صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المنهج الذي يكون به المسلم موهلا لقياده العالم ولهذا فإن ابتداء النصوص بالحروف المقطعه يهدف إلي الآتي

الأمر الأول

الدعوه للإيمان بما أنزل الله والتحذير من الاختلاف والتفرق في الدين وجميع شؤون الحياه فقد أخبرنا الله في السوره السابقه انه يترتب علي التحولات سعي عصبه العمل الشيطاني الي تمزيق الامه فانتقال القياده لامه الاسلام توجب العلم بالنواقض والنقائض اي الفتن ومضلاتها فالبشرية كلها هدف للشيطان وهو يسعى جاهدا لاضلال البشريه فهو يقعد علي الصراط المستقيم بحثا عن ثغره يتسلل منها الي الإنسان ليحرفه عن المسار والذين يقعون في مصيدته هم الذين في قلوبهم مرض لانه مريض بالريب والشك فتجد الشبهات منفذا الي قلبه وهو ما حذرنا الله منه في موضع آخر فقال تعالي (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشبهات فما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشبه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ...اله

وهذه الحروف هي من ضمن المتشبهات التي أشارت إليها الايه ويتوجب الايمان أن لها معني لانعلمه نحن ويعلمه الله تعالي

فهذا اول درس تطبيقي يختبر الله به عباده في مدرسه الخير يجسد حقيقه الاحكام النظرية علي الواقع ينظر هل الايمان راسخ في القلوب والنفوس والعقول الذي يقتضي التصديق بما أنزل الله سواء الآيات المحكمات أو المتشبهات ف الله يقول (والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا اولو الألباب) ولهذا حدد مهمه القرآن الكريم بأنه لانذار المكذبين وذكرى للمومنين

الأمر الثاني

أن الايه فيها بيان أن المعجزه هو عين المنهج فجاء بالحروف المقطعه حيث والملاحظ ان عدد السور التي افتتحت بالحروف المقطعه في القرآن الكريم هي (٢٨)سوره والحروف التي بني عليه كلام العرب (٢٨)حرفا وجمله ماذكر من هذه الحروف في اوائل السور من حروف المعجم هو اربعة عشر حرفا اي نصف الحروف في المعجم هي.(الالف لام راء ميم .قاف صاد طاء .كاف .هاء عين سين .حاء

ياء .نون)

وهذا فيه الاتي؛

التحدي بأن القرآن منظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم

وايضا فإن أهل اللغة قد قسموا الحروف العربييه قسمين

مهموسه وهو كل حرف ضعف الاعتماد في موضعه حتي جري معه النفس وذلك ما يحتاج الي معرفته لتبتي عليه اصول العربييه وهي عشره حروف الحاء والهاء والخاء والكاف والشين والفاء والتاء والصاد والسين) حيث نجد أن نصف هذه الحروف المذكوره في جملة الحروف المذكوره في اوئل السور

وكذلك نصف الحروف المجهوره علي السواء لزياده ولاتقصان

وكذلك فإن من قسم الحروف علي ضربين

أحدهما حروف الحلق وهي سته العين والحاء والهمزه والهاء والخاء والغين) نجد أن النصف من هذه الحروف في جملة الحروف التي تشتمل عليها الحروف المبيته في اوئل السور وكذلك النصف من الحروف التي ليست من حروف الحلق

وكذلك قسمت الحروف من حيث الشده فهناك حروف شديده وهي التي تمنع الصوت أن يجري فيه وهي الهمزه والقاف والكاف والجيم والطاء والذال والطاء والباء نجد أن نصف هذه الحروف المذكوره في جملة الحروف التي تشتمل عليها الحروف في اوائل السور وكذلك نصف الحروف الغير شديده وكذلك فإن الحروف المطبقه وهي الطاء والظا والصاد نصفها من ضمن الحروف المبدوه بها في اوئل السور

يقول الامام ابو بكر محمد بن الطيب الباقلاني في كتابه اعجاز القران تحقيق الشيخ عماد الدين احمد حيدر الطبعه الاولى

(فإذا كان العرب الذين قسموا الحروف في هذه الأقسام لأغراض لهم في ترتيب العربييه وتنزيلها بعد الزمان الطويل من عهد النبي صلى الله عليه وسلم حيث توصلوا أن مباني اللسان علي هذه الجبهه وقد نه بما ذكر في اوئل السور علي مالم يذكر علي حد التصنيف الذي وصفناه دل علي أن وقوعها الموقع الذي يقع التواضع عليه بعد العهد الطويل لايحوز أن يقع إلا من الله عز وجل لأن ذلك يجري مجري علم الغيوب

وان كان إنما تنبهوا علي ما بني عليه اللسان في أصله ولم يكن لهم في التقسيم شي وانما التأثير لمن وضع اصل اللسان فذلك أيضا من البديع الذي يدل أن أصل وضعه وقع موقع الحكمة التي يقصر عنها اللسان فإن كان أصل اللغة توقيفا فالأمر في ذلك أبين وان كان علي سبيل التواضع فهو عجيب أيضا لأنه لا يصح أن تجتمع همهم المختلفه علي نحو هذا إلا بأمر من عند الله تعالي وكل ذلك يوجب إثبات الحكمة في ذكر هذه الحروف علي حد يتعلق به الاعجاز من وجه)

الامر الثالث

أن الايات تهدف إلي إقناع المخاطبين بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم والعقيده التي يدعوهم إليها ولذلك كان من حسن البيان أن نجد هذا التنبيه الي مهمات كلامه سبحانه وتعالى والمقاصد الاولى بها ليكون لديهم الحرص منهم والاجتهاد في انزلها علي الواقع قبل البدء بها تهدف إلي إقناعهم بالقران الكريم وبشخصيه الرسول صلى الله عليه وسلم أنه مرسل من عند الله وهذه المرحله من أشد المراحل صعوبه في حياه الداعيه ولهذا فإن المتأمل للسور التي افتتحت بالحروف المقطعه يجد أنها متعلقه بإثبات النبوه والرساله المحمديه والدعوه إلي الله وجميع هذه السور مكيه ماعدا الزهروان (البقره وال عمران) فهما مدينتان

فجميع السور تناول إثبات الكتاب القران لايؤثر في ذلك قول البعض أن سوره العنكبوت والروم وسوره ن ومريم لم تفتتح بذلك فإنه ب الوقوف علي تلك السور يجد أن كلا منها لها معني متعلق بما في السور الأخرى بشأن النبوه والكتاب والبعت والنشور

فقد افتتحت سوره مريم بقصه زكريا ويحيى ومريم وعيسي ثم ذكرت بعد ذلك قصه ابراهيم واسماعيل وادريس مبدوه في كلا منهم

(واذكر في الكتاب)

والمراد بالكتاب القران فكانه قال في قصه يحيى وزكريا وقصه مريم وعيسى (واذكر في الكتاب)

كما أن ذكر القصص في القران من اداله الاعجاز أنها من عند الله وهو ما يعثب صدق النبي وما جاء به أنه من عند الله لقوله تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك) وكما قال تعالى في نهايه سوره يوسف (ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وماكنت لديهم اذا أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) وسوره مريم دعت الي التوحيد والبعث والنشور وإثبات صدق كتاب الله

وكذلك فإن سوره العنكبوت وسوره الروم قد افتتحت بامرئين متعلقين بالدعوه وبالدين حيث تناولت العنكبوت سنه التمكين أنه لابد أن يسبق ذلك تمحيص مع أهل الكفر الذين يسعون لردهم عن دينهم وسوره الروم تحدثت عن أمور غيبية متعلقه بانتصار الروم علي الفرس في بضع سنين وهذا ما تحقق بعد ذلك واعتبر نصر للمومنين لانه يؤكد صدق نبوه الرسول صلى الله عليه وسلم وسوره ن فيها إثبات نبوه الرسول صلى الله عليه ونفي الشبهات عنه فقال تعالى (ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمه ربك بمجنون)

الأمر الرابع

الحث علي التعليم مبينا أن الامه بحاجه الي التربيه واعاده تشكيل العقول والافهام وصياغتها من جديد لأنها غارقه في الجاهليه و الوثنيه والعادات والتقاليد الفاسده وهي اميه لم تنال نصيبا من العلوم والأديان ولهذا يقول لهم الحق انتم بحاجه الي التعليم لتكونوا اه لا لقياده العالم وحمل امانه الاخلافة فانتم بحاجه الي منهج الاهتداء وباحاه الي دليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها واطرداها وباحاه الي المعلم الذي يقوم بتاهليكم ومدكم بالعلوم والأفكار التي تجعلكم اهلا للامانه التي كلف بها الإنسان فانتم بحاجه الي معرفه السنن والنواميس التي تحكم الحياه بحاجه الي استيعاب هذه السنن وامتلاك القدره على تسخيرها بحاجه الي تفسير الا حداث الجاربه في مجال الخير والشر والتعامل معها ومعالجتها فلا يمكن القفز علي السنن أو تجاهلها وبالتالي فإن القدره علي معالجه اسبابها وعلاجها منوط بفهم السنن وحسن تنزيلها علي الواقع

فادراك ذلك يمثل ابعاد مهمه الاستخلاف في الأرض والاضطلاع بحمل الامانه لأن الإنسان قبل حمل الامانه قبل أن يعرفها ولهذا قال تعالى (وحملها الإنسان أنه كان ظلوما جهولا)

وبالتالي فهو بحاجه الي معرفه كيف يحقق الهدف فأنت اذا كان لديك هدف ما فإنك إذا عرفته تكون بحاجه الي الوسائل التي تحقق تلك الغايه

وبالتالي فإذا عرفت انك خلقت لمعرفه الله ومحبهه وعبادته وتوحيده فإن هذا يعني أنك بحاجه لمعرفه الطريق الموصل لذلك الهدف تحتاج أن تعرف المعالم الواضحه التي ترشدك وتلك علي الطريق المستقيم فلا تنحرف يمينا وشمالا

إذ كيف لعاقل يعرف هدفه أن يتحرك نحوه دون أن يعرف الاتجاهات والطرق الموصله لذلك الهدف

فأنت بحاجه أن تعرف لماذا انت هنا في هذا المكان بالضبط بحاجه أن تعرف الجبهه التي تريد أن تتجه إليها والطريق الموصل الي غايتك

فإذا كنت في الدنيا لغرض معرفه الله وعبادته ومحبهه وتوحيده وطاعته فإن هذا يعني أنك تريد أن تعرف ماهي وسائل القرب من الله التي توصل الي محبهه تريد أن تعرف اسماءه وصفاته كي تدعوه فأنت في الدنيا من أجل أن تستقيم علي امره وان تتحرك وفقا لمراده تعالى انت بحاجه الي أن تتخلص من الجهل والظلم لتكون خليفه لله تريد أن تهدي الي ما يحب الله ويرضاه فهذه المعرفه فيها السعاده بأن تعرف الماده وخالق الماده لتكون عابدا لله باعتبارها الغايه من وجود الإنسان فالعبوديه هي سر وجودنا في الحياه لقوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

والعباده هنا بالمفهوم الواسع الذي يشمل جميع جوانب الحياه فليست مقصوره علي الصلاه والصيام كما يتصور البعض

فهي منهج كامل شامل يضبط الحركة والقول والفعل للإنسان فالجهل سبب الشقاء لانه يجعل الإنسان يتوجه الي غير الله

الأمر الخامس

مما سبق يتضح حاجه الإنسان الي المنهج الرباني الذي يحقق الغايه من الوجود الإنساني علي الارض ويكون به تخليص الإنسان من افه الجهل والظلم سواء في علاقه الإنسان بربه أو في تعامله مع الحياه وما فيها من سنن ونواميس وتحولات واحداث وقراءه التاريخ وتفسير الأحداث في مجال الخير والشر هو بحاجه الي هذا الدليل الذي يعيظه المعرفه التي تجعله قادرا علي استعياب الأسباب و المسببات فهي تمثل مفتاح المعرفه لقصه الإنسان علي الأرض منذ بدء الخلق حتي ينشي الله النشاه الاخره فمن خلال هذه السيروره وتتضح المعالم وتكشف القوانين والسنن ويتولد فقه التعامل معها ولهذا قال تعالى (كتاب أنزل إليك)

حيث نجد ألاتي

المفهوم الأول

أن من مقومات حمل الامانه الخلاص من الجهل والظلم من خلال التوحيد ومعرفه الماده وخالق الماده وان ذلك مرهون باستدعاء معرفه الوحي التي تعرفك بربك وأمره ونواهيته وكذلك فإنت بحاجه الي استصحاب الوحي كدليل عمل وبوصله هدايه لكيفيه التعامل مع الحياه وإبصار سننها لمواجهه الأزمات ولهذا جاءت تنكير كلمه (كتاب) للتعظيم والتفخيم له فذكر الله أنه نوع من الكتب المنزله علي الانبياء لكنه جمع فيه المعجزه وعين المنهج فأراد بهذا تقويته شأنه وكلمه (أنزل إليك) تعظيم قدره وقدر من انزل إليه ولذلك سميت الليله التي أنزلت فيه بليله القدر

المفهوم الثاني

أن الابه فيها بيان اهميه استحضار نعمه القران ف الله يمتن علي نبيه أن أنزل عليه القرآن فقال تعالى (كتاب أنزل إليك) فأراد بهذا أن يلفت الإنتباه الي مافيه من نعمه علي المسلمين وعلي الإنسانيه جميعا فعليهم أن يتمسكوا بتوجيهاته وارشاده ليشعروا ب السعاده في الدنيا والآخرة فلا معني للوجود بدون منهج يسير عليه

المفهوم الثالث

تبين الآيات أن هنالك منهجين في الحياه منهج الهي ينزل من السماء ومنهج اراضي عباره عن نظريات بشريه وضعيه ومذاهب وافكار وتصورات مصدرها الإنسان

ولهذا فإن الإنسان فعلي الإنسان أن يختار المنهج الذي يسعده في الدنيا والآخرة ؟

فهل تختار المنهج الارضي ام تختار المنهج الرباني ولهذا استخدام كلمه (انزل) ولم يقل انزل الله وهذا فيه إيجازه بأن المنزل مستغني عن التعريف وعن إسناده الي الضمير أو الاسم الصريح فإن هذا الكتاب البديع لايمكن أن يكون إلا منزلا من اعلي من فوق العرش أنه منزل من عند الله خالق السموات والأرض

يعني أنه ليس من صنع البشر ولا من أفكار البشر الناقصه

انه منزل من الخالق سبحانه وتعالى الذي له صفات الكمال

منهج منزل من خالق الإنسان وبالتالي فإن ذلك فيه سعاده الإنسان وكماله لان الخالق خبير بمخلوقاته وما يصلح أحوالهم فالمنهج الرباني هو الكفيل بتحقيق الهدف والغايه من وجود الإنسان فالصانع اعلم بما يصلح مصنوعه فهو بمنزله الكمالوج الذي يرافقه صانع الالات الكهربائيه أو غيرها معها لتدلك علي كيفيه تشغيل الاجهزه بما يحقق الغرض الذي صنعت لأجله يضع لك نظام التحكم الذي يصون الالات من الاعطال

ولهذا فإن من مصلحتك أن تأخذ بمنهج الله لانه فيه الصيانه والسلامه لك والمنفعه عليك الإنتباه من التشريعات البشريه لأنها تضر بك ف الإنسان ليس موهلا أن يشرع لنفسه لانه مخلوق

الموضوع الثاني

(رسم المعركة بين الحق والباطل وما يعترض طريق الداعية من مشاق ومتاعب وكيف يتعامل معها)

نجد أنه بعد ذكر أنه تعالي أنزل القرآن علي نبيه يقول سبحانه وتعالى (فلا يكن في صدرك حرج منه)

والرسول صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يكون شك في القرآن وهو المعصوم وانما أراد بهذا الآتي

الأمر الأول

اعلام الدعاة في كل زمان بأن طريق الدعوة شاق خاصة في المرحلة الاولي منها مرحله إقناع الناس بشخصية الرسول أو الداعية والأ فكار التي يدعومهم إليها فهذه من المراحل الصعبة في حياه الداعية حيث أن قوي الشر تجتمع كلها في محاوله إطفاء نور الله ولهذا فإن من شأن ذلك أن يجد الداعية ضيق وشده وحزن من إنكار الناس دين الحق لانهم ينظرون الي ما يدعومهم إليه غريبا وهو مستنكرا لعقول الناس

فالدعاة في هذه المرحلة يكونون غرباء وينظر الي أفكارهم أنها أمور غريبة تهدد الاستقرار فتكون التكاليف ثقيله أمام تلك العوائق التي تشكل حواجز أمام الدعوة مانعه من التقدم فتجد مقاومه من الناس ومن التقاليد والقوانين الوضعية والاضاع والاحوال التي كونت شكل واتجه المجتمع وتصوراته وأفكاره

فهم تلقوا الأفكار والنظريات والتصورات للأشياء من البئيه ومن هنا فإن تفسيرهم للأشياء ينطلق من المورث الذي تلقوه من البيئه الجاهليه ولهذا فإن النفي للحرج المعني انزله اليك فلا يسري الي صدرك الحرج بل انشراح قلبك به فجاء نفي الحرج بصيفه نهي الحرج عن أن يحصل في صدرك ليكون النهي نهي تكوين بمعني تكوين النفي بعكس أمر التكوين الذي هو بمعني تكوين الإتيان فجاء نهي تكوين نفي الحرج عن صدره

لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يضييق من تكذيب قومه وأعراضهم واذاهم فقد قال تعالي (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضاق به صدرك أن يقولوا... الخ

فالنهي عن السبب ويراد به النهي عن المسبب كناية عن عدم المبالاه بالأعداء فالنهي عن التشاوم والياس وإنكار الذات

فلا يكون تكذيب الأعداء سببا للاحباط وفقدان النقه بالنفس واحتلال ساحه قلبك الهموم والاكدار لأنها أن تمكنت من ذلك فإنها تضعف الاراده وتطفي لهيب الطاقات وتكسر العزيمه

ولهذا يقول الحق لنبيه عليك أن تحافظ علي الطاقه الايجابيه فلا تسمح أن تفقد هذه الطاقه بالحسرات والضييق من تكذيب هولاء فلا تبالي بهولاء الأعداء

الأمر الثاني

بيان أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو القدوه الحسنه المبلغ عن ربه ما نزل إليه والذي جسد معرفه الوحي واعتمادها السنن في واقع الناس وقدم النموذج العملي والتربوي لتسخيرها وحسن التعامل معها فجعله الله محل الاقتداء والتاسي لمسيره الحياه بكل تفاصيلها ومتعرجاتها وما يمكن أن يكون عليها حال الداعية في العسر واليسر والشده والرخاء والهزيمه والنصر والقوه والضعف لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم الدليل الهادي للناس للتعامل مع سنن الله واقداره في الحياه

حيث أن الدعوة لها مرحلتين الاولي إقناع الناس بشخصية الرسول والأفكار التي يدعومهم إليها وهذه المرحله من أشد المراحل صعوبه في حياه الداعية بشكل عام ولذلك فإن الداعية يكون بحاجه الي الطاقه الايجابيه التي تجعله يصمد أمام العواصف المتمثله في التكذيب والاعراض والاذيه من اعداء الدين الذين ينظرون أنه يمثل خطر علي مصالحهم وغالبا ما يكون انصار الرسل والدعاة في هذه المرحله من الضعفاء الذين لاحول لهم ولاقوه

فأراد بهذا التوجيه للرسول صلى الله عليه وسلم ان يحثه علي الصبر واثقا بنصر الله فلا يضعف أمام العواصف كما أخبرنا الله في موضع (حتي إذا استياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا .. الخ

فلايه تبين أن طريق الدعوه شاق فلا يعسر عليك السير في الدعوه تكذيب المكذبين

الأمر الثالث

أن النصوص فيها حرص الإسلام علي سلامه الجهاز المناعي للداعيه من أن يتأثر بتكذيب الأعداء وقله الأنصار الذين يستجيبون للدعوه ولهذا نجد ان الايات فيها تسليه الرسول صلى الله عليه وسلم والتبئيت له وفي هذا أعطانا النموذج العملي الذي نقتدي به ومن هنا نفهم سبب مجئ النهي عن مسببات القلق والأحزان لأن هذه الأمور تعني قعود الداعيه عن السير الي المثل الاعلي الذي يتوخاه في عمله خصوصا في مثل المهمه الكبرى التي يراد بها صقل النفوس وتهذيب الفطره الانسانيه وإصلاح ما أفسدته الجاهليه وتوجيه العالم البشري الي طريق الهدي والرشاد ليصل الي مافيه سعادتهم في الدنيا والآخرة ولهذا نفهم من الايه سبب التركيز والاهتمام بسلامه الجهاز المناعي للداعيه من أن يفقد قوته عندما يفسر الأحداث والمعركه بين الحق والباطل تفسيراً مادياً فإن ذلك يعني تسلسل الخوف الي القلب ولهذا فإن أول خطوه للمساهمه في خلاص الامه واستعادته فاعليتها ودورها المفقود نتيجته ركام الفكر الجاهلي الذي عندما تنظر إليه تجد أنه يضع حواجز مانعه من إحداث التغيير الإيجابي للفاعليه

فإن أول خطوه هي التغيير من داخل الداعيه فشراره التغيير ونقطه الانطلاق الاولى إنما تكون من داخل نفسك فعليك أن تتوجه الي الله أن لايسمح للخوف والمرض أن يتسلل الي قلبك ولهذا أمر بذكر الله كثيرا أثناء القتال فالمومن عندما يتصل ب الله تزداد قوته المعنويه فهذا هو الزاد الذي يجب عليك أن تمضي حاملا دعوه الحق لتفتح الابواب المغلقه ولاتبالي بالمكذبين فلا تجعل آراءك حبيسه آراء الآخرين فالله يقول (وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم الي قوله تعالى (فيا الفريقين أحق بالأمن... الخ

ولهذا لاتحفل بمواجهه الأعداء لكلمه الحق وما يصدر منهم من مقاومه ونفره فباب النجاح يفتح الي الخارج وليس الي الداخل ولهذا عليك الإنتباه من يكون التكذيب الفكره والقيم سببا للخمول والاستسلام انتبه أن يودي ذلك إلي أضعاف قوه الاراده فان ذلك أن حدث أصاب قوي العقل والنفس بالشلل وانت تحتاج إلي قوه الدافعيه والاراده التي تجعلك تنجز ما تريده فعليك أن تزيل عن عقلك كل مفردات التشاوم والقلق وفقدان الرغبه والخمول والاستسلام وكن مطمئنا بالله ومعتمدا علي الله وقدرتك التي أودعها الله فيك فليس مهمتك إجبار الناس علي الإيمان وانما دورك البلاغ والانذار وعلي هذا الأساس رتب حياتك وافكارك وطموحاتك وأمالك فهذه هي البدايه الصحيحه التي توصل الي النهايه المشرفه عليك الصمود امام العواصف فهي مقدمه تسبق النصر والتمكين فالصواعق لاتضرب الا القمم العاليه

الموضوع الثالث

تضع الآيات نصب أعيننا قاعده وحقيقه يجب الإنتباه لها وهي أن إرضاء الجميع طول الوقت أمر مستحيل فقال تعالى (فلا يكن في صدرك حرج منه) ثم ذكر بعدها تحديد مهمه الرسول صلى الله عليه ووظيفه القران الكريم ودوره في الدعوه فقال تعالى (لتنذر به وذكرى للمومنين)

وهذا فيه

الأمر الأول

أنه ليس عليك أن تليبي رغبات الجميع فلا تهرول نحو إرضاء الآخرين ولا تخوف من تكذبيهم فلا تكن حبيس آرائهم فإن خوفك من رده فعلهم لما تدعوه اليه أمر غير مبرر فلا يجوز لك أن تفرط بحقوقك وتغيب باولوياتك فلا تضغط علي نفسك ولاتحملها فوق طاقتها ف الله سبحانه وتعالى نهي نبيه عن ذلك فقال تعالى (طه ما أنزلنا عليك القران لتشقي)

وهنا قال تعالى (فلا يكن في صدرك حرج منه)

لنفي تكوين الحرج في الصدر نتيجته التفريط بالحقوق والضغط علي النفس وتحملها فوق طاقتها أثناء الدعوه فجاء النفي لبيان ان الدعوه والتفكير فيها هو هم الداعيه لكن لاينبغي أن يكون ذلك مصدر القلق لأن ذلك أن حصل فانه يقضي علي الفاعليه الإيجابية ولهذا عليك أن تجعل انتباهك مرتبطا بالاتصال بالله وان مهمتك هي الانذار المكذبين وتذكير المومنين بحدود طاقتك وقدرتك فهو تعالي يقول في موضع آخر (اصبر وماصبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون)

الأمر الثاني

تبين النصوص على انزال القرآن فقال تعالى (لتنذر به وذكرى للمؤمنين) بأن الانذار يكون مقرونا بالتخويف مع انتفاء الحرج من الصدر ولزوم الانشراح للنهوض بأعباء هذا الأمر ولهذا جاءت الجملة معترضه بين العله والمعلول لافاده أنه كتاب للانذار والتذكير وجعل الا نذار به مقدما في التعليل لانه الغرض الأهم لا يبطال ماعليه المشركين وهو ما يفهم أنه كتاب للصداع في مجابهه الباطل والشرايع الفساده والأوهام والا وضاع الجائره وازاله ركام الفكر الجاهلي من حياه الناس ولهذا فعليك أن تدرك أن الحرج في طريقك كثيره و المشقه قائمه فعلي الداعيه أن يحمل الحق ويقطع الطريق دون توقف فلا تسمح لتسلل ما يطفئ جذوه لهيب النشاط الدعوي ولهذا فإنه يفهم ان الامر أن تودي ذلك بتبليغ الناس شرع الله علي نحو ما يكون به وقوع البيان بالموعظ والعبير

الموضوع الرابع

تبين النصوص اهميه أن يتزود الداعيه بالمعلومات الكامله عن المخاطبين واوضاعهم وامراضهم وأحوالهم تعرف من تكلم ومتي تتحرك ولهذا نفهم لماذا كان البلاغ المبين مهمه النبوه الخاتمه رسالتها الي البشريه ومعجزتها للناس في كل زمان ومكان للإسلام يهدف من هذا تربيته القاده علي انتقاء الألفاظ والوسائل والأساليب القادره علي إيصال الفكره للمخاطبين فالكلمه البيانيه هي معجزه الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا نجد أن المولي سبحانه وتعالى يقول (لتنذر به وذكرى للمؤمنين)

اي تصرف المخاطبين متوقفه علي الموعظه والذكرى ولهذا نجد أنه تعالى يامر كل داعيه أن يكون خطابه للانذار مقرونا بالتخويف من سوء العاقبه لأن تحقيق الانذار لا يقع الا اذا اقتصرنا بالتخويف من سوء عاقبه المخالفه وهو يعتدي الي مفعولين الانذر الذي يقيم الحجه بالبلاغ والعقاب اي التحذير من العذاب أو يخوف من وقوعه ف الله يقول في موضع آخر (انا انذرناكم عذابا قريبا)

ولهذا فإن المفعولان يذكران تاره ويذكر أحدهما تاره أخرى بحسب المناسبات وقد حذف كلاهما هنا لافاده العموم حسب القاعده لي لتنذرهم فجمع الناس اي تبليغهم دين الله واثل ما أنزل الله في كتابه من عاقبه التكذيب وهي من الأمور الغيبه

لأن الإنسان إذا أمن بأن هنالك جنه و نار فإنه لن يرتكب المعصيه واذا أمن بذلك ولكنه لم يستيقن العقاب فلو كان مستيقن أن العقاب سوف يحل به إذا ارتكب الجريمة فإنه لن يرتكب المعصيه ف الله يقول في موضع آخر (إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب)

ولهذا نجد أنه حذف متعلق لتنذر وصرح بمتعلق ذكرى فقال تعالى (وذكرى للمؤمنين)

فيكون متعلق (لتنذر) محذوف وتقديره من ذكر مقابله المذكور والتقدير لتنذر به الكافرين وصرح بمتعلق الذكرى دون متعلق لتنذر فيها تعريض بتحقيق الكافرين لأن نفوسهم لاتستحيب لنداء الفطره وعقولهم لاتستقيم لخروجها عن المنهج فهذه النفوس جاهليه متبلده بعيده عن عالم الغيب عريقه في طلب الذات الجسمانيه ولهذا لاتنفع لهولاء الموعظه لأن الفطره مطموسه ولهذا خص بتصريح أن المنتفعون بالذكرى هم المؤمنون فهي تكون موثره فيهم لانهم مستعدون للاهتداء فالمومن ينظر إلي القرآن أنه وحيا ينزل عليه فيكون استقباله له بمشاعر واحاسيس أنه هو الذي يوحى اليه وان الله هو الذي يكلمه بكل حرف من حروفه فالإيمان يدفعه الي مواجهه الجاهليه بالقران فلا يكون في صدره ضيقا ولا حرج لانه ينظر أنه فيه الحياه وان أوضاع الجاهليه هو موت ولذلك ينطلق خالي من اثقال الهموم والاكدار نحو ازاله اثار الجاهليه بلا تردد لأنه قد أزال الأغطية التي كانت تحجب عنه رؤيه الحق فالإيمان يدفعه الي مواجهه واقع الجاهليه ويجاهد بالقران جهادا كبيرا ف الله يقول (وما انت عليهم بجبار فذكر بالقران من يخاف وعبد) وقال تعالى (سيذكر من يخشى) وقال تعالى (فما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى)

المبحث الثاني

تبين الايه أن مهمه الرسول صلى الله عليه وسلم انه جاء ليقرر سلطان الله ويبطل سلطان الطاغوت وأنه بالتوحيد يكون تغيير وجه العالم فلا يعبد أحد مع الله فهذه هي الدعوه التي يدعوا الناس بحيث يكون الناس خاضعون لله في جميع جوانب الحياه فلا يعتقد المسلم أن هنالك الها مع الله يقوم بتدبير شئون الحياه فالمسلم لا يتلقى الشرائع والقيم والموزين والعقائد ولا في أي شأن الا من الله تعالى فهذا هو دور الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كلف به لأن أول خطوه للوسيطيه والاعتدال هو ازاله ركام الفكر الجاهلي وآثاره وتنقيه الاوعيه القلبيه والذهنيه والنفسيه من تلك الأوساخ فالمجتمع المسلم يختلف عن المجتمع الجاهلي

فما يجتمع عليه المسلمون هو التوحيد واتباع منهج الله ولهذا يقول الحق (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا

ما تذكرون)

وهذا فيه

المفهوم الاول

يريد الإسلام أن يحصل الإتياع للقران باراده حره ورغبه واقتناع ولهذا هو يخاطب العقول بأن عليها أن تتبع القران فهو فيه ماينفعهم لا نه منزل من الله تعالى فهو الجبهه التي تستحق أن تتبع فهو سبيل الهدايه ودليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها واطرداها ف العقل وحده لا يكفي أن يعرف ماينفع وما يضر فهو بحاجه للمنهج الذي يحقق الكمال له لأن هنالك مسائل دقيقه يصعب علي العقل فهمها وانما العيب أن يرفض العاقل استعمال العقل بالانقياد لمنهج الله فهذا يكون مثل شخص باع شئيا بمبلغ ضخم واستلم ذلك بالعمله الصعبه وبرغم وجود جهاز كشف العمله المزيفه إلا أن هذا الشخص لم يقم بفحص العمله بواسطه الجهاز رغم أنه متاح له ثم بعد ذلك اكتشف أن العمله التي دفعت له مزوره فمن المتسبب في الضرر أليس الشخص نفسه فلو أنه استخدم الجهاز ما كان ليلحق به الضرر ثم أليس هذا الشخص مغفل وظالم لنفسه

فكذلك حال من لم يستعمل المنهج وعقله في رحلته علي الارض

(اقتباس الفكره من النابلسي في تفكيره مع اختلاف الالفاظ)

ولهذا يخاطب القران العقل ويتوجه الي صميم الاعماق الداخليه للإنسان لتحريرها من الضعف فالإسلام يحترم الإنسان وادته وكرامته واختياره فلايرغمه علي الإيمان قهرا بل يعطيه حريه الاختيار ولهذا يقول الله تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون)

المفهوم الثاني

عليك أن تشعر بأن انزل القرآن نعمه من الله ولذلك يفهم من قوله تعالى (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) أنه لاطهار محاسن القران يقول لهم أن الأمر لسلامتكم و لسعادتكم ولأجل امنكم ونماءكم لانه منزل من عند الخبير الذي يعلم ماتحتاجون له فالمنهج يحدد لكم الطريق ويضع لكم المعالم الواضحه التي تسيرون عليها ولهذا جاء الخطاب موجه للمشركين ويندرج فيه المسلمون بالأمر فالنص بيان لجملة(لتنذر به) بقريته قوله (قليلا ما تذكرون)

فبينت النصوص أن حكمه انزال الله القرآن علي الرسول صلى الله عليه وسلم الانذار والذكر لهذا أمر الناس أن يتبعوه ما أنزل الله تعالى تعريضا للمشركين بأنهم كفروا النعمه

المفهوم الثالث

أن عليك أن تفهم أن الأمر بالإتياع يعني ان تتلقي الأمر بالجد والاجتهاد والقوه وكذلك التنفيذ لأن الإتياع تعني المشي وراء ماشي اي اقتفاء أثره ولهذا استعمال عنوان الربوبيه بعد الأمر بالإتياع فقال تعالى (ما أنزل اليكم من ربكم)

دون اسم لفظ الجلاله للتذكير بوجوب اتباع امره تعالى لأن وصف الربوبيه يقتضي الامتناع لأوامره واجتناب ما نهاهم

عنه لانه من غير المعقول أن تعترف بأن الله الخالق والرزق ويصل اليك خيره وانعامه فكونه خالق وجب عبادته وحده لأن غير ذلك مخلوقات خلقها الله تعالى فكيف يعبد غيره ثم إن الله رزق فكيف يعوجه بالشكر لغيره تعالى والله غني عنكم وانتم الفقراء و المحتاجين لله فمن غير المعقول أن تعبدوا وتشكروا غير الله ولهذا ذكر بعدها النهي عن اتباع غير ما أنزل الله تعالى

فأراد بهذا أن يكون الإتياع عن رغبه وقبول ومحبه وعلم أن ما أنزل الله فيه المصلحه فهو ربكم الذي خلقكم ويعلم ما يصلح شؤونكم فهو تعالى الذي يتولي أموركم بالتشريع فهذا القران رحمه وعنايه من الله بكم فهذا هو منهج الله فلماذا يكون استيراد منهاج المخلوقات

فأراد بهذا أن يشعر الإنسان بأن هذا المنهج فيه السعاده له في الدنيا والآخرة يستعيد به إنسانيته ويتحرر من كل الأصنام التي تسعده يعرف به قيمه نفسه وما أودع الله فيه من مواهب فهو خليفه الله الذي أخضع له الكون يدرك أن له رساله في هذه الحياه فإن الجسد

يظل ترابا لاقيمه له إلا بالدين الذي هو الروح الذي يصله بربه ولهذا جاء الأمر بالاتباع والاتباع حقيقه المشي وراء ماشي فمعناه يقتضي تابعا ومتبوعا والمراد بهذا أن تتبع القرآن فهو الهادي والقائد الذي يصل بك الي الطريق المستقيم الموصل الي الله تعالى اي منهج الفطره هذا هو ما يدعوكم إليه القرآن لانه دين الفطره فكل مولود يولد علي الاسلام وبعدها يفرض عليه الابويان ديانتهم فمن اختار الاسلام بأن انقاد لأمر الله واتبع دين الإسلام فقد صار خليفه لله في الأرض لتكون اداه في يد القدره الالهيه فعليك أن تخضع وتنقاد لأمر الله فاوامر الله ونواهيه هي لضمان سلامتكم

المبحث الثالث

عليك أن تفهم أن الخلافه شرف لا يطلق الا علي من اختار الاسلام ديننا وانقاد لمنهج الله واحرق الأصنام التي بداخله وهذا إنما يكون باتباع منهج الله الذي فيه السعاده ولهذا يذكرهم بشرط الخلافه الذي اخذه علي ادم (فاما ياتينكم مني هدي فمن تبع هدي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وقال تعالى أيضا في سوره طه (فمن تبع هدي فلا يضل ولا يشقى) فهذا هو العهد المأخوذ علي ادم فهذا المنهج هو شرف الخليفه الذي يعني مركز الخليفه في الأرض وهذا هو مكانه المسلم في الوجود ولهذا جاء التعقيب (قليلا ماتذكرون) يذكرهم بالعهد سالف الذكر يقول لهم أن الأوامر والنواهي الالهيه هي لضمان سلامتكم فأنت لو كنت ماشيا في الطريق فوجدت لوحه وايضا فيه الاشاره الي انه لا يطلق علي الكافرين والذين يشقون لأنفسهم ويضعون لحياتهم أهدافا متباينه خارجه عن الإسلام أنهم خلفاء لله لان الخلافه عن الله لا تطلق الا علي المسلمين ولهذا فإن الذي يستعلي بالقوه والجاه والسلطان ويتخذ تشريع غير شرع الله فإن هذا ليس خليفه لله وهو فاقد لانسانيته ولهذا نجد أنه تعالى يأتي بالتعقيب (قليلا ما تذكرون) فيه التهكم علي الكفار فالضمير عائدا الي المشركين علي طريقه الانتفات من الخطاب الي الغيبه فيه اعراض عنهم كما يقال للعاصي انت قليل الاتيان بالأمر النافع اظهار له علي أخطائه بحق نفسه فأراد بهذا بيان أن الفشل في الامتحان وأنه ترك شرف الخلافه لأن الايات تتناول شرح ما اجمل في سوره الانعام والتي اختتمت بقوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما اتاكم أن ريك سريع العقاب وأنه لغفور رحيم)

وهذا يعني أن هنالك نوعين من الاستخلاف استخلاف عام وهو استخلاف البشر في الأرض باعتبارهم مستعمرين لها لقوله تعالى (وهو الذي أنشأكم في الأرض واستعمركم فيها)

واستخلاف خاص وهو الاستخلاف في الحكم سواء كان استخلاف الدول أو الأفراد كما قال تعالى (يادواد انا جعلناك خليفه في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوي فيضلك عن سبيل الله)

وسنه الله في استخلاف الدول والأفراد أنه تعالى يستخلف الامه مادامت اهلا للاستخلاف وأنه تعالى يستخلف الأفراد أن كانوا اهلا لذلك فهو سبحانه وتعالى يبتليهم فيما آتاهم فقد اختتم سوره الانعام بقوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما اتاكم)

ولهذا جاء النهي عن اتباع غير منهج الله لانه تعالى يستخلف الناس في الأرض فإن أقاموا علي امر الله فهم عند وعد الله لهم بالتمكين والعزه حتي إذا كفر بانعم الله وكذبوا باياته وخرجوا عن حدود رسله أخذهم بغته أو تدريجيا وهم لا يشعرون فقال تعالى (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون)

وهنا يقول تعالى (وكم من قريه اهلكناها فجاءها باسنا بيانا أو هم قائلون فما كان دعواهم إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين... الخ

الأمر الأول

تحدثنا الآيات إن الخروج عن طاعه الله يعني الخروج عن شرف الخلافه وان الخلافه عن الله هي شرف الإنسان الحقيقي

فالقوه والسلطان بدون هذه الصفه لاقيمه لها لأنها قوه بلا شرف ولهذا يلفت الحق عباده الي سنته الماضيه في الاستخلاف ويحدث عباده أنه يهلك الأمم بالذنوب رغم قوه هذه الأمم فقال تعالى (وكم من قريه) فيه بيان أن الأوامر والنواهي الالهيه هي لضمان سلامتكم وسعادتكم فأنت لو كنت ماشيا في الطريق فوجدت لوحه مكتوب عليها ممنوع التجاوز لأن هذا الطريق يعني أنك تدخل حقل ألغام فهل تشعر بحقد علي من وضع لك هذه اللوحه ام أنك تشعر بالامتنان وان ذلك رعايه وعنايه بك فهكذا هو المنهج الرباني أنه حمايه ورعايه

لك لانك عندما تخالف المنهج الرباني تعرض نفسك للهلاك والضياع فعليك تذكر هذا علي الدوام ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى انظر كيف كانت نهايه من خرج عن منهج الله فقال تعالى (كم من قريه)

فاستعمل كم وهذه الكلمه تستعمل للاستفهام وتسمي كم الا استفهاميه وتستخدم للاخبار وتسمي كم الخبريه أو التكبريه

فأراد بهذا

المفهوم الاول

أن يدرك السامع أن هذه الحياه تحكمها سنن ونظام واقدار وان اي خلل في التعامل مع هذه السنن سيفضي الي الفشل والكوارث وان مصدر العلم بهذه السنن هو معرفه الوحي وان الاستدلال علي اطرها يتاتي من تلك المعرفه والتحقق بفاعليتها إنما يعم من خلال السير في الأرض والتوغل في تاريخ الشعوب والأمم وتاريخ النبوه وملاحظه قوانين سقوط الحضارات ونهوضها ولهذا استعمل كم الاخباريه (كم من قريه)

اشاره الي ماحل بالامم السابقه يقول انظر الي ماحل بتلك الامم لتعرف نتيجته الخروج عن منهج الله

المفهوم الثاني

أنه سبحانه وتعالى يحدثنا عن اخبار السابقين ويطلعنا علي قانون الخلافه في الأرض وشروطه فالقصاص من أهم الوسائل التي يكون ترقيق القلوب وايقاظ الفطره لمن يغتر بالجاه والسلطان والمال والقوه والأنصار فالقريه تشير الي معني المكان المثالي للمعيشه و الرفاهية يقول انظروا الي نهايه الحضاره عندما يكون بناؤه علي الماده وبعيدا عن منهج الله فإنها تكون عرضه للدمار والهلاك

المفهوم الثالث

عليك أن تدرك أن ذكر القصاص عن الأمم تهدف إلي لفت الإنتباه الي التذکر والاعتبار فكأنه قال الواجب عليكم دوام التذكير والاعتبار ب الامم السابقه لأن الغالب علي أحوال الناس الغفله والنسيان كما ورد في الايه قبلها فكانت هذه القصاص بمثابة مطارق تدق الاذن لتوقظ القلوب بالتهديد لهم بما حل بالقرى اي المدن السابقه من الهلاك لفظ القريه تعني المكان المثالي للمعيشه فلم تدفع عنها قوتها شيئا

الأمر الثاني

وفي إطار الحديث عن عواقب الخروج عن منهج الله يقول تعالى (كم من قريه اهلكناها) نجد أنه جاء تعليق فعل اهلكناها بالقريه دون ذكر أهلها لقصد الاحاطه والشمول فهي تغني عن ذكر أهلها لأن السامع يفهم أن المراد من اهلاك القريه أهلها لأن العبره والعظه إنما هو بما حصل لاهل القريه فالاهلاك يعني الافناء والاستئصال فهذا هو الانذار الذي يحذر كل رسول قومه بأن يلفت انظارهم لما حل ب المكذبين من قبلهم والسوره حافله بذكر ذلك حيث انها تبين ما حل بقوم نوح من الفرق ثم تأتي بقول هود لقومه (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) فلما رفضوا إدراك هذه الحقيقه يفس هود من تكذيبهم وعتادهم قال لهم (ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضررونه شيئا)

وهكذا يأتي صالح ويحذرهم بمثل ما حذرهم هود ولهذا فإن مكة ام القريه عندما تسمع صيغه الاخبار باهلاك الكثير من القريه يعني أنه يلفت أنظارهم الي قانون الاستخلاف في الأرض فيدعوهم الي التأمل لما حل بتلك الامم وقرائه الأسباب والمسببات التي أوجبت هلاك تلك القريه حتي لايقعوا فيما وقعوا فيه فقال تعالى (فجاءها باسنا بيانا أو هم قائلون)

فالفاء هنا عاطفه علي جملة اهلكناها ولما كان مجى الباس حاصل مع حصول الاهلاك أو قبله وهو سبب الاهلاك عسر علي المفسرون بيان معني الفاء في هذا الموضع

والتأمل ان العطف هنا بالفاء اريد بها الترتيب للاخبار لانه ورد فيها الاخبار عن كيفية اهلاكهم بعد الخبر بالاهلاك وهذا الترتيب هو في الغالب تفصيل بعد إجمال فيكون عطف المفصل علي المجمل فأراد بهذا بيان سنه الخلافه في الأرض فكأنه قال وهذا قانونها الاعلي فمن تجبر في الأرض واستكبر علي آيات الانبياء ونسي نعمه الله عليه ووجد كما جحدت الأمم السابقه من فعل هذا انسحب منه قانون الاستخلاف فابيد واهلكه الله ف الله لا يظلم أحد فاستخدم الباس اي العذاب الشديد الذي ياخذهم بغتة في أوقات الغفله سواء أثناء

النوم أو وقت القيلولة في النهار أي في وقت الراحة وهذا التصوير للعذاب وأوقاته ادعى الي التذكر والتوقي والاحتياط لما فيه من شدة التعرّيع

الأمر الثالث

تبيين النصوص أن الاهلاك تأتي من حيث لا تتوقع فقد تأتي وقت النوم (بياتا) عندما تخلد الي فراشك لتنام أو وقت راحتك عند القيلولة (أوهم قائلون)

فأراد بهذا تصوير حاله الرفاهيه والاستقرار والامان فالقريبه تعني المكان المعالي للمعيشه والرفاهية واطاف هنا الوقت بأنه وقت الراحة فهذه المصائب عقابا لهم فالحق يقول لك اذا كنت في نعمه الله فرعاها فياك أن تعصي الله واحذر من استعمال نعمه تعالي في المعاصي فإن ذلك يعني أنها مقدمه للزوال وهذا التهديد للأفراد والمؤسسات والدول ف الله شديد العقاب فعليك الإنتباه من المخالفه لمنهج الله فأنت اذا شاهدت من يفتخر بالقوه سواء كانت دوله أو أفراد وصار التغطرس سلوكه وحينما تشاهده لايقبل النصيحه فاعلم أن ذلك مقدمه السقوط والهلاك فقراءه التاريخ وتفسير أحداثه إنما يكون بالنظر الي التزام هذه الامه بالمطلب الرباني فهذه هي القراءه الصحيحه لأن القراءه الابليسيه تقوم علي الفصل بين التاريخ والديانات فتقرا الأحداث بناء علي نظريات ماديه بحتة وهو ما يفرغ الايه الكونيه الناتجه عن دليل الأحداث مفرغه من مضمونها فالاثار الموجوده علي مسرح الحياه عن الأمم السابقه إنما هي آيات ناطقه تعطي الواقف عليها الدروس ليأخذ العظه والعبره من خلال المشاركه الشعوريه حيث عليه أن ينظر إلي أهل الكفر والشرك وأحوالهم والأسباب التي كانت وراء ما حل بهم من الهلاك والاستئصال من زوايه البغض والكراهية وبالتالي فإن ذلك يودي الي تقويه قوه النفور لديه فيحذر أن يقع فيما وقعوا فيه لا كما هو حاصل اليوم حيث نري البعض يتغني بامجاد كفار مملكه سباء والفراعنه لانه ينظر إليها نظره قوميه وهذا تحريف لايه تركها الله للعظه والعبره فهم مثل اليهود والنصاري الذين حرفوا التوراه والإنجيل ولهذا فإن الايه فيها التوجيه للنظره لدليل الحدث من خلال الربط بينه وبين الديانه كتنزيل شرعي وفهم عاقبه الخروج عن منهج الله فراس الحكمة مخافه الله

وينظر الي المومنين وأحوالهم وظروفهم وأعمالهم والأسباب التي اوصلتهم الي النجاه والسلامه نظره محبه وإجلال وتعظيم فيقتدي بهم تعرف من خلالها أن طاعه الله وقايه من العذاب لانك تكون في ظل الله وعنايته ورعايته

الأمر الرابع

وبعد هذا يقول الحق (فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين)

هذه الايه معطوفه علي ما قبلها والتي ذكرت مجئ الباس وهذه الكلمه قادره علي ايصال المراد منها بأن تجعل السامع يرتجف لما تحمله الكلمه من معني العذاب فالباس تعني القوه التي لاتقوم فالمصائب والبلايا انواع منها ما يكون شفائها سهلا فمن انكسرت قدمه فإن الطب لديه وسائل توصل إليها لعلاج وجبر الكسر وكذلك الزكام يتعافي المريض بسرعه منه لكن هنالك امراض خبيثه مثل السرطان وتلوث الكبد والكلى فإن الطب لايمك وسائل للعلاج

وكذلك فإن الاوبئه مثل فيروس كورونا الجديد أعجز العالم عام ٢٠٢٠م وراح ضحيه هذا الداء ملايين البشر حول العالم فهذا هو الباس الذي يعني أنه قوه مدمره لاتقاوم

وكذلك الكوراث الطبيعه مثل الزلزل والفرق التي يصعب مقاومتها كما حصل في توسونامي فإن الناس عندما يسمعون مثل هذه الكوراث التي يقفون أمامها عاجزين أمام قوتها المدمره لابد أنه يتساءل ما الذي حدث بعد وقوع العذاب ولهذا اريد بهذا العطف علي نتيجته العذاب أن يرد علي سوال السامع ما الذي حدث بعد وقوع العذاب فجاء الجواب أنهم لم يستطيعوا دفع العذاب ولم يتبقي لهم إلا الدعاء والاعتراف بما ارتكبوا من ذنوب في وقت لافائده من الاعتراف لماذا لأن الناس عندما يحل العذاب وتنقطع عنهم آمالهم وحيلهم يلجأون الي الله بالدعاء لكن هولاء كان الدعاء بعد فوات الاوان فأراد بهذا الآتي

المفهوم الاول

لفت الإنتباه أن الذين اتخذوا من دونه أولياء واهدروا قانون الخلافه في الأرض وظنوا أنهم يتحصنون بتلك الحصون وأنها سوف تدفع

عنهم العذاب أنهم بعد وقوع العذاب يدركون أنهم كانوا ظالمين عندما اعتمدوا علي تلك الحصون الواهيه فهي لم تدفع عنهم العذاب عرفوا أنهم كانوا ظالمين عندما جعلوها مساويه لرب العالمين والمراد بالدعاء هنا هو الدعاء علي النفس بالويل والعبور أو أن المراد بقوله تعالي (انا كنا ظالمين)

المفهوم الثاني

أنه تعالي يلفت انتباههم الي أنه في لحظات الهلاك يري الإنسان ماكان فيه من الانحراف ولكن بعد فوات الاوان لأنها تزوال عنه الا غطيه فهو تعالي يقول في موضع آخر (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) فلحظه الموت تنكشف كل الحقائق ولأن الإنسان علي نفسه بصيرا فهو سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا) يعني ان ذلك مقدمه لشهاده ألسنتهم عليهم في الحشر وأما لأن الله اجري ذلك علي ألسنتهم وصرفهم عن الدعاء الي تجريم أنفسهم وأما أن يكون ما كان منهم يجعل هذا القول يجري علي ألسنتهم نتيجته تفكيرهم في ظلمهم وما ارتكبوا من جرائم في مده بقاءهم في الحياه لكن العناد يصددهم عن الإيمان ولذلك فإنه في لحظات الهلاك فإن ما كان يجول في عقولهم يجري علي ألسنتهم والمراد بالظلم الشرك وهضم حقوق الناس والاستبداد ومخالفه شرع الله

المفهوم الثالث

يقول الحق للطغاه المستبدين وكل المخادعين الذين يتوهمون أنهم قادرين علي خداع الناس انتبهوا من الاستعلاء بالجاه والسلطان و المال والقوه التي تدفعك الي الاستخفاف بعقول الناس وتوهم انك تخدم بها الناس كما قال تعالي عن فرعون (استخف قومه فاطعوه) يقول الحق أن الخداع لن يدوم طويلا ولكن لبعض الوقت وبعدها تترك انك إنما خدعت نفسك فقال تعالي (انا كنا ظالمين) هذا هو قولهم ونحن نعلم أن فرعون ساعه الهلاك اعترف بظلمه ولكن بعد فوات الاوان فقال تعالي (حتي اذا أدركه الغرق قال امنت أنه لا اله الا الذي آمنت به بنو إسرائيل)

المفهوم الرابع

عليك أن تنظر المقدمات والموشرات أنها ترسم النهايه والعاقبه

واللازم عليك التقاط الإشارات التي تسبق وقوع الأزمات فالله يخوف عباده بهذه الإشارات لعلمهم يرجعون الي الصواب ويبتعدوا عن السلوك المفضي الي الازمه والهلاك وهذا النوع من الازمات يسمي (الردع) فالمصائب انواع فمنها ماذكر ومنها مايسمي (دفع) يبتلي الله بها المومنون يدفعهم بها فالمصائب كير العبد فإذا أن يخرج ذهباً أو خبثاً وبها يكون صقل المواهب واخراج القاده وإعداد الكوادر الموهله لحمل رأيه الهدايه

ومنها الرفع وهي مصائب يرفع بها الله المتقين درجات عاليه

ومنها مصائب كشف لتمحيص الصف ومنها القصم وهذه للمجرمين ولهذا عليك الإنتباه وقراءه الأزمات والمصائب القراءه الشرعيه الصحيحه و عليك أن تقفه هذه الأمور وعليك بالصبر عند الأزمات فالنصر لمن يضحك اخيرا لا من ضحك اولاً ثم بكى كثيرا فالله سبحانه وتعالى يقول (وينقلب الي أهله مسرورا)

وقال عن المومنين (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون)

المفهوم الخامس

علي العاقل أن يتسلح باليقظه الدائمه فلا يغتر بالمال أو الجاه والسلطان فأنت لاتدري متي يحل بك العذاب إذا خالفت منهج الله ولهذا جاء ت (إن) لتقسيم القري التي أهلكتها الله بأن منها في الليل ومنها في النهار والمقصود من هذا التقسيم أن يبقي الناس علي وجل فلا يامنوا مكر الله الا القوم الظالمين

الموضوع الخامس

بمناسبه ما اختتمت به سورة الانعام من بيان أن الخلافة شرف لمن اختار أن يكون خليفه وعمل بما أمر الله وان ذلك ابتلاء وامتحان يترتب عليه مسؤوليه الإنسان وحيث أن الناس ينقسمون الي عساه ومطيعون وهنالك فريق ثالث سلبيون مقتنعون لكنهم لا ينفذون أما بدفع الخجل أو الهزيمة من الداخل أو اللامبالاة وعدم الاكترات والسلبيه وهذه المسألة من أخطر ما توجه الشعوب المسلمه اليوم حيث أن المستبددين والطفاه والفسافات الجاهليه والعقائد المحرفه قد أفسدت الحياه الاجتماعيه والاقتصاديه والثقافيه ونتج عنها ترسخ فكره الياس وظهور التميع بين شباب المسلمين أو التشدد في جانب علي حساب جانب آخر ولهذا شاهدنا انتشار ثقافه الرهبانيه في المجتمعات المسلمه وشاهدنا التطرف باسم الدين شاهدنا أيضا فقدان النقه بالنفس والمستقبل والتشاوم وإنكار الذات وضعف الاراده و التوقف عن التقدم أو التقدم بايدي مرتعشه ولهذا نجد أن الحق يقول لنا أن الدعوه للإسلام تعني الصمود والعبات تعني الصبر وتحمل المشقه فعقيده الاسلام تقوم علي فكره أن الالم ضروري للحياه هو والفرح سواء فهو السبيل الوحيد الذي ينضج فيه النوع الإنساني جي لا بعد جيل ومن الناحية الفسيولوجية ينه الالم الي الأخطار التي تصيب جسد الإنسان فلو تصورنا مرض يصيب الإنسان بدون الم فإن هذا يعني أن يقضي علي الإنسان بدون أن يدري ولهذا يقول الحق (فلا يكن في صدرك حرج منه) فالمشقه لابد منها وبالبلاء تنضج الذات حتي ترفع الحجب التي تحجبها عن الله فقال تعالي (وذكرني للمومنين)

ولهذا يتوجه الي كل من يقف موقفًا سلبيا قائلا عليكم أن تحسموا موقفكم في هذه المعركه بين الحق والباطل باتباع الحق دون تردد فقال تعالي (اتبعوا ما أنزل اليكم من ريكم) فهذا يعني أنك لا تبالي بما حولك من عناصر القوه الماديه التي لدي أهل الكفر لانك تركن الي الله وحكمه فالرسول صلي الله عليه وسلم عندما عرض عليه أهل قريش الاغراءات أن يجعلوها ملكا قال لعنه ابوطالب والله ياعمه لو جعلوا الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا الأمر حتي يظهره الله أو اهلك دونه فهذه هي قوه الايمان واتباع الحق إنما تكون بحسم الموقف عليك أن تشعر بالمسؤوليه فالخلافة تعني الجد والاجتهاد في التلقي والتنفيذ وهذا يتطلب حسم الموقف واستشعار المسؤوليه تنتظر أنك في معركه مع الباطل فقال تعالي فلنسلن الذين أرسل إليهم ولنسلن المرسلين فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين الوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك هم الذين

الدرس الاول

يقول الحق عليكم أن تستحضروا المسؤوليه وأنكم سوف تقفون بين يدي الله تعالي وسوف يحاسب الله عباده كلهم فهو تعالي سوف يحاسب الداعيه الذي يحمل المنهج من ربه الي الناس وسوف يسأل المستمع فكلاهما لهما حساب

فأراد بهذا بيان أن علي الامه استشعار التحدي والمسؤوليه وحسم موقفها وعدم التردد وان عليها مسؤوليه نقل العلم واصطحاب معرفه الوحي كبوصله هدايه للعقل لأن ضياع البوصله تعني الوقوع في التيه ونماء صور التدين المغشوش التي تودي أما الي المروق من الدين أو الانسحاب من الدنيا أو السلبيه بعدم القيام بتبليغ الدعوه للناس ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى أنه سوف يسأل الرسل في موقف الجمع يوم يجمع الله الرسل في ساحه الحشر عن قيامهم بالبلاغ والبيان اي يحاسبهم علي قيامهم بما كلفوا به وتقديم شهادتهم علي اقوامهم وهذا فيه لفت انتباه هذه الامه بأن عليها أن تدرك مسوولييتها كونها امه شاهده علي غيرها من الامم فعليها أن تدرك ابعاد رسالتها وفاعليتها المرتبط بشهودها الحضاري (لتكونوا شهداء علي الناس) فإذا كان الرسل والأنبياء وهم اكرم الناس سوف يقفون بين يدي الله ويسالهم ويحاسبهم عن قيامهم بما كلفوا فكيف بنا نحن وقد كلفنا الله بالشهاده علي الناس فاحذروا التقصير في أداء المهمه ايه المسلمون عليكم استحضار المهمه التي اصطفاءكم الله بها فسوف تحاسبون علي التقصير

فالامه اليوم مطلوب منها معادوه بناء شهودها الحضاري واسترداد فاعليتها والمساهمة في معاوده اخراج الامه لتحمل الخير للبشرية وا لإنسانية عليها إدراك أنها سوف تسال عن هذا الأمر فالايه تهدف الي حث الامه علي النهوض وترك السلبيه والتردد فكل فرد في هذه الا مه مسؤولا عن نقل العلم ولهذا نجد أن القرآن يعطينا نماذج للتدرب علي مواجهه الصراع مبينا لنا جذور ذلك الصراع بأنه يعود إلي بدايه وجود الإنسان علي الأرض و تعطينا النموذج الاول للصراع ادم مع العدو ابليس ليبين لنا كيف أن الذين لا يحسمون موقفهم يقعون ضحية اغواء الشيطان يقول لنا عليكم أن تحددوا موقفكم من هذا الصراع الدائر بين الحق والباطل

ولهذا سميت السوره بالاعراف اشاره الي الفريق الذي تتساوي أعماله الحسنات مع السنيات فيقول الحق انتبهوا أن تكونوا مثل هولاء الذين لم يحسموا أمرهم فعليكم الإنتباه فلا تضع نفسك في هذا الموقف وأن تعمل جاهدا علي أن تكون من اهل الجنه فلا تقف موقف اهل الاعراف

ثم تعرض لنا النصوص قصص الانبياء لتبين لنا كيف يكون حسم الموقف ومن ذلك موقف السحره الذين حسموا موقفهم عندما عرفوا

الحق ثم تبين لنا النصوص جانباً من سلبه بني إسرائيل الذين لم يحسموا موقفهم من الصراع بين الحق والباطل فقال تعالي (قالوا اوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا) فذكر قول موسى (قال موسى لقومه استعينوا بالصبر والصلاه أن الأرض لله يرثها من يشاء من عباده والعاقبه للمتقين قالوا اوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسي ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم من بعدهم فينظر كيف تعملون)

وعرضت علينا النصوص أيضا انقسام بني إسرائيل الي ثلاثة اقسام بشأن الصيد يوم السبت فريق نهى عن المنكر وفريق ارتكبه وفريق سكت ولم يكن له موقف إيجابي فلم تذكر الايه نهايه الذين وقفوا تلك المواقف السلبيه للتشجيع بهم فأراد الحق بهذا أن يربي المومنين علي أن يكون لهم فاعليه ايجابيه وان يبتعدوا عن السلبيه والتردد

الدرس الثاني

أن من أهم عناصر الفاعليه الايجابيه ليس مجرد الايمان بالله فقط بل الانتقال لمرحله الشعور بوجود الله واطلاعه علي أفعالك فإذا استقرت هذه الحقيقه في أعماق النفس فإنها تجعلك تخاف وتستحي أن يراك الله في معصيه وبالتالي يسهل عليك حسم موقفك فقال تعالي (فلنقصد عليهم بعلم وما كنا غائبين)

فأحدث طريقه اليوم يستعملها المحقق للحد من الجريمه وتحقيق الردع والجزر وايضا يجعل المجرم يعترف بجريمته هو أن يريه الصوره التي تبين له مافعل بالصوت والصوره ولهذا فإن اخبار الله لنا أنه يعلم أعمالنا كلها لانه حاضرنا كل شي يهدف إلي استحضر وجود الله فهذه هي العقيدته التي نحتاجها اليوم لتكوين الفاعليه الايجابيه والابتعاد عن السلبيه والتردد

فأنت تجد الكثير من الناس من يدعي الايمان بالله وبالايوم الآخر ومع ذلك يرتكب المعصيه والسؤال هنا كيف يكون ادعاء الايمان مع ارتكاب الجريمة؟

الجواب :-

ان ذلك يعود إلي عدم الإيمان بوقوع البعث والنشور لانه لو كان متقين من وقوع ذلك وما يترتب عليه من العذاب لما ارتكب الجريمة لو كان لديه الاحساس بأنه إذا ارتكب الجريمة سوف يحل به العذاب كالبرق لما ارتكبه فأنت لو طلب منك أن تشرب السم أو تدخل في النار المشتعله فهل تقبل ذلك بالتأكيد انك لن تقبل لماذا لانك مومن باليقين أن السم يعني الموت وان النار سوف تلذع جسمك ولذلك فإن الشعور بوجود الله وانك سوف تحاسب علي اعمالك بالإيمان باليقين وأنه يترتب علي العذاب الشديد اذا حصل هذا الشعور فإنك لن ترتكب الجريمة وبذلك تكون حركتك ذات فاعليه ايجابيه

وايضا هنالك سبب آخر وهو التهاون والاتكال الي مساله عفو الله وعدم الحساب نتيجته طغيان عنصر الرجاء علي الخوف وهذا ناتج عن تلقي الأمر بنوع من الفتور ولذلك يخبرنا الله أن علينا أن نتلقي الأمر الإلهي بالجديه والاجتهاد وكذلك التنفيذ بدون تساهل وانك سوف تحاسب علي اعمالك فقال تعالي (الوزن يومئذ الحق)

وهذا يهدف إلي الآتي

المفهوم الاول

ابطال الموازين الارضيه التي تستند في وضع قيمه الانسان علي اساس النظر إلي مايملك من مال أو جاه أو سلطان حيث أن الوساطه و المحسوبية تلعب دور في محاسبه الشخص أو افلاته من الحساب ولأن البعض ينظر إلي موازين الله بنفس نظرتة لموزين الأرض ولذلك نري البعض يتصور أن منزلته من الرسول صلى الله عليه وسلم أو الصالحين تعني أن له مكانه عند الله تجعله في مناي من الحساب

ولهذا يقول الحق (الوزن يومئذ الحق) وهو الحق سبحانه وتعالى فلا مجال للظلم وهضم الحقوق ولا محاباه ولا محسوبيه في الموازين الشرعيه فهو الحق سبحانه وميزانه الحق

فالميزان الشرعي الذي يوزن به حجمك عند الله هو العلم والعمل الصالح فهو تعالي يقول (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) ويقول تعالي (ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون)

وقال تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)

فحجمك عند الله يكون بحجم العمل الصالح فهذا هو ميزان الله وهو يختلف عن موزان الأرض الذي يكون فيه الغني مبجل والناس ينصرفون عن الضعيف لأنه بنظرهم لاجم له ويتوجهون الي الغني لانه مبجل بنظرهم فميزان الأرض باطل أما ميزان الله الشرعي فهو الحق

المفهوم الثاني

أن استقرار هذه الحقيقة (الميزان الشرعي) في أعماق النفس الإنسانية تعني امتلاك المسلم العقيدة التي يكون فيها الفاعليه الايجابيه ويكون التنافس علي تنميه جوانب الخير في المجتمع المسلم ومحاصره جوانب الشر قال مالك بن دينار قلوب الابرار تغلي بأعمال البر وقلوب الفجار تغلي بأعمال الفجور) فأنت بحاجة الي تزكيه نفسك وان تتعاهد امرك بالمراجعه فاذا رأيت مكروها اصلحته وان رأيت أمرًا صالحًا حمدت الله عليه فكانت عنايتك بذلك زياده او قربه ومن هنا ندرك التركيز علي اهميه أن تغزو فكره مطابقه موزانك لميزان الشرع الاعماق الداخليه للنفس ولأن أول خطوه في الوسيطيه والاعتدال (الميزان الشرعي) يكون بتنقيه اوعيه النفس والقلب والعقل من اوساخ المقاييس والمعايير والموزين الارضيه بالشعور والاحساس أن السعاده الحقيقيه تكمن بموافقه موزانك لميزان الشرع ومطابقته له فالحسن ما حسن الشرع والعلم ما جاء به فجاء تعليق النجاح والفوز في الاخره بمطابقه موزانك لميزان الشرع وان مخالفه ميزان الشرع يعني السقوط والانحطاط والخساره والهلاك وهذا السقوط لانك اعتمدت علي ميزان ساقط عند الله فالله يقول في موضع آخر (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياه الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون)

المفهوم الثالث

أن استحضار العبد وتحركه وفق ميزان الله تعني ولاده قوه مانعه من ارتكاب الشر وتولد قوه دافعه لعمل الخير ولا تحس بالمشقه و التعب لانك تنظر إلي ما عند الله من ثواب فالمومن وقافا مع نفسه وليس حاطب بالليل يقف مع نفسه ويطلع زوايا ضميره بعين حديده النظر نافذه البصر فالمراجعه مع نفسه هي شغله الملازم له فإذا رأي في عمله أمرا محمودا حمدالله ورضي وان رأي مكروها أدركه بحسن المراجعه والاستقصاء فيه فهو يسد الثغرات ولا يسمح للعدو أن يتسلل الي كيانه ويختبي في زاويه من زوايا بيته وهو لا يشعر لوجود الظلمه ولذلك فهو يحرص أن يكون معه سراج من العلم وضي واضح هو في يقظه دائمه لا يغفل ويقبل النصح لانه مومن باليقين أنه يجد الخير الكثير في ميزانه يوم القيامه بصدق المراجعه ومبادرتها قبل أن تبرد عنها حلوتها

يقول لك الحق عليك مراجعه نفسك وامرك فإذا لم تلحقه بالمراجعه فإنك ذاهب الي يوم القيامه فانتبه من التهاون في المعاصي و التساهل في ترك الفروض فأنت الخاسر في النهايه فلو علمت ذلك لكنت ممن يتفقد امره وعندها سوف تدرك ما دخل عليك من الندامه والحسره حيث فارقتك مافيه طاعه الله

الدرس الثالث

تهدف الآيات الي حث المومنين علي اعتمد الميزان الشرعي في وزن الامور والمعاملات بأن تكون حياتك كلها وفق ميزان الله

وهذا الميزان حساس فالمومن إذا ارتكب معصيه أو حتي أخطى في حق احد ولو بكلمه فإنه يصاب بالأرق ولا يستطيع النوم لانه في يقظه يتخذ الاحتياطات التي تمنع عنه الهلاك فهو لاينام حتي يعفو عنه من أخطى بحقه لانه يدرك أن مايفسد حياه العبد أكثر من التهاون باليسير فهو الذي يوقع في الإثم الكبير فالتهاون باليسير هو الأساس الذي يبني عليه الكثير فالأمر يبدأ بأمر يسير ثم يكون أكبر فلا يشعر حتي يجد نفسه حيث يكره فتترك اليسير يوصل الي ترك الكثير وهذا يعني ضعف الارده والهمله وانكسار العزيمه وليس ذلك من أوصاف المومنين

وانما هو من أوصاف المكذبين الذين يشكون أنهم سوف يبعثون ولهذا فإن المومن يوزن كل أعماله وأقواله وفق ميزان الشرع لانه يري أن كل شي له وزن يوزن به متوقف عليه مستقبله وسعاده الابديه فقال تعالى (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا يظلمون)

الأمر الأول

يريد الحق منك أن تدرك حقيقته ان كل قول أو عمل أو حركة تحركها في هذه الايه لها وزن عند الله وهو مجازي به في الاخره ولهذا ذكر أن نهايه رحله الإنسان وسفره في هذه الحياه أحدي أمرين اما الفلاح والسعاده ..وأما خساره النفس والشقاء والنذل والهون

وان ذلك متوقف علي العقل الذي يوزن به الأعمال فقال تعالي (فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون)وقال تعالي (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا يظلمون)ومن هنا نفهم ان العمل له وزن

الأمر الثاني

تهدف الايه الي تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر في المجتمع المسلم أفرادا ومجتمعات ودول حيث يفهم من تأكيد أن للعمل وزن أن المراد بهذا الوزن العمل الصالح الذي يودي الي اصلاح الأرض وهنا قد يقول قائل كيف يكون للعمل وزن وثقل ؟

أن اجمل ما قرأت بهذا الشأن ما ذكره النايلسي عندما طرح معالا لذلك مطولا اذكره لكم باختصار لو أن شخص قام ببناء محلات ملاهي وأماكن الترفيهيه وقام باسعاد الناس من خلال هذا المشروع وفي المقابل قام شخص باختراع القنبله الذريه أو النوويه التي تجعل الا مه قويه ايها اثقل في الوزن العمل الأول ام الثاني لاشك أنه العمل الثاني حيث يكون تخليد الشخص لانه قدم الخير للامه

الأمر الثالث

تهدف الآيات الي القضاء علي كل مظاهر التنافس الذي يهدم الدول ويقوض الاجتماع بين أفراد الامه ولهذا يجعل التنافس بين المومنين والتسابق هو علي الاعمال الخيرييه ومحاسبه النفس ولذلك فإن المومن شديد التحفظ فيما بقي من العمر وموائبه الطاعه ب الجد والاجتهاد مع رقه القلب وصفائه وطهارته لانه يري انه مسافر الي الله والدار الاخره ويرى أن قيمه أعماله وثقل وزنها تتوقف علي عده امور أولها اولها النيه ولهذا فهو حريص علي تصفيه سيرته من الشوائب التي تفسد الأعمال فلا يطلب علي عمله الاجر الا من الله تعالي ولا يبتغي به إلا وجه الله

والامر الثاني الذي يتوقف عليه وزن العمل الصبر علي احكام الله عزو جل والتسليم لأمر كلها في حسن الظن فأنت اذا اعتنيت بوالديك تري أن هذا الخير يعقل وزن اعمالك في الاخره وعندها تتلذذ بالطاعه وهذا يتطلب تلقي العهد بالقبول والارده والعزيمه لأن وزن الأعمال تتوقف علي العقبات التي تعترضه فكلما كانت اشد كان العمل اثقل ولهذا فإن هذا يعطي قوه دافعه للمومن لخوض الصعاب في سبيل الله فلا يبالي بالمشقه والمتاعب وبالتالي فإن ذلك يصنع الرجال وكذلك فإن ما يعقل الأعمال في ميزان الحق هو الصوراف التي تقف في طريق العبد ولهذا فإنه لو فرضنا أن رجلا كبير في السن قد اصابه الكبر بحيث لم يعد لديه رغبه في النساء ولا قوه انتصاب ووجد امراه جميله تدعوه الي الرذيله فامتنع عنها لايكون امتناعه يعقل ما لو كان شابا لديه رغبه جماعه بالجنس وقوه قادره علي الجريمه فإنه إذا امتنع يكون اجره اعظم وأكبر ولهذا ورد في الحديث الصحيح سبعة يضلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله فقال من ذلك شاب دعته امراه ذات منصب وجمال فقال إني اخاف الله

وكذلك فإن من تضخيم العمل في الميزان هو حجمه وعمق تأثيره بامتداده وامده باتساع رقعته وهذا واضح في الحديث الشريف اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث(ولد صالح يدعو له وصدقه جاريه وعلم ينتفع به)

فجعل الامتداد الذي له وزن للانسان يقوم علي الصلاح للولد الذريه اشاره الي اهميه تربيته الابناء علي الإيمان والاستقامه نظرا لان الإ نسان يحب الذريه لانه يري انه بذلك يمتد نسله

وكذلك جعل العلم النافع هو الامتداد الذي يحصل به استمرار هطول الحسنات الي ميزان الحق حتي بعد موت العبد وكذلك الصدقه الجاريه لأن ذلك يعبر عن قوه تأثير عمله وامتداده

الأمر الرابع

أن الموزين مستويات مختلفه ولهذا فان الايمان يزداد وينقص يزداد بالأعمال الصالحه وينقص بالمعاصي وهذا يرجع إلي اهميه مطابقه ميزانك لميزان الشرع فهو الميزان الذي يولد فيك قوه الاحساس فيكون تركيزك واهتمامك وبوعتك كلها تدور حول كلمه لا اله الا الله حاضره في عقلك وقلبك ووجدانك في كل الأوقات لأن زياده الحسنات تعني زياده الايمان

وان تقصد بها وجه الله لأنها إذا انصرفت لغير ذلك فإنها تضيع ولا قيمه لها وان كانت اعمال صالحه في مظهرها الخارجي

الأمر الخامس

أن من أهم ما يربي الحق سبحانه وتعالى المومنين بهذا القرآن هو الالتزام بميزان الحق والعدل في كل الاوقات ذلك أن التأثير الحقيقي بالشريعة ألحقه إنما يكون بحسن معرفه الحقوق وحسن استعمال ملكاتهم العدل والرحمة والإحسان بشأن حقوق بني جنسه حسب مرتباتهم ولهذا فإن المسلم يحذر ازدواجيه المعايير فالدوله المسلمه تحترم العقود مع الأمم وان كانت كافره تحترم حريه الفكر والارده والعقيدة للإنسان وكرامته واختياره وهي أن امتلكت القوه والهيمنه علي العالم وهذا هو دورها القيادي التي اصطفاها الله له فانه تتعامل مع الآخرين أشخاص ومؤسسات ودول بالعدل فلا تتكبر فالله يقول (وقاتلوهم حتي لا تكون فتنه ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان الا الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام ... الخ

بعكس الدول المتططرسه اليوم كامريكا فإنها تكيل بمكئين حيث نشاهد كيف أنها وقوي الغرب عموما اليوم انحيازت لإسرائيل وتقف في صف الظالمين الذين يقتلون العزل في غزه الذين وصلوا الي حوالي أربعين ألف شهيد ومائه الف جريح

في حين نسمع العويل لمقتل الف وخمسائة صهيوني

ولهذا فإن القران يخاطب المومنين بأن عليهم التزام العدل والانتباه من ازدواجيه المعايير

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع الثاني من سورة الاعراف

بعد أن اختتمت النصوص في المقطع السابق بذكر نهايه رحله الإنسان وأنه ينتهي به المطاف الي الله والدار الآخرة وان مصيره أما النجاح والفوز بالجنه وأما الخساره والهلاك بالنار تأتي آيات هذا المقطع تتناول عدده امور متعلقه بوجود الإنسان علي الأرض وابتدات النصوص بتناول مساله انعام الله وحقه علي الإنسان فقال تعالي (ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معاش قليلا ما تشكرون)

وهذا فيه الاتي

الامر الأول

العلاقه بين الايه وما قبلها

ابتدأت آيات هذا المقطع بامتنان الله علي عباده بنعمه التمكين في الأرض ونعمه المعاش عليها بعد أن اختتمت الايه السابقه عليها بقوله (اولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا يظلمون)

فدلت النصوص أن هؤلاء خسروا أنفسهم بالشرك فاستحقوا العذاب لأن الظلم يطلق علي الشرك لقول لقمان (أن الشرك لظلم عظيم) فارادت بهذا تذكير الإنسان بحق الله عليهم علي ما أنعم عليهم

والسؤال هنا ماهو حق الله ؟

أنه بالوقوف علي حديث معاذ بن جبل قال كنت رديف الرسول صلى الله عليه وسلم علي حمار فقال لي أتدري ما حق الله علي العباد وما حق العباد علي الله قلت :- الله ورسوله أعلم

قال :- حق الله علي العباد أن يعبدوه ولايشركوا به شيئا وحق العباد علي الله أن لايعذب من لايشرك به شيئا

قلت يارسول الله افلا ابشر الناس

قال لاتبشرهم فيتكلموا)

ولهذا نجد أنه تعالي بعد بيان نهايه الظالمين بالعذاب بسبب أعمالهم القبيحه يقفي ذلك بذكر انعامه علي الإنسان (نعمه التمكين __ ونعمه المعاش)

فهو سبحانه وتعالى يقول لك ايه الإنسان انك تعيش فوق أرض خلقها الله وتتنفس من هواء صنعه الله وتشرب مياهها انزلها الله وتاكل مما صنعه يدالله وتكلاه عنايته وتعيش علي نعم ساقها الله اليك

فلا يوجد احد يزعم أنه اوجد هذه الأشياء وخلفها ولايوجد من يدعي أنه المسؤول عنها

يقول الحق أنه لم يكلف الناس شيئا كبيرا علي انعامه فجعل حقه هو التوحيد تعبد الله ولاتشرك به

ولم يرتب عطاءه للناس وانعامه علي مساله إيمانهم وكفرهم فهو يعطي المومن والكافر فلم يحرم الكافر من عطاءه لأنه يريد توحيدا صادرا من ارده حره ولهذا اختتم الايه بقوله (قليلا ما تشكرون)

الامر الثاني

(مامعني التمكين ...ومن هو الممكن)

التمكين تعني التمليك والتسلط والقدرة علي تحصيل اسباب السعاده اي أن تكون في مكان مكين اي ثابت ومستقر

فالله جعل الأرض صالحه ليعيش فيها الإنسان جاهزه خاضعه له فلم يجعلها مستعصيه ممتنعه علي من أراد شي منها فجعلها بساطا وفرشا هياها للإنسان بحيث يتمكن من البناء عليها وحرثها والانتفاع بها

ولهذا سمي الإنسان ممكن في الأرض لأن الإنسان وحده الذي احتل هذا الكوكب وسيطر عليه بدون أن يزعجه أحد من الكائنات الأخرى
لاحيونات ولا جماد ولاجن ولا غيرذلك

ولهذا فإن قوله تعالي (ولقد مكناكم في الأرض)

يعني ان الحق يمتن علي عباده بنعمه التمكين لهم في الأرض لانه فاضافه التمكين لله يراد بها الامتنان كما يقال مكنتك من كذا اي
أعطيتك المكان بحيث لا ينازعك أحد فيه فالله مكن الإنسان في الأرض وجعله سيدا علي سائر المخلوقات في الأرض ومميذا عليهم لأن
التمكين أن تكون في مكان مكن لا يستطيع احد أن ينال منك ولهذا فإن الإنسان عندما يكون في مسكنه وبيته يقال إنه في مكان مكن
ولهذا فإن الايه تشير الي نعمه المسكن في اشاره الي أن الأرض جعلها مسكنا للإنسان وسائر المخلوقات يقومون بخدمته ولهذا نجد
التناسق بين النصوص حيث عطف علي نعمه تجهيز المسكن نعمه المعاش فقال تعالي (وجعلناكم لكم فيها معاش)

فلم يبين لنا ههنا الكيفية لهذه المعاش التي حصلت لنا في الأرض

ولهذا فإن الحق يريد منك أن تنظر إلي نفسك لتشاهد مظاهر التمكين التي أودعها الله في نفسك وفي الأرض ؟

من جعلك تمشي علي قدمين ومن جعل فيها هذا التوازن الذي يجعلك قادرا علي الحركة والمشي في الأرض ثم انظر الي سائر الأعضاء
التي جعلها الله مخلوقه لوظيفه محدده لا يتحقق ثم انظر الي العقل الذي اختصك الله لتقوم بالعمران علي الارض

ثم عليك أن تنظر إلي الأرض وتقارن حجمك معها لتسأل نفسك

من الذي جعل الأرض مسخره للإنسان ؟ ومن الذي أودع فيها هذه الخصائص التي تمنح الإنسان الحياه عليها ؟ من الذي أوجد فيها الهواء
الذي يتنفسه الإنسان بهذا الوزن للذرات فيه من الذي أوجد فيها أسباب الرزق والمعاش من الذي هياها لتكون صالحه ليعيش عليها الإ
نسان ؟

من المسؤول عن حركه الشمس والقمر ودوران الأرض بحيث يكون تحقيق سعادته الإنسان ولهذا عطف بعد نعمه المسكن بنعمه المعاش
(وجعلنا لكم فيها معاش)

وهو سبحانه لم يبين لنا هنا الكيفية التي حصلت لنا بها هذه المعاش في الأرض لانه تعالي قد أخبرنا بمواضع أخرى عن ذلك فقال تعالي
(فلينظر الإنسان الي طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شققا فانبأتنا فيها حبا عنباً وقضباً وزيتوناً ونخلاً وحدائق غلباً وفاكهه وأبا
متاعا لكم ولانعامكم) وقال تعالي (أو لم يروا انا نسوق الماء الي الأرض الحرز فنخرج به زرعاً تاكل منه انعامهم وأنفسهم أفلا تنظرون)

اي أسباب الرزق فمن الذي أوجد الأرزاق بحيث تضع في باطن الأرض الحب فينتج اضعاف مضاعفه من المسؤول عن هذه الأسباب و
النواميس التي تتحرك بها الأرض من الذي ارشدكم للتعامل معها

والاجابه علي هذه الاسئله أمر مهم ومتعلق بالمقصود والمراد من الوجود الإنساني علي الارض للاتي

المساله الاولي

أن الاجابه علي الاسئله تعطينا جواب لأمرين هما في غاية الاهميه وعليهما يتوقف المقصود من استخلاف الإنسان

الأول :-

تسخير التعريف حيث أنه يعرف الإنسان بربه لأنها تدل علي رعايه الله وعنايته ولطفه وقدرته وحكمته ووحدانيته والتذكير بنعمته
وإحسانه والسير إليه والاستعداد للقائه والقدوم إليه فأنت سوف تحاسب علي كل ما أنعم الله به عليك

تعلم أن كل جزء منك وكل عضوا وكل ملكه من ملكاتك مخلوقه لغايه وهدف وهي معرفه الله ومحبه وعبادته وتوحيده

لأن الرب يدعو عباده الي معرفته من طريقتين أحدهما النظر في مفعولاته والثاني التفكير والتدبر في آياته ولهذا فإن الأفعال تدل علي
الخالق فمفعولاته من أدل الاشياء علي صفاته وصدق ما أخبرت به الرسل عنه تعالي ولهذا فإن الآيات المرئيه ثابتة وكذلك الآيات
المسموعه لقوله تعالي (سنريهم آياتنا في الافاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق)

الثاني

تسخير كوني :-

انه تعالي ارشد الإنسان الي كيفية التعامل مع الحياه ويسر له المعرفه التي سلمه مفاتيحها فالإنسان مخلوق لعباده الله وتعمير الأرض ولهذا فعليه أن يعرف ان الانسان والكون والحياه كلها تخضع لسنن ونواميس وقوانين فالحياه بكل ما فيها لايمكن فهمها ولا التعرف علي أسبابها أزماتها ومواطن إصابتها الا بعد إدراك هذه السنن التي هي أشبه بمعادلات رياضيه مقدمات تورث نتائج كما لايمكن التعامل معها دون استعياب هذه السنن وامتلاك القدره علي تسخيرها

المساله الثانيه

تهدف الايه الي ازاله كل العوائق التي تمنع من الإيمان ب الله فيقول لهم الحق أن الله اوجدكم في الأرض وجعلها مكانا ومسكنا لكم وتكفل سبحانه وتعالى بيزقكم ولهذا فإن ذلك يوجب عليكم حب الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له فكيف يكون منكم الشرك ب الله وطلب العون من المخلوقات وانتم تعلمون أن الله الرزق فجاء ذكر المعايض لأن الرزق من أسباب قوه الحب بعد ذكر الاخره والحساب و العقاب فأراد بهذا أن لا يكون في قلب العبد حب غيرحب الله وان لا يخاف العبد الا الله يقول له ما الذي يجعلك تشرك ب الله وانت تعرف أن كل شي بيد الله لماذا لاتلجاء الي الله عند الحاجه

المساله الثالثه

لابد أن تعرف اهميه التكامل في الحياه بين دورك ودور الآخرين فالاجتماع يتطلب تكامل الأدوار ف الله جعل الأرزاق في إطار دائره حيث نجد انه تعالي يهيئ الأسباب والمسببات فأحيانا نزي شيئا ما بأنه سببا ضارا ويجعل الله منه خيرا كثيرا حيث نجد مثلا أن حادث السياره أمرا قد يكون مصابا لفلان من الناس لكن ذلك يعني أنه مصدر رزق للمسكري والأطباء وايضا فإن الحشرات التي تأكل المحاصيل الزراعيه تمعل افه بنظر الكثيرون لكن ذلك لا يخلوا من توفر سبل الأرزاق حيث نجد أنه يعيش منها تاجر المبيدات والمهندس والعامل الذي يقوم بضخ المبيدات وبالتالي كم من الناس يعيشون مع وجود الحشرات الضاره بالمحصولات الزراعيه

المساله الرابعه

أن هذا فيه عدم جواز احتكار المال فلا بد من تشغيله بحيث يتحرك ويكون انتفاع الناس من حركته فهو مال الله وجعله الله لأجل أن يعيش الناس وهذا لا يكون إلا في حركه المال وبدون ذلك يعني توقف الحركه وبالتالي حرمان الناس من أهم مصادر المعاش

المساله الخامسه

عليك أن تحذر من التدين المغشوش الذي أوجد اشكاليه في فهم البعض للدين اليوم بأنه يعني أنه تعالي خلق المسلمين للعباده بمفهومها الضيق الصلاه والصيام والجلوس في المساجد ومنح الآخرين امكانيه النظر والتفكير وبلوغ الصناعات وإتقان تدبير الحياه ليكونوا في خدمه عباده المومنين به يعالجون قضاياهم ويدبرون ازماتهم ويقومون نيابه عنهم في عماره الأرض ليتفرغوا هم لعباده الله فهذا التفكير لأصله له بالدين لانك مكلف بعباده الله في عماره الأرض وانما هذا يعود إلي ازمه كامنه في الذهنيه والثقافيه المغلوطة عن الدين والفهم السقيم للآيات فتصورا أن أمر كشف السنن والآيات والدلائل موجه للكفار وان الله سيريهم آياته وسننه في الافاق وفي أنفسهم ليقودهم ذلك الي الايمان ولهذا فإن امتنان الله علي عباده بالمسكن والمعاش فيها توجيه الأنظار لآياته المرئيه وحث المومنين للسعي الي امتلاك هذه المعرفه فهي من مقتضيات الايمان ولوزامه ولهذا قال تعالي (قليل ما تشكرون)

الأمر الثالث

يريد الحق منك أن تشعر بضعفك وافتقارك وحاجتك الي الله تعالي ولهذا نسب التمكين له تعالي لتنبيه الإنسان أنه ضعيف فالتمكين بقدره تعالي سواء كانت تلك التي تحصل بما خلق الله من أشياء أو تلك التي تكون بعمل الإنسان فالجميع من فضل الله فالواجب أن لا تغيب هذه الحقيقه عن أنظارنا أبدا بأن هذا التمكين هو بقدره الله تعالي فكل شئ يتحرك وفق اراده الله تعالي لانه تعالي خالق الكون وكل شي فلا أحد منا يستطيع أن يدعي أنه هو الذي يتحكم في حركه الشمس أو يدعي أنه خلق الماء أو الطعام والشراب أو الهواء فكل شئ مسخرة بقوه الله وقدرته

وهذا يعني أن نشعر أننا نحن الفقراء وان الله هو الغني فنحن محتاجون لله في كل الأوقات

الأمر الخامس

يريد منك الحق أن تعرف النعمه وقدرها وتعرف المنعم سبحانه وتعالى وتحقق الغايه والهدف من وجودك ولهذا يقول لك الحق أن هذه النعم من وسائل تحقيق الغايه من الوجود الإنساني علي الارض يقول لك انك انت المخلوق الاول وقد مكنتك في الأرض وجعلتك سيدا علي سائر المخلوقات وجعلت لك سبلا تكسب بها رزقك وانت في هذا السبيل في امتحان واختبار تمتحن هل تصدق ام تكذب تنصح ام تغش يقول لك انتبه من أن تشغل بالنعمه عن المنعم ولهذا يقول لك الحق لاتنسي أن ما أنت فيه من نعم هو من الله فاول أمرا يجب عليك أن تشعر بقدر النعمه وان هذه النعم هي من الله عليك وان هنالك واجبا علي هذه النعم لأن الذي لايعرف قدر النعم ولايودي شكرها مهدد بزوال النعم الذي هو فيها والعاثي عليك أن تعرف أن هنالك منعم انعم عليك بهذه النعم سواء ما يحصل بدون اسباب منك او تلك التي تأخذ بالاسباب للحصول عليها فعليك أن تدرك أن ذلك كله من فضل الله وإحسانه فالواجب عليك شكر من جهتين

معرفة المنعم المتفضل عليك بما يجعلك تري جماله وجلاله وكماله وعظمته وهذا يعني أن تومن بالله وهو ما يوجب أن تشكر الله وبهذا تحقق الغايه من وجودك بأن تعرف الله وتحبه فأنت حين تومن بالله وحين تشكر ربك يعني أن رده فعل معرفه المنعم أن تومن ورده فعل هذا التكريم أن تشكر الله فإذا امنت وشكرت فقد حققت الغايه من وجودك

عليك أن تكون صاحب رساله في كل الاوقات تري حسن الله وإحسانه وكماله وعظمته فتومن به تعالي وتشكره لانه تعالي هو المنعم وهو الذي منحك كل هذه النعم وان نعم الله لاتعد ولا تحصي

ولهذا فإن شكر الله بمعرفته ومحبهه وعبادته وتوحيده وطاعته يعني معرفه اسماءه وصفاته تعالي ومعرفه الطريق الموصل إليه ومعرفه الآفات وأمراض النفس وعلاجها ثم بعد ذلك أن تكون صاحب همه عاليه وارده قويه لتكون قائما بواجب النعم وهذا يتطلب اكتمال القوي العلميه النظرية والقوي العمليه التطبيقيه

فاكتمال القوي العلميه النظرية يكون بالتعامل في الكون وتدبر آيات الله

واكتمال القوي العمليه يكون بمحبه الله تعالي وطلب عونه تعالي علي الدوام تذكره في كل لحظه لانك تعيش علي انعامه فأنت اذا بدأت بالاكل تقول باسم الله واذا انتهت تقول الحمد لله واذا اردت جماع زوجتك تقول اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا واذا اردت دخول الحمام تقول اللهم اني أعوذ بك من الخبث والخبائث وعندما تخرج تقول الحمد لله الذي أذهب عني الاذي وهكذا لاتنسي ذكر الله وشكره ولهذا قال (قليل ما تشكرون)

والمراد بهذا أن تعتز بانك عبدا لله وان تفتخر أن لك ربا هو الله ولهذا فإن واجب الشكر أن تدعن لله وتعذل له وتحبه وتعبد له لانه من ذلك لانك تشعر انك محتاج له في كل الاوقات واياك والمعاصي فإنها اذلت عزيز كان قبلها واهانت من كان عزيزا لانه رفض أمر الله (ابليس) فقد نفع الملائكه عز السجود ولم ينفع ابليس عز النسب فالانكسار امام الله هو السبيل الوحيد للعز

القسم الثاني

بعد أن تناولت النصوص ماحظي به الإنسان من انعام الله بنعمه التمكين ونعمه المعاش تنتقل النصوص الي نعمه خلق الانسان فقال تعالي (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين

وهذا فيه

اولا

ابتدأت الآيات بلفت انتباه المخاطبين الي نعمه خلق الانسان وتصويره عطا علي ذكر نعمه التمكين والمعاش والخلق تعني الابداء والا نشاء من العدم والتصوير تعني إعطاء الصورة والخصائص التي اختص الله بها الإنسان وجعله افضل واكرم المخلوقات فذكر امره الملا نكه بالسجود لادم فقال تعالي (ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم) ثم ذكر بعدها قصة العدواه بين ادم وإبليس

9

بالوقوف علي هذه الايه نجد الاتي

المبحث الأول

لماذا نجد آيات القرآن الكريم تتناول قصة نشاء البشريه ونعمه خلق الإنسان (ادم) وتكريمه بعد ذكر خلق الأرض وتمكين الإنسان منها وتوفير الأرزاق للإنسان ؟

الجواب :-

لأن الأرض والكون وجميع المخلوقات خلقت قبل الإنسان فقد كان أول مخلوق هو القلم ثم خلقت السموات والأرض وكان الإنسان (ادم) آخر المخلوقات ولهذا فإن عطف خلق ادم وتكريمه علي خلق الأرض وجعلها جاهزه لسكن الإنسان عليها تهدف إلي مخاطبه العقل البشري لينطلق في نشاطه علي الأرض من خلال فهم الأمور في الحياه وفقا لمنهج الله الذي حملته تعاليم الله للإنسان عبر انبياءه فعليه أن يدرك انعام الله عليه حيث هياو جهز له الأرض (الدار) قبل أن يخلق ادم ليسكن

وكذلك فإن تقديم خلق الأرض فيها بيان مظاهر التمكين وتسهيل المعاش فكان الحق يقول لك انظر الي فضل الله وإحسانه وكرامه عليك فقد هيا لك مافيه تلبية حوائجك ومصالحك معاشك وأسباب حياتك قبل أن تكون حاضرا وقبل أن ترفع راسك

فأراد بهذا أن يعرف الإنسان مركزه في الكون يقول له انك الغايه التي خلق لأجلها السموات والأرض فالانسان خلاصه الوجود كله وثمرته ولذلك ربط خلق الكون بخلق الإنسان بأنه محكوم بعنايته تعالي وتصويره سبحانه له فأراد بهذا اظهار شرف الإنسان وفضله علي سائر المخلوقات فكان خلقه آخر الموجودات فأراد بهذا أن يبين للانسان أنه مخلوق مكرما علي سائر المخلوقات في الأرض وأنه مستخلف من الله محفوفا بالرعاية وتهنيه المخلوقات لخدمه الإنسان

فإن هذه الحقيقه تقرر أن الله شرف الإنسان وفضله علي سائر المخلوقات وتقرر (سياده الإنسان علي الكون) بتسخير الله الكون له

وهذا التكريم يتطلب من الإنسان :-

شكر وتبصر لمعرفة ما هو الأمر الذي من أجله كان التكريم

عليك أن تسأل نفسك لماذا خلقت علي هذه الهيئه وحسن الصورة ولماذا سخر لخدمتي هذا الكون

ولهذا نجد أن القرآن عندما يتحدث عن خلق الكون وتسخيره لخدمه الإنسان يربط بين مساله تعريف الإنسان بمركزه في الكون (أنه السيد الذي سخر الله له الكون) وبين مسووليته عن هذا المركز ومدى تحقيق مهمته فإذا لم يقم بأداء ما كلف به فإنه بذلك لم يفهم دوره وبالتالي فإن هذا الأمر يتطلب معرفه دورك في الكون ولهذا اختتمت الايه السابقه (قليلا ماتشكرون)

فانت مخلوق منحك الله هذا التمكين والتكريم بتسخير الكون لخدمتك وخلقك علي هذه الهيئه وحسن الصورة وربط ذلك بالمسؤولية

عن قيامك بأمر الله والخلافه وفق منهج الله ولتقريب معاني الرعايه الالهيه للإنسان وبيان مركزه في الكون ذكرت الايه بعدها الحديث عن خلق الانسان وتصويره علي احسن صورته والأمر للملائكه بالسجود لادم فإن ذلك التكريم يوجب الشكر ويقضي بالمسؤوليه ولهذا قال تعالي (قليلا ما تشكرون)

لذم من لم يعي المقصود من التكريم ويفهم الصله بين التكريم والمسؤوليه

الأمر الثاني

أن الحق يريد منك أن تنطلق في الحياه من خلال الوعي للمقصود من التكريم فهم الصله بين التكريم والمسؤوليه فالكون مجبور لا إراداه له وهو يعبد الله بقيامه بأداء وظيفته كما أمره الله وكما أراد الله اما الإنسان فإن له إرادته واختيار ولهذا فإن الكون لا يحاسب أما الإنسان فهو مسؤولا عن اختياره

فالإنسان إذا عليه أن يجعل إرادته خاضعه لإرادته طوعيه

عليه أن يجعل حركته منسجمه مع حركه الكون وهذا يتطلب اخراج الانانيه من داخله ليكون تفاعله مع ذاته ومع الكون موافقا لمراد الله لأن التجاوز في ذلك يعني حدوث الاضطراب في حركه الإنسان وإفساد الأرض ولهذا فإن الإنسان بحاجة للمنهج الذي يحقق الا نسجام في حركته ولهذا يقول الحق له أنه تعالي خالق الكون وخالق الإنسان ولهذا فإن دليل العناية يوجب معرفه الله ومحبه فقد أراد الله أن يكون الإنسان سيادا علي الكون يبدع فيه ويخترع وينشي ويظهر أسرارها ليكشف الله للإنسان ماغاب عن الإنسان عن ربه فعندما ينظر إلي الكون يشاهد كيف أن الله سخر له ما هو اكبر منه (السموات والأرض)

وأعظم منه (الانعام) فإن هذا يجعله يدرك أنه لا اكبر من الله ولا أعظم من الله يجعله يدرك أنه تعالي معه أن التزم أمر الله ينطلق في الحياه وهو شاعرا بالمسؤولية الملقاة علي عاتقه فينظر أن تهنيه الحياه له وتسخيرها لمنفعته وتمكينه منها هو لأداء دوره الذي خلقه الله من أجله

الأمر الثالث

أن عليك أن تدرك أن تكريم الوجود الإنساني مع عدم اختيار الوجود الكوني يكفل لك أن تحافظ علي مقامك وكرامتك وبما يجعل حياتك قائمه علي هذا التكريم اذا ربطت ذلك بالمسؤوليه التي أوجبها هذا التكريم للإنسان وبالتالي فإن اللازم عليك أن تدرك أنك مسؤول لا لأن ما زوك الله به من ملكات إنما هي اشياء تقتضها الوظيفه التي كلفت بها فقد اعطاك الله هذه الهيئه التي خلقك بها اعداد منه لما يتناسب مع الوظيفه التي خلقك لأجلها فقال تعالي (لقد خلقنا الإنسان في احسن تقويم) وقال تعالي (وصوركم فأحسن صوركم)

وهنا لا بد أن تعرف ماهي مسؤوليتك وحدودها ؟

انه بالنظر الي حديث القران عن المسؤوليه وما عبر عنها نجد الآتي

/١

أنه تعالي ذكر أن مناط التكريم الإنساني متوقف علي أداء الإنسان لما كلف به (الخلافه)

ولهذا نجد القران يركز علي اعداد الخليفه بما يجعله اهلا ليكون خليفه ويحذر من الخروج عن منهج الله والقيم والمبادئ التي فيها طهاره النفوس واتصال الروح بربه فهذا كله من أجل الحفاظ علي كرامه الانسان فالله كرم الإنسان من أجل الخلافه فهو تعالي قال (اني جاعل في الأرض خليفه) فوجود الإنسان علي الأرض مقصود من قبل أن يوجود الإنسان وهذا لا يتحقق الا بالتزام منهج الله ولهذا ذكر بعدها خلق آدم وتصويره وسجود الملائكه له تكريما واحتراما وذكر ما كان من ابليس للتحذير من ابليس واتباعه

٢

ذكر الحق المسؤوليه (العباده) فهي الغايه التي خلق لأجلها الانس والجن ولهذا عندما تسمع كلمه (خلقناكم) فعليك الإنتباه الي

المسؤولية عن وجودك وهي عبادة الله لقوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

ولهذا نجد تركيز القرآن علي مساله تحرير الإنسان من استعباد الناس أو طبيعته أو غيرها ويبين أن الإنسان سيذا علي الكون كله ليكون عبدا لله

٣

الامانه

لقوله تعالى (انا عرضنا الامانه علي السموات والارض فايين أن يحملنها ... الخ

فامانه الدين ونشر الخير مسؤوليه كلف به الإنسان وهو يعبد الله بذلك لقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر... الخ

ولهذا يفهم أن المراد بالمسؤولية ان يكون نشاط الإنسان كله متجها الي الله تعالى فلا يخرج عن منهج الله ولهذا فإن المسلم يري أن عزته هي أن يكون عبدا لله فقد أخرج من نفسه أصنام الأهواء والانانيه والتعصب والتفاخر والكبر بلباس الذل لله والاعتزاز ب الله ولهذا فهو ينظر إلي الناس بعطف ويتحمل مسؤولياته بالسعي الي تحقيق الهدف الذي خلق لاجله

فالمسلم ينظر لنفسه أنه مسؤول عن رفع الظلم عن المظلومين يري انه مسؤول عن الالم الجوعي واليتامي والمستضعفين فدائره مسؤولياته تتجاوز ذاته أو أقاربه فهو يبذل جهده طالما أنه قادر علي رفع معاناه الناس وان لم يكونوا مسلمين ابتغاء وجه الله واستشعار منه لواجبه ومسؤولياته بحدود طاقته وقدرته لقوله تعالى (لايكلف الله نفسا إلا وسعها)

المبحث الثاني

لماذا نجد أن قصة خلق آدم كررت في القران في البقره وطه والأعراف ؟

الجواب :-

أن التكرار في القصص وبالذات قصة ادم ليس عبثا ولكن هذا يعود لعدة اغراض منها أن كل سورة تتناول الموضوع من زوايه معينه ففي سورة البقره تناولت القصة في إطار التعريف تناول قواعد بناء دولة الموحدين ونظرا لأن هنالك قضايا مصيرية واساسيه واي خلل فيها يشكل خطراً بترتيب عليه ضياع الإنسان لأنها مرتبطة بمستقبله وسعادته وشقاوه

ولما كانت المعركة هنا متعلقة بالهدف والغايه من الوجود الإنساني علي الارض وهذا الهدف يتوقف عليه سعادة الإنسان أو شقاوته نجد النصوص تكرر ذكر هذا الأمر لأجل أن يجعل الهدف امنيته الجماهير وهذا يتطلب تعريفهم بالهدف وبيان منافعه واضرار الخروج عنه ولهذا يقول الحق لك أن تكريم الإنسان مرتبط بمعرفته هذا الهدف وهو معرفه الله ومحبهه وعبادته وتوحيده وحمل امانه الخلافه فأراد تحويل هدف (شرف الخلافه) من امنيته الي عقيدته تحيا عليها الجماهير من خلال اظهار كفاح الرسول صلى الله عليه وسلم ونضاله في دعوه الناس الي عباده الله حتي يدرك الناس أن هذا الهدف هو امنيتهم لأجل أن تتحول الامنيه بعد ذلك إلي عقيدته شعبيته يحيا عليها الناس ويموتون لأجلها

ولما كان الهدف حقيقه كسائر الحقائق ذات اثرين فهنالك ظروف ينفع فيه الهدف ويكون له تأثير وهنالك ظروف مناقضه يضر منه البعض ومن هنا فإن مجالي الحقيقه لها مواقعين وبحسب موقع الإنسان من أحد مجالي الحقيقه يكون الاستجابة أو الرفض ولهذا ينقسم الناس الي منتفعون يدافعون عن الهداف وآخرون متضررون منه ويقفون ضده ولذلك لما فإن اهل مكة قالوا لتبرير مقاومتهم للإسلام (أن نتبع الهدي معك نتخطف من ارضنا)

ولهذا فإن الذي يدافع عن الهدف كالذي يقاومه لأن لكلا منهما وجهه نظر من الموقع الذي يتأثر به وبحسب مدي فهم كلا منهما للهدف واحاطته به من جميع جوانبه ولذلك ترسم لنا الآيات نموذجان الملائكة نموذج الطاعة المطلقة الذين اطاعوا أمر الله وسجدوا لادم

سجود تكريم لا عباده تنفيذاً لأمر الله ونموذج العصيان والاستكبار هو الشيطان الذين رفض أمر الله

ثم ترسم لنا الآيات المعركة بين الحق والباطل من خلال محاوره الشيطان عن أسباب امتناعه والذي يظهر فيه مقاومته للهدف ويظهر تمسكه بمواقفه مبينا أن هذا الهدف سوف ينقسم المكلفون من الانس والجن حوله وينشأ الصراع الفكري بين الذين يؤيدون الهدف وبين الذين يرفضونه وهذا ما نراه في واقعنا حيث نشاهد الذين يؤيدون الهدف يقومون بتعريف الناس به ويشرحون جوانبه ويفسرون اثاره الايجابية لكسب حب الناس له وتأييدهم وان الذين يعارضون الهدف يحاولون طمس معالمها وتزييف طبيعته وينفرون الناس من القبول به كي يضلوا الناس ويعدوهم عن فهم الهدف حتي يعروا ضده

فمعركة الهدف إذن تبدأ بمعركة معرفه معركه شرح وإيضاح وتفسير ثم تكرار الشرح.والايضاح والتفسير والمناظره تستمر مع أعداء الهدف فالتكرار اذن حتي لا ينسي الناس الهدف وهذه هي بدايه كل رساله فقد خاض الرسول صلى الله عليه وسلم ومعها الوحي و الصحابه معركه المعرفه يرتلون القران ويشرحون ويذاظرون ويرتلون ويشرحون ويذاظرون حتي استوعبت الجماهير دينها الجديد وأدركت أنه يمثل أمانيتها فاتخذته عقيدته تحيا عليها أو تموت دونها

ثانيا

لماذا عبر عن خلق نفس ادم وتصويره بخلق الكل وتصويرهم تنزيلا لخلقه وتصويره منزله خلق كل بني ادم وتصويرهم وجاء ذلك معطوفا علي ذكر نعمه التمكين والمعاش ؟

لأن المقصود من خلق آدم وتصويره تعمير الارض باولاده فكان خلقه بمنزله خلق اولاده فجاء إسناد ضمير الجمع مجازا فأريد بهذا

الأمر الأول

ان يعرف الإنسان حقيقته والغايه والهدف من وجوده علي الارض من حيث أنه مقصود من خلقه وتصويره وأمر الملائكه السجود لادم سجود تكريم واحترام بعد أن اختتمت النصوص في المقطع السابق بذكر الحساب والعقاب فقال تعالي (الوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا يظلمون) بان هذا التكريم مقصود لعمار الارض وفقا لمنهج الله ليكون انطلاق الإنسان من هذه المسؤوليه عن هذا التكريم من فهم مستلزمات وصفه خليفه لأن القصور في الفهم لأن البعض فهم حقيقه الإنسان من جهه التكريم فقط دون المسؤوليه فكان تركيزه في انطلاقه من ذاته هو إذ فهم أنه المخلوق الذي ذلت له الصعاب وهيت له الحياه ولم يفهم أنه مسؤولا عن هذا التكريم فهو لم يسأل نفسه لما ذا خلق علي هذا النحو الذي جعله مفضلا علي سائر المخلوقات لم يسأل نفسه لماذا سخرت لي جميع الكائنات

ان الإنسان يجهل حقيقته ومهمته ولذلك نجد كلما تقدم الحضاره الماديه ازداد الانحطاط ولهذا نجد أن الإسلام يركز علي تعريف الإنسان بأنه مخلوق متكامل فهو حظي بالتكريم

ما التزم بمسؤوليته وهذه المسؤوليه تمعل جوهر حقيقه الإنسان وهي محل التكريم فمن خالف منهج الله فقد فقد شرفه ولهذا فإن انط لاق الإنسان من هذه الفهوم يعني أنه يعتز أن له ربا هو الله يعتز بعباده الله فلا يمل من طاعه الله بل يجد فيها اللذه لانه يري أن ذلك هو شرفه وعزته ولهذا قال تعالي (ثم صورنكم ثم قلنا للملائكه اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين)

وقد ورد عن ابن في تفسير الطبري انه لما صور ادم القاءه تعالي علي باب الجنه اربعين سنه لان دأب المحب أن يقف علي باب الحبيب وقد رمي به في طريق الذل فقال تعالي (لم يكن شنيا مذكورا) لئلا يعجب بنفسه عندما يسجد له

ولهذا فإن القصة تهدف إلي لفت الإنتباه أن منزله الإنسان ومكانته وكرامته تكون بطاعه الله والسجود لله هو العز فقال تعالي (اسجدوا) يقول انتبهوا أن ترتكبوا المعاصي فإنها اذلت بفعالها من كان قد جمع هو الملائكه في مقام فقال له تعالي أخرج منها

الأمر الثاني

أن حمل الامانه يتطلب المعرفه فالعلم بالماده وخالق الماده يعني أن تحمل امانه الخلافه عماره الارض والعلم بخالق الماده أن يكون ذلك وفقا لمنهج الله

فإنسان هو العالم وبصلاحه يفسد العالم ويفسده وهذا إنما يكون باتباع منهج الله ف الله عندما يقول لنا (ولقد خلقناكم) فمعني هذا أنه يريد منا أن نطيع أمر الله فهو يقول لنا لماذا تخرجون عن الأهداف حددتها لكم فانتم مخلوقات ولا يحق لكم أن تضعوا ل أنفسكم أهدافا لحياتكم أو تصنعوا لانفسكم منهجا فالخالق هو الذي له الأمر وله أن يحدد لكم ما تعملون والأهداف التي اوجدكم لاجلها ولهذا فعليكم أن تطبقوا تعليماته ففي ذلك أسباب السلامه والنجاه لكم

ولهذا فإن التكرار لهذه القصص لأنها متعلقه بهدف المقصود من الوجود الإنساني وهذا الموضوع هو الذي ترتبط به سائر الأهداف و المواضيع الأخرى والخطاء في هذه الخطوه يترتب عليه الخطاء في ما يلحق ذلك من خطوات فإنها تعني السير في طريق معوج ف الخلل في هذه المعرفه أمر في غايه الخطوره يترتب عليه ضياع الإنسان فالموضوع مرتبط بمصير الإنسان ومستقبله وسعادته أو شقاءه وتعاسته ولهذا فإن القضايا المصيرية تتطلب التكرار لترسخ في العقول والافهام فلا يمكن أن تقول لابنك اجتهد مره واحده في عمره فلا بد أن تكرر ذلك في كل وقت وكل مناسبه في المسائل الاساسيه ولهذا فالإنسان بحاجه الي معرفه سر وجوده بحاجه لمعرفة لما هو في هذا المكان بالضبط اي الأرض ولماذا هو في الدنيا ولما سخرت له الكائنات كلها

ولهذا فإنه اذا عرفت سر وجودك وسر هذا الاختيار للإنسان والاصطفاء فإن ذلك يجعلك تتحرك وفقا لمنهج الله

ثالثا

تبيين النصوص اول صراع بدء في التاريخ بين الحق والباطل بين الخير والشر بأنه لم يكن قائما علي اساس الإلحاد والكفر بوجود الله أو إنكار الاعتقاد بربوبيته والوهيته وانما كان ناتجا عن رفض امتثال أمر الله فقال تعالي (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين)

فذكر ربنا تعالي أنه اختص الإنسان بخصائص ميزه علي سائر المخلوقات واهم هذه الخصائص (تعليم ادم الاسماء كلها) حيث علمه اسماء كل شي متعلق بخلافته من اسماء الأنهار والبحار والمحيطات والجبال والمعادن وكل شي وعلمه اسماء الله وصفاته تعالي اي اسماء الماده وخالق الماده وهذا ما يجعله قادرا علي التعامل مع سنن الكون وتعمير الأرض وكسب عيشه ومعرفه الله ومحبه وعبادته وتوحيده

٢/التسويه بيد الخالق بأن جعل الإنسان مخلوق له هئيه جميله فقال تعالي (لقد خلقنا الإنسان في احسن تقويم)

وايضا اعطاه ملكات تستطيع أن تقوم بواجب حمل امانه الخلافه والاسماء

/٣

النفخ في الروح وهذا يعني أنه مخلوق من جانب ارضي وجانب سماوي فالارضي الجسد من الطين والسماوي هو الروح الطاهر

ولهذا فإن الإنسان بهذا التقويم الذي خلق عليه أما أن يكون في منزله اعلي من الملائكة وأما أن يهبط الي أسفل السافلين فالتكريم مرهون بالمسؤولية فهو أن انطلق من هذه الزوايه بأن كرامته تكمن بامتثال أمر الله والقيام بواجب الخلافه فإنه محافظا علي ما خصه الله به من تكريم

ولهذا فإن اللازم عليه أن يحذر الأعداء المتربصين به لأجل أن ينزعوا عنه لباس ودرع الكرامه (التوحيد) والشكر ليكون عرضه للسقوط والهبوط الي أسفل السافلين

والحذر من الأعداء يعني أنك لابد أن تعرف منهم الأعداء لانك إذا لم تعرف عدوك فمعني ذلك أنك لاتملك القدره علي الاحتياط منه فمعرفه العدو الاساسي واعاونه وجنوده أمر مهم ولهذا نجد أن الدول تقوم بتجنيد اعداد هائله من الاستخبارات لكشف الأعداء حتي لا يغريك العدو بقناع الصديق وكذلك فأنت بحاجه الي معرفه واكتشاف السلاح الذي يملكه العدو والوسائل والأساليب والثغرات التي يمكن أن ينفذ منها الي مدينتك ليكون منك الاستعداد وسد الثغرات ووضع التحصينات التي تصد العدو ولهذا نجد من رحمه الله تعالي بنا أنه

الأمر الأول

يخبرنا بمؤسس مدرسه الشر أنه ابليس فابليس فمصالحه تتعارض مع التكريم الذي اختص الله به الإنسان فقال تعالي (الا ابليس لم يكن من الساجدين)

فقد رفض ابليس الاعتراف بفضل ادم (العلم ..التسويه بيد الخالق..النفخ بالروح)

التي اختص الله بها ادم واظهر بهن منزله ادم وافضليته علي سائر المخلوقات

والملاحظ هنا أن الصراع هنا ليس صراع لأن ابليس لايعتقد بوجود الله والوهيته وربوبيته فالامر ليس كذلك

ولكن الصراع هو علي الولاية للأرض ف الله جعل الخلافة هذا الشرف العظيم للإنسان فأظهر فضل الإنسان وكرمه وجعله سيدا علي الكون كله

ولهذا فعندما تسأل نفسك لماذا سخرت لي هذه الكائنات فاعلم أن هذا الشرف مرتبط بالخلافة وشرف الخلافة طاعه الله فإذا خرجت عن طاعه الله فقد فقدت شرفك

ولهذا فإن الخلافة اختيار بينما العبودية قهر فاختيارك الخلافة تعني الاستسلام لله باردتك الحره أما العبودية فالجميع عبيد لله شاوا ام اباوا

المهم هنا أن بدايه الصراع هو سياسي فابليس شذ عن الملائكة ورفض الاعتراف بفضل ادم رفض القبول بولايه ادم علي الارض رفض أن يكون ادم هو الذي له السلطه عليه حيث ذكر أن إبليس كان يمر علي جسد ادم قبل أن ينفخ فيه فيعجب منه ويقول لامر قد خلقت ثم يدخل من فيه ويخرج من دبره ويقول لمن سلطت عليك لاهلكك ولن سلطت علي لاعصيانك ولم يعلم أن هلاكه علي يده فهو كان ينظر إلي طينا مجموعا فيحتقره فلما صور الطين صورته دب فيه داء الحسد فلما نفخ فيه الروح ونادي منادي الملائكة أن اسجدوا فسجد الملائكة طهاره التسليم لأمر الله وقام ابليس ناحيه ولم يسجد لانه خبيث قد تلوث بنجاسه الاعتراض فجري القدر بالذنب ليعبين اثر العبودية في الذل

الأمر الثاني

تبين لنا الآيات إن العقلانية المجرده فكره ابليس وان اصول هذه الفكره تقوم علي تسييس القضايا بالانحراف عن أبواه المنهج التي توجب الإتياع لأمر الله واقامه العهد ولهذا أخبرنا الله أن هلاك ابليس يعود الي معارضته اختيارالله لادم خليفه علي الارض فالصراع علي السلطه علي الارض وأن ابليس قابل الأمر الإلهي برفض الاعتراف بفضل ادم بما اختصه الله به وقابل ذلك بالتحدي تحت شعار أنا خير منه دعوي الاعتزاز للعنصر المادي دون اعتبار الأمر الإلهي وما له من خصوصيات

لم ينظر إلي ماعليه من مسؤوليه ينطلق منها بل قام بتسييس الامر بدافع الكبر والإعجاب بالنفس بالقياس مع وجود النص

ولهذا فإن جذور انحراف البشريه والعالم اليوم يعود إلي لحظه رفض ابليس الاعتراف بفضل ادم وقوله انا خيرا منه فالملاحظ اليوم أن تبريرات الرافضين اليوم القبول بقياده الاسلام للعالم وان يحكم الدين الاسلامي العالم كله يلجأون الي ما لجاء إليه ابليس بادعاء الا فضليه وإظهار المسلمين بأنهم متخلفون لايفقهون شيئا متجاهلين أن الله تعالى قال (ومن يتبغ غيرالاسلام ديننا فلن يقبل منه) وايضا فإن الامه الاسلاميه اليوم قد تخلت عن دورها وعن الابواه الشرعيه التي تعطيها حق القياده (العلم النافع ...وطهاره الروح ..والبدن) من خلال تزكيه النفس بالمنهج الرباني واكتساب العلوم الماديه التي تحقق العمران علي الارض

ثالثا

ذكرت الآيات السابقه حصول التسليم من الملائكة بما أمرهم الله وحصول التمرد والعصيان من ابليس ولم تذكر الآيات هنا ما حصل من حوار بين الرب والملائكة كما ورد في البقره قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ...الخ

واكتفي بذكر امتثال الملائكة هنا بأمر الله بالسجود لادم وسرد رده فعل ابليس والحوار الإلهي معه فأراد بهذا هنا

المبحث الاول

(ان الحوار الإيجابي هو الذي يودي الي التسليم والرضاء بالنتائج وان ذلك متوقف علي الباعث للحوار وهو معرفه الحقيقه وليس الجدل من أجل إظهار قوه الجدل)

ولهذا نجد أن الحق يذكر حصول التسليم من الملائكه بالسجود لادم ليظهر لنا الفرق بين الحوار مع الملائكه والجدل مع ابليس

فالملائكه لم يظهر اختلافاً لان بواعث الملائكه عندما سألوا وتعجبوا من استخلاف ادم في الارض هو الاسترشاد وليبان ما جهلوا فلما أخبرهم الله بفضل ادم فقد نفذوا الأمر بالسجود لادم تكريماً له نفذوا الأمر فأراد أن يقول لك عليك عند الحوار أن تقبل بالتسليم و الرضاء بالنتائج وهذا يعني ضروره ان يكون الباعث للحوار الاسترشاد وطلب الإيضاح والعيات وليس الجدل لأجل الجدل وإظهار قوته لا طلب الإيضاح ومعرفه الحقيقه ولهذا ذكر بعدها الجدل مع ابليس ليبان ان باعث ابليس هو الحسد لما شرف الله به ادم من فضل فقال تعالي (ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خيراً منه خلقتني من نار وخلقته من طين....الخ

فكانت نظرتة ماديه بحته وهي نظره فاسده ولذلك طرده الله من رحمته تعالي التي وسعت كل شئ لان جدال الشيطان كان اعتراضاً علي قضاء الله وحكمه

المبحث الثاني

(الفرق بين المنع والامتناع)

تبين النصوص ان حق الدفاع عن النفس مكفول لكل الناس فالله سبحانه وتعالى لم يصدر الحكم علي ابليس حتي سمع منه المبرر الذي دفعه لارتكاب الجريمة اي انه قبل إصدار الحكم علي شخص لما اقتراه من ذنب أن تمنحه فرصه للدفاع عن نفسه ومعرفه البواعث للجريمة التي دفعته لفعله

فقال تعالي (مامنعك ألا تسجد إذ أمرتك)

ذهب البعض للقول إن لا هنا زائده وقال بعضهم أنها زيدت للتأكيد والاستفهام للتوبيخ

فابليس اول من سن قاعده التمرد علي النظام الذي جعل الحق السلطه فيه للخليفه ادم

ولهذا فإن الناس في تعاملهم يتمردون عن تنفيذ أمر القياده لسببين

الأول :-

عند وجود قوه قاهره تحول بينك وبين تنفيذ الأمر فمثلاً انت مكلف بمنع بحراسه موقع ما فلا تسمح لاي شخص من دخول المبني فجاء مسلحين وقاموا بارغامك علي السماح لهم بالدخول الي الموقع

وكذلك فإنك مثلاً تريد أن تأكل الطعام ولكن تفاجت بمسليحين يمنعونك من الاكل

فإن هذا الشئ يعني أنك تمنع بالقوه وهو مايسمي بالمنع

اما الثاني :-

فأنت تريد أن تأكل ولكنك اقتنعت ان لا تأكل لوجود من اقنعك بأن لا تأكل فهذا يعني أنك ممتنع اختياراً

ولهذا فإن السؤال ورد بصفتين (ما منعك ألا تسجد) وقوله (مامنعك أن تسجد)

فالايه الثانيه سوال هل كان هنالك قوه قاهره منعتك من السجود

أما الايه في هذه السوره فهي سؤال من الذي اقنعك ألا تسجد

فجاء الجواب من ابليس (قال أنا خيراً منه خلقتني من نار وخلقته من طين)

فيه كشف المغالطات التي وقع فيها ابليس والاستدلالات الفاسده للتحذير منه فذكر مبرراته (أنا خير منه) ذكر حجه استنكافه عن تنفيذ أمر الله بأنه فاضل فكيف يسجد الفاضل للمفضول وهذه هي قاعده انطلاق المفسدين في الأرض فقد عارض النص بالقياس زاعما أنه أفضل من ادم وأنه اعلي منه رتبه ومكانه وذكر عله ذلك بأنه

من النار مدعيا أن النار خير من الطين بما يفيد إعجاب به بنفسه وتعصبه لعنصره وهذه الحججه هي حجه الذين يتفاخرون بالانساب والسلايين من البشر

وهذا القول من ابليس فاسد ويدل عن سفاهه العقل للاتي :-

ان الأمر صادر من الله ولاقياس مع النص واللازم مقابله أمر الله بالتعظيم والاجلال

أن هذا القول فاسد فالطين فيه الوقار والسكينة والنبات فهو محل النماء والنبات والإصلاح والاستقرار بينما النار فيه الطيش والحريق والخفه ولهذا فإن عنصر ادم نفعه بالرجوع والانا به والاستسلام لأمر والتوبه .

ولا اشد قبحا من الطيش التي تتصف بها النار ويفسر هذا اعتراض ابليس علي مولاه وجعل امتعال أمر خالقه موقوفا علي استحسانه له وموافقته لهواه

يقول ابن تيميه رحمه الله انه لو صح أن النار افضل من الطين فلا يجب أن يكون المخلوق من الأفضل افض لان الفرع قد يختص بما لا يكون في أصله فالتراب يخلق منه الحيوان والنبات ماهو خير منه والاحتجاج علي فضل الإنسان علي غيره بفضل أصله علي أصله حجه فاسده احتج بها ابليس وهي حجه الذين يفخرون بانسابهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من قصر به عمله لم يبلغ به نسبه)

كما أن التشريف بالنفخ الروح المقدسه فيه فعلق السجود بأن ينفخ فيه من روحه (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)

والتسويه بيد الخالق والعلم

المبحث الثالث

تأتي النصوص مبينه العقاب الإلهي لإبليس عندما تكبر وعاند الأمر الإلهي فقال تعالي (قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فأخرج اناك من الصاغرين)

المفهوم الأول

يحذر الحق من الحميه والتعصب والتفاخر فيقول انظروا الي نهايه ابليس الذي تعصب علي ادم بأصله فالذين يتعصبون للقوميات والسلايه عليهم أن يدركوا ان ابليس هو امامهم وهو سلفهم الذي ينتسبون إليه فهو الذي وضع أساس العصبية وادرع لباس التعزز وخلع قناع التذلل فانظروا الي العقاب الذي حل به فقال تعالي (قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فأخرج اناك من الصاغرين)

فالله يقول الاترون كيف أن الله صغر ابليس بتكبره ووضع بترفعه فابتدات العقوبه بقوله تعالي (فاهبط منها)

و الهبوط أما أن يكون هبوط مكاني وهو يعني النزول من مكان مرتفعا الي مكان هابط هذا في معناها الحقيقي مثل أن تقول هبطت الطائر في المطار

واما أن يكون هبوط مكانه ومنزله :-

مثلا نجد أن هنالك مدير عام أو رئيس محكمه أو عقيد بالجيش ارتكب مخالفه ولهذا صدر قرار بتجريدته من رتبه العسكريه وبدل ما

كان عقيد صار مساعد أو رقيب وكذلك المدير صار عامل ورئيس المحكمة هبطت سلطته الي مجرد قاضي جزئي

فهذا يعني أنه هبطت مكانته وهبطت سلطته وهذا المعال يفسر لنا معني قوله تعالي (قال فاهبط منها)

اي كنت مرشحا أن تكون من الملائكة لكنك تكبرت ورفضت أمر الله وترفعت عن مرتبه العبوديه التي أساس الرفعه للإنسان فقال تعالي بعدها (فما يكون لك أن تتكبر فيها)

فمرتبه الاعتزاز بالعبوديه التي هي أساس المكانه والمنزله تعني أن تخلع عنك الكبر وتخضع لأمر الله فيكون هواك موافقا لمراد الله

المفهوم الثاني

أراد الحق أن يقول لنا أن عليكم استقبال أمر الله بالتعظيم والاجلال وان العز في طاعه الله وان الذل في العصيان

وان أوامر الله (المنهج الرباني) هو لسعاده الإنسان ورفعته ولهذا فإن مخالفه المنهج تعني الفضيحه والهبوط والانتكاسه لمنزله الحيوان بل اضل فمن أراد أن يحافظ علي الشرف والمنزله والتكريم الذي اختص الله به اصل الانسان ادم فإن ذلك إنما يكون بطاعه الله وارتداء درع المنهج وان من خرج عن طاعه الله فقد خرج عن شرف الخلافه الذي كرم الله به الإنسان

المفهوم الثالث

عليك أن تدرك أن المتكبر لاينال ما أراد من الرفعه والعظمه ف الله يقول في موضع آخر (أن في صدورهم الا كبر ما هم بيلغه)

وان المتكبر يصرف ويحرم من الهدايه ورحمه الله لقوله تعالي (ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الأرض...الخ

وانه ينتهي به المطاف بالذل والهون (ذق انك انت العزيز الكريم) (أليس في جهنم معوي للمتكبرين) فهو تعالي (لايحب المستكبرين) ولهذا استعاذ موسي من الكبر والمتكبرين فقال تعالي (وقال موسي اني عدت بريي وربكم من كل متكبر لايومن بيوم الحساب)

يقول لك الحق أن الكبر والعز هما رداء الله وازره ومن نازع الله في ذلك اذله فهو تعالي اختبر الملائكه بادم الذي يجهلون أصله تميزا بالا اختبار لهم ونفيا للاستكبار عنهم وإبعاد للخيلاء عنهم وقد نجح الملائكه في الامتحان وسجدوا لادم لكن ابليس تكبر فاذله الله ففي ذلك عبره لكم بما حل به فكيف تتصورن النجاه من الهلاك اذا تكبرتم وقد شاهدتم ما حل بابليس نتيجه الكبر فقد أحبط عمله وضاع جهده وكان قد عبد الله سته الف سنة ففي كبر ساعه أضاع عمله فكيف تفكر انك تسلم اذا تكبرت وانت عمرك لايزيد عن خمسين سنه

المفهوم الرابع

ولما كان ذلك كذلك فإن من أهم اخلاق المومن التواضع ف الله يقول في موضع آخر (وعباد الرحمن الذين يمشون في الأرض هونا)

ويقول تعالي (وتلك الدار الاخره نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبه للمتقين)

ومن توضع لله رفعه ومن تكبر صغره الله ولهذا تأتي النصوص بقوله (فأخرج انك من الصاغرين)

فيها الطرد من رحمته لانه تكبر فقد تكبر طلبا للرفعه والمكانه فعامله الله من جنس عمله بطرده من رحمته وهو ذليل وحقير

فالذل والهون مقابل الاستكبار والتعصب والتفاخر بالنسب فكل من سلك طريق ابليس عليه أن يدرك أن هذا هو العقاب

القسم الثالث

تبدأ آيات هذا القسم باستدراك ابليس وطلبه الامهال من الموت فقال تعالي (قال انظرنني الي يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فيما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتيناهم من بين أيديهم و من خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين قال أخرج منها مذموما مدحورا لمن تبعل منهم لاملان جهنم منكم اجمعين)

بالوقوف علي مدلولات الآيات نجد الآتي

اولا

ابتدأت آيات هذا القسم باستدراك ابليس وطلبه الامهال من ربه بأن لايعجل له الموت وان ياخره عنه الي يوم القيامه فقال تعالي (قال انظرنني الي يوم يبعثون قال انك من المنظرين)

ولهذا سوف نتناول بالبحث والدراسه الأمور الآتيه

الأمر الأول

(هل كان السؤال من ابليس والجواب من الحق هنا حقيقه ام مجاز)

الداعي لمناقشه هذا الموضوع هو أن الكثيرون أشكل عليهم هذا الحوار الورد في النصوص لأن الله أجاب ابليس لما طلب من وجهه نظرم فذهبوا للقول إن السؤال هنا كان مجازي .

والحقيقه التي يجب أن تدركها اولاً من هذه الآيه أن السؤال من ابليس لم يكن صادراً عن ثقته منه بمنزلته عند الله أو أنه كان اهلاً أن يجاب له دعاء

ولكن سأل التأخير منه لأنه إدراك بعلمه أنه من أهل النار وان عمله قد أحبط وضاع جهده لانه نازع الله رداء الجبريه وخلع قناع التذلل فسأل تأخير عذابه كفعل الأيس من السلامه واستدراك الحوار بطلب الامهال من الموت باعتبارها امنيه تمنها وليس دعاء ولا ثقته بمنزلته عند الله

وان الله اجابه لما طلب لما اقتضت حكمته أن يعطي العباد بشر ابليس وإظهار قدره الله علي خلق المتضادات والمتقابلات فهو سبحانه وتعالى خلق ابليس الذي هو أخبث الذوات و رمز الشر والتمرد والعصيان وخلق جبريل الذي هو افضل الذوات ورمز الخير

ولأن كمال النفس تكون بمجاهده أعداءها الهوي والشيطان وبهذه المجاهد تظهر عبوديه العباد الصالحين وفي المقابل يظهر الأشرار الذين يتبعون الشيطان

وكذلك فإن الحوار يحصل به العبره لجميع المكلفين فيشاهدوا الاهانه والذل لمن يخرج عن أمر الله

يظهر للمومنين أن التكريم الذي حظوا به عليه مسووليه فهو ليس مبعثاً للغرور والانتشاء بل ينظر إليه أنه نعمه أودعه الله لك لتؤدي دورها بشكر الله فالتكريم طريق المسووليه وهو شرف الإنسان وان عدم القيام بالتكاليف وأداء المسووليه يعني فقدان الكرامه فهذا إبليس كان قد عبد الله ستة الف سنه فعندما لم ينفذ أمر الله وخلع قناع التذلل فقد منزلته ومكانته

كذلك فإن تكريم الإنسان مقرون بأداء وظيفته التي خلق لأجلها باستشعر حقيقه ان قيمتك وكرامتك تكمن في تكون عبدا لله فعزتك بعبوديه فاحذر أن تصاب بعبودي الشيطان

وبالتالي فإن الحوار الورد في القرآن هنا حقيقي لأن الأصل هو الحقيقه لما ورد فيه ولا يحمل اللفظ علي المجاز او علي التعميل الا بوجود قرينه داله عليه

فالقران ليس شفرات الغاز ورموز كما يحاول البعض تصويره فهذا التصوير فاسد لأن القرآن كتاب البيان الذي انزله الله كاشفا لهم ومبيناً فكيف يكون تبيناً لكل شي وهو عباره عن شبكه رموز والغاز يحتاج الي فك شفرته فلو كان الأمر مثل ما يذهب إليه من يقول بذلك فمعني هذا اننا نسوغ للناس التلاعب بالقران بدلالات الرموز التي لاقرينه لها في النص

الأمر الثاني

(هل اجابه الله لطلبه بالامهال الي يوم القيامه)

أن سوال ابليس الامهال الي يوم البعث امنيه لانه تمني الامهال من الموت الي يوم البعث وهو يعلم ان كل نفس ذائقة الموت

ولم تذكر الايه هنا هل انظره الي يوم يبعثون

ولكن ذكرت في سوره الحجر أن غايه الامهال هو يوم الوقت المعلوم قال تعالى (فإنك من المنظرين الي يوم الوقت المعلوم)

وسماه الوقت المعلوم لانه لايعلمه الا الله تعالى اي المعلوم عندنا وهو النفخه الاولى لقوله تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات الي قوله تعالى (ونفخ فيه أخري فإذا هم قيام ينظرون)

الأمر الثالث

(غرض ابليس من طلب الامهال)

يقول لك الحق أن تكريم الإنسان مرتبط بالمسؤوليه الملقاه علي عاتقك فأنت في معركه مع الشر الذي جسد صورته الشيطان وان للشر افكار وبرامج وخطط وأهداف ووسائل وأساليب فهو مشروع هدم الخير فعليك أن تفهم أن هذا المشروع يستهدف البشريه والتكريم الذي حظي به الإنسان

ولهذا فإن امنيه ابليس التي طلبها أن ياخر عنه الموت هو لأجل أن ينتقم من ادم وذريته من بعده

فابليس قد أعد الخطه واراد أن يضمن الارضيه التي ينطلق منها فقال (انظري الي يوم يبعثون)

فهذه الارضيه التي يريد الانطلاق منها في نشر الشر وصد الخير والانتقام من بني ادم يريد أن يضمن الارضيه التي تجعله متمكنا فيها ليزوال نشاطه القبيح فلا ينقطع نتيجه موته

وهذا فيه الاتي

المفهوم الاول

علي المومن أن يدرك أن للشر افكار وبرامج وخطط وأهداف ووسائل وأساليب فليأخذ حذره لأن اهداف تلك السياسات والبرامج و الخطط هو اضلال الإنسان والقضاء علي فاعليته وتجريده من إنسانيته التي كرمه الله بها فالعدو يريد أن يحدث ضعفا في القراءه والا ستنتاج وإحباط المواقف والمدركات واجتثاث الهمم والعزائم وجمودا في القرائح والاستعدادات

ولهذا فإن علي المومن الانتباه من ذلك

المفهوم الثاني

أن علي المومن أن يدرك أن الشيطان وعصبه العمل الشيطاني مستمره في محاربه الخير واستهداف انسانيه الإنسان التي فيها الفاعليه ا لاجبايه والتكريم ما اقترانت بالمنهج الرياني الذي يستر الإنسان وهم يقومون بتحديث الوسائل والأساليب وابتكارها علي الدوام ف الله قد منح ابليس الانظار حتي النفخه

الاولي

يقول الحق للإنسان انتبه من الانهيار الداخلي في معركتك مع الباطل أو الانسحاب من حركه العمل الايماني فأنت مكلف بمواجهه الشر وبرامجه ورفع الالم عن البشريه كلها من خلال الوعي والفهم لمسؤوليتك والحرص علي أن يكون ضمير الإنسان وسلوكه وحركاته كلها وفطرتك متطابقه مع منهج الله لأنه هو منهج الفطره التي خلق عليها الناس فإذا حصل ذلك حقق الإنسان ذاته وايجابيته فدوره يقتضي قوه البدن والاستقامة كما يقتضي رجاحه العقل وحرية الاختيار والله قد سهل له ذلك واعانه حتي لايجمع بين هم المسؤوليه ومعاكسه الحياه فاعانه يرسل الرسل الذين يحملون المنهج فأنت في معركه مع نفسك اولاً ومعركه مع الشيطان وأهل الشر

وعليك استشعار التحدي والمسؤوليه وأنه مهما كانت صعبه فإن الله يقف معك وبقدر صعوبتها تكون اعانه الله لك فلابد أن تنتصر

وتهزم اعدائك انتبه أن تفقد توازنك أو احترامك لذاتك

وهذا إنما يكون في حاله خروجك عن طاعه الله فانظر الي ابلّيس كيف أنه عندما ارتكب الجريمة وكان شعوره بالانهزام سال تأخير موته زياده في بلائه كفعل الاليس من السلامه

فالهزيمه تكون بارتكاب الجريمة ومخالفه منهج الله لأن ذلك فيه خروج عن الفطره ولهذا فالمومن لا يحقد لانه يري انه عبدا لله ويحمل رساله الحق ويومن أن الله هو الفعال وبالتالي لا يحقد علي أحد يومن أنه لا بد للمومن من كافر يقابله ومناقض يبغضه

ثانيا

تحذر النصوص من المشروع الابليسي وأدواته وخططه فقال تعالي (قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتيناهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين)

فإنه بالوقوف علي الآيات نجد الآتي

المفهوم الاول :-

عليك أن تدرك أن إبليس اختار بارداته أن يمهل الحق الي يوم القيامة وان هدفه من ذلك اغواء بني ادم كما قال تعالي في موضع آخر (قال اريتك هذا الذي كرمت عليا لمن اخرتني الي يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا)

وهنا قال (فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم)

فاستدراك ابليس بطلب الامهال من ربه لم يكن محاوله منه لاستدراك ما ارتكب من جريمه في حق نفسه فلم يكلف نفسه الخبيثه استدراك حاله ولم يحرك ساكناً ولم يقدم سببا أو مبررا لما ارتكب من معصيه وجريمه الاستعلاء علي أمر ربه والاستكبار علي خلقه بل إنه بعد اجابه الله لطلبه بالامهال تبجح وأساء الاداب مع الله حيث أضاف الغوايه الي الله تعالي

والاغواء ايقاع الغي في القلب والغي هو الاعتقاد الباطل فابليس كان يعلم أن الحق والباطل إنما يقع في القلب ولكنه يعتقد أن ذلك من الله وتلك هي حجه القدرية الفاسده وهذا قول باطل لأن العاقل لا يختار الغوايه مع العلم بكونها غوايه

وإبليس اختار بارداته الحره الغويه بدليل أنه أعلن عن مشروعه الذي من أجله طلب الامهال وهذا المشروع هو اضلال بني ادم وتياسهم من روح الله ورحمته فأقسم بالله أنه سوف يترصده للناس في كل طريق موصله لله فيغوثهم عن الهدايه واداله الهدايه ولذلك فقد كان من نتائج اختياره هو ومن تبعه العذاب كما قال تعالي في سورة الاسراء (قال بالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين)

وهذا فيه ابطال مزاعم وأوهام القدرية التي تنسب كفر الكافر الي الله وأنه مقدر عليه ذلك

المفهوم الثاني

عليك الإنتباه من تسلل الياس من روح الله الي قلبك فرحمه الله وسعت كل شئ فلا تفكر أن تبني مجدك علي انقراض الآخرين لأن هذا التفكير يعني أن تختل موزنيك وتنهار نفسك من داخلها و تفقد احترامك لذاتك وتحتقره فإن عليك أن تحافظ علي سمعتك الطيبه وان بناء مجدك يكون بالعمل الصالح والاتصال بالله ف الله يقول (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)

ولهذا تنقل لنا الايه قول ابليس (فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم.... الخ

فلم يطلب استدراك جريمته ولكنه قال قولته تلك المعبره عن الياس من روح الله ورحمته وهي مقوله كل مجرم معاند يصير علي جريمته يضيف اختياره الضلال للقدر ويهدف من ذلك تبرير قبائحه وإضافتها للقدر ومن نتائج اصابه المرء بالياس من روح الله أنك تري المنحرف يتمني أن يكون الناس كلهم منحرفون ولذلك يسعى الي إفساد الناس فمقصود ابليس هنا أنه سوف يعمل مجتهدا بكل ما يستطيع للاغواء الناس وصددهم عن الحق وإخراجهم من الهدى الي الضلال حتي يكونوا معه في الجحيم وهذا الفعل ناتج عن الحقد و

الحسد فهو يري أن مجده يكون علي انقاض الآخرين وهذه الصفه مذمومه فاحذر أن تفكر بمثل ذلك التفكير في تعاملك في الواقع العملي فنحن نشاهد مثلا أن فلان من الناس يكون يتم اختياره لاداره موسسه من بين زملائه وقد ينظر بعضهم أو أحدهم أن الاختيار لم يكن مناسباً لانه يري نفسه مؤهلاً أكثر من زميله فيدفعه هذه الشعور الي وضع العوائق في طريق المدير وصنائه المطبات لأجل اظهار فشل من تم تعيينه فإن هذا يعني أنك تفكر بنفس طريقه ابليس الذي لم يقبل تفضيل آدم وأعلن عن مشروعه لاضلال بني آدم وصدهم عن أداء مهمه الخلافه التي تعني السير علي الطريق المستقيم الذي يحقق الهدف والغاية من خلق الانسان وشرف الخلافه علي الارض

المفهوم الثالث

يقول لك الحق انك مسافر الي الله والدار الآخرة ولهذا فإن عليك الإنتباه فهناك قطاع طرق مترصدون لك وعلي رأسهم ابليس الذي يريد افشالك يريد أن تنحرف في طريقك لتصل إلي نار جهنم ولهذا فإن عليك أن تكون متيقظاً علي الدوام فالشيطان الذي هو عدوك في معركة الخير والشر يقول لك أنه مستعد وجالس قاعد في اي لحظه ينتظر أن تغفل كي ينقض عليك ويجعلك تنحرف عن الطريق الموصل الي الله و الجنة فقال تعالي (لاقعدن لهم صراطك المستقيم)

فاستعمل كلمه (لاقعدن) بين الوقوف والاضطجاع لأن الوقوف يعني أن المرء اذا استمر واقفا لفترة طويله فإنه يتعب لانه يحمل كل جسده وإذا جلس حمل نصف وزنه واذا اضطجاع ارتاح من حمل وزنه وهذا أكثر الحالات راحه واصعبها الوقوف والتي تعني العمل والاضطجاع تعني التوقف والسكون أما القعود فهو الاستعداد كناية عن الحرب لقلوبه تعالي (واقعدوا لهم كل مرصد) فالمعركة تتطلب الاجتهاد وهذا ما أعلنه ابليس أنه سوف يجتهد في اغواء بني آدم يقول إنه لن يرتاح باله وسيظل منشغل به حتي يحصل له إتمام مقصوده وهو اغواء أكثر عدد ممكن من ذريه بني آدم

المبحث الثاني

لماذا خص بالذكر قعود ابليس علي الصراط المستقيم (لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتيناهم من بين أيديهم و من خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولاتجد أكثرهم شاكرين)

الامر الأول

يقول لنا الحق أن البشريه كلها هدف تاريخي للشيطان رجالا ونساء منذ لحظه استخلاف آدم فالإنسان فهو يترصده لك من لحظه ولادتك قال تعالي (لاقعدن لهم صراطك المستقيم)

وسوف يبقى هذا الصراع بين الإنسان والشيطان مادامت الأرض مادام هنالك كفر وإيمان نور وظلام فهو حريص علي اغواء البشريه كل الحرص أنه عدو يترصده باحثاً عن مداخل ينفذ الي قلبك فاذا لم تحرس حصنك فإنك تكون عرضه للهلاك ولهذا فإنه لايقدر علي الحراسه الا من يدري المنافذ التي ينفذ منها الشيطان ليقوم بحمايه قلبه من وسوس الشيطان ولما كان الشيطان وسلاحه خفي فإن الإنسان بحاجة الي معرفه الشيطان ومداخله ليتمكن من دفعه ولهذا نجد أن القرآن يركز علي بيان حقيقه الشيطان فذكر القرآن الكريم ابليس بصفته الخاصه عشر مرات وبصفته العموميه الشيطان ثمانين مره وترسم لنا صورته عنه أنه محترف في الاغواء وأنه يجتم علي القلب ويحيط بالإنسان من كل جهه فلا وسيله لصدّه الا بالعبوديه لله واتباع منهج الله

وهدف ابليس تكثير اعداد أنصاره وأعوانه واتباعه وجنوده ولهذا فاللازم علي كل مسلم أن يحذر كل من يدعوه الي المعصيه متعمدا فهذا الداعي من اتباع ابليس أنه من شياطين الانس ومن يزين لك الباطل يكون من الشياطين احذر أن تتخدد بهم ولا تغتر بتزنيهم الباطل فقد أخبر الله الناس أن الشيطان عدو واللازم أن يتخذوه المومن عدوا فهو قد اقسام ب الله وسلطانه وقهره أنه سوف يغوي الإنسان فقال تعالي (فيما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم)

والفاء هنا (فيما اغويتني) لترتيب العله من الأنتظار بمعنى أنه سوف يزين الباطل ويجعله مقبولاً للنفس ويخدع العقول باستحسانه

الامر الثاني

التحذير للمومنين هنا من إصابتهم بداء الشيطان فهو مصاب بداء خطير ينتقل بالعدوي والمخالطه كما يعدي الاجرب السليم فهو يقف

في طريقكم يستعين ببعضكم علي بعض من خلال العصبية والكبر يستغل انكم متفاوتون في المواهب والقدرات والخصائص ابتلاء من الله ولأجل أن يحصل التكامل في الحياه كما قال تعالي (وهو الذي جعلكم خلائف في الأرض....الخ

فالكبر يعني بطرا الحق وغمط الناس اي كراهيه الحق والنفور منه .. واحتقار الناس ولهذا فإن سياده ابليس علي كل المضلين تحقق من خلال مبدأ الاحتناك التفريق والتحريش بين الناس فهو يسعى من خلال هذا المبدأ لاضلال المومنين ويصل الي هدفه في المسلمين باختلافهم كما وصل إلي استعباد الكفار والمشركين بكفرهم لماذا ؟

لأن الذي يقود الي احتدام الاختلاف هو الفخر الذي يولد التعصب لما هو فيه المقرون بالاعجاب والاعتزاز بما لدي صاحبه فالله يقول في موضع آخر (كل حزب بما لديهم فرحون)

وبذلك تفرغ المبادئ والقيم والفضائل من جوهرها فعندما يشع الفخر يصبح الإنسان وعاء واسعا فارغا لاشي يملوه

فابليس اقسام بأن يقعد للخلق علي الصراط المستقيم ليزين لهم الكبر والغرور والعناد فسלعه ابليس هو ما قل مثقاله وقده وزنه لأن ذره كبر واحده كفيله أن تدخل صاحبها النار

فمشكله البشريه اليوم مصدرها بطر الحق وغمط الناس فمن خلال هذا المبدأ تحققت لإبليس سيادته علي الكفار والملحدين وأهل الكتاب بدون تعب عندما خالفوا دعوه الانبياء لهم للقبول بالحق والاعتراف بفضل امه الاسلام التي اصطفاهها الله لحمل امانه الخلفه في مرحله الرشد الإنساني وعندما حرفوا الكتب السماوية وبقي أمامه المومنين ولهذا فإن اهتمامه وتركيزه ينصب باغواء المومنين واضلالهم ولهذا نشاهد هذا الاختلاف والتفرقه بين طوائف ومذاهب والشعوب المسلمه المعتمد من قبل عصبه العمل الشيطاني الذي استطعت من خلال مبدأ بطر الحق وغمط الناس أن تحقق للشيطان في الحياه الانسانيه الاحتناك والعودة علي الصراط المستقيم

فبالفخر لابد أن يتصارع الجميع افردا وجماعات ودول وتضيع الحقوق والواجبات وان هذا يتم من خلال الآتي

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

(إدراك قيمه التواضع)

عليك أن تدرك أن التواضع هو الوسيله واداه تحصين النفس من خطه الشيطان فالتواضع تعني أداء حق الله وأداء حق الناس تعني الانضمام في الصف واحترام الهيكل التنظيمي الذي يدير المجتمع ويمنع التنافس الذي يقسم الكيان الي شيع متناحره فاجواء التحاسد تجعل الكيان رخو وهش لا يستطيع الصمود أمام الأزمات بالفخر يعني أن تتداعي القلوب الي أهواء الباطل والميل للدنيا وعندها تعم الفوضى والصراع بين الأفراد والجماعات والدول وتضيع الحقوق والواجبات ويعم الفوضى والعشوائية ويكون تغليب المصلحه الحاليه علي المصلحه ذات الأثر الممتد لانه لايقبل الحق مهما كان ولاتعترف بالتخطيط

فتفاوت الناس هو لأجل أن توجد اداره رشيده تنظم أحوال الناس ولهذا لابد أن تتواضع فهو الوسيله الوحيده التي فيها الخلاص للبشريه وهو ما إدراكه الشيطان ولهذا اقسام أن يتأمر علي البشريه من الجهات الأربع من أمامهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائهم كي يصيبهم بعدوي مرضه وداءه الكبر وقال بعدها (ولا تجد أكثرهم شاكرين)

فهو يريد يزرع بينهم الحقد والحسد بما يجعل قلوبهم تشتعل بالبغضاء وعقولهم بالعصبية والفخر ليعشوا بغوايت غير ثوابت الاسلام ليعيشوا علي مبادئ فارغه من جوهرها فنحن نشاهد اليوم الكثيرون ممن يدعوا الاسلام يتفاخرون بالانساب ويقسمون المجتمع المسلم الي طبقات يتكبرون علي الناس رغم أنهم يحافظون علي الشعائر الدينيه وحريصون عليها ؟

ليس نظره هولاء للناس نظره احتقار...أليس هذا السلوك من مظاهر الكبر الذي أخرج ابليس من الجنه

كما أننا نشاهد الكثير من أهل العلم وممن يدعي حمل امانه العلم والدعوه لأهم له إلا شتم وسب العالمين في حقل الدعوه ونجد أن أغلبهم انشغل بصناعه الأزمات والفتن يدرسون التاريخ لأجل الاحتناك والفتن بين المسلمين يغيرون أحقاد لصراع بين المسلمين قد اندثر منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام وليس لأجل أخذ العبر واكتشاف السنن التي حكمتها حتي لايلدغ المرء من جحر مرتين بل لأجل

صناعه افخاخ تعصف بوحده الامه يستمر في جهده لأجل أن يجعل المسلمين يتورثوا الأحقاد والعدواه ويبدلون جهودا جباره ويصنعون كتب والمولفات التي توسس لامتعاد الضغائن بين المسلمين فلو انهم سخروا تلك الجهود في فهم الأحداث والاستفادة منها في تحسين العقول والافهام والقلوب من اختراق الشيطان الذي قد أعلن أن هدفه هم المومنون لكان لذلك سلاح نهاجم به الشيطان

المفهوم الثاني

(من وسائل الشيطان)

عليك أن تدرك أن الشيطان يريد الهاء الناس عن معرفه منافخ الكبر وقبائحه و صرفهم عن إدراك قيمه التواضع الذي هو وسيله النجاه من خطه الشيطان ولهذا فإنه لابد أن نتواضع وهذا يعني معرفه ماهو التواضع لأن الكثيرون قد اختلط عليهم معني التواضع حيث أن الكثيرون اليوم من دعاه الفكر الإسلامي وعلماء المذاهب صاروا اداه لخدمه المشروع الشيطاني من خلال الدخول للنفس من احب الا بواب إليها بالتعصب ورفض القبول بالآخر والعناد والمكابره واحتقار ما لدي الآخرين في مسائل فرعيه من مسائل الدين عندما كان خلط العلوم بنتائج مفرزات الطباع فكان تغليب الطبع علي الشرع حيث تحولت هذه المفرزات الي منزله التقديس للذوات والأشخاص وا لاراء بما يفوق تقديس كلام الله وشريعته واعتقاد منحرف أن ذلك هو مراد الله والغايه من ارسال الرسول صلى الله عليه وسلم بنظرهم وهو ما شكل ماده احتدام الاختلاف والصراع وانصرفت جهودهم الي استدعاء أزمات تاريخيه وايقاض فتنه نائمه واشتعلت الحروب وسالت الدماء بين المسلمين واشتعلت نيران العصبية والحميه في النفوس تحت نشوه الانتقام لمقتل ائمه ال البيت الذين لاتنكر علي أنهم قتلوا ظلما وهو أمر تتمني النفس الانتقام من القتل لكن أين هم هولاء القتله في هذا الزمان هل المسلمون الذين تهدر دماءهم في العراق وسوريا هم من قتلوا الحسين رضي الله عنه

ثم إن المسلمون بحاجة الي اللحمه والوحده لمواجهه عدوهم بدل أن يتقاتلوا فيما بينهم أن الأصل أن تكون دراسه التاريخ فيما مضي لا جل تجاوز الصراعات التي مزقت المسلمين لا استدعاء الأزمات والمصائب والفتن لتمزيق الكيان الذي هو في أضعف أحواله فإن هذا يعود إلي تزين الشيطان للباطل وهو يدخل للنفوس من تحب الابواب إليها وهذا ما يفسر لنا حال الكثيرون الذين لا يستطيعون الحياه ا لا في مناخ ملئ بالازمات والفتن والمجاعات معلهم مثل الاحتكاريون من تجار السلع الذين يتاجرون باقوات الناس واختلاق الأزمات فهذا يعود الي أنهم ينظرون أن مكانتهم وصعودهم تكون بصناعه الأزمات والفتن فدعوه ابليس الافتخار بالنسب والسلاله والكبر هو سلعته وكذلك فإن هولاء بضاعتهم هي الكبر والغرور وهذا يعني عدم القبول بالحق واحتقار الناس وبناء مجدهم علي حساب حقوق الآخرين

ولهذا فإن المومن بحاجة الي تحصين عقله وقلبه من اختراق الشيطان ومن أراد ذلك فعليه الإلتباه من خطوات الشيطان

فعليكم أن تطفئوا ما في قلوبكم من نيران العصبية واحقاد الجاهليه وإنما تلك الحميه تكون في المسلم من خطرات الشيطان ونشوته ب التعاضم والتفاخر فانتبه من أن تبني مجدك علي حساب حقوق الآخرين

المفهوم الثالث

أن المسلم اليوم بحاجة أن يعرف ماهو التواضع الذي عرفنا أنه الوسيله الوحيدة التي تشكل حصنا حاجزا مانعا تمنع اختراق الشيطان مركز القرار في الامه

خاصه وان الحق قد أخبرنا أن الشيطان يحاول توجيه الناس لمسار اجباري يتجه بهم بعيدا عن الطريق الموصل الي الله والجنه يبعدهم عن الطريق المستقيم

حيث أن الشيطان يعرف أنه لاخلاص للامه الا بالتواضع فقد تعمد الهاء الناس و صرفهم عن معني التواضع من خلال التشويش وتلبيس الأمور فمن حيل الشيطان (تسميه المعاصي بأسماء محبيه وتسميه الطاعات بأسماء منفره)

ف نجد أن هنالك خلط بين مفهوم التواضع والبساطه والخنوع والضعف في الأداء والرثه في الهيئه فقد عمدت عصبه العمل الشيطاني الي تصوير هيئه المتواضع بأنه ذاك الشخص الذي يلبس الثياب القدره لنقل صورته مغلوطة فالتواضع ليس صورته القدره ولا يمكن أن يكون المتواضع بذلك القبح

وكذلك كرس الشيطان ثقافته في المجتمعات أن المتواضع هو ذلك الشخص الذي لا يتعقن إنجاز العمل فصار يقال لكل مقصر في أداء عمله وعاجز عن إتقانه بأنه متواضع وكل مخبول متواضع وكذلك فإن الساذج يطلق عليه متواضع فالشيطان تعمد التشويش وتلبيس المعاني لصرف الناس عن مفهوم التواضع لأنه يقود الناس الي عذاب السعير ووسيلته في ذلك جذب الناس الي الكبر وصدهم عن الحق

فالتواضع قاعده ترتكز عليها جميع الفضائل لانها تعني القبول بالحق مهما كان واين ما كان وعدم احتقار الناس

ولهذا فإن جميع الفضائل من الصدق والأمانة والشجاعه والكرم كلها تستمد قيمتها منها لأنه لاتنفع الشجاعه وانت لاتذعن للحق ولا تعترف بما ارتكبت من أخطاء فالتواضع يعني تمرين عقولنا علي الاعتراف بالاخفاق بعيدا عن المكابره والمعانده بغير الحق تعني الاعتراف بالمسؤولية بعدم إلقاء التبعيه علي الآخرين فالتواضع يعني القبول بالحق وعدم الهروب من تبعيئه الأخطاء ولهذا أخبرنا الله أن ابليس قال (فبما اغويتني)

فهذه هي مقوله كل مجرم متكبر لا يومن بيوم الحساب يحاول إلقاء التبعيه علي ما ارتكب من أخطاء علي الآخرين فإذا لم يجد حيله للقي بالتبعيه علي القدر وكأنه يستقصده دون غيره

والحياه ملئيه بالامثله لهذا الداء الناتج عن الكبر والعناد حتي أنه صار أشبه بظاهره اجتماعيه انتشرت فيها العدوي فلم تقتصر علي الأفراد بل صار ذلك سلوك الجماعات والأحزاب والطوائف والمذاهب فتجد أنهم يجهدون أنفسهم في إلقاء تبعيئه فشلهم علي الآخرين فيما يناط بهم من مهام

تجد أنهم يسعون جاهدين الي اقتناص أخطاء الغير فلو أنهم بذلوا جهدهم هذا في دراسه ادائهم ومعرفه اخطاءهم لاستطاعوا الارتقاء بآداءهم الي اعلي المستويات لكنه الاستكبار والتمترس وراء القاب وعناوين زائفه فتلك الألقاب تحولت مهمما الي توبيخ أصحابها وصبغت حياتهم بنوع من البهتان وارتكاب المحذور والمساهمة في خلق الأزمات بدل حلها فهم أصبحوا جزء من المشكله

ولهذا فإنه للمساهمه في معاوده الامه لدورها في حمل الخير والرحمة للانسانيه أن تعرف أن ذلك لن يتحقق إلا بالعمل العلمي المتخصص القاصد الهداف وامتلاك ادوات الحقيقه التي تمكنك من اكتشاف الخلل والعمل علي معالجته من خلال خطه متكامله بكفنيه إصلاحها وقبل ذلك ترويض النفس علي الاعتراف بالحق والقبول به فالتواضع يعني اتقان العمل تعني العباده المطلوبه في قوله تعالي (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

وهي تعني الاسلام نفسه الاسلام لله والإقرار بأن لاحول ولا قوة فكلمه لا اله الا الله تعني اخراج كل الأصنام من النفس فهي اعلان المساواه أمام الخالق سبحانه وتعالى فجميع البشر عبيد لله تعالي وقد استخدم الحق كلمه اسلام للتعبير عنها لأنها احسن منها وأفصح وقادره علي اثاره الاحساس والمشاعر لأن كلمه تواضع من الاففعال في حين أن تواضع الإنسان في الحقيقه ليس اففعالاً ولا تنازلاً بل إقرار إرغام ولهذا استخدام كلمه اسلام كونها افضل من كلمه تواضع

ولهذا فإن المراد منها ليس مجرد فضيله من الفضائل بل هي القاعده التي تحقق اصل العقيد (التوحيد) لأن الكبر يعني خروج العبد عن التوحيد ولهذا يقول الله تعالي مخاطباً ابليس (أن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفي بربك وكيلاً)

لماذا لأن المتواضع يجد حمايه من الله ويكون له النجاه ولا توتر فيه خطه الشيطان التي أحاطت به من الجهات الأربع لأن عناية الله ترعاه ولهذا لم يقل (من تحتهم ولا من فوقهم)

لبيان ان العبد في هذا الحاله ليس وسيله للنجاه الا من جهتين اعلي وأسفل لأنه من تواضع لله رفعه لهذا لا يملك الشيطان أن يأتي للعبد من أعلي ولهذا فإن المتقي اذا مسه طائف من الشيطان ذكر الله فإذا هو مبصر وكذلك لا يستطيع احد أن يأتيه من تحته لأن ذلك هو موضع السجود

وابليس كان متكبراً ولم ينظر إلي مصدر الأمر وكله لم يسجد ولذلك هلك ولهذا فإن النجاه تكون بالتواضع والسجود فهذه هي وسيله الفرار من خطر الشيطان بأن تفر الي الله ف الله يقول (وكفي بربك وكيلاً) فهو تعالي متعهد بحمايه عباد

(الوقايه خير من العلاج)

أن الحديث عن المومره الكبرى التي تحيط بالإنسان من كل الجهات الأربع والذي اعلنه ابليس بالقسم ساعه تحدي أمر السجود فقال تعالي (ثم لا تيناهم من بين أيديهم و من خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين)

يقول لك الحق لقد خلقك الله متفردا علي سائر المخلوقات وأكرمك بالخلافة وتسخير كل الكون لخدمتك وهو تعالي لم يتحرك تتخبط فأنزل العلم الذي يدلك علي الطريق ولما كان الصراع بين الحق والباطل مستمر مادامت الأرض وأن الشيطان وأعوانه حريصون علي اغواء البشريه وهو عدوا متربص بك يبحث عن أي منفذ ليبت سموه فيك ويستعبدك وهذه المومره منها ما هو ظاهر وهو الصادر من شياطين الانس ومنها ما هو خفي وهو الصادر من ابليس وذريته من الجن وبالتالي فإن ذلك يتطلب العلم بمدخل الشيطان حتي تقوم بسد المنافذ وإغلاق ابواب الشيطان ولهذا تشير الآيات الي أن الانسان بحاجة الي الضوابط الشرعية وربط ذلك بالمسؤولية عن التكريم لتكن يقظا تحسن استخدام وسائل الضبط فالشيطان يدخل من جهتين الشهوات والشبهات فهذه المداخل التي اذا انطلقت البشريه من خلالها فإنها تكون عرضه لاختراق الشيطان الذي يوججها باغرائه واغواءه ليكسر حاجز الوقايه نحو تجربته اللذه المحرمه ولتحدث الكوراث

فهو يأتي للعبد من خلال خطوات متدرجه فيحاول أن يدخل الشك في قلب المومن لانه لو حصل له ذلك فمعني هذا فقد المومن إيمانه فالشك مقرونا بالكفر واليقين مقرونا بالإيمان

ولهذا يركز القرآن علي تكرار الحديث عن خطر هذا العدو حتي يحذر الناس من شره ولهذا يكشف لنا الحق خططه فقال تعالي

(ثم لا تيناهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن إيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين)

فأراد بهذا بيان الآتي

المساله الاولى

بيان أنه لا يهجم دفعه واحده ليخرجهم من الايمان الي الكفر فهو له سياسات وخطط ينظر إلي الشخص أين تكمن نقاط الضعف لديه ثم يحاول أن ينفذ من خلالها

فإذا وجد من العبد قوه في العقيدة اتاه من ذلك يعززين التشدد حتي يحصل الإفراط فإذا حصل ذلك استدرجه الي الغلو والبدع و العصبية واحتقار شأن الآخريين

واحيانا يدخل من الرخص واحيانا يدخل من منفذ التزايد بالمباحات ويستمر في ذلك حتي يحصل التهاون

المساله الثانيه

انه يسوق المبررات التي تقتل الاحساس فلا يشعر بالذنب بحيث لا يلوم المخطئ نفسه فلا يتوب وذلك بنزين لهم أعمالهم بعد ارتكابها ف لا يشعرون بالمعصيه قال تعالي (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون)

ولهذا تجد المستبدين والطفاه ينظرون إلي سفك الدماء واستبدا د الناس ونهب الاموال أنها اعمال فيها خدمه الشعوب تجد من شياطين الإنس من يكتب المجلدات ليسوق للاجرام علي أنه عمل نافع للامه والصحف والمجلات والقنوات تتباهي بالجرائم علي انها لصالح الامه

المساله الثالثه

تبين النصوص أن العلم وحده لا ينفذ في المعركه مع الباطل مالم يمكك الله بالعون والتوفيق فالشيطان يسعي للسيطره علي مركز القرار العلماء والحكام ليكونوا اداة خدمه المشروع الابليسي من داخل كيان البشريه وهو ما يتطلب الحذر وأخذ الحيطة من خلال احسان

تنزيل العلوم علي الواقع ودوام الاتصال بالله وطلب معونه الله وان لاتغفل فالشيطان كما تصوره الآيات في موضع آخر يطوف حول ا لإنسان طواف الناظر يمكن فيل دخوله حتي إذا أصاب منه موطن غفله وأعراض اصابه فأطلق سهامه وحصل الاختراق وأنه لاوقايه من ذلك إلا بالتقوى وعدم الغفله فقال تعالي (والذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون)

المسالة الرابعه

أن الشيطان لايتترك طريق فيه الغوايه للإنسان الا سلكه ولايتترك وسيله الا استخدمها فهذا الخبيث يسلك كل طريق يتمكن من خلاله أن ينفذ الي قلب الإنسان وعقله ليسقط الوعي والفهم عن الإنسان ولأن الخبيث علم أن نقطه الضعف لدي الإنسان هو الغفله التي تغلب علي كثير منهم كان جازما في بذل مجهوده علي اغوائهم طمعا بمن صدق عليهم ظنه فقال (ولاتجد أكثرهم شاكرين) وقوله هذا صادر بحق من صدق ظنه فيهم لقوله تعالي (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين)

المسالة الخامسه

أن عصبه العمل الشيطاني تقوم بتطوير وسائلها وأساليبها من خلال التحديث والتجديد للبدائل السلبيه التي فيها تزين الشهوات و الشبهات للعقول لصرها عن عبادته الله والاضطلاع بحمل رايه الهدايه فنحن نشاهد اليوم المسلمون يصلون ويصومون لكنهم يعيشون وفق قيم ومبادئ غير مبادئ وقيم الاسلام نتيجة التأثير بالافكار الغربيه وحضارتها الماديه التي سلبت عقول الكيرون ومن هنا تكمن اهميه مبدأ الوقايه خير من العلاج لمواجهه وسائل وأساليب الشيطان وأعوانه بعيدا عن الإفراط والتفريط

الأمر الرابع

أن حمل مشروع الخير والرحمة للبشرية يتطلب منك أن تكون صاحب خبره ومهاره تقدر علي مواجهه التحديات قادر علي تدبير معرفه الوحي لانك تواجهه عدوا محترفا وله خبره مديده وطويله في صناعه الفتن والاغواء والاضلال فلو أن انسان عمل عملا لمدته ثلاثين سنة فإنه لاشك يكون محترفا وخبير بمداخل هذا العمل وأسراره وطرقه فكيف الحال والشيطان الرجيم لاشغل ولاعمل له منذ أن خلق الله آدم حتي يومنا هذا الا اغواء البشريه واضلاله

فعليك أن تدرك أنك أمام عدو محترفا في مجال الاغواء وصناعه الأزمات والفتن وهو يطور نفسه علي الدوام ولهذا فأنت بحاجة الي مواجهه هذا العدو بخبره وقدره ومهاره ولهذا فإن القران يخاطب المومنين ويقتص عليهم أحوال الامم السابقه لأجل أن تكون تلك القصص اداه تزويدهم بالمهارات والمعارف والخبرات ولهذا فإن قراءه المسلم للتاريخ هو لأجل تسليح المومن بالتجارب التي تتطلب منك وان تقرا أحوال المومنين والكفار المشاركه الشعوريه بحيث تنظر إلي المومنين وظروفهم وأحوالهم والأسباب التي أدت إلى نجاتهم نظره حب وإجلال وتعظيم وتقدير فتشاهد رويتهم كأنهم امامك وهذا يجعلك تكسب خبره ومهاره كأنك عشت التجريه وبالمقابل تنظر إلي الكفار وأفعالهم وأحوالهم وظروفهم نظره نفور فتشاهد هم بالبغض والكراهية فتحذر أن تقع فيما وقعوا فيه

وكذلك يخبرك الله أن خصمك ضعيف فهو يستمد قوته من ضعف الإنسان اي أن قوته ليست ذاتيه وانما تستند الي ضعف الخصم وتراخيه واستسلامه ولهذا نجد الآيات تركز علي التحذير من وسائل الشيطان وأساليبه في الغوايه لتقويه النفس البشريه فطالما انت تستعلي بالحق فإن الشيطان يقف عاجزا أمام هذا الاستعلاء

المبحث الثالث

(قال اخراج منها مذموما مدحورا لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين)

لما كان اختيار ابليس للغوايه بارداته تأتي النصوص مبينه أن المسؤوليه فرديه عن فعله هو ومن اتبعه في نار جهنم بعد طرده وإبعاده فقد كان خروجه خروج صغار واحتقار لاخروج الكرام بل مذموم واتباعها بقوله (مدحورا) اي المقصي والمبعد المطرود فهذه نهايه الشيطان ومن يتبعه في ما أمره فليحذر العاقل من متابعه الشيطان وليجتهد في طاعه الله وعبادته حتي لايدخل في النار

وكذلك علي المومن أن يحافظ علي سمعته الطبيه فالمومن هو المحترم الذي يحافظ علي احترامه بطاعته لله تعالي

القسم الثالث

بعد أن بينت آيات القسم السابق دور إبليس في الأرض أنه مؤسس مدرسه الشر وأنه اختار بارداته الحره الغويه واضلال الناس ولذلك انتهت الي مبدأ التبعية الفرديه اي مسؤوليته عن فعله هو ومن اتبعه من بني ادم في إطار شرح وإيضاح دور ادم الخليفه رمز الخير ومعركته مع الشر وقائدها إبليس فالحوار يرسم قواعد الصراع بين الحق والباطل وأدواته وسلاح وجنود كل طرف في هذه المعركة في مقام امتنان الله علي الإنسان وعدله في حكمه وحسابه وعقابه ولهذا نجد أنه جاء بالعطف علي ذلك بقوله (و يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلما من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبيدي لهما ماوعري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلها بما يغري فلما ذاقا الشجرة بدأت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ونادهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما أن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الي حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون)

اولا

ابتدأت الايه بالعطف بالواو(ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة فكلما من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)

بعد أن بينت النصوص قبلها دور إبليس في الأرض التي خلق لأجلها ادم ليكون خليفه فيها وفصلت الآيات إن هنالك معركة سوف تحصل علي الأرض بين الشر وقائد هذا المعسكر إبليس اللعين الذي يسعى للافساد في الأرض وإخراجها عن صلاحها ومنع معسكر الخير من تنميه جوانب الخير وإصلاح ما أفسدته مدرسه الشر وهذه المعركة سوف تستمر الي يوم القيامة وبينت أنه سوف ينتقم موقف المكلفين من هذه المعركة إلي قسمين منهم من يتبع إبليس (من بني ادم ومن ذريته) فهؤلاء ينتسبون الي الشيطان ومدرسه الشر فالأهل والنسب يقوم علي العمل

وقسم هم المومنون الذين يطيعون الله فهؤلاء ينتسبون الي مدرسه الخير واختتمت الايه بذكر أن الإنسان مسؤول عن حريه اختياره للطريق بعد بيان سلاح الشيطان وأساليبه في غوايه بني آدم واضلالهم في إطار شرح وإيضاح امتنان الله علي الإنسان بالتسخير للكون خلقه بالهيئة التي تجعله قادرا علي القيام بدوره والاضطلاع بحمل امانه الخلافة لبيان عدله في حسابه وميزانه الحق التي يزن به الأعمال بأنه تعالي قد يسير لك أمر الخلافة فلم يجعل الحياه تقف معاكسه لك وكذلك أرسل الرسل الذين أوحوا لك طبيعه عدوك وخطته وأساليبه وجنوده وأنصاره وكيف يكون حمايه النفس من مخاطر سلاح العدو وهنا عطف علي ذلك بقوله (ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة) وهذا ما يفهم منه الآتي

الأمر الأول

أن الجنة المذكور ه في الايه ليست كما يتصور البعض أنها جنة الخلد لأن المعلوم أن آدم مخلوق ليكون خليفه في الأرض فوجود الإنسان علي الأرض مخطط له ومقصود لقوله تعالي (إذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفه)

والجنة لفظ يطلق علي المكان الملتف الأشجار الكثيف الذي يستر الإنسان بداخله كما قال تعالي (لقد كان لسبا في مسكنهم ايه جنتان) وقال تعالي (ايود أحدكم أن تكون له جنة)

ولهذا فمن المعيب أن يقول البعض اننا كنا بالجنة فبسبب خطيئه ادم أخرجنا منها

إذ كيف لإبليس أن يدخل الجنة وقد طرد منها لو قلنا بذلك ونحن قد علمنا أنه تعالي قال قبلها (فأخرج منها مذموما مدحورا لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين)

فلا يصح أن تكون معطوفه علي كلمه (فاخرج) وانما الجملة معطوفه علي التمكين للإنسان ومراحل تسليمه الخلافة وما سبق ذلك من إعداد الإنسان الأول وتجهزه ليكون قادرا علي الاضطلاع بمهمته فاراد بهذا أن تفهم أنه تعالي لم يجعل ادم يباشر مهمه الخلافة الا بعد أن أوضح له طبيعه العدو وأساليبه ووسائله ونظرتة الي الإنسان بأنها نظره الحقد والكراهية والعدواه وسعي كي ينحرف الإنسان كما هو انحرف هو وأوضح له العقبات التي تعترض أداءه مهمته فاطلعه علي عدواه وأمره أن يتخذة عدو وبصره بمدخله وأخبره بمومراه الشيطان التي سوف تحيط بعالمه من الجهات الأربع فهو مستهدف وان هذا يتطلب اخذ الحيطة والحذر قبل أن تخطوا اي خطوه في الحياه تنظر إلي أن تتجه خطوتك قبل أن تضع قدمك هل تسير الي الله والدار الآخرة أما انك تسير في طريق الغوايه فمن أخطى في أول خطوه كانت كافة الخطوات تابعه للشيطان اذا لم يتدرك نفسه ولهذا فإن فاللازم عليك أن تنظر اين تضع قدمك وان تحاسب علي موقع خطواتك المتلاحقة وانت تنطلق في الحياه عليك أن تحذر مصيده الشياطين فهدفك اصلاح الأرض فأنت بحاجة إلي اختيار الوسائل والأساليب في هذه المعركة ولهذا كان لا بد من وضع حواجز وضوابط لأجل ضبط الحركة فالإنسان أما أن يتحرك أو يتوقف

وحركته أما أن تكون ايجابيه أو سلبيه ولهذا فهو بحاجة الي ضوابط تضبط الحركه وبحاجه الي مهاره وخبره تجعله يحسن الضبط و الربط بين الاحساس بالمسؤولية من جهه ورسم التفاول والامل من جهه يحتاج الي مكايح تمنع السقوط والانحراف اثنا الانطلاق ف الشيطان يسعى الي كسر هذه الحواجز التي تشكل مانع من تسلل العدو الي كيان ولما كان العدو قد أوضح أساليبه وان المومره تنصب نحو تهيج الغرائز الانسانيه لتنتقل البشريه بغرائزها ورغباتها نحو إعصار الشهوات والملذات مستجيبه لداعي الجسد والشهوات التي يوججها الشيطان باغرائه واغوائه ليكسر حاجز الوقايه وليغرق الناس ويجعلهم يحدرون في الضلال ولهذا كان لابد من اعداد وتربيه وتمرين ادم وزوجته علي القيام بالخلافة والتدريب والتسليك علي تجرع الصبر واهميه الالتزام بالضوابط والاحساس بالمسؤولية ولهذا جاء العطف علي ماسبق أنه بعد أن أخبر ادم بعدواه وأساليبه في المعركه كما قال تعالي في سوره طه (أن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدو)

الأمر الثاني

تبين الايه اهميه التجارب بالنسبه للانسان فالله سبحانه وتعالى خلق الانسان ليكون خليفه في الأرض للاختبار يمتحنه الله من خلال المنهج افعال ولا تفعل وأخبره تعالي بعدواه ابليس الذي مهمته أن يوسوس للإنسان ليحرف عن الطريق وقد أخبرنا الله أن ابليس محترف في هذا المجال ولديه خبره طويله تمتد من لحظه ولاده ادم الي أن ينشئ الله النشاه الاخره وأخبر الله أن الوقايه من ذلك بالاعتصام بكتاب الله تعالي فاخبرنا الله أنه تعالي قد زود الإنسان بهذه التجربه العمليه التي خاضها ادم وحواء مع عدوهم الشيطان حيث أخبر الله آدم أن كل المأكولات في الجنه مباح له وزوجته الا شجره منعه من الاكل منها واتبع ذلك بالتحذير منها بأنه إذا أكل منها فإنهما قد ارتكبا ذنبا وظلما لنفسيهما فالضوابط التي هي حدود وهامش الامان اذا اقتربت منها فإنك تكون عرضة للهلاك ففي هذا الموقف الذي كان يتأرجح فيه ادم بين الاقدام والأحجام اغرائه الشيطان فاكلا منها وبدأت لهما عورتها وانكشف لادم وحواء خبت الشيطان وبذلك اكتمل بها وجود الإنسان وأصبح اهلا للتكليف فالله تعالي يقول (انا عرضنا الامانه علي السموات والأرض والجبال فابين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان أنه كان ظلوما جهولا)

ولهذا قالوا (ربنا ظلمنا انفسنا.. الخ وبذلك كان بعدها بدايه رحله الإنسان ودوره في خلافه الأرض حيث وان التجربه تهدف إعداد الإنسان ليكون خليفه وتعطيه الدروس الاتيه

الدرس الاول

عليك أن تدرك أن الخلافه ليست مجرد رغبه في القيام بإصلاح أحوال البشريه والتحسين والعمران في الأرض فلا بد أن تتحول الرغبه الي ارده مشفوعه بعمل تنفيذي محدد وقاطع مدعوم بإصرار متواصل مقصود وتصميم متطوع الي هدف مقصود ومعروف أن تبغني بذلك إرضاء وبالتالي فلا تتردد ولا تتهاون في تحقيق الهدف وهذا يتطلب حمايه الارده من الاوقات التي تفسدها عن القيام بدوره و الخروج عن الهدف ولهذا فإن معرفه ومحبه الله هي التي تجعل الهمه عاليه وتقوي العزمه لأن ضعف الارده يعود إلي ضعف العلم بما ينفعه أو يضره ولأن التجربه من أهم وسائل العلم فإن رويه عواقب مخالفه المنهج بالتجربه العملي التي جسدتها هذه القصة في حياه الانسان من أهم الدروس في حياه الانسان ولهذا لم يحدد النهي ماهي الشجره التي نهي عن اكلها لأن المقصود الذي يريد الحق أن يوصله لنا من هذه التجربه هو الحظر ذاته لأن الحظر يقصد منه حميه الإنسان من عاصفه الشهوه الخسيسه التي خلق عليها الإنسان فهذه الشهوه هي محل الامتحان والاختبار للإنسان فأراد الحق بهذا تدريب ادم علي الصبر وتحمل المشقه وان يشعر بالمسؤولية فهذا هو اختبار الارده التي يواجه الإنسان علي الأرض فإذا ضعفت الارده وجد الشيطان مدخلا ينفذ منه فعلي الإنسان أن يدرك أنه في معركه مع نفسه ابداً فإذا انتصر عليها كان علي غيرها اقدر أما إذا انهزم أمامها صار مطيه الشيطان

الدرس الثاني

كما أن ادم مكلف من ربه ليكون خليفه في الأرض فهذا هو المخطط من وجوده ولهذا فهو بحاجة الي التمرين علي القيادة ولذلك جاء الخطاب من الله لادم (و يا ادم اسكن انت وزوجك الجنه)

بأن عليه أن يدخل هو وزوجته الجنه وهو ما يدل أن حواء خلقت قبل أن يدخل ادم الجنه ولم يبين لنا كيف خلقت حواء وكل ما نعلمه أنها خلقت من ادم لقوله تعالي (يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحده وخلق منها زوجها وبث.. الخ

أما من ذهب للقول أنها خلقت من ضلع ادم فلا يوجد دليل علي ذلك وأغلب الروايات من الاسرائليات أما بالنسبة للحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المراه خلقت من ضلع اعوج)

فإن هذا من باب التمثيل لبيان ان اعوجاجها رحمه مثل القفص الصدري فلو كان مستوا لما استطعت أن تتنفس والدليل علي هذا قوله صلى الله عليه وسلم بعده أن ذهب تقيمه كسرته وان تركته لم يزل اعوج فاستوصوا بالنساء خيرا)

وهذا مما لاشك فيه أن المراد منه النهي عن محاوله تقويم النساء بالشده والغلظه وانما يكون باللين فقياده الرجل للمراه لاتعني الاستعداد وانما هو لأجل ضبط حركه الاسره ولهذا نجد أن الخطاب توجه لادم فيه ولم يخاطب حواء أن تدخل الجنه وان ذكر بعدها الأمر فكلا و النهي ولاتقربا ...

فهذا فيه أن آدم هو القائد الذي يتولي قياده الاسره وادرتها والادراه مهم لتحقيق اي هدف فلا بد من ضوابط لأن مشروع الشيطان يقوم علي الفوضى والعشوائية

ولهذا يقول الحق أن حياه الانسان لابد أن تكون منضبطه حركه مضبوطه خطوات مرتبه تخضع لمنهج ربنا يحدد مسار الخطوات باستشعار المسؤوليه عن تنفيذ قواعد المنهج وضوابطه فالشيطان يؤجج مافي نفس الإنسان من شهوات ورغبه بالملذات والوقايه من ذلك بعدم الاقتراب من الحرام فالنهي عن الاقتراب ابليغ من النهي عن الفعل نفسه فأراد بهذا أن يقول لك عليك أن تجعل بينك وبين الحرام هامش امان مسافه لاتقترب منه كما يكتب علي القواطر التي تحمل النفط ابتعد عن القاطره مائه قدم مواد سريعه الاشتعال فذلك لابد من الوقايه من الشهوات لابد من الابتعاد عن المحرمات وعدم الاقتراب منها لان الاقتراب منها يجعلك في إطار سهام الشيطان ومرمي نبله ولهذا ورد في الحديث الأمر بالبعد عن مورد الشبهات وأسبابها (ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالرعي يرعي حول الحمي يوشك أن يقع فيه إلا وان حمي الله محارمه)

وعلق النهي بذكر ما يعقب ذلك من الحرمان من رغد العيش نتيجه ظلم النفس

الدرس الثالث

اهميه الخبره في الخلافه لمواجهه التحديات ولأجل القيام بالمهمه ومنع اختراق الشيطان وهذا يتطلب المهارات الفنيه والقدرة علي تنفيذ العمل وفق الخطه المرسومه ومن هنا كان تزويد الإنسان بهذه التجربه التي غرست في أعماق النفس الشعور بالآلم نتيجه الوقوع في خديعه الشيطان فكان هذا درس عملي عن عدواه الشيطان الذي أخبر الله به الإنسان ثم علمت الإنسان درسا أن الكافر يتجراً علي الكذب والقسم ب الله فلا تثق به وأخبره وهذه أمور فنيه يحتاجها الإنسان في ميدان عمله اثناء الخلافه كان لابد من تجربه يخوضها الإنسان عمليا لتكون حاضره أمامه مستقبلا وكذلك زودت الإنسان بالمهارات اللزومه التي يحتاجها في مواجهه العدو وعلمه كيفيه صد هجمات الشيطان من خلال توطين النفس علي الاعتراف بالاختفاق والفضل فهذه أول خطوه للخروج من الازمه ثم طلب عفو الله ومغفرته والتوبه من المعاصي

ولهذا فإن الجنه المذكوره ماهي الإمكان لتدريب الإنسان علي دوره في الخلافه وإعداده ليكون قادرا علي الاضطلاع بمهمته فكانت هذه التجربه تدريب عملي يترجم النظريات الي تجارب واقعيه

ثانيا

بعد أن انتقلت الآيات الي مرحله السكن في الجنه التي هي المرحله الثالثه من مراحل إعداد الإنسان ليكون خليفه بعد التكوين والتسويه بالخلق والتصوير في احسن صوره وذكر موقف ابليس من السجود لادم وما ترتب علي ذلك من طرد ابليس فذكرت النصوص بدء مرحله التدريب علي الأوامر والنواهي لتدريب الإنسان علي طبيعه المعركه مع العدو والاسلحه التي يستخدمها الشيطان لأن المعركه لابد لها من سلاح وهو ما تكشفه الآيات فقال تعالي (فوسوس لهما ليبيدي لهما ماوعري عنهما من سواتهما وقال ما نهاكما ريكما عن هذه الشجره إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور)

ولهذا سوف نقف علي مدلولات النصوص ودراسه هذه المرحله من حياه الانسان والتي تسبق الاهباط الي الأرض واستلام ادم مفاتيح الأرض ليزوال مهمته من خلال الآتي

المبحث الأول

أن الحق يريد أن يحدث التفاعل مع الاحداث فابتدات بنقل صوره تجسد مشهد التميرين والتدريب بأن اسكن الله ادم وزوجته الجنه المكان الذي أعده الله لتدشين برنامج الإعداد والتحضير والتميرين لادم قبل تسليمه الأرض التي خلق ليكون خليفه لله فيها

وقد أخبره بعدواه الشيطان وأساليبه وأخبره أن هنالك معركه في الأرض سوف تحدث بينك وبين الشيطان فيجب أن تتخذ الشيطان عدو فلا تثق بعدوك لأن سلاحه هو الاغراء والغويه والتزين والخداع فهل أنت جاهز لخوض المعركه ومواجهه التحديات فلا بد أن آدم كان متشوقا ومستعجلا لاستلام خلافه الأرض لكن الحق أراد أن يزوده بهذه التجربه التي أراد أن تكون نموذجا حاضرا في ذهن كل انسان الي قيام الساعه ولهذا كان بدء تدشين الأوامر والنواهي عندما اسكن الله ادم وحواء الجنه فأخبره الله انه اذا ضعفت وخرجت عن منهج الله الذي امرك فإنك تفقد منزلتك واعلم أن قوتك بالحذر من طاعه الشيطان فهو العدو الذي يسعى لنزع منزلتك منك

وهنا تنقل لنا النصوص موقف الشيطان فقال تعالي(فوسوس لهما الشيطان)

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

(ماذا تعني الوسوسة)

تعني الهمس سرا وبالخفاء والمتكرر ولهذا فإن وسوسه الشيطان ما تجدونه في أنفسكم من خواطر رديئه وهي شر محض وهي سلاح ضعيف وان كانت تهاجم النفس ولم يعط الإنسان القوه علي قطعها ومنع هجومها علي النفس إلا أن قوه الايمان والعقل بما يعينه قبول أحسنها وعلي دفع اقبحها وكرهته لها ونفرتة منها ولهذا قال تعالي (فوسوس لهما الشيطان)

لأن نفرة النفس منه جعلت الشيطان يلجاء الي الهمس بالخفاء فالنفس تكره الشر ولا تقبله فلو كان خيرا لما همس به في الخفاء

فلا يكون الهمس من المتكلم الا في حاله خوف اطلاق الناس عليه لأنه أمر قبيح

فذكرت النصوص تبعات الوقوع في المعصيه من كشف العوره وهبوط منزله ادم بعد أن كان حديث الملائكه ويشار إليه أنه الذي كرمه الله عليهم صار يشار إليه بأنه ارتكب الخطيئه بعد

المفهوم الثاني

(الخواطر والهواجس بين الهام الملك ووسوسه الشيطان)

ان الحق سبحانه وتعالى يريد منك ايه المخاطب أن تحذر الهواجس والخواطر التي تدعوك الي الشر قبل أن تتحول إلي شهوه وان تحافظ علي قوه النفور مما حرم الله فقطع الخاطره اسهل علي النفس من قطعها بعدما تتحول إلي شهوه وهذا التحذير مهم لأن قوه فعل الوسوسه هو أنها تخفي علي الإنسان فلا يشعر بها وهذا المعني مأخوذ من الكلمه المستعمله فهي إنما يكون لها فاعليه إذا غفل الإنسان فان هذا يسهل عمل الشيطان ولهذا فاللازم عليك أن تتفحص الخواطر والهواجس التي ترد الي النفس وعرضها علي ميزان الشرع فإذا كانت تدعوك الي مخالفه منهج الله فاعلم أن هذه الخواطر والهواجس شيطانيه

وان كانت تدعوك الي الخير الموافق لمنهج الله فاعلم أن هذه الخواطر من الهام الملك احذر من الانخداع بالتزين والمبررات التي يسوقها الشيطان خاصة وان النفس الاماره والهوي تساند

الشيطان في هذه المعركه التي يكون العقل والملك والقلب واقفين معك في هذه المعركه فمغلا السارق اذا أراد أن يسرق فإن العقل يقول له لاتعمل ذلك في حين تقول له النفس الاماره بالسوء افعل وهنا يستمر النزاع بين جيش الحق الساكن فيك وجيش الباطل الذي له موقع من كيانك فإذا انتصر جنود الحق انهزم العدو الداخلي للإنسان وبعدها تكون القيادة للنفس والهوي والشيطان وحينها يخضع العقل لاملأءت الأعداء فيبدأ بوضع خطه السرقة أما إذا انتصر جيش الحق فإن القيادة تكون للعقل والقلب والملك وذلك فيه السلامه والنجاه ف الملك يلهم والشيطان يوسوس وانت مخير أما أن تتحرك وتقوي سلطان الملك وأما أن ترضخ لاملأءت الشيطان

ولهذا جاء (وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجره إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين)

عطفا علي قوله فوسوس بيانا وتفصيلا لكيفيه الوسوسه

١

أنه قام بتزين المعصيه كي تنطوي الخدعه علي ادم واستغل أهواء النفس التي تحب البقاء وتكره الموت وتحب أن يكون لها خصائص اله لآلئكه فابليس يريد من البشريه أن تنطلق في مسيرتها من خلال الشهوات والملذات ولذلك فهو يوجهها

٢

دلت النصوص أن آدم وحواء لم يستجبا لطلبه رغم تزين المعصيه ولهذا لجاء ابليس الي الحلف ب الله كي يخدعهما فاغتر ا ادم لانه لم يكن يظن أن هنالك من يحلف ب الله كذبا فنحن نعلم أن الجن استغربت أن يقول المكلفين علي الله الكذب فانخدعت ببرويج الانس و الجن للخرفات فقال تعالي (وأنا ظننا أن لن نقول الانس والجن علي الله كذبا)

فهذه هي طريقه المنافقين يوكدون اكاذبيهم بالقسم بالله فتراهم يكفرون الحلف لظهار أنفسهم أنهم ناصحين لأجل اخفاء الغرض الا ساسي لهم وهو أنهم يريدون أن يفضحوك ويظهروا عيوبك التي لا تريد احد أن يطلع عليها ولهذا قال تعالي (وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين)

اي الناصح الذي يريد لكم الخير في مشورته قائلا أنا أكثر منكم عمرا فقد خلقت قبلكم واستعمل صيغه المفاعله (وقاسمهما)

اشاره الي أنهما كانا مترددين فكان في سلوكهما عنه قسما بينهما باتهامه والحذر منه ولهذا استعملت هذه الصيغه التي تعني المقاومه بينهما وبينه

المفهوم الثالث

أن من أهم الدروس المستفاده من تجربه هو تعريف الإنسان بالتجربه العمليه الاحساس بالالم ليكون منبها له من المخالفه فجاء ذكر تبعات الوقوع في المعصيه بعد أن عرضت النصوص مشهد الاستمتاع بالمذات في الجنه دون منغصات ليكون من ذلك الشعور والحسره والندم سببا للشوق الي ما عند الله لتعرف فائده الالم

فلولا هذه التجربه لما عرف الإنسان اضرار المعصيه لكن الحق سبحانه وتعالى اقتضت رحمته تعالي أن يضع ادم في هذه التجربه وان لا يعاقبه بالطرده واللعن ولكن عفا عنه لتكون هذه التجربه التي نضجت بها ذات ادم نموذجا للبشريه ليكون هنالك احساس والتقاط الإشارات كي يسعى الإنسان في علاج نفسه قبل أن يفوت الأوان ولهذا كان تبعات الوقوع في المعصيه درسا يعرف به موطن الخلل وتدرج أسباب الازمه فقد عرف الإنسان ان صبر ساعه علي الشهوات اهنون من عاقبه المخالفه إدراك أن مهمته تحتاج إلي همه عاليه ونفس شريفه تنظر إلي النهايه التي فيها السعاده الحقيقيه ولهذا لما اكل ادم من الشجره انعكست المقاييس واستبان لادم وحواء العوره التي لم يكونوا يعلمون بها فقال تعالي (ليبيدي لهما ما وعري عنهما من سواتهما)

فقد أراد ابليس كشف عوراتهما حسدا منه لما راي تكريم ادم وحواء وتدل الايه أنه قبل هذه التجربه لم يكن يعرف ادم وحواء أن لهما عوره فقد خفيت عليهما لأن الله سترهما فجاء بصيغه المجهول ماووري عنهما من سواتهما ويقال وري الشئ غطاءه وستره والسوء ما يسوء الإنسان أن يراه غيره ولهذا سميت عوره لانه يسوء الإنسان أن يطلع عليه غيره ولم يكن ادم قبل ذلك يعلم أنها عوره لأن الغطاء الرباني الذي كان يسترها لم يجعله يشعر به

المبحث الثاني

أن الايات تهدف من هذا التركيز علي خطه ابليس وأساليبه ان تغرس في النفوس جديه المعركه تشعر انك في حرب مع الشيطان ومع نفسك ومع الهوي وان جنود الشيطان من داخلك

يحاولون إفساد سعادتك فطاعه الله جنه حقيقه لايشعر بها إلا المطيع أن القرب من الله هو الذي يمدك بالسعاده والاطمئنان والراحه لا الشهوات هو الذي يزدوك بالرفعه ويشبع العاطفه فالطاعه فيها المنزله العاليه ولهذا فإن الشيطان يسعى الي أن تفقد هذه المنزله فقال تعالي (فدلاهما بغرور)

حيث وان معني فدلاهما من قولك دليت الشئ اي أنزلته كما ينزل الدلو في البئر اي اسقطته وهذا السقوط يجده كل من يرتكب المعصيه حيث يجد الكابه والضنك ولهذا يقول الله (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشه ضنكا)وابليس لا يلقي بوساسه دفعه واحده ولكن يأتي بالتدرج حتي لايجد معارضه من الإنسان ينفذ من الأبواب المفتوحه الشهوات والشبهات فعليك إغلاقها ولهذا استعمل لفظ (بغرور) تشير الي التكرار والإلحاح بالاماني الكاذبه والوعود الباطله اي فخدعهما بغروره انزلهما من مرتبهما الي منزله أقل مما كانا عليه فارتكاب المعصيه فيها الانحدار والسقوط

ثانيا

تبيين النصوص لنا العديد من القواعد والدروس التي يجب علينا أن نستنبطها من القصة نذكر منها الآتي

الدرس الاول

عليك أن تدرك أنك إذا خالفت المنهج الإلهي فانك تكون عرضه لانكشاف العوره

وبالتالي فإن السلاح الذي تواجه به الأعداء هو التمسك بكتاب الله وسنه رسوله

فأنت في معركة مع أهل الكفر الذين هم أعوان الشيطان وجنوده ولهذا فإن النجاه والتغلب علي الأعداء يكون بالاعتصام بحبل الله ولهذا يقول لنا الحق أن ظهور عوره ادم وحواء بدت عند المخالفه فقال تعالي (فلما ذاقا الشجره بدت لهما سواتهما)

انكشفت العوره وظهر مايسؤء الإنسان ولهذا فاي عوره تنكشف في الأرض يكون وراءها مخالفه المنهج قال تعالي (ظهر الفساد في البر و البحر بما كسبت ايدي الناس)

ولهذا فإن الستر والجمال والسعاده يكون بالتزام منهج الله

الدرس الثاني

ان المومن يدعو إلي الخير والستر اي تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر ومنع اشاعه الشرور والقبايح في المجتمع فلا يحب اشاعه الفاحشه بين الناس ولايتتبع عورات الناس فهو منشغل بعوراته لكن الكافر واتباع ابليس فإنهم منشغلون بتعريه الناس وإظهار عوراتهم المستوره وهم يدعون الي التعري ونشر الرذيله والفاحشه

الدرس الثالث

(الي من تنصب مكائد الشيطان)

عليك أن تدرك أن مكائد الشيطان تنصب حول هدف صرف الفطره عن توجهها وحررها الي طريق الضلال والهلاك إذ أن الله خلق الإنسان علي الفطره فقال تعالي (ليبيدي لهما ماووري عنهما من سواتهما) فهذه هو هدف ابليس فقد ورد في الحديث مما رواه مسلم في صحيحه عن عياض المجاشعي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال إلا أن ربي أمرني أن اعلمكم ما جعلتم مما عملني يومي هذا.....يرووي عن ربه (اني خلقت عبادي حنفاء كلهم وانهم اتتهم الشياطين فاضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم وامرتهم أن يشركوا بي ما لم انزل به سلطان)

ولهذا فإن مهمه الرسل والأنبياء ليس تغيير الفطره ولاتحويلها ولاتبدالها وانما إيقاظ الفطره وتذكيرها بما هو معلوم لها

فابليس أراد تعريه ادم وحواء سواء كان ذلك حسيا أو معنويا

فجعل كشف عوره ادم وحواء غرضا لعمله

ولهذا لما ذاقا من الشجره وكشفت عورتها عمدا الي أخذ اوراق من شجر الجنه وجمع ذلك كما يفعل الإنسان البدائي لستر العوره وتغطيه جسدهما واورحهما ادركا بالفطره قبح كشف العوره ولهذا شرعا يقطعان اوراق من شجر الجنه ويصنعان من ذلك اغطيه تستر عورتها فما الذي دفعهما لذلك أنها الفطره

ومن هنا تعلم الإنسان أنه بحاجه الي ما يستر عورته وهو المنهج الرباني ولهذا يأتي الخطاب الإلهي بعد بيان عاقبه ارتكاب المعصية (ونادهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجره وأقل لكما أن الشيطان لكما عدو مبين)

بأن التعري وانكشاف العوره يعود إلي مخالفه المنهج الي ضعف الارده في المعركه إلي النقه يالعدو الذي يسعى للافساد في الأرض فهو لا يريد سعاده البشريه فكيف تتقون بنصائح العدو

الدرس الرابع

تبين النصوص أن الإنسان واقع بين الهام الملك الذي يقول لك التزم بأمر الله وبين وسوسه الشيطان الذي يدعو إلي الفوضى والعشوائية والخروج عن منهج الله والانسان واقع بين الهام الملك ووسوسه الشيطان كانت هذه التجربه لتربيه الإنسان علي أعمال العقل بأخذ الحيطه والحذر من عدواه تذكر عواقب الأمور فكان في ارتكاب ادم الخطيئه اكتمال ولاده الإنسان فعلمه الله كيف يتوب فقال تعالي (ق) ال ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)

وهذه هي الكلمات التي تلقاها ادم من ربه كما قال تعالي في موضع آخر (فتلقني ادم من ربه كلمات فتاب عليه... الخ

ومن هنا كان اعداد ادم وحواء لاستلام امانه الخلافه فقال تعالي (اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاعا الي حين ق ال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون)

فهبوط ادم وحواء هبوط تكريم فيه بدايه مباشرتهما عملهما في الأرض الخلافه بينما هبوط ابليس هو ابعاد وطرده من رحمه الله فشتان

بينهما

واخبر الله آدم وحواء أن الأرض فيها الحياه والموت ومنها يكون الخروج والبعث والنشور

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع الثالث من سورة الاعراف

ابتدأت آيات هذا المقطع بالنداء المتكرره (يا بني ادم)

عقب تناول النصوص امتنان الله علي الإنسان بالتمكين في الأرض وتسهيل المعاش وما أعقب ذلك من سرد قصه نشاه البشريه فجاء النداء هنا متوجها إلي أبناء ادم متضمن عده توجيهات فقال تعالى

(يا بني ادم قد أنزلنا عليكم لباسا يوري سوءتكم وريشا ولباس التقوي ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون يا بني ادم لا يفتنكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنه ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءتهما أنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشه قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لأيامر بالفحشاء اتقولون علي الله ما لا تعلمون قل أمر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بداكم تعودون فريقا هدي وفريقا حق عليهم الضلاله أنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون)

اولا

ابتدأت آيات هذا المقطع بقوله تعالى (يا بني ادم)

ثم كررت ذلك في أكثر من موضع بعد أن تناولت النصوص قبلها قصه نشاه البشريه ادم بمراحلها واختتمت بكمال ولاده ادم ومباشرته لدوره ووظيفته علي الارض بقوله تعالى (اهبطوا بعضكم لبعض....الخ وبأن الحياه علي الا رض موقته والموت فيها ومنها يكون البعث والنشور ولهذا فإن هذه النداءات عقب ما سبق تهدف إلي الاتي

الدرس الاول

(الغرض من ذكر القصة في القران)

يخبر الحق عباده أن عرض القصص في القران ليس لأجل الاستمتاع بسماع الأحداث التي جرت في التاريخ فهذا ليس الغرض من حديث الحق عن قصه نشاه البشريه وخلق ادم بل الغرض اخذ الدروس والعبر من القصة

ولهذا يأمرهم أن يقفوا علي ما في هذه المرحله من حياه الانسان ليأخذوا منها الدروس التي تتحدث عنها النصوص فليس ذكر القصة غرضا للتسلية

ولهذا نجد أن النصوص وردت تعقيبا علي قصه نشاه البشريه فالنصوص تبين لنا (اهميه القراءه الشرعيه لدليل الحدث و فقه التحولات) اي لا بد لنا أن نقف علي المراحل التي تتحدث عنها النصوص لتكون قراءتنا سليمة للتاريخ وذلك بربط الاحداث التاريخيه بالديانه فهذه هي القراءه الشرعيه الصحيحه للتاريخ لنحصل علي الفائدة حيث وان هنالك قراءه مشبوهه لاتستند الي دليل وتتناول بالقول علي الله ما لاتعلم وهنالك قراءه وضعيه ماديه بحته للأحداث أو تقوم علي الاساطير ويحسبون أنهم مهتدون ولهذا نجد النصوص تتناول الأمر بالقراءه الشرعيه التي تنطلق من ربط قراءه التاريخ بالديانه وحيث أن الايات السابقه قد قسمت المراحل التي كان نشاه الإنسان الي ثلاثه اقسام :-

/١

مرحله التكوين الادمي وموقف ابليس من السجود لادم وما ترتب علي ذلك وما ترتب علي ذلك فالمطلوب منك دراسه ذلك لتعرف أن الحق سبحانه وتعالى قد خلق الانسان في احسن تقويم وصوره فأحسن صورته يذكرهم

المولي سبحانه وتعالى بعدواه ابليس وموقفه من تكريم ادم ابو البشر الذي يجب أن يتخذه عدوه فقال تعالى
(يا بني ادم)

٢

دراسه مرحله بدء الأوامر والنواهي مع التجربه التي اسكن فيها ادم الجنه وفقه عدواه الشيطان والذي يسعى
جاهدا لكشف عورات الإنسان

٢

مرحلة الهبوط الي الأرض وبدء مرحله الصراع بين الحق والباطل وان من أثر ذلك أن ينقسم الناس الي قسمين
أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ولهذا فإن الإنسان بحاجه الي الاهتداء للحق والتوفيق لما يرضاه الله ومعونه
الله وتوفيقه حتي لا يقع في الضلال وهو يظن أنه علي الهدى

وهذه الأمور هي ما تتناولها الآيات في هذا القسم والمطلوب من الإنسان أن يقرأ دليل الحدث القراءه الشرعيه

فالمطلوب أن تتذكر الدرس الذي تلقاه ادم قبل أن يتسلم مهمه الخلافة علي الارض حيث هبط الي

الارض حاملا مشروع الخير في مواجهه الشر ومخططاته فقال تعالى (اهبطوا بعضكم لبعض عدو)

فالمعركة ازاله بين الشر والخير بين الصدق والكذب بين القبيح والجميل بين العدل والظلم

ولما كان ادم قد تلقى درسا بليغ حيث كانت أول معصيه هي نزع الغياب وكشف العوره لهذا ابتدأت النصوص
بقوله تعالى (يا بني ادم قد أنزلنا عليكم لباسا يوري سواءتكم وريشا ولباس التقوي ذلك خير ذلك من آيات الله
لعلهم يذكرون)

وبالوقوف علي مدلولات النصوص والمفاهيم التي احتوتها نجد الآتي

الأمر الأول

(اهميه رؤيه احسان الله وحسنه)

ابتدأت الآيه بقوله تعالى (يا بني ادم قد أنزلنا عليكم لباسا يوري سواءتكم وريشا)

وهو ما يفهم منه امتنان الله علي عباده بعباده وإحسانه وحسنه لعباده فهو سبحانه وتعالى قد انعم علي الإنسان بنعمه التمكين بأن
جعل الأرض مسخره للإنسان وهذا يوجب عليك أن تشعر بأن لك ربا يعتني بك ولأن الإنسان هدف للشيطان الذي يسعى الي تعريه الإ
نسان فقد انزل الله للناس اللباس الذي يغطي عوراتهم

ولهذا فإن الله يريد أن يلفت انتباهك الي مساله في غاية الاهميه أنها نعمه مميزه اختص الله بها الإنسان وهذه النعمه هي انزل المطر
التي كان به خروج نبات القطن التي يعم صناعه الملابس منها

والسؤال :- كيف يكون ذلك نعمه خاصه ونحن نعلم أن نزول المطر يكون به خروج جميع النبات ؟

الجواب :-

أن خصائص النبات التي يستخلص منها الخيوط لصناعه الملابس كانها خلقت لهذه الوظيفة لخدمه الإنسان في هذا الأمر

فلا ينتفع بها إلا الإنسان ومن هنا كان قوله تعالى (أنزلنا) فيه الاشارة الي منفعه خاصه بالإنسان كما قال تعالى (وانزلنا الحديد فيه بأس
شديد ومنافع للناس)

كما أن اللولو وجد لأجل أن تتزين به النساء فهناك أشياء خلقها الله تعالى لأمر خاص ف الله خلق كل شيء لغايه ووظيفه فأنزل المطر الذي أخرج القطن لأجل ستر عوراه الإنسان وتغطيه العوره المغلظه

وكذلك الريش وهو ما يزين الإنسان فهو من الأمور التحسينيه الكماليات لذلك يقال فلان مريش اي قادر علي توفير الكماليات

وكذلك انزل الله المنهج الرباني الذي يستر روح الانسان وهو ما يجب علي العبد أن يذكر فيه عطاء الله لعباده فكري حسنه وإحسانه فهذا التوافق بين طبيعه الكون ونشاه الكائن الإنساني من أهم مظاهر العطاء الإلهي

الأمر الثاني

يريد الحق منك ان تدرك أنه تعالى لاينزل الا الخير فهو تعالى انزل المطر الذي أخرج به النبات التي تصنعون منها الملابس التي تستر عورتكم وكذلك انزل القران الذي فيه ستر العورات المعنويه فأنتم في معركة مع الباطل وسلاح هولاء هو السعي لتعريه الناس ومهتمكم ستر العورات سواء الحسيه أو المعنويه

ولهذا فإن ما شرعه الله في كتابه ليس قيديا للحرية كما يتصور البعض بل هو لحماية الإنسان من سهام الشيطان فالمنهج صيانه للإنسان وفيه السلامه له

فعليكم أن تتذكروا معاناه ادم وحواء عندما كان منهم مخالفه منهج الله فتكريم الحق للإنسان المذكور في المقطع السابق هو لأجل أن يقوم بحمل امانه الخلافه

الأمر الثالث

اذا كانت السوءه تعني أن الإنسان يكره أن تكشف عورته بالفطره وينظر لها انها من القبائح فاللازم عليك أن تكره كشف العوره المعنويه فاللازم أن تنظر للشرك أنها قبيحه وتنظر الي شرب الخمر أنه مقزز معلما أنك تنفر من رؤيه منظر قبيح ينبغي أن تنفر من النفاق والكبر و الكذب تنظر إليها أنها قذورات لأنها سوائت النفس التي تحتاج إلي لباس يستر سوائتها و هذا إنما يتحقق بالتقوي التي تودي الي يقظه الضمير ومراقبه الله فينتج عن ذلك أنه يستقبح أن يراه الله في معصيه كما يكره أن تظهر عوراته لانه يستحي من الله وتكمن الافضليه هنا للمتقي لانه من لا يستحي من الله ولا يتقيه فإنه لا يبالي أن يتعري وان تكشف عوراته أما الذي يخاف الله ويستحب منه فإنه يكون حساس يستحي من الله وبالتالي يكون حريص علي ستر عورته

الأمر الرابع

عليك أن تنظر إلي الكون وما فيه تعري أنه تعالى خلق كل شيء ليحقق هدفا وظيفيا ويحقق هدفا جماليا فالهدف الوظيفي هو الضروري وان الهدف الجمالي هو التحسيني ولهذا فإن الفاكهه التي خلقها الله مثلا لها هدف وظيفي وهو الغذاء الذي فيها وكذلك لها هدف جمالي أنك تستمتع بمنظرها الجذب الجميل

ولهذا فمن الطبيعي أن يكون يلبس المومن ما يستر عوراته وبنفس الوقت أن تكون هذه الملابس انيقه وجميله ذات ألوان منسجمه ومتوافقه مع بعضها ولا يعد هذا كبر ما ينظر البعض ف الله جميل يحب الجمال وكذلك فإن من المومن الكامل هو الذي يهتم بمظهره الخارجي والباطني فليس معيبا أن تكون بيتك نظيفه ومرتبته وانيقه المظهر بل هذا هو المطلوب من كل مومن ولكن ينبغي أن يكون تجميل الأشياء وفقا لمنهج الله ولا يخرج عن شريعته الله ف الله ذم التباهي والعبث بالمال في غير محله فقال تعالى (بكل ربح ايه تعبتون)

فهذا ليس تجميل بل عبث لكن أن يكون المومن انيق فهذا مطلوب بل ومطلوب لقوله تعالى (وريشا) وهذا يعني جمال الذواق لا جمال الكبر فالاعتناء بالجمال أمر مطلوب لتنقل عزيزي المومن صورته طيبه عن الإسلام ليكون في ذلك اظهار الاسلام في مظهره الجميل لجذب الآخرين إليه

فإذا قدمت شيئا للآخرين فأنت ملزم أن تهتم بجوهره ومظهره وإذا تكلمت ع انسان وارادت أن تنصحه فأنت ملزم أن تختار الالفاظ الجميله القادره علي جذب هذا الشخص ليسمع لنصيحتك وكذلك فإنك عندما تنطق بكلام جميل فاللازم أن يحصل الانسجام بأن تكون م لابسك جميله وهكذا يكون الربط بين الجمال والايمان والقيام بالمسوليه وان ذلك يجعلك تتذكر فضل الله عليك فهو تعالى خلقك وصورك فأحسن صوركم

الدرس الثاني

ان النداء يابني ادم بعد ذكر قصه ادم وقوله (فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون)

ليقع اقبالهم واستحضار قصه والدهم ادم وما كان من وسوسه ابليس فإن من شأن الذريه أن تتار لابائهم وان تحترس من الوقوع في مصيده

تهدف إلي ابطال ما كان عليه المشركون الذين كانوا قد خالفوا الفطره ومن ذلك أنهم اختلفوا قانون الحمس فجعلوا لأنفسهم دون غيرهم أن يحجوا بملابسهم المستعمله واما سائر القبائل العربية فعليهم أن يحجوا بملابس جديده او يكون استعاره ملابس من قريش أو يحجوا عرايا بلا ملابس

ولهذا ابتدأت بالنداء يابني ادم ليقع اقبالهم واستحضار قصه والدهم ادم و ماكان من وسوسه ابليس الذي خدع والدهم ادم فالاصل أن من شأن الذريه أن تتار لابائهم وان تحترس من الوقوع في مصيده الشياطين ولما كان ادم وحواء قد ستر عورتهم بأوراق الجنه بالهام الله بما أودع فيهم من فطره وهبط معه اوراق الجنه التي ستر بها عورته فإن ذلك أوقع وادعي للشكر فكان نزول ادم معه اوراق الجنه التي ستر بها عورته فيه معني الاختصاص اختص الله به الإنسان أو التسخير كما أوضحنا سابقا كما ذكر الله بشأن الحديد والأنعام في اللباس من اصل الفطره الانسانيه والفطره اول اصول الاسلام ولهذا جاء التعرض بإساءه استخدم أهل مكة للكعبه من حيث مخالفه الفطره بالتعري بالحج وتحريم الزينه ومن جهه ثانيه جعلوا لأنفسهم منزله ومكانه بدون وجه حق فجاءت النصوص تذكرهم باصلهم الذي يجمعهم مع الناس كافة بأنهم ابناء ادم فلا فرق لحد وإيضا الاخبار بأن اختيار مكة لتكون الأرض التي انطلقت منها الرساله لايعني تكريس العنصريه التي صنعتها الجاهليه فلا تفاضل الا بالتقوى ولا فرق لأحد

مبيناً أن الدعوه للتعري هو سلوك الشيطان واوليائه فالإسلام يدعو إلي الستر ولهذا جاء باستنافين

الأول (ولباس التقوى ذلك خير) بأن لباس التقوى بفعل ما أمر الله واجتناب ما نهى هو خير للمومن

العاني ؛-

أن اللباس من آيات الله الداله علي قدرته ولطفه وإحسانه عليهم فهي من دلائل وحدنيته وربوبيته وفضله ورحمته لعلمهم يتذكرون هذه النعم فيمشكروا الله ولا يعودوا الي النسيان الذي أوقع ابوهم في المعصيه اي يتصوروا هذا المعني فقال تعالي (لعلمهم يذكرون)

فأراد الله بهذا

ثانيا

اختتمت الآيات بقوله تعالي (لعلمهم يذكرون) بعد بيان انعام الله علي الإنسان بتيسير اللباس الذي هو من آيات الله الداله علي ربوبيته وفضله تعالي وإحسانه التي توجب شكر الله واليقظه فلا يعودوا الي النسيان الذي أوقع ابوهم في المعصيه فاللازم عليهم أن يتصوروا هذا المعني علي الدوام ثم قال بعدها تعالي

(يابني ادم لايفتنكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنه ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءتهما أنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم

فأراد بهذا الآتي

الأمر الأول

أن يحسن العبد قراءه التاريخ والذوات والانعام التي انعم الله بها وان تكون حاضره في الذهن فأنت عندما تلبس ثيابك في الصباح الباكر عندما تقوم من النوم وعندما تمشي وتمارس عملك تنظر لنفسك والملابس تستر جسدك وعندما تضعها وقت النوم في كل الأوقات عليك أن تستحضر قصه ادم وحواء عندما انخدعا بتزين الشيطان فتشعر بتلك العدواه تري أن

المعركه جديده بين الحق والباطل بين الشر والخير وانك عنصر أساسي وفاعل في هذا الصراع وأنك في خندق الخير وان عدوك في خندق الشر وان الشيطان واتباعه يعتقدون استعمال الوسائل والأساليب التي تهدف إلي نزع اللباس عن الإنسان وتفتن في صنع البدائل التي تخدع الكيرون وهو ما يدفع البعض الي خوض المعركه بدون وعي ولا شعور ولهذا جاء الالتفات من الخطاب الي الغيبه في التعقيب (لعلمهم يذكرون)مع أنه ابتدأ بالخطاب يابني ادم فهذا الالتفات فيه تعريض بمن لم يتذكر من بني ادم فكانه غائب في حضره الخطاب يقول لنا عليكم التحديث والتجديد للوسائل والأساليب مع تأصيل البدائل علي العشوائيه الشيطانيه والاطروحات الانفعاليه فانتهم مطالبون أن تتصوروا معني عدواه الشيطان واتباعه ولا تقعوا فيما وقع فيه ادم فالتجربه التي ذكرتها مرحله السكن في الجنه لادم هي نموذج نعرف به حقيقه العدو ومن أهم الدروس التي يجب علي الإنسان استحضارها في حياته

فقال تعالي (يا بني ادم لايفتنكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنه ينزع عنهما لباسهما ليريتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون)

الامر الثاني

يذكرهم بعدواه الشيطان القديم مع ابيهم ادم وسعيه لإخراجه من الجنه والذي كشف عوراته فخرج من الجنه بعدما كان مستقرا فيها وهذا اكبر دليل علي عدواه الشيطان يقتضي الحذر منه فالمعركة مستمره ولن تتوقف الي قيام الساعه وسعاده

الإنسان تكمن في الوقايه من هذه الفتن ومضلاتها التي يصنعها الشيطان وأعوانه فهي تهدف إلي تعريه الإنسان وإخراجه من السعاده التي يجدها بالالتزام بمنهج الله تعالي فهذه هي الجنه التي كان فيها ادم قبل أن يزين له الشيطان مخالفه المنهج الرباني فالشيطان ولهذا فإن ما تتخذون لأنفسكم من شرائع ومناهج صنعها الإنسان يعني انتصار الشيطان الذي لا يريد لكم السعاده بل يسعى وراء الأسباب التي تودي الي كشف عورتكم فهو لا يترك بني ادم وشانه فالشيطان يبذل جهده لأجل اغواءكم وفتنتكم

الامر الثالث

أن خطه الشيطان تهدف لإخراج الناس من النور الي الظلمات من خلال تزيين الباطل وتلبيس امره علي الفطره التي تعرف الحق وتحبه ولهذا فإن العدو يترصده لمواطن العفرت والضعف كي ينفذ منها فهو يسعى الي كشف عوراتك المستوره ولهذا قال تعالي (ينزع عنهما لباسهما ليريتهما سوءتهما)

وهذا فيه تصوير لشده المعركة التي يسعى فيها ابليس وراء شقاوه الإنسان وإخراجه من السعاده التي هو فيها واضاف نزع اللباس الي الشيطان وان لم يتولي ذلك لأنه كان بسبب منه فاسند إليه ذلك كما تقول انت فعلت كذا...والمراد بهذا تذكر موقف ماحل بادام حتي لا تغفل وان تكون في يقظه دائمه فالمعركة لن تتوقف

فالعاقل لايسلم زمام امره الي عدوه لانه أن فعل ذلك فقد شارك في اهلاك نفسه باردته وهو يري جيوش الشر تمترس في خندق الشيطان

الامر الرابع

يقول لك الحق أن الستر واللباس هو من عنايه الله ورعايته للإنسان سواء اللباس الحسي (الملابس) أو لباس الروح التقوي بالمنهج الرباني فإن هذا من عنايه الله باولياءه يخرجهم به من الظلمات الي النور وفيه حمايه وتحصين للإنسان من سهام إبليس وان الخروج عن المنهج يجعلك هدفا سهلا للشيطان فعليك الحذر من الاستسلام للشيطان ولهذا قال تعالي (أنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم)

أن عدوك خفي لاتراه وهو متريص بك ويراك فأنت بحاجه الي شده الاحتياط ومضاعفه اليقظه بحاجه الي ولايه الله التي تحميك من الشيطان ف الله يقول (أن الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون)

ومن هنا نفهم سبب مجى التعقيب السابق بالالتفات الي الغيبه

(لعلهم يذكرون)

فالارتباط بالله ودوام ذكر الله هو الذي يجعلك مستور لاتصيبك سهام الشيطان

وهنا قد يقول قائل كيف يكون ذلك والله قد أخبرنا أن الشيطان يرانا من لانراه هو وجنوده وذريته ؟

الجواب

اذا سالت عسكري ما الفرق بين الهدف المكشوف والهدف المستور فإنه يقول لك :-

الهدف المكشوف الذي يعني أننا اراه ويمكن لي أن أطلق الرصاصه نحوه بحيث تصيبه

أما الهدف المستور فهذا يعني أنني يمكن أن اراه لكن إذا صوبت البندقية نحوه فإن الرصاصه لايمكن أن تصيبه لوجود حواجز يستحيل معها أن تصل الرصاصه الي الهدف

وهذا فيه أن امتثال أمر الله واجتناب نواهيه والالتجاء الي ولايه الله بالعبوديه والطاعه تمنع سهام الشيطان أن تصل اليك لأن الله

يحمي أوليائه فهو القائل (أنه ليس له سلطان علي الذين آمنوا وعلي ربهم يتوكلون إنما سلطانه علي الذين يتولونه والذين هم به مشركون)

ولهذا نجد أنه تعالي يعقب بقوله تعالي (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون)

فعدم الايمان هو الموجب لعقد الولايه بين الإنسان والشيطان

ثالثا

تبيين النصوص أن أولياء الشياطين يسعون الي كشف العورات وتعريه الإنسان ونزع كرامته أنهم يصبحون جزء من مشروع الدعوه للاضلال والافساد في الأرض ولهذا فإن أي دعوه للتعري وكشف العورات الحسيه أو المعنويه إنما هي دعوه الشيطان

فالأجهزة التي تدعو الي التبرج وكشف العورات هي اجهزة جاهليه واهله الشيطان وأدواته فالشيطان يسعي الي جعل الإنسان ك الحيوان بلا كرامه ولا مشاعر ولا احساس يسعي الي إسقاط العلم والاعتقاد من خلال استهداف المراكز الدينيه من خلال تغيير معالم الايمان فيها وكذلك إسقاط قرار الحكم والاقتصاد ليكونوا اداه خدمه المشروع الابليسي في الأرض ولهذا تعرض لنا النصوص مواقف تجسد فساد وانحطاط الاعتقاد في الجاهليه التي اتخذت الكعبه لأغراض ومصالح اقتصاديه بحتة عندما اختلقت قريش مبدأ (الحمس) الذي انتزعت لنفسها حقوقا علي سائر قبائل العرب بعد أن جعلوا الكعبه مكانا الأصنام وصنعوا قوالب اعتقاديه زعموا بأنها شريعه الله بأن جعلوا العرب لاتطوف الأيملابس جديده لم يلبسها من قبل والا فعليهم الطواف بدون ثياب ولهذا قال تعالي

(وإذا فعلوا فاحشه قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يامر بالفحشاء اتقولون علي الله ما لاتعلمون)

فالايات فيها

المبحث الأول

تبيين الآيات اثر من آثار تسلط الشيطان علي الذين لا يؤمنون بأنهم يعملون القبيحه من الشرك والطواف بلا ثياب وعباده الأصنام وارتكاب الفواحش وينسبون ذلك لله تعالي وأنه شرع الله وإذا سئلوا عن الدليل علي فعل احتجوا بتقليدهم آباءهم وان الله أمرهم بذلك فقال تعالي (وإذا فعلوا فاحشه قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها)

الأمر الأول

وهنا نري كيف أن الجاهليه الاولي كانت تحافظ علي خدع الناس بادعاءها أن ما هي عليه شريعه الله وهذا يعود لأن الناس كانوا لا يقبلون اي تشريع الا أن يكون له مصدر من وحي الله ولهذا اضطر أعوان الشيطان الي اختلاق هذه الاكاذيب

أما الجاهليه الثانيه التي نحن فيها فإن الشيطان قد لجاء الي وسائل اشد خطوره حيث نجد أنها تنكر علي الله حق التشريع بالجملة

الأمر الثاني

(معاني الفاحشه في القران)

وردت علي معاني عديده :-

الزنا -

(ولاتقربوا الزنا أنه كان فاحشه)

بمعني اللواط

(ولو طأ إذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشه ماسبقكم بها أحد من العالمين)

كما يطلق اللفظ علي الشرك والمعاصي والكبائر (ولاتقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن)

الأمر الثالث

تبين النصوص فساد قوي العقل والنفس الحب والبغض لدي هولاء فهم لا ينظرون الي الفاحشه كما هو عليه صاحب الفطره السليمه فهذه الكلمه اذا سمعت يعني أن تنصرف الي الذهن معاني الفعل القبيح فعل يسبب لفاعله العار والخزي فعل مستقذر للنفس وتكره وتبغضه

وسمي بهذا الاسم لأن اثاره تمتد الي المستقبل ولهذا ارتبط بالزنا لأن الزنا اضراره مستمر حيث أنه انتهاك عرض الآخرين وايضا خروج عن قانون بقاء النوع الذي يقوم علي الزواج الذي يميزه عن الحيوانات وايضا يعني وجود مشكله الحمل والولاده ومشكله النسب و المكانه مشكله تستمر آثارها

ولهذا فإن المسلم مأمور بأن بايقرب الزنا مأمور بالابتعاد عن مقدمات الزنا بغض النظر والمرأه المسلمه مأموره بالحجاب وستر العوره فكيف يكون التعري في الحج

المسلم مأمور بعدم الخلوه بالاجنبيه ومأمور أن يقضي الشهوه عبر القنوات الشرعيه الزواج فالمسلم يطلب العفاف

المبحث الثاني

اهميه اعاده ترتيب أحوال الشعوب وبناءها حيث باستقراء أوضاع وأحوال العرب في الجاهليه يجد أنهم كانوا قد وصلوا الي درجه من انحطاط الأخلاقي وفساد العقائد بالتزامن مع الضعف في القوه فقد كانوا أضعف الامم بدليل قول عبد المطلب أنا رب ابلي وللكعبه رب يحميها ومن ينظر إلي أحوال الامه اليوم يجد أنها في جاهليه اشد من الجاهليه الاولي وان الامه في ضعف فهي لم تعد تملك حتي قول لا حول ولا قوه الا بالله فهي ممنوعه من مجرد قول هذه الكلمه ولهذا فالامه بحاجه الي اعاده ترتيب أوضاعها واعاده بناءها كما أعاد اسلام ترتيب أوضاع العرب وبناء الامه وهذا إنما كان بالمنهج القران وهو ما يفهم من تلقين الحق نبيه (المعلم) كيف يكون تصحيح أوضاع وأحوال العرب واعاده بناء هذه المجتمعات حتي تكون وفق الصوره التي يريدتها الله فقال تعالي (قل : أن الله لا يامر بالفحشاء اتقولون علي الله ما لاتعلمون)

الأمر الأول

(ابطال احتجاج المشركين بالعقل والنقل)

تنزيه الله عن الأمر بالفحشاء مطلقا ف الله منزه عن ذلك

لأن الفاحشه اعتداء وتجاوز فكيف يأمر الله بالاعتداء والبغى كيف يأمر بمخالفه امره ف الله لا يامر بفعل الأعمال القبيحه فهو تعالي منزه عن ذلك ومن كمال حكمته أنه لا يامر بالفحشاء بل يأمر بالعدل والإحسان وينهي عن الفحشا والمنكر

أما النقل فلا يوجد ما يعبت عن طريق الوحي المنزل علي رسل الله أنه تعالي أمر بالتعري بالحج وبالشرك بل العابت العكس أنه نهى عن ذلك فهذا الكلام لا واقع له فقال تعالي (اتقولون علي الله ما لاتعلمون)

فلماذا تكذبون علي الله

الأمر الثاني

النهي عن التقليد الأعمى:-

تصور الآيات حال الذين يحتجون بأفعال آباءهم بدون دليل في أقبح صوره تدل علي الجهل فعليك ايه المومن الانتباه أن تبني عقيدتك علي التقليد فاللازم العلم قبل العمل ف الله يقول (فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك)

فالمقلد ليس لديه اجابه مستقره في وجدانه تعبر عن علمه فيما يقوم به من أعمال وبالتالي فهو في اضطراب فالتقليد يولد الجهل ويعمي عن رؤيه الحقيقه وهو أمر قبيح فيه انتقاص من كرامه الانسان الذي ميزه الله بالعقل والأصل أن الإنسان يستعمل العقل بالبحث عن حقيقه الاشياء فالتقليد يولد خمول العقل فيجعله عاجزا مشلول عن التفكير ويولد في قلبه عدم التقه بالنفس ويتنقص من قدرته ويقتل المواهب فيجعله لا يملك القدره على اتخاذ القرار والإختيار للطريق الذي يحدد مستقبله فهو عنصر خامل لا يتفاعل مع ماحوله من العناصر فاقد الاراده فهو اسير وسجين المورث الذي يقلده فهو يعطل الحواس فلا يري الحقيقه ويصدا قلبه فلا يفهم حقائق الأشياء فلا يقبل اي شي لا يكون مقبولا لدي من يقلده

أما التقليد في السلوك كان تقلد الكريم في كرمه وتقلد المتواضع في تواضعه وتقلد الأمين في حرصه علي اداء الامانه فان هذا مسموح أما العقائد فلا يجوز التقليد

الأمر الثالث

لماذا خص القرآن استنكار القول علي بدون علم فقال تعالي (اتقولون علي الله ما لاتعلمون) مع أنه ذكر فعلهم الفواحش قبلها ؟

الجواب

المفهوم الاول

أن هذا الترتيب التصاعدي للمعاصي في القرآن يعود إلي خطوره الافتراء علي الله فهو أعظم من ارتكاب الفاحشة ذلك أن من يفعل الجريمة وهو غير مستبجح الفعل اهون من الذي يستبجح الفعل ويقول إن في ارتكاب المعصيه تقرب لله لأن الله أمر بها دون أن يكون عا لما بذلك

المفهوم الثاني

لأن في هذا جراهه علي الله بأن ينسب إليه أموراً دون دليل فاساس الفساد يعود إلي الثقة بالمورث الذي نسبوه الي الله دون دليل ولأن الشيطان يلجاء الي إسقاط الامه من داخلها من خلال إسقاط قرار العلم والاعتقاد حيث أن إسقاط قرار العلم يكون بالسيطره علي العلماء الذين يعق بهم الناس وبفتاويهم فإذا حصل ذلك صار للشيطان أنصار من داخل المجتمع

ولهذا فإن عدم تعظيم أمر الله جريمه كبيره وأعظم من ارتكب الجريمة نفسها لأن فساد الناس يعود إلي تهاون العلماء بذلك وينتج عن ذلك فساد الاعتقاد لدي المقلدون

ولهذا يذم الله المقلدين في الايه والغرض من ذلك لفت الإنتباه الي أن يسبق العمل العلم

يقول لهم أن هذا الرفض للتخلي عن المورث الفاسد ورفض النظر إلي المصدر الذي اوجد القاعده باعتبار الالتزام بها يتطلب أن يكون لها مصدر تستمد منها قوته

وهؤلاء يرجعون القواعد الي آباءهم ويعتبرون أن في الالتزام بما ورثوه عن آباءهم شريعه الله وأنها فيها الفلاح والنجاح يرفضون أن يضعوا تلك القواعد في ميزان العقل

لأن المصدر الموثوق الذي يحق له الحديث عن الله هم الانبياء والمرسلين لأنهم يتصلون بالله بالوحي

ولهذا فإن التقليد يبيلد الاحساس ويعمي البصيره وينحرف بالشخص عن الطريق المستقيم دون أن يدرك أنه يسير في طريق الضلال فقال تعالي في نهايه الايات (ويحسبون أنهم مهتدون)

لأن فقدان العلم يعني أن تهبط الي منزله ادني من البهائم يولد الاغترار بقواعد وماضي صنعه الجهلاء فينظرون اليها أنها فيها الرشد و النجاه والسلامه فيدفعه الي القول علي الله بما لايعلم لأنه تنازل عن عقله

فالتقليد يعني التناول بما لاتملك أدواته ولهذا فإنه يودي الي الأعراض والابتعاد عن ولايه الله فتصبح تابعاً للشيطان

رابعاً

يحذر الاسلام من التناول بما لاتملك أدواته فهو تعالي يقول في موضع آخر (أن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان. عنه مسؤولاً)

والمسؤوليه تعني أن تعرف ربك وعظمته وجلاله وكمالته وتعرف نفسك بضعفها وافتقارها وهذا يعني أن تقييم علمك علي الإيمان الصحيح بالله واسمائه وصفاته وأفعاله والطريق الموصل اليه وتعرف أوامره ونواهيته لتقييم إيمانك علي العلم لا التقليد وهذا مصدره الموثوق هو الوحي الذي جاء به الرسول من ربه ولهذا يقول تعالي (قل أمر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقاً. هدي وفريقاً حق عليهم الضلاله أنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون)

وهذا فيه الآتي

المبحث الاول

تضمنت الايات الرد علي قول المشركين بأن ما ورثوه من آباءهم هو شرع الله فأخبرهم كيف ينسبون ذلك جهلا الي الله فاباءهم ليس

لهم الحق في الحديث عن الله ولهذا ذكر أوامر الله المنزلة علي جميع رسله لأن الرسل والأنبياء هم الوحيدون الذين يحق لهم الحديث عن الله سبحانه وتعالى لأن مصدر علمهم هو الوحي الذي يتصلون به بـالله أما البشر فإن مصدر علمهم مكتسب ولا يحق لهم الحديث عن أوامر الله ونواهيه لأنها من أمور الغيب فذكر أن الله أمر بالعدل والاستقامة وهو منزه من الأمر بالفحشاء مطلقاً...التوجه بالعبادة لله تعالي في كل حال وشان....اخلاص العمل لله تعالي لاشريك له

فهذه هي نقطة الانطلاق التي ينطلقون منها في الرحلة للإنسان بالشعور أنه مسؤولاً عن أعماله فهو سوف يعود إلي الله في نهايه المطاف

وان الناس انقسموا أمام دعوه الانبياء والمرسلين الي فريقين فريق قبل هدايه البيان التي جاء بها الرسل والأنبياء وهؤلاء وفقهم الله بهدايته الخاصه الاعانه والتوفيق

وفريق رفض القبول بهدايه البيان التي دعاهم إليها الرسل والأنبياء عليهم السلام رفضوا العلم ورفض الاهداء بالمنهج الرباني والاعتداء بالانبياء وتمسكوا بما ورثوه عن آباءهم وأجدادهم واسلافهم اتباع منهم للظن والهوي فاتخذوا آباءهم نماذج قدوه لهم ولهذا فإنه من الصعب اعاده هولاء الي طريق الهدي لأنه لايقدم علي ذلك إلا من لديه استعداد لقبول الهدايه ومن كان شاعرا بالمسؤولية اضافه الي أن المقلد مخدوع يرتكب الجرائم ويعتبر أن ذلك عباده لله وتقرب الي الله

المبحث الثاني

ابتدأت التوجيهات التي تبين ما انزله الله علي رسله من شرائع قاموا بتيلفها للناس هي من انعام الله ورعايته وعنايته ولطفه وإحسانه لـ الإنسان ولهذا استخدام لفظ الربوبيه ثم ذكر اول أمر بقوله تعالي (قل أمر ربي بالقسط)

وبامعان النظر في الايه وما تحتوي نجد أنها تتضمن الآتي

الأمر الأول

لماذا ابتدأت الايه بذكر العدل (قل أمر ربي بالقسط)

أنه باستقراء لمهمه الانبياء والمناهج التي انزلها الله وحيها علي رسله نجد أنها لأجل اقامه العدل بين الناس فجميع الأديان قائمه علي العدل والايات وردت في إطار الحديث عن الأصول العائنه التي جاء بها جميع الرسل

وكذلك فان الايه الكريمه تهدف إلي تصحيح الأوضاع الجاهليه التي كانت تزعم أنها قائمه علي شريعته الله...وهي تشرع للعنصريه و الطبقيه وتصادر الحريات وتنتهك الحقوق باسم الدين بحكم موقع الكعبه في مكه فصاغت قوانين الحمس الذي انتزعت لنفسها حقوقا باسم الدين وان الله أمر بها

وهي بذلك قد انتهكت قيم ومبادئ المساواه والحريه والشوري والاخوه وسياده الشرع....الخ

ولهذا ذكر العدل باعتباره القيمه والقاعدة والجذر الذي تقوم عليه كل القيم وترجع إليه

فغايه ارسال الرسل وانزال الكتب كما قلنا هو العدل يقول الأمين الشنقيطي في كتابه الازمه الدستورية (ومن العدل كقيمه كليه تنبعق القيم الأخري السياسيه وغير السياسيه فالمساواه اداه تحقيق العدل...كما أن الحريه فرع من العدل إذ أن من الظلم تقيد حريه الإنسان دون وجه حق

ومعل ذلك يقال في الشوري فمن الظلم أن يتصرف فرد او قله من الناس في الشأن العام ويتصرف باسم الجماعة في المصالح المشتركة دون شوري أو تراض وتفويض من جمهور الناس أصحاب الحق الاصلي

هكذا يمكن إرجاع كل القيم الإسلاميه والإنسانيه الي مبدأ العدل فالعدل من بين كل القيم له قيمه مطلقه لاتدخلها النسبيه لاتخضع لمنطق تزامم القيم وهو ما يقتضيه من تراجيح لقيمته علي بقيه القيم لانه جذر كل القيم وقد إدراك ابن تيميه ذلك فكتب أن عامه مانهي عنه الكتاب والسنة من المعاملات يعود إلي تحقيق العدل والنهي عن الظلم وعبر ابن تيميه عن خاصيه العموم والاطلاق في قيمه العدل في الإسلام فقال إن العدل واجب لكل أحد علي كل أحد في كل حال والظلم محرم مطلقاً فلايباح قط بحال)

الأمر الثاني

لماذا عبر عن العدل بالقسط ؟

وذلك لأن المتأمل لتاريخ الرسل والرسالات يجد أن الأنبياء كانوا يجدون مقاومه من أصحاب النفوذ الذين كانوا يتعصبون ضدهم خوفاً علي سلطانهم الذي ينظرون أن اقامه العدل يهدد هذه المراكز الجهوية ولهذا أخبرنا الله في موضع آخر أنهم كانوا يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس ولهذا فإن القسط هنا فيه بيان أن الذين ينفذون أوامر الله هم الذين يحفظون الحقوق من الضياع فلا يظلمون لا في قول ولا فعل ولا حركه اي يقومون بإعطاء الحقوق للآخرين بالانصاف لأن الله أمرهم بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى بمعني أنهم يحسنون استعمال الملكات في محلها فالله تعالي يقول (واقسطوا أن الله يحب المقسطين) اي أعطوا الآخرين حقوقهم وانصفوهم فأنوا الله يحب المنصفين...وعكس ذلك القاسطون الذين يستولون علي قسط غيرهم بالجور والظلم كما يقول تعالي (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً)

ولهذا فإن التعبير عن العدل بالقسط يعني الاشاره الي معيار العدل الذي يقاس به الحقوق الذي يكون به تحقيق العدل في كل صورته من تلك الصور فهو من المسؤوليات التي القاءها الله علي عاتق الانبياء الذين ارسلهم الي الناس فهو تعالي يقول في سوره الحديد (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب أن الله قوي عزيز)

والله يقول (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة)

وهو القائل (ولو اتبع الحق أهوائهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن)

فالمعيار للعدل يقاس به الحقوق وهو قد يكون ماديه كالميزان وا الكيالي والمقياس في المقاسات وما الي ذلك

وقد يكون معنوي بالنسبه للانظمة والقوانين والداستير والاعراف والشرائع وهي ما يقاس بها العدل ومن هنا استعمل الميزان كرمز العدل لانه يوزن به الحقوق والواجبات وهذا يتطلب أن يكون الساق الحامل الذي يحمل الكفتين ثابت فالوزن بالقسط يحتاج الميزان فيه الي كفتين ويحتاج إلي عدم التأثير وانت تمسك بيدك الميزان فلا تنظر الي المتنازعين الا بعين واحده لأن من شأن اختلاف النظرات اختلاف الميزان واضطرابه ولهذا فإن الايه تبين اهميه الإنصاف الذي هو العدل القسط اي الاعتماد علي ميزان الحق الذي يحققه وظيفه العدل بالانصاف في الحقوق دون إفراط ولا تفريط فأراد بهذا الاعتدال لأن الناس بين مفرط بالدين وبين من يفرط بالغلو والتشدد وهو ما يؤدي الي البدع والخروج عن معيار الوسيطيه والاعتدال الذي يقوم عليه الاسلام في كل شي وفي كل عمل وبالتالي تضع كل شي في محله

المبحث الثالث

(واقموا وجوهكم عند كل مسجد)

اي توجهوا الي عبادته بالاستقامه عند كل مسجد في كل وقت وكل مكان لأن تاريخ نزول الايه لم يكن هنالك مساجد ولم تكن القبله للكعبه ولهذا فإن المراد بالمسجد هنا بالمعني الواسع خاصه وأنه ذكر الوجه... فالمراد بهذا :-

بيان أن كرامه الانسان التي كرمه الله بها إنما تكون بالتوجه الي الله والإقبال علي في كل حال ولهذا خص الوجه لانه مكان كرامه الانسان وهو ما يقوم به الإنسان الي الشئ وهو ما يسجد فيه الإنسان يعني أن تضع مكان الشرف في الأرض تواضعاً لله وحده لاشريك له ولهذا استعمل لفظ المسجد بالمعني الواسع كما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم (وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً)

فأراد بهذا أن الأمر الإلهي هو أن تقيموا وجوهكم الي الجهه التي امركم الله بالتوجه اليه في الصلاه ونحوه كما قال تعالي (ولكل وجهه هو موليها)

المبحث الرابع

أن علي الإنسان أن يدرك أنه في عبادته لله في كل شأن من شؤون حياته فالدين يطلق علي الاعتقاد والنظام والحساب ولهذا فإنه يراد به أن تكون حياتك كلها خالصه لله سبحانه وتعالى لتكون حياتك كلها عبادته لله ولهذا فما جاء به الانبياء هو الأمر باخلاص العبادته لله والا اعتماد علي الله وان يطلب من الله العون فقال تعالي (وادعوه مخلصين له الدين)

والدين مصدر والمصدر يضاف الي الفاعل والمفعول يقال دان فلان فلانا اذا عبده والطاعه كما يقال دانه اذا ادله فالعبد يدين الله اي يعبده ويطيعه فإذا اضيف الدين الي العبد فلانه العبد المطيع وإذا اضيف الي الله فلانه المعبود المطاع فالدين كل ما يدان الله به من العبادات الظاهره والباطنه

فالاتصال بالله لا يحتاج الي وساطه فالطريق مفتوح

كما قال تعالى (اياك نعبد واياك نستعين)

واستخدم صيغه (وادعوه)

لأن الداعي يرغب الي المدعو ويخضع له ويتذلل فأراد بهذا بيان أن ضابط التوجه إلي الله في كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به فيكون فعله لله عباده فإذا صرف من تلك العباده شيئاً لغير الله فهو مشرك مصادم لما بعث الله به رسله عليهم السلام كما قال تعالى (قل الله أعبد مخلصاً له ديني)

فدعاء المساله متضمن لدعاء العباده فالسائل لابد أن يخلص سؤاله لله معلماً يخلص عبادته لله وهذا يعني أن لا ترتبط بالاسباب وعليك أن تسأل من تنتهي إليه الأسباب فالله يقول (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)

المبحث الخامس

(كما بداكم تعودون)

ذهب المفسرون الي قولان في معني الايه :-

الأول :-

أنه كما بداكم تعودون اي كما سبق في علم الله لما انتم عليه من سعاده أو شقاوه فإنكم تعودون الي سبق علمه

الثاني

أنه تعالى كما بدء خلقكم فهو سبحانه وتعالى قادر علي بعثكم بعد الموت

وهذا هو القول المناسب باعتبار أن الايه وردت في إطار بيان قوله تعالى (فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون)

فأراد بهذا إثبات قدرته علي الاعاده من دليل البدء بالخلق

والايه وردت في إطار بيان اصول الدين التي بعث بها جميع الرسل والتي اتفق عليها جميع الرسل حيث وبالرجوع الي حديث جبريل نجد أنه ذكر الاسلام والإيمان والإحسان وعلامات الساعه بأنها داخله في الدين فقال الرسول صلى الله عليه وسلم (هذا جبريل جاءكم بعلمكم دينكم) بعد أن اجابه عن هذه الدرجات الثلاث مع علامات الساعه فبين أنها كلها من ديننا

والايه تناقض التحولات التي حدثت في تاريخ الأمم واختتمت في نهايه المقطع بقوله تعالى (لكل امه أجل.... الخ

ولهذا يقول لنا الله أن هذه الأمور جاء بها الرسل والأنبياء كلهم فهم متفقون في الدين الجامع للاصوال الاعتقديه والعملية فالاعتقديه هي مثل الايمان بالله واليوم الآخر والعملية والأعمال العامه المذكوره في الانعام (قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم... الخ

وفي سوره الاسراء (وقضي ربك أن لاتعبدوا الاياه... الخ

وهنا قال تعالى (قل أمر ربي بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بداكم تعودون..... الخ

وقوله أيضاً (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي وبغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وان تقولوا علي الله ما لاتعلمون)

فهذه الأمور هي من الدين التي اتفقت عليها جميع الشرائع ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى أن الناس انقسموا بشأن الدعوه التي حملها الرسل إليهم فمنهم من قبل هدايه البيان التي حملها الرسل فأمنوا وصدقوا وهولاء استحقوا الهدايه الخاصه التوفيق والنجاح وفريق رفض قبول هدايه البيان عنادا واستكباراً فقال تعالى (فريقاً هدي وفريقاً حق عليهم الضلاله)

وبينت النصوص العله :-

(أنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون)

ان انقسام الناس يعود إلي الشك والتقليد وعدم اراده الاخره حيث أن البعض يريد بعمله الدنيا فلا يخرج من قلبه حب الخلق

ولا يخرج الأصنام والطواغيت من قلبه فلا يخلص عمله لله فهم لا يؤمنون باليوم الآخر أنه سوف يتحقق إيماننا باليقين الجازم وايضا ينظرون إلي المخلوقات نظره اجلال وتعظيم فالبعض يخاف من البشر أو الجن أنه يمكن أن يصيبه بما يكره فيترك ما يجب عليه خوفا من بعض الناس وقد ورد في الحديث قال الرسول صلى الله عليه وسلم (أن الله يقول للعبد يوم القيامة ما منعك إذ رأيت المنكر أن لا تغيره فيقول رب خشيت الناس فيقول إياي كنت أحق أن تخشني)

حيث أن غياب اخلاص الخشيه لله دون سواه تعني فقدان تعظيم أمر الله وتعني تسلط الشيطان علي الإنسان لأن انقسام الناس الي قسمين لابد انه يدفع أهل الباطل الي اذيه المومنين فإذا أنت وافقتهم علي ذلك حصل له العذاب لأن سكوتك في البدايه يجعلهم يتسلطون عليك بالاهانه والاذي ومن هنا كان الكفر بالطاغوت ركن التوحيد فمن جعل ارضاء الناس بسخط الله أي توتر رضاهم علي رضاء الله عندما تفر من ألم أعداء الحق الي موافقتهم ومتابعتهم فإن هذا يعني أنه فضل ولايه الشيطان علي ولايه الله ولهذا فإن هذا يكون تابعا للشيطان ويفقد ولايه الخاصه التي فيها العنايه والتوفيق والسداد والفوز والنجاح

وكذلك فإن من وسائل الشيطان أنه يلجأ الي حيله نفسه ومدخل يجعل البعض يشعرون بالطمأنينة لما هم عليه ويتصورون أن ما يفعلونه هو الصواب دائما وان الشيطان بعيد عنهم مهما كان قريبا منهم وهذا يجعل العبد في غفله (الكمال الزائف) فلا يهتم بمعرفه عيوب نفسه ويحرم من إصلاحها وتزكيتها والبعض الآخر يصاب بداء الغلو الذي يضخم فيه جانب علي حساب جانب آخر ويتصور أنه علي الحق ولهذا يقول تعالي (ويحسبون أنهم مهتدون)

ولهذا شاهدنا المتشددون الذين كان منهم الغلو في الدين مثلما شاهدنا المفرطون بالدين والجميع يدعي أنه علي الحق

فالمصيبه تكمن في ذهنيه هولاء حيث تغيب عنهم الموزين التي يوزنون بها الحق من الباطل حيث تختلط عليهم الأمور فيرتكبون المعاصي وهم يعتقدون أنهم يقومون بطاعه الله نتيجه غياب العلم واليقين وقد سماهم الله في سوره الكهف بالاخسرين أعمالا فقال تعالي (قل هل نبيكم بالاخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا)

لأن الذي ينصرف الي الباطل وهو يعترف أنه علي الباطل فإنه من السهل أن يعود إلي الحق أما الذي يعتقد احقيه الباطل الذي هو عليه فإنه لا يقبل بالحق اطلاقا وليس لديه استعداد لقبول الحق

فالطغاه والمستبدون يسفكون الدماء الطاهره ويقومون باهانه وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس تحت ذريعة حمايه الوطن يتصورون أنهم يقدمون خدمه للوطن بتلك الأعمال الاجراميه

القسم الثاني

في إطار الدعوه الي الاستقامه علي منهج الله بالوسيطيه والاعتدال بلا إفراط ولا تفريط يتكرر النداء الإلهي الي (بني ادم) الذي فقال تعالي (يا بني ادم خذوا زينتك عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا أنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينته الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياه الدنيا خالصه يوم القيامة كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها و ما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا علي الله ما لاتعلمون ولكل امه أجل فإذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعه ولا يستقدمون)

اولا

تكرار النداء يابني ادم يدل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجد صعوبه ومشقه في ازاحه الاخلاق الفاسده التي تغللت في أعماق المجتمع الجاهلي فعملية خلق المجتمع علي صورته التي يريدها الله تعالي من خلال ازاحه الاخلاق الفاسده واستبدالها بأخرى جديدة فاضله كانت توجه بمقاومه شديده من المجتمع الجاهلي الذي اتخذ من موقع الكعبه المشرفه سلاح للاستعلاء علي الناس فحرموا اللباس والزينه علي القبائل العربيه الأخرى وقالوا نحن أهل الحرم ولا ينبغي لأحد أن يطوف الا في ثيابنا ولا يأكل من دخل ارض الأمن مکه الا من طعامنا فإذا لم يجد من يعيره الملابس من أهل مکه طاف عريان وحتى النساء وهذه الامتيازات التي حظي بها أهل مکه اخترعوها ونسبوها الي الله بأنهم أهل الحمس التي تحرم الآخرين لبس العياب والطعام وكانوا لا يخرجون من مزدلفه وكان الناس يبلغون عرفات ولهذا قال تعالي في البقره (ثم افيضوا من حيث أفاض الناس)

ومن هنا نفهم ابتداء الايه بقوله تعالي (يا بني ادم خذوا زينتك عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا أنه لا يحب المسرفين)

مع أن زمن نزول الايه لم يكن قد شيدت المساجد فلم يكن هنالك أي مسجد لأن منشأ الانحراف والعنصرية التي مارستها قريش باسم

الحمس تعود إلي استغلال اهل مكة منزله الكعبه في قلوب الناس للاستعلاء علي سائر العرب ولهذا فأراد بهذا

الأمر الأول

تربيته المومنين علي اخلاق الاسلام فلا يكون قياده المسلمين للعالم محل تفاخر وتباهي ومدعاه للاستعلاء فلا يحل تحويل الدين الي سلاح فتوي أو قبلي كما فعل اهل مكة الذين اتخذوا منزله الكعبه سلعه تعود عليهم بالامتيازات ولهذا فإن النداء يابني ادم يهدف إلي تذكيرهم باصلهم الأول ادم فدعوه الاسلام للمساواه والانسانيه من أهم القيم التي حملها الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه للناس ولهذا فإن ابتداء الايه بالنداء يابني ادم يهدف إلي فالناس سواسيه فلا فرق بينهم فاختيار العرب لحمل الرساله لايعني اتخاذ الاسلام سلعه للتباهي به أو الاستعلاء علي الآخرين وحتى لا يكون انتصار الاسلام في المستقبل في نظر البعض أنه انتصار للعرب بل هو انتصار للحق

فالإسلام اول من دعا الي المساواه وحارب العنصريه التي كرسها الجاهليه باسم الدين فجاء القران الكريم يدعوا الي ابطال هذه التصورات الفاسده

الأمر الثاني

يهدف إلي لفت انتباهك بأن عليك أن تستحضر الغايه من وجودك والمسؤوليه المترتبه علي التكريم فاختيار كم لقياده العالم يعني أنك في معركه مع عدوك الشيطان فهذا هو عدوك في هذه المعركه والشيطان له جنود وأعوان يدعون الي التعري بالامر بالمنكر والنهي عن المعروف يدعون الي معصيه الله ويأمرونهم بها بالرغبه والرهبه قولاً وفعلاً وإن الشيطان يبحث عن الثغرات التي يتسلل منها فأحياناً يأتي من باب التفريط بتزين الشهوات واحياناً يأتي من نافذه الغلو والبعد والتشدد في الدين ولهذا نجد النصوص تعالج موضوع الغلو و الافراط والتفريط فابتدأت الايه بقوله تعالي (يابني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا أنه لا يحب المسرفين)

١/ الأمر بأخذ الزينه التجميل عند كل مسجد

٢/ الاستمتاع بالطيبات من الأكل والشراب

٣/ النهي عن الاسراف في الزينه والأكل والشرب بتجاوز الحد

٤/ التعقيب بأنه لا يحب الذين يتجاوزن الحد

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

تهدف الايه الي اثاره الاحساسيس لرويه نعم الله والشعور بها

لأن البعض يحاول جاهدا دفع النعمه التي انعم الله بها عليه معتقداً أن ذلك من الدين نتيجته التباس مفهوم التواضع لدي البعض فيري أنه يعني لبس الثياب الممزقه ولهذا يقول الحق (يابني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد)

اي البسوا افضل ما لديكم عليكم بالنظافه فالمسجد محل اجتماع لجميع المسلمين فاللازم علي الإنسان المسلم أن يكون جميلاً في مظهره الخارجي والباطني فكيف تدفع نعمه إخراجها الله لك لماذا تلبس الثياب الممزقه والله قد انعم عليك

المفهوم الثاني

أنه سبحانه وتعالى يحب أن يري ظهور اثر نعمته علي عبده فإنه من الجمال الذي يحبه تعالي في قول الرسول صلى الله عليه وسلم (أن الله جميل يحب الجمال) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (أن الله نظيف يحب النظافه)

وفي قول الرسول صلى الله عليه وسلم أن الله طيب لا يقبل الا طيباً

وفي الحديث عن أبي الاحوص الجشمي عن أبيه قال راني النبي (ص) علي اطمار فقال (هل لك مال) قلت نعم قال من اي المال قلت من كل ما اتي الله من الإبل والشاه قال فلتع نعمته وكرامته عليك)

فهو تعالي يحب أن يري اثر نعمته علي عبده وان يري شكر عبده له علي نعمه

فالاسلام حريص علي أن يكون المسلم أنيقاً وذو ذوق رفيع في كلامه وملبسه وفي كل شي ولهذا يدعوا إلي تميمه هذه الأمور في فكر

المسلم وإحساسه لأنها غذاء الروح التي تجعله يعرف الله ويحبه ولهذا حث الإسلام علي أهميه القصد من التزين هو معرفه الله ومحبهه وطلب رضاه تعالي والتقرب منه ولهذا قال تعالي (أنه لا يحب المسرفين)

ذلك أن شعور العبد بنعمه الله توجب شكره تعالي وتعني رؤييه جمال الله في مخلوقاته ولهذا قال تعالي (يا بني ادم قد أنزلنا عليكم لباسا يوري سواكم وريشا ولباس التقوي ذلك خير.. الخ

فمعرفه خواص الخلق ومافيهم من جمال يدلك علي جمال الرب الذي ليس كمثل شي

فإذا شاهدت شيئا جميل فإن هذا يدلك علي جمال أفعال الرب وتستدل به علي جمال الصفات ثم تستدل بجمال الصفات علي جمال الذات

فالعبد بحاجه الي أن يكون خضوعه لله خضوع مع المحبه ولهذا أنزل الله علي عباده لباسا وريشا ستر وزينه وكذلك جعل الملابس الماخوذه من جلود الحيوانات لوقايه الإنسان من الحر والبرد ومن الحرب فقال تعالي (وجعل لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم باسكم كذلك يعم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) وزينه تجميل بواطنهم التقوي

وهذا يدلك علي جمال الله وجلاله وإحسانه وكماله وعظمته فله العزه جميعا والقوه جميعا والوجود والكرم والإحسان وهذا يولد في نفسك محبه تعالي فهو تعالي خلق كل شي جميلا وهو تعالي يحب الجمال في الأقوال والأفعال واللباس والهنئه ويبغض القبيح من الأ أقوال والأفعال واللباس والهنئه فيبغض القبيح وأهله ويحب الجمال وأهله ولهذا يقول في موضع آخر

(ولقاهم نضره وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا)

فجمال ظواهرهم بالنضره وبواطنهم بالسرور (عن ابن القيم)

فمن عرف الله بجماله الذي لايمائله فيه شي عليه أن يعبده بالجمال الذي يحبه من الأقوال والأفعال واللباس والهنئه والأعمال والأخلاق فيجب علي العبد أن يجمل لسانه بالصدق وقلبه بالأخلاص والمحبه والتوكل والانا به وجوراحه بالطاعات وبدنه بإظهار نعمه عليه في لباسه وتطهيره من الانجاس والأحداث والأوساخ... الخ

فالمعرفه تعني السلوك

الأمر الثالث

عطف علي الأمر باتخاذ الزينه بقوله (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا)

فقد ورد في الحديث الصحيح عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله (كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيله ولا إسراف فإن الله يحب أن يري أثر نعمته علي عبده) رواه النسائي

فما هو الإسراف :-

هو تجاوز الحد ولهذا فإن المعني البسوا واكلوا واشربوا ولكن عليكم الاعتدال لان الخالق لا يحب المسرفين

والإسراف هنا للحدود له معاني عديده فيها (علم الأبدان ..وعلم الأديان)

/١

معني متعلق بالجوع والشبع والظماء والرووي :-

بمعني اذا احسيت بالجوع اكلت وكف عن الاكل اذا احسيت بالشبع وان كان يستلذ باستزاده وان لايشرب الا إذا أحس بالظماء وهذا فيه الصحه للإنسان فالإسلام حريص علي صحه الانسان فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول المعده بيت الداء فقد جمع الاسلام الطب في ثلاث كلمات (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا)

٢

معني اقتصادي :-

فيها حث الإنسان علي الاعتدال في الإنفاق واللباس والماكل والمشرب علي حسب الدخل اي أن المسلم ملزم بالتوازن في نفقاته فلا يتجاوز القدر المسموح به وبنفس الوقت لا يكون بخيلا

٣

شرعي :- يعني لا إفراط ولا تفريط فإن الشارع قد أباح اشياء لكن يجب عليك استعمال المباح بقدرها وفق ميزان عدل لا الهوي فنحن نشاهد كيف يكون الإفراط في المهور والاعراس بالبدخ وفي المقابل نجد من يمنع الفرحة باسم الدين أما بخلا أو تشدد وغلوا ولهذا فإن اسلوب المترفين والبخله والغلاه مرفوض في الإسلام لانهم خالفوا سنن الفطره ولم يبتغوا بفعالهم ارضاء الله فقال تعالي (أنه لا يحب المسرفين)

اي المعتدين لحده بالحلال والحرام والقائلين فيه بدون علم

ثانيا

بعد أن بينت الايه قبلها الأمر الإلهي بالزينه والاكل والشرب بالاعتدال وعدم تجاوز الحد وعقب أنه لا يحب المسرفين يقول الحق (قل من حرم زينته الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياه الدنيا خالصه يوم القيامه كذلك نفصل لأيات لقوم يعلمون)

ابتدأت الايه باستنكار تحريم البعض الزينه باسم الدين حيث أن قريش لما شاهدت المسلمين يطوفون بالملابس عيرتهم علي ذلك فانزال الله الايه وهذا فيه

الأمر الأول

وهذا فيه تصوير الأثر السلبي للبيئه عندما تنحرف عن المنهج حيث أن الموزين والمعيار تفسد لدي الإنسان وتنقلب رأسا علي عقب وتنطمس الفطره التي أودعه الله في الإنسان والتي دفعت ادم وحواء لستر عوراتهما بورق الجنه الهاما من الله فانظر الي بني آدم كيف أنهم يعيرون المسلمون لانهم ستروا العوره أثناء الطواف

ولهذا فإن اول وظيفه للدين هي اعاده الإنسان الي إنسانيته التي فقدها جهلا بالبعد عن دين الله لأن الجاهليه تشوه الفطره وتحول الا نسان الي مرتبه ادني من الحيوان وتفسد الذوق وتجعله يري الحق باطلا والباطل حقا تجعل الإنسان أقل منزله من البهائم أو وحشا مفترس

وهذه هي طبيعه الجاهليه في كل زمان فنحن نشاهد وسائل الإعلام اليوم كيف أنها تسخر من المحجبات في افلامها نشاهد كيف أنها حولت المراه الي سلعه باسم الرقي والتقدم والحضاره وترسم لها صورته ناصعه في اعلامها بينما تدم المحجبه

الأمر الثاني

لماذا أضاف الزينه الي لفظ الجلاله وقال بعدها (التي اخرج لعباده)

تبيين النصوص أن الزينه إخراجها الله اي خلق موادها وكذلك علم الانسان طرق صنعها بما أودع في فطرته من جهد وميل

الي اتقان استعمالها

اي خلقهم مستعدين لظهار آياته في جميع ما خلق في هذا الكون الذي يعيشون فيه بما أودع فيهم من غريزه البحث والكشف في المجهول والاطلاع علي خفايا الأمور ولهذا فإن الإنسان لا يدع شيئا يجول في خاطره الا بحث عنه ففريزه حب الزينه والتمتع بالطيبات من أهم وسائل العمران ومعرفه السنن وهي من الأمور التي صان الاسلام حق الإنسان فيها فالإسلام لا يحارب مباحج الحياه فهو تعالي أمر بالتمتع بالزينه والابتهاج جاء بمنهج متكامل يلبي احتياجات الجسد والروح يستوعب الجد واللهو يستكمل الحاجات والاشواق وتستجيب لضغط الضروره ودواعي الزينه والجمال والكمال فالحياه في الإسلام مستقيمه ليس فيها نسك الاعاجم وعبوس المتزمتمين واضناء الجسد بدعوي ترقيه الروح فجعل بعد الصيام عيد وبعد الحج عيد وجعل المودن صاحب الصوت الجميل فالإسلام لا يعرف التقوي المرهقه القاسيه ولهذا نقرأ (والخيل والبغال.... لتركبوها وزينه) (خذو زينتك عند كل مسجد) (قل من حرم زينته الله... الخ وقال إن يعقوب نبي الله ارسل ابنه يوسف مع إخوانه يلهو ويلعب فقال تعالي (أرسله معنا غدا...يرتع ويلعب... وانا له لحافظون)

ولهذا فإن المومن يجد في بحته الغذاء الروحاني ولهذا فإن التشدد الذي نراه في حياه المغالين ليس من الدين ولم يحرم الله الزينه فمن اضرار الغزو الفكري الاستعماري هو تصوير المسلمين بمجموعه درويش يلبسون الثياب المتسخه وهو مانقل صورته مغلوطة عن الإس

لام باسم الزهد الذي يختلف تماما عن تلك النظريات الفاسده للإسلام لا يصادر مباحج الحياه ولا يحرم ما أحل الله من الطيبات أنه يفرض الوضوء طهاره ونظافه ثم يردف الحكم بالحكمه (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ولعلكم تشكرون)

وفرض الصلاه وبين أن الحكمه أنها تنهي عن الفحشاء والمنكر

وكما فرض الله الصيام اتبعه بالعيد فالصيام الجد في موضعه مطلوب بشرع الله واتبعه بالعيد الذي فيه اللهو وحرم صيام يوم العيد

ولهذا فإن التكامل يقوم علي الاعتدال فالله يعبد باشاعه الفرح والسرور كما يعبد بالجد في معالي الأمور

وهنا تجد من يقول إن ماهو عليه من التزامات والمبالغة في تحريم الاشياء أنه الزهد ويستدل بماورد في قوله تعالى (ولا تمدن عينك الي ما متعنا به أزواجا منهم زهره الحياه الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقي)

فهذا الاستدلال بالايه في غير محله واستدلال فاسد فيه مجافاه لروح الاسلام واصواله وإفراغ لقاعده التكامل في الشريعه عن مضمونها

لأن الايه تبين أن نظره المومن للزينه تختلف عن نظره الكافر ذلك أن نظره الكافر لمتاع الدنيا علي وجه المحبه والتعظيم لها ولاهها

أما نظره المومن للمخلوقات العلويه والسفلي فهي نظره رويه جمال الله وجلاله والتفكر والتدبر فيحصل علي غذاء لروحه

والزينه تختلف باختلاف أحوال وحال الإنسان في السعه والضيق فمن عنده ثواب واحد ستر عورته المغلظه ومن عنده اثنين ستر كامل بدنه وينظر المسلم الي الزينه من حيث أنها طيبه أو خبيثه وهذا يعني انه يفحص مصدر كسبها هل هو حلال ام حرام فإذا كان حرام ك السرقة والغصب فإن المومن لايقبل أن يستمتع بالحرام وايضا فإن المسلم ينظر إلي أن الرزاق هو الله الذي إخراجها ولذلك فإن نظره تعني أنه لا يتعلق بالاسباب في طلبها وانما يأخذ بالاسباب ويتعلق ب الله من يملك الأسباب والمسببات والأرزاق ولهذا فإن نظره المومن للزينه تنطلق من هذه الأمور حتي لايفتن المسلم بما إعطاء الله غيره من متاع الدنيا

الأمر الثالث

مما سبق يتضح بجلاء أن استمتاع المومن بالطيبات والكماليات التي أخرجها الله لعباده تختلف عن غيره فهي تنطلق من اعتقاده أنها وسيله القيام بالعمران في الأرض ولهذا فإن لذته واستمتاعه تختلف قطعاً عن استمتاع الكافر الذي يشاركه بها في الدنيا وهذا يعود إلي اختلاف نفس المومن عن نفس الكافر فنفس المومن شريفه وهمته عاليه لأنه يستعين بالمتاع علي طاعه الله فهو يعرف ربه ويحبه ويشتاق الي لقاءه ولذلك يستعد للقاء المحبوب بالطاعه والتوودد بما يرضا ربه ولهذا يحرص علي أن لايسخط ربه ومحبوه يقول ابن القيم في كتابه الفوائد (فلذته في اقباله عليه وعكوف همته عليه فهذه اعلي مراتب اللذه ودون ذلك مراتب لا يحصيها الا الله حتي تنتهي الي من لذاته في اخس الأشياء من القاذورات والفواحش في كل شي في الكلام والفعال والاشتغال فلو عرض عليه مايتلذذ به الا ول لم تسمح نفسه بقبوله ولا التفات إليه وربما تألم من ذلك...وأكمل الناس لذه من جمع بين لذه القلب والروح ولذه البدن لأنه يتناول المباحات علي وجه لاينقص حظه من الدار الاخره ولايقطع عليه لذه المعرفه والمحبه والانس بربه وهم المذكورون في الايه (قل من حرم زينته الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياه الدنيا خالصه يوم القيامه)

وابخسهم حظاً من اللذه من تناولها علي وجه يحول بينه وبين لذات الاخره فيكون ممن يقال لهم يوم استفتاء الذات (اذهبتم طيبتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها)

فكلا منهما تمتع بالطيبات وانما افترقوا في وجه التمتع فالمومنون تمتعوا بها علي الوجه الذي إذن الله لهم به فجمعوا بين لذه الدنيا والا خرة بينما الكفار تمتعوا بها علي الوجه الذي دعاهم إليه الهوي والشهوه سواء أذن لهم ام لم يؤذن لهم فانقطعت عنهم لذه الدنيا وفاتهم لذه الاخره فلا لذه الدنيا دامت ولا لذه الاخره حصلت لهم

ولهذا فمن أحب اللذه ودوامها والعيش الطيب فليجعل اللذه موصلاً له الي لذه الاخره فيستعين بها علي معرفه الله ومحبهه وعبادته وطاعته لا يحكم مجرد الشهوه والهوي

الأمر الرابع

يعقب الله علي ما سبق بقوله (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون)

أنه بمثل ما فصل احكام اللباس والاطعمه والطيبات من الرزق الذي ضل فيه الكثير من الناس بين الإفراط والتفريط قد فصل الله

للمومنين الحلال والحرام في كل أمر لكن لا ينتفع بهذا الا الذين يعلمون سنه الاجتماع وطبائع النفوس حيث أن العاقل العالم هو الذي ينتفع لانه ينظر إلي الحدود التي أمرنا الله بالالتزام بها أنها هي التي فيها السعاده وينظر الي ما أمر الله به انه فيه السعاده وبهذا يحصل التوازن النفسي والعقلي لانه يجد الحياه الطيبه لانه يحرص علي ارضاء الله ويتجنب أن يسخط ربه

ثالثا

ابتدأت الايه بصيغه القصر للمحرمات فقال تعالي (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها و ما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا علي الله ما لا تعلمون)

المبحث الأول

ابتدأت الايه بصيغه القصر للمحرمات (قل إنما) والتي حصر أوصاف المنكرات بعد أن إنكار حال الذين يتشددون في الدين والتمادي في وضع الاغلال بما لم يأمر به الله فهذا لم يعقل معني الوسيطيه والاعتدال فحياه الإسلام ليست ثقيله باسم الدين وليست منطلقه معريده تحلل من كل القيم فالمتشدد كانه يرفض قبول ما امتن الله عليه من التخفيف الذي وضع عن هذه الامه ما كان علي غيرنا من ثقيل التكليف فهو تعالي يقول في موضع آخر (ياايها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولاتعبدوا أن الله لا يحب المعتدين)

ولهذا يقول لنا الحق أن في الإسلام دائره واسعه شاسعه فسيحه اسمها المباح تنتظم كل شي لم يرد فيه أمر ولانه وهي الأصل في كل شي ومن البديهي أن تصغر دائره المأمورات والمحظورات بجانب دائره المباح ويكفي المباح أن لا يكون ضارا ولامحرمًا ولهذا جاء الحصر (إنما حرم ربي)

المبحث الثاني

أن صيغه الحصر للمحرمات تهدف اضافه الي ما سبق أن تدرك مقاصد الشريعة من هذا التحريم فهو يهدف إلي صيانه الإنسان وحمايته من المفاسد التي تعيق الإنسان عن القيام بدوره في الخلافه ولهذا ذكر الاوصاف لخمسة جنائيات

الاولي :- تهدف إلي حفاظ بقاء النوع مطهرا فذكر تحريم الفواحش وهو ما استفحش واستقبح فقد جعل الله بقاء النوع البشري و التناسل قائما علي علاقته نظيفه الزواج وهو ما يميز الإنسان عن الحيوانات

الثانيه :- (الإثم) تهدف إلي حمايه النفس من جنائيات الذنوب والمراد به الذنوب التي تؤثم وتوجب العقوبه من حصوله

الثالثه (البغي بغير الحق) تقع علي الاموال والاعراض بالاعتداء علي اموال الآخرين وحقوقهم

الرابعه (الشرك) وهي جريمه تقع علي الدين وتفسد القوي العقليه الإيمانية وهذا أمر حظي بحمايه القران لانه من مقاصد الشريعة

الخامسه القول علي الله بغير علم وهذه الجريمه تقع علي العقل

المقطع الرابع

بعد بيان أن التحريم والتحليل سلطه اختص الله بها نفسه وربط ذلك بحق التوحيد فهو الأصل الذي تنبعق منه كل قواعد الحياه ف التوحيد هو الأساس الذي تقوم عليه الحياه ونظام الاجتماع وليس معني التوحيد أن يبقي في النفوس ولايخرج للحياه ليحكم أوضاعها بل المراد به أن يحكم جميع شئون الحياه ويعيد خلق المجتمعات وفقا للصوره التي يريدها الله ولهذا يقول الحق أن الخلافه شرف ويكمن هذا الشرف بالقيام بأمر الله وطاعته فمن خرج عن الطاعه يفقد شرفه وقوته ف الله يبتلي الأمم فإذا استكبروا وخرجوا عن الطاعه عاقبهم بالهلاك ولهذا ابتدأت الآيات بقوله تعالي (لكل امه أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعه ولا يستقدمون)

يقول الحق أن المسلم بحاجه الي أن يعرف المعروف ويعلم المنكر لأن خيريه الامه هي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

معني الأجل :-

أجل لوجودها في الحياه ٢/أجل لعزها وسعادتها بين الأمم

والايه مرتبطه بما قبلها بأن التحريم هو لأجل سلامه الامه وبقائها فهذه الأصول هو المنهج الذي يكون به سعاده الامه أن أخذت به وان هي خالفته كان هلاكها فالحق يقول إن الأمم السابقه جعل الله لها أجل مثل قوم عاد وثمود وقوم نوح بأن ارسل الله عليهم العذاب ولكن بعته الرسول صلى الله عليه وسلم جعل الأجل لعزها وسعادتها بالمنهج فإن هي خرجت عن منهج الله اذله الله بأن سلط عليها من

ان اللازم أن تعلم أنه تعالي جعل لكل شي سنن وقوانين فإذا ارتكبت الامه المخالفه وضحت بقيم ومبادئ الاسلام فإنها تعرض نفسها للهلا ك بزوال عزها ولذلك فإذا أردت أن تحفظ مكانتها وان تستعيد فاعليتها ودورها في قياده العالم فعليها أن تعود إلي المنهج الرباني ونحن نشاهد كيف صار حال المسلمون اليوم عندما تركوا الاجتماع علي منهج الله فقد أصابهم الذل والهون ولهذا وردت الايه تعقيبا علي ذكر أوصاف المحرمات لأن الامه ماموره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا هو الذي أعطاها وصف (خير امه اخرجت للناس) ولهذا تأتي النصوص بعد ذلك بقوله تعالي (يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقي واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بايتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

تأتي النصوص مبينه اهميه أن يبني الإنسان حياته واوضاعه بالموافقه لمنهج الله فهو تعالي قد جعل شرط الخلافه التوحيد وان العهد المقطوع مع ادم حينما سلمه مفاتيح الخلافه علي الارض كان بشرط التزام منهج الله فهذا هو شرط الخلافه الربانيه التي تحظي بالرعايه والعنايه ويكون فيها السلامه والنجاه للمؤمنين أما الذين يتكبرون ويكذبون بالآيات فإن هولاء وان منحوا القوه والسلطه الماديه فهي قوه بلا شرف تكون مصيرها الهلاك فهذا هو عهد الخلافه

فأراد بهذا الآتي

الموضوع الاول

(الدعوه للحفاظ علي المثل العليا للإسلام حيه في النفوس)

ولهذا نجد النصوص تدعو الي التوحيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمن كان المسلمون في ضعف فالمشركون يستخدمون كافة انواع وسائل التعذيب ضد المسلمين وقت نزول الآيات ومع ذلك لم يضعف المسلمون

فالرسول صلي الله عليه وسلم يقف صامدا وثابتا علي الحق ويقول لعنه ابوطالب والله ياعماه لو جعلوا الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا الأمر حتي يظهره الله أو اهلك دونه

فالحق يعلمنا أن قيادتنا للعالم تهدف إلي اخراج البشريه من برائين الوثنيه والأوهام والخرافات الي انوار الحق فهي قياده تنوير العقول والافهام والقلوب بالإيمان فيها نشر الخير والعدل بدل الظلم والشر نشر العلم بدل الجهل قياده تهدف إلي تحرير الإنسان من كل ما يستبعده فقيادتنا فيها اعلاء كلمه الله (لا اله الا الله) اي المساواه بين الناس والحرية فلا يذل الإنسان إلا لله تعالي وهدفنا هو السعي بعمل علي اقامه حضاره تقوم علي المعرفه والحكمه والعدل والكرامه للإنسان فمنزله هذه الامه وعزها مرهون بالقيام بتنمية جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر (كتتم خير امه أخرجت للناس نامرون بالمعروف وتتهون عن المنكر)

فالمسلم يشعر انه مسؤول عن رفع الظلم عن المظلومين حتي ولو كانوا غير مسلمين وان عدم قيام المسلم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يعني أنه تخلي عن دوره في الخلافه وفرط بالامانه ومعني هذا أن عليه أن ينتظر زوال عزه فعزنا مرتبط بالتزام أمر الله وحمل امانه الخلافه وأداء الوظيفه والحفاظ علي القيم والمبادئ والمثل العليا فمن فرط بشي منها يكون قد فرط بعزه

الموضوع الثاني

(ماهي أساس المثل العليا)

إذا كانت خيريته امه الاسلام بالقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن الامر بالشئ لابد أن يكون مسبوق بمعرفته فمن لا يعرف المعروف لا يمكنه الأمر به والنهي عن المنكر مسبوق بمعرفته فمن لا يعلمه لا يمكنه النهي عنه فالعلم به مهم أيضا حتي يصح القصد الي فعل المعروف وترك المنكر فالقصد يتطلب اراده جازمه نابعه عن حب ما أمر الله وبغض ما نهى الله عنه وهذا يقتضي أن يعلم علما مفصلا لا يمكن فعله والأمر به إذا أمر به مفعلا لأن الحب للشئ او بغضه يتطلب تصوره فمن لم يعلم الشئ لا يمكنه تصوره وبالتالي لا يتصور منه حب ولا بغض ولهذا فالأمر بأوصاف لابد من العلم بعبوتها ولهذا فإن معرفه المنكر وانكاره قد يحتاج الي الحجج المبينه لذلك لتقويه قوه دفع الأهواء والقدرة علي تحمل مشقه الطاعه ولهذا قرن المنكر بالفوحش لأن ميناها علي المحبه والشهوه فهي تشتهي وتحب وكذلك البغي قرن بها لانه ابعده من محبه النفوس منشاه قوه الغضب وكذلك فإن الاشرار والقول علي الله بلا علم فإنه منكر محض ليس في النفوس ميل إليهما بل هما من العناد والظلم المحض فمن يتبع الشيطان في هذه الخطوات فإن مصيره هذه الأمم الهلاك لانه بذلك تفسد قواه النفسيه (الحب والغضب) وتفسد قواه العقلية المنطقيه بالشرك والقول علي الله بلا علم

ولهذا يقول لنا سبحانه وتعالى إن رحمته بالناس اقتضت ارسال الرسل الذين يحملون المنهج الرباني الذي فيه بيان الحلال والحرام فقال تعالى (يا بني ادم الم يأتيكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بايعتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون)

اي أن أساس المثل العليا في الإسلام هو القرآن الكريم والسنة النبويه فهو سبحانه وتعالى عندما يقول لك (يا بني ادم)

يقول لك ان هذا المنهج لصالحك ومن أجل سلامتكم وسعادتكم أن القرآن منزل من الله الخالق والصانع للإنسان والخبير بما يحقق سعادته الإنسان فهما المصدران اللذان فيهما الضمانه للحياه الانسانيه في الأرض بكرامه فقال تعالى (فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

الموضوع الثالث

يعلمنا الحق كيف نحمي المثل العليا ويرشدنا كيف نكون اقويا لنتمكن من أداء دورنا في قياده العالم ولا نفقد مكانتنا وعزنا ولهذا يقول لنا الحق أن الموضوع يحتاج الي مراقبه النفس علي الدوام عليك أن تدخل في حسابك انك سوف تموت فالعلم لاقيمه له بدون الخشيه من الله تعالى الذي يتبعه العمل الصالح بأن تنظر إلي أن مستقبلك وسعادتك يكمن في بناء حياتك واسرتك وكل شي من شؤون حياتك علي القران بحيث تكون موافقه للمنهج الرباني وان تكون قائمه علي أساسه فلا تتلقي شي خارج عنه فأنت في معركه مع الباطل ولهذا فاللزام أن تكون في يقظه دائمه وان توطن نفسك علي التحمل في سبيل الله والصبر فلا بد أن تكون ثابتا علي القيم والمبادئ والمنهج الرباني في السراء والضراء

عليك أن تخرج الكبر من قلبك وتذعن لأمر الله وتقبل باختيار الله واصطفاه الانبياء لأن الرسل هم المصدر الوحيد الذي يحق له الحديث عن الله لأن مصدر علمهم الوحي

ولهذا يقول لنا الحق (رسل منكم) هم بشر مثلنا لكن الله اصطفاهم ولهذا فاللزام الاستجابة لهم طاعه لله تعالى فهو تعالى لم يترك العباد بلا توجيهات رحمه منه فمن رحمته ارسال الرسل حاملين المنهج الذي فيه بيان التوجيهات للناس واعطاءكم العقل وأدوات العلم

الموضوع الرابع

(لماذا نحتاج الي التقوي والإصلاح)

عليك أن تدرك أنك في امتحان واختبار تمتحن في المال والجاه والسلطان وتمتحن بالفقر والضعف وتمتحن بالعلم وتمتحن بكل شي

ولهذا فعليك أن تدرك أن البطوله الحقيقيه هي في النجاح في هذا الامتحان الذي يرافقك الي أن تلقي الله فالابتلاء لابد منه ولهذا فإن الذكي الذي يضبط حياته وفق منهج الله

وهذا الاقتران بين التقوي والعمل الصالح يعود إلي أن النجاح يعني أن تكون الفاعليه ايجابية بأن تحمل أعباء المسؤوليه وتنجح في الاختبارات والفاعليه تعني أن تشعر بوجود الله علي الدوام ولهذا تحرص علي أن تتقي غضبه وسخطه وعقابه بالالتزام بأمره فتكون حياتك وحركتك كلها قائمه علي أساس التقوي فيكون العبد حريصا علي المساهمه في بناء دوله التوحيد ويستحضر مسؤولياته وان هذه المساهمه تبدأ من بناء الاسره المسلمه علي أساس التقوي لأنها اللبنة الاولى في بناء المجتمع والاهتمام بها يعني بناء القاعده التي تساهم في تربيته النشأ والأجيال قبل أن يختلط في المجتمع ولهذا جاء الخطاب للخليفه الفرد (فمن اتقى) في إطار الدعوه لدوله الموحدين لأن الفرد يعني اللبنة الاولى الذي يبدأ منه اعداد التحصينات لحماية المثل العليا لأن الفرد له اسره يقودها فاذا قامت الاسره علي أساس التقوي فمعني ذلك كان وقايه الأجيال من الاصابه بعدوي الكفر والشرك وبه يمنع الفساد ولهذا فهو يتجه نحو الاعمال الصالحه التي يكون فيها حمايه المثل العليا بحيث يكون ازاله الشر واستبداله بالخير ونشر العدل والقضاء علي الظلم تسعي إلي محاصره الشر وبناء بد لا عنه مجتمع متماسك علي قيم الخير وهذا هو الإصلاح الذي يساهم به المسلم في إصلاح المجتمع ومحاربه الفساد والانحراف تنظر إلي مستقبلك وسعادتك أنه يكمن بطاعه الله وتربيته الأجيال علي امتثال أمر الله وخوف الله ومراقبته

وان يكون تنقيه الاعويه القلبيه والذهنيه والنفسيه في كل تحركها من الأهواء ومن ركام الفكر الجاهلي فهذا ن هما أساس الامان والسلامة والسعاده والفلاح للإنسان فقال تعالى (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

لا يخافون من الأعداء لانهم يعتمدون علي الله لا يخافون علي الأموال والأولاد ولهذا جاء بصيغه الماضي ولا يحزنون في الاخره علي ما فاتهم اي لا يحزنون في المستقبل فجاء بصيغه المضارع

ولهذا فإن المسلم يشعر باعباء المسؤوليه الملقاه علي عاتقه فهو يسعي جاهدا لإصلاح المجتمع ومحاربه لأن غياب المصلحين والمربين و

القاده يعني استفراط المفسدين بالأرض وبالتالي يحل الهلاك بالامه اذا وصلت إلي المجاهره فالله يقول

(وما كان ربك ليهلك القري بظلم واهلها مصلحون)

الموضوع الخامس

ان العاقل هو الذي يعمل لمستقبله وسعادته ولهذا يدخل في حساباته اليوميه مساله الموت وأنه سوف يقف بين يدي الله ويحاسبه علي أعماله فالدنيا ماهي الا مجموعه مشاهد تمر بسرعه ويلمحه عين تزوال وبعدها يكون مستقبلك وسعادتك فاختر منزلتك ودرارك فأنت أما تكون في الجنه او السعير

العاقل الذي يعرف ربه أنه سبحانه وتعالى الغني ويعرف نفسه أنه الفقيرالي الله المحتاج لله في كل الأوقات

العاقل الذي يعد العده ليوم الحساب فيحاسب نفسه ويسالها ماذا اعددت لذلك اليوم من عمل يحرزها ويحفظها من العذاب

العاقل الذي يصدق بايات الله سواء المرثيه في الكون التي منحك الله مشاهدتها لتري عظمه الخالق من أفعاله ومفعولاته الشاهده علي جماله وجلاله وكماله وعظمته وإحسانه وعطفه وكذلك آياته المسموعه بالتدبر والتفكر وهنا يظهر دور التقوي لأن غياب الخوف من الله يعني الاستكبار والإعجاب بالنفس والفخر والخيلاء تبدأ من الإعجاب بالنفس وتتنور هذه الخواطر والهواجس والمشاعر حتي تصبح فكره فيستحوذ الشيطان علي قلب الإنسان حينها ويفقده توازنه ويذهب عنه العلم الفطري عندها ينسي ربه وينسي نفسه فيكون مطيه الشيطان ولهذا تسمع من هولاء الكثير من الضجيج بالحديث عن ذاته ونسبه وماله ... لأنه مثل الإناء الفارغ الذي يحدث ضجيج عند ابسط حركه بعكس الاوني المتلئبه لاتسمع لها اصواتا فكذلك أصحاب العقول الفارغه فإنهم يحدثون ضجيج

نتيجته الاستكبار والإعجاب بالنفس فنسي نفسه انه عبدا مقهور ولهذا عجز عن تقدير الأمور والحقائق فهو يعيش في قلق واضطراب ونيران تشتعل في صدره في الدنيا فيكون في ضنك شديد تدفعه للافساد في الأرض والظلم بالتطاول والاستكبار ويوم القيامه يكون م لازما وخالدا في نار جهنم

ثانيا

بعد بيان أن شرف الإنسان في طاعه الله والالتزام بمنهج الله واخبرنا الله انقسام الناس من المنهج الرباني إلي قسمين مومن مصدق ؛ اليقين الجازم ومكذب بايات الله ومستكبر واخبرنا بنهايه وعاقبه كل فريق .. بأن الذي يتكبر عن آيات الله ويرفض القبول بالحق الذي جاء به الانبياء فإن هذا يكون عرضه لسنة الله وقانون الخلافه الذي يكون فيه هلاك كل من انسحب من شرف الخلافه وإهدار شرط الخ لافه (التوحيد) ولم يلتزم المنهج ولم يقوم بواجب العهد فإن مصيره الهلاك والاستئصال بالعذاب فقال تعالي (فمن اظلم ممن افترى علي الله كذبا أو كذب باياتنا اولئك ينالهم نصيب من الكتاب حتي إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا علي أنفسهم أنهم كانوا كافرين)

تبين الايه الآتي

الأمر الاول

عليك أن تدرك انه لا يوجد في الأرض اشد ولا أشنع ولا افظع من الذي يخلق الأكاذيب وينسبها الي الله ولا من الذين يكذبون بايات الله سواء المقرؤه أو المرثيه لأن هذا يتطاول علي الحق ويتوهم نفسه عزيزا ولهذا يريد أن يتخذ من الدين سلعه يتاجر بها لتحقيق مصالح شخصيه كما كان حال المشركين الذين اتخذوا الدين وسيله حصول علي منافع ومكانه ومنزله وجاه يمتازون بها علي سائر قبائل العرب

وكذلك الذي يرفض قبول الحق المنزل في كتاب الله أو آياته الكونيه ويكذبها ويحاول دحضها فهذا ارتكب جريمه بشعه

لانه تطاول علي الله ولم يوقر ربه حق توقيره كما فعل اولئك الذين زعموا أن ما ورثوه عن آباءهم وأجدادهم واسلافهم من الشعائر وما شرعوا لانفسهم بأن الله أمرهم بها

واولئك الذين كذبوا بايات الله التي انزلها علي رسله وفيها شرع الله ورفضوا القبول به خوفا علي سلطانهم ومصالحهم فإن هولاء ارتكبوا أقبح انواع الظلم

الامر الثاني

لماذا خص هولاء بهذا الوصف بأن الافتراء علي الله والتكذيب بالآيات اشد انواع الظلم ؟

الجواب

لأن المفتري علي كذبا يعني أنه لم يوقر الله ويقدره حق قدره

والايه تشير أن هذا النوع من الناس هم الذين لهم سلطه القرار والتأثير علي العوام فضلالهم لم يقتصر علي أنفسهم بل امتد الي اضلال غيرهم فصالح الناس وفسادهم يكون من صلاح صاحب القيادة الدينيه (العلماء) ومن القيادة القدرية (الروساء والزعماء) وفساد الناس غ البها ماتكون ناتجه من هولاء أيضا

ولهذا فمعني هذا أنه ليس علي وجه الارض انسان افضل ممن اذعن لمنهج الله ودعا الي الله وعمل الاعمال الصالحه

٢

لأن المفتري مستغني عن تشريعات الله

ولهذا فإن الذي يتناول علي منهج بالانتقاد كما نسمع من دعاه التقدم ممن ينسبون الي الاسلام ظلما الذين يصفون احكام الحدود كقطع يد السارق وجلد السكران ورجم الزاني المحصن بأوصاف قبيحه تدعو الي تنفير الناس من اقامه الحدود فإن هولاء مكذبون بآيات ..وكذلك كل من يقول إن شريعه الاسلام غير صالحه لهذا الزمان ويزعم أنها كانت مناسبه للإنسان البدائي ولاتناسب مع التطور الإنساني ويقدم مشروعا مخالف لمنهج الله يكون ممن شملتهم الايه بأنهم لا يوجد علي وجه الأرض اشد ظلما منهم

فكل من يقدم اقتراحات أو تعديلات تمس منهج الله أو فيها إلغاء نص فإن هذا يكون ممن شملتهم الايه

الامر الثالث

بعدين أن بينت الايات السابقه أن شرف الإنسان بالخلافه وان ذلك مرهون بطاعه الله والتزم المنهج الرباني وان من خالف المنهج يكون فاقد للشرف والقوه وهنا قد يقول قائل كيف يكون ذلك ونحن نري أهل الباطل لديهم دول ذات قوه وسلطان وعز وهم يفترون علي الله الأكاذيب ويكذبون بايات الله ؟

فالجواب :-

أن عليك أن تعلم أن هولاء ينالهم نصيبهم من الأرزاق والإعمار ومن الحياه والعمران اي الاستخلاف الاستعماري فقال تعالي (اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب)

كما قال تعالي (كلا نمد هولاءوما كان عطاء ربك محظورا)

فعطاه الله يكون للمومن والكافر

لمن قال إن المراد بالكتاب هو القدر في اللوح المحفوظ الذي فيه حياه الانسان سعيد أو شقي

فلا يحرم من مظاهر القوه الماديه ... لكن هذه القوه بلا شرف لأنها تكون عرضه للزوال

يقول انظروا الي حال صاحب العزه المتوهمه التي سعي الي بلوغها في الدنيا بالمال والجاه والسلطان التي تكبر وترفع بها بالباطل وظن أنها حصون يتحصن بها أمام أي قوي تحاول قهره وتفاخر بها فقال تعالي (ينالهم نصيبهم من الكتاب حتي إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم ق الوالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا علي أنفسهم أنهم كانوا كافرين)

المفهوم الاول

أن من أراد السلامه فعليه التصديق بالمنهج الرباني لأن قوانينه هي التي فيها السعاده والعز والتمكين والسلامه أما الذي يكذب بالقران فإنه يكون كمن يقود مركبه ليس لها كويح ولا فرامل فهو. يعرض نفسه للهلاك الموكد فهو لم يلتزم بفن القيادة والمسؤوليه المعتبره في رحله سفره

ولهذا فإن نهايه الرحله هو الهلاك لامحاله لان المركبه التي صعد اليها يقودها الشيطان وتصل الي عذاب السعير

المفهوم الثاني

ان الاستعلاء بالباطل من الجاه والسلطان والمال والقوه

لاتحقق السعاده بل إن صاحبها يعيش في اوهام العز المزعوم وخرافات فهو يتصور أن الماده تمثل حصون يتحصن بها حتي يتفاجا بقهره وقبض روحه فقال تعالي (حتي إذا جاء تهم رسلنا يتوفونهم)

لبيان انه مقهور أمام قوه الله فهذا الشخص ظل يلهث وراء الدنيا وملذاتها وظن أنه بذلك يجد العز وتعلق بالدنيا وظن أن المال ترفعه وفيها السعاده فإن هذا لايجد السعاده فهو يظل يلهث حتي غايه انتهاء أجله ويأتي ملك الموت لقبض روحه هنا تنكشف عنه الاغطيه التي كانت تحجب عنه رؤيه العواقب

ولهذا تعرض لنا مشهد الاحتضار كما قال تعالي (قال رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمه هو قائلها... الخ

فالمحتضر يتمني العوده الي الدنيا لاصح ما ترك خلفه من أوضاع فاسده فالموت انتقال من دار الفناء الي دار البقاء وهو أمر محتوم فالكافر انشغل عنه بجمع المال وطلب الجاه والسلطان فلم يعد لما بعد الموت العده ولم يدخل ذلك في حسابه ولهذا فإنه عند الموت ينقسم الناس الي صنفين

المؤمنون تنزل عليهم الملائكه بالبشري والتطمئن لهم كما قال تعالي (أن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكه الا تخافوا والا تحزنوا وابشروا بالجنه التي كنتم توعدون نحن اولياءكم في الحياه الدنيا وفي الآخرة... الخ

وقال تعالي (إلا أن اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون)

أما الكافر فإنه يظل في غفله وشك ومغرور حتي يتفاجا بالموت وعندها يبشر بسخط الله وعقابه وعذابه فقد ورد في الحديث عن عائشه رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه قالت فقلت يانبيي الله اكريمه الموت فكلنا نكره الموت فقال ليس كذلك ولكن المؤمن اذا بشر برحمه الله ورضوانه وجنته احب لقاء الله فأحب الله لقاءه وان الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه)

فالمعتبر من محبه الموت وكرهيته هو ما يكون عند النزوع فأهل السعاده يحبون الموت ولقاء الله يشتاقون الي ما أعد لهم من الجنه

أما أهل الكفر فإنهم يكرهون ما ينتظرهم من العذاب

المفهوم الثالث

يقول الحق انظروا الي العزه المتوهمه التي سعي لبلوغها أهل الدنيا بالمال والجاه والسلطان فهم تكبروا بالباطل وتفاخروا بعباء الله وظن أن فيها العزه وأنها تدفع عنه العذاب وأنها ترفعه ولهذا تأتي النصوص بالحوار (اين ما كنتم تدعون من دون الله)

اين الأموال والجاه والسلطان الذي جعلتم منهم اصناما تعبد من دون الله فأين هي في وقت الحاجه كي تنفعكم وتدفع عنكم العذاب فأين ادم اذا كان انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له وصدقه جاربه وعمل صالح... وهذا كذب بآيات الله ووقف محاربا لها وانشغل بجمع الأموال والجاه والسلطان

فأراد الحق أن ينقل لنا صورته حيه لحال الإنسان بعد الموت من خلال هذا الحوار ليجعلك تشاهد حال الكافر علي سبيل البغض والكرهية فتعترف من أعمالهم

ولهذا يأتي الجواب (قالوا ضلوا عنا)

اي غابوا وتاهوا وقت الحاجه فلم نجدهم... وهذا فيه أن عليك ايه القارئ أن تتنبه لنفسك قبل أن تقع في هذا الموقف فلا تغتر بالمال و الجاه والسلطان

عليك أن تدرك أن العزه إنما تكون بطاعه الله وسبيل الوصول إليها أن تكون عبدا لله والتقرب الي الله بما شرع من الكلم الطيب والعمل الصالح

ولهذا يقول لنا الحق عليكم تزكيه أنفسكم فكل عضو من أعضائك وكل ملكه من ملكاتك خلقت لمعرفة الله ومحبهه وعبادته وتوحيده وطاعته ولذلك أودع في الفطره منهج الاسلام ولهذا فإن الخروج عن الغايه من وجودك يعني أن كل عضو من أعضاء ك سوف يشهد عليك بأنك كنت كافرا فعليك الحذر فقال تعالي (وشهدوا علي أنفسهم أنهم كانوا كافرين)

فلايه فيها رجز الكافر عما هو فيه ليكون ذلك حاملا له علي النظر والتأمل في عواقب امره عواقب التقليد والجحود

القسم الثاني

(قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امه لعنت اختها حتي إذا أداركوا فيها جميعا قالت اخراهم لولا هم ربنا هولاء اضلونا فئاتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون)

اولا

أن الحقيقه التي تتوجه بها النصوص للسامع هي عليك أن تدرك أن من مات قامت قيامته فهو إما سعيد أو شقي من لحظه الاحتضار وما يتلاوها من البرزخ والبعث والنشور ولهذا تنتقل النصوص من مشهد الاحتضار الي سوق الكفار والمكذبين الي نار جهنم حيث تسقط الفتره ما بين الموت والبعث والنشور والحساب فلايه ترسم لنا صورته كأنما يوخذ فيها المتحضر من الدار الدنيا الي النار لتفترس في النفس ترقب الموت بالمسارعه للتوبه والأعمال الصالحه وهذا فيه

الأمر الأول :

يقول لك الحق أن الحياه زمن مؤقت بسيط والموت بدايه لحياه ابدية ولهذا لابد للاستعداد بالعهه لما بعد الموت فالدنيا زمن مؤقت تعيشه ومستقبلك الحقيقي متوقف علي عملك في الدنيا وموقعك هل كنت مع اهل الإيمان والخير والصلاح ام كنت مع اهل السوء و الكفر والإلحاد انظر لموقعك لتعرف ما ينتظرك

فالأمر يحتاج الي حسم الموقف واستشعار المسؤوليه والعواقب قبل فوات الاوان ولهذا قال تعالي (قال :ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار)

وهذا الأمر يحتاج الي المسارعه بالتوبه والانابه والأعمال الصالحه قبل أن يداهمك الموت وتقوم قيامتك

ولهذا نلاحظ أن القرآن قد حشد العديد من المؤثرات الصوتيه والكلمات القادره علي تقويه الاراده والعزيمه وتحمل المصاعب والعبات علي الحق ولهذا بعد أن ذكر تعالي ما يحصل للمحتضر من مشاهده أحواله السئيه عند النزوع ويرى قبيح أعماله فقال تعالي (وشهدوا علي أنفسهم أنهم كانوا كافرين قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار)

فهذه العبارة الساميه قادره علي دفع أهل النفوس الحيه الي حسم موقفهم من دعوه الرسل خاصه وان الايات فيها اسلوب التدرج بأن ا لاهلاك يقع اولا كما قال في الانعام (وشهدوا علي أنفسهم أنهم كانوا كافرين ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون) اي أنه بعد الاهلاك يكون دخول النار وهذا التدرج ذو اهميه لان العاقل اذا وقف مع نفسه وهو يقرأ الايه يربط الصورة في ذهنه فهو يشاهد مستقبله أن سلك طريق المكذبين اين ينتهي

فإن لابد أن ذلك يفزعه ويدفعه الي اعاده ترتيب أحواله لينتظم في صفوف فريق مدرسه الخير والايمان فالفرصه أمامه ما زالت سانحه طالما لم يصل الي مرحله غرغره الموت (النزوع)

الأمر الثاني

يقول الحق أن مصير الناس حسب ولاءهم فاولياء الله مصيرهم الجنة وأما مصير الكفار أولياء الشيطان فمصيرهم الي النار فقال

(قال :ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار)

بعد أن ذكر قوله (وشهدوا علي أنفسهم أنهم كانوا كافرين)

فقد اقيم عليهم الحجه بإرسال الرسل وانزل عليهم الكتب ولهذا فإن المراد بقوله تعالي (ادخلوا)

بيان أن السبب في هذا المصير هو مخالفه المنهج فهذا الخزي والعار والذل والهون لأنهم رفضوا اتباع منهج الله لانه قال قبلها (أما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقي واصلح فلا.....والذين كذبوا بايتنا واستكبروا عنها اولئك أصحاب النار هم فيها خ الدون)

فمصير الناس يوم القيامه حسب المنهج الذي اتبعوه والولاء فمن اتبع المنهج الشرعي الرباني فهولاء يحظون برعايه الله وعنايته ويدخلون الجنة فالتسلسل هنا هو تابع للمنهج فابواه المنهج الرباني يجمع فيها المومنون كلهم من ادم عليه السلام الي قيام الساعه

وان الكفار المستكبرون هولاء يتبعون منهج ابليس ولهذا فإن المصير واحد لجميع الكفار من الجن والانس منذو بدايه نشاه البشريه الي قيام الساعه وهو النار ولهذا يقول الحق لهم ادخلوا مع زملائكم من الأمم السابقه في نار جهنم

ولهذا قدم ذكر (الجن) في سياق الايه علي الانس بدخولهم النار ؟

لأن ابليس قائد مدرسه الشر ومؤسسها وقد كان اتباعه في بدايه الامر ائمه الضلال الذين يدعون الي الكفر والشرك هم من ذريته المرده والشياطين من الجن ثم كان قيامهم باغواء بعض الانس ولهذا قال تعالي في سوره الانعام (يامعشر الجن قد استكبرتم من الانس)

ومن هنا فإن الذي يفهم أن دخول النار إنما يكون أفواجا حيث يؤمر بقاده الضلال والشرك رؤساءهم ثم يكون ادخال الإبتاع ولهذا قدم الجن لانهم قاده الكفر والاغواء ثم يليهم ائمه الضلال من الانس ثم الإبتاع وهكذا ولهذا نجد تقديم ذكر الجن علي الانس في القران في سياق ذكر دخول النار فاول الداخلين ائمه الضلال من الجن فالله يقول في موضع آخر (ولقد ذرنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) ويقول (لاملان جهنم من الجنه والناس أجمعين)

ثانيا

لما كانت الايه تتحدث عن تحذير الناس من اتباع الشيطان وأعوانه وقاده الكفر من الجن والانس يقول لهم انتبهوا أن تطيعوا سادتكم واکابركم علي الكفر والعصيان فإن نهايه ذلك الهلاك في النار فعليكم أن تحسموا موقفكم فلا يكون التنازل منكم عن عقولكم وكرامتكم لا جل ارضاء الأكابر والساده وكسب مودتهم لهذا تنقل لنا الايه مشهد يوم القيامة بان جميع أسباب الموده التي كانت بينهم تتمزق حيث يحصل البراءه من بعضهم البعض فقال تعالي

(كلما دخلت امه لعنت اختها حتي إذا أدركوا فيها جميعا قالت ابراهم لا ولاهم ربنا هولاء اضلونا فئاتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون وقالت أولاهم لاخرهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون)

وبالوقوف علي الايه نجد الآتي

الأمر الأول

تبين النصوص فلسفه أصحاب النار التي يقومون عليها علاقاتهم مع بعضهم بأنها عند الأزمات كلا منهم يلقي اللوم على الآخرین لأن العلاقه بينهم قامت علي المصالح الدنيويه والماديه فهم وان كان بينهم موده اجتمعوا فيها علي الكفر والعصيان فإن هذه الموده تنقلب الي عدواه ولهذا استعمل لفظ (كلما) ظرفيه مصدرية اي كل وقت دخلت امه منها لعنت اختها فتفيد عموم الازمه وامه نكره وقعت في حيز عموم الامه فتفيد العموم أن كل امه دخلت لعنت اختها اي المماثله لها فدخول النار يكون بعد مناقشه الحساب ويعرف بعدها السبب الذي أو قعهم في الهلاك وبذلك يقع في نفوسهم كراهيه ما كانوا عليه فعند دخول النار يعلمون أنهم دخلوها بسبب اتباعهم ائمه الضلال ولهذا يكون اللعن والسب والشتم بينهم كما قال تعالي (ويوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ويلعن بعضهم بعضا)

وهذا فيه الحث علي اختيار الاصدقاء الصالحين الذين يتوصون بالحق والصبر فهم يساعدونك علي الطاعه فهذه الصداقه تدوام فهو تعالي يقول في موضع آخر (الإخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين)

فكل من اشتركا في معصيه يلعن بعضهم بعضا فالاجتماع علي المعاصي من أسباب العدواه والبغضاء في الدنيا والاخره فهي تنقلب الي عدواه لان اجتماعهما علي الشهوات والملذات والمصالح فإذا انتهت ظهرت الأحقاد

الأمر الثاني

(هل اللعن يكون سببا لزياده عذاب الملعون)

بالطبع لا وانما أراد بهذا أن يبين لك ان الاجتماع بين أمر ضروري في حياه البشر وهنا لايد من نظام ومنهج يحكم حياه الناس ولهذا فإن هذا الاجتماع أما أن يكون علي طاعه الله والتوصي بالحق والصبر وأما أن يكون علي المعاصي والمصالح الماديه وطلب العز والقوه فالاول ينطلق من منهج الحق الذي يربط علاقاته برابطه أبواه المنهج الرباني الذي يطلب الاخره ولهذا يجتمعون علي الاعمال الصالحه التي ينظرون لها انها ما يزرعونه لاخرتهم لأن الحصاد من جنس ما زرعوا ولهذا يتوصون بالحق والصبر علي المكاره كما قال تعالي (و العصر أن الإنسان لفي الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتوصوا بالصبر) ولهذا تدوام العلاقه بينهم والثاني يطلب الدنيا وما فيها من مصالح ومنافع ولهذا فإن المنهج الذي يتبعه كل فريق يكون هو النسب الذي ينتسب إليه كل فريق

ولهذا قال (كلما دخلت امه لعنت اختها)

فقله اختها يعني في الاعتقاد والعمل لا من حيث النسب فالكفار اخوه في الشر والكفر والعمل الفاسد بينما المومنون اخوه في الإيمان والخير والعمل الصالح كما قال تعالي لنوح (أنه ليس من أهلك أنه عمل غير صالح) فقله اختها هنا يعني أهل مله النصاري يلعنون قاداتهم من ائمه الضلال من النصاري وكذلك اليهود تلعن ائمه اليهود والمشركين تلعن ائمه الشرك وهكذا

ولهذا يقول لك الحق أن اللعن من صفات أهل الباطل فأراد بهذا

المفهوم الاول

أن تدرك أن الاجتماع علي الباطل ينتهي باللعن والسب عند انتهاء المصالح ولهذا فعليكم أن تحرصوا علي أن يكون اجتماعكم علي الحب في الله والبغض في الله ليكون دوام المحبه بحيث لاتنقطع الموده

المفهوم الثاني

أن الايه تهدف إلي أن تسد الباب علي من يتعلق بالاكابر لأن الاقتداء والتأثر بهم من قبل البسطاء إنما يكون ناتجا عن ما يأملون من الا عتزاز بهم وطلب مصادر القوه فانت تلاحظ الذين يتبعون الاكابر والساده بهدف للحصول علي العزه المتوهمه ورجاء المنفعه من الأقوياء والحمايه وايضا يطلبون مدحهم ورضاءهم ويخافون من ذمهم والانهيار بعلمهم وقوتهم ولهذا تركز النصوص علي نفي تلك الأسباب من كل جهه وإظهار انقطاع الموده بينهم وقت الحاجه

فابتدأت النصوص بدم من يتنازل عن كرامته ويعطل عقله بتقليد الاكابر والساده طلبا لكسب مودتهم فأخبرهم الله أنهم لن يشفعوا لهم ولن يدفعوا عنهم العذاب ولن ينفعوهم

يقول انكم سوف تقفون بين يدي الله من لحظه احتضاركم وسوف تكشف لكم الحقائق فأنتم ترون مقعدكم من النار وتشهدون علي أنفسكم (وشهدوا علي أنفسهم أنهم كانوا كافرين)

يقول لك الحق عليك أن تراجع علاقتك مع ربك فالإنسان علي نفسه بصيرا وسوف تشهد علي نفسك عند حلول الموت بأعمالك الكافره وبعد الهلاك تقوم قيامتك ولهذا أسقطت الفتره الزمنيه ما بين الموت والبعث والنشور والحساب فذكر أنه قائل للكفار المستكبرين الذين رفضوا القبول بمنهج الله واوامره ونواهي

(قال: ادخلوا النار في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امه لعنت اختها حتي إذا أدركوا فيها جميعا قالت اخراهم لا ولاهم ربنا هولاء اضلونا فئاتهم عذابا ضعفا من النار)

وهذا فيه

المبحث الأول

ابتدأت النصوص بذكر المحاوره بين فريقين هم آخرهم دخولا الي جهنم وااولاهم دخولا إليها ؟

والسؤال هنا منهم الآخرون دخولا ومنهم الأولون في الايه وماهو المراد بقوله ذلك ؟

عليك أن تدرك أن المراد بهذا القول لايراد منه الترتيب الزماني لاهل الكفر كما توهم البعض بأن الأولون هم الأسلاف والآخرون الأبناء لا بل المراد به المنزل والمكانه التي انقسم فيها أهل الباطل في الدنيا الي الرتبه فالآخرون هنا تعني العوام والاتباع الرعيه والأولون هم القاده والروؤساء والزعماء لأن كل امه وطائفه وجماعه وأهل مله لا تخلوا من من القاده والروؤساء والزعماء (المتبوعين) ومن الرعيه و الجنود (الاتباع)

فأراد بهذا التحذير من الطاعه العمياء ومن التنازل عن عقلك وحريتك واستقلالك الذي اختصك الله به فكيف تقبل أن تكون تابعا لبشر مملك وتترك طاعه خالقك ومعبودك

وهذا المعني ينسجم مع ما ورد في سياق النصوص التي ابتدأت بذكر حال الكفار عند قبض الأرواح وعندما يقفون أمام الله للحساب و العقاب فالله يقول لك انك سوف تقف بين يدي الله وهو بعدها يأمر بك اما الي الجنه او النار وذكر حالهم عندما يلعن بعضهم البعض وحالهم وهم يتلاحقون حيث يكون دخول الاكابر والساده من ائمه الضلال الي نار جهنم ويتبعهم بعد ذلك بالدخول الي نار جهنم الإبتاع فاستعملت النصوص اسلوب يفزع النفوس من عواقب التبعيه بالاتباع لاهل الباطل بأنهم يجتمعون في قعر جهنم ولهذا فعليكم أن تدرك أن السر الوحيد الذي يكون فيه النجاه هو علاقتك مع ربك فلا تغتر بمدح المدحيين فمدح الناس لن يدخلك الجنه وذمهم لن يدخلك النار

فالإنسان لا يستطيع أن يمنع نفسه من سماع مدح الناس وذمهم لكن باستطاعته أن يمنع نفسه من التأثر بما يقولون فانتبه أن تقف في صف المجرمين فيكون عقابك النار مع الطغاه والظالمين

حيث يكون التلاحق والتتابع كل فريق يتبع قاداته ورؤساءه الذين اجتمعوا معهم في الدنيا علي المعاصي فاستعمل كلمه الدرك لبيان سرعه التلاحق والتتابع كلا منهم يلحق بمن اقتدي من ائمه الضلال فالدرك يطلق علي الحبل الذي يوصل به حبل آخر ليدلوا الماء ويقال ل الإنسان لما يلحق من يبتغيه أدركه اي أنهم تلاحقوا أفواجا حتي اجتمعوا مع بعضهم كلهم بدأ الخصام والمحاورة والقي اللوم علي بعضهم البعض فقال تعالي(قالت اخراهم لاولاهم ربنا هولاء اضلونا فئاتهم عذابا ضعفا من النار)

فأراد بهذا أن تشاهد عاقبه اتباع الاكابر والساده وما فيها من الندامه والحسره حيث أنهم لا يدفعون عنكم العذاب فلماذا تتنازل عن حريتك باتباع أهل الباطل

المبحث الثاني

تبين النصوص أنه بعد اجتماع أهل النار في قعر جهنم تبدأ ماساه التقليد والولاء بين أولياء الشيطان فتظهر العدواه حيث تنكشف المغرور بهم فادحه ما ارتكبوا من جريمه بحق أنفسهم عندما الغوا عقولهم واتبعوا ائمه الضلال الي مخالفه المنهج ومحاربه

ويدخل في هذا الجنود الذين يقولون نحن ننفذ الأوامر العسكرية بالقتل والتعكيل لاهل الحق الذين يأمرون بالقسط

بعد أن يتم الحساب ويرى أعماله التي ارتكبها لأجل ارضاء الاكابر والساده يرى أن تلك الأعمال أوصلته الي الهلاك فهو قبل أن يدخل النار يسأل الله أن يريه الذين اضلوه من الانس والجن كما ورد في سوره فصلت كي يدسوه عليهما تحت اقدامهما هذه هي نهايه الطاعه لغير الله والاحترام لاهل الباطل يعمني أن يراه فيدوسوه تحت أقدمه

فهم لا يرونهم لانهم قد سبقوهم الي النار لأن القاده والرؤساء والزعماء يدخلون النار قبل الإتياع ولهذا يخبرنا الحق أن امه الإتياع تلعن امه ائمه الضلال وهم أصناف فائمه الشرك وائمه يدعون الي القتل وائمه يدعون الي الزنا والفواحش وهكذا يكون كل جماعه صنف ولها قاده واتباع

فعندما يجتمعون في نار جهنم يري الإتياع من كانوا يتبعون من ائمه الضلال وهنا يبادر هولاء الي القول (ربنا هولاء اضلونا فئاتهم عذابا ضعفا من النار)

فسياق النصوص توحى بأنهم وجدوا شئيا كانوا يبحثون عنه ولهذا استعملوا اسم الاشاره (هولاء) اضلونا اي تسببوا في اضلالنا وسألوا الله أن يضاعف لهم العذاب كما قال تعالي في موضع آخر

(وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا واکابرنا فاضلونا السبيلا ربنا اتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا)

المبحث الثالث

ابتدأت الايه بقولهم (ربنا) اي اعترفوا بالرب السيد والمالك لهم ولكل الخالق والمربي الذي يجب أن يطاع وتوجهوا إليه بالدعاء بعدما أنكروا ذلك في الدنيا وجعلوا معه الهه أخرى فهم رفضوا ولايه الله وربوبيته وفضلوا طاعه الاكابر والساده في الدنيا

ولهذا فإن المطلوب منك ايه المومن وانت تقرا الآيات إن تحذر أن تقع في هذا الموقف الذي وقع فيه اتباع الساده والاكابر

فعليك أن تدرك أنه إذا أردت النجاه فعليك أن توثق علاقتك بربك وان تقطع كل علاقه مع ما سواه

فلا تقتر بمدح المدحين فمدح الناس لن يدخلك الجنه وذمهم لن يدخلك النار فالإنسان لا يستطيع أن يمنع نفسه من سماع مدح الناس وذمهم لكن باستطاعته أن يمنع نفسه من التأثر بما يقولون فانتبه أن تنخدع بتزين الاكابر والساده من المجرمين لطاعتهم فإن ذلك يجعلك من اتباع الشيطان وأعوانه ويخرجك من النور الي الظلمات فهذه هي وظيفه ائمه الضلال ولهذا ذكر قولهم (اضلونا)

اي جعلونا نتخبط في ظلمات الجهل والشرك والكفر باخفاء الدلائل علي وحدانيتك والوهيتك وربوبيتك وطاعتك فعبدناهم واطاعهم وتعلقت قلوبنا بهم نتيجته تزين هولاء لنا الأعمال الخبيثه

المبحث الرابع

طلبوا زياده العذاب لهم فقالوا (فئاتهم عذابا ضعفا من النار)

الطلب تضمن فاء الفصيحه وهو فعل دعاء والهاء مفعوله الاول وعذابا مفعوله الثاني وضعفا صفة للعذاب ولهذا نجد نص الايه جاء مخالفا لما ورد في سوره ص (ضعفا في النار)

فالايه استخدامت (من) هنا لأن المراد به جنس العذاب أما في سوره (ص) فيها بيان مكان العذاب أنه في النار

وهذا حاصل لأن دخول الأكاير والساده في العذاب لا بد له من إيقاع مولم للنفس ففي الدنيا معلا عندما يحكم علي الزعماء والاتباع ؛ الحبس لا بد أن الأكاير يتألمون أكثر من العوام رغم أنهم في الحبس جميعا ولهذا فإن الألم والحسره تختلف وهذا لا ينفع الإبتاع ولا يخفف عنهم العذاب كما قال تعالي في موضع آخر (ولن ينفعكم اليوم إذ ظللتكم انكم في العذاب مشتركون)

المبحث الخامس

في إطار وصف أحوال النار والمحاوره التي تكشف لنا نهايه من اجتمعوا علي ضلاله يأتي الجواب علي سوال الإبتاع مضاعفه العذاب للمتبوعين فقال تعالي

(قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون)

الجواب من الحق سبحانه وتعالى لهؤلاء بانه (لكل ضعف)

اي لكم جميعا ما طلبتم من مضاعفه العذاب وهنا لا بد أن نقف علي الآتي

المساله الاولى

(ما المقصود بالضعف هنا)

الضعف يستعمل للزياده في الشئ وهو من الألفاظ التي تختص بالعدد وبالمقدار ويستعمل في التكبير

ولهذا فإن هذا الطلب يعلم منه أنه آتاهم العذاب وهم سألوه زياده قوه منه تبلغ ما يعادل ضعف قوته ولهذا لما وصف يضاعف علم أنه قبل ذلك يوجد عذاب وهذا القول منهم لما علموا أنهم لن قد انخدعوا بعباده وطاعه الأكاير والساده وعلموا أن الضلال هو سبب العذاب الذي هم فيه فعلموا أن الذين شرعوا الضلال أولي بالعقوبه ولهذا كان طلبهم مضاعفه جنس العذاب الكيفيه فاستخدام (من النار) فأخبر الحق أن كلا منهما يستحق مضاعفه العذاب

المساله الثانيه

السوال كيف يكون زياده العذاب علي ما ارتكبوا والله يقول في موضع آخر (من جاء بالسنيه فلا يجزئ الا مغلها) اي أن السنيات لا تضاعف من جهه العدد ؟

الجواب :-

أن المضاعفه من جهه الكيفيه لامن جهه العدد وكذلك قال العلماء وجه مضاعفه الكيفيه بالنسبة للاتباع يعذبون علي كفرهم وعلي طاعتهم المتبوعين وتمكينهم لهم وتكبير سوداهم وكل هذه الأمور

بحد ذاتها ذنوب تستحق العذاب لجهتها وايضا أن الشرك والكفر عليها عذاب مضاعف الكيفيه مع استوائهم في المضاعفه لكنهم متفاوتون في نسبه المضاعفه بأن ما يعذب به المتبوعين يضاعف لهم أكثر من التابعين لقوله تعالي في موضع آخر (يحملون ا

المساله الثالثه

لماذا جاء الاستدراك (ولكن لاتعلمون) بعد بيان أن الجميع يستحق مضاعفه جنس العذاب

يقول ابن عاشور

لرفع ماتوهمه التسويه بين القاده والاتباع في مضاعفه العذاب

بأن التغليظ علي الإبتاع بلا موجب لانهم لولا القاده لما فتنوا ولهذا جاء الاستدراك ولكن لاتعلمون الكثير من الحقائق ولاتشعرون بخفايا المعاني فلذلك ظننتم أن موجب مضاعفه العذاب لهم دونكم هو أنهم علموكم الضلال ولو علمتم حق العلم لاطلعتكم علي ما كان لطاعتكم

اياهم من الاثر في اغرائهم بالازدياد من الاضلال ومفعول تعلمون محذوف دل عليه قوله لكل ضعف والتقدير لاتعلمون سبب تضعيف العذاب لكلا من الطائفتين يعني لاتعلمون سبب تضعيفه لكم لظهور أنهم علموا سبب تضعيف العذاب القاده لانهم اضلوهم لم ينظروا الي فعلهم

وهذا فيه أن عليك أن تدرك أن من اهم أسباب تسلط الطغاه هم طبقة الضعفاء الذين يقفون ضد من يحاول جاهدا إنقاذهم من براثن الوثنيه السياسيه والظلم فهي تحول دون تحقيق هذا الغرض فهم قاعده الوثنيه السياسيه

ثانيا

تستمر النصوص في نقل الحوار بين أولياء الشيطان من القاده والرووساء والتابعين من الجنود والعوام والأنصار فقال تعالي (وقالت اولاهم لآخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون)

الفاء في قوله (فما) فصحيه يقول فيها الاكابر والساده من ائمه الكفر للاتباع بأننا متساوون في استحقاق العذاب كلنا فنحن لم نجبركم علي الكفر وانما كان الكفر منكم باختياركم واهواءكم وجهلكم فقد اشتركنا جميعا في الضلال كما قال تعالي في موضع آخر (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكانا مومنين

قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمينالخ

وهذا فيه بيان نهايه اتباع المستكبرين بأنهم يتبرون منهم ومن أعمالهم فقال تعالي (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون)

وكلمه فذوقوا فيها تشفي واهانه من الاكابر بالاتباع لانهم طلبوا مضاعفه العذاب لهم والذوق استعمل مجازا مرسلا في الإحساس والباء سببيه اي بسبب اعمالكم القبيحه التي جعلتم منها مكسب فإن دعاءكم لم يرفع عنكم الالم العذاب كما قال تعالي (ولن ينفعكم اليوم اذ ظللتم انكم في العذاب مشركون).

فالايه ترسم نهايه العلاقه بين اولياء الشيطان بانه تنقطع كل اواصر وأسباب كل علاقه بينهم والغرض من هذا التصوير للمشهد بأسلوب الحوار أنه يكشف لك المستقبل الذي ينتظرك أن انت اتبعت الاكابر والساده في الكفر والضللال فكلمه ضعفا وضعفا جمع كلمه ضعف وهي بالفتح تعني عند الفراهدي ضعف في العقل والرأي والضعف بضم الضاد تعني ضعف الجسد ولهذا يتوجه الخطاب الي هؤلاء الضعفاء الذين يتنازلون عن عقولهم وحريرتهم بالقبول باتباع الاكابر والساده لانهم ينظرون إليهم أنهم أهل قوه بما يحظون من ملك ومال وسلطان اي غني واقتدار أنهم أهل شانا وعلي هذا الأساس ينظرون إلي أن هذا الأمر علامه السعاده في الدنيا والاخره فهذه المقاييس و المعايير والموزين الخاطئه تجعل الكثيرون يتصورن أن ذلك علامه علي رضاء الله عنه وأنه ينال هذه المنزله في الاخره ويدخل الجنه ولهذا تأتي الايه بعدها مبينه فساد هذه التصورات ويصحح للسامعين التصورات الفاسده فقال تعالي

(أن الذين كذبوا بايتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم ابواب السماء ولايدخلون الجنه حتي يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين)

وهذا فيه

الأمر الأول

يقول الحق أن الاستقلال الذي ينبغي أن يكون عليه العبد لايعني ترك الإلتباع ولكن عليك الإنتباه من الاقتداء بأهل الضلال وانما يكون الا قتعاء بأهل الصواب

فأهل الصواب هم الذين يتبعون منهج الله وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم

وهؤلاء يصدقون بآيات الله المرئيه والمسموعه التي تأمر بالقبول بالحق وتنهاي عن الظلم وهضم الحقوق فمن أراد الاخره فإنه إنما يستعلي بالحق وليس بالمال والجاه والسلطان لانه يعلم أن الدار الاخره إنما تكون لمن قال عنهم الله أنهم أهلها (تلك الدار الاخره نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبه للمتقين)

فانتبه أن تعجب بنفسك وان تستمد عزتك من الجاه والسلطان والمال والكبر فهذه راس المعاصي التي هلك بسببها ابليس

الأمر الثاني

يقول الحق من أسباب ذل وهون الإنسان الاستعلاء بالمال والجاه والسلطان والقوه والقدرة الماديه فمن تعلق بغير الله واستغني بعباء الله عن ربه فإنه لا يقبل دعاءه ولا تفتح له ابواب السماء لأن البعض يري أن التقرب من هولاء فيه الشفاعة والوساطه عند الله فينظر إليهم أن لهم منزله عند الله وايضا يطلبون منهم العزه ولهذا أخبر الله أن هولاء لاتصعد أعمالهم الي السماء ولا اروحهم لأنها اعمال وأرواح نجسه والله يقول (إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه)

فاساس الرفعه وصعود الأعمال هو التوحيد والعمل الصالح القائم علي الإيمان باليقين الجازم فالعزه لله جميعا والتشديد في قوله تعالى (لاتفتح) لكثرة ابواب السماء فهي مغلقة علي الكفار

الأمر الثالث

لماذا جاء التشديد في قوله تعالى (لاتفتح لهم ابواب السماء)

هذا يعود إلي كثرة ابواب السماء وهذا فيه اغراء للمومنين فمعني أن تفتح لك ابواب السماء تعني أنك تعيش باطمئنان وسكينه لاتبالي بـ الهلاء والالام لانك تتصل بالله فلا تبالي بالمعاناة لانك تستيقن أن الله معك تعني أنك تعيش في الجنه قبل أن تموت لانك تتلذذ بطاعه الله فانت لاتفكر في الهموم والاكدار ولاتتشغل بها لانك تشعر أن الله معك اما الكافر المكابر المعاند وكل مكذب بآيات الله واستكبر يعيش في قلق واضطراب ونيران تشتعل بداخله فلا يجد الراحة ولهذا يقول الحق أنه يستحيل ان يدخل الجنه كل مكذب بآيات الله وكل مستكبر وعبر عن استحاله ذلك بقوله (حتي يلج الجمل في سم الخياط)

أنه لو دخل الجمل الكبير في ثقب الابره الضيق الصغير عندها لك أن تقول إنه يمكن أن يدخل هولاء الجنه وطالما أنه محال حصول ذلك فإن دخول الكفار الجنه مستحيل

فدل هذا أن مصير هولاء الي نار جهنم وذيل ذلك بقوله (وكذلك نجزي المجرمين) فالتكذيب بآيات والاستكبار يفضي الي الاجرام ولهذا فمن اتبع المكذبين المستكبرين سوف يكون جزاءه أنه خالدا معهم في نار جهنم فذكر بعدها نوع الجزء فقال تعالي (لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين)

يقول الحق أن هولاء الكفار الخالدون في نار جهنم لهم من جهنم (مهاد) فراش من تحتهم وسماء مهاد ليغرس في نفوس السامعين الا شفاق من العذاب فما امتهدوه واضطجعوا عليه كالفرش الذي يفرش والبساطه الذي يبسط هو نار جهنم (ومن فوقهم غواش) اي الغطاء هو نار جهنم اي احاطه جهنم بهم من جميع الجهات فقد انتفت راحتهم وهذا فيه تفريغ النفوس وتحمل العقلاء علي الاستقامه وان هذا الجزء لكل ظالم مشرك

القسم الثالث

لما ذكرت النصوص مشهد أهل النار في جهنم وما هم فيه العذاب

تاتي النصوص بذكر حال اهل الجنه فقال تعالي (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكف نفسا إلا وسعها اولئك أصحاب الجنه هم فيها خـ الدون ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنه اورثتموها بما كنتم تعملون ونادي أصحاب الجنه أصحاب النار انا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذا ن موذن بينهم أن لعنه الله على الظالمين الذين يعدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالا خـه كافرون)

اولا

لما ذكرت النصوص مشهد أهل النار في جهنم وماهم فيه من العذاب تأتي النصوص بذكر حال اهل الجنه وما هم فيه من النعيم فقال تعالي (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لانكف نفسا إلا وسعها اولئك أصحاب الجنه هم فيها خالدون...الخ

يقول انظروا الي حال الطرف المقابل وما هم فيه من سعادته في الجنه

الأمر الأول

(منهم الطرف المقابل الذين هم أصحاب الجنه)

أخبرنا الله أن هولاء هم الذين آمنوا وعملوا الصالحات...اي صدقوا وامنوا بالله تعالي ورسله وآياته المرئيه في الكون المشهوده وآياته المسموعه التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم من عند ربه وامتلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه وصدقوا باليقين الجازم باليوم الا

ولهذا فإن هذا الإيمان الصادق دفع الجوارح الي الأعمال فالاعتقاد لابد أن يلحقه السلوك ولهذا نجد أن الحق كرر قوله (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) في القرآن (٢٠٠) مره

فالعمل هو شرط الايمان فالإيمان بلا عمل كالشجره بلا ثمره والعمل بلا ايمان لا قيمه له أيضا

الأمر الثاني

لماذا وردت جملة (لا تكلف نفسا إلا وسعها) معترضه بين قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقوله تعالى (اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)

الجواب :-

لأن الايه السابقه وردت بمناسبة ذكر حال الاشقياء المكذبون والمستكبرون عطف بذكر حال السعداء المصدقون بآيات الله وهم الذين حملوا المشروع الايماني ووقفوا في وجه المستكبرون والظغاه فكان قوله مجى الايه (لا تكلف نفسا إلا وسعها) معترضه بين جملة الا بتداء (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) وبين جملة الخبر (اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)

ليبين ان تكاليف حمل الدعوه وما فيها من مشقه ليس صعب وهو سهل وقليل مقابل ما أعد الله لهم من الجنة فهو تعالي لم يكلفهم فوق طاقتهم فالتكاليف في نطاق الوسع بقدر طاقه الإنسان وسعته فلا مشقه

/٢

يقول لك الحق هل تريد ان تكون من أصحاب الجنة فإن الطريق لذلك هو الاستقامه علي منهج الله بالإيمان باليقين الجازم والعمل الصالح فهو الذي تبني علي أساسه الشخصيه الاسلاميه وتبعا لما جاء به بحيث تمتزج فيها الدوافع الفطريه بالمفاهيم الاسلاميه عن الحياه فيصبح ميول الشخص وتفكيره ووجدانه ومقاييسه ومراجعته كلها للإسلام وقبوله للأشياء والافعال والنفور لها ورفضها كلها تابعه ل الإسلام والمنهج الرباني بحيث تكون عقليته ونفسيته اسلاميه وعلي قاعدته المنهجيه وموافقه له ولهذا يقول الحق لاتظنوا أن الله امركم بأعمال تفوق قدرتكم فليس المنهج الرباني الذي هو شرع الله الذي يجب أن يكون عقيدته في القلب (آمنوا) وسلوك (عملوا الصالحات) فوق طاقتكم وإياكم أن تظنوا أن الخالق قد كلفكم بما يشق عليكم أو أن تشريعاته رغبه في ارهاقكم فليس الأمر كذلك ف الخالق الذي خلقكم والصانع الذي صنعكم يعلم قدره المصنوع فلا يكلفه فوق طاقته فما انزله الحق في كتابه هو في نطاق الوسع فالله جعل العمل علي قدر استطاعه العبد فلم يكلف أحد فوق طاقته

/٣

فيها أيضا التنبيه بأن الجنة مع عظيم قدرها يتوصل إليها بالعمل السهل من غير تحمل الصعاب فأراد بهذا أن يغرس الشوق لما عند الله ولهذا جاء بجملة (لا تكلف) معترضه بين المسند إليه والمسند علي طريقه الادماج وفائده ذلك تطمئن المومنين بأنهم لا يطلبوا من الال عمال الصالحه بما يخرج عن الطاقه فهم لن ييلغوا الجنة بأعمالهم وإنما برحمه الله تعالي

الأمر الثالث

لماذا جاء الحصر بملازمه الجنة للمومنين الذين حملوا المشروع الايماني ووقفوا ضد الباطل وأهله عليهم دون غيرهم في قوله تعالى (اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون)

هذا فيه تقويه الارده والعزيمه وغرس الهمة العاليه في النفوس للمومنين ما يجعلهم يشتاقون لما عند الله ويعملون بالاسباب التي توصلهم الي الجنة فلا يبالي بالمكاره ويولد فيه قوه النشاط للأعمال الصالحه والرغبه في الطاعه فيجد لذه الطاعه فيدخل الجنة وهو في الدنيا

وايضا هذا فيه تاييس آخر للمشركين المستكبرين من دخول الجنة

الأمر الرابع

قوله تعالى (ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار

)

النزع هو:

قلع الشيء عن مكانه ولهذا فإن المراد به أما أن يكون معناه اذهبنا ما كان في قلوبهم في الدنيا من أحقاد وضغائن فدل هذا أن قلوب أهل الجنة غير قلوب أهل الدنيا فالإيه تعطينا صورته حال المومنون في الجنة بعد أن ذكر حال أهل النار أنهم يتلذذون فجاءت النصوص تبين حال المومنون أنهم في الجنة أخوان متقابلين لأنه قد أخرج من قلوبهم أسباب الحقد والضغائن الذي قد يوجد لدى البعض في الدنيا وهذا ما بينه الحق في سورة الحجر فقال تعالى (ونزعنا ما في صدورهم من غل أخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب ولا هم منها... الخ

وهذا فيه أنه قد يوجد ضغائن في الدنيا بين المومنين بحكم بشريه الإنسان والتنافس فيها فجاء التعبير بالماضي (ونزعنا) للتعبير عن المستقبل للتنبه على تحقيق وعده وانها لامحاله فعليك أن تزهد عن الدنيا لأن الحقد والضغائن إنما يكون من التعلق بالدنيا وما فيها وبانقطاع تلك العلاقه ينتهي ما في النفس من عله الحقد والضغائن فأراد بهذا الأخذ بيدك لتعيش في الجنة وانت في الدنيا وبالتالي فإن أول خطوه لذلك أن تقلع من قلبك الحقد والضغائن فإن فعلت ذلك ذقت لذة الجنة وانت في الدنيا

ولهذا روي عن الامام علي رضي الله عنه قوله ارجوا أن أكون أنا وعثمان وطلحه والزبير من الذين قال الله فيهم (ونزعنا ما في صدورهم من غل)

وذكر في الحديث عن أبي سعيد الخدري أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (إذا خلص المومنون من النار حبسوا علي قنطره بين

الجنة والنار فاقتصص لهم مظالم كانت بينهم في الدنيا حتي إذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة... الخ

الأمر الخامس

فائده جملة (تجري من تحتهم الأنهار)

الجملة في موضع الحال أي أنهم في أمكنة عاليه تجري الأنهار من تحتهم وفائده هذا اظهار ماهم فيه من نعيم مقابل ما ذكر من حال الكفار أنهم في نار جهنم هي الفراش واللحاف يصطلون بها

فذكر أن المومنون في جوا نعيم جالسين والأنهار تجري مياها من تحتهم

ثانيا

لما أخبر الله عن حال أهل النار أنهم يتلذذون وينشغلوا بالخصام تأخذنا الآيات في رحله نشاهد فيها حال المومنون فقال تعالى

وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ولقد جاءت رسلنا بالحق)

الأمر الأول

لماذا جاء التعبير بالماضي (وقالوا) والمراد به المستقبل ؟

الجواب ؛

يريد الحق أن يصل إيمانك بهذا المستقبل إيمانا باليقين الجازم كأنك عشت فيه فأخبرنا الحق أن أهل الجنة منشغلون بالحمد والثناء علي الله تعالى فقال تعالى (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا)

كيف يقولون ذلك ؟

يحتمل أن يكون قول ذلك في نفوسهم باراده التقرب من الله بحمده

ويحتمل أن يقولوا ذلك وهم مجتمعون لأن الآيات تنقل لنا النهايه التي يعيشها الفريق المومن في الجنة ونعيمها بعد نقل نهايه فريق الكفر والشرك والاستكبار في نار جهنم فالآيات تتحدث عن أحوال فريقين كانوا مختلفين في الصفات والأهداف وتبين أن النتيجة و

العاقبه كانت مختلفه أيضا ولهذا تنقل الايه مانجم عن الاختلاف في العاقبه والجزاء فالناجي لا يكاد يصدق أنه نجا كما أخبرنا الله في موضع آخر فقال تعالي (فيقول هاوهم اقروا كتابيه اني ظننت اني ملاق حساييه .. الخ فما الذي أسعده هل هو عمله كلا وانما رحمه الله شملته وما هو ذا في الجنه يتنعم بما فيها مما لاعين رأت ولاخطر علي قلب بشر فهم في فرح وبهجه

وهذا الأرجح لأن الايه قبلها تحدثت عن حاله نزع ما في قلوبهم وهم في حاله الاجتماع ولأن من أهم فوائد نزع الغل من الصدور منع الحقد علي ما يعطي فيه العباد من الدرجات والمنازل المتفاوته في الجنه فذكر الحمد والشكر لله بعدها لبيان ان من نتائج ذلك أن كلا يشكر الله علي فضله ولهذا تأتي الاشاره (لهذا) اي جميع ما هو حاضر من النعم

وقت الحمد والهدايه هي الإرشاد والسداد الي أسباب الايمان والعمل الصالح فجاء الاعتراف بفضل الله وتوفيقه (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)

فهم يتذكرون ما كانوا فيه قبل الايمان من ضلال ويتذكرون كيف أن الله وفقهم للأعمال الصالحه والايمان بأن سهل قبول الدعوه التي دعاهم إليها الرسل ولهذا ابتدأ بالحمد والثناء والاعتراف بفضل الله عليهم يتذكرون أسباب الهدايه وهم يتسامرون مع بعضهم فهذه الذكريات للأمور المحبوه التي تتلذذ النفس بتذكرها

ولهذا يأتي الثناء بقولهم (ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله)

في موضع الحال فيها تعظيم أمر الهدايه وتوفيق الله لهم حال بعدهم عنها لولا توفيق الله ولهذا جاء بجملة الحمد لله والثناء علي الرسل والشهاده لهم بقيامهم بالدعوه اظهر نعمه ارسال الرسل وتصديقهم فقال تعالي (لقد جاءت رسلنا بالحق)

بأن تيسير الله لهم قبول دعوه الرسل وامتنالهم أمر الله نعمه عظيمه حرم منها المستكبرين المكذبين لايات الله فقد أصبح علم اليقين الذي آمن به المومنون بالدنيا علم حق اليقين ولهذا تنقل لنا الايه بعدها مظهر من مظاهر التكريم والترحيب الذي يحظي به المومنون في الجنه فقال تعالي (ونودوا أن تلكم الجنه اورثتموها بما كنتم تعملون)

فأراد بهذا الآتي

المفهوم الاول

أن واجب كل مسلم نحو ربه أن يعمل جهد الطاقه مستعينا بالله تعالي أن يوافق له لما يحب ويرضى بعلمه أن النجاه إنما يكون بعون الله وتوفيقه له لأن يكون من أهل الجنه فإخلاص العباده لله والاستعانة بالله هي أساس الطريق المستقيم فالله يقول (اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

المفهوم الثاني

تهدف النصوص أن تكون الجنه مائله أمام عينيك بنعيمها وسعادتها يريد أن تملك الآخره مشاعرك وتستولي علي فكرك بنعيم الجنه وجحيم النار بسعادة الجنه وشقاء الحجيم ولهذا بعد ذكر شقاء أهل النار تأتي النصوص مبينه سعادته أهل الجنه

فاستعمل النداء (ونودوا أن تلكم الجنه اورثتموها بما كنتم تعملون)

النداء في حقيقته اعلان الخطاب ويطلق غالبا في التعبير عن دعاء اخر ليقبل بجسده أو فهمه لسماح الكلام ولايشترط أن يكون بصوت مرتفع فالله يقول لنا عن زكريا (إذ نادى ربه نداء خفيا)

ولهذا فإن النداء هنا في هذه السوره (ونودوا) تعني القول

فمن الذي نادهم يجوز أن يكون المولي سبحانه وتعالى ويجوز أنهم الملائكه فالايه وردت في إطار بيان مظاهر النعيم ولهذا فإن الذين ينادوهم هم يجوز أنهم الملائكه لقوله تعالي في الزمر (حتي إذا جاوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خ الدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الأرض نتبوا من الجنه حيث نشأ فنعم اجر العاملين)

وقال تعالي أيضا في موضع آخر (والملائكه يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار)

المفهوم الثالث

تهدف الابه الي تقويه الارداه والعزيمه وتحمل المشقه فالإيمان بالعوام الجزيل علي الاعمال الصالحه القليله من أعظم الدوافع علي القيام بأعمال الخير والبر والاصلاح في الأرض برغبه وارده قويه بالإيمان بانك سوف تلاقي ثواب اعمالك التي تقدمها عند الله فقال تعالي (وتلكم الجنه اورثتموها بما كنتم تعملون)

فاستخدام اسم الاشاره للجنه (تلكم) الذي حقه أن يستعمل في المشار إليه البعيد مع أن الجنه حاضره بين أيديهم والقصد من ذلك رفعه شأن الجنه وتعظيم المنه يقول لك الحق أن سلعه الله غاليه

وهذا يحمله علي الصبر واحتمال الانزي والشدائد في حمل المشروع الرباني

فالسوره نزلت في وقت شده الصراع بين المسلمين والكفار مع بدايه الامر بالجهر بالدعوه فقد كانت تلك مرحله جديده في حياه المسلمين مرحله الاعلان والمواجهه وهي مرحله حساسه فقد كان هنالك صعوبه لدي البعض نتيجته شده الاضطهاد وهذا هو حال الدعوه في كل زمان في بدايتها وبالذات عند الانتقال لمرحلة الجهرية فكان هذا التقسيم لأحوال الناس في الاخره فيه رسم نهايه الصراع بين الحق والباطل

يقول لك الحق اين انت من هذا الصراع ؟ لابد أن يكون لك موقفا

هل انت مع اهل الجنه ام اهل النار حدد موقفك فلا تتقف موقف المتفرج

فهذا الموقف يحتاج منك حزم وارده وحسم فلا مجال للتذبذب فأين تحب أن تضع نفسك فهذه هي نتيجته الصراع فهذا التصوير من أعظم الحوافز علي تخفيف الالام

فما تواجه من مصاعب في الدنيا لاتساوي شي مقابل النعيم الذي أعده الله لك ولهذا يقول الحق بعدها (اورثتموها)

والارث حقيقه مصير مال الميت الي اقربائه فيقال ا ورث الميت فلان بمعني جعله وريثا له ويطلق مجازا علي مصير شي إلي أحد بدون عوض ولاغصب تشبيها بارت الميت كما قال تعالي (اورثنا الأرض نتبوا من الجنه حيث نشأ) كلام جري مجري المثل عن ورث الملك لأن الحق جعل العطاء في الدنيا للمومن والكافر أما في الاخره فالعطاء الإلهي يكون للمومن فقط اما الكافر فهو محروم من العطاء في الاخره لقوله تعالي (من كان يريد العاجله عجلنا له فيها ما نشأه....ومن أراد الاخره وسعي لها سعيها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكور ا كلا نمد هولاء وهولاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم علي بعض والاخره اكبر درجات واكبر تفضيلا) فحارث الدنيا يكون محروم من العطاء في الاخره لانه قد استمتع في الدنيا فلذته منقطعه

ولهذا فإن العطاء بالاخره يكون للمومن عطيه من الله فالمعني صارت الجنه عطيتي وروي السدي أن للناس منازل في الجنه ومنازل في النار فإذا دخل اهل الجنه منازلهم في الجنه وادخل اهل النار منازلهم في النار رفعت الجنه لاهل النار فنظروا منازلهم منها فقيل لهم هذه منازلكم لو علمتم بطاعه الله فقال يا اهل الجنه ورتتموهم بما كنتم تعملون فتوزع تلك المنازل علي اهل الجنه)

المفهوم الرابع

أن علي المسلم أن يعلم أن تقسيم الناس في الاخره الي اهل النعيم واهل النار يعني أن دخول الجنه فضل ورحمه من الله فالاعمال ليست هي موجب لدخول الجنه وانما توجيه من حيث أن الله وعد العاملين أن يتفضل بها بمحض رحمته وكمال فضله وإحسانه ولما كان الوعد في بالتفضيل في حق العاملين بمقابله أعمالهم كان العمل بمنزله السبب الموصل إليها فلذلك قال تعالي (اورثتموها بما كنتم تعملون)

وبالتالي فلا تعارض بين الابه الكريمه وبين قول الرسول صلى الله عليه وسلم (لن يدخل الجنه أحد منكم عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا أنا إلا انا يتفمديني الله برحمه منه وفضل)

لأن إطلاق الايراث استعاره تشبيها للعطاء بالتوريت في سلامته من التعب والاكتساب فدلته كلمه الإرث أنها عطيه من الله هنيئه بلا تعب ولامنازعه وانما محض فضل من الله أما قوله تعالي (بما كنتم تعملون) ثناء عليهم من الله علي أعمالهم القليله مقارنة بالجنه أنه تعالي أعطاهم هذا العطاء تقديرا لجهودهم وسعيهم فهو تعالي شكور لانهم أرادوا حرث الاخره وجعلوا لقاء الله هدفا لحياتهم فكان منهم السعي بالعمل الصالح قاصدين بذلك النجاه والسلامه من غضب الله وسخطه...اردوا مرضات الله وشكر الله علي انعامه فهم لم يكونوا ينظرون أن أعمالهم توصلوهم الي ما ناولوا وانما عملوا ذلك طمعا بثواب الله وتركوا المعاصي خوفا من عقابه ولهذا جمع بين الإرث والباء السببيه (بما كنتم تعملون)

كما قال تعالي (ومن أراد الاخره وسعي لها سعيها وهو مومن فاولئك كان سعيهم مشكور ا) وقال تعالي (انظر كيف فضلنا بعضهم علي

بعض وللاخره اكبر درجات واكبر تفضيلا)

ثالثا

تهدف الآيات الي تربيته المومنين علي التعامل مع هذه المفردات (الجنه والنار) (العواب والعقاب) (النعيم والعذاب). يقول لك الحق أن هذه المفردات ينبغي أن تربط بينها لتودي كلا منها دورها في الحياه لتكون هي الميزان الذي نقيس بها الأشياء من حيث الفاعليه الا يجاييه أو السلبيه

نقيس بها موقعنا ومواقفنا ومنطلقتنا لتتحول هذه المفردات الي مفاهيم أو منتجته للمفاهيم المتصله به وبالتعاطي مع الأسباب التي توصل الي كلا منها أما بالحب للأسباب التي يكون ثمنها الجنه والنعيم فتكون باعثا علي طاعه الله وتقويه الارداه وكذلك بالبغض للأسباب التي توصل للنار والعذاب فيكون مانعا من ارتكاب المعاصي وهذا فيه تقويه قوه الغضب فيكون غضبك في الله ولهذا ذكر قال تعالي بعدها (ونادي أصحاب الجنه أصحاب النار... الخ

وبالوقوف علي المفاهيم التي ترتبط بمفردات ذلك نجد الآتي

المفهوم الاول

عليك أن تفهم أن الدنيا ليست دار الجزء بل هي دار عمل وابتلاء وان الاخره هي دار الجزء ولهذا فإن المتأمل لحوال الناس في الدنيا يجد ان اهل الفساد والكفر والبغي والعدوان يرتكبون الجرائم فترتي تسلط الأقوياء علي الضعفاء ولازني في أغلب الحالات الجزء في الدنيا فريما نموت قبل أن نري مجازاه المسي علي إساءته وهذا لأن الدنيا إنما هي دار امتحان واختبار فلا تتوهم أن الجزء لا يبد أن يتحقق في الدنيا ولهذا فإن الجزء في الاخره وهذا من أهم مظاهر العدل والحكومه أن يبعث الله الناس ويجازيهم علي أعمالهم الجزء الا وفي فيوم القيامة يكون توفيه الجزء فهو تعالي يقول في موضع آخر (إنما توفون أجوركم يوم القيامة)

فهذا اليوم بالنسبه لجزء الكفار بالنار هو العدل وبالنسبه لدخول الجنه فهو الفضل والرحمه

المفهوم الثاني

يقول الحق لعباده أن القوي هو الذي يستمد العزه والاستعلاء من الله لا من يستمد العزه والكرامه من المال والجاه والسلطان يقول انظروا الي حال اولئك الذين ترونهم في حياتكم في كل زمان من المستكبرين الذين اغتروا بالقوه والجاه والسلطان والمال فاقبلوا علي ارتكاب الجرثم لانهم ينظرون لأنفسهم أنهم في مناي من الحساب والعقاب انظروا إليهم وهم في النار لأن المومنون في كل زمان قد يعانون من الاضطهاد من الأكاير والساده الذي يقفون في وجه الحق ويموتون ولم يحصلوا علي العداله فإنهم يوم القيامة عندما يشاهدون حال المستكبرين الذين كانوا يضطهدونهم في الدنيا لا يبد أنهم يجدون في ذلك ما يدفعهم الي التعبير بما هم فيه من نعيم والتوبيخ و التقرير للكفار فهذا جزء من العدل فقال تعالي (وناد أصحاب الجنه أصحاب النار)

جاء النداء عطفًا أما علي قولهم (الحمد لله) اي عطف القول علي القول فحكي قولهم المنين عن فرحتهم وبهجتههم وسرورهم عما انعم الله عليهم برحمته من نعيم الجنه

وأما عطفًا علي قوله (ونودوا) اي عطف قصه علي قصه بمناسبة الانتقال من مناداه الله للمومنين أو الملائكه انتقل الي مناجاه

المومنين لأصحاب النار والتعبير في كلا الوجه عن أصحاب الجنه دون ضميرهم توطئه لذكر أصحاب الأعراف وأهل النار للتعبير عن كل فريق بعنوانه لتشاهد أهل النار بالبغض والكراهية لهم ولأعمالهم والأسباب التي كانت سببا في دخولهم النار وتشاهد أهل الجنه بالحب و التقدير لهم ولأعمالهم والأسباب التي كانت سببا في هذا النعيم ولتشاهد أهل الأعراف وماهم فيه فيكون منك تحديد موقعك الذي تحب أن تكون واقفا فيه فهذا هو المستقبل الذي ترسمه الآيات فعليك أن تحسم موقفك وان تقف بوجه الأعداء لا تنظر إلي ما لدي الكفار من أموال وجاه خاصه في بدايه المرحله حيث يكون اتباع الدعوه الضعفاء والفقراء ولا يبد أن يعترضوا للسخرية والاستهزاء من قبل المجرمين المغترين بعبء الله لهم الذين يتفاخرون ويتعصبون لآثار مواقع النعم بالظلم والجور والكبر اعتبروا أن الرضا والسخط بالمال والولد فقالوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه... وقالوا نحن أكثر أموالا وأولاد ا وما نحن بمعذبين)

فلا تظن أن ذلك مسارعه من الله لهم بالخيرات فإن سخرية هولاء بالفقراء يعود إلي جهلهم بمواقع الفتنة والاختبار في موضع الغني والا فتدارف الله يختبر العبيد المستكبرين في أنفسهم بأوليائه المستضعفين في أعينهم

أما الدار الاخره فهي للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقبه للمتقين

المفهوم الثالث

ما دلالة التعبير بالماضي (ونادي أصحاب الجنة أصحاب النار)

مع أن النداء يكون في الآخره ؟

أراد بهذا أن يجعلك تشعر بتحقيق وقوعه وتأكيده والمعني أن

عليك وانت في الدنيا أن تنظر إلي عطاء الله للكافر المال والجاه والسلطان أنه ابتلاء وامتحان عليك أن تجعل همك ارضاء الله تعالي وان تخاف عذابه فلا يكون عطاء الله الكفار والضجيج الإعلامي الذي يلجأ إليه أهل الجاه والسلطان سببا لانسحابك عن حمل المشروع ا لإيماني أو خجلك عن الصداق بالحق لاحتقر إمكانيات امام ما يتمتع به أهل الكفر الذي لا بد أن يسخروا من الدعاه فهم كانوا إذا مروا ب المومنون يرض ويحاولون أن يحدثوا فيك ضعفا في القراءه والاستنتاج وإحباط المواقف والمدركات واجتثاث الهمم والعزائم وجمودا في القرائح والاستعدادات لديك فعليك أن تنظر للاخره أنها مزرعه فانظر ماذا زرعت فا لحصاد إنما يكون وفقا لما زرعت خيرا او شر فالله يقول (من كان يريد حرث الاخره نذ له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نوته منها وماله في الاخره من نصيب)

ويقول (كلا نمد هولاء وهولاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم علي بعض وللآخره اكبر درجات واكبر تفضيلا)

المفهوم الثالث

النداء اذا من باب التهكم والتوبيخ والتقريع للكفار المستكبرين الذين كانوا يتغامزون ويسخرون من المومنين ردا علي سخريتهم من المومنين في الدنيا كما قال تعالي (فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون)

فدل هذا أن اهل الجنة يرون أهل النار فقال تعالي (فاطلع فرآه في سواء الجحيم الخ

فالنداء من كل أهل الجنة لكل اهل النار لأن الجمع اذا قابل الجمع يوزع الفرد علي الفرد فكل فريق من اهل الجنة ينادون من كان يعرفهم من الكفار في دار الدنيا حيث يتحدث اهل الجنة عن النعيم الذي انعم الله به عليهم جزء إيمانهم بالرسول والتصديق بالكتاب فيزدودن فرحا بنعمه الله وايضا يتحدث اهل النار عما هم فيه من العذاب لانهم كذبوا الرسول والكتاب فيزدادون ندامه وحسره وعذاب

وهذا بعد مشاهده كل فريق لما حظي به الفريق الآخر من النعيم أو العذاب وعبر بالماضي مع أن النداء يكون في الآخره لتحقيق وقوعه وتأكيده ولهذا فإن السؤال من قبل المومنين أصحاب الجنة أهل النار عن تحقيق وعد الله لايعني أن المومنون في شك من تحقيق الله وعده ولكن اردوا أن يحدث لاهل النار الحسره والالام والعذاب بعلمهم بالرفاهية التي حظي بها المومنون فليس الغرض أن يعلم أهل النار بما حصل لاهل الجنة ولكن ما يلزم عن ذلك العلم من العذاب النفسي لأن هولاء المجرمون انطلقوا في سخريتهم من المومنين في الدنيا من فكره الاستهزاء والسخرية بالدين وبالمومنين فكانوا ينظرون للمومنين أنهم ضلوا الطريق وضاعوا عندما فارقوا دين أسلافهم وأنهم حقا عندما حرموا أنفسهم متاع الدنيا بالانكفاء عن المحرمات ولهذا نجد أنه تعالي يقول (ونادي أصحاب الجنة أصحاب النار انا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا)

وهذا فيه

١

اظهر المفعول به في قوله (وعدنا ربنا حقا) واخفاه في قوله (فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا)

لأن الخطاب موجه لكل اهل النار باختلاف اصنافهم فطرق الكفر متعددة كلها توصل الي النار

أما طريق الايمان واحد ولهذا فإن هذا التقريع يجعل جميع الكفار مشمولين بالخطاب

فأراد بهذا أن يقول لك ان نهايه الصراع بين الحق والباطل ينتهي أما الي الجنة او النار

فهل مازالت لم تحسم موقفك فاختر لنفسك اين تريد أن تقف ولهذا عبر عن النداء بالماضي مع هذا النداء إنما يكون في الآخره فأراد بهذا تحقق وقوعه في نفسك وتأكيده

/٢

كما أن السؤال بهل في هذه الجملة يريدون أن يقف المخاطبين علي غلظهم والشماته فيهم علي ما فرطوا في حق الله وفيها التنبية من عواقب الأمور وقرينه المجاز أن أصحاب الجنة يعلمون أن أصحاب النار قد وجدوا الوعيد الذي حذرهم منه الرسول وهو العذاب في نار جهنم فاستعمل (هل وجدتم ما وعد ربكم حقا)

والوجدان الفاء الشبي ولقيه لقوله تعالي (فوجد فيها رجلين يقتتلان) وهو يتعدي لمفعول واحد لقوله تعالي (فوجد الله عنده)

فقولهم (وجدنا ما وعدنا ربنا حقا) يعني الفيئانه حال كونه حق لا تخلف فيه شي مما أخبرنا الله علي لسان رسله ولا يدل ذلك أن قوله وجد نا أنه سبقه بحث أو طلب في الاخره

ودل أن الصله التي تربط الموصول معلومه عند المخاطبين فاستعمل (ما) الموصوله لانهم سمعوا الوعد من الرسل مباشره او بواسطه الدعاه

فأراد بهذا أن يقول لك ان اللازم علي الدعاه أن ينطلقوا بدعوتهم جهارا بها وإظهار ا لخيرها ونفعها للعالمين مبشرين ومنذرين

رابعا

يأتي الجواب بكلمه (قالوا: نعم)

وهذا فيه تحقيق للمسئول عنه بهل لأن السؤال بهل يتضمن ترجيح السائل وقوع المسئول عنه

فهو جواب المقر المتحسر المعترف بعدما أصبح الوعد واقعا فالمقصود من الجواب تحقيق ما اريد من السؤال حقيقه ومجازا

فهذا الكلمه الصادره من المجرمين المنكرين للبعث في الدنيا وفي مقدمتهم كفار مكه فيها الإقرار بصدق ما جاء به النبي فيها التعبير عن الانكسار والخيبه والذل والهون فالسوره مكيه ومن أهم المواضع التي تعالجها اسس العقيده وفي مقدمتها الايمان باليوم الاخر ف الجواب يهدف إلي رسم صورته قبيحه عن حال الكفار الذين كانوا يسخرون من المومنين قد اقرؤا بالواقع الذي عاشوه ومكابرتهم ومخالفتهم المنهج

ولهذا تأتي الآيات بعدها (فأذن مؤذن بينهم أن لعنه الله على الظالمين)

وهذا فيه

/١

(فأذان)

الفاء يحقق غرض اهل الجنة من سؤال أهل النار الذي يهدف إلي اظهار غلظهم و فساد معتقدات الكفار الذين كانوا ينكرون البعث و النشور ولهذا عطفت بالفاء بعد المحاوره مع اهل النار فأراد بهذا الإعلان تفضيح شان الكفار وإعلان أنه لامعني من الاعتراف في الاخره فقد فات الاوان فالتأذين من الإعلان برفع الصوت قدر الإمكان فأراد بهذا زياده الاسي والحزن بهم أو دعاء عليهم بزيادة البعد عن الرحمه بتضعيف العذاب ثم ذكر بعدها صفات الظالمين والمقصود منها تفضيح شان أهل النار والدعاء علي خبت نفوسهم وفساد معتقداتهم

/٢

من الذي يؤذن بينهم أنهم الأشهاد الملائكه الذين يشهدون للرسل بالبلاغ وعلي الكفار بالتكذيب كما أخبر الله في سوره هود فقال تعالي (ومن اظلم ممن افترى علي الله كذبا اولئك يعرضون علي ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا علي ربهم الا لعنه الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون)

وهنا قال تعالي (فأذان مؤذن بينهم ان لعنه الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون)

فاللعنه الطرد والأبعاد من رحمه الله (كلا أنهم عن ربهم لمحجوبون)

وهذا فيه الآتي

الأمر الأول

عليك أن تحدد موقفك هل تريد أن تكون من اهل الجنة المكرمين ام من اهل النار هل تريد ان تفضح علي الملاء هل ترضي أن تبعد عن جنة الله الا تبغض أن تقف مثل موقف انكسار الكفار وتبعد عن رحمه الله وعن رضوانه وتبعد عن نعمه النظر لوجه ربك العزيز الكريم

اذا كنت تكره أن تقف مثل موقف الكفار فعليك أن تقف مع الحق

لاتغتر بالمال والجاه والأنصار فتقول انك بمناي عن العقاب لا تتصور انك لن تحاسب علي جرائمك لانك تمتع بنفوذ

لانك سوف تقف بين يدي الله ويحاسبك علي اعمالك ولن ينفعكم المال ولا السلطان

الأمر الثاني

علي حامل الدعوة أن يصبر وان رأي اعراض من الكفار الذين يقفون ضد الحق فلا تتوقف نتيجته محاوله الكفار الطغاه المتجبرين الذين يكرهون الاسلام والدعوة إليه والالتزام به

فهؤلاء الطغاه سوف يحاولون وقف مسيره البلاغ من خلال استعمال قوه التهيب والترغيب وبث الفتنة بين الملتزمين للانسحاب من حركه العمل الايماني

فلا تتوقف فعليك أن تستيقظين بتحقيق الله وعده فعملك غير ضائع فسوف تجده امامك كاملا ولهذا تبرز الايه تحقيق الوعد الذي وعد به المومنون والوعيد الذي توعد الله به الكفار لأن الإنسان في الدنيا يرتاح لتحصيل الوعد والايات تهدف إلي غرس تعلق المومن بوعد الله فهو تعالي يقول (افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين)

فإن هذا ان حصل هان علي العبد ما يلقاه من الكفار من المكاره وتيسير عليه كل عسير

ولهذا فإن قيمه الإيمان باليقين والعقده بتحقيق وعد الله هو القوه الحقيقيه التي لا يعرفها الكفار الذين يقفون من الدعوة الي صراط الله المستقيم موقف المتكبر المتفطرس جهلا منهم وحمقا فاستحقوا بناء علي ذلك أن يقفوا موقف العذاب والانكسار والذل والهون الذي ترسمه الآيات لتصوير انعكاس موقفهم من الدين والعقيدة علي حالتهم في الاخره تلك الصوره القبيحه التي وضعوا أنفسهم بها نتيجته التكذيب والاعراض عن الانذار الذي جاء به الرسل

الأمر الثالث

اعلم انك مكلف بحمل الدعوة ومواجهه اهل الباطل الذين يقفون ضد الحق بمنع أنفسهم من قبولهم وكذلك يمنعون الناس من اتبعه ولهذا فانت مطالب بالجهر بالدعوي وتعريف الناس بها وازاله الشبهات التي سوف يخلتها الكفار حول الاسلام ليجعلوه غامضا عند عامه الناس ولأجل أن تجد افتراءتهم قبولا عند العامه وهذا إنما يكون سهلا في حاله غياب المعرفه عند الناس عندما يكون أمر الدين غامضا عند العوام وإلا فإن الفطره تحب الاستقامه علي الخير وتكره الطريق المعوج

فعلي السالك الاجتهاد في طلب الحق وتعريف الناس به حتي لا يقعوا في مصيده الكفار أولياء الشيطان الذين قال الله أنهم (يصدون عن سبيل الله)

اي يقفون ضد الطريق الموصل الي الجنة ودين الله فهم يريدون تحويل المسار وتبديله من طريق الهدي الي طريق الكفر والضلال

فذكر أن اردتهم انصرفت الي طريق الانحراف فقال تعالي (ويبغونها عوجا) هم لا يريدون الاستقامه فطبيعه هذه النفوس خبيثه لاتريد المضي علي منهجه تعالي ودينه وشرعه الوسيطيه والاعتدال فهم لا يكتفون بكفرهم بل يسعون في اضلال الاخرين واستعمل (يصدون...يبغون) أفعال مضارعه فأراد استحضر حقيقه هؤلاء أن هذه الأفعال تكرر وتتجدد منهم واستعمل الجمله الاسميه (وهم بالاخره كافرون) للدلاله علي رسوخ الكفر فيهم وثباته

ولهذا فانت مكلف بمواجهه الباطل وإظهار الدين للناس فالآيات نزلت بمناسبة المرحله الجديده التي انتقلت فيها الدعوة من السريه الي الجهرية

الأمر الرابع

عليك أن تدرك أنك صاحب قضيه فكيف تخجل أن تجهر بالحق

علام تكتم الحق وانت تحمل الخير والنفع للعا لأمين لماذا تخجل فانت تدعوا الناس الي الله تدعوهم الي أعظم أمر وانفع واصلح

فدين الاسلام وصدق كله وعدل كله وبركه كله فلماذا لا تنهض بالدعوة وتقوم باظهارها للناس لماذا يتخفي الداعيه وعلام يكتم والنشر يعلن والباطل يجهر به والرذيله يمشي بها اصحابها بلا خجل أو حياء والظلم يمارس جهارا

أن عليك أن تدرك المسؤوليه الملقاه علي عاتق فالاعداء يقفون ضد الحق وليس ذلك فحسب بل إنهم يمنعون الناس من الإيمان فهم ينطلقون في قراءتهم للقران وايات الله الهاديه إلي الصراط المستقيم من الرغبه في القضاء علي الدين لانهم يعتبرون مبادئ وقيم الاسلام م التي فيها العدل والمساواة والحرية والكرامة الإنسانية وسعاده البشريه أنها تمثل خطرا علي مصالحهم ينظرون أنها تحول بينهم وبين استعباد الناس ينظرون أنها تهدد مصالحهم الشخصية فهم سوف يسعون الي تطويع الدين ليكون في خدمه مصالحهم ولهذا فواجب الداعيه الوقوف ضد رغبات هولاء النابعه من الكبر الزائف والغرور والأهواء فلا تسمح لهؤلاء من أن يستخفوا بك فإن قلبه خيرهم وقله يقينهم بالحساب تجعلهم يعودون بكم إلي الوراء بحيث تكون الدعوه غريبه كما بدأ الإسلام غريبا ف الله يقول (ولا يستخفك الذين لا يوقنون)

فضعف إيمانهم وقله يقينهم جعلتهم ضعاف العقول والافهام

ولهذا يكون حال هذا الشخص كالحيوان فكل ضعيف اليقين هو ضعيف العقل فنقطه انطلاق هولاء هي اللهث وراء الشهوات والملذات فهولاء اذا تمكنوا في الأرض فإنهم سوف يحولون الحياه كلها الي شرور بعكس الذي يوقن أن لحياته علي الارض نهايه تبدأ معها حياه جديده يكون فيها الحساب والعقاب فإنه يكون يتحرك وفقا لمنهج الله فكل مومن موقن رزين العقل وبالتالي يسهل عليه الصبر فيكون ذلك من دواعي اصلاح الأرض اما الكافر فهو يري أن الخير ما يحقق مصالحه وان كانت تتعارض مع حقوق الآخرين

القسم الرابع

تستمر الآيات في نقل مشهد أحوال الخلق في الاخره من خلال التصوير الذي يرسم لوحه كامله يجسد المشهد بصوره حيه كأنه ماثلا امامك فعطف علي ذكر النداء من اهل الجنه لأهل النار ذكر بعدها حال فريق ثالث هم الاعراف فمن هم الاعراف وحالهم والي ما ينتهي أمرهم يقول الله تعالي (وبينهما حجاب وعلي الاعراف رجالا يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنه أن سلام عليكم لم يدخلوا وهم يطعمون وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادي أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغني عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهولاء الذين اقسمتم لاينالهم الله برحمه ادخلوا الجنه لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون)

وبالوقوف علي الآيات نجد الآتي

اولا

ابتدأت الايه بقوله تعالي (وبينهما حجاب) عطف علي ماسبق ذكرهم وهم اهل الجنه وأهل النار

فما هو الحجاب ؟

والحجاب فاصل وحاجز اي بين فريق اهل الجنه وفريق اهل حجاب يفصل كلا منهما عن الآخر ويمنعه من الاستطراق

وهذا الحاجز لم يبين هنا ماهو ولكن ذكر في سوره الحديد بأنه سور فقال تعالي (فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمه وظهره من قبله العذاب)

وهذا الحجاب لايمنع الرؤويه حتي تتضاعف السعاده للمومنين ويتضاعف الشقاء للمجرمين

*

وعطف علي ذلك بقوله (وعلي الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم)

ماهو الاعراف في اللغه ؟

تطلق علي جمع عرف وهو عرف الديك اعلي مكان من الديك

اي علي أعالي ذلك السور (الحجاب)رجال يفقون عليه وسمي أعراف لانه مشرف علي الجنه والنار

من هم الاعراف ؟

هم الذين تساوت حسناتهم مع سيئاتهم فلم تصل بهم تلك الأعمال الي الجنه ولم تودي بهم الي النار موقفون محبسون ينتظرون فضل الله ورحمته

لماذا لا يوجد نساء علي الاعراف لقوله تعالى (وعلي الاعراف رجال)

اعلم أنه لا بد أن يكون منهم نساء وانما إطلاق الرجال عليهم تغليبا

والآيات تتحدث عن الآتي

المفهوم الاول

أن تكون صاحب همه وان تحسم موقفك واعمالك في الحياه فانت غدا في سباق والغاية التي يجب السابق ان يصل إليها هي الجنه فهذه هي الحياه المحبوه لانك إذا تخلفت في السباق خسرت فإنك أما الي النار الذي فيه البوس الشديد وأما أن تقف موقف اهل الا عراف

فالزمن الذي تضر فيه ليكون هنالك خفه في الجري يوم السباق إنما يكون عمله في الدنيا لأجل الحصول علي السعاده في الاخره

فالعامل يكون في أيام الامل قبل بلوغ الأجل لأن بلوغ الأجل يعني بدايه السباق فالجزء من جنس العمل فالناس ثلاثه اصناف مومنون طائعون ..وكفار عصاهوسلبيون مقتنعون يعرفون الحق مثل أهل الاعراف فقد كانوا يعرفون الحق والباطل لكنهم لم يحسموا أمرهم في الدنيا وقفوا موقف المتفرج أما بدافع الخجل أو الامبالاه أو عدم الاكتراث ولهذا حبسوا بين الجنه والنار فمن عرف الحق ولم ينتفع به فإنه اذا لم يصل الي مطلوبه من السعاده وربما جري به الضلال الي الردي والهلاك

فأنت لا بد أن ترحل عن الدنيا ف الله خلقنا ل نرحل عنها ولنستقر في الحياه الاخره والزاد الذي دلنا عليه هو عمل الصالحات وترك السيئات فهذا هو الحرز الذي تحفظ به نفسك في اليوم الآخر

واصحاب الاعراف اصناف كغيره وليسوا عرفا واحد فاياك أن تكون أحدهم انتبه أن تضع نفسك في هذا الموقف وعليك أن تعمل بعمل أهل الجنه فعليك أن تبادر الي اتباع طريق الحق ولا تكن اعرافيا

المفهوم الثاني

الاسلام يدعوا الإنسان الي الاهتمام بمستقبله وان يعد العده للغد ولهذا يوسس بناء المومن علي العقليه المستقبلية ولهذا نجد أن النصوص القرآنيه تركز علي غرس المفاهيم التي تساعد علي توجيه سلوك الإنسان نحو مرضات الله وبما يجعل اهتمام المسلم منصبا نحو الاعمال الصالحه التي من شأنها الارتقاء بالشخصيه المسلمه وصلاحه ونجاته ينطلق من حرصه علي أن يكون مستقبله

أكثر اشراقا وفلاحا فالمستقبل الحقيقي يتوقف علي اعمال الإنسان في الدنيا ولهذا تعرض الآيات لنا المشاهد لنهايه وعاقبه مصائر الناس يوم القيامه وما ينتهي إليه حالهم فعرضت حال أهل الجنه وأهل النار وعطفت علي ذلك بقوله تعالى (وبينهما حجاب)

فاصل وحاجز يفصل بينهما فهذه العبارة فيها الخطوه الاولى التي يحتاجها من يريد التفوق والنجاح في مستقبله وهي

(وضوح الهدف) الذي يجب أن يكون مستقبلك الذي تسعى إليه ويحقق سعادتك لأن غموض الهدف وعدم وضوحه يعني أن هذه العقليه فوضويه لا تتحرك في اتجاه هدف واضح ومعلوم إذ كيف لطالب غايه أن يتوجه إليها دون استحضارها فالهدف هو الذي يترجم المستقبل الذي يبتغيه العبد ويسعي إليه وهذا يعني أن تتكون له صورته في ذهن العامل تحدد ملامح هذا المستقبل بشكل تقريبي يتفق و المخزون اللغوي في الذهن لمعاني المستقبل الذي يتطلع إليه فالمستقبل كما حدده الله في ال عمران (كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامه فمن زحزح عن النار وادخل الجنه فقد فاز وما الحياه الدنيا إلا متاع الغرور)

ومع أن امنيه اي عاقل تتمثل بأن يحظي بعفو الله ورضاه إلا أننا نجد الناس ينقسمون من هذا الهدف الي ثلاثه اصناف أهل الحق وأهل الباطل وهناك صنف ثالث أطلق عليهم سلبيون يعرفون الحق ومقتنعون به إلا أنهم لا يقفون في صفه ولا يدافعون عنه

والسؤال هنا :-

لماذا ينحرف الفريق الثالث(السلبيون) عن هذا الهدف الواضح والسامي الذي هو امنيه كل راشد عاقل رغم وضوحه ورسوخه في

معتقداتهم لماذا يتصرفون في الكثير من المواقف تصرف من لا يرجوا ثوابا ولا يخشي عقابا ؟

هذا يعود لعدة اسباب منها أنهم انشغلوا في حياتهم الدنيا وشؤون حياتهم بما لا يحصي منها حتي نسوا الاستعداد لهذا اليوم نتيجة الغفلة... وايضا ضعف الهمة واو نتيجة عدم التعامل بجديّة مع مستقبله فهو عنصر خامل نظر للاسلام أنه صلاه وزكاه ولا يتفاعل مع قضايا الاسلام المصيريّه فالسليبيه من اخطر الافات التي تهدد كيان المجتمع بالانهيار لأنها تعني أن يكون المجتمع مجموعه من المتقاعسين الكسلاء الذين لا يريدون إرهاب أنفسهم بأي التزام لايسعي الي النجاح وكثيرا ما يختلق الأعذار والمبررات الواهيه اذا كلفته بعمل لايعق بقدرته وإمكانياته فانت تلاحظ في حياتك اليوميّه الكثير من هذه النماذج الذين أن طلبت منهم إنجاز عمل لجاء الي التسويف وإظهار المساله أنها صعبه فهو يظهر عجزه كي يتنصل من التزاماته

المساله الاولى

فمشكله هذا السليبي تكمن بداخله فهو لم يحسم المعركه مع ذاته ولهذا نجد الايات ترسم نتيجة الصراع بين الحق والباطل لتقول لهذا المتردد عليك أن تحسم موقفك فنهايه المطاف يكون المصير أما الي الجنه او النار فقال تعالي (وبينهما حجاب) يفصل بينهما بشكل نهائي فهل انت مازالت مترددا لم تحسم موقفك فعليك أن تبدأ بحسم المعركه مع ذاتك انت بحاجه أن تعرف اين تقف الان لأن ذلك يحدد مستقبلك تعرف هل المكان الذي تقف فيه صلب وثابت ام أنه رخو يمكن أن يسقط لا بد أن تعرف اين انت ذاهب والطريق الذي تسلكه للوصول إلي الهدف الذي تريده فالرجوله تعني أن تكون صاحب قرار تحدد موقفك من اي الفريقين انت لاتقف موقف المتفرج فأنت في معركه مع ذاتك فلا بد أن تعرف الارض التي تقف عليها هل هي صلبه أو رخوه قابله للانهيار فالتطلع للمستقبل ينبغي أن يكون مستندا علي معطيات هكذا علمنا من واقع الحياه أنها تقوم علي اسباب ومسببات فإذا كنت تريد الجنه فإن عليك أن تدرك أن طالب الجنه لا بد أن يكون عاملا لمطلوبه في السر والعلن لا بد أن يضع الخطط التي توصلك الي هذا النعيم وان تستعد لذلك اليوم تحتاج إلي توظيف الإمكانيات المتاحة في الوصول إلي هذا الهدف فلا يليق أن ينام طالب الجنه عن التزود بالزاد الذي يجعله قادرا علي بلوغ الجنه في عظمها واستكمال اسباب السعاده فيها كيف يكون طالبا الجنه وهو لا ينهض لنصره الحق ولا يكثر بذلك كيف ينام الهارب من النار في هولها واستجماعها أسباب الشقاء ولا يبالي فذلك لا يستقيم مع قاعده النجاح والفوز الذي يعرفها العاقل فالتفوق نراه دواما من نصيب المجتهدين الذين تحملوا الأعباء للوصول للهدف وان الفاشلون هم الذين اهملوا وفرطوا باوقاتهم ولم يستغلوه لما فيه فائده فأنت لا بد أن تقوم بمعالجة الافات التي تشكل نقاط ضعف فيك بحيث تكون قادرا علي الوصول إلي الهدف بحيث يكون تقويه الجوانب الإيمانيه ومحاصره جوانب الشر فأراد بهذا ايقاظ السامع من غفلته فهي من أهم أسباب التردد والسليبيه فعليك أن تبادر الي اتباع طريق الحق ولا تكن اعرافيا بل احسم موقفك لأنك قد تحرم حتي من أن تكون مع أصحاب الاعراف

فعليك أن تترك الخجل في الحق وأن تكون صاحب موقف تحدد فيه موقعك الذي تريد أن تقف فيه فالرجل لا يخجل في الحق ابدا ولا يقف موقف المتفرج فلا يكون متصفا بعد بصفات عدم الاكتراث لما يدور حوله يمكن أن توجد مثل هذه الأوصاف في النساء نتيجة وظائفهن أما الرجل فلا ينبغي أن يقف موقف المتفرج ولهذا كان القول رجال تغلبوا وسبقها قوله (وبينهما حجاب وعلي الاعراف رجال)

فالرجل القوي هو الذي يتصر علي ذاته في المعركه ولديه رؤييه للمستقبل لاغموض ولا يلبس فيه فالايات وردت بعد أن ذكرت أن من أسباب هلاك الكفار هو عدم إيمانهم باليوم الآخر باليقين الجازم فقال تعالي (وهم بالآخره كافرون وبينهما حجاب وعلي الاعراف رجال... الخ

المساله الثانيه

من اهم المشاكل التي تكون من أسباب عدم الفوز والنجاح هو سوء الفهم للهدف وعدم النظر له بالتعظيم حيث نجد أن البعض يدعي الايمان باليوم الآخر ويصلي ويصوم.... الخ

لكنه لا يتورع عن ارتكاب المعاصي فلماذا ؟ هذا لم يكن مومنا بالبعث باليقين فهناك شك فيه فلو كان مومنا باليقين أن هنالك يوم اخر ما تجرأ علي ارتكاب المعاصي... فهو إما أنه غير مومن باليوم الآخر وأما أن يكون مصدقا بالبعث ولكنه متساهلا في وقوع العقاب فهو غير مستيقن بالعقاب فلو أنه مومن أن الفعل يوقع العقاب ما ارتكبه فأنت لو أيقنت أن مافي الاناء سم قاتل من الموكد أنك لن تشربه وان كان فيه شراب مذاقه محبوب لك

المساله الثالثه

تهدف الايات الي غرس قوه الاعتقاد في نفوس السامعين أنهم علي الحق فالايات نزلت بمناسبه انتقال الدعوه من السريه الي الجهرية ولذلك نجد أن الايات تركز علي هذا الجانب وتهتم به اشد الاهتمام لأن من لم يعتقد أن ما هو عليه من القيم والمبادئ والمثل هو الحق الصريح لا يقدر علي حمل المشروع الرباني ومواجهه التحديات والازمات التي يصنعها الأعداء ومن هنا كان الحرص علي تقويه العقيدته في النفوس حتي يكون النهوض بالمهمه ومقاومه الضغوطات والتحديات وهذا الامر مهم لأن الإنسان يحب الحق ولا يجد صعوبه في

قبوله الا اذا وجد عارض من هوي أو مصلحه وهنا يقف أمام خيارين إما أن يضحي بمصلحه أو يضحي بمبادئه وهنا يظهر دور الايمان الحقيقي ودور الفهم والإدراك للهدف فإذا كان الايمان ضعيف أو كان إدراكه الهدف كان بطريقه رتبييه أو مبتذله ولهذا فلايستحته ذلك علي العمل والبذل

وعندها يكون الإخفاق والفشل والانهازم امام الهوي وتجد الكثير منهم يبرر ذلك بعدم القدره وان التكاليف خارجه عن طاقته وقدرته متعللا بالايه السابقه (لانكلف نفسا إلا وسعها)

وهذا التصور الفاسد يعود إلي الخلط بين مفهوم القدره والسعه وبين مفهوم الاراده خلط بين الاراده والرغبه فالرغبه كما سبق واوضحنا في أكثر من موضع تبقي مجرد امنيه اذا لم يلحق بها عملا تنفيذي مشفوع بإصرار متواصل مقصود وتصميم متطلع الي هدف مقصود ومعروف

فغياب العزيمه يعني الخلط بين الارده والقدره ولهذا فاللازم عليك أن تعتقد أن كل تكليف هنالك إمكانيات للعمل علي تحقيقه فعليك أن تبذل جهدك فإذا عجزت فعليك أن تلجاء الي الله بالدعاء أن يمدك بالعون ولاتقرر العجز قبل أن تحاول القيام بأداء العمل فعليك اكتشاف الإمكانيات الغامضه لديك التي قد تختفي وراء الأسباب فلابد أن تكسر حاجز الخوف وتقاوم التسوييف وان تبادر الي تنفيذ الأمر في إطار الطاقه المتاحة بما يحقق لك وللمسلمين الخير ويدفع عنك الشر

المفهوم الثالث

تبين الآيات ان تحسين معطيات المستقبل يرتكز علي تحسين معطيات الحاضر فنحن نشاهد في الحياه الدنيا أن إخفاق الناس في غالب الأحوال للوصول إلي ما يحبون الحصول عليه لايعود الي سوء الظروف أو ضعف قدرته وانما يعود إلي التصرف بعشوائية وعفويه دون ترتيب يتعاملون مع المستقبل أما بالياس أو بالرجاء المفرط دون العمل أو لايعرفون ماذا يريدون ولديهم خوف من الالتزام بشي محدد من الأهداف يخشون أن يضطروهم ذلك إلي تغيير بعض جوانب حياتهم وكذلك في نظرهم للجنه والثواب والنعيم يكون بالركون علي رحمه الله دون بذل أي مجهود في أسباب الوصول لذلك الهدف

ولهذا فإن المسلم ينطلق في الحياه وهو مشدود نحو المستقبل الذي يتطلع إليه في جنه النعيم علي الدوام ويضبط ايقاع حياته وفق هذا الاعتقاد الذي هو هدف حياته ان يحظي بعفو الله ورضاه فهو يحرص أن يكون موقفه وموقعه علي أرض خير وفي أهل الخير ويأمل أن يكون موقعه صحيحا ينبنى بمجي الخير غدا فهو يطلب في كل حركه يتحركه زياده حسنات يضيفها الي رصيده في كل يوم من سن التكليف حتي يلقي ربه

ثانيا

بينت النصوص أن أصحاب الأعراف هؤلاء الذين خلطوا عملا صالحا و اخر سئيا وهم أعراف عديده وليسوا عرفا واحد فانت تري انسان مستقيم في تعاملاته خارج منزله يتعامل بالعدل لكنه سي الطباع في تعاملاته مع أسرته لايرعي حقوق أبناءه وبناته وزوجاته عليه اليس هذا قد خلط بين الخير والشر في تعاملاته اليوميه وكذلك نجد انسان آخر عكس ذلك يتعامل بالاحترام مع أهل بيته ولكنه سي التعامل مع الاخرين

كذلك نجد قاضي يتعامل بالعدل في مجلس قضاءه لا يظلم أحد يطبق القانون بالعدل لامحاباه ولايقبل رشوه ولا وساطه لكنه في تعامله الشخصي خارج مجلس قضاءه ظالم يريد أن يبطش باقرباه دون أن يكثر لمعناه اقرب المقربين منه اليس هذا قد خلط عمل صالح و اخر سئيا في تعاملاته

نجد هناك من يحرص علي أداء الحقوق لأهلها في تجارته لكنه يفرط في أداء الزكاه أو لايتورع من التعامل بالربا مع أنه يودي الامانه لا هله اذا اوكلت إليه اليس هذا قد خلط عمل صالح و اخر سئيا والأمثلة كثيره لكم أن تضعوا نماذج متعدده تندرج تحت هذا العنوان

فأراد بهذا القضاء علي الباعث لذلك والمحرك الذي يدفع نحو هذا الخلط لأن الاعراف من الموحدين الذين آمنوا وصدقوا بالله وبالتالي فإن هذا الخلط يعود إلي طول الامل والتسوييف وعدم الزهد في الدنيا ولهذا تعرض النصوص هذا المشهد الذي يظهر أصحاب الأعراف وهم واقفون علي مشارف الحاجز الذي يفصل بين أهل الجنه وأهل النار ليكون من مشاهده مصير كل فريق موعظه كافيه تقطع علائق آمال وتدفعه الي عمل الاخره بالاتعاظ والازدجار ليكون التسابق الي الجنه فالتسابق إنما يكون لأمر محبوب مطلوب فهذه صفه الجنه وهذا يعني عمل الأعمال الصالحه الواجبات والمندوبات والنوافل وكذلك فإن عليك الهروب من النار وهذا يكون بتترك المحرمات و الشبهات والمكروهات

عليك أن تكون في الدنيا مع أهل الخير والصلاح وأن تتبعد عن أهل الشر والفساد فأنت تعرف أهل الخير وأهل الشر بأوصافهم وعلا ماتهم فالخير والعمل الصالح ينعكس علي وجه الإنسان فتري في وجهه ملامح الانوار التي تشرق لحصول الانسجام بين عمل الإنسان وفطرته وكذلك تنعكس اثار العمل السيئ علي وجه الإنسان فتري وجهه مسودا فقال تعالي هنا عن الاعراف أنهم يعرفون أصحاب الجنة وأصحاب النار بسيماهم اي علاماتهم فقال تعالي
(يعرفون كلا بسيماهم)

فالقران الكريم تحدث كثيرا عن العلامات التي يتسم بها المومنون في الاخره والكفار فاخبرنا أن عالم الاخره ليس شيئا جديدا علي الإ نسان وان جميع مظاهره هي اثار أعمالنا في حياتنا الدنيا
فقال تعالي (وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا)

فأثار أعماله تربط علي رقبتة وتظهر آثارها الخفيه أمام الخلائق يوم القيامة فتصير مكشوفه فكل عمل يعمله الإنسان يترك اثرا خفيا في نفس عامله والله يقابل ذلك العمل سواء كان خيرا او شرا بعمل من عنده يرسم اثاره علي القلب والوجه والاعين تظهر آثارها في الدنيا أما في الدنيا فإن ملامح الصادق تختلف عن ملامح الكاذب والخائن فانت تري البعض يشبه العلب في ملامح وجهه فإذا بحثت عنه تجد أنه مخادع مكار فكل عامل عمل لابد أن تنعكس اثار أعماله علي ملامح وجهه وعيونه في الدنيا والاخره فاخبرنا الله تعالي عن ذلك فقال تعالي في موضع آخر (وجوه يومئذ مسفره ضاحكه مستبشره ووجوه يومئذ عليها غبره ترهقها قتره اولئك هم الكفرة الفجرة)
وأشار إليها أيضا بقوله (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه)

وقال تعالي أيضا (يعرف في وجوههم نضره النعيم) وقال تعالي (وجوه يومئذ ناظره) وقال تعالي في شأن أهل النار (كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما)

فعليك أن تعمل الأعمال الصالحه وطاعه الله وامتنال امره سبحانه وتعالى وان تتقرب إليه بالنوافل ان اردت أن يكون لك سمه بياض الوجوه وجمالها والنور الذي يسعى من امامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك

رابعا

تاتي الآيات بنداء من أهل الاعراف أحدهما لاهل الجنة والثاني لاهل النار وابتدا الحوار بالبنداء من أصحاب الاعراف لاهل الجنة (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون)

فلايه ترسم صورته الحق والنهائيه التي يحظي بها من مظاهر السعاده الابديه التي تجعل كل ناظر لهم وما هم فيه ينظر إليهم بالحب و التقدير والاحترام والتكريم فقال تعالي (أن سلام عليكم)

فالبنداء الذي توجهوا به لاصحاب الجنة هو بالسلام الذي يعني إلقاء التحيه عليهم كما قال تعالي (لايسمعوا فيها لغوا ولا تأثيما الا قليلا س لاما سلاما)

ثم بينت النصوص نتيجته مشاهده أهل الجنة وما هم فيه بأنه كان بالحب والتكريم وان نرجوا ونطمع أن نكون معهم هكذا يجب عليك أن تشعر وانت تقرا الآيات فتبادر الي عمل الأعمال الصالحه فقال تعالي عن الاعراف (لم يدخلوها وهم يطمعون)

اي لم يدخلوا الجنة ويطمعون أن يكون مكانهم مع أهل الجنة فأراد الحق من إبراز هذا الحوار أن نشهد الصالحين بالحب والتكريم وان نسارع الي الاقتداء بهم بالاخذ بالاسباب التي كانت وراء هذا الفوز والنجاح الذي حظي به هؤلاء فنحن في دار العمل وما زالت الفرصه سانحه

وفي المقابل تنقل لنا الآيات مشهد رؤييه أصحاب الاعراف لاهل النار فقال تعالي (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين)

فاول ما يلفت الإنتباه استخدام كلمه (صرفت أبصارهم)

فدل هذا أنها لم تكن نظره حب استطلاع وانما صرفت أبصارهم قسرا ووجوهها بقوه عن مكانها التي كانت فيه فهم كانوا مستمتعون ؛ النظر لاهل الجنة لم يكونوا يرغبون أن تتحول أنظارهم عنهم ولكنهم تم صرف أنظارهم الي النار قسرا من غير قصد ولا رغبه بل يصرفهم إليها قسرا والفرض من ذلك التخويف من التقليد والتهاون في الواجبات والنواهي

يقول انظر الي نهايه المخالفه للمنهج فماذا كانت نتيجته ما شاهدوا لقد فزعوا فلجاوا الي الله مستعزين طالبين أن يعيدهم عن النار واهلها

وبعد هذا المشهد تنقل لنا الآيات بقيه المشهد المتعلق برده فعل أصحاب الأعراف لما شاهدوا حال أصحاب النار فقد شاهدوا أناس من أكابر أهل النار رجالا كانوا يتمتعون في الدنيا بسلطان ونفوذ ومال وقوه أناس يعرفونهم بسيماهم التي تميزهم عن بقيه أهل النار فقال تعالي (ونادي أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم)

اي عظماء الإجرام وقادتهم واكابرههم الذين كانوا في الدنيا لهم أنصار واتباع وأعوان ومال وقوه ونفوذ لم يخاطبوا العوام من أهل النار ؟ لأن ان تفهم أن عليك أن تستمد قوتك من الحق واحذر من الركون للجاه والمال والقوه والنفوذ والجبروت فهذه القوه زائفه تذل صاحبها فقال تعالي (ما اغني عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون)

لقد انشغلتم بجمع المال ومصادر القوه الماديه فأين هو كما قال تعالي (ولقد جئتمونا فرداي كما خلقناكم اول مره وتركنم ماخولناكم وراء ظهوركم...الخ

يقول لهم اين جمعكم الذي كنتم تتباهون به في الدنيا لم ينفعكم وقت الشده فالسؤال للتبكيه ولأجل أن تنقل لك الآيات صورته عن احوال الكفار الذين تشاهدهم في الدنيا يمارسون الطغيان فتجد القاضي يقول لك لقد تعرضت لضغوط لأن غريمك من أهل النفوذ وله ثقل واحلاف واتباع يجتمعون حوله

فإن هولاء بالآخره يذوقون النذل والهون في جهنم وبالتالي فاللازم عليك أن لاترضخ لقوه الطغاه عليك أن تقاوم الظلم لاتتنازل عن كرامتك أمام هولاء فتكون من الإبتاع في جهنم

فالنصوص تبين أنه لاينفع لآمال ولابنون فالرصيد هو الأعمال الصالحه كما قال تعالي (ماغني عني مالي.الخ

أن مقاومه الظالمين وان اجتمعوا قاطبه أمر ينبغي علي المسلم لأن المسلم يستمد القوه من الحق فأنت علي الحق والله مولاك

فنحن نشاهد اليوم كيف أن الغرب وإسرائيل وامريكا تجتمعوا علي الشعب الفلسطيني الاعزال في غزه فهل رضخ اهل غزه كلا لانهم ينظرون أن القوه الحقيقيه هي قوه الحق فعليك الإنتباه من الرضوخ للباطل

وفي سياق الحديث عن أهل النار تبين النصوص مساله في غايه الاهميه ينبغي التركيز عليها فقال تعالي (هولاء الذين اقستم لاينالهم الله برحمه)

هذا القضيه أن الكفار والمستكبرون المغترون بالجاه والمال والقوه والنفوذ يسعون جاهدين لتحريف المفاهيم في حياه الناس يريدون قلب الحق باطلا وتصوير الباطل حقا يحاولون اخفاء الحقيقه وشيطنه أهل الحق ولهذا يطلقون أوصاف مزريه علي أهل الحق بانهم فاسدون لافائده منهم يهددون مصالح البلاد فنحن نعلم أن فرعون قال (اني اخاف أن يبذل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) ... وهنا يقول أصحاب الأعراف لهولاء الأكاير تذكيرا لهم عندما كانوا يحتقرون المومنون في الدنيا وقولهم أن هولاء تعساء وحمقاء متزمتون مغفلون كيف يكون لهم الجنه اغترارا بما أنعم عليهم من نعمه الغني والاعتدار ابتلاء وامتحان من الله فانظر الي نهايه هولاء في عذاب الجحيم فلا تتأثر بما يطلق الكفار علي الصالحين من أوصاف احذر أن تتأثر بذلك فتخجل أن تكون واقفا في صفهم أو تنسحب من حركه العمل الايماني فعمل الشيطان وأعوانه وحزبه الي قيام الساعه هو تبديل المصطلحات وتغيير المفاهيم وإفساد التصور والسلوك اذا نجحوا في تبديل المصطلحات لتكون عبدا للشيطان فالله يقول عن خطه ابليس في موضع آخر (ولا مرئهم فليغر خلق الله)

فهم يبذلون جهودا جباره باستمرار بلا توقف لتبديل المصطلحات والمفاهيم التي تقوم عليها حياه أهل الخير والصلاح لتصبح قائمه علي الشر والفساد فيحاولون تصوير الخير شرا والظلم عدلا والحريه رذيله وهكذا فهذا هو المشروع الابليسي في الأرض فعليكم الحذر عليكم أن تكرهوا كل تلك الأوصاف التي تخالف منهج الله فلا تسمح لهم أن غزو عقولكم وقلوبكم فيجب أن تتعلق قلوبكم بالمصطلحات و المفاهيم التي جاء بها القرآن وأن يكون الحب في الله والبغض في الله ولهذا نجد انه بعد اظهار اهل الاعراف كراهيه واحتقار أهل النار وثقافه أهل النار وسلوكهم وأفعالهم وأحوالهم والأسباب التي اوصلتهم الي النار يأتي النداء الرباني متواجها لاصحاب الاعراف فقال تعالي

(ادخلوا الجنه لاخوف عليكم ولا انتم تحزنون)

هذه النهايه يعفوا الله عنهم برحمته ويدخلهم الجنه والملاحظ أن هذا العفو جاء متبوعا بالحوار الذي أظهر فيه أصحاب الأعراف حب

اهل الجنة وتقديرهم وبالمقابل اظهروا بغض وكراهيه واحتقار اهل النار فأراد بهذا تميمه ميزه حب الخير وأهله في نفوسنا وكراهيه الشر وأهله فاصحاب الاعراف لما اظهروا بغض وكراهيه واحتقار اهل النار... وحب وتقدير اهل الجنة عفا الله عنهم وادخلهم الجنة

القسم الخامس

اولا

تبدأ آيات هذا القسم بذكر مناجاه واستغاثه اهل النار بمن يعرفون من اهل الجنة طالبين أن يفيضوا عليها ببعض الماء ومن ثمار الجنة فقال تعالي (ونادي أصحاب النار أصحاب الجنة أن افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله)

يريد الحق من خلال ما ينقله هذا المشهد الذي يجسد معاناه الكفار في نار جهنم

الأمر الأول

أن تشعر بالمسؤولية وان يتسخ في ذهن المسلم النهايه التي ينتهي إليها اهل الباطل ليكون تركيزه علي الاستعداد لهذا اليوم فلا يفتر ؛ الدنيا فتكون نهايتك النار والعذاب فلا تشغل بملذات الدنيا فهذه الاصوات التي تأتي من جهه اهل النار اصوات مملوه بالحزن والالام و الاستجداء وهم ينادون اقربائهم من اهل الجنة الذين كانوا يحتقرونها في الدنيا انظر الي ماذا يطعمون وهم في العذاب الذي احرقهم أنهم يطعمون بشربه ماء او بقايا الاطعمه العمار التي ينعم بها اقربائهم من اهل الجنة فذكرت الايه مضمون النداء (ان افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله)

فهذه الجملة قادره علي رسم صورته في ذهن السامع عن طبيعته هذا النداء فهو نداء استغاثه كل فرد من اهل النار بقريب له من اهل الجنة أباه أو اخاه أو أمه أو ابنه

فدل الكلام أن النداء للاستغاثه وعلي حصول العطش والجوع الشديد لأن الاستغاثه تدل عليه فقد ورد عن أبي الدرداء قوله إن الله يرسل علي اهل النار الجوع حتي يزداد عذبهم فيستغثون فيغاثون بطعام من ضريع لايسمن ولايفني من جوع ثم يستغثون فيغاثون بطعام ذي غصه ثم يستغثون طالبين الشراب فيغثون بماء كالمهل ويدفع لهم الحميم والصديد فيقطع ما في بطونهم ويستغثون بأهل الجنة كما في الايه فيقال لهم أن الله حرهما علي الكافرين ويقولون لمالك ليقتضي علينا ربك فيجيبهم بعد الف عام ما انتم مخرجين ويقولون ربنا أخرجنا منها فيرد بقوله اخسوا فيها ولا تكلمون فعند ذلك يياسون من كل خير

المفهوم الثاني

تربيه الاشفاق من عذاب النار في النفوس والاشتياق لما عند الله من النعيم من خلال ما ترسمه الايه بهذا النداء (ونادي أصحاب النار أصحاب الجنة أن افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرهما علي الكافرين) فتظهر الايه لنا صورتان متقابلتان الاولى ترسم حال اهل النار وهم يستغثيون باقاربهم من اهل الجنة طالبين أن يفيضوا عليهم من الماء أو مما رزقهم الله

فالموقف مخيف فالصوت الذي يأتي من جهه اهل النار في هذا المشهد يؤدي دوره في تزكيه النفوس فيكون المشهد برئيه في آذان السامع الذي لديه سمع له تأثير يحدث صوتا قويا ومخيفا في اذنه يصل الي اعماق قلبه منبها من الغفله يقول انتبه وانت في الدنيا هذه هي عاقبه اهل الكفر فيجعله يتصور هذا الموقف الذي يرسم حجم الالم والحسره والعذاب في اذن كل صاحب قلب حي وحاضر عند قراءه الايه وايضا ترسم الايه ما يحظي به اهل الجنة من نعيم فكلمه افاضه الماء تعني لغه صبه ثم استعملت في الشئ الكثير فيقال لمن كثر ماله ورزقه افاض عليه النعم وقالوا اعطاه غيظ من فيض اي قليلا من كثير والمعني أنهم يستغثيون بأهل الجنة أن يصبو عليهم من الماء الذي يروونه كثيرا وفائض عن حاجتهم ومن ثمار الجنة

فقد ورد عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما صار أصحاب الاعراف الي الجنة طمع اهل النار بالفرج بعد الياس فقالوا يارب انا لنا قربات من اهل الجنة فاذا ان لنا حتي نراهم ونكلمهم فياذن لهم الله بذلك فينظرون الي قرباتهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم وينظر اهل الجنة الي قرباتهم من اهل النار فلا يعرفونهم لما في وجوههم من السود فينادي اهل النار اقربائهم باسماءهم فينادي الرجل أباه وأمه وأخاه فيقول يا أباه يا أخاه قد احترقت لشده حر جهنم فافضي علي من الماء فيقول اهل الجنة أن الله حرهما علي الكافرين

فالطلب من اهل النار كان مع علمهم بالياس من إجاباتهم إذ أنهم يعرفون دوام عقابهم وأنه لايفتر عنهم ولكن يريدون التعلق بأي شي مثل الغريق يتعلق بقشه ظنا منه أنه يمكن أن تنفعه

فالايه ترسم ما عند الله للمؤمنين من نعيم في الجنة لتغرس فيهم الشوق للجنة وهذا فيه تقويه قوه الحب لما عند الله فلا يبالي ؛ الشهوات وايضا فإن صورته التي تنقلها عن اهل النار تولد الخوف من العذاب ومن تلك العاقبه ومن الطبيعي أن الخائف من النار عليه أن

يجتنب المحرمات ولهذا كان الجواب (أن الله حرهما علي الكافرين) منع عنكم طعام الجنة وشرها

فالتحريم هنا هو المنع وليس تحريم التكليف لأن تحريم التكليف لا إيجاب فيه فأنت مخيرا ولكن عليك أن تتحمل مسؤولية ما فعلت أما التحريم هنا فهو المنع لهم من الشرب والأكل منع قسرا وقهرا فمن دخل النار فليس له أن يشرب من ماء الجنة ولاطعامها وهذا فيه تقويه قوه الزهد عن الدنيا بالنظر للدنيا وما فيها من لذه بأنها منقطعه وهذا فيه تقويه قوه التحمل والصبر علي الابتلاء والامتحان بالفقر و المكاره تجعلك تصبر علي ما في الدنيا من مصائب لأنها لاتساوي جناح بعوضه

كما أن الجواب من اهل الجنة علي طلبات أقاربهم أهل النار

أن الله حرهما علي الكافرين)

فيه الجواب إن التكليف انتهى والعمل الصالح انتهى والتسامح والعفو انتهت فهذه الدار دار جزء لا دار عمل فالإنسان إذا مات انقطع عمله وقامت قيامته فلا ينفعه اب ولا ام ولا أحد إلا عمله الصالح

وهذا فيه الحث علي أن تحرص علي الاعمال الصالحه وان تسارع إليها قبل أن يفاجئك الموت فلا ينفعك شي غير عملك

ثانيا

تنتقل الآيات الي وصف الكفار فقال تعالي (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياه الدنيا فاليوم ننسأهم كما نسأ لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجدون)

ابتدأت الايه بوصف الكفار المحرمون من ماء الجنة وطعامها فقال تعالي

(الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعب وغرتهم الحياه الدنيا)

هذا الوصف يجوز أنه جملة استثنائية ابتدائي يتحدث فيه الحق عن أسباب حرمان أهل النار من شراب وطعام أهل الجنة ولهذا قال بعدها (فاليوم ننسأهم.. الخ

ويجوز أنه من جملة رد أهل الجنة لأقربائهم الكفار من أهل النار عندما طلبوا منهم أن يفيضوا عليهم من الماء أو مما رزقهم الله من ثمار الجنة فقال أهل الجنة لأقاربهم (أن الله حرهما علي الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعب وغرتهم الحياه الدنيا)

وكلا الأمرين فيهما الاتي

الأمر الأول

أن عليك أن تعلم أن وجودك في الأرض لغايه وهي معرفه الله ومحبهه وتوحيده وعبادته وفقا للمنهج الذي حمله الرسل والأنبياء عليهم السلام للبشر فلست مخلوق بلا غايه ولاهدف ولهذا فإن الذي يكفر بنعم الله ويجحد ما جاء به الرسل من ربهم يكون هو السبب في النهايه المولمه التي ينتهي إليها في نار جهنم وعلي هذا يكون الرد (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياه الدنيا)معناه انكم انتم السبب في هذا المنع والحرمان لانكم جعلتم دينكم أعمالا قبيحه لاتجعل انفسكم اهلا للتشريف والكرامه فالخلافه شرف لمن قام بحمل ا لامانه وتحمل أعباء المسؤولية وما انعم الله به عليك

فلم تكن اعمالكم فيها تزكيه انفسكم فقد كان اختياركم الانشغال بالخسيس دون النفيس انصرفتم الي ما لايحسن الانصراف إليه

فانتم لم تتعاملوا مع هذا الشرف بالجديه فالخلافه تحتاج إلي الجد والاجتهاد بالأعمال الصالحه والمفيده وانتم كانت حياتكم (لعبا) واختارتكم الدنيا علي الاخره

الأمر الثاني

عليك أن تدرك انك مكلف بأن تكون خليفه وهذا يقتضي أن تكون جادا ومنتجا ونافعا لنفسك ولبنبي جنسك

وان حركتك متجه نحو هدف تقصده وغايه تريد الوصول إليها

لك نظام منضبط تنظر إلي القيم والمبادئ والمعل العليا التي جاء بها الرسل والأنبياء عليهم السلام انها لصالحك وليست تقيد حريتك فيكون انشغالك بالنفيس لا الخسيس فالاحمق هو الذي يغوص في أعماق البحر فيجد لولو واصداف فيترك اللولو ويأخذ الاصداف

فهذا بلا عقل يقبل علي الانشغال فيما يصرفه الي ما لايحسن الانصراف إليه (لهوا)

وكذلك فإن الإنتاج يتطلب أن يكون عمالك له هدف مقصود ومعروف تسعى إليه فالوقت عندك له اهميه تخاف أن يمضي دون أن إنتاج ولهذا ذم الله الكفار لأنهم يعملون أعمالا لاجدوي منها لاتتجه نحو هدف أو غايه فهؤلاء انشغلوا فيما لافائده منه فهم مثل الاطفال الذين يصنعون العاب يستهلكون فيها طاقاتهم بأعمال لاجدوي منها اطلاقا اعمال ليس لها أهداف اعمال عبثيه هكذا كانت حياتهم يرهقون أنفسهم بالحركه واللعب مثل الاطفال

الأمر الثالث

أن هولاء نظروا للدنيا نظره ماديه ولهذا انخدعوا بالدنيا ولم ينظروا أن مافيه لايساوي جناح بعوضه نظروا لها بحجم اكبر من حجمها لم ينظروا أنه لابد أن يفاجئهم الموت والبعث والنشور والحساب فتعلقوا بها لم ينظروا الي من قبلهم أنهم كانوا أكثر اموالا واولاد فماذا كان مصيرهم الم يقل الله (كم تركوا من جنات وعيون)

ولهذا فعليك أن لاتنخدع بحسن العيش وكثره المال وقوه الجاه واحذر الطمع في طول العمر فإن ما أنت فيه وما في يدك من الدنيا قد كان له أهل قبلك ولا بد أن تصير الي ما صاروا إليه يقول لك انظر الي نهايه الذين اغتروا بالدنيا وزخرفها أنهم يطلبون شربه ماء من أهل الجنه

فيجب عليك أن تتعامل مع الدنيا وزخرفها أنه عرض زائل يجب أن تكون مشاعرك نحوها مشاعر الخوف فعليك الحذر من يودي بك التعامل معها الي نسيان اليوم الآخر والوقوف بين يدي الله

فتعاملك مع الدنيا يكون من أفق وصايا الشرع والدين الرباني من أفق طلب الفوز برضوان الله يكون تركيزك علي تحقيق هذا الهدف تنظر إلي الاخره أنها القضييه الكبرى في حياتك تظل ذاكرة له تسلط الضوء عليها فالآخره هي الحياه التي تسعى إليها انتبه أن تنشغل بأمور المعيشه وتفصيلها عن أهدافك الكبرى لأن نسيان الأهداف الكبرى نتيجته الانشغال بأمور المعيشه تعني أن تصبح حياتك في فراغ ملئ بالتناقضات فتصبح المصالح الدنيويه هدفا تعيش من أجله يصبح الأكل والشراب والانجاب هدف حياتك حينها تصبح بمنزله البهائم ولهذا ينبه الله العباد من ذلك يقول لكم يجب أن يكون هدفك الفوز برضوان الله يجب أن يكون هذا الهدف حاضرا في وعيك ماؤلا في ذهنك تستحضر فيه يوم الوقوف بين يدي الله تحذر أن يصير حالك كحال أهل النار وبالتالي لاتنسي يوم القيامه ولهذا عليك الا استعداد ليوم الرحيل

المبحث الثاني

يدعوا القران الكريم المسلم إلي أن تكون نظرتك للحياه نظره شرعيه يرسخ في ذهنه حقيقه ان الحياه الحقيقه هي تلك الحياه التي تبدأ بعد الموت أنها الحياه الاخره فإذا ترسخ هذا في ذهنه فلا بد أن ينظر إلي الدنيا أنها شي صغير وحقير اذا ما قيست بعظم الاخره ووفره نعيمها وديموتتها وشده العذاب فيها وديمويتته

وهذه النظره تجعل المسلم يتذكر علي الدوام مشهد الوقوف بين يدي الله قبل أن يقدم علي فعل أي أمر أو القيام بأي حركه تجعله يحرص علي القيام بالتزاماته تجعله يستحضر مشهد يوم القيامه في ذهنه وهذا ما يساعده علي كبح رغبته بعكس ويرتب علي هذه النظره الكثير من المفاهيم والسلوكيات التي يتعامل بها مع الحياه وزينه الدنيا فالمسلم ينظر إلي الاخره أنها هي المستقبل ولهذا لا يمكن أن ينسي الاستعداد بالعهده التي يحتاجها في مستقبله فهو ينظر إلي الدنيا أنها لاتصلح أن تكون مستقبلا ولهذا لا يصح أن يتعامل مع الدنيا بعيدا عن المنهج الرباني بل تعامله وفقا للمنهج وبما يحقق الانسجام في الحركه مع الهدف والغاية من وجوده فالعقل يكبح لا نه يريد أن ينال السعاده الابديه التي لاتنقطع وهذه السعاده لايجدها الا في الاخره فكيف يؤثر الحياه الدنيا

بعكس الكافر الذي ينظر للدنيا نظره ماديه تنحصر في تحصيل الشهوات والملذات ولو كان علي حساب الاخره لانه لم يدخل في حساباته أن هنالك بعث ونشور وحساب ووقوف بين يدي الله

ولهذا يأتي الحكم من الحق سبحانه وتعالى بتعامله مع هولاء

يوم القيامه فقال تعالي (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون)

وهذا فيه الاتي

الأمر الأول

عليك أن تفهم أن الله تعالى لا ينسي وان ورد هذا الفعل من باب المشاكه اللغويه لنسيان الناس لربهم ..وقد يكون المراد اننا نهمهم ونتركه في العذاب تركا مثل تركهم العمل والاستعداد للقاء يومهم هذا اي تعاملهم معامله من نسي فتركهم في النار لانهم أعرضوا عن آيات الله

الأمر العاني

تبين الآيات ان علي المسلم أن يكون ذاكرا لمستقبله وناظرا للهدف الذي خلق لاجله وأن ينال رضا الله وعفوه فلا يغفل عنه فأنت تشاهد الكثير ممن يدعي انه يطلب رضا الله وعفوه يرتكب المعاصي ويتصرف تصرف من لا يخشي عقابا ولا يرجوا ثوابا

وهذا يعود إلي امراض خفيه تصيب الإنسان إذا تعلق بالدنيا وزخرفها حيث أن الإنسان بسبب حب الرئاسة والشهوات والانشغال بها قد يخفي عليه ما في نفسه من داء ولا يشعر بذلك لاسيما والشيطان يغطي علي الإنسان الكثير من الامور فالعبد ينكت علي قلبه كلما أذنب نكته سواده ذلك هو الران كما قال تعالى (كلا بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون)

وقال تعالى عن المتقون (اذا مسهم طائف تذكروا فإذا هم مبصرون)

فهم اذا أصابهم هذا الطيف الذي يطيف بقلوبهم تذكروا ما علموا من العلم الفطري والمحبه الفطريه والتوحيد الفطري فيزوال الطيف ويبصرون الحق المعلوم لهم والذي كان الطيف يمنع رويتهم

أما الكفار فإنهم لا يبصرون مع الغي ما هو معلوم لهم مستقر في فكرتهم لكنهم ينسونه فقال تعالى (وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون)

ولهذا لم يستعدوا لليوم الآخر لم ينظروا الي مستقبلهم وان سعادتهم تكمن العمل الذي يحققون به هدف وجودهم في الحياه فسعاده الإنسان تكمن في معرفه ربه ومحبهه وتوحيده وطاعته وعبادته فجميع ملكاته وقدرته واعضائه لاتجد السعاده الا في معرفه الله ومحبهه وعبادته وتوحيده وهذه المعرفه مغروسه في فطره الإنسان وكذلك المحبه والتوحيد فإذا نسي الإنسان ما في فطرته من العلم الفطري و المحبه الفطريه والتوحيد الفطري فإنه يتعلق باصنام شتي من الماديات التي تحيط به من المال أو الجاه أو الأصنام ويتعلق بها فيكون عبدا لها ولهذا فإن هذا الإنسان يعاقب لنسيانه ربه بنسيان أنفسهم كما قال تعالى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم أنفسهم اولئك هم الفاسقون)وقال تعالى (وكذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسي)

فنسيان الرب يوجب نسيان النفس وعدم العمل لما ينفعها فحين لم يعملوا واهملوا الاستعداد للقاء الله يوجب له العذاب

ثالثا

ولما كانت اليوم الآخر من الأمور الغيبه التي لاسبيل لمعرفتها وكذلك لاسبيل لمعرفه أوامر الرب الا عن طريق الوحي المنزل علي رسل الله في كتابه لأن الحديث عن ذلك لا يحق الا للرسل عليهم السلام فقال تعالى (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا باياتنا يجحدون)

وهؤلاء الكفار لم يعيبيوا بها ولا بالمعجزات أنكروا الآيات نتيجه حبهم الدنيا وتعلقهم بها

ولهذا تأتي الآيات بعدها بقوله تعالى (ولقد جنناهم بكتاب فصلناه علي علم هدي ورحمه لقوم يؤمنون هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل)

وهذا فيه الاتي

الأمر الأول

ولهذا يخبرنا الله أنه قد أقام عليهم الحجه بإرسال الرسل الذين يحملون المنهج الرباني المتضمن تذكير الفطره ما هو معلوم لها وتقويته وامدادها ونفي المغير للفطره فالرسل بعوا بتقرير الفطره وتكلميها لاتغيير الفطره وتحويلها والكمال يحصل بالفطره المكمله بالشرعه المنزله فهو اي القران مفصل تفصيل مبين لاغموض ولا لبس فيه فيه بيان جميع المطالب التي يحتاج إليها الإنسان وبما يتفق مع الفطره التي خلق عليها الإنسان فمن خلق الانسان هو الله ولهذا قال تعالى (علي علم)

فمنزل الكتاب هو الله الذي يعلم أحوال العباد وما يصلحها وما لا يصلح لهم ليس تفصيله تفصيل غير عالم بالامور فيجهل بعض الأحوال فيحكم حكما غير مناسب بل تفصيل من أحاط علمه بكل شي ووسعت رحمته كل شي

يقول الحق أن الكتاب المنزل مع الرسل هو منهج الحياه الذي يحتاج إليه الإنسان في حياته ويسترشد به ليدله علي الطريق المستقيم فا لإنسان يحتاج الي الاهتداء الي كيفية التعامل مع نفسه ومع ربه ومع بني جنسه ومع الكون من حوله وهذا يحتاج الي علم مفصل يزوال عنه الجهل الذي اتصف به ويحتاج إلي استعمال ملكاته في أداء الحقوق والواجبات بالعدل دون أن يظلم وهذه مهارات تحتاج إلي اتقان وضع كل شي في محله ليزوال عنه صفه الظلم فهو حمل الامانه وهو ظلوما جهولا فالاصل فيه عدم العلم والميل الي مايهواه من الشر وولهذا فهو بحاجة أن يمن الله عليه بالعلم المفصل والعدل المفصل يحتاج العبد الي ارده مفصله جازمه فلا يكفي أن يحصل علي هدي مجمل بأن الله حق والرسول حق والكتاب فلا بد له من هدايه مفصله في كل ما ياتيه من الجزئيات التي تصيب الكثيرون بالحيره بقبول الحق حيث أن الحاجه الي ازاله الحيره غالبا ما يكون في مرحله التحولات التي تطرا علي البشريه حيث يخفي علي الإنسان المقصود نتيجته تغلب الشبهات والشهوات علي الكثير من الناس من جهة يحتاج العبد أيضا الي ارده مفصله جازمه في فعل المامورات وترك المحظورات وهذا الأمر في كل وقت وفي كل مرحله من مراحل الإنسان والتحولات التي تطرا في الحياه تجعله محتاجا الي الاهتداء الي الصراط المستقيم الذي ينال به رضوان الله ورحمته يحتاج المعونه الربانيه وأنوار الرحمه الالهيه التي تمده بالتوفيق والسداد لفهم وفقه التحولات ليضع كل شي في موضعه نظرا لأن الحيره التي تصيب الكثيرون بقبول الحق غالبا ماتكون في مرحله التحولات التي تطرا علي البشريه حيث يخفي علي الإنسان المقصود فيكون صعب فهم هذه المرحلة وتحليلها وكيف مواجهه التحديات التي تحملها مع خفاء المعاني التي يمكن الالتجاء إليها لمواجهة هذه التحولات

ولهذا يقول الحق أن الانتفاع بالقران والاهتداء به ونيل رضوان الله ورحمته يكون للمومنين الذين يصدقون بما فيه دون ادني شك ثقه بالمصدر خاصه فيما يتعلق بالأخبار عن الغيب مثل البعث والنشور والحساب والعقاب يدخل الجنه وهو. في الدنيا يتذوق حلاوه الطاعه هم ذاكرون لما فيه وهذا يعني أنه يأخذ الإشارات من النصوص التي تخرجه من الحيره التي يقع فيها الكثيرون ممن تغلب عليهم الشبهات

ولهذا فإن فقه التحولات الذي يركزه المومن كتمره من ثمرات الارتقاء في درجات الايمان وارتباطه بربه واتصاله به يجعله قادرا علي احسان تنزيل النصوص من خلال دراسته العلاقه والإشارات من النصوص والموقف والدلالات وهذا الأمر يحتاج الي سلامه الذوق الباطني والظاهر والوعي السليم ولهذا ذكر أن الانتفاع بالقران إنما يكون للمومن الذي حصل له الارتقاء بالوعي وركزه الله الفهم الذوقي الناتج عن علم الذكر وعلم الفكر وعلم الشكر لانه عرف نفسه بفقره وضعفه وحاجته لربه فاتسع علمه وانشرح صدره فرزقه الله التوفيق والعرفان

أما الكفار لاينتفعون به لانهم لم يحصل منهم الايمان والتصديق بما يخبرهم الله في القران عن أمور الغيب فهم لا يهتمون بمستقبلهم حتي تتحقق الاخبار التي تحدث عنها القران فيقول الحق (هل ينظرون إلا تأويله) أي أنهم في انتظار تحقيق وقوع ما أخبر به من المسائل الغيبه كما قال يوسف (هذا تأويل رؤؤيا من قبل)

وقال الربيع لا يزال يجي من تأويله أمر حتي يعم يوم القيامة وحتى يدخل أهل الجنه وأهل النار النار

ولهذا يقول الحق بعدها (يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل)

فدلت الايه اهميه الاهتمام بعلم الساعه ودراسته والتأمل في معانيه المعبره عن حال البشريه أمام تحولات الأزمنه ومسيره التاريخ وكذلك مواقف الناس من الرسالات

فالنسيان فيه هي للتعبير عن الغفله عن ما يجري عليهم من اشرط وعلامات الساعه الموديه بهم الي الأعراض عن تذكر الاخره من جهة و الأعراض عن القيام بالمسؤولية الشرعيه في الحياه الدنيا الذي حمله إليهم الرسل من ربهم حيث انشغلوا عنه بالانهماك بالشهوات و الملذات والماديات حتي جاءهم الموت حيث كان حصول علم عين اليقين ثم كان الحساب والعقاب فحصل علم حق اليقين عندها بعد أن فات الاوان كان منهم اظهار التاسف والندم والحسره علي التفریط بأمر الله الذي اهملوا في الدنيا وتركوا العمل بما أمرهم الله وتناسوه وهم في الدنيا

(قد جاءت رسل ربنا بالحق)

اعتراف منهم بعد مشاهد ما أخبر عنه الرسل من الانذار من العذاب اعترافا بعد معانيه العذاب وبعد أن صار العذاب حقا واقعا بهم حصل منهم الاعتراف والإقرار بصدق الرسل وما جاء في الكتب السماويه

فما فائده الاعتراف هنا والندم فالاجدار بكم أن تتذكروا ذلك في الدنيا فالإنسان مولود علي الفطره والاسلام دين الفطره التي أودعها الله في الإنسان فهو يعرف ربه ويحبه ويوحده ولهذا لما أعرضوا عن ذكر الله الذكر المشروع الذي كان في الفطره وجاءت به الشريعه الذي يتضمن معرفه الله ومحبه وعبادته وتوحيده نسوا الله من هذا الوجه وتركوا العمل والاستعداد للقاء الله عاقبهم بنسيان أنفسهم فلم

يستعدوا للقاء الله ولم يعملوا لما فيه الخير لأنفسهم فتعلقوا باهاوم وخرافات ظنوا أنها تنفعهم وقت الشده وعند الحاجه ولهذا قال تعالي أن الإيمان هو سبب الانتفاع بهدايه القران لأن المومن كان شاعرا بالمسؤولية عن القيام بأمر الله وذاكرا لله وشكرا له استفاد من الآيات القرآنيه التي تدله علي ما فيه سعاده

في الدنيا والآخرة فحياته كلها تقوم علي قاعده (اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

أما الكفار فهم كما قلنا أعرضوا عن الساعه وعن اشراطها اي عن تذكر الآخرة وأعرضوا عن القيام بالمسؤولية في الدنيا لانهم تعلقوا بـ المال والجاه والسلطان ولهذا تصور لنا الآيات حال هولاء عندما شاهدوا العذاب حقيقه أمامهم حيث كان الاعتراف بصدق ما جاء به الرسل من الوحي الإلهي فلم يتبقي لهم إلا التأسف والندم علي الوقوف ضد الحق في الدنيا والأعراض عنه ثم يقولون (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا)

هكذا هو حال كل من لم يعمر قلبه بالإيمان عند الأزمات يصاب بالانهيار واول ما يخطر في باله إذا حلت به مشكله أنه يبحث عن الأ قوياء وأصحاب النفوذ لأجل أن يتوسطوا له لإنقاذه من الازمه التي حلت به يبحثون عن الخلاص مما هم فيه من خلال الاستعانة بأصحاب الكلمه النافذه هذا هو حال الذي يستمد عزته من مال وجاه أو جنس أو عشيره ولهذا فإن هولاء يتصورون أن الآخرة مثل الدنيا ولهذا يبحثون عن أقاربهم من الصالحين يريدون أن يشفعوا لهم عند ربهم لانهم فاسدون ينظرون للآخرة بتفكيرهم الخسيس الذي عاشوه في الدنيا حيث أن الشفاعة في الدنيا تعني أن المخلوق يشفع عند غيره سواء كان اعلي منه أو أدني اودونه بدون إذن المشفوع إليه ويقبل المشفوع إليه أما لرغبته أو لخوفه وخشيته ولهذا يبحثون عن الشفعاء يبحثون عن أعمال كانوا ينظرون لها أنها أعمال خير تنفعهم ساعه الحساب لكنهم يجدون أن الله جعلها هباء منثورا يبحثون عن الأكابر والساده الذين كانوا تابعين لهم في الدنيا وعن ما كانوا يعبدون من دون الله من ملائكه وصالحين

والايه توحى أنهم لا يجدون من ينفعهم أو يضرهم فقد انقطعت حيلهم وأخبروا أنه لاوساطه ولامحسوبيه فمن كان له نسب يتصل بـ الصالحين لاينفعهم فالشفاعة التي علقوا آمالهم عليها في الدنيا لم يجدوها فلا شفيع الا لمن إذن له الرحمن ورضي له قولا أخبروا أن الرصيد الوحيد هو العمل الصالح المقرون بالإيمان فالتوحيد ولهذا يتعرضون لله طالبيين العوده الي الدنيا وأنهم سوف يعملون أعمالا غير الأعمال التي عملوها فقال تعالي (أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل) وهذا كذب منهم مقصود به دفع ما حل بهم وظهور ما كانوا يخفون من قبل كما قال تعالي (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لكاذبون)

فهذا الوصف لأحوال ومصير أهل النار في الدنيا والآخرة بعد ذكر أحوال ومصير أحوال اهل الإيمان في الدنيا والآخرة مشحون بفقته التحولات وسنن الدلالات لتربط عموم الزمان والمكان فلا تقع فيما وقعوا فيه يقول لك الحق انتبه أن تقف موقف هولاء فتطلب العوده للدنيا لتعمل الأعمال الصالحه لانه يكون بعد فوات الاوان فأنت في الدنيا فعليك أن تستغل الفرصه فتعمل الأعمال الصالحه فلا تكون حالك مثل هولاء الذين فوتوا علي أنفسهم النجاه والسلامه والفوز والنجاح والأرباح الحقيقه وسلوكوا بها طريق الهلاك فقال تعالي (قد خسروا أنفسهم)

خسروا أنفسهم بأن أوردوا موارد الهلاك خسروا أنفسهم لانهم لم يستعدوا لهذا اليوم ولم يعملوا الأعمال الصالحه خسروا أنفسهم لانهم لم يحذروا العاقبه التي يصير إليها فلم يعمل عملا لنفسه يحفظها من سوء المصير فقد انشغلوا بالشهوات والملذات وجمع المال والسعي للحصول علي الجاه والسلطان وكل ما تعلقوا به وظنوا انه يدفع عنهم الضرر وعلقوا آمالهم عليها انها فيها العزه والكرامه والقوه وقت الشدائد فالنهايه أنهم لم يجدوا من الأقوياء النصره ومن كان يعبد المال لم يجده فقال تعالي (وضل عنهم ما كانوا يفترون)

لم يجدوا الشفعاء الذين تعلقوا بهم ذهبوا عنهم فالله يقول في موضع آخر (لايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة)وقال تعالي عن إبراهيم بشأن ابيه(وما أملك لك من الله شي)

فالله يقول (ولانتفع الشفاعة عنده إلا لمن إذن له)

ويقول (يومئذ لانتفع الشفاعة الا من إذن له الرحمن ورضي له قولا)

فإذا كان لايشفع الشفعاء من الأنبياء والصالحين الا بإذنه تعالي

فإن ما تعلق به هولاء من أوهام الأصنام والتقرب بعباده الصالحين والتوسل بهم يذهب ويضيع عنهم فلا يجدونهم

فالايه ترسم خيبه الامل الناتج عن فساد التصور الذي علق في أذهان الكفار حيث تصوروا أن هنالك وساطه ومحسوبيه عند الله فعبدوا الأ صنم علي اعتبار أنها تقربهم الي الله زلفي تقوم هذه الفلسفه علي فكره سخيفه تنظر للآخرة من مفهوم الدنيا التي يكون فيها قيام

المخلوق بالتوسط عند اخر ادني منه أو اعلي حيث يكون قبول شفاعته أما لرغبته أو فيما عنده من قوه أو مصالح متبادلة أو سبب ينفعه أو يدفع عنه ما يخشاه أما للرهبة منه أو لمحبه وأما للمعاوضه بينهما أو المعاونه أو لغير ذلك من الأسباب ولهذا كان توجه هؤلاء في الخطاب (فهل لنا من شفاعه فيشفعوا لنا)

فلم يجدوا ما اعتمدوا عليه في الدنيا وتوهموا أنهم ينفعونهم وقت الشده فأراد بهذا الحق أن يقول لك لا تركز علي المال والجاه و السلطان كما فعل هؤلاء الذين عبدوا الأوثان وقالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله فالله سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر (ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهه بل ضلوا عنهم وذلك افكهم وما كانوا يفترون)

فالتوحيد أن تعبد الله وحده لا شريك له وأن لاتعبد ه الا بما أحبه ورضيه وهو ما امر وشرعه علي السن الرسل صلوات الله عليهم تضمن طاعه الله ومحبه وطاعه الرسول ومولاه أولياء الله ومعاده أعداء الله وان يكون الله ورسوله أحب إليك من كل ما سواهما وان تحب المرء لاتحبه الا في الله وان تبغض المرء لاتبغضه الا في الله ولهذا فإن توحيد الألوهية يعني فعل المأمور وترك المحظور ابتغاء مرضاة الله والصبر علي الشدائد اي يكون أفراد العباده والاستعانة ب الله (اياك نعبد و اياك نستعين)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية

فهذا التوحيد وهو الفارق بين الموحّد والمشرك وعليه يقع العوَاب والعقَاب والجزء في الأولي والاخره ومن لم يأتي به كان من المشركين خالدا في النار فالله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء لأن المشركين كانوا يعترفون (بتوحيد الربوبية)

بأن الله خالق الكون والناس وهو الرزق والمعطي والمانع والمالك لكل شي ولهذا كان هذا الإقرار حجه عليهم لأن اقرارهم بأن الله الخالق والمالك والأرزاق يعني أن يعبد الله وحده لا شريك له لأن مادونه مخلوق لا يملك نفع ولاضر ولهذا نجد أن الايات تأتي بعدها تأخذ القارئ في رحله متانيه في الكون لتطلع الإنسان علي ربوبيته تعالي والوهيته والشواهد الكونيه في الكون الناطقه بانفراده تعالي بالخلق والأمر من خلال توجيه الأنظار الي التأمل والتفكير بمكونات هذا الكون لتري جمال الله وجلاله وكماله وعظمته وإحسانه فانت مخلوق لمعرفه الله ومحبه وعبادته وتوحيده وطاعته فاول خطوه في هذا الطريق تكون بمعرفته تعالي ولهذا ابتدأت نصوص المقطع الخامس بقوله تعالي

(أن ريكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة ايام ثم استوي علي العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثينا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الإله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ادعوا ريكم تضرعا وخفيه أنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا أن رحمت الله قريب من المحسنين وهو الذي يرسل الرياح يرسل البشرى بين يدي رحمته حتي إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه ببلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل العمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون)

اولا

تناقش انفراد الله بالربوبية يقول الحق أنه تعالي هو خالق الكون ومبدعه ومسخره لخدمه الإنسان فالله هو الذي يدبره ويصرفه بقدره تعالي هو الخالق المهيمن علي هذا الكون الضخم فانظر إليه وتأمل الي انفراده تعالي في تدبير الكون فلو كان معه الهه لما شاهدت هذا الانضباط في حركه الكون يطلب فيها حضور العقل البشري للتفكر في مخلوقات الله في الكون فاراد بهذا الآتي

الأمر الأول

تحرير عقل الإنسان الذي اداه الخلافه من الأوهام والخرافات التي أصابت العقل الجاهلي بمقتل وجعلتهم يعيشون ضمن نساق فكري غير صحيح فهم رغم أنهم يقررون بربوبية الله للكون كله وأنه الخالق والرزق لكل شي ولاخلاف حول ذلك إلا أنهم كانوا ينكرون الرساله والأمر والنهي والرسول اي (ينكرون ماهو متعلق بمقام الألوهيه) الذي هو افعال أو لاتفعل

ولهذا تأتي الآيات بخطاب يدعو العقل الي التفكير في مخلوقات الله ومفعولاته في هذا الكون لتكون مقدمه يستدل بها علي معرفه الحق وثمره ذلك الايمان والافتناع

فالحق يريد أن يتعرف الناس علي عظمه خلقه ودقه صنعه وإبداعه فيعرفوا الخالق وعظمته وجلاله وكماله وصفاته هذا الهدف المباشر وهذه معرفه لاتأتي الا بالبحث والدراسه والتحليل والاستقراء لما في الكون واكتشاف اسرارها وفهم دقائق الأمور وتفاصيل الاشياء فمن خلال الرؤيه العميقه التي ينطلق منها المومن في بحته ينطلق العبد في قراءتها للظواهر الكونية والايات المرئيه فهو يتجاوز المناظر الطبيعيه الجماليه التي يشاهد بها الايات الكونيه الرؤيه القريبه الي رؤيه ماوراء الطبيعه من عظمه الخالق من الشهاده الي الغيب ومن المتناهي الي اللامتناهي فهي اللغه التي يخاطب بها العالم يقود فيها البشريه نحو وحده الخالق ووحده الخلق ووحده معرفه الانسانيه

فالآيات تركز علي تحرير الإنسان من حاله الجمود الناتج عن ثقافه الجاهليه التي جعلتهم يعبدون الأصنام رغم اعترافهم أن الله هو خالق الكون ليس لاحجه بل لأن ذلك ما وجدوا عليه آباءهم وهذا هو حال الشعوب التي تسمع للاخبار وهي غير ابهه للفحص والتفكير في مدي صحه تلك الأخبار فإن هذه الشعوب تكون قابله للمغالطات والأوهام والخرافات ولهذا نجد أن الآيات وردت بعد ذكر شرك اهل مكه فهو يدعو الإنسان الي النظر والتأمل يقول لك الحق عليك البحث والنظر والتأمل في الكون

عليك أن تتقف مع نفسك وتسألها :-

من المسئول عن حركه الكون بهذا الانضباط في الحركه والروعه في دوره الكواكب وتتابع دوره الليل والنهار انظر الي عجيب هذا الحساب الدقيق فالليل لايسبق النهار ولا النهار يسبق الليل يخرج الضوء من الليل والظلمه من النهار ويجري كلا منهما في فلك

فهذه دوره التي تراها تلقي في الشعور جمال الحركه وحيوتها وانت تشاهد تتابع الليل والنهار وكلا منهما يطلب الآخر ويجتهد في طلبه فكل منا لابد أنه شاهد هذه دوره العجيبه

لكن الفرق بين مشاهد المومن صاحب القلب الحي وغيره أن المومن عندما ينظر لها يري جمال الله وعظمته وجلاله وكماله وإحسانه في مفعولاته وأفعاله يري كيف يدور الليل والنهار ويراقب جمال هذه دوره فيري قدره الله وإبداعه

أما صاحب القلب الميت فإنه يكون بلا احساس نتيجة اعتياده النظر لهذه الظواهر فيكون الأمر مألوفاً لديه فتغيب عنه ماتوحي به آيات الله المرثيه من مفاهيم ودروس وتختفي وتحتجب وراء الالفه التي تقتل الاحساس في النفس فلا يري ما يراها المومن

الذي يحس بما يراه يدرس التحولات والسنن التي ترتبط بها فيكون له دراسه وقراءه الإبيحات التي تنقلها الآيات الكونية فتحدث آثارها بزياده علم الذكر للخالق وعلم الفكر الذي يجعل العبد لاينظر لشي إلا ويرى فيها يد الخالق تعمل فيها يري ابداع الخالق الذي ليس كعمله شي يري أن الله هو الأول والآخر وأنه لاتدرکه الأبصار فتلقي هذه المشاعر في النفس الخوف منه تعالي والرجاء فيراقب هذه الحركات التي يراها بقلب مرتعش خائف من ربه قلب شاعرا بعطف الله وانعامه ولهذا يزيد علم الشكر لديه فيقبل علي ربه شاكرًا كلما حل أمامه مشهد من الآيات الكونية

ينظر إلي أنها كائنات تتحرك وفق أوامر الله وأن النظام الذي يحكمها ويضبطها هو السنن والقوانين والنوميس الالهيه التي تخضع لله تعالي فهو من خلقها ولهذا فإن الخالق هو الذي له الأمر وهو تعالي رب العالمين

فأراد الحق بهذا تحرير العقل الإنساني من الخرافه والأوهام التي عاشها أهل الجاهليه فهذا المنهج العقلي الذي يخاطب فيها العقول والا فهام لأعمال العقل من خلال توجيه الأناظر الي مخلوقات الله في الكون

عليك أن تتقف مع نفسك وتسألها:-

كيف لي انا المخلوق أن أخرج عن طاعه الله إذا كان هذا الكون الواسع وكل ما فيه يعبد الله بطريقته فالتسخير الإلهي لهذا الكون ومافيه لخدمه الإنسان هو عباده هذه المخلوقات

فأنت ايه الإنسان سيد علي الكون بأمر الله واذا كان هذا الكون يمضي حيث أمره الله تعالي فكيف لك انت ايه الإنسان الضعيف أن تعصي الله وانت لاتساوي شي امام ما خلق الله

ثم إنه إذا كان هذا الكون كله يعبد الله علي طريقته فإن اللازم عليك ايه الإنسان أن تتجه بالعباده الي الله والاستعانة به تعالي في الدعاء وحده لاشريك له ولاتعتدي علي سلطانه في شي

عليك أن تسأل نفسك كيف تحافظ علي تكريم الله لك :-

اعلم أن عناية الله ورعايته للإنسان انه تعالي جعل عباده الكون في تسخير لخدمه الإنسان والله تعالي اعطاءك كل هذه النعم التي لا تعد ولاتحصي فجعل السنن الكونية كلها تتحرك وفقا لمنهج الله الذي يحكم هذا الكون (أسباب ومسببات)

لأجل أن تعرف الله وتحبه وتوحيده وتعبده ولأجل أن تقوم بواجب الخلافه فهذا المنهج التجريبي يعني أن تعرف الخالق من خلال معرفه عظمه خلقه فهذا هو الهدف الأساسي من المنهج التجريبي فالمطلوب منك أن تدرس ظاهره حركه الليل والنهار ظاهر حركه الشمس والقمر والنجوم لكن عليك الإنتباه من تفتن بهذه الظواهر فتكون دراستك وبحبك وتحصيل التجارب في اكتشاف أمر الكون سببا يجعلك تقدس هذه المخلوقات فتكون عابدا لها فهي مخلوقات تتحرك بأمر الله

ولهذا فعليك أن تحذر من التعلق بالاسباب دون المسبب في طلب ما تحتاج أو عندما تواجه المصاعب فجميع من في الكون مخلوقات

وعليك أن تتوجه بالدعاء الي الله تعالى في كل أمر فهو الذي بيده كل شي فهذه الأسباب والمسببات التي يتطلب منك استيعابها لتعرف حركه الكون وتدرس خصائصها ينبغي أن يتوجه الي حقيقه جوهرها بما يحقق انتفاعك الروحي والجسدي فالمعرفه المطلوبة هي تلك المعرفه التي تستفيد منها في بناء الحضاره والعمران والتي تؤثر في اخلاق الناس وسلوكهم وأفعالهم بأن تكون موافقه لمنهج الله تعالى فالله عندما طلب اليهود معرفه الروح قال في رده عليهم (قل الروح من أمر الله وما اوتيتم من العلم الا قليلا)

فلا توجد فائده من معرفه كنه الروح وحقيقتها فيما يتعلق بأمر الخلافة فأخبرهم أن العلم الذي منحه الله لهم هو ذلك العلم الذي يحتاجونه في القيام بالخلافة فالمهم أن يتعلموا كيفية جعل الروح أكثر صفاء بحيث تكون كل حركه تهدف إلي الفوز برضوان الله وعفوه ومحبه وعبادته وتوحيده وطاعته

عليك أن لاتعتد علي سلطان الله سواء في ترك شرعه والحكم به والاتجاه الي الهوي فهذا اعتداء أو بالاستعانة بالمخلوق أو الشرك به وكذلك فإن الخلافة تعني العمران بالتحسين والاستقرار في الأرض

بالبناء والإعمار وفقا لمنهج الله القويم الذي يحقق الهدف وإصلاح ما أفسدته الحضارات الماديه بما يحقق التطور المادي والروحي للإنسان ولهذا فاللزام الحفاظ علي القيم والمبادئ والمعل العليا الروحانيه التي أمر الله بها في كتابه أثناء الاعمار ولهذا يحذر الحق من الا فساد في الأرض بعد إصلاحها

فالدنيا دار أسباب ولهذا فعلي المومن أن يبني خطته وآماله بناء علي ذلك مع الاعتماد علي الله فليس من حق أي إنسان أن ينتظر نتائج لم ينجز مقدماتها ولهذا فاللزام أن تتوجه بالعمل وجه الله قبل كل شي بصدق وإخلاص وأن تتحري الصواب في العمل من حيث المشروعية في الكتاب والسنة ومن حيث الصواب من حيث العلوم الماديه واستشعار المسؤوليه وانك سوف تقف امام الله وتحاسب علي كل صغيره وكبيره فالله محصيه مهما قلت اوصفرت ولهذا عليك أن تربط كل عمل بالتوحيد وانطلق من هذه القاعده

الأمر الثاني

تهدف الآيات الي اعاده تشكيل العقول والافهام والقلوب بحيث تكون موافقه للصوره التي يريدتها الله تعالى ولهذا نجد صدر الابه ابتداء بذكر أن الرب المستحق للربوبيه ليس الا اله واحد هو الله الخالق كل شي علي الترتيب المحكم المتضمن صفات كمال العلم والحكمة و القدره فقال تعالى (أن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة ايام ثم استوي علي العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا و الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)

وهذا فيه الاتي :-

المساله الاولى

دعوه الي تأمل ابداع الخالق في هذا الكون الفسيح فالسمااء كل ما يعلوك والأرض كل مانت فوقه

يقول لك الحق أن الخالق لهذا كله هو الله تعالى الذي وهب لكل شي خلقه بحسب حاله ثم هداه الي ما يستكمل به غايته التي خلق لاجلها فكل مخلوق خلق لغايه فإذا تأملت في هذه المخلوقات تجد أنه تعالى أعطاه كل مخلوق بنيه تتناسب مع الوظيفة والغايه التي خلق لاجلها

فهو تعالى يخبرنا أنه الخالق والمهيمن علي الكون الفسيح الذي هو أكبر من خلق الانسان وبالتالي فإن هذا الدليل يقود الي معرفه الله وعظمته وإحسانه وكماله من خلال مشاهده مفعولاته فيجب عليك تنزيه الله عن النقص والتشبيه أو التعطيل وان تدعوه باسماءه وصفاته التي سمي بها نفسه في كتابه

المساله الثانيه

تلقت الآيات الأنظار الي دليل آخر يدل علي الخالق سبحانه وتعالى وأنه المدبر للكون كله والمهيمن عليه والمتصرف به فقال تعالى (يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره)

وردت بعد ذكر أنه استواء الله علي العرش وهذا فيه إثبات الاستواء لله بما يليق بجلاله دون الخوض في كيفية ذلك فلا يجوز التفكير في ذات الله لأن في ذلك الهلاك وانما التفكير يكون في مخلوقات الله ولهذا انتقل بعدها الي تعاقب الليل والنهار فانت مكلف أن تعبد الله مكلف بالعمل والحركه وهذا يحتاج الي بذل الجهد والراحه بعده ولذلك خلق الله الليل والنهار فالليل للراحه والنهار للعمل فقال تعالى (يغشي الليل النهار)

يغشي حال من ضمير خلق وجي به بالمضارع لما يدل عليه من التجديد لانه جعل الاشياء المتقدم عليه ثابتة مستمره أما غشي الليل و النهار فهو أمر متجدد باستمرار تري أنه يستمر بظلامه النهار ويغطيه وكذلك فإن النهار يزيل بضوه الظلام وهذا من الاعجاز القراني الذي سبق فيه الاكتشافات العلمية عن حركة الارض حول نفسها وحركة الشمس والقمر حيث اكتشف أن الارض كرويه وهو ما يجعل الليل و النهار موجودان معا علي سطح الأرض فلا يسبق أحدهما الآخر ولهذا نلاحظ أن كلا منهما يعقب الآخر وبجي بعده من غير أن يفصل بينهما شي كأنه يطلب الآخر فقال تعالي (يطلبه حثيما)

وهذه الكلمه (حثيما) تعني سريعا وهذا يدل علي كرويه الارض حيث يكون نصف الكره الارضيه مضيئا والنصف الآخر مظلم فيكون في بقعه نهارا وبقعه ليلا فدوران الأرض حول نفسها يحدث تعاقب الليل والنهار

فالقران الكريم جاء بمنهجان منهج عقلي وهو الايات الكونيه ومنهج روحاني وهو الايات المسموعه وتكمن مشكله المسلمين اليوم في مخاطبه العالم بلغه القران التي يفهمها العالم كله لأننا لم نهتم بالايات الكونيه التي تمثل لغه عالميه يخاطب بها القران اجمع

فنحن اليوم نحتاج الي اعاده بناء المفاهيم الكونيه من خلال إعداد العالم المسلم الذي يبحث في الفلك والطب والفضاء والهندسه في كل المجالات والذي يكون به تعريف الناس بالخالق وإثبات صدق القران بحيث يكون تأصيل الرويه الكونيه في منهج القران لتقدمه للبشره كمصدر حيوي كما قدمه القران قبل الف وأربعمائة عام

فالحق يعيطك النماذج المعرفي الذي تنطلق فيه في عرض آياته الكونيه يقول لك عليك أن تنظر الي حركة الكون حيث تجد أنها تقوم علي نواميس وسنن فأنت تشاهد الشمس والقمر والنجوم تتحرك وفق تلك الأسباب والمسببات وفق نظام منضبط ودقيق فلو لا لم يكن هنالك مدبر حكيم ينظم سيرها لحدث اختلال نظام الكون فلماذا لا يصطادم الشمس والقمر رغم أن كلامها يتحرك بسرعه فائقه لو نقص مقدار شعره لاختل نظام الكون ولانهار نظام العالم فهذه الافلاك التي تضم عددا يحصي من الإجمام لو أصابها ادني خلل لحدثت الكارته فمن أعطاها هذا الانضباط بحيث تكون حركة الإجمام منضبطة تتحرك ولا تصادم ولا تتغير سرعتها

أنها قدره الله فقال تعالي (مسخرات بأمره)

فالله بعد بيان ذلك يقول لك ايه الإنسان انظر لمركزك في هذا الكون وموقعك الذي اختصك الله به فأنت سيد الكون لأن الله سخر الكون لخدمتك بأمره فجعل النوميس التي تحكم الكون لأجل أن تعيش فيه ايه الإنسان جعل عبادته الكون هو التسخير الذي يكون فيه تيسير المعيشه للإنسان في الأرض

فعليك أن تحس بهذا التكريم وان تحترم ما هذا التكريم فكيف تلجاء الي عبادته مخلوقات خلقها الله وجعلك خليفه له في الكون ولهذا فإن كرامتك مرتبطه بالقيام بتنفيذ أمر الله بحيث تنسجم حركتك مع حركة الكون يجب أن تنطلق من أهداف وقيم ومعايير ومثل المنهج الإلهي لان الخالق له الخلق والأمر

والخلق اليجاد من العدم... والأمر اي أن تخضع للتشريع الإلهي الذي سنه لخلقته تعرف الغايه من خلقك وهي التي أخبرنا الله فقال

(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون. الخ)

وعبادته الله تعني الالتزام بمنهج الله واوامره ونواهيه في كل شي تنطلق من هذا المنهج لا من الغرائز الماديه ولهذا فإن الفرق بين الحضاره الماديه التي يحصل بها التقدم واكتشاف اسرار الكون

المجرده من القيم والمبادئ الروحانيه

حيث أن هذه الحضاره تحدث قتل للمواهب ويكون جذب الإنسان نحو أسفل السافلين حيث نجد أنه كلما حصل مزيدا من التطور في الحضاره يكون فيه مزيدا من الانحطاط في القيم الروحانيه وتنعكس نظرتهم للحياه فينظر الي أهل القيم أنهم اغبياء وحمقاء

لكن الحضاره الاسلاميه تقوم علي تعريف الإنسان بالماده وبخالق الماده وبهذا فإن الحضاره وفق النظره الاسلاميه تودي الي التفاني في خدمه البشريه والارتقاء بالقيم والمبادئ الايمانيه والإصلاح في الأرض تنطلق من عقيدته التوحيد التي توجب شكر الله علي انعامه ومعرفتها والثناء علي الله الذي تعاضمت انعامه وعنايته بالمخلوقات كلها فالله هو الموجد لكل شي والمتصرف بكل شي فهو رب العالمين فقال تعالي (الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)

الأمر العالث

لماذا خلق الله السموات والأرض في ستة ايام مع أنه تعالي قادر أن يخلقهن في كلمه كن فيكون فهو يقول في موضع آخر (إنما امره اذا

اراد شيئا أن يقول له كن فيكون)

عليك أن تدرك أنه تعالي خلق الكون ولم يمسه تعب ولا لغوب

فالله قادر أن يخلق السموات والأرض بكلمه كن فيكون ولكن أراد أن يعلمنا الرفق والتثبت في الأمور والصبر وعدم الاستعجال فقد جعل الله لكل شي اجلامحدد ووقتا مقدرًا فهو تعالي قادرًا علي إيصال الثواب للمطيعين في الحال وإيصال العقاب للعصاة في الحال ولكن يُوخِر ذلك إلي أجل معلوم ومقدر لانه تعالي جعل لكل شي اجلا فهو تعالي لايهمل وبالتالي فلا يكون تأخير العقاب حاملا علي ترك العمل فالله يمهل ولا يهمل

فالنظام والتدريج في الخلق من الدلائل علي الارده والحكمه والواحدنيه الذي يقتضي وجوده تعالي وان له الخلق والأمر وأنه رب العالمين

ثانيا

بعد تقديم هذا النموذج المعرفي (خلق السموات والأرض والظواهر الكونيه) لتكون مقدمه انطلاق لمشاهده ما غاب عن الحس واحتجب وراءها لتكون هذه المعرفه مقدمه انطلاق للإيمان بالغيب ولهذا يدعوا التي يدعو العقل للتفكير لهذا الكون فمأهي النتيجه التي يرجع بها العقل... أخبرنا الله أنه لابد أن يدرك أن لهذا الكون من خالق حكيم مدبر له كمال قدره والعلم والحكمه والواحدنيه اذا فكر في ملكوت السموات والأرض فلا ينكر هذه الحقيقه الا جاحد اوفاقد لعقله وبالتالي فإن عليكم اعاده بناء نظرتكم ومشاهدتكم للعلوم الطبيعيه والاجتماعيه والآيات الكونيه فعليكم الانطلاق من روية توحيديه بحيث تتجاوز نظرتكم رويه جمال الطبيعه ومحاكتها الي رويه ما يختفي وراها اي الانتقال من مشاهده افعال الرب ومفعولاته المشهوده التي لا يختلف عليها أحد من الناس فالجميع متفقون أن الله تعالي هو خالق الكون لاشريك له إلي الايمان بآيات الله النظرية التي تغيب عن عالمكم (الغيب) والناس يتفاوتون فيها ويختلفون بشأنها ولهذا فإن دلاله آياته الكونيه تثبت صحة الأفعال النظرية التي أخبرنا الله عنها في القران والي إدراك حقيقه انك خليفه لله في الأرض فأنت سيد الكون بأمر الله أنت فأنت بحاجة الي هذه المعرفه التي تجعلك عارفا ماهو مركز في هذا الكون وماهو موقعك فيه أنت بحاجة لتعرف مأهي العلاقه بينك وبين بني جنسك والعلاقه التي ترتبط بها مع المخلوقات من حولك وكيف تتعامل معها والعلاقه بينك وبين ربك فقال تعالي

(ادعوا ربكم تضرعا وخفيه انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا أن رحمت الله قريب من المحسنين)

المبحث الأول

تبين لنا الآيات أنه بناء علي ماسبق عليك أن تعرف انك مخلوق وان من في هذا الكون مخلوقات وان الخالق لكم جميعا هو الله تعالي فهذا كان المدخل لتحرير الإنسان من الضغوط التي تستعبده في الحياه يقول له الحق أن الخالق والمالك لهذا الكون هو الله

فقال تعالي (ادعوا ربكم تضرعا وخفيه انه لا يحب المعتدين)

الأمر الأول

توجه إليهم بالأمر بالدعاء في العباده والمساله لله فأراد بهذا أن يغزو التوحيد أعماق النفس الداخليه ولهذا قال (ادعوا ربكم)

اي ادعوا متولي أموركم في كل الأوقات لانك ايه الإنسان ضعيف تحتاج إلي ربك فشان العبد أن في افتقار الي الله

فقد خلق الله الإنسان ضعيف لانه لوخلق قويا لاستغني بقوته عن الله ولهذا فإن ضعف الإنسان لأجل أن يكون الإنسان شاعرا بافتقاره الي الله ولهذا كان علم النفوس بحاجتهم وفقيرهم الي الرب قبل علمهم بحاجتهم الي الاله المعبود وقصدتهم في طلب حاجتهم العاجله قبل الاجله فاقرارهم ب الله من جهه ربوبيته اسبق من اقرارهم به تعالي من جهه الوهيته وكان الدعاء له والاستعانة به تعالي والتوكل عليه أكثر من العباده والانابه إليه

ولهذا يدعوههم الله الي عبادته وحده لاشريك له بأن هذا هو المقصود المستلزم للاقرار بالربوبيه ولهذا قال تعالي (الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)

فالإنسان وجميع المخلوقات عباد الله وهو خالقهم وما لكهم وهم فقراء الي الله مماليك له وهو الههم ومالكهم وربهم وهم محتاجون له

تعاضمت خيراته فلا ينفذ عطاءه

ومن هذه البوابه كان تربيته المومنين الاوائل وتحريرهم من كل علاقته تبعيه لإنسان اخر ولهذا فإن استقرار حقيقته التوحيد في أعماق النفس تعني أن تتحرر من كل أشكال التبعية لانك تتصل بالله فلا تتنازل عن كرامتك وعقلك أمام انسان مغلك فتخضع له علي حساب الحق لانه يملك القوه والمال والجاه والسلطان

فالآيات السابقه علي هذا المقطع قد أنكرت التبعية التي فيها امتهان كرامه الانسان واوضحت انها تخرج الإنسان من دائره

إنسانيته واوضحت أن تلك العلاقه أو العلاقه التي تربطه بالاصنام العاجزه سواء كانت ماديه احجار أو بشر أو ملائكه أو جن أو مال أو اي شكل من أشكال الوثنيه سواء كانت دينيه أو سياسيه استبداديه أو اقتصاديه أو اجتماعيه أو سلاليه أو مال أو اي نوع من أنواع الصنميه وبيئت الآيات إن الساده والاكابر لايمتازون عن الإبتاع شي فهم كلهم مخلوقات خلقها الله وان الإنسان إذا خضع لها صار ظالما لنفسه لانه لم يحتفظ بكرامته التي منحها الله له

مااحتك الي عبادته غير الله اذا علمت أنه تعالي الخالق والمالك لكل شي فقال تعالي (ادعوا ربكم تضرعا وخفيه انه لايجب المعتدين)

الأمر الثاني

يقول لك الحق عليك أن تستمد قوتك من الله فهو تعالي خلقك ضعيف لتكون قوي بالله لتستعين بالله خلقك جاهلا لتستشير بنور الله فالقصد من الدعاء الاتصال بالله أن تذوق حلاوه مناجاه الله تعالي وان تشعر أن كل شي بيد الله تتوكل عليه في العسر واليسر و الرخاء والشده لا تعتمد علي أحد غير الله فعليك أن تلجأ الي الله تشعر أن كل شي بيد الله تري أن كل شي بيده ولهذا قال تعالي (ادعوا ربكم تضرعا)

اي أظهر ضعفك الي الله أظهر افتقارك الي الله وتذلل بين يديه مرغ جبهتك بين يديه في كل الأوقات

الأمر الثاني

(القصد من الدعاء الاتصال بالله وتذوق طعم الوقوف بين يدي الله)

ولهذا قال تعالي (ادعوا ربكم تضرعا وخفيه انه لايجب المعتدين ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا أن رحمت الله قريب من المحسنين)

فالآيات اشتملت عليه اداب نوعي الدعاء دعاء العباده ودعاء المساله

يريد الحق منك أن تذكر الله في كل الأوقات حين تنام تذكر الله وحين تأكل وحين تشرب وحين تعمل وقت الشده ووقت الرخاء يجب أن يكون حالك مختلفا عن المشركين الذين أخبرنا الله أنهم إذا مسهم الضر ضل من يدعون الاياه فقال تعالي في موضع آخر (وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين) يذكر أن النفس البشريه تعرف ربهها بالفطره فقد أودع الله فيه معرفه ربه ومحبتة وعبادته وتوحيده ولهذا وقت الشدائد يلجاء الإنسان الي ربه لكنهم بعد زوال الشدائد يعرضون عن عبادته في حال حصول أغراضهم فليس هذا هو القصد من الاتصال بالله وانما يجب أن تكون ذاكرا لله علي الدوام يجب أن تكون المشاكل بواعث ودوافع تجعلك تدعوا الله علي الدوام لتذوق طعم الوقوف بين يدي الله تعالي سواء وجدت مشاكل ام لا فقال تعالي (ادعوا ربكم تضرعا وخفيه.....الي قوله (وادعوه خوفا وطمعا)

فدعاء المساله طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره ودفعه

ومن يملك الضر والنفع فإنه المعبود وهذا يعني أنه مالكا للنفع والضر...ويدعوه خوفا ورجاء وهذا دعاء العباده

المبحث الثاني

فالانسان بحاجه الي الاتصال بالله فهذا الاتصال هو الذي فيه سعاده الإنسان ويلبّي متطلبات الروح النفخه التي نفخها الله والتي كانت من أهم أسباب تكريم الإنسان وسيادته علي الارض

فالله يقول في موضع آخر (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين)

فسعاده الإنسان تكمن بتحقيق الغايه من خلق الانسان وهو معرفه الله ومحبتة وتوحيده وطاعته وعبادته وقد أودع الله فيه الاسلام

الذي هو الفطره (العلم الفطري ..والمحبه الفطريه..والتوحيد الفطري)

والإسلام هو دين الفطره الذي خلق عليه الإنسان فكل عضو من أعضائه وملكاته كلها خلقت لتعرف ربها وتعبده وتوحده اي ان الله خلق الانسان علي الاسلام ومن اجل الاسلام يريد أن ينهك الإنسان بجميع قواه في عبادته الله ومحبه وطاعته

ولهذا نجد أن الإنسان يبحث دواما عن الذات العليا يجد نفسه مشدودا نحوها وان هنالك جاذبيه تدفعه للبحث عنها منذو لحظه ولادته يتعلق بأمه ثم إذا صار شاب بدأ يبحث عن الذات العليا في الزوجه ثم جمع المال والاولاد والجاه والسلطان ظنا منه أنه بذلك يشبع اشواق النفس التي تدفعه للبحث عن الذات العليا ولهذا فهو مهما صار غنيا ثريا أو صاحب ملك ومنتصب وسلطان أو إعلاميا وسياسيا نافذا أو عالما في الذره أو فيلسوف شهيرا فإنه لايجد السعاده التي يبحث عنها فإنه يظل يبحث دواما علي الذات العليا وهذا البحث ماهو الا بحث عن الإله العليّ فهو بحث فطري لأن ملكات الإنسان وكل عضو من أعضائه خلقت لمعرفة الله ومحبه وعبادته وتوحده فهو المقصد الحقيقي للحياه البشريه

كيف يكون تحقيق الاتصال بالله ؟

يقول الحق أن المنهج الرباني الذي يحقق الاتصال بالله ومعرفته هو الاسلام فهو الدين يكون من خلال آياته المرثيه والمسموعه فالآيات المرثيه احتوت علي اداله يصبح العقل فيه في غايه القوه والجلاله في استنتاج الادله العقليه في الكون وبما يتقي به العثار و الخطاء ومنهناج روحاني ولهذا بعد أن ذكر الحق آياته الكونيه التي تدل علي عظمه الخالق سبحانه وتعالى وقدرته وكمال علمه وحكمته وانعامه وإحسانه قال تعالي (ادعوا ربكم تضرعا وخفيه انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا أن رحمت الله قريب من المحسنين)

يقول لهم هذا هو الإله الحق الذي تبحثون عنه ولهذا فإن عليكم أن تفهموا أنه تعالي هو الذي له دعوه الحق فهو الذي خالقكم وهو المعبود وحده لا شريك له ولهذا تضمنت الايتان الاشتغال علي اداب نوعي الدعاء دعاء العباده ودعاء المساله لأنهما متلازمان فدعاء المساله هو طلب ما ينفع الداعي وطلب كشف ما يضره ودفعه ولهذا فإن كل من يملك النفع والضرر هو المعبود أما الذي لا يملك النفع والضرر فإنه لا يكون معبود فهو تعالي يقول في موضع آخر (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك) وقال أيضا (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم)

فالله يبين أن المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضرر فهو يدعو اي الداعي طالبا للنفع وان يكشف عنه الضرر وهذا دعاء مساله ..وهذا الدعاء (المساله) متضمن لدعاء العباده والخوف والرجاء فهو عندما يسأل النفع يرجوا الله أن يجيبه لما يطلب وعندما يطلب كشف الضرر يكون خائفا من الله لأنه هو الذي بيده الضرر والنفع

وكذلك فإن كل دعاء عباده مستلزم لدعاء المساله

ولهذا يقول الله تعالي (ادعوا ربكم تضرعا وخفيه.....وادعوه خوفا وطمعا)

بعد عرض آياته الكونيه فيقول لنا هذا هو الإله الحق القادر علي الاجابه هذا هو الإله الذي بيده كله شي كما قال تعالي (له دعوه الحق و الذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشي الا كباسط كفيه الي الماء ليبلغ فاهه وما هو ببالفه وما دعاء الكافرين الا في ضلال)

فالذين يجهلون الإله الحق ادعيتهم باطله ولهذا نجد أن الايات تركز علي تقويه الجانب المعرفي بالله وتقويه الارده يتوجه الي الناس يعرفهم بذاته وكماله يقول لهم (ادعوا ربكم تضرعا وخفيه) افهموا الغايه من وجودكم عليكم ان تذكروا الله علي الدوام فانت مخلوق لعبادته فما رأيت من عجائب مخلوقات الله ينبغي أن يكون غذاء روحاني تري فيه حسن الله وجلاله وجماله بالوقوف علي جماله الذي تنطق به آياته الكونيه الداله علي الكمال التام فإن هذا الحسن تنجذب إليها القلوب تلقائيا لان الإنسان يحب بطبعه رؤيته وحسن الله هو وحدانيته وعظمته وجلاله وكمال صفاته فالجميع محتاجون إليه وهو تعالي يقوم برعايه جميع المخلوقات خلق كل شي من العدم ومازال يشملهم برؤيته علي الدوام فهو الذي يلجأ إليه كل الخلائق ثم إن رحمته تعالي ظاهره علي كل المخلوقات

فدروه كمال الإنسان هو الوصال بالله تعالي لتظل اوعيه معرفه والاراده النفسيه والقلبيه والذهنية كلها مفتوحه تجاه الله ولهذا فإن التركيز علي الفهم الصحيح للإله الحق وتقويه الارده يعود إلي أن انحراف الناس يكون ناتجا عن سوء الفهم للغايه التي خلقوا لأجلها أو لضعف الهمة فيتخذون لأنفسهم أهدافا متبانيه لاتخرج عن نطاق الشهوات والملذات

ولهذا فإن المنهج العقلي مقدمه يحصل فيه إيقاظ الفطره يوجب الاقتناع بالإيمان ثمرته ولهذا تضمنت الايات اداب نوعي الدعاء

فقال تعالي ادعوا ربكم تضرعا وخفيه انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا أن رحمت الله قريب من المحسنين) وهذا فيه

الامر الأول

تمنيه الحس الايماني بالشعور بجلال الله ووحدانيته وقربه منك من خلال استشعار قرب الله ولهذا فلا داعي لأن ترفع صوتك بالدعاء فمن كانت هذه مشاعره يعني ان مشاهدته لايات الله الكونيه قد كان ثمرتها زيادة قوه الايمان لأن صاحبها يعلم أن الله سمع عليم يعلم أنه في حضره الله ملك الملوك ومالك كل شي فهذا الشعور يعني أن تتادب وانت واقف بين يدي الله فكيف ترفع صوتك أمامه يعني أن تستحي من أن ترفع صوتك بالدعاء وخفض الصوت بين يديه يعبر عن هذا الشعور ف الله يقول عن زكريا (إذ نادى ربه نداء خفياً) فهو قد استحضر قلبه قرب الله وأنه أقرب إليه من كل قريب لعلمه أنه تعالي اشد حضوراً للمعتدين عليه ولهذا اخفي دعاءه ما أمكن

الامر الثاني

عليك أن تعرف علاقتك بربك أنه تقوم علي الاعتزاز بالعبوديه لله تعالي تعزز بالانكسار والتضرع والخشوع لله فذلك مقصود الدعاء وروحه يقول ابن تيميه رحمه الله (لأن الخاشع الذليل إنما يسأل مسالاً مسكين ذليل قد انكسر قلبه وذلت روحه وخشع صوته حتي أنه ليكاد تبلغ ذلته وسكينته وضارته الي أن ينكسر لسانه فلا يطاوعه بالنطق وقلبه يسأل طالباً مبتهلاً ولسانه لشده ذلته ساكناً وهذه الحال لاتأتي مع رفع الصوت بالدعاء اصلاً)

وايضا فإن الخفيه من أسباب دوام الطلب والسؤال لأن اللسان لاتتمل والجوراح لاتتعجب بخلاف رفع الصوت فإن الإنسان يمل ويتعجب

الامر الثالث

كما أن الدعاء ذكر للمدعوا والإقبال عليه والمحبه والثناء باوصافه واسماؤه فهو ذكر وزيادة كما أن الذكر سمي دعاء لتضمنه للطلب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم افضل الدعاء الحمد لله)

فسمي الحمد لله دعاء وهو ثناء محض لأن الحمد متضمن الحب والثناء والحب اعلي انواع الطلب ولهذا فهو دعاء فهو تعالي يقول في موضع آخر (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخفيه) قال مجاهد أمر بذكر الله في الصدور بالتضرع والاستكانه دون رفع الصوت فاذا ذكر هنا معل (ادعوا ربكم تضرعاً وخفيه)

فالذكر والدعاء فيهما التضرع وهو التذلل والتمسك والانكسار

وخص الدعاء بالخفيه لما سبق وكذلك الذكر لحاجه الذاكر الي الخوف فالإنسان بحاجه الي معرفه الله وثمرته هو المحبه لله واقتران المحبه بالخوف فالوصول الي الله يكون بالمحبه والخوف والرجاء فمتي خلا القلب من هذه الأمور فسد فساداً لايرجى صلاحه وان ضعف لخلو أحدها كان ضعف إيمانه ولهذا نجد اقتران الدعاء بالخفيه والتضرع والطمع والرجاء لأن الإنسان إذا لم تتحرك البواعث التي تدفعه للطمع بما عند الله فإنه لن يقوم بأمر الله ولن يترك ما حرم الله

الامر الرابع

تبين النصوص أن الذي لايدعو الله بما أمر به يكون معتدي فجاء النهي عن الاعتداء (أنه لا يحب المعتدين) في جملة خبريه

لأن الذي لايتضرع في الدعاء يعني أنه مستغن عن ربه فما فائده الدعاء منه وما فائده الذكر اذا لم يكون مصحوباً بشعور الحاجه الي الله والافتقار الله شعور العارف بنفسه لانه وضع العباده في غير موضعها وهذا الاعتداء من أعظم العدوان لمنافاته لدعاء الذليل فمن لم يسأل ربه مسالاً المسكين المتضرع الخائف فهو معتد

أيضا فإن من الاعتداء أن يعبد به ما لم يشرعه أو يعني عليه بما لم يعني به علي نفسه فالإنسان لا بد أن يحرص أن يكون عمله وقوله وحركاته كلها تهدف إلي ارضاء الله تعالي وطلب ما يحب ويرضى

واجتناب ما يبغض الله وما يسخطه

٢

الايه قسمت الناس الي داع الي الله تضرعاً وخفيه ومعتد بترك ذلك اي أن الذي يرفع صوته أو لا يكون متضرعاً هو معتدي

بعد ذكر الايات الكونيه الداله علي الخالق سبحانه وتعالى وكماله وعظمته وجلاله وإحسانه وهذا يعني أنه لم يؤمن بآيات الله فالله

يقول (إنما يومن بايتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم من المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا... الخ

وايضا فإن رفع الصوت منافي للاخلاص وايضا من مظاهر الاعتداء أن يدعوا طالبا الجنة دون العمل أو يطلب المغفرة دون التوبه لحديث (سيكون هنالك قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم اني اسالك الجنة وما تري له إليها من قول وعمل ويقول اعوذ بك من النار... الخ

المبحث الثالث

تبين الآيات أن المنهج الرباني الذي يكفل المعرفة الربانية الصحيحة وعباده الله علي احسن وجه إنما هو الإسلام وقد أودع الله الاسلام فطره الإنسان فهو تعالي يقول (أن الدين عند الله الاسلام) ال عمران...وقال تعالي في موضع آخر أيضا (فطره الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)

فقد خلق الله الإنسان علي الاسلام من أجل أن ينهكم بكل قواه في عبادته ربه وطاعته ومحبته ولهذا وهب له قوي تتلائم ومقتضيات الاسلام هذه هي الفطره التي خلق الله الناس عليها ولهذا فإن جوهر الصراع بين الحق والباطل منذ و فجر نشاه البشريه هو أن الشيطان يسعى جاهدا لتغيير خلق الله فقال تعالي في موضع آخر لما توعد به الشيطان الإنسان (ولامرئهم فليغيرن خلق الله)

فالله قد خلق الانسان علي الفطره فاودع فيه معرفه ربه ومحبه وعبادته وطاعته وتوحيده والخضوع له والادعان لربه خلقه ليكون له وحده

فإذا فرط الإنسان بذلك يخرج عن إنسانيته ويصبح ادني منزله من الحيوان ولذلك ارسل الله الرسل حاملين المنهج الرباني لاعاده

كرامه الانسان ومنزلته التي فقدتها نتيجة اغواء الشياطين له من أن يتذكر خالقه فالله يقول في موضع آخر (فاما ياتينكم مني هدي فمن تبع هدي فلا يضل ولا يشقى و من أعرض عن ذكري فإن له معيشه ضنكا ونحشره يوم القيامه اعمي)

ولهذا يقول الحق لعباده (ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا أن رحمت الله قريب من المحسنين)

المفهوم الاول

يقول لك المولي سبحانه وتعالى عليك أن تلتزم الحق وطريقه فهو طريق الصلاح والإصلاح وانتبه من الباطل فهو سبيل الفساد فانت في معركه مع الباطل الذي يسعى الي الفساد والافساد واللازم علي الناس أن يتوصوا بالحق والصبر إلي أن ينتصر الحق

فالطغاه والمستبدون والمستكبرون في الأرض يحاولون جاهدين اخفاء العلم الفطري والمحبه الفطريه والتوحيد الفطري عن الإنسان من خلال تغيير مفهوم الذكر وتبديله لتفسد الرويه عند الإنسان وتزيغ البشريه عن المنهاج الرباني ولهذا نجد أن بدايه الشرك علي ممر تاريخ البشريه أنه يبدأ من خلال فكره المغالاه في حب الصالحين نجد أن المشركين غيروا الهدف من بناء الكعبه وهو أن يذكر فيها اسم الله الي مكان امتلاء بالاصنام تحت شعار أنها تقربهم الي الله زلفي فقال تعالي عنهم أنهم قالوا (ما نعبدهم الا ليقربونا الي الله زلفي)

نحن نشاهد اليوم كيف أن الكثير من الناس قد اتخذ من قبور العلماء مزا يتوسلون بهم عند الله

فالجاهليه قديما وحديما هي نفسها ترفع شعارات الايمان والانتساب للدين وهي تصنع اصناما بأسماء اسلاميه لاتقل قبحا عن اصنام مشركي مکه أن حياتنا اليوميه في هذا الزمان تمارس فيها عباده الاصنام اشد مما كانت عليه حياه مشركي مکه

وكذلك فإن صنميه المال والجاه والسلطان اليوم اشد واعتي لقد صارت العوالمه والاقتصاد الحر اليوم صنما تنحني له أعناق قاده الأمم وحاكمها قبل العوام نري اليوم حال امه المليار تنحي أمام حثاله من اليهود ولقد شاهدنا البقر تعبد ويبيني لها معابد في بلدان إسلامية ولهذا فإن واجب الدعاه هو أن يحملوا المشروع الرباني للناس وان يقفوا بشجاعه ليصدعوا بالحق وبفقه الدعوه التي يكون ازاله الفساد به الكتاب والسنة..وفقه الداعي بالاعتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم عليك فالاغترار بالرأي بدون دليل من الأعمال الفاسده التي تخرج صاحبها عن الحق ودائرته الي الباطل والافساد يكون بالمعاصي والشرك والقتل والدعاء لغير الله بعد أن قام الانبياء باصلاحها لقوله تعالي (ثم أذن مودن ايتها العير انكم لسارقون) الي قوله تعالي (قالوا تالله لقد علمتم ما جاءنا لفسد في الأرض... الخ

فدل هذا أن المعاصي تدخل ضمن الافساد في الأرض والذي هو سلاح الشيطان ومدرسته التي تنصب حول محاوله اتباع الشيطان تشويه المصطلحات وبالذات مصطلح الذكر من خلال محاوله تغيير وتبديل مفهومه لتفسد الرويه ولأجل أن تزيغ البشريه عن المنهاج الرباني الذي يهدف إلي الافساد في الأرض فهم يرفعون شعارات تهدف إلي تغيير مفاهيم التوحيد بحيث يدفعوا الناس الي الاعراض عن

ذكر الله فجهدهم تنصب حول تبديل وتغيير مفاهيم الذكر

ولذلك فإن مهمه الرسل والأنبياء تهدف إلي الحفاظ علي مصطلح ومفهوم الذكر من التحويل والتبديل فمهمه الرسل تذكير الفطره ماهو معلوم لهم مستقر في فكرتهم لاتغيير الفطره وتبديلها ولهذا بعد ذكر ملكيه الله وقدرته وكمال علمه وحكمته

يقول لكم عليكم ان تتمسكوا بالحق والتمسك به بوجه الباطل فالحق هو الذي ينتصر مهما كانت العقبات ف الله يقف الي جانب الحق علي الدوام فلا تنخدعوا بالشعارات التي يرفعها أهل الباطل والتي يزعمون فيها أنهم مصلحون

المفهوم الثاني

تبين النصوص أن اللازم علينا أن نحذر من التدين المغشوش فلا يكون الأمر بالدعاء والتضرع مانعا من المساهمه في الاعمار والحركه في الأرض كما تصور البعض العباده بمفهومها الضيق فتوهموا أنها تعني القعود في المساجد والتفرغ لذلك وترك غير المسلمين يقومون بـ العمران في الأرض والصناعه واكتشاف اسرار الحياه فهذا تدين مغشوش فالخلافه تتطلب أن تترك الكسل والخمول والجمود يعني أن تتحرك وان تكون نشيطا وجاد

ولكن ينبغي أن تكون حركتك في الأرض والحركه ايجابيه الفاعليه

تهدف إلي اصلاح الأرض من خلال تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر لماذا ؟

لأن الفساد يعني اخراج الشيء عن صلاحه ولهذا فإن التعامل مع الأرض التي نعيش فيها وما تحتوي بمنهج غير منهج الله يعني أنك تخرجها عن صلاحها

أيضا أن تسخير الأرض لك ايه الإنسان هو لأجل أن تقوم بالخلافه علي الأرض وهذا يعني العمران ؛ـ

ومن هنا فإن حركتك فيها ينبغي أن تكون متوجهه الي الاستقرار والتحسين وقد شاهدنا كيف أن اختراعات الاسلحه النوويه اليوم أصبحت تهدد الكون بالدمار نتيجة الحضاره الماديه لقد شاهد العالم ما فعلته القنبله الذريه في هيرشما ..المدينه اليابانيه لقد أفسدت حياه الناس وافسدت التربيه وجعلتها لاتصلح للحياه

هذا اعتداء ناتج عن فعل الإنسان وغيرها من الاختراعات التي تهدد حياه البشر

ومن هنا يقول الحق لنا أن الحضاره والقيام بالعمران في الأرض من أغراض خلافه الإنسان لكن ينبغي أن يكون القيام بذلك لأجل التحسين في الأرض والاستقرار وان يكون متزامن مع الحفاظ علي القيم والمبادئ والمثل التي أمر الله فلا بد من الحفاظ علي القيم الروحانيه ولهذا فإن الخروج عن قاعده الشوري يعني أنه إفساد في الأرض...التفريط بسياده القانون يعني إفساد الأرض الخروج عن مبدأ المساواة يعني الافساد في الأرض انتهاك حقوق الإنسان يعني إفساد في الأرض

فالقيم الروحانيه تعني أن تقصد بعملك وجه الله فلا يكون هنالك تنافس في الأرض بين المومنين بما يودي الي البغض والكراهية ولكن التنافس بينهم هو التفاني في خدمه البشريه اتقان العمل وإحسانه قاصدين بذلك وجه الله فهم يشعرون أنهم في عباده في كل عمل يقومون به يفهمون العباده بمعناها الواسع فهم يحرصون أن لا تودي حركتهم الي مخالفه اوامر الله أو مافيه شرك وان تكون فاعليتهم موافقه لمنهج الله يحرصون علي أن تكون النيه صادقه يشعرون براقبه الله عليهم فهم يفكرون في احوال الاخره مع قصر الامل ينهضون لبناء الحضاره دون أن تستغرقهم هموم الدنيا ولهذا لاتصعب عليهم المهمه ولهذا بعد النهي عن العدوان في الدعاء تأتي الآيات بجمله طلبيه (ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) وهذه المساله تحتاج إلي صدق نيه وقوه عزمه وثبات ومجاهد

وقال بعدها (وادعوه خوفا وطمعا)

وهذا جاء مشتعلا علي مقامات الايمان والإحسان (الخوف والرجاء والحب)

وعقب ذلك قال تعالي (أن رحمت الله قريب من المحسنين)

اي أن رحمه الله التي هي مطلوبكم هي قريبه لكن لمن فعل المأمور وترك المنهي عنه وهو الاحسان المطلوب منكم في حمل المشروع الرباني وما حفظت حدود الله ومحارمه وما وصل إليه الواصلون الا بالحب والخوف والرجاء فقرر مطلوبكم منه الرحمه وانتم تحتاجون لمعونه الله وإرشاده وتوفيقه ورحمته وهي إنما تنال من دعاء الله خوفا وطمعا فهو المحسن ومطلوبه (الرحمه) قريب منه ولهذا قيل إنها اشتملت علي مقامات الايمان والإحسان لأن مدار الاحسان علي هذه الاصول الثلاثه

لأن الناس يتفاوتون في فعل وإتقان ما أمروا به من الدعاء والتضرع والفاعلية والتوجه به الي الله والأمر يتطلب قوه العزيمه والغبات
وصدق النبي ف الله سبحانه وتعالى يقول في موضع آخر
(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين)

فالأمر يحتاج الي مجاهده النفس للوصول إلي سبيل الله الرحمه وهذا بحسب ادائكم لمطلوبه (الاحسان) فإذا احسنتم احسنتم لأنفسكم
فالحق يقول لك انه تعالى جعل لكل شي سنن توصل إليها فهو تعالى يقول في موضع آخر (ولن تجد لسنة الله تبديلا)

ولهذا يقول لك اذا اردت القرب من رحمة الله فعليك أن تكون محسن في عملك فهذا هو السبب في قرب الرحمة منكم الرحمة التي
تجعلك محاطا برعايه الله وعنايته وهذه الرحمة هي الخاصه التي يبرزها الله أوليائه

فاداه التقرب الي رحمة الله هي الاحسان وبالتالي فمن تباعد عن الاحسان تباعد الله عنه ف الله يحب المحسنين ومن احبه الله فرحمته
اقرب شي منه ومن ابغضه الله فرحمته ابعد شي منه والإحسان ههنا هو فعل المأمور به سواء كان إحسانا الي الناس أو الي نفسه وأعظم
الاحسان التوحيد فمن احسن في عبادته نال رحمته ومن احسن الدعاء نال القرب منه فقد ورد في الحديث (أن الله كتب الاحسان في
كل شي فإذا قتلتم فأحسنوا القتله واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحه ...الخ

فمن أحب الله احب الخلوه به والتنعم بمناجاته ومن شعر بوجود الله كان حريصا علي أن لا يراه الله في ما يكره أن يراه فيه

ومن أحب الشئ ورجاء حصوله لابد أن يتهيأ بالاستعداد للقيام بما يوصله الي محبوبه ومطلوبه لابد أن تتحول الرغبة الي اراده وإصرار
مشفوعا بعمل تنفيذي يهدف إلي تحقيقه والا كانت تلك الرغبة مجرد امنيه ف الله يقول في موضع آخر (ولو اردوا الخروج لاعدوا
له عده)

والخلاصه-

أن الايه تدعوا الي أن تمارس عقيدته التوحيد دورها وفاعليتها وقوتها الايجابيه وتأثيرها الاجتماعي باعاده خلق المجتمع من جديد علي
الصوره التي يريدنا الله تعالى لعباده فالسوره نزلت مع بدايه الجهر بالدعوه ولهذا كانوا بحاجة الي الطاقه والنشاط وعدم التوقف في
منتصف الطريق ولذلك يقول الحق (أن رحمت الله قريب من المحسنين)

فمقام الاحسان هو الذي يحتاجه الإنسان هو الذي يعطي للعقيده فاعليتها الايجابيه ودورها تأثيرها فبعد أن عرف وجود الله كان لابد
لتحقيق فاعليه العقيدته أن تشعرنا بوجود الله وان تمتلئ قلوبكم به لتكون هي الطاقه التي تحدث التغيير في الحياه

ولهذا بعد قوله ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا) يقول الحق (أن رحمة الله قريب من المحسنين)

فلاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك فما هي الرويه ؟

تراه اجلالا ومحبه وتعظيما ومهابه وحياء وخشيه ولهذا فإن فإن عملك متصلا بالجهد الفكري فانت تهدف من العمل الوصول إلي رحمة
الله فاحبرنا الله أن طلب رحمته تكون يا احسان العمل بأن تقصد به وجه الله تعالى وان تتق ب الله وتحسن الظن به تعالى وتخاف عاقبه
الخروج عن طاعته فقد ورد في الحديث عن أبي هريره رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله خلق الرحمه
يوم خلقها مائه رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحده فلو يعلم الكافر لكل الذي عند الله من
الرحمه لم يبأس من الجنه ولو يعلم المؤمن لكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النار)

ولهذا فإن الخوف والرجاء اهم مقامات الايمان والإحسان لانه يحفظ توازن المؤمن وانضباط تطلعه وتفاوله وحركته فلا يكون متشاوما
ولا يكون هنالك تفريط ولهذا فإن حسن الظن ب الله تعني الغبات علي الإيمان فقد ورد في الحديث عن أبي هريره رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يستجاب لاحدكم مالم يقول دعوت فلم يستجاب لي)وهذا يمثل أهم مبادئ وقيم ايجابيه الفاعليه
الوسيطيه والاعتدال

فلا يكون التشاوم واستعجال الاجابه سببا للتباعد عن رحمة الله ف الله سبحانه وتعالى اعلم بما ينفعلك فقد ورد في عن ابن عمر رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الجنه اقرب الي احدكم من شرك نعله والنار كذلك)

فتكون حركتك وفعالك كلها تتوجه الي الله ويقصد طلب رضائه اي رحمته وجنته ويرغبه ناتجه عن محبته تعالى بالشعور بوجوده
فتمتلي النفوس به كمصدر طاقه وتغيير النفس بتمكينها من تجاوز وضعها فيكون تحررها من السكون له أثرا إيجابيا في الحياه حركه
ناتجه عن الاتصال ب الله فهذه الصله هي التي تمدد بالفاعليه في مختلف انشطته وتحكمها

(وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون)

وبالوقوف علي الابيه نجد فيها الاتي

المبحث الأول

يخبرنا الحق عن آياته الكونية التي تدل علي اثار ربوبيته وأنه تعالي فعال لما يريد فقال تعالي (وهو الذي يرسل الرياح).

يعني عليك عندما تفكر ب الله أن تنتقل من مشاهدته اداله وجوده الي الاحساس بوجوده تعالي فهو الذي له التأثير علي الاشياء كلها

ولهذا استعمل الضمير (وهو الذي) يعود علي الله اي انه تعالي القوي الذي يقف وراء خلق هذا الكون فهو الذي يتصرف فيه ويدبره فإذا عرفت أنه تعالي الخالق والمالك للكون فاعلم أنه المتصرف به فكل ما في الكون من صنع الله وهو الذي يرسل الرياح وينشي السحاب وينزل الأمطار وبالتالي فلا ينبغي أن تلجأ الي رب غير الله فهو القادر وبيده الأسباب ومقاليد كل شي وتضمنت الايه عطاء الله من ارسال الرياح... وانشاء السحاب... وانزال الأمطار.. وأحياء الأرض الميتة.. وإخراج النبات وان ذلك يدل علي أنه لم يخلق كل هذا الكون عبثا وأنه مثلما اخرج النبات من الماء سوف يبعث الناس الي الحياه بعد الموت وجاء التعقيب (لعلكم تذكرون)

لأن الإنسان ينسي انه يعيش فوق أرض خلقها الله ويتنفس هواء صنعه الله ويشرب مياها انزلها الله ويأكل مما صنعه يد الله وتكلاه عنايه الله ويعيش علي نعم ساقها الله إليه

والسؤال الأول الذي ينبغي أن تطرحه علي نفسك ؟

من هو المسئول عن الهواء أو المياه أو نبات الأرض أو حيوانه

هل يوجد احد يدعي أنه مالك لشيء من ذلك أو ساهم في صنعه أو إيجاده ابتداء هل يوجد لأحد ملك فيه ؟

الجواب من الموكد أنه لا يوجد لأحد اي ملك لابشر ولا ملائكة ولا أنبياء فجميع المخلوقات تعيش وسط جواء لاتملك منه شي ولم تخلق منه شي

وحياه الإنسان شاهده علي هذا هل يستطيع الإنسان أن يعيش بلا هواء أو ماء او طعام .. فان هذه الأشياء الثلاثة من خلق الله وجهد الإ نسان فيها معدوم والتحكم فيها يتم بأمر الله تعالي فقال تعالي (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته الخ

وهذا فيه

الأمر الأول

يعني التحكم في هذا كله (الهواء والماء والطعام) يتم بأمر الله تعالي.... وان جهد البشر فيه معدوم فكيف يتم هذا يقول الحق انظر الي

المبحث الثاني

تحدث الآيات عن آيات الله الكونية التي تحرك بواعث الفطره لتتذكر ربها وتستيقظ من غفلتها حيث وبالوقوف علي الاعجاز العلمي وا لأسلوب البلاغي الذي تحدثت النصوص فيه عن الحقائق التي تناولتها النصوص تظهر المعجزات جليا للقارئ وان القرآن كلام الله ولا يمكن لبشر أن يتحدث عن هذه الحقائق قبل الف وأربعمائة عام

الأمر الأول

(ما الفرق بين الرياح والريح)

يقول الله تعالي (يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته)

وهنالك قراءه أخرى (وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته)

فالرياح هي الهواء فهذا الهواء من عطاء الله وآياته انظر الي هذا العطاء فأنت تحتاج إليه لانك تتنفس الهواء ولايستطيع اي مخلوق يدعي أنه مالك مع الله للهواء هو تعالي اوجده لمنفعه الإنسان فاول نعمه يستنشقه الإنسان هو الهواء

وهي نعمه يبلغ من كبرتها أنها صارت شفافة لاتري و من فرط ما يتنفس الإنسان لا يحس أنه يتنفس ويمشي من خلاله ولا تحس به برغم وجوده

فمتي يراه الإنسان ويحس به ؟

عندما يتحرك حركه لطيفه تحدث لك انتعاش كما هو الحال عندما تمر في الفجر بالذات في مناطق الازهار والورود حيث انك تشم رائحه الازهار مع نسيمات الهواء اللطيفه التي تجعلك تنتعش فما الحركه التي تفعلها تستنشق الهواء وتأخذ نفس عميق طالبا نسيم العليل فهذا من نعم الله تعالي

وكذلك إذا كان الجو حارا ففتتح نافذتك فعندما تهب رياح لطيفه تنتعش وتشعر أنك في انتعاش فتقول نسيمات لاتقدر بعنم وقالهواء يتحرك ولهذا لما يسكن الهواء تحس بالضيق فتقول انا مختنق

فالهواء يتحرك وله سرعه فهو جزء من الأرض ويتحرك معها لانه لو لم يتحرك معها لكان دورن الأرض سببا لتدمير الأرض بالرياح فأنت لو أخرجت يدك من نافذه السياره وهي مسرع تجد أن الريح تدفع يدك للخلف لانك تحركت والرياح ثابتة وهكذا الحال لو الأرض تتحرك والريح ثابتة

ولهذا فإن سرعه الرياح هي التي تحدد نوع هذه الرياح هل هي ريح عذاب ام نعمه فالله يقول (فيرسل عليكم قاصفا)

اي ريح تحطم كل ما تقابله وقال تعالي في موضع آخر (ريح صرصاعاتي)

فالسرعه التي تصاحب حركه الرياح هي التي تحدد هل هي ريح عذاب ام ريح رحمة فمن الذي يتحكم في سرعه الرياح هل للبشر جهد في ذلك ؟

الجواب لا وانما هو بتقدير الهي وبامر الله تعالي وبالتالي فإن اللازم الشعور بوجود الله ولهذا فإن الواجب عند مشاهدته الرياح علي المسلم أن تلجأ الي الله بالتسبيح والاستغفار والدعاء كما ورد عن عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا راى مخيله في السماء اقبل وادبر ودخل وخرج وتغير وجهه فإذا امطرت السماء سري عنه فعرفته عائشه ذلك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما ادري لعله كما قال تعالي (فلما رواه عارضا مستقبلا اوديتهم... الخ

فالواجب أن تتذكر ما حل بالامم السابقه عند مشاهدته هذه الايه وتحذر أن تسير في سبيلهم خشيه الوقوع فيما وقعوا فيه وهذا مرتبط بـ الخوف والرجاء فمقام الخوف يقتضي غلبه عدم الأمن من مكر الله فحديث عائشه فيه ايحاء أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يواظب علي وأنه من صنيعه فقالت كان إذا راى فعل فرؤيه السحاب التي يخال فيها مطر بشري للناس بقدم المطر لانها فيها الحياه للإ نسان والأرض والحيوان والنبات وهي نعمه من الله امتن بها وجعلها من أسباب العوالب علي الاستقامه للدول التي تحكم بشرع الله حيث يوفر لها مصادر الدخل ويقوي اقتصادها فقال تعالي (وان لو استقاموا علي الطريقه لاسقيناهم ماء غدقا)

وهناك من قرأ (وهو الذي يرسل الرياح نشرا) اي رياح متفرقه اي من كل جانب ومهب وناحيه حيث أنها تقوم بجمع السحاب من كل جهه فتحمل الماء فتلقح السحاب وتمر به فتدره كما تدر اللقحه ثم تمطر فهي حامل بعكس ريح العذاب فهي تهب من الأرض الي السماء كعمود فيه نار ووصفت أنها ريح عقيم فتكون بارده ومدمره ولهذا فإنه من خلال التفكير في حركه الرياح نهدي الي رويه رحمة الله وعظمته وجلاله وكماله سبحانه وتعالى حيث نشاهد أنه يرسل الرياح بتقدير دقيق لسرعتها لأنها لو زدت فإنها تكون مدمره وتشكل خطرا علي الإنسان

الامر العاني

يدعوك الي أن تتفكر بنعمه الهواء ودوره كوسيط والذي يتضح من الآتي :-

انت في الصيف تحتاج إلي مكيف بالذات في المناطق الحاره فما الذي تفعله تقوم بتشغيل المكيف الهوائي ؟ فما هو دور هذا المكيف ؟

دور هذا المكيف أنه يبرد الهواء ..وكذلك في المناطق الباردة في الشتاء تحتاج إلي تدفئه المكان فما الذي تفعله تشغل المدفئه وهي تقوم بتدفئه الهواء وهذا ما يستطيع الإنسان أن يقوم به بالتحكم في هواء غرفته عن طريق تبريده أو تسخينه لكن هل يستطيع الإنسان التحكم في الغلاف الهوائي حول الكره الارضيه أن ذلك أمر خارج طاقه الإنسان

ولهذا فإن علي الإنسان أن ينظر إلي من يتحكم في هذه النعمة فسوف يري انه يتم بأمر الله وان جهد الإنسان معدوم

كذلك فإن وسائل الاتصال والإعلام والتواصل الاجتماعي كلها تتم عبر الهواء

كذلك فإن الإنسان يتنفس الهواء الأكسجين ويخرج ثاني أكسيد الكربون الذي لا يصلح للتنفس فمن يتنفس ثاني أكسيد الكربون يختنق ويموت...ولهذا فإن عليك أن تتفكر وتسال نفسك اين يذهب ثاني أكسيد الكربون الناتج عن عمليه الشهييق والزفير وعن الصناعات و السيارات والمعدات والمصانع كيف لانصاب بالاختناق فالتجديد للهواء الأكسجين أمر في غاية الاهميه لاستمرار الحياه فقد رأينا كيف أن أطفالا ماتوا اختناق لأن والدهم تركهم داخل سيارته واغلق النوافذ فيها

أن التجديد للأكسجين يتم من خلال الرياح التي تهب حيث أن ثاني أكسيد الكربون يطفوا ويصعد الي السحاب مع ذرات بخار الماء فمن الذي ارسل الرياح التي حملت ثاني أكسيد الكربون لأجل تجديد الأكسجين ؟

الأمر الثالث

(علاقة الهواء بالماء)

لولا هذه العلاقة لما وجدت الحياه علي وجه الارض فإذا كان الماء فيه الحياه فإن الهواء عنصر اساسي لوجود الماء فتوزيع المياه علي سطح الأرض يتم نتيجته دوران الأرض وتبخر مياه المحيطات والبحار وسقوط الأمطار وتكوين الأنهار وأما دور الهواء فهذا يرتبط بعده عوامل أهمها (درجه الكثافه ...والضغط)

والكثافه مختلفه من عنصر لآخر فمن كثافته أكبر يرسوا بداخل الماء ومن كانت كثافته أقل يطفوا ولهذا نجد أن الاسفنج والخشب يطفوا فوق سطح الماء لأن كثافته أقل مهما كان حجمه بعكس الحديد فإن قطعه صغيره منه ترسوا بداخله نتيجته الكثافه

فالماء يتصف بوحده الكثافه أما الهواء فهو غاز وكثافته تختلف من مكان لآخر فالهواء في المناطق الحاره مخلخل وكثافته قليله وفي المنطقه البارده فضغطه كثيف وعال والهواء في الضغط المرتفع يتحرك الي الضغط المنخفض ولهذا فإن ضغط القطبيه كثيف جدا وضغطه عال جدا من ضغط من خط الاستواء لانه ممدد ومنخفض نتيجته الحراره ولهذا فإن هبوب الرياح من مناطق الضغط المرتفع الي مناطق الضغط المنخفض (الحاره) يودي الي حمل الهواء بخار الماء الصاعد من البحار والمحيطات بفعل حراره الشمس أثناء دوران الأرض حيث يتحول الماء الي غاز فتقل كثافته ويصعد للأعلي تحمله الرياح فيكون هذا الهواء حامل بخار الماء ولهذا يقال لدرجه الرطوبه كذا. وعندها تتكون السحب نتيجته بروده الهواء فتصل لدرجه النداء . عندها تطفوا و يصير بخار ماء حتي إذا وصل لدرجه التشيع فتقل قدرته علي حملها عندها تتحول إلي قطرات ماء سائل أو بلورات ثلجيه حسب درجه الحراره في تلك المنطقه

ومن هنا نفهم(ماذا تعني كلمه السحاب ولماذا سميت بهذا الاسم)

فهي كما عرفنا مجموعه من قطرات الماء أو بلورات الجليد أو كليهما معا يترواح حجمها ما بين تطفوا في الجو علي ارتفاعات مختلفه وفقا لكثافته والمواد التي تصعد معه حيث نجد أن بخار الماء يحتوي علي مواد سائله واملاح ومواد ضاره وغازات تنبعث من الأرض مثل ثاني أكسيد الكربون والاوزان وهذه السحاب انواع منها الطبقيه ..وركاميه ...ورقيقه بحسب الارتفاع التي تطفوا فيها وقد ذكرت في تسع مواضع في القران وسميت بهذا الاسم ؛

لانسحابه في الهواء حيث تقوم الرياح بسحب هذه السحاب الي حيث أراد الله تعالي

والسحاب ذكرت في القران (٩) مرات وهي انواع الطبقيه وهي التي تكون في مناطق مرتفعه ...الركاميه ..والرقيقهوهناك اسماء أخرى

ماذا تعني (السحاب النقال) سميت بهذا لكثره ما فيها من مياه

هي السحاب القريبه من سطح الأرض حيث يكون تكوينه في طبقات الجو السفلي وتتكثف قطرات الماء الذي في السحاب ويزداد حجمها حيث تجمع بينها الريح وتسوقها الي المكان الذي يريد الله

والسؤال من الذي يتحكم في كل ذلك هل للإنسان جهد بشري في تلك العمليه

ليس الله تعالي ثم إن دوره حركه المياه وصعودها الي السماء حيث يكون تخليصها من الشوائب والاملاح ليكون ماء عذبا طهورا يدل علي قدره الخالق وأنه لايعجزه شي فهو قادر علي اعادتكم الي الحياه بعد الموت معلما يخرج النبات من الأرض القاحله بعد نزول المطر

المبحث الثاني

يريد الحق منك أن تنظر الي تكوين السحاب ونزول الأمطار ففي ذلك اصل دوره الحياه علي الارض لأن المياه اصل الحياه وبالتالي فإن السؤال من انزل الماء من السماء ومن الذي يتحكم في السحاب وتكوينها من أجل انبات الأرض وتكوين الأنهار ؟

يريدك أن تري انعام الله ورعايته وعنايته ولطفه وقدرته وكماله وعظمته وجلاله وإحسانه سبحانه وتعالى

يقول لك ان الذي احي الارض بالماء بعد موتها قادر علي اعادتك للحياه فالله لم يخلقكم عبثا فهو تعالى لم يرتب عطاءه علي ايمان الإنسان أو كفره

وانما جعل عطاءه للبر والفاجر في الدنيا لأن الدنيا ليست دار الجزاء بل دار الابتلاء والامتحان وانما الجزاء في الآخرة

وهو تعالى يريد توخيذا نابعا من ارداه حره فلم يريد أن يقهر الناس علي الإيمان ليكون الإنسان مسؤولا عن حريته في الاختيار وأنه تعالى سوف يعيدكم الي الحياه بعد الموت فقال تعالى (فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون)

وهو يتوجه الي الفطره يذكرها بما هو معلوم لها من العلم الفطري والمحبه الفطريه والتوحيد الفطري كي تعود الي الصواب يريد منك أن تنظر إلي ما خلق الله فتذكر قدرة الله علي اعاده الإنسان للحياه بعد الموت تذكر انعام الله ورعايته وعنايته ولطفه وإحسانه

فالإنسان ينسي انه يعيش في أرض خلقها الله ويتنفس من هواء صنعه الله ويشرب مياها انزلها الله ويأكل مما صنعه يد الله ويعيش علي نعم ساقها الله تعالى فلا يزعم أحد انه مسؤول عن الهواء أو الماء أو نبات الأرض لا يزعم أنه خلق شيئا منها أو ساهم في صنعه أو إيجادها ابتداء فلا يملك أحد مقال ذرة لافي السموات ولا في الأرض فالملكيه منعدمه فلا ملكيه لأحد من مخلوقاته لا ملكا مقربا ولا نبيا ولا صالحا ولا مومنا ولا فاجر

ولهذا يلفت الله انتباه المخاطبين الي تذكر هذه النعم الثلاثه (الماء والهواء والاكل)

فالإنسان لا يستطيع أن يعيش بدون ماء او طعام أو هواء فهو يموت إن لم يأكل والطعام إنما يخرج من الأرض فإذا انقطع عنها الماء وتصحرت أو غرقت بمياه البحر المالحة فإن الإنسان لا يملك إلا أن يفر منها طالبا أرض صالحه للزراعة وكذلك فإن انعدام الماء يعني انعدام الحياه وكذلك الهواء

عليك أن تتذكر انك تعيش انت وجميع الخلائق وسط جوا لاتملك منه شيئا ولم تخلق منه شيئا فاذا كانت هذه العناصر الثلاثه من خلق الله والتحكم فيها يتم بأمر الله وجهد البشر معدوم

فاللازم أن تدرك أنك تعيش معتمدا في أساس حياتك علي نعمه الله فأراد بهذا أن يغزو أعماق النفس الداخليه لتشعر ان مصدر جميع النعم واصل كل خير هو سبحانه وتعالى المتفضل ابتداء...وانتهاء وان رحمته تعالى تسبق عدله فهو اعطي المومن والكافر

المبحث الثالث

تستمر النصوص بعرض آيات الله والأمثلة التقريبيه التي تعرضها للناس في إطار الدعوه الي معرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده وطاعته فقال تعالى

(والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون)

تشبه النصوص العقول والقلوب بالأرض فالارض نوعان ذات تربه خصبه اذا أصابها وابل فإنها تخرج الثمار وهناك أرض قاحله جدهاء لا ينفعها هطول الأمطار وان كانت غزيره فلا تنبت الثمار

فالآيات تبين أن الوحي والآيات النازل من السماء بالنسبه للعقول والقلوب هو بمنزله الماء السماوي الذي فيه الرحمه بالنسبه للأرض

ولهذا فإن العقول الطيبه تنمو وتزداد بمجي الوحي والآيات المرئيه والمسموعه فيخرج ثماره مثل الارض الطيبه التي تنبت الثمار بنزول الماء من السماء

والمراد بهذا تصوير اثر الوحي عندما تكون القلوب قابله لاستقبال انوار الله فإن ثمره الادله والآيات الاقتناع الذي ينتج عنه الإيمان ؛ اليقين

فالعقل مثل الارض إذا انقطع عنه الماء السماوي يجف تدريجيا حتي يصبح العقلاء بلا عقول جهلاء هكذا هو حال الأمم عند انقطاع الوحي عن أي امه معلما أن انقطاع الماء عن الأرض يعني أن تفسد الأرض نتيجة الانقطاع الطويل حتي تصبح ارض قاحله

كما أن الماء مهم لازاله وتطهير الأرض من الاوساخ والمواد الضاره التي فيها وتزويد الأرض بما تحتاج من الماء الذي يزود التربه بالغذاء اللازم ويحدث اهتزاز الشحنات الكهربائيه الموجبه والسالبه فيخرج بها النبات أما إذا كانت الأرض بور فإنها لاتنتفع بالماء

وكذلك فإن العقول اذا انقطع عنها الوحي تفسد وتترسخ الأفكار الباطله نتيجه اختلاط الشوائب والله جعل خضره الأرض متوقف علي عاملين هطول الأمطار وخصوبه التربه

وكذلك جعل قدره العقول علي الإدراك والفهم متوقف علي معرفه الوحي وسلامه القلب من الاوساخ بحيث يكون الاتصال ب الله ومعرفته بمراده تعالي منبت لأفكار الايمان بحيث يكون مركز اهتمام المسلم ومشاعره وتوجهاته وانفعالاته كلها تدور حول فكره الإله الحق القادر الحكيم المنعم في كل أمر وشأن من شؤون حياتك وبذلك تتخلص من العجز والالام التي يعاني منها ضعاف العقول عندها تنتفع بمعرفه الوحي أما من كان عقله متصحر فإنه لاينتفع بمعرفه الوحي مثله مثل الارض الخبيئه والعياذ بالله

فالمعرفه تقود الي الايمان والشكر لله والطاعه فهذه المعرفه هي التي تحدث المنفعه بنعمه الوحي أما الجاحد فلا تنفعه المعرفه

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع السادس

الاعراف

ابتدأت آيات هذا المقطع بقوله تعالى (لقد أرسلنا نوحا) فيها القسم (لقد) وحرف تحقيق بحرف التوقع الذي يطرُق إذن السامع يخبرنا الله بسنته في ارسال الرسل أنه رحمه للعالمين اي أن كل رسول يأتي برحمه من الله ولهذا أضاف الضمير (أرسلنا) وعطف عليها بذكر قصه ارسال هود الي عاد (والي عاد) والي ثمود..ولوطا..والي مدين فتناولت قصص خمسة أنبياء مع اقوامهم هم نوح وهود وصالح وشعيب ولوط فذكرت ما كان من كل نبي ومعالما دعوا إليه ومواقف اقوامهم وهذه القصص قد ذكرت في أكثر من موضع في القرآن الكريم و قد يقول قائل ما الداعي الي هذا التكرار لهذه القصص ..ولهذا فإن عليك أن تفهم

أن كل قصه تذكر في موضع فإنها تخدم فكره فنجد أن السوره الفلانيه ياتي الحق فيها بلفظه ليخدم موقف وفكره تتحدث عنه السوره ويأتي بلفظه في سوره أخرى لتخدم موقفا وفكره أخرى وهذا من بلاغه القرآن ويتضح من خلال الآتي

اولا

عندما نقف علي زمن نزول السوره هنا ندرك أن لها أهداف واغراض مختلفه عن بقية السور الأخرى فقد نزلت في مرحله مهمه من حياه امه الاسلام مرحله فيها انتقال وتحول لأمر الدعوه من السريه الي الدعوه الجهرية و لهذا فإن هذه التحولات تحتاج إلي اعاده ترتيب أوضاع الطليعه من المومنين ليكونوا قادرين علي التعامل مع هذه التحولات الجديدة في عمل الجماعه الاسلاميه فالدعوه الي الله تحتاج إلي فقه التعامل مع هذه التحولات ليكون إنجاز مشروع الدعوه الي الله في المجتمع علي الوجه المسند المتصل بالكتاب والسنة النبويه .ولهذا فإنه بالوقوف علي ذلك نجد ...لأن انعدام فقه الدعوه للمرحله وما فيها من تحولات تفسد علاقه الداعي والعالم بالمجتمعات

ولهذا فإن عليك أن تدرك أن فقه الدعوه يأتي في الترتيب الشرعي لمجري التحولات سابقا لعلم الاصول ومرحله التدوين لماذا؟

لأن انعدام فقه الدعوه للمرحله وما فيها من تحولات تفسد علاقه الداعي والعالم بالمجتمعات ..

فالمشكلة التحولات في كل العهود بالنظر الي صفحات التاريخ ليست في عجز الشعوب بالتعامل مع هذه الاطراد المتغيره وانما يعود إلي غياب النموذج وغياب المنهج وليست المشكله في عجز الشعوب فالامه بحاجة الي النموذج الذي تلتف حوله طاقاتها النموذج الذي يمثل قدوه عمليه الإسهام في حمل المشروع والتقدم وفي غياب المنهج والنموذج يتحول نظام الحكم الي سلطه تنفيذ للطاقت ويفتح المجال بل يعرض المجال للتفكير بالبديل الخاطى وعندما ينصرف المومن الي البديل فإنه بذلك يستبدل به كل شي ولهذا نجد أن الامه عندما امنت ب العقيدة وقامت القدوه اي النموذج أسست الدوله واقامت الحضاره الاسلاميه العريقه وعندما غاب النموذج الذي تحول الي ملك عضوض انهارت الحضاره الاسلاميه فالتحولات في حياه الأمم تمثل نقطه فارقه في حياتها أما أن تحصل النهضه والتقدم وأما أن يكون الانهيار والضياع ولهذا كان ترتيب فقه الدعوه سابقا لعلم الاصول

ومرحله التدوين ونجد أن هذا المنهج يركز علي عاملين

١/فقه الدعوه الكتاب والسنة ٢/ فقه الداعي الاخلاق النبويه والاستقامة ويتحقق ذلك من خلال دليل العمل و التعامل مع اطراد الحياه وتحولاتها وهو القرآن الكريم الذي فيه الاداله والنماذج الإرشادية التي تحتوي علي دليل فقه الدعوه

(ادعوا الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي احسن)

وعلي دليل فقه الداعي(لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنه لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)

ولهذا فإن هذا يعني اهميه التسلسل الأبوي يقوم علي أساسه الاقتداء والاتباع (سنه المواقف)

بأنه يقوم علي أساس الايمان فلم تذكر النصوص نسب نوح ولا تاريخ رسالته ولا نسب هود ولا صالح.... الخ

ولهذا فإن الامه في هذه التحولات تحتاج إلي نماذج تخدم فقه الدعوه في دراسه التحولات تحتاج إلي تفسير وقرائه الأحداث في مجال الخير والشر والتعامل معها ومعالجتها واستدراكها والقدرة علي تجاوزها فهي بحاجة الي فهم السنن التي تحكم الوقائع والأحداث حتي تستطيع تحليل الازمه وتفكيكها وهذا لا يحدث الا باكتشاف الأ سباب والسنن التي تنشئ الظواهر من خلال الاحاطه بعلم الشي وتقدير العواقب والمالات وبما يحقق العبره التاريخيه فيضع كل شي في محله قبل اي شي فأنت عند التحولات تحتاج إلي نماذج الاقتداء التي تجمع الطاقات لتحقيق الأهداف

فأنت بحاجة الي القدوه العمليه التطبيقيه للنصوص لترشدك علي كيفية التعامل مع هذه التحولات... ترشدك الي كيفية تحويل المحنه الي منحه فلا تضعف أمام التحولات

ولهذا نجد أن النصوص ابتدأت بقوله تعالي (لقد أرسلنا نوحا الي قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قال الملاء من قومه إنا لنرك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلاله ولكني رسول من رب العالمين ابغلكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله مالا تعلمون او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم علي رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين)

الأمر الأول

فلم تذكر ايان من النصوص نسب نوح عليه السلام ولا عمره ولا مده بقائه بعد الطوفان ولا مده بقائه قبل البعته وحددت مده

قياده بالدعوه بانه استمر الف سنه الاخمسين عام يدعو إلي الله تعالي وذهب البعض للقول إنه يصل نسبة الي ادريس وذكر ابن كثير. تسلسل طويل لكن هذا القول لا يستند الي دليل

ولهذا نفهم أن اول درس يعلمنا الحق أن علينا أن نفهم أن ذكر القصص ليست لغرض التباهي بالانساب وانما تهدف إلي دراسه نماذج لمسيره الدعوه الي الله فالله لم يذكر نسب أحد او تاريخ رسالته الا لغرض يخدم

مصلحة الايمان فذكر أن يحي ابن زكريا لان ولادته معجزه ونسب عيسي الي مريم لذات السبب وكذلك ذكر أن اب ابراهيم ازر لآخبارنا أن تسلسل الاتصال الذي ينتسب إليه المومنون هو الايمان ومدرسه الخير فذكر نسب الال نبياء ليس من أغراض القرآن وان دور المومن ينظر إليهم أنهم أسلافه وان عليه أن ينظر في دعوه كل نبي و المعالم التي يستفيد منها في رحله بجمه فيها يقوم بدراسه الأسباب والمسببات التي تنشئ الظواهر والاحاطه بعلم تلك الأشياء وتقدير العواقب والمالات وبما يحقق العبره التاريخيه فيضع كل شي في محله ولعل إدراك ذلك يمثل ابعاد مهمه الاستخلاف في الأرض بل هي مفتاح معرفه قصه الإنسان علي الأرض منذو بدء الخلق حتي ينشأ الله الاخره

فقد خلق الله الإنسان ليكون خليفه لله لعبادته و لتعمير الأرض ولهذا فإن الإنسان يحتاج الي العلم والي المنهج الذي يعبد الله فيه ليعرف ما يفعل و ولهذا ابتدأت النصوص بقوله تعالي (لقد أرسلنا نوحا الي قومه)

وفي هذه الآيات تلخيص قصه نوح عليه السلام في إطار الحديث عن سنه الله في ارسال الرسل لبيان ان موكب الرسل هو رحمه من الله فالرسول صلي الله عليه وسلم ليس بدعا من الرسل يقول الحق أن كل رسول يأتي برحمه من الله فكان هذا مناسبا لما تحدثت عنه النصوص في المقطع السابق وليس كما زعم البعض أن آيات هذا المقطع مفصولة عن الآيات التي قبلها فصلا بيانيا

فإن هذا قول خاطئ لأن السوره ابتدأت بذكر قصه ادم ومافي ذلك من بيان التمكين له بتسخير الكون لخدمه الإنسان حيث أنه تعالي علم ادم الاسماء... ثم جاء المنهج الرباني الذي فيه أوامر الله ونواهيه لتنظيم حركه الإنسان وحياته وخلافته علي الارض

حيث أن رحمه الله اقتضت ارسال الرسل فلم يوكل لادم نقل الدين لاولاده بما علمه الله وأن يقوم الأبناء بنقل الدين الي أبنائهم جيلا بعد جيل فهذا هو المفترض ولكن نظرا لأن مهمه الدين فيها تنظيم الحياه والحركه و النفس لاتقبل ما فيه قيد اهواها وشهواتها ولهذا فإن الأبناء الذين سمعوا من ادم ومن بعدهم من ذريته بعد أن يتناسون أوامر الله حتي تصاب بالغفله نتيجة تعاقب الأجيال ولهذا نجد أن الآيات ورد فيها اربع نداءات يابني ادم واهمها قوله تعالي (أما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي... الخ فالرسل يرسلهم الله لنقل تعاليم الي خلقه ولو ظل الناس محافظين علي المنهج كما انزله الله لما احتاجوا الي الرسل ولهذا يأتي كل رسول لتذكير الناس بما نسوا ثم ينسي الناس وبعد فتره يرسل الله الرسل فيبعث الله الرسل في كل زمان ومكان والهدف من ذلك أن يكون المنهج الرباني هو الذي ينظم حياه الناس ولتذكير الناس

وايقاظ الفطره لأن العقول اذا انقطع عنها الوحي فإنها تصاب بالجفاف والتصحر مثل الأرض التي يجف عنها الماء ولهذا ذكرت النصوص الادله العقلية الكونية الشاهده علي الوهيه الله وربوبيته وتوحيده ثم اشارت الي بعض مظاهر ربوبيته تعالي ومنها انزال المطر من السماء و أن استقبال الأرض للماء انواع فمنها أرضا خصبة يخرج منها النبات وارضاً سبخه لا يخرج منها نباتا فهكذا يكون الناس في استقبال القرآن كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم (مثل ما يعطني الله من الهدى والعلم كمثل غيضا أصاب أرضا فكانت منها طائفة خصبه قبلت الماء فانبتت الكلاء والعشب الكثير وكان منها اجادب اسكنت الماء.... الخ

فقد شبه العقل البشري بالأرض كما قلنا فالعقل السليم يقبل الحق ويوتي ثماره أما العقل الفاسد الذي انطمست معالمه فلا ينتفع بالوحي وهؤلاء سوف يقفون في وجه الدعوه ولايستجيبون لنداء الفطره ولهذا فإن عرض

قصص الانبياء الخمسه فيه تسليه للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون يقول لهم الحق أن نوح عليه السلام ظل الف عام الاخمسين يدعو الناس الي دين الله لم يتوقف رغم عدم استجابته قومه له إلا عدد قليل طيله تلك المده الطويله ومع ذلك استمر نوح في دعوته ويوجهه الأعداء وفي ذلك تسليه للرسول صلى الله عليه وسلم و المؤمنون الذين كانوا يجدون قله النصرء من المسلمين يقول لهم اياكم أن تصابوا بالياس فتنسحبوا عن حمل مشروع الدعوه لعدم استجابته اهل مكه ولهذا جاء بعدها ذكر قصص الانبياء (لقد أرسلنا نوحا)

الأمر الثاني

ابتدأت الآيات بقوله تعالى (لقد أرسلنا نوحا)

وهذه الصيغه ذكرت في سوره الاعراف وهود والمؤمنون والعنكبوت والحديد واخبر في سوره نوح انا أرسلنا نوحا..و

هذا التعبير بهذه الصيغه تهدف إلي تزويد الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بالطاقه والنشاط في الدعوه الي الله وحشد لذلك المورثات التي تحرك قوه الدفع نحو القيام بحمل الدعوه ومواجهه التحديات حيث استعمل القسم الذي تضمن حرف التوقع قد وهو فيه التشوق لسامع الخبر لما يغرسه القسم واللام الموطئه للقسم من التوقع الباعث علي ذلك فالآيات توحى أن المسلمون كانوا في ازمه ولهذا فهم بحاجة الي تجاوز هذه الازمه فما هي هذه الازمه؟

أنها تكذيب مشركي مكه بالدعوه واذيه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه حيث أنهم تمادوا في التكذيب فقالوا (اللهم أن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجاره من السماء)

ولهذا جاءت الآيات تسليه للرسول صلى الله عليه وسلم وتعليم امته بتاريخ الأمم التي قبلها من الأمم المرسل إليهم الرسل ليعلم المكذبون من العرب أنه لاغضاضه علي الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من تكذيب المكذبين منهم فهذا الصراع ليس أمر جديدا فتلك هي طبيعته الكفار في كل زمان وتلك هي سنه الله وأكد هذا الخبر بلام الموطئه للقسم (لقد)

وحرف التحقيق لأن الغرض من الاخبار تنظير أحوال الامم المكذبه لرسولها بحال مشركي العرب من قريش في تكذبيهم

فالحق يريد أن تعلم أن الاحاطه بأسباب الازمه من شروط التأهيل للاستخلاف لصلتها الوثقي بمفهوم الاحاطه التي تحدث عنها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (وان دين الله لن ينصره الا من احاطه من جميع جوانبه) ومقتضي هذا أن تكون وعيا بالسنن الكونيه والأحداث التاريخيه والسنن التي تكونها فأراد الحق أن يزود النبي بـ المناعه اللازمه للسمود أمام التحديات

يريد الحق منك أن توطن نفسك علي حقيقته أن الصراع بين الحق والباطل أمر ازالني الي قيام الساعه

فالاتلاء لابد منه في الدعوه الي الله عليك أن تدرك أن مهمتك صعبه فعلي الداعيه أن يعرف ان طريقه ليس مفروشا بالورود فلا بد من الاضطهاد وان الصراع مستمر فأنت مبتلي في مالك واهلك ودينك وكل علاقته مع أي إنسان تقوم علي هذه القاعده ف الله يقول (ام حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم

مستهم الباساء والضراء وزلزلوا حتي يقول الرسول والذين آمنوا معه متي نصر الله إلا أن نصر الله قريب)
فالتمكنين لابد أن يسبقه الابتلاء ولهذا فإن عليك أن تعتز بالحق ومن هنا نفهم ابتدأت الايه بقوله تعالي (لقد
أرسلنا نوحا الي قومه)

ولهذا نجد إسناد الارسال الي ضمير المعظم لنفسه أنه أرسل الرسل مما يدل علي عظمه المرسل وهو المتصف بـ
الكمال والجمال والجلال يقول صاحب كتاب التفسير الموضوعي بهذا الشأن
فاول معلم من معالم الدعوه :-

الاستناد الي قوه القوي العزيز الذي اختار رسله وارسلهم الي اممهم وهذا العلم يجب أن يكون نورا هاديا للدعاه
حين يستعلون بالحق الذي معهم فلا يضعف المومن ولايشعر بالانكسار ولاينهزم أمام التحديات فالمسلم لابد أن
يكون عزيزا وتلك وسيلته للدعوه وهو الاعتزاز بـالله وقد ورد عن سيدنا عمر رضي الله عنه قوله نحن قوم أعزنا
الله بالإسلام ومهما ابتغينا العزه بغيره اذلنا الله

الأمر الثالث

و تعرض لنا قصص الانبياء و ترسم لنا رسم بياني للصراع عبر التاريخ بين الحق والباطل بعد أن سردت آيات
المقطع السابق الادله العقلية الكونية علي وحدانيه الله والوهيته وربوبيته

وأنه تعالي له الخلق والأمر مبينا ان الكون والحياه محكوم بسنن ونواميس تحكمه وتنظمه والإنسان بحاجه
للتعامل وان والملاحظ أن الايات جاء فيها

المبحث الأول

أنها ركزت علي خمس حضارات اولها قوم نوح عليه السلام وعاد وئمود ومدين ووقوم لوط وجميع هذه
الحضارات مسرح أحداثها حدثت في الجزيره العربيه التي انطلقت منها رساله الاسلام وبالذات حضاره ئمود
وعاد ومدين ووقوم لوط فلا خلاف أنها كانت في الجزيره العربيه وكذلك ذهب المورخون للقول إن قوم نوح
كانوا يسكنون الجزيره العربيه وهذا التركيز عليها لأن هذه الحضارات كانت معروفه لدي العرب وآثارها ومعالمها
في ارض جزيره العرب وترك الله آثارها لتكون ايه تخبر بعذاب الله فهو تعالي يقول (أن في ذلك لآيات وانا كنا
لمبتلين)

والغرض من هذا العظه والعبره ولهذا نجد اضافه قوم نوح إليه

مع أنهم أهل الأرض كلهم كما ورد في حديث الشفاعة بالصحيحين عن أنس بأن نوح اول نبي بعته الله الي أهل ا
لأرض وفيهم القوه حيث لا يخفي علي من تأمل آثارهم وعرف اخبارهم أنهم كانوا اقويا واشداء وقد انحرفوا
ولهذا ذكر القصه مجردة من أدوات العطف وعطف عليها بذكر ارسال الرسل الآخريين وهذا فيه

١

التنبيه علي أن أصل الرسالات واحده وجميع الرسل متطابقون فيما يدعون إليه ولهذا نجد تكرار قوله تعالي
(ياقوم أعبدوا الله)

أبلغكم رسالات ربي... وفي الحجج أو عجتكم أن جاءكم... وفي تكذيب الكفار (انا لنراك في ضلال... انا لنراك في سفاهه ...

٢

تبين النصوص أن سنه الله أن يرسل الرسل بلسان قومه وهذا فيه واقعيه الرساله لحصول التفاهم فلا يكون ما يدعوهم إليه غريبا فواقعيه الرساله هي التي تحدد نجاحها

٣

عليك أن تدرك أن خطاب الدعوه السريه الذي يعتمد علي دعوه من تعق باستجابتهم يختلف عن خطاب الدعوه الجهرية حيث يكون التوجه بالخطاب للكافه لا يقتصر علي أفراد ولا نخبه أو صفوه بل ينساح خطاب الدعوه الي الناس كافه جميعا ينطلقون بدعوتهم للجميع فالدعوه السريه مرحله لها ادواتها ووسائلها لأنها فرديه تنغلق علي الأ فراد ولا تتعدي الي الجماهير وهذه مرحله لها ظروفها أما الدعوه الجهرية يعني انبساط الخطاب للناس كلهم صيحه بالحق ونذاره وبشاره للخلق تهدف إلي استقطاب الجماهير للالتزام

بالحق واستهداءهم ليكونوا نصراء الدعوه يجدهم أهل الدعوه عند الحاجه فالاستقطاب الجماهيري يتطلب خطابا خاصا غير خطاب الأفراد وتتعين له وسائل معينه ترشده وتسعده وتوفقه وأساليب تزيينه وتنجحه ولهذا كان هذا العرض للقصص مناسباً لمرحله الانتقال بالدعوه من السريه للجهرية

المبحث الثاني

تبين النصوص أن الصراع بين الحق والباطل مستمر الي قيام الساعه فسنه الله أن يكون للرسل والدعاه أعداء هم أما كافر يكذب الرساله ويؤذي الرسول أو الداعيه وأما منافق مبغض وأما حاسد

فسنه الله التي يجب أن تكون حاضره امامك من لحظه التحاقك بالدعوه أن الحق لابد أن يقابله الباطل وهما يتوجدان في مكان واحد فلا بد أن تجد من يقف في صف الباطل في الاسره والمجتمع والحي وأماكن العمل معلما تجد أهل الحق لابد أن تواجه الأزمات والتحديات فهذه سنه الله فالحق لا يقوي الا بالتحدي يقول الشيخ الكيلاني (أن في الله عزاء من كل مصيبه وخلفا من كل هالك ودركا من كل ما فات... يا بني المصيبه ما جاءت لتهلك وإنما جاءت لتمتحن صبرك وايمانك واعلم أنه لولا المصائب لبطر العبد وبغي وطفى فيحميه بها من ذلك ويظهره مما فيه... الخ

فالمسلم عليه أن يوطن نفسه علي هذا الواقع ويتعامل معها من خلال الإدراك أنه في معركة الحق ضد الباطل وهي معركة ازاليه

فأنت ممتحن في كل شي في صحتك ومالك وجاهك وعلمك وكل شي

سوف تجد من يقف ضدك فيجب أن تومن أن الابتلاء أحد سنن الله في الأرض وأن دخول الجنه لا يستحقها الا من قدم التضحيات عليك أن تنظر إلي النهايه لتري اين هي السعاده الابديه فالابتلاء قبل التمكين فقد سال شخص الشافعي يامام اندعوا الله بالابتلاء ام التمكين فقال له لن تتمكن قبل أن تبتي

المبحث الثالث

أن قوه المومن تكمن في ثباته علي الحق مهما كانت المتاعب فالحق يريد منك أن تكون شجاعا في عرض الدعوه فلا تخجل أن تعلن أمر الدعوه للناس نظرا لأن التحول في الدعوه من السريه الي الجهرية يجد فيه الداعيه صعوبه في اعلان دعوته وصعوبه في إقناع الناس بشخصه وبفكرته ولهذا نجد عطف جمله (فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم)

علي جمله (لقد أرسلنا نوحا الي قومه) (بالفاء)

وهذا فيه اشعار بأن ذلك القول صدر منه بغور إرساله فهي مضمون ما ارسل به وخاطب به نوح قومه كلهم لأن الدعوه تكون عامه

وقد جاء النداء منه (يا قوم) :

وهذا الأسلوب الذي ينبغي أن يسلكه كل داعيه لتكون للموعظه أثرها في النفوس فقد أراد نوح يستجلاب استجابتهم من خلال تذكيرهم برابطه القرابه التي تربطه بهم فأنت لابد أن تكون رقيقا في عرض نفسك وفكرتك التي تحملها لأن هذه المرحله الاولي في الدعوه (الاقناع بشخص الداعيه وفكرته) من اصعب المراحل في الدعوه ولهذا أضاف القوم الي ضميره للتحبيب والترقيق لاستجلاب هدايتهم ليغرس في نفوسهم أنه يريد لهم الخير ويشفق عليهم

كم نحن اليوم بحاجه الي أن يعرف من يدعي أنه يحمل مشروع الدعوه الي فهم هذه الحقيقه الجوهرية في عرض الدعوه علي الاخرين...لأننا نري الكثيرون في عزله عن المجتمع لا يحاولون التقرب بهم فمن يتدين يترك الحديث مع أقاربه وأصدقائه لانه ينظر إليهم أنهم عصاه دون أن يتقرب منهم ويحاول اصلاح اعوجاجهم يصنع حواجز بينه وبينهم ثم يقول انني انصح الناس واخطب فيهم بالمسجد لكنهم لاينتفعون

الم تسأل نفسك ماهي الوسائل والأساليب التي تستطيع ان اكسب ود الناس لأجل أن يقبلوا دعوتي لهم لطاعه الله وترك المعاصي

لماذا لاتقتحم الابواب المغلقه التي تقف حائلا بينك وبين الناس

فهذا نوح ظل ينادي قومه تسعمائة وخمسين عام ياقوم نوع أساليبه وقام بتجديد وتحديث الوسائل لم يغلق الباب علي نفسه في المسجد بل ذهب الي الأسواق التي يلتقي فيها الناس وعرض أمر الدعوه عليهم ذهب للاندية لم يقتصر بعرض دعوته في وقت محدد بل عرضها ليلا ونهارا وفي كل الأوقات لم يمل ولم يفتر وهكذا كان شأن بقيه الانبياء

أن من أهم المشاكل التي توجه أصحاب الدعوه اليوم هو في فهم الخطاب القرآني محل العطاء والاعتداء حيث نجد أن الكثيرون يتعاملون معه بقدر كبير من السذاجه والعمي فموصفات الخطاب لديهم لاتحقق الأهداف ولا تضع الشئ في موضعه حيث اننا اصبحنا نسمع خطاب مستغربا موحشا خطاب منفرا طاردا بدل أن يكون مغريا وجاذبا وغير موثر ناتج عن سوء التصور وسوء الأداء ناتج عن قراءه القيم والمبادئ والمثل الاسلاميه بأدوات وابجديه خاطئه لاينظرون الي ازاله الصراع بين الحق والباطل اضافه الي شيوع نزعات التحزب والانغلاق و

التمجيد للأشخاص علي حساب الفكره أنقلبت الأحزاب الي هدف بدل أن تكون وسيله الاتصال بالناس لأجل عرض الدعوه وأصبحت اسوار الأحزاب سبيلا مانعا من اتصال الناس بأقرب المقربين كما أن اللجوء إلي العمل السري

والاختفاء عن الأنظار والغياب المعلن عن الساحة كرس الانفصال عن جسم الامه وخطابها وتقديم نماذج الاقتداء لها... وساهم هذا اضافته الي العزله التي فرضتها بعض الجماعات علي نفسها إلي وجود تصورات غامضه بعيدا عن أجواء الحوار والمناقشة والمناصحه وقد افرازات هذه الأحوال والظروف قيادات لاتعرف ما تتحدث عنه قيادات ذات آفاق ضيقه فقادت العمل بالمجازفه والاندفاعات الغير محسوبه وانتهت الي التشرذم وخروج جماعات تري سفك دماء العاملين في الحقل الاسلامي أمر مستباح وأنه يخدم الدعوه فشاهدنا من يدعي أنه محسوب علي اهل السنه يقتل الإسلاميين في ليبيا وشاهدنا جماعات محسوبه علي المتدنيين وتزعم انها تحمل المشروع الرباني تشارك في اغتيال ائمه المساجد

والدعاه في عدن وشاهدنا قبل ذلك جماعات التطرف التي تنقل صوره قبيحه عن الإسلام من خلال ذبح وقتل العزل بدون سبب

شاهدنا من يصعد المنابر ليخدم اليهود من خلال التقليل من شأن المقاومه في فلسطين هذه المقاومه التي تدافع عن مقدسات المسلمين كل هذا

نحن بحاجة اليوم الي أن نفتح الابواب المغلقه لبعضنا البعض نتوجه الي الناس بالخطاب بالحكمه والموعظه الحسنه والدعوه بالتي هي أحسن وان نقنع الآخرين بالحوار والنقاش بأن ذلك فيه الخير لهم علينا أن نتجاوز حاله الانغلاق وان نختار الألفاظ والكلمات القادره علي إيصال الخطاب الديني الي شرائح أخرى خارج نطاق جسمك الخاص ولهذا فإن اللازم علينا أن نستقري خطاب الانبياء لاقوامهم ومعاناتهم وخطاب النبي صلى الله عليه وسلم الجامع لخطاب النبوه التاريخي فهو ثمرته وخلاصته لنخرج من عنق الزجاجة التي اوجدتها العقول المتأزمه و الضيقه والتدبن المغشوش والفقه الحسير لمفهوم الدعوه وخطابها خاصه في مراحل الاستبداد السياسي في التاريخ الاسلامي الذي انشي الجماعات لخدمه مشروع الاستبدادي لإضفاء الشرعية علي ما يكرسه من مظاهر الاستبداد والتسلط والهيمنه باسم الدين فانجبت تلك الحركات جماعات مشوهه تدعي أنها تحمل فكره الاسلام و الدعوه إلي الله فشاهدنا أطفالا يرددون ما يملئ عليهم علماءهم المزعومين بأسلوب جاف يفتقد لادني مقومات الحوار لايقبل منك أن تصحح له فكره مغلوطة يعدها بنظره أنها هي عقيدته الاسلام وهي في الحقيقة لاتمت لدعوه الاسلام بصله بل تخدم تقديس الأشخاص

المبحث الرابع

تبين النصوص مضمون دعوه نوح لقومه فقال تعالي (ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم)

واول ما يشد الإنتباه أن كل الأنبياء كانت دعوتهم جميعا (ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) فما من نبي من الأنبياء الذين أرسلوا علي مدار التاريخ الا قال لقومه (اعبدوا الله) ونحن نجد في هذا المقطع أن كل نوح قال لقومه اعبدوا الله.. وكذلك هود وكذلك صالح وشعيب ولوط ولهذا لا بد أن نسأل أنفسنا

(لماذا التركيز في عرض كل رساله علي أمر واحد هو الدعوه الي عباده الله وحده لاشريك له)

الامر الاول

أن الايات تعطيك المنهج الرباني الذي يجب أن تسلكه في عرض الإسلام علي الآخرين أو تطبيقه في ميادين الحياه لانه لا بد لكل نظريه أساس تنطلق منه ولكل مبدأ قاعده

فالديمقراطية مثلا تقيم مذهبها علي مزاعم الحريه والمساواة وعلي أساسها تقيم الديمقراطية نظمها في شتي الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية في جميع المجالات

وكذلك فإن الرأسمالية تقيم نظامها علي المال والإنتاج والصناعة والاختراعات فالماده هي التي ترتبط بها جميع شؤون الحياه وتنظمها وتحكمها طبقه

وكذلك الشيوعيه تقيم مذهبها علي نظريه المساواه والحاجه في القيمه وصراع الطبقات ولهذا فهي تطبق نظريتها في جميع المجالات علي ضوء ذلك

ولهذا فانه كما يعرض هؤلاء حلولهم وتطبيقاتهم الجزئيه مشفوعه بفلسفاتهم وأصولها الجزئيه يجب علي المسلم أن يسلك هذا المنهج في عرض الاسلام وهو يدعو الناس إليه أو حين تطبيقه في حياه الناس أو في ميادين الحياه فلا تقيم الاسلام في أذهان الناس جزئيات وتفاريق منفصله عن أساسها الاعتقادي

(التوحيد) الذي يعبت اصولها وينظم مجراها ويحكم وضعها

ولهذا أخبرنا الله باساس عقيدة الاسلام القاعده التي هي أصل الدين الاسلام بأنها التوحيد وتعبيد الناس لله وحده لاشريك له

فمن الخطاء عرض الاسلام وحصره في جزئيات مثل التدين المغشوش الذي نظر للعباده بالمفهوم الحسير و الضيق أنه صلاه وصيام.. وكذلك أن تعرض الدين علي أنه متعلق بتنظيم الاسره دون أن يصلوا هذا بأصل الاسلام الاصيل الذي يكفل وحده النجاح لنظامه وتميزه لأن عرض الاسلام بغير هذا الأصل يغدو الاسلام مجرد إصلاحات جزئيه موضعيه وميزات عارضه سطحيه لاتمس جذور التكوين النفسي والعقلي للامه ولا تصوغ روحها ومفاهيمها وموزانها ومن ثم تختلط السبل علي الناس فعرض نظام الاسلام يجب أن يرتبط باساسه العقائدي

فالكثير من الناس ينظرون أن الإسلام ايمان قولاً وفعلاً وان الحركه من دواعي الاستجابه لهذه العقيدة لكن لا يقي مون أفعالهم علي اساس هذه العقيدة أثناء التطبيق أو أثناء عرض الاسلام علي الآخرين وهو مايجب الإنتباه منه

فالاساس الذي يجب أن يهيمن علي كل شي هو التوحيد ولهذا نجد أن القرآن يحدثنا عن دور الأديان السماوية السابقه في هذا المجال فاول قضيه في دعوه اول نبي حذر فيها قومه من الشرك ودعاهم الي عباده الله وحده وقد جاء الانبياء من بعده فساروا علي نفس النهج وسلخوا السبيل نفسه في الدعوه الي توحيد الله سبحانه وتعالى (فهي الكلمه التي لاتتبدل فقاعده هذه العقيدة التي لا توجد الايها وهي عماد الحياه الانسانيه التي لا تقوم علي غيرها فهي الكفيله وبها يكون هزيمه الأهواء والشهوات ...)

فلم يكن عبثاً أن أرسلت الديانات الالهيه المبكره علي ايدي الرسل

الاولى قواعد العقيدة وحدها ولم تتعرض للتشريع الا بتدرج يزيد من نصيب الأحكام علي مر الأجيال وتتابع الرسائل حتي تبلغ الغايه الاسلام ولهذا تعرض لنا النصوص محاوره الانبياء لاقوامهم في إطار جهود الاسلام تمببت قواعد العقيدة في العهد المكي الذي استمر ثلاثة عشر عام و من بعدها بدأ الوحي ينزل بالتشريع ومازالت عقيدة التوحيد هي أخص الخصائص التي يقوم عليها دين الإسلام وحضارته ودولته وتاريخه فهذا هو الأصل العابت والجذر الضارب وبالتالي لايجوز أن نغفل عنه أثناء عرض الاسلام او محاوله تطبيقه علينا أن نفهم انه لم يكن عبدا ما ارسته الديانات السماوية السابقه من قاعده وأساس الدين ولهذا نجد أن حوار هود مع قومه (ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)..وها هو ذا صالح يكرر نفس العبارة وحتى شعيب الذي جاء لإصلاح فساد اقتصادي في قومه فلم يكونوا مشركين بعباده الأوثان بل كان شركهم ناتج عن رفضهم الاحتكام لشريعه الله وكذلك لوط فقد كان فسادهم اجتماعي الشذوذ فاعتبر الدعوه لإصلاح الفساد الاجتماعي جزء من عباده الله ...

فهل يجوز أن نغفل عن لفتات القران وهو دائب يقرع اسماعنا بذكر العقيدة في احكام العبادات والمعاملات وسائر مجالات التشريع

الأمر الثاني

تبين النصوص أن الاصول التي بني عليه موكب الرسل والأنبياء الأمم هو (التوحيد) فهذه هي الاصول العابتة التي ينبغي أن تبني علي أساسها التصورات للفكر الإنساني هي الاصول العابتة التي ينبغي أن يبني عليها ما في القلوب ويتفرع عنها ولهذا نجد أن الأنبياء والرسل قد توجهوا الي مخاطبه العقل لإقناعه بأنه لا يوجد معبود بحق غير الملك الاعظم فإن هذا العلم هو أعظم الذكري المنجيه من احوال الساعه فنوح قال (مالكم من إله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) فإذا اخراج الإنسان من قلبه كل معبود غير الله عندها يدوق المومنون طعم حلا وه الكلمه الطيبه (التوحيد) حيث تنبت في قلوب المومنين شجره التوحيد باليقين والطمأنينة ولهذا شبه الله القلب الطيب في استقبال غيث القران وزواجه وأمره مثل البلد الطيب في استقبال غيث المطر ولهذا فان دخول غيث القران القلب يحتاج الي قلب طيب يستقر فيه غيث الله القران فيعمر في القلب اتصاله ب الله

وهذا إنما يكون بترك الشرك الكلمه الخبيعه عن علم فالله يقول (فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك)

وهذا يحتاج الي إقناع الإنسان وعقله ليخرج الأصنام التي تسكن عقله وقلبه ليكون بعد ذلك اعاده خلق المجتمع علي الصورة التي يريد الله لعباده عن قناعه لا إرغام ولاقهر ولاضغط فالإسلام يحترم حريه الإنسان ومنهجه في الدعوه يقوم علي حريه التفكير

فالحرية تعني الانسانيه ودور الدين هو تقرير هذه الحقيقه وحمائتها لان مهمه الدين هو تحرير الإنسان من الضغوطات التي تقيد حريه اختياره من خلال دعوته الي نفي كل معبود ومالوه غير الله يتحرر من كل الطواغيت ليكون العبد بعدها حر التفكير والإختيار ولهذا فإن محاوره الانبياء لاقوامهم تهدف إلي اعاده تشكيل أذهان الناس وتكوينهم العقلي من خلال هذا المنهج الذي يعرض فيه الله دينه علي الناس للوصول إلي تقرير عقيدته وإقرارها في القلوب والعقول من خلال الحوار والنقاش فالمراد اعاده تشكيلهم الذهني وتكوينهم العقلي الذي علي هدها يمارسون سائر قضايا العمل والفكر لأن تخلف دور العقيدة عن فاعليتها يحدث اذا انفصل العمل عن الفكره ولهذا نجد أن المنطق الذي عرض الله فيه دينه نجد أنه حرص فيه علي إيراد كل معارضه ومناقشه كل مخالفه ومناهضه كل نزوه فأراد بهذا تحرير الفكر والعقل من الأوهام والخرافات ولهذا نجد أن المقطع السابق

توجه إلي العقل البشري يحاوره ويناقشه بالاداله ويدعوه الي التفكير ليكون من النتائج المنطقيه التي يترتب عليها تقرير المسائل العقائديه البحتة في عالم الحياه العمليه انطلاق المومن من عقيدته التوحيد في كل شأن فهذه النتائج هي التي توسس عليها نظم الاسلام الاجتماعيه والاقتصاديه والسياسية باراده حره وإيمان ناتج عن قناعه لا إرغام ولاقهر ولاضغط فالإسلام عرض نفسه علي الناس ودعاهم بالحكمه والموعظة الحسنه وجادلهم بـ التي هي أحسن فالحوار الذي يجريه رب العزه مع مخلوقه في الايات السابقه وهو تعالي يلفت الأنظار الي الاداله الكونيه ومحاوره الانبياء لاقوامهم هنا فيها تربيته المومنين علي الفكر الحر فمهمه الدين هي تحرير الارده من الضغوط التي تسعدها لأن الاراده هي التي يمارس فيها الإنسان الاختيار و اداه ممارسه الاختيار في الاراده هو العقل والتفكير ومشاعر النفس الداخليه (قوه الحب وقوه الغضب) ولهذا نجد أن القرآن يركز في نقده للمخالفين بالمقطع السابق يذمهم بأن عقولهم مثل الأرض الجذباء نتيجه الريبه والشك وعدم الايمان الحقيقي ثم عقب بذكر قصص الانبياء والتي نجد فيها حوار الانبياء مع اقوامهم وهم يدعونهم الي الايمان حوار فيه تكريم لانسانيه الإنسان وتقدير العقل والعلم واقامه الدليل والبرهان والمنطق ودعوه لأعمال الفكر والفقه والتدبر ونجد أيضا هجوم القرآن علي الانقياد للهوي والتقليد أنه استنهاض لحيويه الاراده التي يغدو بها الإنسان قوه ايجابيه الفاعليه وليس مجرد اداه سلبيه فأراد بهذا الشعور بوجود الله ففاعليه العقيدته تكمن في ربط الفكر بـ العمل

فبعقيدته الاسلام منيع تخريج الاحرار أولي الالباب فتاليه الله وإنكار الواهيه من سواه يعنيان تحرير الفرد و المجموع من الوهيه الأهواء والتقليد والطغيان ولهذا نجد أن طريقه الانبياء في الدعوه تقوم علي الدليل الذي يحاصر العقل فلا يجد إلا أن يسلم فيه يظهر فيه الانبياء حرصهم علي مافيه خير اقوامهم يحملون الدعوه إليهم بأسلوب فيه التجرد من المصالح لايطالبون لانفسهم مصلحه ولامال ولامقابل إنما الدافع هو خوفهم علي اقوامهم من الهلاك فقال تعالي (اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم)

فهذا المنهج الذي كان تربيته المومنين عليه وكانت نتائجه في الفكر والعمل فالحوار يهدف إلي أن يكون ثمرته تعبيد الناس لله تعالي والكفر بما سواه بالشعور أنهم سوف يحاسبون علي أعمالهم يوم القيامه فهذا هو المراد من تكرار الدعوه للإيمان فذات الكلمه قيلت من جميع الأنبياء مع اختلاف لغات الانبياء التي كانت تخاطب بها تقوم علي نزع السلطان من كل الطواغيت لتحقيق معني وحده العقيدته السماويه علي مدار التاريخ حتي في صورتها اللفظيه كما ذكر السيد قطب ... فالمراد بهذا أن تعرف المنهج الرباني الذي يكون به اعاده تشكيل الأذهان وتكوين العقول العمل مرتبطا بالفكر ومن نتائج تقرير عقيدته التوحيد أن تكون الحركه في كل المجالات مرتبطه باصلها لاعتقادي التوحيد فهو الذي يحكمها وينظم مجراها في شتي الميادين

الأمر الثالث

أن من أهم ثمرات المنهج الرباني في اعاده تشكيل العقول والافهام والقلوب في الفكر والعمل هو أن يعرف الناس معني العباده وحقيقتها وان يكون سلوكهم منسجما مع فكره التوحيد ومتصلا بها اتصالا وثيقا لأن الكثيرون يتصورون أن العباده منحصره في التسبيح والجلوس في المساجد وصيام رمضان والحج فهذا تدين مغشوش لأن العباده بمعناها العميق وحقيقتها تعني أن تكون حياتك كلها لله تعالي في مأكلك ومشربك وملبسك تعني الخضوع لشرع الله ومنهجه في كل أمر وكل حركه تتحركها تعني أن يكون التوحيد هو المسؤول عن تنظيم حركه الناس أفرادا ودولا وحكومات وشعوب فاساس هذا الخضوع لله تعالي هو الشعور الواعي بوحدانيته تعالي وقهره لكل من في الوجود وما في الوجود فكلهم عبيده وفي قبضته وقهره ولهذا قال نوح (اعبدوا الله ما لكم

من إله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم)

ف الله وحده الذي يمتلك حق التشريع الاصيل الذي لا يرد (الا له الخلق والأمر) وكل ما عداه محكومين باصول دينه وشرعه فهو يقول في موضع آخر (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول أن كنتم تومنون بالله و اليوم الآخر)

وهو تعالي المتفرد بخصائص يستعلي بها علي من سواه فهو الخالق ومن عداه يستوون في أنهم مخلوقات وهو المعبود والجميع سواء في عبادته (ليس كمثل شئ)

والله بيده خزائن كل شئ هكذا تتم عقيدة الاسلام نتائج تعتبر أصولا سياسيه واجتماعية واقتصادية لنظام الا سلام وشريعته

ومن هنا ندرك لماذا كان التركيز في كل رساله علي أمر واحد هو تعبيد الناس لله وقله التفصيلات بعد هذه القاعده التي شملت كل التفاصيل وان أي قاعده في الدين أو الدنيا فإنما يرجع إليها ولايخرج عنها من هذا المفهوم الشامل العباده التي تمثل القاعده الاساسيه لما سواه التي تمثل النظام الجامع الذي ينظم الجزئيات و الفروع والكليات ويربطها بهذا الأساس العقائدي الذي ينظم مجراها ويحكمها انطلق الانبياء في معالجه مظاهر الخلل الموجوده لدي اقوامهم وتوجيههم الكامل الي عباده الله وحده لا شريك

ليبنوا للناس وللاقوام والأمم أن العباده والدين ليست محصورة في أن يقوم الناس باداء شعائر تعبيديه لله ثم ينطلقوا بعد ذلك ليفعلوا ما يشاؤون ويتصرفون في سائر شؤونهم كما تملي لهم اهوائهم يقول المودودي في (نظريه الاسلام السياسي) والذي ينبغي ان نعرفه قبل كل شئ ولا نغفل عنه ابدأ أن الإسلام ليس الدين بمجموعه افكار مبعثره ولا طرق عمل متفرقه بل هو نظام جامع محكم أسس علي مبادئ حكيمة وأركانه الكبيره المهمه الي الحزئيات الصغيره الدقيقه كلها ترتبط بتلك المبادئ ارتباطا وثيقا... الخ

فالعباده تعني الخضوع لله في كل شئ وليست مجرد شعائر دينيه وإلا فما الذي كان يريده الانبياء بتوحيد الاله؟ وما معني عباده الواحد الاحد وحده لا شريك له وماذا كان وراء قولهم (مالك من إله غيره) ثم لو أن العباده منحصره بالشعائر الدينيه فما بال من مضوا من أكابر الأمم كلما جاءهم رسول يدعوهم الي عباده الله الواحد واجتناب الطاغوت انقضوا عليه لماذا يقف أهل الجاه والسلطان والمال بوجه الداعيه لله ويشعلون الفتنة و الحروب مادامت مصالحهم لم تمس وسلطانهم لم يقهر وقوانينهم ساريه اتراهم قد أصيبوا بعقولهم حتي يمنعوا رعاياهم الوفيه المطيعه من القيام بأداء الفروض والصلوات وهي لاتضر بمصالحهم

يقول صاحب كتاب (الدفاع عن الاسلام)

إذا نظرت إلي تاريخ البشريه والمجتمع الإنساني استيقينت أن منبع الشرور والفساد الحقيقي إنما هو الواهيه الناس علي الناس أما مباشره او بواسطه

فأراد الحق أن تعرف من خلال هذه القصص التي فيها تجارب ونماذج تخبرك أن الإنسان لا بد له من معبود فنفس الإنسان تبحث عن معبودها ولا تستطيع أن تعيش من غير الها وربا فإذا لم تعرف ربها الحق فإن الإنسان يتخذ لنفسه الها وربا فمن لم يراض بالله الها وربا فإنه يتسلط عليه الهه الباطل)

فأنت اينما وجهت وجهك نظرت وجدت أن أمه اتخذت نفسها الها لقوم آخرين الا تري اليوم أن أمريكا قد اتخذت نفسها الها للعالم كله وان الشعوب كلها تراقب نتائج الانتخابات الامريكيه لأنها تعتقد أن مستقبلها مرهون بمن يصل الي البيت الأبيض تري أن حكمانا اليوم الذين يزعمون أنهم مسلمون منبطحون أمام امريكا أليس هذا الها يعبد من دون الله يجب إنكاره من الشعوب والحكام وإعلان تاليه الله وحده فإن حصل ذلك تحرر العربي من تسلط امريكا وإسرائيل علي امه الاسلام

لقد شاهدنا كيف أن ثله قليله من المومنين أعلنت إنكار الواهيه امريكا وكل من إله سواء الله وناضلت وكفاحت انتصرت علي قوي الشر كما حصل لطالبان وحماس فاحذر اخي المسلم أن تصنع اصناما في قلبك لاتخاف من قوه الاعداء فالخق هو الذي ينتصر في النهايه انظر الي تاريخ البشريه لتعرف لمن كانت النهايه

كذلك فإن من مظاهر هذه الأصنام انك تشاهد طبقه في المجتمع قد سلطت الواهيتها علي طبقات أخري أو حزبا سياسيا استولي علي مناصب الالوهيه واستبد بها أو تجد نافذ يقول أنا ريكم الاعلي ..لقد شاهدنا من يصيح علي شاشه التلفاز من يصف شعبه بالجرذان ويقول من انتم كيف لكم أن تخرجوا عن طاعتي فالوئنيه ليست مقصوره علي عباده الاصنام بل هناك وئنيه سياسيه واجتماعيه وماليه والدليل أن لوط جاء يدعوا قومه الي عياده الله والالتزام بما شرع الله لهم في حياتهم الاجتماعيه واعتبر اصلاح الفساد الأخلاقي جزء لايتجزء من عباده الله وكذلك شعيب دعاهم الي عباده الله والالتزام بما شرع لهم في البيع والشراء

واعتبر اصلاح الفساد الاقتصادي جزء لايتجزء من عباده الله وموسي اتي يدعو فرعون الي اصلاح الأوضاع السياسيه والي اخراج بني إسرائيل من عبودية فرعون وتعذيبه وهذا ايضا جزء لايتجزء من نظام العبوديه لله تعالي

ولهذا فليس للوئنيه السياسيه أو الاقتصادية أو الاجتماعيه من دواء إلا أن يقوم الإنسان بالكفر بالطواغيت جميعاويومن بالله العزيز الذي لا اله الا هو ويخصه تقدست اسماءه بالالوهيه والربوبيه يقول صاحب كتاب الدفاع عن الاسلام (فهذا هو الطريق النجاه الوحيد من برائين ذئاب الانسانيه وقطاع سبل الانسانيه وهذا هو الصلاح الذي ظهر في المجتمع الإنساني علي أيدي رسل الله الكرام وهذه هي النظرية الصالحه التي بعث بها الا نبياء الي الناس لتحكم حياه الناس فالتوحيد والعبودية لله وحده لاشريك له هي قاعده سلطان الله في حياه الناس وهذا يتطلب منك أن تخرج من قلبك كل محبوب غير الله كل معبود غير الله فالاله الرافع والخافض و الخالق والمانع الرزاق هو الله تعالي فعله وجود الإنسان في الحياه معرفه الله ومحبتة وعبادته وتوحيده وطاعته

وان الدين ليستقيم امره في القلوب والعقول اذا سار دعائه علي هذا النهج وربطوا نظامه وشرائعه بفلسفته الا عتقديه في أصولها المنهجيه ونتائجها الفكرية فهل تبين معالم الطريق وهل نجادل في الله علي علم وهدى وكتاب منير و

فهو تعالي الخالق والمالك والرزاق وبالتالي فهو المعبود وحده لاشريك له فقال تعالي (ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) حيث نجد اظهار النون الساكنه مع الهمزه (من إله) والتنوين مع الغين (إله غيره) والمعني اي ليس لكم رب سواه وبالتالي افروده بالعباده وحده لاشريك له دون غيره فليس غيره لكم اله والكون وأدلتة واضحه شاهده بذلك فناسب ظهور المعني مع الاظهار اي من وجد الله استغني عما سواه فعليكم أن توحداوا الجهه التي تتوجهون إليها في كل شأن الي الله وتوكلوا عليه وتعاملوا مع الله وحده في كل أمر وشأن فالمومن يعتز بالله

وحده لاشريك له يعتز بعبوديته الله يشعر بشرف تكريم الله له بالعقل والاراده ليكون خليفه الله في أرضه ولهذا فالمومن يحرص علي الحفاظ علي هذا الشرف الذي يتحقق بطاعه الله وامتنال امره ونواهيه بما أنزل علي رسله فهذا المنهج فيه عزه المومن وكرامته فإذا خرج عن طاعه الله وخالف منهجه بالعصيان فإنه يفقد شرف الخلافه و لهذا نجد أن نوح يذكر عله تحذيرهم لهم (اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم)

هذه هي النظرية التي كان بها صياغه روح الامه وحضارتها عندما اعتز المسلمون ب الله وأخذوا بمنهج الاسلام وعندما تخلوا عنه انظر الي ما حل عندما تركنا منهج الله لقد أصبحت امه الاسلام تابعه ذليله مهانه

ثالثا

تبيين النصوص

تنقل لنا الآيات جواب قوم نوح لما دعاهم إليه فقال تعالي

(قال الملاء من قومه انا لنراك في ضلال مبين)

الأمر الأول

أن رده فعل قوم نوح علي دعوه نوح لهم للإيمان ب الله ..والايمان باليوم الاخر بأنهم اتهموه نوح بالضلال الواضح. هي نفس رده فعل كل الكفار في كل زمان حيث أن المتأمل للمراحل التي مرت بها دعوات الانبياء نجد أن النبي ودعوته يخضعان للجدال والحوار فلم يحدث في التاريخ أن أمن كل الناس وانما ينقسمون الي فريقين مومن وكافر وفريق سلبي لا راي له بل يواجه فئه من المكذبين وليس ذلك فحسب بل تسبهم وتشتتهم وتصد عن دعوتهم فقال تعالي (قال الملاء من قومه انا لنراك في ضلال مبين)

فالآيات لنا الذين يتصدرون الموقف من أهل الباطل في الصراع في معركة الحق والباطل فقال تعالي (قال الملاء من قومه)

فالملاء هم الساده والاكابر الذين يملوون عينك مهابه أنهم الأشخاص المرموقة في المجتمعات تحظي بالاحترام عندهم تراهم تملاء عينك بماهم فيه من رزانه ووقار ومكانه ومنزله

فهؤلاء هم الذين يقفون في وجه الدعاه في كل زمان ومكان ولهذا جاء بصيغه التبعية (من قومه)

أما العوام فهؤلاء أما أن يكونوا جنود تابعين لطبقه الاكابر عن رغبه وحب وأما ان يسكتوا جينا منهم ويفضلون أن يتجنبوا ما يغضب الاكابر لما لهم في أعينهم من مكانه يفضلون أن يعيشوا علي هامش الحياه سلبيين لا فاعليه لهم أنهم مثل الحيط الذي جعلوا المشي جواره شعارا لهم

لاتذكرهم النصوص لانهم لامواقف لهم ينتظرون لمن تكون الغلبه فهم وان شعروا بظلم الوثنيه السياسيه الا ستبدادية فإنه انفعال لاقيمه له لأنه لايعير الاحساس ولايولد قوه تحريك الطاقات فيهم ولايساهمون في صناعه الخلاص لما هم فيه يقبلون الذل والهون

فهؤلاء تنازلوا عن عقولهم وحريرتهم بالقبول بالتعايش مع الوثنيه الاستبدادية السياسيه لان عيون امتلات بالنظر الي قوه الاكابر فخضعوا لهم

أما سلاح أهل الباطل في هذه المعركه فوجد أن قاده وائمه الضلال

يتعمدون التهجم علي الداعيه وتشويه صورته أمام العوام والاتباع من خلال إطلاق الاشاعات والافتراءات و الشبهات التي تلقي في النفوس الضعيفه الريبه وتحملها علي الاضطراب وعدم التصديق يريدون أن يصنعوا جاحزا نفسيا يمنع الناس من مجرد الاستماع لخطابه فتجد أنهم يتهمونه بالجنون والسحر والسفاهه وخفه العقل

وهو أسلوب ماكر وخبث يهزون من النبي في الإمكان العامه أمام أعين الناس حتي لايعار الناس الانبياء اي اهتمام وبالأخص أمام العوام لأجل لايهتم بما يدعوهم الانبياء أحد من الناس ولاجل أن يقتدي العوم بالملاء في معامله الانبياء فلا يصغون لدعوتهم ولايلتفتون إليهم ولايرونهم اهلا لأن يسمعوا منهم ويقتدي بهم فلا يثقون فيهم لأن العوام يقلدون الملاء ولهذا قالوا (انا لنراك في ضلال مبين)..(انا لنراك)

فاردوا استغلال تأثر العوام بهم في تحطيم مكانه الانبياء ومهابتهم عند العوام حتي ينصرف عنهم العوام فلا يقتدي بهم ولايسمعون لهم ولهذا فإن طبيعه الصراع أن ائمه الضلال في كل زمان يسعون لتبديل المصطلحات وتغيير المفاهيم لدي العوام فتجد الملاء يصفون العلماء بالإرهاب ويطلقون عليهم أوصاف الفساد والضلال يتهمونه بالحقاقه حيث يعمدون الي إفساد الثقافه لدي الناس حتي يصبح الباطل بنظرهم هو الحق والضلال هو الهدي وينظر الي أهل الهدي أنهم حمقاء واغبياء وهذا ما نراه واقعا اليوم حيث اصبحنا نري السارق والمحتال ذكي ونري من يتعامل بالأمانة أنه احمق وغبي هذا الواقع الذي نعيشه اليوم نتيجته الانحطاط الأخلاقي نتيجته الا بتعاد عن القيم والمبادئ ناتج عن التقدم المادي للحضاره وتقليد الاكابر والساده الذين لديهم ادوات اعلام ومركز قوي في مجتمعاتنا أفسدت ثقافتنا أن ما نعاينه اليوم من فساد وتمزق القيم والمبادئ من نفوس الناس واستبدالها بثقافه الماده حيث أصبح فتح مراقص في بلاد المسلمين واشاعه الرذيله والتفريط بأرض المسلمين ومقدساتهم وأعراضهم ودمائهم في فلسطين وغيرها بنظر الكيرون وسيطيه واعتدال صار ينظر إلي من يتمسك بدينه ومن يقاوم العدو الصهيوني أنه متشدد وضال فهذه الثقافه التي صارت تشكل عقول الكيرون إنما هي ناتجه عن الهجوم الذي يقوده الملاء من جنود الشيطان في بلدان المسلمين مثل الملاء من قوم نوح الذين ادخلوا نوحا في الضلال ووصفوه بأن الضلال متمكن منه واستعملوا (في) الذي يفيد الظرفيه للتعبير عن تمكن وصف الضلال منه حتي كانه محيط به من جوانبه احاطه الظرف بالمظروف

فهم اردوا الوقوف أمام محاوله الانبياء بث أفكارهم ومعتقداتهم والذي يعتمد في هذه المرحله علي السعي لإقناع الناس بشخص الداعيه وبما يحمله من أفكار ثم يأتي بعد ذلك العمل لإصلاح الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي فعليك أن تدرك أنه كلما بلغت درجه في سلم النجاح يزداد الخصوم في طريقك فأنت في هذه المرحله تجد صعوبه قويه لشده دور الأعداء الذين لديهم مهندسون متخصصون في صناعه الخطط والبرامج التي تمنع ثقه الناس بك لمنع إقناعهم فالانبياء عليهم السلام وجدوا الأعداء يقفون في طريقهم كما أوضحنا لأن الاكابر والساده يخافون علي مصالحهم وسلطانهم لأن التوحيد يهدد كل سلطان وجاه ومال وقوه يريد بها صاحبها العلو في الأرض والفساد فالتوحيد تعني أن الناس سواسيه لافرق بينهم وان الحكم لله واول اهدافه هو استرداد كرمه الإنسان وادميته وحريرته فالإنسان بدون الحريره لا يكون إنسانا لانه يفقد الارده والتفكير الذي اختص الله به الإنسان

المبحث الثاني

تأتي النصوص بجواب نوح علي تكذيب الملاء من قومه وما صدر منهم من سب وشتم وصد الناس عن دعوته بقوله تعالى

(قال يا قوم ليس بي ضلاله ولكني رسول من رب العالمين اببلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم الخ

وبالوقوف علي الآيات نجد الآتي

نجد أن المولي سبحانه وتعالى يحكي لنا رد الانبياء علي سب الملاء لهم والتهم التي وجهها هولاء للانبياء من نسبهم الضلال إليهم وأنه متمكن منهم لقد كان رد الانبياء ردا هادئا وامتزانا قابلوا ذلك بالحلم تركوا المقابلة بما قيل لهم مع علمهم بأن خصومهم اضل الناس واسفهم وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

بيان الاسلوب والمنهج الرباني الذي فرضه علي الانبياء كلهم في مواجهه سب وشتم المكذبين (الحوار والجدال) وهذا الاسلوب الذي فرضه ينطوي علي الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن فأراد الحق بحكايه رد نوح وهود وصالح وشعيب ولوط علي اقوامهم أن يعلمنا أن ماذا يعني الحوار والاسلوب المتبع في ذلك فاخبرنا الله أن استقطاب الناس نحو الدين الحق يعتمد علي الاقتناع فهو الطريق الوحيد الذي يجب أن تسلكه لأن عمليه الاستقطاب الناس تعني وجود جاذبيه تشدهم نحو قبول الآراء والمعتقدات الجديده لتحل محل الآراء القديمه وترك الموروث الثقافي الذي يتعارض مع الدين الحق ولهذا فإن التقدم والخروج من الجهل و التخلف مرهون برفض أبناء المجتمع الموروث والاقتناع بأنه غير صالح للحياه لما فيه من باطل وفساد

ولاسبيل لذلك الا بالاقتناع النابع من العقل والقلب فهو الذي يوفر القوه القادره علي ترك الموروث والقبول بـ الجديد فالمعركه بين القديم والجديد يكون هدفها الوصول إلي الاقتناع الذي يوكد الجديد ويهزم القديم في عقول ونفوس الناس فهذا هو الهدف من الحوار ت التي يعرضها لنا القرآن ولهذا نجد أنه يتوجه الي العقل و النفس فالخطاب كما أوضحنا سابقا يتوجه الي العقل البشري لانه اذا اقتنع حصل تكوين الايمان فالإيمان من الا رتقاء بالعقل وتزكية النفس بالعلم بـ الله والعرفان في دينه فيعرف الخير ومنافعه فيعمل به ويعرف الشر واضراره فيتركه ولهذا وصف الكفار بالعميان لأن طبيعه الانسان كما أخبرنا الله عنه (وكان الإنسان اكر شي جد لا) أراد المولي أن يعلمنا اداب الحوار في تحقيق الهدف حتي لايدفعنا ارداه الغلبه والنصر في اراده تحقيق الهدف الي الانحراف في الطريق بالتعصب الذي قد يدفع البعض للاعتماد علي الباطل ولهذا فرض الله علي الانبياء و المرسلين والدعاه اسلوب الحوار بأن يكون بالحكمه والموعظة الحسنه والمجادله بالتي هي أحسن

الأمر الثاني

يقول الحق لكل داعيه عليك أن تدرك أنك تخوض معركه صراع الأفكار الجديده مع الأفكار القديمه الموروثه وانت القائد في هذه المعركه وسلاح المعركه هو اقامه الحججه وإظهار قوه الحق لاجل إحقاق الحق من خلال اقناع الناس بالفكره التي تدعوهم إليها والاقتناع بشخصك فأنت كسب ثقه الجماهير وهي مهمه شاقه وضعبه جدا من أصعب مراحل الدعوه يمر الداعيه بمصاعب تحتاج إلي الحلم وعدم مقابله الاساءه بالاساءه وتعلمينا

كيف نتخاطب مع الناس في هذه المرحلة يحكي الله لنا جواب الانبياء علي اتهامات اقوامهم لهم بأنه جاء هادئاً ومتراناً ودعوا اقوامهم الي التفكير العميق في المساله وفيما يعيرونه امامهم من قضايا ومحاوله التحبيب إليهم بأنهم يخافون عليهم ودافعهم حبهم لقومهم فقال تعالي (قال يا قوم ليس بي ضلاله) وعن هود (يا قوم ليس بي سفاهه)

يذكرهم برابطه الاتصال التي تربطه بهم فكلمه قوم مشتقه من قام وأقام واستقام تشمل الماضي والحاضر و المستقبل

فيقال قام الأمر يعني تولاه ونهض بالقيام به تاما

ويقال قام الشي اي تحقق وقوعه

ويقال قام العدل اي رعاه في سلوكه

وأما أقام فيقال أقام بالمكان اذا استقر فيه وأقام الشي عدله وازال اعوجاجه وأقام البناء وأقام الجدار وأقام حدود الله

وأما استقام فيقال استقام الشي اذا صار معتدلاً في قيامه

ولهذا يفهم أن أهم مقومات القوام :-

روابط الدم والنسب... أو الاجتماع في مكان واحد وهذا ما نسميه بالوطن الذي يتولاه المرء بالحب والاستعداد للتضحية بالنفس والمال من أجل الوطن ولهذا يكون بينهم مصلحة مشتركة من استثمار الخيرات في الوطن و الحفاظ علي الثروات وهناك موارد بشريه وهذه المصالح مرتبطة باللغه والموروث الثقافي الذي يعبر عن هويه القوم والذي يعتز به كل أفراد المجتمع ويتفاخرون به

ولهذا نجد أن القرآن اهتم اهتماما بلغيا بهذه العلاقة فذكرت في القران (٦٦١) مره

فأراد الانبياء بهذا النداء اشعار المخاطبين أن الباعث لهم لدعوتهم هو حرصهم علي ما ينفع اقوامهم ولهذا نجد في الايه السابقه أن نوح يقول (اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم)

فهو يخاف أن يتعرض هذا الوطن للدمار ويخاف علي قومه من الهلاك فجاء اضافه الخوف الي المتكلم لاشعارهم بأن هنالك خطر يهدد قوميتهم جميعا فأراد بهذا حثهم علي ترك الموروث لانه اصبح خطر قومي يهدد هذا الكيان وان في ترك الموروث القديم واستبداله بما يدعوههم إليه فيه النجاه لهم والخير فأراد أن يقنعهم بدعوته ولهذا توجه بالنداء (يا قوم)

مع أن المكذبين الذين يجادلهم فئه الملاء فهذا يعود إلي الاتي

/١

أهميه مشاركته جميع فئات المجتمع بالحوار والنقاش والدعوه لاتتوجه الي طبقه دون أخرى فإذا كان من المهم مواجهه فئه الاقليه (الأكابر والساده والقاده) الذين يصنعون ازمات الاستبداد والجهل والتخلف ويسعون من خ

لال الجدل الي تعميقه واستمراره ولكن مواجهتهم لاتعني إهمال الاغلبيه العظمي فلا بد أن يكون التركيز علي إخراجها من حاله العزوف التي تتصف به الأغلبية لأن صناعي الأزمات يستغلون عزوف الاغلبيه عن توحيد مواقفها وعدم مبالاتها بما تزرعه الاقليه من سلبيات الاستبداد الذي يفضي الي عزوف الاغلبيه الصامته عن المساهمه في صناعه الخلاص لفقدانها الثقه بالقدرات و مصادره حريتها (الاغلبيه) وحققها في التفكير والتعبير هو أساس بقاء هيمنه الاقليه ولهذا تصدرت الموقف بالجدل والحوار (الاقليه) ولم تسمح للاغلبيه أن تشارك في هذا الحوار

/٢

اهميه تحرير الاغلبيه من هيمنه الاقليه فهم بحاجة الي قوه تحطم لهم الأصنام التي اجبرتهم الظروف علي عبادتها والخضوع لها والامتثال لاوامرها تلك الأوامر التي تعني استمرار عبوديه الاغلبيه للاقليه واستمرار فقره وتخلفه وحرمانه وقهره ولهذا لا بد أن تكشف لهم حقيقه الأصنام وان تكون الفكره التي تعرض فيها الحلول للخلاص واضحه ومحدده لاغموض ولالبس فيها لا بد من كشف الشعارات التي تستر خلفها الفئه التي تصنع الأصنام لا بد من كشف أهدافها القذره التي تختفي وراء الشعارات التي تعلنها فهم يسترون بواعتهم بفلسفات ويزخرفونها بزخارف براقه يظهرون فيه نظامهم القبيح الفاسد من الشرك والاستبداد أنه يهدف إلى تحقيق الحفاظ على مصالح الجماعه ففرعون قال عن موسي(اني اخاف أن يبديل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) وقال (وما أهديكم الا سبيل الرشاد)

فنحن نشاهد في حياتنا اليوميه الامثله العديده فنجد انظمه تذبج الناس باسم الدين وتضطهد الشعوب باسم الدين نجدها ترفع شعارات كبري عن الإسلام...وهي بعينه عن جوهر الإسلام أنها تهدف من ذلك أن تجذب أكثر الذين تبهرهم الشعارات الكبري بحكم ظروفهم والثقافه التي شلت قدرتهم على التمييز بين حجم الشعار ومضمونه والممارسات الميدانيه لتطبيقه حيث أصبح الدين سلعه للاختلاف والصراع والانقسام بين امه الاسلام نتيجته التعصب المذهبي وغيرها من الأحزاب وهو ماشكل ماده يستمد منها الطغاه قوتهم في استمرار فرض استسلام وخضوع الاغلبيه لهم وبقاء الشعوب وإمكانياتها تحت سيطرتهم ولهذا نجد تركيز نوح علي ازاله بواعت الاختلاف فقال تعالي (ابلغكم رسالات ربي)

فجمع الرسالات لبيان وحده الرسالات وكلها لها غرض جامع وهو عباده الله فكل الرسالات جاءت تحمل هذا الهدف سواء تناولت جانب سياسي أو اقتصادي أو أخلاقي فأراد بهذا إخراجهم من الواقع السطحي الذي يعيشونه يمثل بوره فساد يجب تصحيحه

وهذا الواقع السطحي هو الذي نعيشه اليوم للأسف الشديد في عصرنا من أهم العناصر التي أفسدت حياتنا واهدرات طاقتنا وشكلت اهم عائقا أمام محاولات الإصلاح التي حملها الدعاه فقد استغلوا الفهم السطحي عن الدين لدي الاغلبيه العظمي من أبناء المجتمع المسلم لتكون سلاحا يصد قوه هدم أصنام الكبر والاستعلاء بالباطل فكانت تلك السطحية في فهم الدين أرضا خصبة لنجاح خطه الباطل في مقاومه قوه الحق من خلال قابليه الشعوب فلسفه البلبله والشبهات التي يلجأ إليها أصحاب المصالح الاستعمارية في كل زمان لأجل التشكيك في نوايا المخلصين الذين يشفقون علي حاضر الامه ومستقبلها والذين يبذلون حياتهم ليصنعوا مستقبل الامه ولهذا نجد تركيز نوح في دعوته علي ازاله العبقات التي تعترض عمليه تحرير الإنسان من عباده الاصنام بأشكالها المختلفه مبينا أن أول خطوه للخروج من الواقع السطحي هو الحوار الذي يتوجه مباشرة إلي جوهر المشكله فلا

تضيع الفرصه في الحوار بعيدا عنها لأن الحوار بعيدا عن الجوهر هو بذاته أحد طباع التخلف وأسبابه وأركانه بل هو أكثر جذوره عمقا وصلابه فالإنسان كما وصفه الله أكثر شيئا جدلا فأنت في معركه الصراع بين الفكر الجديد والقديم وتحتاج الي اقتناع الجماهير وهذا يتطلب أن يكون الحوار والنقاش العقلي باختلاف اسلوب التفكير ضمن قواعد المنطق لأن ذلك الأسلوب ينتهي الي استخلاص النتائج العقلية التي لا يختلف العقل عليها لأجل أن يجمع الناس كلهم علي مصلحه جماعيه تشكل هدفا لحياتهم يجتمعون عليه عن اقتناع تام كامل لا إرغام ولا قهر ولا ضغط فيه ولهذا لابد أن يكون الحوار والنقاش بأسلوب هادئ ولين غير عنيف ولا قاسي لأجل أن تحاصر العقل البشري والنفس بالبرهان الذي يغزو أعماق النفس الداخليه ليحصل الاقتناع فاللامم لا تتطور إلا برفض أبناءها لواقعهم وليس برضاءهم عنه وقناعتهم به فالتطور لن يحدث إلا بعد أن تخلق السلوك الجماعي الذي يجتمع حوله الناس ولهذا ذكر أن الغايه التي يجتمع حولها الناس (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وان في تحقيق العبودية لله وحده لا شريك له السعاده في الحياه الابديه فقال تعالي (اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) المستقبل الذي يجب أن يتطلع له المومن هو اليوم الآخر يوم القيامه فالدنيا دار عمل والاخره هي دار القرار وهذا مرتبط بعمله خلق المصالح المشتركة التي تراط بين أفراد المجتمع المسلم ولها علاقه بعمله التطور فاللامم الناهضه تجعل أبناءها يعيشون في الامل ينظرون إلي الامام ولا يتشبعون بالواقع إلا بالقدر الذي يفيد الانطلاق ويضاعف التطور وليس بالقدر الذي يشد الي الخلف فيربط المجتمع بقيود الذكريات فالافراد في الامه بحاجة الي روابط مشتركة يسعى فيها الفرد بنفسه ممثلا بقدرته لتحقيقها وتسعي الجماعه لتحقيقها ممثلا بقدره المجموع حول هذا الهدف تقوم خلافه الفرد الإنسان وخلافه الدوله كلها يجب أن تتحرك لأجل عبادته الله وحده لا شريك له فهذا المقصود من خلق السلوك الجماعي ليكون حياه الناس موافقه للصوره التي يريدتها الله لعباده فالتوحيد يجب أن يحكم جميع العلاقات سواء الفرديه في حياه الانسان او تلك المتعلقة بالدوله فيجب أن تكون كلها متوجهة نحو هدف عبادته الله وحده (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) ثم قال بعد رد قومه عليه واتهامهم له بالضلال (ليس بي ضلاله ولكني رسول من رب العالمين اببلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لاتعلمون) توجه إلي جوهر المشكله بعد نفي الضلاله عن نفسه لأن المجتمعات لاتتخلص من التخلف الا بعد التخلص من أسبابه فالاجيال تتورث هذه التقاليد منفعله بسهولة الإلتباع ومنطقيه التقليد فأراد بهذا أن يحدث اهتزازا عميقا في النفس يحدث تغييرا يكون الاقتناع بالدعوه عندها سوف نشعر بالقلق تجاه العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعيه التي ورثناها عندما نشعر بهذا القلق سترفض الاقتناع بالواقع السطحي الذي تحياه كما ترفض إهدار الطاقات الخلاقه في الخصومات العقيمه عندها سوف تدرك أن العادات الموروثه ليست كالصفات الوراثيه التي يستحيل التخلص منها تدرك أنه في وسعك أن تمحو اثارها السئيه التي ورثتها لتسبدل بها بصفات ومقومات أكثر قدره علي تحقيق الغايه التي خلقت لها عندها سوف تمتنع عن اغراق نفسك في بحور المشاكل الشخصيه والجزئيه التي تشكل حواجز تمنع فهم حقيقه الدين

ولأجل تحقيق ذلك فرض الله علي الانبياء اسلوب الحوار وشدد علي اهميه الابتعاد عن الجدل الذي قد يدفع الإنسان الي الاعتماد علي اي سلاح يحقق الغلبه والنصر حتي لو كان اعتماده علي الباطل فالإنسان كما وصفه الله أكثر شيئا جدلا لهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يحكي لنا رد الانبياء تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء في هذه المواقف يعلمهم آداب الحوار وقانونه في القران بأن اول هذه الآداب أن تلتزم الدعوه لسبيل الله بالحكمة و الموعظة الحسنه والجدال بالتي هي أحسن وهذا يعني أن تكون حليما فلا تقابل الاساءه بالاساءه فاخلاق و آداب الحوار في الإسلام تعني الابتعاد عن كل ما من شأنه احداث التآزم وإغلاق الأبواب بل عليك أن تفتح الابواب المغلقه وتفتح مجالات الخير وان يكون الخير والحق هو المستهدف من الحوار لا الجدل بالباطل

فمشكله العجز والتخلف والاستسلام للأمر الواقع في كل العهود بالبحث في صفحات التاريخ ليست في عجز الشعوب بل في غياب النموذج وغياب المنهج القادر علي معالجه المشاكل حيث أن عدم وجود المنهج يودي الي البحث عن الحلول

الأمر الثاني

أن علي الداعيه أن يدرك أنه يخوض معركه الاقناع لقومه بشخصه وبفكرته انها فيها السعاده والرقى والازدهار لقومه وهذه المرحلة من أصعب مراحل الدعوة فانت تتوجه الي استقطاب الجماهير وإقناعهم أنك قائد قادر علي قيادتهم لما فيه الخير

وابتدا رده بقوله (ليس بي ضلاله)

نفي عن نفسه اي ضلاله لأن نفي الضلاله الواحده تعني نفي ماسواها

وهو ما يفهم منه أن من ضمن ما يجب علي الداعيه في هذه المعركه أن ينفي عن نفسه الشبهات عليه اقناع الناس بشخصيته والأفكار التي يدعو الناس إليها فتوح ابتداء بنفي التهمه عن نفسه ثم كشف لهم حقيقه دعوته وأنه ناصح لهم مشفق عليهم يبلغهم ما أمره الله تعالى

وهنا قد يقول قائل لماذا يجب أن ينفي الداعيه عن نفسه التهم المنسوبة له من الأعداء ؟

لأن صاحب الدعوة في بدايتها يحتاج الي كسب ثقة الناس حتي يستجيبوا لما يدعوهم إليه هو بحاجه لان ينفث الناس بعقولهم وقلوبهم لسماع ما يدعوهم إليه ولهذا فهو بحاجه أن يطمنوا لما يدعوهم إليه ويتقوا بشخصه فإذا حصل هذا كان الانتقال الي اصلاح الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المجتمع

فالاعداء يسعون جاهدين للخط من قيمه الدعاه في هذه المرحله وتسخير كل الإمكانيات والوسائل المتاحة حتي يتمكنوا من تحقيق ذلك لأجل أن ينصرف الناس عن الدعاه فلايقندي بهم ولايسمعون لهم ولاتتخرج السنه السفهاء من النيل منهم واشاعه الاباطيل حولهم ولهذا فعلي الداعيه أن يحذر مواطن الشبهات حتي لا يكون صيدا سهلا لاهل الباطل عليك أن تدرك أنك واقعا تحت مجهر العدو يريدون أن يجدوا هفوه منك لأجل أن ينالوا من الدعوه واهلها عموما ولهذا قال (ليس بي ضلاله)

الأمر الثالث

لماذا جاء بالاستدراك (ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لاتعلمون) بعد نفي الضلاله ...

المفهوم الاول

ان علي الداعيه أن يستغل الفرصة في مثل هذه المواقف بتحويل المحنه الي منحه فعندما اتهم القوم نوح بالضللال نجد أن الجواب جاء بالاستدراك (ولكني رسول من رب العالمين)

مع أنه يكفي ماقاله (ليس بي ضلاله) لدفع تهمه الضلال عنه لكن نوح استغل الفرصة لإثبات المحاور التي دارت حولها الحوار واهمها العقيدة الايمان ب الله والبعث والنشور والحساب والعقاب والرساله التي يحملها للناس

وذلك هو مضامين محاورات الانبياء لاقوامهم فلما أنكروا أنه رسول الله واتهموه أنه في ضلال لأنه دعاهم الي التوحيد الذي يخالف عاداتهم توهموا منهم أنهم في عباده الاصنام علي الحق ..فقالوا (انا لنراك في ضلال مبين) يقول الالوسي وسلك طريق الاطناب فهذا الاستدراك زياده علي الجواب إذ قوله ليس بي ضلاله...كان كافيا فيه فيكون من الأسلوب الحكيم الورد علي التخلص الي الدعوه علي وجه الترجيع المعنوي لانه بدأ بالدعوه الي إثبات التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالي فلما أراد إثبات الرساله لم يتمكن لما اعترضوا عليه في قولهم (انا لنراك...الخ

فانتبهز نوح الفرصه وادمج مقصوده في الجواب علي احسن وجه حيث إخراج مخرج الملاحظه والكلام المنصف يعني :

دعوا نسبة الضلال الي وانظروا ماهو اهم لكم من متابعه ناصحكم وامينكم ورسول رب العالمين)

المفهوم الثاني

تقديم الدعوه مجردة من اي مصالح وتطمئن المخاطبين بانه ليس للنبي مطامع واهدافا دنيويا ولهذا نجد الانبياء يخبرون اقوامهم أن الوحي ليس صادرا من الانبياء ولا من ذكائهم فلا يملك النبي الإتيان به لو قطع عنه الوحي

ولهذا قال لهم هذا الوحي هو رساله الله وأمره لكم فهو المنهج الذي يريكم فيه فهو كلام رب العالمين وانما انا رسول من الله يوحى اليه لازاله التوهم الذي توهموا من أنه في ضلال حيث خالف دينهم فيما دعاهم إليه

الأمر الرابع

أن مهمه الانبياء هي البلاغ اي أداءها علي اكمل وجه لأن البلاغ مشتق من كلمه بلغ فانت تقول بلغت مكان فلان إذا وصلت إليه بالتعام و الكمال فالبلاغ يعني بيان شامل تام كامل وواضح لا لبس فيه

اي ينقل أوامر الله ونواهيه للناس كما انزلها الله عليه دون زيادة أو نقصان وهذا يعني التزام الامانه في البلاغولهذا جاء بعدها (رسالات ربي) فيه جمع رساله وهذا لأن الأوامر والنواهي الالهيه متعدده المجالات وايضا فيه وحده الرسالات أيضا الرساله تصدق ما جاء قبلها كما قال تعالي (أمن الرسول بما انزل إليه من ربه و المومنون كلا آمن ب الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لانفرق بين أحد من رسله ..الخ

ومن هنا نفهم ان الواجب علي العالم أن يودي امانه العلم للناس كما يجب علي من أودع المال أن يرده علي صاحبه

فكتمان العلم خيانه من العالم لتركه القيام بالبلاغ ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يذكر بعد البلاغ قوله (وانصح لكم واعلم من الله مالا تعلمون)

فالنصيحه :-

تعني الإرشاد بتقديم النصح في كل شي في كل شأن من شؤون حياتكم أنها رساله مطوله فالدين ليس مجرد صلاه وصيام بل منهج هدايه ودليل عمل وتعامل مع الحياه النصيحه لكل حاجه

وهذه الكلمه يعبر بها عن حسن النيه و اراده الخير في قول أو عمل

فقد ورد في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال الدين النصيحة قلنا لمن قال لله ولرسوله وكتبابه
ولائمه المسلمين وعامتهم)

(وانصح لكم) تعني تحري المصلحه التي تنفعكم فاصل النصح في اللغة الخلوص يقال خلصت العسل اذا
خلصته من الشمع ولهذا فإن استعمل هذا اللفظ للدلاله علي أنه أراد من نصحه الخير لهم فهو لا يطلب شيئا ماديا
لذاته من وراء النصيحة فهي خالصه للمنصوح لهم اشفاق منه لما اعد الله من عذاب للمكذبين ولهذا قال (واعلم
من الله ما لاتعلمون)

فواجب اداء امانه العلم أن ترشد الناس الي الطريق المستقيم الذي فيه السلامه وتحذرهم من كل طريق معوج
يوصل الي الهلاك فالواجب علي العالم اذا راي منكر أن ينصح الناس فهذا هو واجب امانه العلم ولهذا نجد الإتيان
بالمضارع (وانصح لكم) للدلاله علي تجديد النصح وأنه غيرتاركهم من أجل كراهيتهم النصيحة وايدائهم له فهذا
المبدأ من أهم قواعد استعادته الامه لدورها فأنت عندما تشاهد تفشي الجهل بالحق وظهور التخلف وانتشاره في
مجتمع فاعلم أن ذلك يعود إلي تقاعس العلماء عن القيام بدورهم في النصح والإرشاد وتوعية الناس بطريق
الحق يعني أنهم فرطوا في امانه العلم وتركوا الواجب الذي يجب عليهم القيام به اتجاه امانه العلم فرتبه العلم
اعلي الرتب ولذلك فإن الواجب علي العلماء اكبر من سواهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ثالثا

(اوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم علي رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون)

الايه فيها استغراب نوح من عجب قومه أن الله اختار بشر مثلهم يحمل المنهج الرباني للناس وهذه شبهه آثارها
الملاء من القوم وردت علي لسان قوم نوح ثم رددتها الأمم من بعدهم

والايه وردت بعد اخبار نوح قومه بمهمته مبينا لهم أن الوحي الذي ينقله إليهم ليس نابعا من ذكائه ولا من شعوره
الدقيق الحساس ولا من خبراته وتجاربه الواسعه الحكيمه لا شئ من ذلك إنما مصدره الوحي والرساله التي
اصطفاه الله لها وان مهمته البلاغ والعلم الذي ينشره والعقيده التي يدعوا إليها هي من عند الله فقال (ولكني
رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لاتعلمون)

وخص بالقول (واعلم من الله ما لاتعلمون)

لأن مواضيع الحوار هي بالامور الغيبه وأوامر الله ونواهيته للناس التي حملها الرسل لعباده الله ومعرفته وتوحيده
وطاعته ومحبهته

والدعوه للإيمان بالرسول والرساله واليوم الآخر... الخ

لبيان ان الانسان لاوسيله له لمعرفة ذلك إلا عن طريق الوحي و المصدر الوحيد الموثوق به للاخبار عن هذه الا
مور هم الانبياء والرسل عليهم السلام الذين يتصلون بالوحي فمصدر علم الانبياء الوحي أما الناس فمصدر علمهم
العقل والتجارب الحياتية والعقل محدود فلا يمكنه معرفه ماغاب عنه وبالتالي فإن المصدر الوحيد لمعرفة الأمور
الغيبه وأوامر الله ونواهيته لا يكون إلا عن طريق الوحي

وهذا ما جعل القوم يتعجبون من ارسال الله بشرا رسولا فحقيقه العجب انفعال نفساني يحصل عند إدراك

شي غير مألوف

ولهذا قالوا (انا لنراك في ضلال مبين) فهذا الانفعال جعل العجب مشوبا بانكار الشي المتعجب منه ونفي حصوله فهو مستحيل بنظرهم كما قال تعالي (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شي عجيب ... الخ

وكما قال تعالي (اتعجبين من أمر الله) لامراه ابراهيم لأنها عدت ولادتها وهي عجوز محالا

ولهذا انتقل الي كشف هذه الانفعالات النفسية والتصورات الفاسده فعطف علي كلامه قوله (اوعجبتم)

مستفتتحا الجملة بالاستفهام الانكاري دون أن يقول لاعجب اشاره الي أن احتمال وقوع ذلك مما يتردد فيه ظن العاقل بالعقلاء فقوله (اوعجبتم) للرد علي قولهم (انا لنراك في ضلال مبين)

فمن الشبهات المستخدمه في ردهم هو أنهم يرون استحاله أن يكون الرسول بشريا ولهذا قال (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم علي رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون)

يعني أنه يستنكر هذا التعجب فلا وجه له لأن ارسال الرسول من جنس الناس يعرفونه ويعيش بينهم يعني نجاح الرساله كون النجاح يكون علي قدر واقعيه الرساله وانسانيه الرسول لان مشكله كل العهود علي صفحات التاريخ تكون لغياب المنهج الذي يعالج المشاكل وغياب النموذج (القدوه) فغياب المنهج الواقعي يفتح المجال للبديل بل يفرض التفكير في البديل وعندها ينصرف ذهن الإنسان الي البديل ليستبدل به كل شي ومن هنا تظهر المشاكل في عمل وحركه المجتمعات وتتحول المثل الي شعارات والناس إنما يعرفون المنهج والرساله من خلال شخصيه صاحبها فقد تبهر الناس بالشخصيه القدسيه الملائكيه لحين لكنهم لايستريحون لصحبها دواما في كل حين ولهذا فإن اول أمر يجب على الداعيه أن يعد له العده هو إقناع الناس بشخصه وبفكرته

ومن هنا فاللازم علي الداعيه أدراك الواقع بحسن تشخيص امراض المجتمعات التي يريد معالجه مشاكلها فالعمل علي علاج ذلك يحتاج الي العلم أكثر من الحماس وبالعلم يكون إدراك الواقع ثم إدراك العلاج الذي يناسبه ف الناس وان كانوا أحرارا في معتقداتهم وعلاقاتهم الاجتماعيه الاانهم بحاجه الي تعريفهم بالموعظه الحسنه علي ا لآثار السئيه التي يودي إليها الشرك وعباده غير الله وغيرها من الآفات الاخلاقيه والاقتصاديه والاجتماعيه الناتجه عن الخروج عن منهج الله فالعلم يكون به إدراك الواقع

وإدراك الواقع يستلزم العلم بتشخيصه وإدراك العلاج يستلزم العلم بفاعليته الايجابيه فالتشخيص والعلاج طب في مجال الصحه والمرض الجسدي وهو طب روحي في مجال اخراج الناس من ظلمات الكفر والشرك الي نور الايمان يلبي احتياجات الروح والجسد وهو طب في مجال التقدم والتخلف وهذا يتطلب دراسه أحوال المستهدفين وقابليتهم للتطور وظروفهم هل هي قابله للتطور ام جامده ولهذا فأنت بحاجه الي اطلاعهم علي قواعد الحساب في حجم المصالح الجديده التي ستعود عليهم عندما يقبلون العلاج الذي جاء به المنهج لتحريك الطاقات المعطله كي تخلق فرص النجاه من مخاطر الآفات ولأجل الوقايه من عدوي تلك الأمراض ولأجل أن تحظي بالسعاده وتخرج من حاله التردد

ولهذا تتكون مناعه مقاومه الأفكار الهادمه من خلال القناعه الذاتيه بأن المنهج الرباني هو الكفيل بمعالجه المشاكل فلا حاجه لاستريد الوصفات الجاهزه البدائل الهادمه التي تصاب بها الشعوب المغلوبه علي أمرها عند غياب المنهج الواقعي والقدوه الصالحه فالامم بحاجه الي النموذج الذي تلتف حولها الطاقات وتجميعها للمساهمه

في النهضة التي تحقق سعادته الجماعه لأن الشعوب في غياب (المنهج ..والقدوه الصالحه) تصير متلكنه في مشيتها عندها تكون فريسه سهله للطغاه والمتسلطين الذين يرفعون شعارات تجذب الناس اليها وعندها يصنعون اصناما تعبد من دون الله نتيجة الاندفاع من هذه الشعوب وترضخ للامر الواقع عندها يتحول نظام الحكم الي سلطه تنفر منها الكفاءات كما حدث عند غياب النموذج والقدوه الصالحه في زمن معاويه بتحول النموذج الي ملك عضو ض باسم الإسلام والتوحيد فغياب دور المنهج حقيقه ادي الي التعايش مع الاستبداد أو الاندفاع خلف دعوات الشيوعيه والامبرياليه والديمقراطيه نتيجة الاتصال بالعالم فقد أصبح العالم كانه قريه فأصبح المواطن المسلم يشاهد الفارق الذي يفصل بين حال المجتمع المسلم وحال الحضاره الغربيه يشاهد الضعف والهون في امه الاسلام فاما كانت النتيجة انقسام المجتمع المسلم الي قسمين فريق تأثر بالغرب وحضارته وصار ينظر للإسلام والتراث الموروث بأنه عامل تخلف الشعب المسلم وفريق اصابه التطرف نتيجة استغلال أعداء الإسلام الاحزان الناتجه عن تميز الفرق بين حال امه الاسلام والغرب ماديا مع غياب المنهج الواقعي والقدوه الصالحه لتهييج حاله الحزن تلك ليحطم الشعب ماتبقي لديه فشهدنا من يكسر ويقتل ويسحل ويرتكب الفضائح زاعما أن هذه الأعمال هي الحلول للخروج والخلص وأنها طريق السلامه مرت أمتنا بتجارب مولمه لم تفيق منها الشعوب المسلمه وان فاقت وجدت نفسها في خانه التخلف والجهل قد فقدت كل شي ولهذا فإن المنهج الرباني و القدوه الحسنه هما السبيل الوحيد للخروج من الازمات ولهذا فإن المتأمل لتاريخ تطور الديانات نجد ارسال الرسول من البشر هو لا جل مراعاة هذه الواقعيه التي بدونها يعيش الناس في دوامه الخيال ولايستطيع الناس التعرف علي وسيله الخروج من المازق فالمعامل لتاريخ تطور الديانات السماويه يجد أنه لم يذكر التفاصيل وانما ذكر ارسال كل رسول بلسان قومه يترجم آمالهم وطموحاتهم والقرآن لم يوراد تفاصيل كل رساله وانما إبراز معالمها وهي تختلف من قوم لآخر كما هو مبين في هذا المقطع ولهذا قال نوح (واعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم علي رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون)

والذكر هو الوحي الذي يتفق مع الفطره السليمه وسمي ذكرا لانه يذكرها بالعلم الفطري والمحبه الفطريه و التوحيد الفطري فالرسل بعثوا بتقرير الفطره وتكلميها لتغيير الفطره وتحويلها

وان الرسول بشرا إنسانا مثلهم اختاره الله لانذارهم بالعذاب كي يأخذوا بالاسباب والمسببات المنجيه من ذلك وان يراقبوا الله لتنزل عليهم رحمه الله والايه جاء فيها تناسب احكام الاخفاء مع المعاني التي تتحدث عنها فذكر الاخفاء في قوله (أن جاءكم) النون مع الجيم ..والنون مع الكاف (منكم) والنون الساكنه مع الذال (لينذركم) حيث ينكر نوح عليهم تعجبهم من ارسال

رسول منهم بمجي الذكر علي رجل منهم لينذركم لانهم قد خفي عليهم مجي الذكر من الله علي رجل منهم. يقول الفخر الرازي (انهم استبعدوا أن يكون لله رسول الي خلقه لأجل أنهم اعتقدوا أن المقصود من الارسال هو التكليف وان التكليف لامنفعه للمعبود لكونه متعاليا عن النفع والضرر ولامنفعه للعابد فيه وقد اعتبروا أن الحلال والحرام مرهون بتحسين العقل فقالوا ما الحاجه الي ارسال بشرا وكانوا ينظرون أن الملائكه أولي لانهم اطهر وأكمل فقد خفي عليهم عله اهميه واقعيه الرساله وأنه بقدر واقعيته يكون نجاحها وان إدراك الناس لها إنما يكون من خلال الرسول الإنسان ثم ان عله الانذار قد خفيت عليهم عندما تصورا العقل قادر علي معرفه مايضره وما ينفعه وأقاموا معيار الخير والشر علي تحسين العقل وهذا معيار غير مستقر فمن الأمم ماتري اشياء حسنه في حين تراها امم أخرى قبيحه فنحن نري في افريقيا أقوام يرون من جمال المراه قطع أنفها وشفايفها في حين ننظر نحن لذلك أنه تشويه لجمالها فهذا المعيار فاسد وغير صالح ولهذا قال تعالي (لينذركم) وكذلك فإن المشاهد

في صفحات التاريخ أن غياب المنهج ادي الي تسلط الهواء علي العقول وضاعت آفاق الأمم في دائره السلايه و العصبيات وقادت الأمم الي الهاويه ولهذا قال بعدها (ولتتقوا)

فالإنسان بحاجه الي الشعور برقا به الله فدور العقيدة هنا هو توجيه فاعليه الإنسان نحو الفاعليه الايجابيه وإخراجه من الانانيه وحب الذات وتوسيع دائره آفاقه وإخراجه من الآفاق الضيقه من العصبيات من خلال بناء الشخصية المتقيه التي لا تتحرك اي حركه الا بعد عرضها علي منهج الله تشعر بوجود الله تشعر بحاجتك الي الله وافتقارك إليه ولهذا فإن اهتمامك وتفكيرك ويواعنك كلها تتوجه نحو طلب ارضاء الله تعالي طالبا رحمته تعالي

رابعا

تلخص الآيات الي عرض نتائج هذا الحوار المطول بين نوح وقومه وهو نفس الحوار الذي دار بين الانبياء واقوامهم فقال تعالي (فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا باياتنا أنهم كانوا قوما عمين)

وبالوقوف علي الآيات نجد الآتي

الأمر الأول

أن علي المومن أن لايباس من عرض دعوته وان يتحمل في الله ويصبر في الحق فنوح ظل ٩٥٠سنة يدعو قومه إلي الله فماذا كانت النتيجة المترتبه علي دعوه نوح لقومه طيله تلك المده الطويله فقال تعالي (فكذبوه)الفاء للافصاح يقول الحق أنهم كذبوه فلم يستجيب إلا عدد قليل لايتجاوزن ثلاثه عشر شخص طيله تلك السنوات فاللازم علي المومن أن يقوم بواجب الدعوه ويتربك مساله الاستجابه من الناس لله فهو ليس مسؤولا عن عدم الاستجابة منهم

الأمر الثاني

أن علي المومن أن ينظر إلي نهايه الصراع بين الحق والباطل فنوح عليه السلام كان يرد علي سخرية القوم منه وهو يصنع السفينه بان النهايه هي العبره فقال تعالي (ويصنع الفلك كلما مر عليه ملاء من قومه سخرؤا منه قال أن تسخرؤا منا فأنا نسخرؤا منكم كما تسخرؤن)

فلا تخجل من عرض دعوتك خوف أن يسخر منك الأعداء فسخرية الكافر محدوده لا تتجاوز الدار الدنيا إما سخرية المومن فإنها لاحدود لها ف الله يقول (قيل ادخل الجنة قال يليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي)

ولهذا جاء تقديم الاخبار بالانجاء لنوح ومن معه في السفينه وهم المومنون علي الاخبار بالاغراق مع أن مقتضي مقام العبره تقديم الاخبار بالاغراق للمتكبرين فقدم الاخبار بالانجاء للاهتمام بانجاء

المومنين لتدرك أن النجاه يكون بالاصطفاف مع المومنين في سفينه الخلاص من الطوفان فلا مجال للتذبذب و الحيات في معركه الخير والشر فعلي الإنسان إذا وجد في نفسه نفره من أهل الخير أو عن فضيله ينبغي له أن

يبحث عن المقتضي لذلك ليسعي الي ازالته حتي يتخلص من الوصف المذموم وكذلك إذا وجد في نفسه انجذاب الي أهل الشر والي الرذيله فعليه أن يسارع الي تزكيه نفسه من ذلك

لابد أن تحدد موقفك اين تحب أن تقف في معركه الحق والباطل فلا تكون متردد فعليك أن تحسم موقفك ولهذا نجد أن جميع قصص الانبياء ركزت علي الفصل بين أهل الحق والباطل في النهايه بذكر نهايه أهل الحق بالسلامه والامان وذكرت أهل الباطل بما انتهوا إليه من الهلاك فقال تعالي (فاغرقنا الذين كذبوا بآياتنا)

مع عدم ذكر حال الفئه المتفرجه وكذلك في قصه قوم عاد عن نجاه هود والمؤمنون واهلاك الكفار قال تعالي (فانجيناه والذين معه برحمه منا) وكذلك هو حال قوم ثمود وفي قصه لوط قال تعالي (فانجيناه وأهله لا امرأته) وفي قصه أهل مدين فلم تذكر القصة شأن الذين وقفوا موقف المتفرج فمن لم يحسم موقفه يكون مع الهالكين وهذا يهدف إلي التحذير من السلبيه فاللازم أن يكون لك موقفا واضحا في هذه المعركه وهذا يتناسب مع ما افتتحت به السوره (فلا يكن في صدرك حرج منه) فالمطلوب الجهر بالدعوه فلا تستحي من انتقاد الكفار علي الدعوه فالمسلم حازم في وقوفه علي الحق لا يتردد ولا يخجل من أمر الدعوه

الأمر الثالث

الملاحظ في جميع القصص الخمس أن التركيز برسم النهايه للباطل جاء فيه الاتي

/١

أن السبب الأساسي لهزيمة الباطل هو البعد عن الله بالافساد والشرك والخروج عن منهج الله سواء كان هذا الفساد سياسي أو أخلاقي أو اجتماعي واقتصادي أو ديني

٣

تضع النصوص لنا قاعده قراءه التاريخ وتفسير التحولات وأنها ترتبط سنه الله في الاستخلاف أنه كلما خرجت امه عن منهج الله واستكبرت علي الانبياء اهلاكها فالمتأمل للحضارات الانسانيه علي ممر العصور كما ترسمه الآيات في هذا المقطع يجد أن هنالك حضارات متعدده نشأت في الأرض خرج أهلها عن شرف الخلافه بترك المنهج الرباني وكانت نهايتها الدمار والهلاك وهكذا توالى هذه الحضارات في الصعود والهلاك حضاره بعد أخرى ابتداء من قوم نوح وحضارتهم الماديه التي انتهت بالطوفان وجاءت بعدهم قوم عاد ثم قوم ثمود ثم قوم شعيب الخ

فمن رفض منهج الله وترك ولايه الله اهلكه الله فلا يتصور أشباه هولاء أن هنالك حصونا يتحصنون بها من عذاب الله فلا توجد قوه تحظي بشرف أمام قوه الله تعالي

٣

أن المتأمل لنهايه الباطل يجد ان القرآن يبرز التوافق الملائم بين اسلوب الحضاره الكافره وبين العذاب الذي حل عليها أي أن الجزء من جنس العمل فقوم نوح كانت حضارتهم قائمه علي الاعتزاز بالعقل الذي صار مولها لديهم وطول الأمل وعباده الأصنام فعاقبهم الله بالطوفان

واخبرنا الله أنهم كانوا قوما عمين لانهم جعلوا العقل الها ف الله يحترم العقل ويكرمه لكنه لم يسمح له أن يكون الها ولهذا فإن عدم استجابة هؤلاء القوم لدعوه نوح رغم أنه أوضح لهم حقيقه العقل البشري ودوره في معرفه الله بأنه مقدمه انطلاق الإنسان يجب أن يخضع بعدها لمنهج الله المنزل علي رسوله لكنهم استمروا في التكذيب رغم طول المده التي استمر نوح في دعوته ورغم تنوع الأساليب فهم لم يرغبوا بالحق ولم يقبلوا به ولهذا كان استئصالهم بالطوفان

وأما قوم عاد فقد كانوا أهل حضاره بناء وعمران واستغلال الموارد وحضارتهم حضاره قوه وشده بحكم ضخامه أجسامهم فعذبهم الله بالريح العقيم

وقوم ثمود كانوا أهل صناعه وهندسه معماريه وفن بالنحت علي الصخور بيوتا فشيّدوا المدن والسدود والمباني وغير ذلك مما يحتاجون إليه في حياتهم وهذا دعاهم للاستكبار علي دين فتصوروا أن تلك الحضاره تمثل حصنا يمنع عنهم العذاب والزوال لحضارتهم فعقابهم الله بالصيحه فأصبحوا في ديارهم جاثمين فماذا فعلت لهم المباني هل أغنت من عذاب الله شيئا كما هو حال امريكا اليوم أنها تتباهي بالقوه الماديه والصناعه التي تمتع بها والا ختراعات أنها نموذج ينطبق مع حضاره قوم ثمود الذين قالوا من أشد منا قوه أنها تمارس العريده والتنمر علي الشعوب استقواء منها بالقوه الماديه وعليها أن تنتظر الهلاك كما اهلك الله قوم ثمود اذا التزم المسلمون بأمر الله فإن قياده العالم من حق امه التوحيد أما ونحن تابعين لها وبعيدون عن ديننا فإن تسلطهم علي رقابنا إنما هو عقاب لنا لأننا تخلينا عن القيام بدورنا في حمل رايه الحق

أما قوم لوط فقد كانت حضارتهم قائمه علي الرفاهيه والمتع الحسيه فقد كانوا في منطقه الشام حيث الأنهار و البساتين والجنان فانشاوا الاندائيه والملاهي قبل آلاف السنين فخرجوا عن شرف الخلافه بالشذوذ الذي هو نتيجته اي حضاره ماديه تبتعد عن منهج الله وتمتع بالرفاهيه والمال فنحن نلاحظ في هذا العصر كم أفسد المال من شعوب لدرجه انه لايجب أن يعلن أمام شاشات التلفاز عن إنشاء انديه للشذوذ في بلدان إسلامية دون خجل هكذا هو حال الشعوب عند قيام الحضاره علي الرفاهيه والمتع الحسيه فإنها تؤدي الي تحلل الاخلاق في إطار سعي أبناءها البحث عن الرفاهيه لينتهي الحال بهم الي ما انتهت إليه حضاره قوم لوط بالرمي بالحجاره

أما قوم شعيب فكانت حضارتهم قائمه علي التجاره وتبادل السلع وكان فسادهم اقتصادي فعاقبهم بالرجفه فهذا هو العذاب المناسب لكل حضاره فعليك أن تدرك أن الجزاء من جنس العمل

فعليك أن تحذر الوقوع فيما وقعوا فيه فإذا وجدت في مجتمعك

أفعال مشابهه لأفعال اولئك القوم تحولت الي ظاهره اجتماعيه فعليك أن تدرك أن العذاب قريبا اذا لم تدرك نفسك بالعلاج والتوبه

(القصة الثانيه)

تحدث القصة عن قوم عاد الاولي وهم من ذراري نوح والناجون معه في السفينه وقد عاشوا في منطقه الا حقاف باليمن حضرموت كما ذكر القران الكريم في سوره الاحقاف وهؤلاء كانوا أهل حضاره عمرانيه وبناء وهندسه معماريه وفن حيث شيّدوا القصور والمباني والمصانع وكانوا أشداء واقويا ضخام الاجسام فقال تعالي (والي عاد أخاهم هود ا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملاء الذين كفروا من قومه انا

لنراك في سفاهه وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلاغكم رسالا
ت ربي وانا لكم ناصح امين أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم علي رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء
من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطه فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما
كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا أن كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في
اسماء سميتوها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين فأنجيناها والذين معه
برحمه منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مومنين)

اولا

(والي عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون)

وبالوقوف علي الايه الكريمه نجد أن دعوه هود هي نفس دعوه نوح تماما (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) فلا
يات تعرض لنا كفاح هود ومن قبله نوح ومن بعده صالح و و و و وصولا إلي النبي صلى الله عليه وسلم في إصلا
ح الناس وأحوالهم وحياتهم لتكون موافقه لهذه القاعده (التوحيد) ومن هنا نفهم الاتي

المفهوم الاول

عليك أن تدرك ان نقطه الانطلاق للوصول إلي الكمال الإنساني والسعاده هو التوحيد وان تكون العبوديه لله
تعالى وحده لاشريك له فالعباده تعني الاستسلام والخضوع لله تعالى في كل شأن من شؤونك بأن يكون الإ
نسان كله لله خالصا له تعالى وان يبتغي نجاته بالتضحيه بماله ونفسه وكل شي في سبيل الله ومن ثم ينفذ بهذه
النيه والارده بالعمل والسلوك (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وهذا يعني ان يكون الخضوع والاذعان لله ب
التعظيم والاجلال والمحبه والخوف وهذا يتطلب وهو ما يتطلب الكفر بكل ما سواه من الالهه ولهذا فإن دعوه
الانبياء جميعا تحرير الإنسان من كافه الأصنام والقيود التي تشكل حواجز أمام وصول الإنسان إلي الكمال الذي
يجعله كله خالصا لله ولهذا نجد أن الصيغه ورد فيها التعبير ب(من) الاستغراقيه للنوع في قوله تعالى

مالك من إله غيره)

فهي تفيد الاستغراق لأفراد النوع فأنت اذا قلت لشخص اعطيني مائه الف ريال سلف فإذا قال لك ما عندي مائه
الف فإن هذا يعني أنه عنده مال لكن أقل من مائه الف أما إذا قال لك ما عندي من مال اي ما عندي ولا ريال
واحد فمعني هذا أن من تفيد الاستغراق لأفراد النوع

والسؤال هنا ما الحاجه ل (من) الاستغراقيه للنوع هنا التي تنفي وجود الالهه التي يالههه الناس غير الله تعالى ؟

الجواب

لأن الإنسان له عقل يفكر به وله ارداه تحركه وهو مكون من جسد ارضي وروح سماوي

ولهذا فإن الإنسان بحاجه الي الإله الحق الذي يكون تركيز اهتمامه ودوافعه وعواطفه تدور حول فكره الإله
الواحد الاحد الفرد الصمد وتتبلور عنده كل المطالب والجزئيات والكيليات والعواطف والمشاعر العرضه والاساسيه
وتكون فكره الإله الحق هي الميزان لكل خاطره أو سلوك في حياته

لأن غياب فكره الإله الحق عن الإنسان تجعل الإنسان يرضخ لعباده مخلوق مثله ويفقد إنسانيته فلا يمكن للإنسان أن يعيش بلا دين ولا إله فعند غياب فكره التوحيد تبرز الأصنام فإذا كان دور الانبياء تحرير الإنسان من الأصنام فإنه لابد أن يملأ قلب الإنسان بعدها وعقله بالأله الحق والدين الحق الذي يستعيد به الإنسان حريته وكرامته وإنسانيته في عبادة الله وحده لا شريك له وإلا فإنه يكون عبداً لامحاله لمخلوق مثله لأنه عندما تغيب فكره التوحيد تبرز الأصنام التي تمتهن كرامه الإنسان وأدميته وتنتقص من حريته وقد شاهدنا النماذج العديدة ففي عصر النهضة في أوروبا حدث انفجار للناس ضد الآلهة المتعددة التي تحكمت في الناس باسم الدين من رجال الدين والاقطاع والطفاه والملوك والذين كانوا يزعمون أنهم ينفذون أوامر الرب وأنهم لهم سلطة الهية وحق سماوي في طاعة الناس لهم المهم أن شراره ثوره الشعوب الهايجه

جعلتها تصل لدرجة ان تنكر الوهيه الله وترفض الأديان تحت شعار اريد أن أكون حراً فلن نخضع لأي إله أو دين فهل وجدت أوروبا حريتها وهل استطعت أن تعيش تلك الشعوب بدون فكره الإله أو الدين من المؤكد أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بلا دين وبلا إله

فالنزاع النفسانيه تجعل الإنسان يبحث عن الإله فهناك أشواق خفيه تدفع الإنسان للاعتقاد بوجود عالم الغيب الذي يجاوز نطاق الحس وليس أمامه إلا الاستسلام لهذا الغيب الذي بالإيمان به يرضي الإنسان أشواقه الخفيه لأن الإنسان مخلوق من تراب أرضي وروح سماوي فالروح يتعلق بمصدره الذي وجد منه ولهذا لا تشبع شوق العاطفه الا بالاتصال بالله وهذا يعني معرفه من هو الله وأسماءه وصفاته والمنهج الذي تناجى به الله لتصل إلي الاطمئنان ثم إن من لوزام الجماعات البشريه ان توجد صبغه يصبغ بها المجتمع ويعطيه لونه الخاص الذي يميزه عن غيره فلا بد للأمم من دين وبدونه لا يوجد استقرار لا اجتماعي ولاسياسي ولا اقتصادي فالناس لا يستطيعون الهرب من نوازع أنفسهم والتجارب الانسانيه كثيره في التاريخ التي تعطينا دليل الحدث التاريخي الذي يحكي لنا قصه الإنسان مع الدين في صورته الدين الحق الذي حملة الانبياء لا قوامهم وأديان أهل الباطل الذي صنعه البشر ويرسم لنا اوجه الصراع بين الفريقين والسؤال هنا ؟

لماذا اجتمع الناس علي الاعتقاد كيفما كان اختلافهم في الجنس والزمن والموطن والمصلحه علي الإيمان بالدين بغض النظر هل كان هذا الدين دين حق أو باطل ؟

ولماذا سفكت الدماء منذ نشأه البشريه حتي يومنا هذا في صراع الأفكار والأديان والمذاهب والمعتقدات لو كانت فكره الدين عمل فردي أو فعل عارض يقع بين الحين والآخر أو اتفاقاً من فعل الحيله والتدبير أليس ذلك يعود إلي باعث قوي داخل في تصميم بناء الإنسان كيانه شكلت هذه النزاع تدفعه لطلب السمو الروحي الذي يلبي احتياجات الروح للوصول للاطمئنان بالاتصال بمصدره فالإنسان ذو طبيعه مزدوجه جانب أرضي التراب وجانب روحي الروح فهو بحاجة الي أن يعرف الله وأسماءه وصفاته والمنهج الرباني الذي يناجى فيه ربه ليشبع العاطفه والتي لاتجد الاطمئنان والسعاده الا بالاتصال بالله فحاجه الإنسان للسمو الروحي باعث من داخله ومن صميم تكوينه فالإنسان بحاجة الي الاهتداء لما فيه سعاده بما يلبي أحلامه وأشواقه ويقنع عقله ويحتاج الي الاهتداء لقانون التعامل مع بني جنسه فهو يعيش وسط المجتمع ولوزام الاجتماع يقتضي وجود علاقه متبادله بين الفرد والمجتمع فالسمو الروحي للفرد الذي هو هدف كل نظام لا يمكن تحقيقه الا اذا كان الفرد يحصل علي الروح المعنوية والتشجيع والحمايه من المجتمع حوله وبالمقابل ينتظر المجتمع أن يحصل من الفرد علي التعاون والتشجيع والحمايه وهذا التداخل بين الفرد والمجتمع تدل حاجه الناس للدين لحفظ النوع وكذلك فإن الإنسان بحاجة الي الاهتداء للسنن والنواميس التي يتعامل بها مع الكون من حوله

ومن هنا نفهم أن الايمان ضروره كونه لاتخلقها مشئيه أحد من الاحاد وهي ليست امر ا عارضا وانما لها باعت من صميم قوي الكون لأن الله الذي خلق الكون هو خالق الإنسان

الأمر الثاني

لماذا جاء اسم (هود) منصوبا في قوله تعالى (والي عاد أخاهم هود ا)

الايه معطوفه علي قوله تعالى (لقد أرسلنا نوحا) وهي مسبوقة بذكر الدلائل الكونيه التي تحدثت عن خلق الله الكون كله وتدييره له وانزال الأمطار التي يكون احياء الأرض الطيبه بها كمثل لدور المنهج الذي يأتي به الا نبياء الي الأمم

فالمطلع للخمس القصص يجد أنها معطوفه وكذلك فإن المتأمل لمحاورات الانبياء مع اقوامهم في القران عموما يجد أن الآيات المتعلقة بذلك تكون مسبوقة بعرض الادله في الكون والسؤال لماذا يحرص الأنبياء كلهم في نشر دعوتهم علي اظهار مطابقه دعوتهم لحكمه الخلق وسر التكوين ؟ومع علاقه ذلك بالعطف الورد في هذه الآيات (والي عاد أخاهم هود ا)

الموضوع الاول

عليك أن تدرك أن مهمه الرسل هي تحرير الإنسان وانقاذه من عباده الهوي وإخراج الانانيه من وتخليصه من قيود واغلال العبوديه لغير الله

تعني أن يعرف الإنسان مركزه ومكانته في الكون ودوره في الحياه يسترد فيها كرامته فالتوحيد يزيل مخاوف ا لإنسان من طبيعه والكون يخبره أن الكون مسخرا لخدمه الإنسان ولهذا يتحرر الإنسان من كاهه الأصنام و القيود التي تسقط وعي الإنسان وتجعله ادني من الحيوانات والبهايم فمن رحمه الله ارسال الرسل يدعون الناس الي التوحيد لحمايه انسانيه الإنسان وحرية وكرامته لاعاده شرفه ولأجل أن يمارس دوره في الخلافه علي الا رض وفقا لمنهج الله والقيام بدوره في العمران علي الارض يشيد حضارتها وفقا لمنهج الله فشرف الإنسان ومكانته هو بالعبوديه لله وهذا يتطلب أن يعرف الإنسان سبيل الهدايه في تعامله مع نفسه وربيه والمجتمع من حوله ويحتاج إلي دليل التعامل مع الكون الذي سخره الله لخدمه الإنسان وكذلك يحتاج الي دليل التعامل مع الحياه وأحداثها وتحولاتها

يحتاج الي معرفه السنن والنواميس التي تحكم الكون والحياة لانه لايمكنه التعامل معها إلا بفهم واستيعابها ومعرفه قوانينها حتي تكون حركته منسجمه مع حركه الكون والحياه وهذا لايتحقق الا باستصطحاب معرفه الوحي الذي هو بوصله الهدايه لذلك لأن خالق الكون والإنسان هو الله والذي سخر الكون هو الله تعالى

ولهذا نجد أن الايات تعرض رسائل الانبياء الي اقوامهم بعد عرض ايات الله في الكون يخبر كل نبي قومه فيها أنه يحمل رساله الله للناس لكي يعيش الانسان بصورة تتلاءم والنظام الذي ابداع الله به العالم فنجد أنه تعالى ق ال (والي عاد أخاهم هود ا) حيث نجد أن اسم (هود ا) منصوب بالعطف علي قوله تعالى (لقد أرسلنا)وهذه الجملة كما أوضحنا مسبوقة بعرض الآيات الكونية والمعني لقد أرسلنا هود يدعوا قومه حاملا رساله الله للناس التي يدعوهم فيها الي الالتزام بالمنهج الرباني الذي يحقق الانسجام بين حركه الإنسان والكون والحياه وهو مافيها مطابقه دعوتهم لحكمه الخلق وسر التكوين لأن مهمه الدين تتجاوز مساله حفظ النوع فحسب إلي تقرير

مكانه الإنسان في هذا الكون أو في الحياه

يقول العقاد (فالإنسان يتعلق من النوع بالحياه ويتعلق من الدين بمعنى الحياه)

الموضوع الثاني

ان معرفه الإنسان لمكانته ومنزلته في الكون والحياه هي مفتاح القيام بمهمه الاستخلاف في الأرض وبدونها يسقط الوعي عن الإنسان الذي ميزه الله عن المخلوقات فهو يتساوي مع بقية المخلوقات من حيث الاحتياج لله والافتقار وعدم الاستغناء عن الرب فالجميع محتاجون لله ولرحمته وعونه والفرق بين المومن والكافر هو الوعي فانخلاع الوعي عن الإنسان تجعله أقل منزله من الحيوان ولهذا فإن غياب الدين الحق يجعل الإنسان يتخبط ويتخذ اصناما يصنعها الإنسان من الطبيعه أو مخلوق مثله أو ماده أو ماشابه معبود ولهذا جاءت عقيدته التوحيد لتخليص الإنسان من كل الالهه المتعدده لإنقاذ الإنسان وتحريره من كافه الأصنام تحرير أردته من كافه الضغوطات التي تعيق وتمنع عمليه اتصاله بالاله الحق

ومن هنا نفهم سر هذا التذكير بالاله الحق القدير من جميع الرسل لانبياءهم لأن عمليه التحرير للإنسان تتوجه صوب عقله وقلبه

بأفراد العبوديه لله قاصدين بذلك أن تكون حركه الإنسان متطابقة مع حركه الكون الذي يعبد الله فلا ينبغي للإنسان أن تكون حركته شاذة عن حركه هذه المخلوقات في هذا الكون الفسيح الواسع فكيف للإنسان أن يتمرد ولهذا ارسل الله الرسل وانزل معهم المنهج الذي يحتاجه الإنسان لتكون حركته متطابقه مع حركه الكون

حيث والإنسان بحاجه لمعرفة الله ومحبه وعبادته ولهذا فسر ابن عباس قوله تعالى (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) بأن العباده هي المعرفة معرفة الإنسان لنفسه ولبني جنسه والكون من حوله وربيه يعرف حقوقه وواجباته وطبائع الأشياء فالمعرفة الحقه تعني أن يحسن استخدام ملكات العدل والإحسان والرحمه كلا في محلها وبهذا يحيا الحياه الطيبه ويتفاني في خدمه البشريه ولهذا

فتكون حركته كلها خاضعه لله بحيث يكون حركه الإنسان خاضعه لله مثل خضوع الكون واستسلامه عن اختيار منه بحب ورغبه واراده فالملاحظ لمناهج الانبياء كلهم يجد أنهم ركزوا علي الاقناع بالاعتماد علي قوه الحجه والبرهان من خلال المنهج العقلي الذي خاطبوا به اقوامهم قاصدين لاستعادته الوعي الإنساني لمنع موت الإنسان الحي لأن توقف القلب في الدنيا عن الحركه يعني الموت لكن عليك أن تدرك أن توقف معرفه الله عند الإنسان تعني سقوط الوعي وهذا موت اخطر انواع الموت لانه يعني موت الاحياء وهم لا يدركون أنهم اموات فهل هنالك موت أقبح من عقول لاتعرف وقلوب لاتشعر وإذن لاتسمع واعين لاتري

فالغرض من مجئ ذكر قصص الانبياء بعد عرض الايات الكونيه يهدف إلي استعادته الوعي الإنساني وآثاره الا حساسيس فيهم من خلال توجيه أنظار المخاطبين إلي الكون لإقناع العقل البشري بالمنهج الرباني وإشباع العاطفه فلو نظرنا الي الكون المحيط بنا من بحار ومحيطات ويابسه وانهار ووديان وجبال وسماوات ونجوم وكواكب وشمس وليل ونهار ورياح وأمطار فإنها محكومها بقوانين منضبطه وسير وفق سنن دقيقه كشفت معها العلوم الطبيعيه والاجتماعيه والهندسيه والرياضيات والجولوجيا من اصغر شي الذره الي اكبر شي في علمنا المجرات لوجدنا أن هذا الكون محكوم بسنن ونواميس دقيقه لاتخرج عنها ويسمي هذا بدليل (الحركه)

فمن المسؤول عن حركه الكون هل يتحرك هكذا عشوائيا ثم هل للفوضى والصدفه أن ينتج عنها هذا الانضباط و الدقه في الحركة

فالإسلام لم يقهر أحد علي الإيمان به فلم يقتل أحد لانه لم يؤمن ولكن حطم الأصنام والقيود التي تقيد حريه الإنسان وترك للإنسان حريه الاختيار فأراد بهذا إيقاظ العقول فليست الصدفه هي المسؤولة عن اعجاز هذا النظام الذي يسود الكون ثم إن كل شي في الكون محكوم بالعنايه الالهيه فانظر الي المسافه بين الأرض والشمس فلو نقصت مقدار ابره لادي ذلك لاختلال الكون وكذلك المتأمل في تكوين السحاب ونزول الأمطار وغيرها من الآيات تدل أن كل شي محسوب بدقه ومقدر بعنايه وهذا مايسمي دليل العنايه ولهذا أخبرنا الله أنه انزل القرآن عنياه بالناس ليحصل الانسجام بين حركه الإنسان والكون والحياه للإنسان والكون والحياه محكوم بسنن ونواميس تحكمه وتنظمه لهذا فدور الانبياء ابتداء هو دعوه الناس الي الربط بين عبوديه الناس لله وبين عبوديه الكون لتكون حركتك منسجمة مع حركه الكون كلها تتجه نحو هدف طاعه الله تعالي والخضوع والاستسلام والانقياد لله لتصل إلي الكمال الإنساني فإن هذا لايتحقق الا اذا وصلت إلي إخضاع ارداتك طواعيه لتكون خاضعه لاراده الله ومنهجه استسلاما منك وخضوعا مثل خضوع الكون فأنت والكون مخلوقات لعباده الله وقد جعل الله الكون مجبور يتحرك وفق سنن ونواميس تحكمه وتنظمه ولهذا لاحساب عليه اما الإنسان فقد منحه الله العقل وحريه ا لاختيار ولهذا أرسل الرسل يحملون المنهج الذي يحقق هذا الكمال للإنسان لأن صانع الشئ هو الأقدر علي وضع النظام الأمثل لسيره وعمله وصيائه فالذي خص الإنسان بهذه المكانة في الكون وخلقه باحسن تقويم هو الأقدر علي وضع قانون خلقه السليم وبالتالي فإن الإنسان مسؤولا عن أفعاله واختياره وهذا هو الفرق بين الكون والإنسان ولذلك قال نوح (اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم) وقال هود (أفلا تتقون)

فلا يكون الإنسان شادا عن أصل الوجود في الكون ولهذا كان لابد من إخراج كافه الأصنام من اعماق نفس الإنسان ليتحرر من كافه الضغوط والنزوات ليصل إلي الكمال الإنساني الذي يجعله خاضعا لله وحده لاشريك له

المبحث الثاني

لماذا قال تعالي في سوره هود (أفلا تعقلون) وهنا (أفلا تتقون)

ولماذا قال في قصه نوح (اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم)

ذكر العلماء أن هود قال مره أفلا تعقلون ومره أخرى أفلا تتقون

/١

من هم قوم عاد ؟

هم اول العرب ذكرا وسموا العرب البائده وهم أول امه أهلكت بعد قوم نوح عليه السلام وهم من ذريه القوم الذين نجو مع نوح في السفينه وهو مما لاشك فيه ان أجدادهم كانوا يعبدون الله ثم انصرفوا عن عقيدته التوحيد وسلخوا طريق الضلال الذي سلخواه قوم نوح وكانوا يسكنون منطقه الاحقاف وهي منطقه مشهوره في حضرموت اليمن

أوصاف قوم عاد ؟

كانوا عتاه اقوياء الاجسام أشداء طوال اقرب بالصفه لادم عليه السلام وكانوا أهل حضاره عمرانيه وبناء وهندسه معماريه وزراعيه فكانوا مترفين وعرفوا التمدن والحضارة فقد وصفهم الله في عده مواضع (ارام ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد) وقال عنهم (قالوا من أشد منا قوه) ولم يقر الله قوم علي ادعاءتهم امتلاك القوه في الأرض بحيث لا يوجد من الناس اقوي منهم إلا هولاء القوم فجاء التحدي بقوته سبحانه وتعالى أنه اقوي منهم

٣

والايات وردت في إطار الدعوه الي عباده الله ومعطوفه علي قوله تعالى (لقد أرسلنا نوحا) وجمله العطف سبقها ذكر دليل الحركة .ودليل العناية كما أوضحنا في الدرس السابق

فأراد الحق بهذا الآتي

الأمر الأول

يريد الحق أن يفرس في اذهان المخاطبين ونفوسهم التصورات والمشاعر عن حقيقه ربوبيه الله تعالى علي جميع الخلائق ودوام عنايته ورعايته لها للانتقال من توحيد الربوبيه الي توحيد الألوهية ومن توحيد الألوهية الي توحيد الأسماء والصفات حيث والمتامل لارتباط عرض عمل موكب الانبياء مع ما ورد في المقطع السابق من الادله العقليه الكونيه الشاهده علي وحدانيه الله والوهيته وربوبيته وحده لاشريك له يجد أن الأنبياء في محاورتهم لاقوامهم قاموا بالربط بين دعوه الناس الي عباده الله وبين عبوديه الكون لله تعالى من خلال هذا المنهج العقلي الذي يعتمد علي الاقتناع الناتج عن قوه الحجه والطاعه بالبرهان وهذا يعني الحجه العقليه

ليكون الانتقال من توحيد الربوبيه الذي تري فيه جمال الله وجلاله وكماله وعظمته وإحسانه فيتحقق بذلك توحيد الألوهية والاسماء والصفات ولهذا ورد في سوره هود (أفلا تعقلون) بعد قوله اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تعقلون) وهنا قال نفس الجملة وجاء بكلمه (أفلا تتقون)

وهو ما يعني أنه قال الجملتين مره قال (أفلا تعقلون) ومره قال (أفلا تتقون)

فعندما عرض الاداله الكونيه التي فيها دليل العناية والرعاية والحركة الذي يحاصر العقل ليسلم بالنتيجة وهي عباده الله ولهذا قال أفلا تعقلون والثانيه لما عرض دليل الحدث التاريخي المتعلق بما حدث لقوم نوح من الفرق بالطوفان لانهم اشركوا بالله قال (أفلا تتقون) وهذا فيه بيان اهميه المعرفه والفهم والمحبه

فالمعرفه العقليه والفهم التي هي غايه جهد العقل ليست بمفردها في الغرض النهائي لوجود الانسان فليس الفهم هو المطلوب من المومن لأن هنالك مستويات أخرى ينبغي أن ترتبط بالفهم والمعرفة فالعقل يصلح لاستكشاف الطريق في بدايه الامر لأن من شأنه أن يبحث ويسأل لكن الاراده تحتاج إلي الحب الذي من شأنه أن يبعث علي الطاعه يحتاج الي الخوف الذي من شأنه أن يدفع العبد الي الخضوع والاذعان والاستسلام من شأنه تجعل الا نسان بلا اراده أمام مشيئه الله تعالى فيها ارشاد الإنسان كيف يختار أن يكون مجبوراً مثل الكون أمام اراده الله

تعالى ولهذا جاء قوله تعالى (أفلا تتقون)

اي الاتخافون سخط الله وغضبه فيحل بكم العذاب الذي حل بقوم نوح فالاستفهام للانكار واستبعاد عدم الإيمان منهم وقد عرفوا ما حل بقوم نوح لأن قوم عاد من ذرية قوم نوح الذين مما لاشك فيه أن أجد ادهم كانوا يعبدون الله ثم مع تعاقب الأجيال انحرفوا عن منهج الله وخرجوا عن طاعه الله

فأراد بالتخويف تحفيزهم علي طرح التساؤلات والاستفسارات للخروج من حاله الجمود الذي يعيشه قومه فهذه الاسئله والحوارات ترمي أيضا بناء الشخصية الإسلامية بالنسبه لنا لتكون منفتحه للخروج من حاله الجمود الناتج عن التقليد ولهذا نجد الآيات تأتي بالجواب للحوار (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) بعد مناقشه القوم بـ الدليل الكوني ودليل الحدث ثم يطرح السؤال (أفلا تتقون) يريد أن نبني الشخصية المسلمه علي الفكر والوعي وتشجيع الناس علي التخلص من الموروث العقائفي الناتج عن التقليد دون العلم والبحث والتحميص للدليل ولهذا فالاستفهام يهدف إلي اخراج الأمم من حالته الجمود والركود فهو نوع من التنشيط العقلي والذهني للناس

لتخرج من دائره الخرافه التي تسيطر علي عقول الكثير ون من الناس نتيجه حشو الادمغه بقصص ملفقه تعطي الباطل قدسيه تودي الي إخضاع الناس للباطل وتشويه ثقافه الناس وتنقل صورته مغلوطة للناس بالذات تلك المجتمعات التي تنظر إلي ما يتناقله الأسلاف من روايات وأساطير أنها حقائق دون أن تفكر في صحتها فكل يرد قوله إلا كلام الله وسنه رسوله ومن هنا فاللازم أن لاتجعل الخرافه تسيطر عليك فعليك أن تطرح كل أمر للنقاش وتسعي لجمع المعلومات حوله من مصادره الموثوقه وان تفسر ذلك بالنظر الي موقعه من الدين فهذه القصة نجد فيها أن هود يدفع قومه الي دراسته وتفسير ما حل بقوم نوح فينظروا الي أسباب الكرامه التي كانت وراء نجاه نوح ومن معه ليأخذوا بها وأن ينظروا الي أسباب الذل والهون الذي حل بالمكذبين فيجتنبوا الوقوع فيها فالا سئله من الموكد أنها سوف تنقل صاحبها في تعامله مع الأشياء من دائره المشاعر والظن والتخمين الي دائره الوعي والفهم والمنطق سوف تكشف لك الحقائق فكلما وجدت اجابه لسؤال تجد نفسك تطرح سؤال آخر مرتبط به ولهذا فهو ينقلك إلي مستوي اعلي في طبقات المعرفه وبنفس الوقت فإن تلك المعرفه لاقيمه لها اذا لم تحدث التأثير الحقيقي الذي يجعلك تعلم انك حرا ومسؤول أمام الله تعلم أن حريتك يجب أن تخضع لاراده الله ومنهجه فحريتك موجوده لكنها تتحرك في إطار المشيئه الالهيه عليك أن تختار أن تذوب اردتك في مشيئه الله فتتحرك بالله وتسكن بالله وتحب في الله وتكره في الله بمعنى تكره ما يكره الله وتحب ما يحب الله فيكون الله هو السبب وراء كل ما تفعل

فالإنسان بحاجه الي أن يحاور نفسه وهو يتأمل أحوال الامم السابقه ويدرس تاريخها يقتضي أن تتزامن النظر لأحوال الفريقين مقرونا بمشاعر البغض والحب فأنت عندما تقرأ عن المومنين من قوم نوح أو قوم هود فإنك تنظر لهم ولافاعلمهم والأسباب التي كانت وراء نجاتهم نظره حب واحترام وتقدير فتشهد صورتهم ماثله امامك بمشهد متحرك تدفعك الي اقتفاء آثارهم وكذلك فإنك عندما تقرأ عن كفار قوم نوح ينبغي أن تنظر لهم ولا فعالهم والأسباب التي اهلكتهم نظره بغض وكراهيه واحتقار ونفور منهم ومن افعالهم ولهذا فإنك تشاهد واقعهم ماثلا امامك باقبح صورته ولهذا لابد أن تكون النتيجه المترتبه علي تلك النظره أن تحذر الوقوع في ما وقعوا فيه تخاف أن يحل بك العذاب الذي حل بهم وبالتالي تتبعد عن كل ما من شأنه أن يوقعك فيما وقعوا به

الأمر الثاني

يهدف إلي تقويه عزائم وهمم المومنين للجهر بالدعوه بشجاعه واراده وايضا فيه التهديد للمشركين فهم يعرفون حضاره عاد واثارهم موجوده في منطقه الاحقاف ما بين اليمن والسعوديه وهم من العرب البائده واول امه اهلكت بعد قوم نوح وهم من ذراري نوح والناجون معه في السفينه ومما لاشك فيه أن آباءهم كانوا يعبدون الله وأنهم انحرفوا بعد ذلك واغواهم الشيطان نتيجه تعاقب الأجيال

فاهلكهم الله ودمر حضارتهم

فالحق يذكرهم بقصه قوم عاد المعروفين لدي المخاطبين فهم من العرب وأهل مكه والمناطق المحيطة بها يتفاخرون بحضارتهم

يقول لك الحق عليك أن تعلم أن الخلافه شرف لمن اراد ذلك بأن امتعل أمر الله وأنه إذا خرجت عن طاعه الله فإنك تفقد شرفك مهما كانت قوتك وجبروتك

فعليك أن تعلم أن المجد لا بد له من ثمن بأن تلتزم منهج الله ولا تخرج عن طاعته فإذا كان الله قد انعم علي اهل مكه بنعمه المنزله في قلوب العرب لمنزله الكعبه في نفوس العرب فإن هذه القوه لا ينبغي أن تستخدم للظلم و الطغيان لأن ذلك موجب لزوال القوه فهذا التحذير للمشركين يقول لهم انظروا الي مصرع قوم عاد

الذين اتصفوا بأوصاف القوه وضخامه الاجسام فقد كانوا بطول ادم أشداء واقويا ضخام الاجسام وأهل علم به الهندسة والصناعه والبناء وال عمران وكانوا مترفين وعرفوا التمدن والحضارة فوصفهم الله في أكثر من موضع فقال تعالي (ارام ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد)

والملاحظ أن القرآن ما ذكر أنه اهلك قوم الا ذكر أنه اهلك من هم أشد منهم قوه الا قوم عاد حينما اهلكهم قال (أولم يعلموا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوه)

فمقتضي الايه أنه لم يكن من البشر من هو اقوي من قوم عاد ولهذا ذكر غرورهم بالقوه جعلهم ينسون أن الله هو أشد منهم قوه

ولهذا نجد أنه تعالي يقول (واهلك عاد الاولي) فدل هذا أن قوم عاد نموذج للاقوياء الذين يتحصنون بحصون القوه الارضيه بأنهم سوف يهلكون مهما كانت قوتهم حتي لو بلغت قوه قوم عاد فإن هذه الحصون تنهار أمام قوه الله تعالي وليس كما يزعم البعض أن هنالك عاد ثانيه من العماليق اهلكها الله فهذا لاسند له

فالمراد بهذا الآتي

المفهوم الاول

عليك أن تدرك أن شرف الإنسان العظيم يكمن في أن تكون عبدا لله تعالي فصفه العبوديه لله هي العزه والقوه الحقيقيه للإنسان فالرسول صلي الله عليه وسلم وصفه الله بأنه عبدا لله فقال في سوره الاسراء (سبحان الذي أسري بعبده) فلم يقل رسوله ولانبييه وانما ذكر اعلي الصفات واشرفها العبوديه لله ولهذا فإن المتامل لقصص الا نبياء يجد أنهم اختاروا أن يكونوا مجبورين طواعيه بالاعتزاز بالعبوديه لله وحده لاشريك له فقد فهموا أن الجبر هو الحريه الحقيقيه للإنسان والتي تعني الخروج من كل سلطان غير سلطان الله وهذه هي العبودية الحقيقيه فابراهيم امره الله أن يذبح ابنه فنفذ الأمر فأراد الله بهذا أن يخرج من قلب ابراهيم كل حب غير حب الله تعالي

المفهوم الثاني

تقويه اراده المومنين بالثقه بتحقيق وعد الله لهم بالعز والتمكين وان عليهم أن ينتقلوا الي مرحله الدعوه الجهرية عملا بالاسباب للوصول للتمكين فهذه مرحله تكون مرحله تهيئه المناخ الملائم للوصول إلي العز و التمكين فلا تضعفوا أمام قوه الاعداء فقوتهم اضعف من أن تقف أمام قوه الله سبحانه وتعالى

المفهوم الثالث

أن علي الداعيه أن يستثمر علاقاته وقرابته لصناعه الاصدقاء للقبول بما تدعوهم إليه ولهذا نجد أن النصوص ذكرت قيام هود بدوره في مكافحه الفساد المنتشر في حضاره قوم عاد وعبرت عن ذلك بوشيجه القرابه في النسب فقال تعالي (والي عاد أخاهم هود ا) وهو مومن وهم كفارا ومع ذلك جاء التعبير بالاخ

وهذا فيه اهميه أن يكون الانتقال من مرحله الدعوه السريه الي الجهرية انتقال مترفق بعيدا عن التشنج ف المطلوب منك التركيز علي التقرب من الناس وإقناعهم حتي تفتح الابواب المغلقه وتكسر الحواجز الفاصله بينك وبينهم لتكسب ثقتهم ومحبتهم وحتى تستغل هذه العلاقه في خدمه الدين وضم أفرادا جدد يحملون هم الدعوه فأنت اليوم مطلوب منك أن تستفيد من هذه النماذج لتعرف أن دور الداعيه يقتضي أن تنشئ روابط قويه مع الآ خرين تستغل كل علاقه لخدمه الدين علاقه القرابه والصدقه سواء الصداقه الحاضره أو صداقه الطفوله أو الجامعه او العمل أو المصاهره أو حتي صداقه الانترنت عليك أن تجعل تلك العلاقات وسيله لاستقطاب الجماهير للدعوه

ولهذا جاء التعبير بالاخ لبيان أن الانبياء كانوا يتعاملون مع اقوامهم في منتهي الرحمه والمحبه مثل اخ حميم و لياالون جهدا لارشادهم وهدايتهم ودعوتهم الي الخير فهذه الكلمه تستعمل من قبل من يعطف علي أحد وإظهار ا لاهتمام به حرصا علي كسب محبتهم وهي تعني اظهار التساوي بينك وبين المخاطبين اي أن عليك أن توسع دائرة صداقتك والتواصل مع كل معارفك تدعوهم الي الخير بدون أن تتعالي عليهم كي تستفيد من قدرت وإمكانيات كل واحد في حمل الدعوه وهذا يحتاج الي التواضع من الداعيه ونفي اي رغبه في التفوق والزعامه ولهذا جاء التعبير بالاخ فنجاح مشروع الدعوه يحتاج الي تخليص النفس من اي دوافع شخصيه في صعيد هدايه الناس وانما تقصد إنقاذهم من الهلاك والافات ولهذا فإن القيام بذلك يحتاج الي أن يكون الداعيه من أوساط المجتمع المستهدف بالدعوه لأن افات وأمراض المجتمعات تختلف من مكان لآخر والامر يحتاج الي تشخيص للأ مراض ليسهل معرفه العلاج ولهذا نجد أنه تعالي يقول والي عاد أخاهم هود ا..والي ثمود أخاهم صالح فالمتطور يتطلب معرفه الواقع وان يكون المحرك من داخله فهو الأقدر علي احداث حركه التطور المناسبه فقد شاهدنا كيف أن نقل الشعارات الغير مدروسة من اوربا الشرقية والغربية الي المجتمع المسلم ادي الي طمس معالم التطور وتحول الأمر إلي صراعات وازداد التخلف بقدر الابتعاد عن الواقع ومن هنا تظهر الحاجه الي القدوه الصالحه التي تتراجم المنهج الرباني في واقع الحياه الملموس فتحوله من نظريات الي واقع عملي

المفهوم الرابع

أن القرآن الكريم لاينكر علي قوم عاد الموهلات التي وصفوا بها من القوه والشده وتشيد المصانع إنما أنكر عليهم لوزامها لم ينكر عليهم القوه والعظمه وانما أنكر عليهم أنهم جعلوها اداه للبطش والظلم والبغي ولهذا ذكر في موضع آخر (ويزدكم قوه الي قوتكم) بأنهم اذا طاعوا الله وشكره فسوف يزيدهم قوه وتمكين وهنا قال تعالي

(واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطه فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون)

والآيات تتحدث عن قوم عاد الذين تعود جذورهم الي العرب البائدة فهم اول من تكلم العربية وقد سكنوا منطقتهم الاحقاف باليمن حضرموت كما أخبرنا الله في سورة الاحقاف وكذلك فإن بقية القصص في هذا المقطع هي لحضارات كان مسرح أحداثها في امه العرب

وهذا فيه كشف جزء من سر اختيار امه العرب لتكون حامله الرسالة الاخيره فهم وان كانوا متوحشون همجيون لا أنهم مهياون للقيام بإصلاح العالم كله بعكس بني اسرائيل فقد كان دورهم محصورا حول إنقاذ أنفسهم من الاستعباد فقال تعالي

(أن أرسل معي بني إسرائيل)

ولهذا فإن ذكر حضاره قوم عاد تهدف إلي أمرين الأول تذكير امه العرب بتاريخها لتنهض بالمهمه وتحذر أن تغتر اذا صار لها العز والتمكين وليس في الآيات إنكار امتلاك القوه فهذا أمر غير منطقي يقول ابن باديس (محال أن ينكر القرآن علي الناس القوه وهو الداعي إليها... فالقران شرع يحجب الدعوه الي القوه لكن يجب استغلال هذه القوه للحق والخير والعدل وليس للشر... فقال تعالي في موضع آخر (وتبنون بكل ريع ايه تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين)

وفي هذه الايه تكشف لنا العمران الذي وصلت له امه العرب تدل علي بناء حضاره قويه فقال تعالي (ايه) علامه علي البناء الشامخ الدال علي قوتهم وعلامه عظمه البناء ولم ينكر عليهم عظمه البناء وانما أنكر عليهم الغايه المقصوده من البناء وهو العبث لأن كل بناء شامخ لا يكون له من غايه محموده شريفه إنما هو عبث وهو باطل

ولهذا كانت دعوه هود لهم لعباده الله بتصحيح أوضاع حضارتهم بحيث تكون متوجهه لخدمه قضيه الخلافه بأن تخضع لمنهج الله

وفي هذا اشاره الي أن العباده لله لاتعني الصلاه والصيام والزكاة والحج كما يتصور البعض فالتوحيد ليس عقيدته تعمل عملها في نفس الإنسان فقط ولاتتعدي النفس للمجتمع فالتوحيد الذي حملة جميع الرسل لم ينزل ليملأ القلوب والعقول فقط وانما نزل ليعمل أثره في الحياه وينظم المجتمع فالعقيدته دين ودوله وعباده وعمل روح وسياسه ايمان واقتصاد يتدخل في علاقات الرجل وزوجته وخادمه وأمه وأبيه يتدخل في الاقتصاد والماليه و الميراث فيضع دستوراً لهذا كله فالتعاون الإنساني المتبادل بين الفرد والمجتمع في عقيدته التوحيد هو السر في أن الإسلام لايمكن فصله عن الاقتصاد أو السياسه فهو المسؤول عن تنظيم العلاقات الإنسانية بين الفرد و المجتمع والدوليه في جميع نواحي الحياه

ولهذا نجد أن القرآن يصور انحراف قوم عاد في بناء حضارتهم عن قيم الدين جعلهم خارجين عن طاعه الله وأنهم عابدون للمال والقوه والجاه وليسوا عابدين لله فالحق لم ينكر عليهم بناء القصور والمصانع والسدود لذاتها ولكن أنكر عليهم غاياتها وثمرتها بأنها لم تكون اداه لتحقيق العدل والمساواة وحمايه الحقوق لأن طغيان الماده جعلهم يهضمون حقوق الضعفاء من عمال وغيرهم

فقوله تعالي (أفلا تتقون) تهدف إلي تهذيب النفوس من طغيان الماده فالاصل أن يودي العلم الي الخشيه وقد وصفهم الله بأنهم كانوا (مستبصرين) لم يكن اهلا قوم عاد لعباده الأصنام فليس الأمر كذلك ولكن للافراط بـ

القوه والجبروات للتفريط بالعدل والمساواة ولهذا قال تعالى في موضع آخر (واذا بطشتم بطشتم جبارين)

فالبطش بحد ذاته ليس ما ينكره المولي سبحانه وتعالى لأن البطش مأمور به لأنه لا بد لكل امه تسود او تقوي من بطش لكن البطش فيه ماهو حق وفيه ماهو باطل فالبطش الحق أن تلتزم قواعد العدل والانصاف أما الجبارين فهم الذين يرغبون الناس ويجبرونهم علي أن يعملوا باراداتهم هم لا باراده العاملين اي تعمل بغير رايك فبطش الجبارين يكون انتقاما ارضاء لكبرياه وجبروته

وهو ما يفهم منه لماذا قال هود (أفلا تتقون)

فقد جاء بشريعه يعلم فيها الناس كيف يكون بناء الحضاره وفقا لشرع الله ويقال إنه ذهب يقيم قواعد العمران علي معني شرع الله بحيث تكون حضارتهم موافقه لمنهج الله تعالى ومبادئه من القيم والمثل العليا أراد أن يجعل لحضارتهم الماديه ارتباط بالقيم الروحانيه ولهذا غضبوا منه اشد الغضب لانه تعرض لأمور تمس شئون الدوله وادرتها فقالوا (انا لنراك في سفاهه وانا لنظنك من الكاذبين)

وهذه هي ثقافه أصحاب اي حضاره ماديه حيث نجد أنه بقدر تقدم الناس من الناحية الماديه يكون هنالك انحطاط بالقدر نفسه في القيم الروحانيه هذا واقع نراه اليوم في حياتنا المعاصرة

حيث تتلاشي القيم والمبادئ تدريجيا حتي تصل اوراق الناس لمرحله لم تعد تحتل ان تمسها الحقائق المقدسه ولهذا ثقل علي قوم عاد أن يدعوهم هود الي تصحيح مسار الحضارة التي بنوها بربط ذلك بالتوحيد ومواقفه منهج الله فنظروا الي دعوته واستنكره أنه تناول منه وقله احترام لمكانتهم ومنزلتهم وسوء تقدير للمقام ولهذا اتهموه بالسفاهه والحماقه والكذب لأن التقدم المادي في غياب القيم والمبادئ والمثل العليا والحقائق الروحانيه يشكل قوه جذب تجر الناس الي الماديات حينها يطرأ انقلاب علي المواهب فتجد من يمدح اشياء قبيحه ويزعم انها جميله عندها فإن التقدم المادي يدمر كيان الإنسان فينظر للحقائق الروحانيه نظره استهزاء وسخرية عندها تسود ثقافه الماده في حياه الناس حينها يعد الصادق الحقيقي والأمين بنظرهم حمقاء واغبياء لايعرفون ما ينفعهم وفعلا فإن هذا الواقع ملحوظ فنحن نشاهد كيف أن الناس أصبحوا يطلقون علي الامين احمق وينظرون للسارق والمحتال أنه ذكي يدبر حاله فهذا الانحطاط ينتج عن التقدم المادي للحضاره اذا لم يكون التقدم بالتزامن مع مراعاة الحفاظ على المبادئ والقيم فإن قول الاكابر من قوم عاد لهود أنهم يرونه في سفاهه والتي تعني الحماقه وخفه العقل التي تودي الي الخطاء في الرأي

فالسفاهه في نظرهم هي أن يقف هود ضد تقاليدهم واعرافهم وان كانت تحتوي علي الاباطيل فالعقل في نظرهم أن تقف مع الموروث العقافي وان كان فاسد

وكان ما سمعوا من هود أمر غير متوقع أن يصدر من شخص ولهذا نجد أنهم أكدوا التهمه التي توجهوا بها لهود بخفه العقل بقولهم (وانا لنظنك من الكاذبين)

فهو بنظرهم كاذب من جمله الكاذبين واستعملوا الكلمه لمعني التأكيد بمعني أنهم متقنين من ذلك إذا كان معني الظن هنا اليقين كما في قوله تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) أما إذا كان معني الظن من باب الترجيح فهذا يعني أنه ما ترجح عندهم أنه كاذب في ادعاء النبوه والكلام صادر من الملاء الذين كفروا من قومه كما ورد في الايه فدل لفظ التبعض من قومه علي ان هنالك من امن بما يدعوهم إليه هود

ثانيا

يأتي جواب هود علي اتهام الملاء من الذين كفروا من قومه بقوله تعالي

(قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين اببلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم علي رجل منكم لينذركم

الجواب فيه الآتي

الأمر الأول

أن علي الداعيه اذا اراد نجاح دعوته أن يقوم بتنميه الحوار الإيجابي من خلال تهنيه المناخ المناسب لذلك نجد أن رد هود فيه التحلي بالوقار والابتعاد عن التشنج والانفعال فقال تعالي (قال يا قوم) انه يتودد لهم يظهر الا هتمام بمن حوله يريد أن يكسب حبهم وبالتالي فعلي الداعيه أن لاينسي أن مهمته توسيع دائرة صداقته فهود توجه بالخطاب للجميع رغم أن الايه قبلها تشير الي أن هنالك من استجاب من الاكابر لدعوه هودبعكس قوم نوح كما يتضح من لفظ التبويض في قوله تعالي (قال الملاء الذين كفروا من قومه) لكن هود لم يحصر دعوته في مجموعته واحده فتوجه بالخطاب لجميع قومه وهذا يعني أن علي الداعيه أن يعيد التواصل مع كل الاصدقاء وكسب ثقتهم بأسلوب هادي وان تعتمد علي اسلوب الحوار والتفاهم والابتعاد عن الجدل والمناقشات التي تشكل ازمه مانعه من التواصل مع الآخرين وهذا يتطلب فهم الواقع وعدم تجاوز حدود الإمكانيات والحذر من إهمال الحقائق المؤثره في تحريك سرعه التطور فإن عليك أن تكون أحكامك للواقع صحيحه ومنطقيه بحيث تكون مفاهيمك متحركه بقدر تحرك تجارب الواقع الذي تريد تطويره ولهذا ينبغي أن تستفيد من الإمكانيات المتاحة

ولهذا نجد أنه ابتداء بنفي عن نفسه تهمة حماقه والسفاهه فأخبرهم أنه لم يسئ التقدير للمواقف (ليس بي سفاهة) ثم يأتي الاستدراك (ولكني رسول من رب العالمين)فما دفعه لما دعاهم إليه هو أنه مأمور من الله أن يبلغهم أوامر الله ونواهيه وليحذرهم عواقب التكذيب فالباعث هو خوفه واشفاقه عليهم فمصدر علمه هو الوحي الإلهي

الأمر الثاني

عليك ايه الداعيه أن تشعر أنك صاحب قضيه وانك مكلف من الله بالدفاع عن الحق و تبليغ الدعوه وإستنقاذ الناس من الافساد وسفك الدماء اي أن هذا واجب علي عاتقك وهي من أعظم المهام واشرفها ولهذا فاللازم عليك أن تحسن انتقاء الالفاظ والكلمات القادره علي اثاره الاحساس للقبول بما تدعوهم إليه ينبغي أن تكون عباراتك جذابه لاستجابته المخاطبين وقادره علي الوصول الي أعماق نفوسهم ولهذا نجد أن هود يقول لقومه (انا لكم ناصح امين) في رده علي اتهامهم له بأن حماقه متمكنه منه لاتنكف عنه بأنه ليس به حماقه فهو يتحري الذي يصلح لهم بصدق وأمانة وانه ماقال لهم ذلك إلا من موده الناصح ومن صدق الامين

الأمر الثالث

اهميه تربيته النش علي الامانه والصدق والشجاعه في قول الحق لان من أهم

القائد الامانه والصدق فجميع الرسل اتصفوا بالامانه والصدق وهذا هو واجب البلاغ ولذلك يقال عن الانبياء أنهم يحملون الامانه ويبلغون الرسائل اي حملوها وبلغوها للناس بامانه دون زياده حرف واحد ولانقصان

ولهذا عندما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم المشركين الدعوه لم يدعوهم لها مباشره بل ابتداء بقوله اريتم لو اخبرتكم أن جيشا وراء هذا الودي يريد أن يغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما علمنا عنك كذب قط

قال فإني رسول الله اليكم فالصدق هو الأساس والمدخل لقبول الناس ما تدعوهم إليه ولهذا فإن الصدق والأمانة من صفات القوه فالله سبحانه وتعالى يقول علي لسان ابنه شعيب عن موسى (يا ابت استاجرته أن خير من استأجرت القوي الأمين) ووصف الله المومنون بقوله (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون)

فالحياه لاتستقيم بدون الامانه لأن الناس بحاجه الي العقه فيما بينهم لاستمرار التعاملات ونجاح الاجتماع بينهم يقوم علي هذه الصفه فانعدام الثقه بين الناس يودي الي هدم قواعد الاجتماع ولهذا لابد من غرس الاحساس بحمل الامانه وبالذات امانه حمل التكاليف والحقوق المنصوص عليها في قوله تعالي (انا عرضنا الامانه علي السموات والأرض....الخ

وبالتالي فإن حمل الامانه تحتاج إلي انسان قوي يقوم بمصرعاتها وحفظها بحسن الأداء لها وحسن التلقي بالطاعه و الانقياد والتعظيم لأمر الله والشعور بواجبها علي الدوام فالأمين هو العقه الموثمن

المبحث الثاني

تستمر النصوص في بيان القاعده التي تقوم عليها الدعوه بأنها تقوم على الإقناع ولهذا يقول لهم لماذا تتعجبوا من نزول الوحي علي شخص من بينكم فلا وجه للعجب بل إن ذلك هو الوسيله لمعرفة مراد الله ومطلوبه ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بإرسال رسول تعرفونه ليكون قادر علي التخاطب معكم فهو يحاول إقناعهم بشخصه وبفكرته من خلال المنطق والحوار لان مهمه الرسول البلاغ والبيان وموضوع الرسالة هو الإنسان وقد جعل الحق الايمان والتدين ثمره الاقتناع ودليلا علي حريه اختياره واحترام أurdته وتحقيق كرامته ومخاطبه عقله ووعيه ليأتي الايمان اختيارا وليس اكرها وعتنا ومصادره لاراده الإنسان ولهذا نجد أن التركيز في مخاطبة الإنسان يتوجه الي عقله ووعيه لأجل تحريك عقله وآثاره تفكيره ونظيره سبيلا لإيمانه لأجل تنميه ملكاتهم ولهذا يقول (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطه فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون)

يقول لهم اذكروا وقت استخلافكم فهذا الاصطفاء لكم بعد اهلاك قوم نوح فالانتساب للصالحين يوجب عليكم اتباع طريقهم والسير علي ماساروا عليه

يذكرهم بما حل بالمكذبين من قوم نوح من الهلاك

الأمر الأول

فأراد بهذا اعاده تشكيل رؤيتهم للكون والحياه من خلال قراءه قانون الاستخلاف المطبق علي الأمم في الأرض بأن الذي يخرج عن طاعه الله ويجحد الانبياء وايات الله يكون مصيره الهلاك ولهذا يذكرهم بما حل بالمكذبين من قوم نوح من الهلاك لانهم خرجوا عن طاعه الله

الأمر الثاني

أراد احياء الشرف في نفوسهم وما يعتزون به من الانتساب لمن انجاهم الله من مع نوح في السفينه ولهذا اذكروا أن الله اصطفاءكم من ذريه القوم الصالحين الذين انجاهم الله فالانتساب للصالحين يوجب عليكم اتباع طريقهم والسير على ما ساروا عليه فالخلافه شرف مرهون بطاعه الله فهذا الشرف لن يتأتى مالم تكن الامه في مستوي إيمانها فيما ومبادئ وفي مستوي تجربتها الحضاريه التاريخيه ارتكازا واعتزازا واعتبارا وفي مستوي عصرها بحيث تكون قادره علي تجسيد مبادئ وقيم الايمان التي كانت وراء نجاه أسلافهم

ليشعرهم أن الشرف الذي حظي به أسلافهم يعود إلي طاعه الله لأجل تعمير الارض وفقا لمنهج الله فهذا الشرف المضاف له نعمه قوه وضخامه الاجسام التي انعم الله بها عليكم وهو شرف لم يعطي لأحد غيركم فقال تعالى (وزدكم في الخلق بسطه)

فأراد بهذا أن يشعروا بالمسؤولية وان ينهضوا بالواجب المترتب علي اصطفاء الله لهم من بعد قوم نوح وتمكينهم في الأرض والانعام عليهم بتلك النعم يقول لهم وهو ما يجب أن تدركه انت ايه المسلم وانت تقرا النصوص فأنت المخاطب بالقصه فقد اصطفاك الله بأمر الخلافه في اخر الزمان وهذا المجد من النعم التي يترتب عليها مسؤوليه ملقاه علي عاتقكم يا امه الشهاده فلا بد أن تسترد الامه دورها ومكانتها وفاعليتها وقوتها الا يجابيه وتأثيرها فهذا المجد عليه التزامات وليس للتباهي والتغني بما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم و الصحابه عليك أن تدرك أنه لا بد المجد من ثمن لا بد أن تقوموا به فاي امه لاتودي ثمن المجد لاتحافظ عليه ثم هي امه لايعتمد عليها في النهوض بنفسها أو بغيرها

فأراد باحياء الشرف في نفوسهم. ان يتعاملوا علي ذلك الأساس بالعدل والرحمه والتوحيد فنعم الله توجب طاعه الله وشكره وتوحيده فالذكر يعني احياء الشرف في نفوسهم فشرف الإنسان الخلافه وهذا الشرف مرهون بطاعه الله ولهذا فإن أعداء البشريه في كل زمان يعمدون الي قتل هذا الشرف في النفوس ليستبدلوه بالعصبيه والتمرد والعصيان فإذا صار الانتساب للصالحين شكل من أشكال التباهي بهم وبصلاحهم وتقديس اشخاصهم واعتبار الا نتساب لهم سببا لدخول الجنه او اعتبارهم شفعاء فإن هذا يعني قتل الشرف في النفوس ولهذا فإنك تكون عرضه للهلاك

وانما احياء الشرف بالاقتداء بهم في طاعه الله والنهوض بأمر الله وشكر الله علي انعامه فعليكم أن تنظروا لقوه من خرج عن طاعه فإنه يفقد شرفه فالقانون المطبق في الخلافه أن من خالف منهج الله فإن سنه الله التي لا تتغير تكون باهلاكه ولهذا ربط الامر بأحياء الشرف الحقيقي في النفوس بالتذكير بالاء الله

لان التذكير لاء الله هي طريق العلاج لماذا ؟

لأن الذي يعتز بالقوه والجاه والسلطان والمال ... وينظر لها انها قوه يتحصن بها ويجعلها القوه التي تحميه اذا أفاق من غفلته وحصل اليقظه للفطره فلا بد أنه سوف يعرف أن ذلك كله من عطاء الله ... وبالتالي كيف له أن يستغني عن الله وهو الرزاق الذي بيده كل شي فامراض الناس يعود إلي الجهل والغفله والغني فالإنسان بحاجه الي العدل والعلم لازاله الجهل والظلم للقيام بالخلافة وأداء امانتها لقوله تعالى (وحملها الإنسان أنه كان ظلوما جهولا)

والفطره كما قلنا تعرف ربها فإذا خرجت من غفلتها فلا بد أن ذلك يعيظها العلم الفطري وبالتالي فإن من عرف نفسه بضعفه وافتقاره لربه ومعرفته ربه بعظمته وقوته وشدته وإحسانه وكماله وجلاله لا بد أن يجتمع في قلبه

الشعور بالتعظيم والمحبة والخوف من ربه والرجاء فعندما ينظر لمخلوقات الله لا بد أن يعظم قدره وابداع الخالق ولا بد أنه عند رؤيه عطاء الله وإحسانه وانعامه يورث المحبه لله وعند قراءه دليل الحدث لا بد أنه يخاف من ربه لانه يري أن الفاعليه والتأثير علي كل شي إنما هو لله تعالي ولهذا فهو ينظر إلي عطاء الله أنه امتحان وان الفشل في هذا الامتحان يكون بجحود النعم وان الناجح هو الذي يشكر الله فإنه يخاف من الفشل في الامتحان فيبادر الي شكر الله خوفا من عقابه ورجاء الفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة

ثالثا

أن مما يجب أن تفهمه هذه الآيات إن طريق العلاج للخروج مما نحن فيه اليوم لاسترداد الامه المسلمه دورها يكمن في الشعور بالمسؤولية والتحمدي وان تستعيد الامه قدرتها علي التذكر والتذكير بالقران ومعاوده العطاء من معين النبوه لإنقاذ الانسانيه وامتلاك القدره علي المساهمه في الخلاص ومعالجه ازمه الحضاره المعاصره وإدراك الدور القيادي الذي يمكن أن تضطلع به علي مستوي الذات والآخر ولهذا يقول هود لقومه (واذكروا الاء الله لعلكم تفلحون)

فقد جاء يضع لهم قواعد العمران يرشدهم الي طريقه التعامل مع القيم التي تركها أسلافهم ليكون الارتقاء من خلال واقعهما جاء يحدد لهم المداخل الصحيحه والمواقع المناسبه والاليات والأدوات الملائمه لكيفيه التعامل مع القيم والمبادئ التي جسدتها تجربته هلاك الكفار من قوم نوح ونجاه المومنين الذين هم جذور قوم عاد فاللازم مراجعه الطريق الذي ساروا عليه من بعد أجدادهم الصالحين الذين انجاهم الله مع نوح في السفينه لمعرفة الخلل وتصويبه يقول لهم بدل استغراق الحديث عن عظمه اجدادكم وأنهم الفئه التي نجت من الهلاك ابحثوا عن أسباب نجاتهم وهذا ما نحتاجه اليوم نحن المسلمون وكل جماعات العمل الإسلامي هو العوده الي ينابيع الاسلام ودراسه تاريخيه والاستفادة من تجاربه بإصلاح أحوالنا فأنت اليوم اذا وقفت علي حال الامه تجد فيها من الأحوال ما يجعلك تصاب بالاحزان وانت تشاهد مصيبتنا وكيف اننا اصبحنا في ابتعاد عن دين الله وتري الكثيرون يتغنون بامجاد الإسلام وحضارته وهم بعيدون عن عنه كل البعد وتجد كلا يدعي أنه علي الحق ويتعصب لأفكاره ويرفض قبول النصائح وهم يدعون أنهم عاملون في الحقل الاسلامي فما بالك بالحكام ومن هنا ندرك أن استعاده الامه لدورها الريادي مرهون بقدرتها علي التذكر والتذكير بالقران ومعاوده العطاء واسترداد الفاعليه مرهون باستصحاب معرفه الوحي واستصحابه كدليل عمل وبوصله هدايه لكيفيه التعامل مع الحياه وأحداثها وتحولاتها وان الامه الغير قادره علي التذكر والتذكير والعاجزه عن التعامل مع المثل والقيم والمبادئ التي تستمد منها حضارتها فإنها تنتهي الي الهلاك والزوال ولهذا تنقل لنا الآيات رده فعل قوم عاد علي دعوه هود لهم باقامه بإعادة النظر في قواعد العمران التي أقاموا عليه حضارتهم وتصحيح تصوراتهم عن الانتماء والارتباط باجدادهم الصالحين الذين انجاهم الله مع نوح بأن يكون انتماء للفكره والقيم وليس للذوات وتحذيره لهم من أن يحل بهم العذاب كما حل بقوم نوح المكذبين يأتي الجواب يرسم رده فعل قوم عاد علي نصائح هود لهم فقال

لقد قدم لهم النصائح فماذا كان رده فعلهم تفصح لنا الآيات عن رده فعل المتكبرين في كل زمان عندما تنحرف الفطره وتطمس معالمها وتتشوه فانه يتضايق من تذكير الانبياء لهم و يجعله يحس بالم لان التذكير يمس كبرياءه وغروره فالآيات تنقل لنا مشهد يرسم حالهم بأنهم يستنقلون النصيح والإرشاد وينفرون من سماع النصائح فقال تعالي (قالوا اجئتنا لعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا أن كنت من الصادقين)

ترسم لنا الآتي

أنهم لا يستجيبون للنداء وترسم لنا صورته تجسد حالهم بأنهم يستثقلون النصح والإرشاد وينفرون من سماع الفضيله فهناك قوه نفره من الفضيله التي يدعوهم إليها فهم لا يطيقون الاستماع إليه ولا يصبرون علي النظر فيه وهذا يدل علي خلل في قوي الحب والغضب وانحراف في قوي العقل وان الفطره قد طمست معالمها وتشوهت لان الإنسان مفطور علي حب الفضيله وكره الرذيله ولهذا فاللازم عليك اذا وجدت في نفسك نفور من الفضيله أن تبحث عن مقتضي ذلك وتتلاحق نفسك بالتزكيه قبل أن تفسد فطرتك وكذلك في حال وجدت لديك ميل الي الرذيله فعليك أن تبحث عن مقتضي ذلك وتندراكه

أما إذا تركتها فإن الفطره سوف تفسد والعقل سوف يخمل وعندها لن تكون قادرا لاعلي التذكر ولا التفكير وسوف تحس بالضيق من سماع نداء الفطره نتيجة التشوهات التي لحقت بالفطره

ترسم النصوص مشهد يجسد خطوره العاده عندما تتمكن من الإنسان وعندما تسيطر علي كيانه فإنه يصير عبدا لها فقد استعجلوا العذاب وقطعوا الحوار بذلك

فهؤلاء لا يقبلون إجراء المراجعه والتقييم للحضاره التي شيدها يرفضون القواعد الربانيه الصحيحه التي فيها القيم والمبادئ الحقيقيه لنهضه الامه والعوده الي ماكان عليه نوح عليه السلام ومن معه في السفينه ويفضلون التصنيع الخرافي الذي صنعوه هم واسلافهم ونسبوه الي نوح ومن معه زورا وبهتان

زاعمين أن ذلك فيه السعاده فقد استعبادهم المألوف وافقدهم خصائص الانسانيه فهم عاجزون عن التفكير والتأمل والنظر في ما يدعوهم إليه هود

ولهذا فإن اللازم تربيه النش علي مقاومه قوه العاده والمألوف حتي لا يكون اسير وسجين العاده فالإسلام قد سعي جاهدا لتحرير الإنسان ولذلك أمر بالهجره من الديار والأوطان عندما تحاصر الدعوه وتقيد الحريات وذلك للقضاء علي سلطان العاده والمألوف لتحرير الإنسان من قوه استعباد المألوف ولأجل المحافظه علي خصائص الإنسان من أن تمس

تفصح الآيات عن تمسك قوم عاد بالعادات والتقاليد المورثه وترفض استبدالها بقواعد العمران التي أراد هود إقامتها وهذه القواعد التي تمسكوا بها زعموا أنها دين الله الذي سلكه الناجون مع نوح في السفينه الذين بنظرهم وسيله التقرب لله

وهذا هو حال كل من جعل الذات هي الفكره عندما يصبح الانتماء للذات بدل الفكره فعندما يصبح المعيار والعصمه للذات بدل الفكره فإن الناس لا يقبلون النقد

وهؤلاء أقاموا عقيدتهم علي الاعتزاز بالانتساب بالصالحين من قوم نوح عليه السلام وبديل عبادته الله قاموا بتمجيد الأشخاص الأجداد والقوه والمال والجاه فهذا لابد أن حاله أنه لا يتدبر ولا يفكر لانه اتخذ من ذلك سندا ووليا يتحصن خلفه ولهذا فقد كانوا يعبدون المال والقوه والجاه جعلوها اصناما والله تعبد مع الله وعندما

دعاهم هود الي التوحيد واقامه العمران علي منهج الله فقد إدراكوا أن معني ذلك العدل والمساواة لأن كلمه لا اله الا الله تعني اعلان المساواه بين الناس جميعا وهم كانوا جبارين في بطشهم وكانوا عابئين كما وصفهم الله و النصوص توحي أن مفاسدهم كانت لها فلسفه وقوانين مورثه تعارفوا عليها يزعمون أنها وصايا أجدادهم الصالحين الذين انجاهم الله مع نوح ولهذا نظروا الي غيرهم من الناس أنهم خرجوا عن وصايا الأجداد ولهذا كانوا يتعاملون معهم بالبغي والطغيان فقد انزلوا العرف منزله العقيده التي تنبع منها أفعالهم وتصرفاتهم فهو المعيار والميزان الذي يزنون به تصرفاتهم واحكامهم علي الخير والشر علي الهدى والضلال ولهذا قالوا (ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتينا بما تعدنا أن كنت من الصادقين)

فاستبعدوا تحذير هود لهم وقد تعلقوا بقوتهم وبان أسلافهم يقومون بحمايتهم ما التزموا الاعراف المورثه عنهم وبالتالي فهم في امان وفقا لتصوراتهم ولهذا فقد طلبوا استعجال العذاب استبعادا وتكذيب وعتوا وتمردا

رابعا

بعد ذكر إصرار وعناد قوم عاد وتكبرهم ورفضهم القبول بالحق وقطعهم الحوار بطلب استعجال العذاب يأتي جواب هود عليهم فقال تعالي

(قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتوها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين

وبالوقوف علي الايه نجد الاتي

الامر الأول

يلاحظ أن حوار هود معهم مختلف عن ما سبق فهو لم يتوود إليهم كما كان حاله في السابق بقوله (ياقوم) وانما ورد الجواب بدون هذه العبارة وهذا يعود إلي اهميه المفاصله بين اهل الحق وأهل الباطل عند الوصول إلي مفترق طرق ولهذا نجد أنه عند ذكر النجاه يقول الحق (فانجيناه والذين معه) ولم يقل المومنين لأن الايمان يفهم من الاصطفا في المكان الذي تقف فيه عند المفاصله بين الحق والباطل فهذه الموقف تحتاج إلي شجاعه وارده قويه إذ لامعني لايمان لايدفعك في هذه اللحظات الفارقه من حياتك أن تقف مع اهل الحق فإن استمرارك بـ الوقوف بصف الباطل يعني أنك غير مومن حقيقه فأنت لاتثق بالله ووعده وبالتالي فإن عدم وقوفك بصف الحق وبقاءك في صف الباطل يعني أنك لم تومن وانت من جمله المكذبين ولذلك نجد أنه تعالي يقول (فقطعنا دابر الذين كذبوا بايتنا وما كانوا مومنين) نفي عنهم الايمان ولهذا فاللازم عليك في مواقف المفاصله بين الحق والباطل أن تحسم موقفك بصف من تريد أن تقف هل مع اهل الحق وأن كانوا قله وضعفاء ام مع أهل الباطل لأن المكان الذين تختار أن تقف فيه يحدد موقعك في المعركه والعاقبه التي تفرزها نتيجة الصراع بين الحق والباطل فلا مجال للمداهنه في هذه المرحله فأما أن تقف مع اهل الحق فتكون معهم في المصير والفوز والنجاح وأما أن تقف مع أهل الباطل فتكون معهم في المصير فلا يوجد حل وسط في هذه المواقف فلا تردد فالايدي المرتعشة لا تصنع النهضه وغير قادره علي اصلاح نفسها ولا غيرها

الامر الثاني

يلاحظ أن الجواب ابتداء بقوله تعالي علي لسان هود لقومه (قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب) جاء فيه الا

أخبار عن عذاب الله الذي وجب عليهم علي مقالته تلك عبارات قادره أن تهز المشاعر حيث جاء التعبير عن تحقيق العقاب بحرف التحقيق (قد) مع الفعل الماضي (وقع) فكان استعمال الفعل الماضي للأخبار عن عقاب متوقع لأجل الآتي

/١

لتعلم أنت إيه المخاطب أن لكل شيء سنن ونواميس تحكمه وتنظمه بمثابه معادله رياضيه مقدمات تودي الي نتيجته فلا يمكن القفز من فوق هذه السنن في تفسير الأحداث في مجال الخير والشر ولهذا فعليك أن تحذر الأ سباب والمسببات التي تكون سببا في الهلاك والدمار

فهو قال هذا لقومه بعد أن لجوا في طفيانهم وطلبوا استعجال العذاب استبعادا وتكذيب وعتوا وتمردا منهم أخبرهم أنه لا بد من وقوع العذاب فقد انعقدت أسبابه وحان وقت الهلاك

فعليك أن تحذر ما نزل بهم فاحذر أن تكون أمثالهم اجتنب كل أمر تسبب في هلاكهم عليك أن تدرس الأسباب التي اوصلتهم الي الهلاك لتحذر الوقوع فيها فهي مقدمات تودي الي النتيجة فيجب أن تنظر إلي النتيجة من خلا المقدمات لتكون الصورة في ذهنك وانت تري الأسباب الموديه للنتيجة أنها سوف تحقق لامحاله وليس مجرد توقع ولهذا نجد أن ألفاظ النصوص ونغماته جاءت متناسقه مع الغرض ومنسجمه معه ومع الصورة التي ترسمها ا لآيات في جعل ما هو متوقع كالواقع فنجد الإدغام هنا ابتداء بادغام المتماثلين (عليكم من) الميم الساكنه مع الميم ثم إدغام النون الساكنه مع الراء (من ريكم) ثم إدغام التنوين مع الواو في (رجس و غضب)

يقول الاشقر (اي قد استحققتهم عذاب الله وغضبه فهو واقع بكم لامحاله فجعل ما هو متوقع كالواقع فكانما الرجس والغضب قد حصل عليهم فأصبحوا داخلين في سخط الله وعذابه وان هذا الغضب قد وقع لهم واحاطتهم من كل جانب فهم غير منفكين عنه فناسب هذا الادخال الادغام الذي هو ادخال شيء في شيء

/2

الايه فيها وصف لحالهم يقول لهم أن اصراركم علي الكفر وعدم قبول النصائح يجعلكم غير صالحين للخلافه التي هي شرف الإنسان فهذه المهمه هي التي يعرف بها الإنسان لوجوده غايه ويحس أن لحياته قيمه ومعني وأنه ليس شيء تافها ولا مخلوق يتخبط مضطرب ومن معاني الرجس النجاسه والشك والرجز الذي هو الاضطراب فيقال رجست السماء اي رعدت رعدا شديدا ويقال وهم في مرجوسه من أمرهم اي في اختلاط والتباس و الرجس الشك وكل عمل قبيح وكل قدر ومستخبث ولهذا لا يصلح للخلافه الا من كان طاهر النفس قد أزال ما فيها من نجاسه ف الله يقول (كذلك يجعل الله الرجس علي الذين لا يؤمنون)

فعندما ينشغل الإنسان عن الغايه التي خلق لأجلها ويترك المهمه التي كلفه الله بها فإنه عندها يفقد شرفه وكرامته ويكون غير صالحا للخلافه ولهذا يعاقبه الله بالرجس كما قال تعالي (وأما من بخل واستغني فسنيسه للعسري)

ولهذا نجد إطلاق المسبب علي السبب فذكر أنه نزل عليهم عقاب (من ريكم) من جهته تعالي (رجس) اي رين علي قلوبكم عقوبه منه تعالي لكم بالخذلان والغضب بالطرد من رحمته تعالي لأن الكفر الذي تصرون عليه يعني انكم غير صالحون لشرف الخلافه لأن الرجس يعني كل مستقذر خبيث والرجس عذاب

واضداد الرجس اسم البري والبار والطاهر والنقي والزكي....ولهذا جاء الوصف بأنهم قد اتصفوا بأوصاف توجب الجزء بالهلاك كما قال تعالي (سيجزيهم وصفهم)

ولهذا تكشف الآيات عن سخافه معتقداتهم وتصوراتهم بأن تمسكهم بالعادات والتقاليد كمصدر شريعته لهم لتنظيم أمور حياتهم ورفضهم الاستجابة لنداء الفطره وعدم استرشاد عقولهم بالشرع القويم مع أن اصنامهم وعاداتهم وتقاليدهم ليس شيئا حقيقيا إنما مجرد اسماء وقواعد اطلقوها هم من عند أنفسهم هم واباؤهم فاين كانت عقولهم اين غابت بصائرهم اين الحجه أو الدليل علي ما يجادلون به فهم يجادلون علي أمور لاحقائق لها وهي لا شي فقال تعالي

(اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان)

فأراد بهذا الرد بيان أن خبت نفوسهم الاماره بالسوء والهوي التي تقودهم قد اجتمعت هذه الشهوه مع شبهه العقول عندها وجدتها موافقه لهواها فترسخت وأخذت طريقها الي القلب ف الله يقول (كذلك يجعل الله الرجس علي الذين لا يعقلون)

فلولا ان الشبهه موافقه لهوي النفس ما كان لها تأثير عندما وردت الي العقل فهي ليس لها برهان ولا اذن من الله فما الذي أعطاه القوه انها موافقه هوي النفس ولولا ذلك لدفعتها النفس ولتجاهلتها ولهذا فإن الباعث والمحرك لعباده الأصنام والتمسك بالموروث هو هوي النفس لأن من يعبد صنما أو شي صنعه بيده وسماه هو أو ابيه هل استعمل عقله أم أخفاه لاشك أنه اخفاه وستره عن رؤويه الحقيقه وهي بطلان عبادته وخفاء مشروعيته ولهذا ناسب الخفاء الاخفاء الورد في الايه التنوين مع السين (اسماء سميتموها) والنون الساكنه مع التاء في قوله (انتم) لأن اتباعهم لاهواء أنفسهم غطت علي القلوب والعقول الحقائق وسترته واخفته فهم لاحجه لهم إلا التقليد الأعمى للاباء والأجداد وهم من أجل هذه الدعوي الواهيه مصرور علي شركهم اتباعا لهوي أنفسهم يقول الغزالي (من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم وانما يعبد هواه إذ نفسه مائله الي دين ابائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الي المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوي)

الامر الثالث

ما معني (ما نزل الله بها من سلطان) وما علاقته بقوله (فانتظر اني معكم من المنتظرين)

من معاني السلطان القهر والغلبه والحجه والبرهان وبالنظر الي قوم عاد نجد أنهم اغتروا بالقوه فقالوا من أشد منا قوه...واغتروا بالحضاره فتصوروا أنهم في منعه من العذاب وأنهم يتحصون بتلك الحصون..وايضا زعموا أن الاعراف والتقاليد المورثه لايجوز الخروج عنها وان من خالفها فإنه يشكل خطرا علي حضارتهم وقوتهم زاعمين أن تلك القواعد هي التي كانت وراء نجاه أسلافهم الناجون مع نوح

ولما شاهد هود حال قومه يذهبون خلف اهوائهم مما يعتقدون عرف أن الله قد أوجب عليهم العذاب فهو واقع لا محاله لأن من اوكله الله الي نفسه وتركه يذهب خلف هواه مما يعتقد أنه هذا دليل انعقاد أسباب العذاب وأنه مطرود من رحمه الله لأن من كان هذا حاله فإنه لا يرجع إلي حقيقه من الدين ولايهدي بدليل من الكتاب فهذا جائر عن قصد السبيل فهو مشغوف معجب بما اخترعته الاهواء ولم يعتمد علي ركن من الحق يركن إليه ولهذا جاء نفي أن يكون الانتساب للصالحين والتوسل بهم والقوه التي انعم الله بها عليهم حصنا يتحصنون بها أمام

قوه الله فقال لهم عليكم أن تدركوا أن خروجكم عن طاعة الله ومنهجه يجعل من قوتكم وحضارتكم عرضه للزوال لأنها قوه بلا شرف فليس الشرف عائدا مذكركم أو إلي

حمایه اسلافكم فهذه أمور اخترعتموها انتم و اباؤكم لاحقيقه لها انها خرافه لاقيمه لها فشرف العبد الحقيقي هو العبوديه لله فهذا هو الحصن المنيع الذي يمنع الهلاك والزوال ولذلك جاء بعدها بجواب الشرط (فانتظر اني معكم من المنتظرين

(

لأن تحدي القوم بطلب استعجال العذاب كان استبعادا منهم لأنهم تصوروا أن أرواحهم أجدادهم الصالحين الذين انجاهم الله مع نوح عليه السلام تقف مدافعه عنهم ما التزموا بالتقاليد والعرف ولذلك قالوا (فاتنا بما تعدنا أن كنت من الصادقين)

ولذلك بعد وصف حالهم الموجب للهلاك قال (فانتظروا اني معكم من المنتظرين)

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

أن علي الداعيه أن ينطلق في دعوته متوكلا علي الله واثقا ب الله فلا يضعف أمام الأعداء فهو يحمل مشروع الدعوه الي الله ويدافع عن الحق فأنت مكلفا من الله بالدفاع عن الحق وبالتالي فإن قلوب الأولياء لله تكون مطمئنة واثقه بتحقيق الله وعده فهو أشداء النصراء حضورا بما يكفي المعتمدين عليه

ولهذا فمن كان واثقا ب الله ومعتمدا عليه تعالي فإنه لن يتأثر بالعواصف ولن يضعف أمامها لانه يركن الي قوه الله

المفهوم الثاني

يريد الحق منك أن لاتستوحش في طريق الهدي لقله أهله وان تكون واثقا بأن الحق هو الذي سوف ينتصر نهايه المطاف مهما كانت قوه الباطل فلا بد أن ينهزم الباطل فلا بد أن يزوال الباطل مهما تفشي ومهما كانت قوته ظاهره لأنها قوه بلا شرف سرعان ماتزوال

ولهذا فإن انتظار المومن للنهايه تختلف عن انتظار الكافر فالمومن يقف صامدا يستعلي بالحق واثقا بالنصر للحق وهزيمه الباطل فمن كان معه الحق لابد أن ينتصر انتظار العالم الذي يخشي الله

أما الكافر فإن انتظاره هو انتظار المستهتر المتعلق بالدنيا وطول الأمل فهم يجتمعون علي ملذات الدنيا الزائله ومتاعها قليل حتي يتفاجاون بالعذاب

الأمر الرابع

لماذا ادخل هود نفسه معهم في الانتظار لحلول العذاب الذي وعدهم الله إياه

وما علاقته بالايه بعدها (فانجيناه والذين معه برحمه منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بايتنا وما كانوا مومنين)

الجواب

المفهوم الاول

ليبان ان انتظاره هو انتظار الواثق بتحقيق وعد الله بانزال العذاب الذي طلبوه ليهلك من هلك عن بينه ويحي من حي عن بينه فانتظار هود هو انتظار المومن المصدق بحصول العذاب علي المكذبين بينما انتظار قومه هو انتظار المرتابين

ولهذا نجد تقديم ذكر نجاه هود والمومنون معه من العذاب فقال تعالى (فانجيناه والذين معه برحمه منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بايتنا وما كانوا مومنين)

المفهوم الثاني

ادخل نفسه في الانتظار لبيان ان العذاب الذي طلبوه سوف ينزل به الله تعالى وليس من عنده فهو لا يعلم متي يحل موعده فأراد بهذا الإشارة إلي حقيقه أنه رسول من الله يجري عليه ما يجري علي البشر من مشاعر الحزن و الخوف والرجاء فانتظاره فيه الخوف من العذاب انتظار العبد الذي يدعو الله أن ينجيه انتظار من يرجوا النصر و النجاه فأراد بهذا أن تعلم أن الرسل مهما بلغت منزلتهم لا يتجاوزن مهمه الرساله فلم يدعي أنه هو الذي ينزل العذاب بل أراد بهذا نفي مانسبوا إليه من مجئ العذاب عندما قالوا (فاتنا بما تعدنا أن كنت من الصادقين)

فأخبرهم أن العذاب بيد الله وهو الذي ينزله وليس غيره

المفهوم الثالث

عليك أن تعلم أن النجاه لاتكون باستحقاق العمل وانما هي ابتداء فضل من الله ورحمته تعالى ولهذا أخبرنا تعالى أن نجاه هود ومن معه برغم منزله هود لم يكن ذلك إلا رحمه من الله تعالى

الأمر الخامس

لماذا نجد الفصل بين مصير المومنين والكفار في القصص واضحا فنجد أن الحق سبحانه وتعالى بعد ذكر النجاه لهود ومن معه يذكر نهايه المكذبين فقال تعالى

(وقطعنا دابر الذين كذبوا بايتنا وما كانوا مومنين)

المفهوم الاول

يراد بهذا أن يزود المومنين بقانون قراءه التاريخ الشرعيه وتفسير أحداثه بأنه يقوم علي أساس موقف كل انسان من الرساله فذلك هو الذي يحدد موقعه من الخير ومن الشر ويحدد النهايه التي تنتهي إليها المصائر في نهايه المطاف

فإن علي العبد أن يتأمل أحوال الامم السابقه في الخير والشر فينظر في تفاوت حالهم من سعادته وشقاء ولهذا بعد أن ذكر الحق النجاه لهود ومن معه من المومنين برحمه الله يذكر هلاك المكذبين فقال تعالى (وقطعنا دابر الذين كذبوا بايتنا وما كانوا مومنين)

والقطع هنا يعني الاستئصال بالعذاب الشديد الذي لم يبق منهم أحد إلا أصبح كالرميم فاستعمال كلمه دابر للكنايه عن الاستئصال والاهلاك للجميع فالدابر تعني استئصالهم جميعا حتي اخر واحد منهم بمعني أنه لم يبق منهم أحد

فهذا التفاوت في حالهم الذي يجب أن تفكر فيه ينبغي أن تستفيد منه بأن تلزم الأسباب التي سببا في عزتهم وما يتبعها من الأحوال اسئل نفسك ماهي اسباب العزه التي حظوا بها وزاحت عنهم الاستئصال والاهلاك ماهي الال عمال التي مدتهم بالعافيه وكيف انقادت النعمه لهؤلاء المستضعفين ينظر إلي الطريق الذي وصلهم بحبال الكرامه الذي جنبهم الهلاك فإذا عرفت أن كرامتهم وعزتهم هو بالاتصال برحمه الله فهي التي كانت وراء نجاه هود ومن معه فإن هذا يعني أن تلزم الطريق والأعمال التي تتقرب بها الي الله لتصل إلي رحمته تعالي فهذا هو طريق النجاه والعزه والكرامة ومن لزم التواصي بها وكذلك فإن عليك أن تجتنب كل أمر كان وراء كسر قوتهم واهلاكهم وكل امر أوهن قوتهم انظر الي أسباب سلبهم نعم الله فتحذر أن تقع فيما وقعوا فيه ولهذا ذكر أنه اهلك الذين كذبوا بآيات الله سواء كانت المنزله في كتابه أو آياته في الكون أو آياته في صفحات التاريخ التي أخبرهم بها هود عندما ذكرهم بأنهم خلفاء من بعد قوم نوح وماانعم الله عليهم من ضخامة الأجساد فقال تعالي (الذين كذبوا بايتنا وما كانوا مومنين) فعطف جملة (وماكانوا مومنين) علي وصف التكذيب لبيان ان مناط النجاه و الوصول لرحمه الله هو الايمان والتصديق ب الله ورسله واليوم الآخر وكتبه كما أن مدار الهلاك هو الكفر و التكذيب

المفهوم الثاني

يراد بهذا أن يحسم كل واحد موقفه في معركة الحق والباطل لأن النهايه يكون تقسيم الناس الي فريقين مومنين يقفون مع الحق وكفار يقفون مع الباطل

صفان لاثالث لهما ولهذا قال فانجيناه والذين معه...اي معه علي الحق واقفون في صف أهل الحق...وأنه اهلك الباقون الذين وقفوا في صف الباطل والسليبيون الذين لم يكن لهم موقف المترددون لم يذكر نهايتهم لكن يفهم منها أنهم اهلكوا مع الكفار لانهم لم يكونوا مومنين حقيقه فلو كانوا مومنين لقفوا مع الحق ولهذا فأنت مطلوب منك اليوم أن تحسم موقفك اين تحب أن تقف هل مع أهل الحق ام أهل الباطل خاصه ونحن اليوم نخوض حرب اعلاميه وفكريه وسياسه واقتصادية واجتماعية وثقافية ورياضية وعسكرية مع الباطل وأصبح لدي الناس استهتار وعدم مبالاه ولاينظرون بجديه لهذا الصراع ويتصورون أن اظهار موافقه أهل الباطل فيما هم عليه وما يقولونه عن الحق بأنه أمر لا يوتر في الانتساب للدين ويعتبرون الأمر طبيعي وهو ما يجب الإنتباه له

(القصة الثالثه)

تحدث هذه القصة عن حضاره قوم ثمود فقال تعالي (والي ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءكم بينه من ربكم هذه ناقة الله لكم ايه فذروها تاكل في ارض الله ولاتمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتتحتون الجبال

بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعنوا في الأرض مفسدين قال الملاء الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مومنون قال الذين استكبروا أنا بالذي امنتم به كافرون فعقروا الناقه وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا أن كنت من المرسلين فآخذتهم الرجفه فأصبحوا في دارهم جاثمين فتولي عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رساله ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين)

اولا

منهم قوم ثمود ولماذا سمو بهذا الاسم ؟

تضمنت دعوته صالح لقومه نفس ما دعا نوح وهود اقوامهم (اعبدوا الله مالكم من إله غيره) فجميع الرسل يدعون لعباده الله وحده ف الله يقول (ولقد بعثنا في كل امه رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

والسؤال

لماذا تتكرر صيغته (اعبدوا الله مالكم من إله غيره) رغم اختلاف افات وأمراض المجتمعات والأمم التي تنقل الآيات لنا واقعهم ؟

بالوقوف علي الآيات نجد انها تتحدث عن حضارات نشأت في بلاد العرب لان قوم ثمود من العرب العاربه قبل ابراهيم عليه السلام وسموا بهذا الاسم نسبة إلى جدهم الأكبر ثمود بن عائر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا أهل حضاره عمرانيه وبناء وهندسه معماريه فقد دلت النصوص أنهم بنوا القصور في السهول ونحتوا البيوت في الجبال ومازالت آثارهم موجوده الي اليوم تدل علي ما وصلوا إليه من التقدم حيث ومسكنهم في منطقه بين الشام والحجاز الي وادي القري بالقرب من تبوك وهذه الحضاره نشأت في امه العرب وهذه الحضاره نشأت بعد هلاك حضاره قوم عاد العربيه هي الأخرى ولهذا فإن أهم اغراض النصوص هي

الأمر الأول

لبيان اهميه الاعتناء بفقهِ المراحل وتاريخ الشعوب وفقه التحولات فالعباده هنا بمعناها الشامل والتي تعني أن يحكم الناس المنهج الرباني اي انشاء دوله يحكمها المنهج الرباني المنزل علي الرسل ولهذا جاء اعلام المومنين ؛ الموهلات التي تمكن امه العرب من حمل الامانه الخلافه في هذه المرحله التاريخيه مرحله الرشد البشري يقول لهم أن المعجزات الحسيه لاتناسب عصر النضوج البشري وانما هي كانت في مرحله طفوله البشريه وان معجزه القران هي اللغه القادره علي مخاطبه العالم لأن رسالته عالميه ودور القران يشمل جميع جوانب الحياه للعالم أجمع ولهذا نجد أن النصوص تضمنت لفظ العموم في دعوته صالح نفس دعوته بقيه الرسل (اعبدوا الله مالكم من إله غيره)

فجميع الرسل دعوا الي عباده الله وحده قال تعالي في موضع آخر

(ولقد بعثنا في كل امه رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)....فهذا هو مضمون المنهج الذي حمله الرسل جميعا باختلاف الأقوام واختلاف انواع الكفر لديهم لأن كل نبي كان يرسل لمعالجه امراض قومه

وكذلك فقد كان الرسل يحملون الي جانب المنهج معجزه تتناسب مع حجم الدعوته ونوع المرض الذي أصاب كل

قوم فالمعجزات كانت موضوعها متعلق بالعلاج الذي يراد من ارسال الرسول أن يدوي القوم منه بالمنهج فنحن نعلم أن معجزه عيسي احياء الموتى والاكمه والابرص باذن الله لأن المجتمع الذي أرسل إليهم كانوا أهل علوم طبيه فلا بد أن تكون المعجزه في متناول الجميع ولهذا أخبرنا الله أن صالح عندما دعا قومه قال (قد جاءكم بينه من ربكم هذه ناقة الله لكم ايه فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم)

فأخبرهم بأن هذه المعجزه توجب منهم التصديق فيما يدعوهم إليه فهي خارقه غير مألوفه وهي لاتكون الا ايه سماويه يعجز الناس علي الإتيان بمثلها ولهذا فسرها بقوله (ناقه الله لكم ايه) لانهم طلبوا منه واقترحوا أن يأتيهم بايه ناقة لاتولد بطريقه طبيعيه فهي معجزه حسيه شاهد الناس حصولها بطريقه خارقه للعاداه ولادليل أنها أخرجت من الصخره كما ذهب المفسرون وانما ذلك من الاسرائليات الذي يجب الإنتباه له

المهم هنا أن حصولها كان خارقه بكل المقاييس وهو ما اذهل قوم ثمود ولهذا استعمل اسم الاشاره (هذه ناقة الله) لبيان انه حصل تلقي الأمر بالتعظيم في أول وهله منهم وحصل الاقتناع والقبول لكن بعد ذلك حصل الرجوع عن ذلك ولهذا يقول الحق في موضع آخر (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمي علي الهدي)

ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم عندما مر بالحجر (لاتسالوا الايات فقد سألتها قوم صالح فكانت يعني الناقه ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها وكانت تشرب ماءهم يوما ويشربون لبنها يوما فعقروها فاخذتهم صيحه اهد الله من تحت أديم السماء منهم إلا رجلا واحدا كان في حرم الله) فقالوا يارسول الله من هو قال أبو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما أصاب قومه)

وقد أخبرنا الله في سوره الاسراء عن موضع المعجزه الحسيه فقال تعالي (وما منعنا أن نرسل بالايات إلا أن كذب بها الأولون ولقد أتينا ثمود الناقه مبصره فظلموا بها ... الخ

فمعجزه الاسلام القرآن هو نفسه عين المنهج لانه رساله عالميه صالح لكل زمان ومكان فمعجزه القران الاعجاز العلمي بما احتوي من ايات قادره علي مخاطبه العالم الي قيام الساعه وهي لغه يفهمها العالم أجمع

ومنهج القران جاء فيه الشمول لجميع ما يتعلق بحياه الناس من طقوس وشعائر دينيه واقتصاد ونظام حكم في كل شان

الأمر الثاني

تهدف الايات الي تعريف المسلم بدوره ومكانته في الأرض باعتباره يحمل امانه الخلافه الخاتمه التي تعني تحمل مسؤوليه الشهاده للإسلام هو الوريث لجميع مراحل الأديان والتدين الي أن يرث الله الأرض ومن عليها ولهذا جاء القرآن جامع اي منهج شامل لجميع جوانب الحياه (العباده الشامله) حيث وبالوقوف علي دعوه صالح لقومه نجد أنها نفس دعوه نوح لقومه وهود رغم اختلاف افات وأمراض المجتمعات (اعبدوا الله مالكم من إله غيره) و هي دعوه جميع الأنبياء فالله يقول في موضع آخر (لقد بعثنا في كل امه رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

فلفظ العباده هنا شامله لجميع جوانب الحياه دعوه ليكون المنهج الرباني هو الذي يحكم الحياه انشا مجتمع يحكمه القران فالعباده تكون في الأخلاق والسلوك والدوله والطقوس وفي السياسيه والاقتصاد وفي كل شأن أي أن يكون منبعها هو المنهج الرباني ولهذا فإن المسلم بحاجه الي معرفه عباده العصر او الوقت ويقصد به أن

العباده مرتبطه بالزمن فأنت عندما تسمع المودن ينادي للصلاه وانت تقرا القران الكريم فلا تنهض لأداء الصلاه وتقول قراءه القران عباده تكون غير عابد..ولهذا فانه عندما يكون هنالك انحراف وانحطاط في الاقتصاد فإن عباده الوقت تعني أن تعيد الاقتصاد الي اصول الاسلام وان علي كل مسلم معرفه اسرار وعلوم الصنائه والتجاره والتكنولوجيا حتي لا يستخدم الاقتصاد والصناعات والاختراعات في القضاء علي قوه المسلمين..واذا كان هنالك توجه لنشر الرذيله في المجتمع المسلم فإن هذا الزمن يتطلب أن تقف محاربا لمشاريع الباطل فهذه هي عباده هذا العصر التي تتطلب أن تشخذ الهمم والطاقت للوقوف ضد الانحلال الأخلاقي ولذلك فلا عجب أن تتكرر نفس الدعوه من جميع الرسل رغم اختلاف امراض الأمم وافاتها

ومن هذا نفهم سبب اعتناء الاسلام بفقهِ المراحل وتاريخ الشعوب فالقران ليس منهج تكاليف وشعائر وطقوس بل هو منهج حياه وهو وثيقه شرعيه لعرض وحفظ ماسارت عليه الأمم والشعوب فهذه التجارب الإنسانية التي يقص القران لنا الأحداث تهدف إلي إعطاء المسلمين تجارب تحمل معاني ومفاهيم قادره علي خدمه الاسلام و المسلمين

الأمر الثالث

تناقش الآيات مساله الحضاره وفقا لمفهوم الاسلام وطبيعته المنبعثه من نظره الاسلاميه للإنسان والغايه من وجوده وما يجب عليه تحقيقه من الأهداف

فقال تعالي (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبواكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين)

يهدف الي اعاده تشكيل العقول والافهام والقلوب بتحريهم من آثار الفكر الجاهلي الواقع تحت تأثير التغني بالا مجاد في قراءه التراث دون الاستفادة من ذلك بمعالجه المشاكل في الحاضر والمستقبل نتيجه غياب الروح الايماني كما هو حالنا اليوم عند غياب روح الاسلام عنا حيث شجع الغرب علي قراءه تاريخ الاسلام لتمجيد الماضي العظيم دون أن نستفيد من ذلك في مناقشه ومعالجه مشاكلنا ولهذا لابد من القراءه الواعيه والعميقة بحسن النظر في التاريخ وربط ذلك بالديانه قراءه شرعيه اي دراستها من خلال ما هو ثابت في الكتاب والسنة لتحصل الفائده من دراسه الحضارات فلا يكون دراستها بالتغني بامجاد الماضي دون الاستفادة منها في معالجه المشاكل ولهذا عندما مر الرسول صلى الله عليه وسلم علي ديارهم ومساكنهم وهو ذاهب الي تبوك سنه ٩هجرية وقد ورد في الحديث النهي عن دخول المسلمين الي مساكن قوم ثمود وورد في صحيح البخاري أنه قال لهم (لا تدخلوا علي هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم ما اصابهم) يقول صاحب كتاب شرح الباري في تاويل معني الحديث

والمعني لئلا يصيبكم اي خشيه ان يصيبكم ووجه الخشيه أن البكاء يبعثه علي التفكير والاعتبار فكأنه أمرهم ب التفكير في أحوال توجب البكاء من تقدير الله علي أو لئك الكفره مع تمكينه لهم في الأرض وامهالهم مده طويله ثم ايقاع نقمته بهم وشده عذابه وهو سبحانه مقلب القلوب فلا يأمن المومن أن تكون عاقبته الي مثل ذلك ولهذا فإن قول صالح لقومه (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد)

فأراد بهذا أن يبين لهم أن وجودهم وقيام حضارتهم بعد حضاره قوم عاد أمر مقصود ومخطط له من الخالق

سبحانه وتعالى وان هذا الاستخلاف امتحان وابتلاء لأن اختيارهم مرتبط بالغايه من وجودهم وهو عباده الله تعالى فهذه اول مقومات مفهوم الحضاره وفقا للنظريه الاسلاميه أن يكون انشاء حضاره تخضع لمنهج الله يقول لهم أن تمكينكم في الأرض والأخذ بأسباب التقدم والسياده والحكم والسلطان هو نعمه امتحان الله بها هل تلتزمون بالقيام بأمر الله في أن تكون حضارتكم قائمه علي قيم الدين ومبادئ الشريعة وان يكون الأخذ بالاسباب التقدم بما يودي الي تعمير الارض قائما علي اراده نفع البشريه بما يودي الي التحسين والاستقرار وفقا لمنهج الله تعني أن تحكم الدوله بمنهج الله ولهذا

يدعوهم للتفكر في النظر إلي في سبب هلاك قوم عاد وزوال حضارتهم لان قوم ثمود لم يخلفوا قوم عاد بالأرض والمكان كون حضاره قوم عاد كانت في الاحقاف باليمن حضرموت بينما حضاره قوم ثمود في وادي القري بين الشام والحجاز فأراد بهذا أن يحفزهم علي التفكير والاعتبار بالنظر الي سبب سقوط حضاره قوم عاد فهم اذا فكروا سوف يجدون أن ذلك يعود إلي الإخفاق في تجسيد مراد الله في كونه الفسيح لانهم لم يجسدوا مفهوم العباده في نظام الدوله وحضارتها بل عملوا علي تجسيد مراد الشيطان ومشروعه الابليسي القائم علي قاعده انا خير منه ولهذا أهلكهم الله لأن سنه الله أن يستخلف الامه مادامت اهلا للاستخلاف فالسوره الانعام اختتمت بقوله تعالى (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليلوكم في ما اتاكم)

هكذا يستخلف الله الناس في الأرض فإن أقاموا علي أمر الله فهم عند وعد الله لهم بالعز والتمكين حتي إذا كفروا بانعم الله وكذبوا بآياته وخرجوا علي حدود رسله أخذهم الله بغته وهم لا يشعرون فالله يقول في موضع آخر (ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظالموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون)

ولهذا فإن التفكير الذي أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المومنين أن يتفكروا فيه

عندما مر بالحجر (مسكن قوم ثمود) هو دعوه لربط الإخفاق بالمطلب الرباني من العباد (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)

والتفكير أيضا في مقابله اولئك نعمه الله بالكفر وأعمالهم عدم اعمال عقولهم فيما يوجب الايمان به والطاعه له لا ن من مر عليهم ولم يتفكر فيما يوجب البكاء اعتبارا باحوالهم فقد شابههم في الإهمال ودل علي قساواه قلبه وعدم خشوعه فلا يأمن أن يجره ذلك إلي العمل بمثل أعمالهم فيصيبه ما أصابهم ولهذا نجد أن الايات فيها تنبيه صالح قومه من ذلك الإهمال فقال تعالى (وبواكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين)

فالايات ترسم اثر نعمه التمكين لهم في الأرض فهم أهل الحضاره التاليه بعد قوم عاد فقد صار لهم قياده العالم وامتد سلطانهم الي خارج الحجر فقد كان يملكون سلطه القرار علي أهل الأرض ولهذا يحذرهم من الانطلاق في الأرض بالفساد

اغترارا بالقوه والتمكين والعبره أمامهم ماثله في عاد الغابرين

لبيان ان الحضاره التي يحصل لها ازدهار من خلال التقدم المادي في الهندسه والطب والصناعات فإن هذا أمر لا ينكره صالح عليهم لأن العلم من مقومات مفهوم الحضاره وفقا للنظريه الاسلاميه لكن غياب الروح في عمليه بناء

الحضارات والمجتمعات الانسانيه يعني بناء حضاره مشوهه فالبناء لايحتاج الي العقل والعلم فحسب فهو قبل هذا يحتاج الي الروح لأن الروح هو الذي يتيح للانسانيه ام تنهض وتتقدم فضياع الروح يعني انحطاط الحضارة وسقوطها لأن عدم وجود التوازن بين العقل والروح يعني الاستسلام للجاذبيه الارضيه وعدم القدره علي الصعود فعندما تكف الرياح التي تمنح الحضاره الحياه عن الهبوب فانها تتوقف عن الحركه وتكون نهايه دورته ونهايه حضارته وتصبح الأرض بقعه مهجوره وفي البقعه المهجوره يفقد العلم كل معناه لأن توقف إشعاع الروح خمود إشعاع العقل فتصبح حضاره بلا روح حضاره بلا شرف لخروجها عن طاعه الله

لانه حين يفقد الإنسان قوه إيمانه وهمته وتوحيده يفقد تعطشه الي الفهم واردة العمل وحينها يتراجع العقل ويمتلي بالخرافه

فالحضاره في الإسلام تنطلق من مفهوم التوحيد فهو الوقود الذي يحتاجه الإنسان لأجل أن يستعيد طاقاته التي تبددت وسط أجواء التخلف والخرفه وطغيان ماده علي الحضاره وغياب الروح الذي هو الجناح الثاني لقيام اي حضاره فالتوحيد هو المنبع الوحيد للطاقه الانسانيه الذي يستحيل لاي معوض زمني أن يقوم خلال التاريخ الإنساني مقام منبع الطاقه الوحيد للانسانيه الا وهو الايمان بالتوحيد ولهذا نجد أن التوحيد هو أساس الحضارات التي سعي الانبياء كلهم الي إنشائها ولهذا نجد أنهم ربطوا انشاء الحضاره بمعني العبوديه لله الخالصه لله فكانت دعوتهم واحده (اعبدوا الله مالكم من إله غيره)

فا الحضاره وفقا لمفهوم النظرية الاسلاميه هي التي تسعى لتحقيق الغايه من الوجود الإنساني وان تعمل علي ا لاستفاده من الكون وما فيه من إمكانيات وتعمل علي تطويرها وتحسينها وفقا لمنهج الله لان غياب المنهج الرياني يعني أن الحضاره خارجه عن الغايه التي لأجلها خلق الانسان يعني أنها حضاره خارجه عن المقصود من الوجود الإنساني في الأرض وهو عباده الله يعني أنها لاتحفظ التوازن الذي يليي احتياجات الروح والجسد لأن عدم التزام الحضاره بمبادي وقيم الحق والعدل والمساواة والحرية والكرامة الإنسانية والخير تعني أنها حضاره إفساد وفوضي تتفق ومشروع الشيطان بالافساد في الأرض ولهذا قال تعالي علي لسان صالح (ولاتعفوا في الأ رض مفسدين)

والعني اشد انواع الفساد والاستمرار فيه اي أن الفاعليه سلبيه لأن انفصال الدين عن الدوله يعني أن الدوله خارجه عن مفهوم (التوحيد) فالانبياء كلهم منهجهم نزل لأجل انشا دوله يحكمها المنهج الرياني دوله التوحيد ولهذا كانت دعوتهم (اعبدوا الله مالكم من إله غيره)

والايات نزلت في مكه في مرحله انتقال وتحول المسلمون من الدعوه السريه الي الجهرية فكانت تمهيد وتهنيه وإعداد لانتقال المسلمين الي مرحله الدوله فبعثه النبي كانت بدايه مرحله التوحيد الاولي أراد أن يوقظ روح الإ نسان ويبعث فيها الحياه وصولا إلي انشا دوله الموحدين بعد الانتقال الي المدينه المنوره حيث أنشأ دوله يحكمها القران فالتوحيد هو منبع الطاقه الانسانيه الوحيد الذي يبني به دوله الموحدين علي اساس من التوازن بين العقل والروح ولهذا شاهدنا كيف صار حال امه الاسلام بعد تفريطهم بدوله الموحدين باستيلاء معاويه علي السلطه وتحويلها إلي دوله تحكم القران بدلا من دوله يحكمها القران حيث فقدت العقيدة دورها وفاعليتها وصار ا لايمان فردي متحلل عن صلاته بوسطه الاجتماعي ولهذا فإن المخرج اليوم لمعاناه المسلمين يكمن بالعوده الي الا سوال الاولي للإسلام فالدعوه لعباده الله (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)

هي دعوه بالعوده الي الأصل الذي ينقذ الامه من الهلاك ولهذا فإنه إذا أردنا استرداد الامه لدورها في قياده العالم فعلينا أن ننتقل من الكتاب والسنة نحتاج الي هذا المحرك الذي يمدنا بالوقود والطاقه الباعثه للحركه والفاعلية ا لايجابيه الذي تحدته العقيده دون إفراط ولا تفريط وهذا يستوجب أن نعود الي جذور اصوله بالنظر الواعي الذي يجعلنا قادرين استخلاص احكام صحيحه ومنطقيه باستنباط مفاهيم حقيقه تناسب مع الواقع الذي نعيشه بحيث نضع كل حكم في محله وقبل ذلك أن يكون تفسيرنا يتفق مع جوهر النص فالإسلام جاء لإسعاد البشريه ولفظ العوده اشمول واعم من قول تحقيق أو تطبيق لأن هذا فيه بيان أن الواقع لم يعد إسلاميا في أغلب صوره فيها اعلان أن شريعته الله لم تعد تحكم المجتمع فالعوده تعني اننا نعود الي احكام كانت مهجوره أو مهمله والعوده تعني الرجوع الي التراث ودراسه الأحكام ومعرفه مايناسب أحوال الناس والواقع المتحرك بسرعه يحتاج أن تكون لدينا فهم لفقهِ التحولات بذات السرعه التي أصبح الواقع يتحرك بها نعود فيها الي التراث نستنبط المفاهيم القرانيه التي تمدنا بالحركه والتقدم المواكب لحركه الواقع فلا تتوقف حركتنا في الحياه

ثانيا

تنتقل النصوص هنا الي بيان رده فعل قوم ثمود من دعوه صالح عليه السلام فهم رغم الايه والمعجزه الحسينيه الظاهره انقسموا الي فريقين فريق مومن وفريق كافر فقال تعالي (قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن ءامن منهم أتعلمون أن صالحا مرسلا من ربه قالوا إنا بما ارسل به مومنون قال الذين استكبروا انا بالذي ءامنتم به كافرون)

الموضوع الاول

تبين النصوص أهميه تشكيل الارداه الواحده التي تجمع الطاقات كلها لبناء الحضاره وتحقيق هدف التقدم و التطور في قالب واحد تنصهر الارادات كلها في يشكل قوه قادره علي صناعه التاريخ وهو ما يتطلب فتح مجال العضويه أمام جميع شرائح المجتمع المسلم بحيث تنصهر الارادات كلها في اراده واحده تمثل الارداه المعبره عن المجموع ولهذا فلا بد من استيعاب جميع فئات المجتمع دون استثناء تشكيل فريق عمل جماعي لا يستعني أحد للاستفاده من الطاقات بحيث تكون قوه موثره فاعله لامتاثره بالاحداث بل مساهمه في صناعته ولهذا تبرز النصوص الحوار بين الفريقين لبيان أن شرط العضويه هو توفر ارداه المشاركه في صنعه المجد و الا لتحاق بشرف عضويه الخلافه التي تشكل اراده كل من أراد أن يكون خليفه لله في الأرض فلايحتاج من اراد الا نتساب لهذا التجمع الي معجزات ماديه وحسيه للمساهمه في صناعه الحضاره والتاريخ بل يحتاج الي ارداه متحرره اراده المشاركه والمساهمة في صناعه الحضاره التي تحقق المطلب الرباني وهذا لا يكون إلا إذا كان الإ نسان متحررا من الانطواء والانكماش في الذات المتخلفين في النفس البشريه متحررا من اثقال التعصب والكبر والأنانيه والحسد بالنسبه لفئه الاكابر والساده والرؤساء وكذلك فلا بد أن يكون الإنسان متحررا من القيود والاعغ لال التي تجعله جاهلا بقيمه نفسه وفاقد كرامته لانه خاضع للاكابر والساده فهو لايق بقدرته ضعيف الارداه لا يعرف أنه خلق ليكون خليفه في الأرض في هذا العالم الفسيح ووصيا عليه وقد أخضع الله له الكون وأمر الملا نكه بالسجود لادم

بالنسبه للضعفاء ولهذا قال تعالي (قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن ءامن منهم)

فذكر انقسام الناس الي فريقين كفار من الملاء ومن الضعفاء أيضا وهنالك مومنين من الاكابر ومن المستضعفين

فقوم ثمود قد عرفوا الطريق واستبان لهم الحق وجاءتهم معجزه ماديه ظاهره فلم يبقي معها اي شك ف الله يقول في موضع آخر أنها مبصره ومع ذلك لم يؤمنوا لماذا ؟

لقد أخبرنا الله علي لسان صالح أنهم لا يحبون الناصحين وقال تعالي في موضع آخر (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمي علي الهدي)

فالايه تبين أنهم كانوا قد عزموا الايمان وعرفوا الطريق لكن الارده كانت ضعيفه لم تصمد أمام الشهوات و الرئاسات والجاه والسلطان حيث شكلت عوائق قطعت عليهم الطريق فقد تمكن الشيطان من بيت ارداتهم الناتج عن خسه النفوس ودناءتها فهي اختارت الادني علي الذي هو خير أثرت الدنيا علي الاخره أثرت المعصيه علي الطاعه

فهذا يعود إلي خسه النفوس لأن النفوس الشريفه لاترضي بالظلم والفحشاء

فاخبرنا الله أن عدم صلاحية المحل لاستقبال انوار الله شكل مانعا من التأثير بالايه الحسيه التي شكلت معجزه لهم فهذا يعود إلي أن قلوبهم ميته ممتلئه بالاوساخ ومشحونه بحب الدنيا وملذاتها ولهذا لم يستفيد هولاء ولم يتأثروا من مشاهده الآيات ونصائح صالح لهم لأن قلوبهم مشغوله بالباطل ومنصرفه عن معني الخطاب الي الدنيا والشهوات الرئاسه والجاه والسلطان والمال فهو يري أن هذه الامور هي مصدر القوه والشرف والكرامة فإن صلا حيه المحل امر ا هاما للتوفيق والخذلان فإذا كان المحل غير قابلا للنعمه وان عرفها ولايشكر المنعم بها بل يقابل النعمه بصد مايليق أن يقابل به سلبه اياها ولهذا فإن اهلاك الله لهذه الأمم يعود إلي عدم اهليتها لشرف الخلافه لا نها خرجت عن طاعه الله تعالي

الموضوع الثاني

تبين النصوص أن الانتفاع بنعمه الله بالإيمان والعلم لا يكون إلا لمن عرف نفسه بضعفه وافتقاره إلي الله ووقف بنفسه عند قدرها وحدها ولم يتجاوز الي ماليس لها ولم يتعد اطوارها وتيقين انه لله ومن الله وبالله فيشعر ب النعم ولهذا فإنه ينكسر لله ويخضع له ورغبه ورهبه بمحبه وإجلال وتعظيم لانه عالم بربه وكماله وعظمته وجلاله وإحسانه وغناؤه ورحمته ولهذا نجد أن الآيات تعطينا صورتان لرده فعل الناس لدعوه صالح

الفريق الأول المستكبرين من الكفار الذين لايعرفون حقيقه أنفسهم وتصوروا أنفسهم عظماء فتناولوا علي ربهم لرفضهم الإنعان له لان الخلافه تعني الاسلام وهو الخضوع والاذعان والاستسلام والانقياد لأمر الله تعالي وقد أسماهم الله هنا (الملاء) اي الرؤساء وأصحاب الزعامات والنفوذ والصناديد الذين استعلوا بالمال والجاه و السلطان فقد خشوا أن تنجح الدعوه ويلتف الناس حول النبي فيكثر سواده فينتزع منهم الرئاسه التي يجلبون من وراءها غنما عظيما فأبوا أن يتبعوه فيكونوا اسواه بالضعفاء من أصحابه ويزوال ما لهم من امتيازات باطله كما هو شأن المستكبرين في كل زمان ومكان فقد أخبرنا التاريخ كيف أن ابوجهل وأبو لهب وقفوا ضد دعوه النبي صلى الله عليه وسلم وقاموا بوضع العقبات أمام نجاح الدعوه حتي يدب الياس الي قلبه فيترك دعوته وكذلك فإن الديهماء من العامه فكانوا يرتعون في ميدان الشهوات البهميه الدنييه فقد كانوا يقفون مع الاسياد ضد ما فيه شرف لهم فتحالفوا مع الأكابر ضد دعوه الحق وهكذا هو حال الناس في كل زمان ومعلما أن كفار ثمود اذوا المستضعفين المومنين بالتعذيب والتنكيل فكذلك هو حال كفار قريش وهو حال المستكبرين في كل زمان وقد اجمل القران الكريم كل ذلك بجمله موجزه عبر عنها بقوله تعالي

(قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن ءامن منهم أتعلمون أن صالحا مرسلا من ربه)

فالسؤال تعبير عن التهمه التي يسندها الأكاير للضعفاء من المومنين للتنكيل بهم واضطهادهم فطريقه وأسلوب الكفار واحده فنحن اليوم نري هذا الأسلوب من التهديد والتخويف بالطرد من الوظيفة أو الحرمان من أبسط الحقوق في احسن الأحوال حيث يقال لك هل انتميت لجماعهأو حزب فلان والتعبير بالسؤال من الأكاير يعني السلطه الحاكمه التي صارت تري صالح ومن معه يشكلون خطراً علي السلطه وأنه يستهدف الكرسي و القوانين التي صنعوها وهذا يعود إلي الاغترار بالقوه نتيجه جهل الإنسان بنفسه فلو عرف نفسه لما كان هذا فعله فالاستكبار رفع النفس فوق قدرها وجود الخالق وهذا ما ذم الله به هذا الفريق

وفي المقابل تنقل لنا الآيات جواب المومنين المستضعفين من قوم ثمود علي ال الاضطهاد والاستهزاء من قبل المستكبرين ردا العارف بنفسه الواقف علي حدها وقدرها ونقصها وظلمها وجهلها والعارف بعظمه ربه وكماله سبحانه وتعالى وإحسانه وغناؤه ورحمته فانصرفت قوه حبه وخشيته ورجائه وانايته وتوكله إليه وحده وكان أحب شي إليه واخوف شي عنده وارجاءه له تعالي كما يتضح من الجواب (قالوا إنا بما ارسل به مومنون) حيث نجد فيه

الأمر الأول

عدول عن الجواب لمقتضي السؤال فلم يقولوا نعم ...ولم يقولوا نعم أنه مرسل منه تعالي

وهذا فيه التنبيه علي أن إرساله أمر معلوم لديهم باليقين الجازم عندهم ولهذا أورد صله الموصول (بما) بمعني الذي ومن المعلوم أن الصله لا بد أن تكون جملة معلومه الانتساب الي ذات الموصول فكانهم قالوا لا كلام في إرساله لانه أظهر من أن يشك فيه عاقل أو يخفي علي ذي رأي لما اتى به من هذا المعجز العظيم الخارق وأما الكلام في الإيمان به فنحن مومنون به وهذا فيه

الأمر الثاني

هذا الرد وصف لما هم عليه من العبات علي الحق واظهره رغم ضعفهم عن مقاومه الكفار فأراد الحق بهذا بيان ءلامه المومن الحقيقي انك تراه صاحب قوه دين متيقين فيما آمن به إيماننا جازما مع لين في التعامل إيماننا لا يخالطه شك بل إيمان باليقين الجازم

إيمان من يدرك أنه صاحب قضيه ايمان ومكلف من الله بحمل امانه الخلافه وان يسعي جاهدا لتهنيه الظروف الموضوعية لتطور الشعب وإحداث التغيير لا يستهين بقدرته وما أودع الله فيه من مواهب انسان حر لا يحتقر نفسه كما هو شأن بقيه المستضعفين الذين بقوا علي الكفر خوفا من الرؤساء فكانت مواقفهم سلبيه لم تذكرها النصوص لانهم لا يستحقوا الالتفات إليهم

أما هولاء فهم يريدون تفجير طاقات الشعوب وتوظيفها لخدمه الحق في معركة الصراع مع الباطل فالتاريخ يدلنا أنه كلما تهيات الظروف الموضوعية للشعوب للتطور فإن العقبات التي تحول دون تطوره سرعان ما تنهاوي وتسقط ولكن علي مدي زمني يتوقف علي طاقه هذا الشعب وإبعاد رسوخ هذه العقبات في جذوره التاريخية التي صاغت تركيبه ولهذا فإن التغيير. يتطلب تغيير نفوس الجماهير وصمودها والحاحها علي التغيير ولهذا تحدثنا النصوص أن المومنون تحرروا من ضغوط الأصنام فهم أصحاب قضيه لا يخافون الا الله لم يعودوا ضعاف

كما كانوا لقد صاروا اقويا ء يجهرون بالدعوه ولا يترددون ما السر في ذلك ؟

انه قوه الايمان ب الله والنقه بنصره وتأييده والتوكل عليه والاعتماد علي الله أنه الاستعلاء بالحق لم يعد لقوه الجاه والسلطان والمال تأثيرا علي نفوسهم ولهذا فلايجدي معهم التخويف والتهديد من قبل الاكابر

فأراد الحق بهذا أن يقول لنا انتبهوا من الياس والتردد والأحجام في التغيير

فلا يودي الظلم الي الياس انتبهوا فعليكم بالأمل والتفاؤل بالنجاه مهما بلغ الظلم ذروته لأن الياس إذا تمكن من نفوسكم يعني قتل المواهب يعني قبول التعايش مع الظلم والرضي بالعلل فالأمل واليأس يشتركان في تحديد مصير الثوره بنسب ايجابيه وسلبيه متفاوتة

وكذلك فإن العزم والتردد والاقدام والأحجام واليأس والامل أمورا متناقضه يحتاج المرء أن يحسم موقفه وبالذات الجماهير المغلوبه المظلومه التي يغلب عليها هذا السلوك لتحديد الخطوه الاولى التي تخطوها نتيجه التناقضات في المشاعر واختلاطها وهي تشاهد إخطار حمل مشروع التغيير فتري تعليق الرؤوس وتري استحاله تحقيق الأهداف فتضع حولها علامات استفهام لاتجد لها اجابات أثناء مسيره التغيير ولهذا فإن الحسم مهم لأن سلوك الجماهير أمر مهم في تفجير طاقات التغيير بشكل منظم ينتج اثاره أو تقيل التعايش مع الظلم أو تفجيرها بشكل فوضوي ولاتحدث التغيير المطلوب وانما يعيد الظالمين ترتيب صفوفهم من خلال ثوره مضاده

ولهذا يبرز اهميه الثقه بالقياده في العمل الثوري وان يكون منظم وهو ما أكده المومنين من المستضعفين بقولهم (انا بما ارسل به مومنون)

اي أن الذي يجمعهم وينظم حركتهم هو العمل المشترك تحت قياده نبي الله صالح عليه السلام

الموضوع الثالث

تحدث النصوص رد الملاء علي جواب المومنين فقال تعالي

(قال الذين استكبروا انا بالذي ءامنتم به كافرون فعقروا الناقه وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا أن كنت من المرسلين)

الأمر الأول

رد فيه رفع النفس فوق قدرها وجحود الخالق... يقولون ما نتم نحن اصحاب القرار الذين يقرر ون ما تفعلون وما لاتفعلون (قال الذين استكبروا انا بالذي ءامنتم به كافرون)

حيث أن العدول في رد المستكبرين بهذا يدل علي أن العناد والطغيان منعهم من الإيمان لأن الجواب المطابق هو انا بما ارسل به كافرون لكن جاء عدولهم بالجواب الي قولهم (انا بالذي ءامنتم به كافرون)

للدلاله علي أن إرساله معلوم عندهم ومسلم به كما دل عليه قول المومنين فكانهم قالوا ليس إرساله معلوما مسلما عندنا وليس هناك إلا دعواه وايمانكم ونحن بما امنتم به كافرون فالمومنون فرعوا إيمانهم علي الارسال الغابت باليقين الجازم

والكفار فرعوا كفرهم علي ايمان المومنين فالايات فيها مدح المومنين علي الثبات والصمود علي الحق وإظهاره مع ضعفهم ودم الكفار علي رفع نفوسهم فوق قدرها وجحود هم الخالق

الأمر الثاني

تبيين النصوص أن قوم ثمود اجتمع فيهم الكبر ودناءه النفس وحقرتها وهذه الاوصاف كما يقول ابن القيم هي اصل الاخلاق المذمومه كلها ولهذا برغم الايه الحسيه التي جاءهم بها صالح رفضوا الانقياد للحق فالكبر يمنع صاحبه من قبول الحق ومنشاء هذا جهل الإنسان بربه وبنفسه فلو عرف ربه بصفات الكمال ونعوت الجلال وعرف نفسه بالنقائص لما تكبر وبالتالي يسهل عليه الانقياد ولهذا فانه اذا انهدم الكبر سهل عليه الانقياد فالفخر والبطر والعجب والحسد والخيلاء والقسوه والتجبر والاعراض وآباء قبول النصيحه وطلب العلو والرياسه والجاه كلها ناشئه من الكبر .. والايه ترسم لنا مظاهر التجبر والاعراض والتبجح والبغي والعتو من قبل قوم ثمود فإنها ترسم لنا اختيارهم استبدالهم الذي هو ادني بالذي هو خير بما يدل علي دناءه نفوسهم وحقارتها فهم برغم الايه الماديه التي جاءهم بها صالح فضلوا ايثار المعصيه علي الطاعه وفضلوا ايثار الجهل علي العلم وإيثار الدنيا علي الدين ولهذا أخبرنا الله أنه هداهم ولكنهم استحبوا العمي علي الهدى فقال تعالي في موضع آخر (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمي علي الهدى)

فقد استبان لهم الحق لكن لم ينتفعوا بما وهب الله لهم من عقول لأن القلوب ميته انصرفت الي الدنيا ولم يقوموا بأحياء قلوبهم بالعلم بعد الايمان فقد خدعتهم عقولهم فلم تبصرهم بعيوب أنفسهم ولهذا عتو عن أمر ربهم اي تجبروا عن اتباع الحق علوا في الباطل عتوا في الباطل وتركوا الحق وهو من قولهم جبار عات اذا كان عاليا في تجبره ولهذا كان العلم الذي وصل لقوم ثمود حجه عليهم يقول الامام المحاسبي وكل علم لا يصحبه ثلاثه اشياء فهو مزيد من الحجه كف الاذي بقطع الرغبه ووجود العمل بالخشيه وبذل الإنصاف بالتبازل والرحمه ولهذا فعلي الرغبه من البيئه التي جاءهم بها صالح من ربه وبما لايدع مجالا للشك الا أنهم لم ينتفعوا بهذا العلم لأن قلوبهم مشغوله بالباطل وحب الجاه والسلطان ولهذا فضلوا العمي علي الهدى فلم يتوقفوا عن تلبيه رغباتهم واهوائهم ولم يولد فيهم العلم الخشيه ولهذا اتبعوا القول العمل فعمقروا الناقه برغم أن صالح قد انذرهم بالوعيد الشديد أن هم مسوها باي سوء أن ياخذهم عذاب موجع

إلا أنهم لم يبالوا بأمر الله الذي نهاهم عن أن يمسوها بسوء وهو ادني شي من الاذي لكنهم تماردوا الي قتلها فقد اختاروا الادني. ملذات الدنيا علي الاخره وفضلوا العصيان علي الطاعه فعتوا عن أمر ربهم ولم يكتفوا بذلك بل تبجحوا بارتكاب الجريمة فصورت النصوص الشعور النفسي المصاحب للجريمه بالتحدي وطلب استعجال العذاب فقال تعالي (فعمقروا الناقه وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا أن كنت من المرسلين)

الأمر الثالث

نسب الفعل لهم جميعا فقال تعالي (فعمقروا الناقه وعتوا عن أمر ربهم...الخ

مع أن الذي عقر الناقه واحد منهم والمفسدين كانوا تسع رهطه كما أخبرنا الله في موضع آخر والسؤال لماذا نسب لهم الفعل كلهم

المفهوم الاول

عليك أن تدرك أن الذي يجمع الناس في استحقاق العقاب وسخط الله وغضبه هو الرضي بالمنكر لأن الراضي بـ المنكر كفاعله ومن لم ينهي عنه فهو راض عنه فالذي عقر الناقة واحد منهم ولذلك عمهم الله بالعذاب

المفهوم الثاني

تهدف الايه الي إيقاظ الامه لتقوم بدورها في تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر يقول لهم أن تخلي الـ مه عن دورها في القيام بهذه الأمر وسكوتها يعني أنها تعرض نفسها للخطر لأن الفتنة اذا هبت سوف تعصف بـ الجميع ولن تقتصر علي الذين ظلموا كما قال تعالي في موضع آخر (واتقوا فتنه لاتصبن الذين ظلموا منكم خاصه واعلموا أن الله شديد العقاب)

المفهوم الثالث

تذم الايه السلبيه والجمود في المواقف عند الناس حيث أن المجتمعات السلبيه تعني أن الناس يتاملون المنكرات ولا يتدخلون لتغييره فيقول كلا منهم ما دخلي ماشاني فهذه المجتمعات ميتة ومشاركه بالجريمه وان لم تفعلها ولهذا فإن

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دليل علي أن المجتمع نابضا بالحياه لانه اذا كان كذلك فإنه لن يقبل أن يري أحد أفراد غارق في المنكرات والمعاصي ولهذا سوف يقوم كل فرد بدوره في الأخذ بيد العاصي وتقويم سلوكه وإعادته الي الطريق المستقيم استشعار بمسؤوليته عن ذلك يشعر أنه أن سكت فهو شريك له في الجريمه

ثالثا

تنقل الايات لنا نهايه قوم ثمود فقال تعالي (فاخذتهم الرجفه فأصبحوا في دارهم جاثمين)

الأمر الأول

(وسيله العذاب في حق قوم ثمود)

الرجفه وهي الصيحه الواحده التي ليس لها من فوق فالرجفه من قول القائل رجفت فلان كذا يرجف فهو راجف وذلك إذا حركه وزعزعه فالصيحه زعزعتهم وحركتهم للهلاك فقد اهلكوا بالصيحه الواحده كما ورد في القرآن الكريم فقال تعالي في موضع آخر (فما ثمود فاهلكوا بالطاغيه)

اي بالصوت الشديد الذي جاوز القدر والشدة وطغي وارتفع فهلكوا كلهم

الأمر الثاني

ما علاقه هذه الوسيله الصيحه بقوله تعالي (فأصبحوا في دراهم جاثمين)

أن اهلاك قوم ثمود بصيحه واحده كما دلت الايه يعني أن اهلاكهم كان خاطفا ولهذا قال (فأصبحوا) اي لما سمعوا الصيحه رجفت قلوبهم فصاروا في دراهم جاثمين موتي لايتحركون اي أنهم عند ابتداء نزول العذاب هلكوا من غير اضطراب ولا حركه فكان التعبير بكلمه فأصبحوا مناسباً لوسيله الهلاك وهذا لأن ثمود كانوا ينحتون الجبال بيوتا فهم امنون حسب ظنهم من عوداي الزمان وتقلبيات الأجواء ولهذا تطاولوا منهم عقر الناقه فاتاهم

الله من حيث لم يحتسبوا وكانت وسيلة العذاب قادره علي أن تقضي عليهم وهم في أعماق بيوتهم المنحوتة في الجبال ولهذا جاء بصيغه الأفراد وليس الجمع فقال تعالى (فأصبحوا في دراهم جائمين)

ولم يقل في ديارهم فأراد بهذا بيان زوال الحضاره فسمي البلد التي اهلكوا فيها دار ولذلك وحد ولم يجمعها لأن ا لايه تتحدث عن الهلاك الخاطف لجميع قوم ثمود الذين ارتكبوا الجريمة والساكتون عليها وأنهم وقفوا عاجزين عن مقاومتها فالله تعالى يقول في موضع آخر (ففتوا عن أمر ربهم فاخذتهم الصاعقه وهم ينظرون فما استطعوا من قيام وما كانوا منتصرين)

اي أنهم سقطوا صرعي لايتحركون لانهم لااروح لهم فقد هلكوا بصوره خاطفه والعرب تقول للبارك علي الركبه جائم والجنوم هنا تعبير عن العجز عن الحركه مقابل اعتداهم مثلما عبر عن الرجفه مقابل العتو فالجزء من جنس العمل والايه مكيه والقصه قادره علي تحقيق الروح في قلوب كفار مكه لانهم يعرفون ما وصل إليه قوم ثمود فهم يمرون علي مساكنهم في رحلتهم الي الشام و لايستطيعون أن يزعموا أنهم في مثل قوه ثمود وما وصلوا إليه من العمران والهندسه والقوه وبالتالي فعليهم أن يأخذوا العظه والعبره من نهايه ما حل بقوم ثمود نتيجته تكذيبهم الرسول وعصيانهم وأمر الله وتكليفهم بالمستضعفين من المومنين والا كانت النتيجه واحده لتشابه السبيلين في الضلال

رابعا

تنقل الآيات موقف صالح عليه السلام بعد هلاك قومه فقال تعالى (فتولي عنهم)

اي تركهم جائمين موتي بعد أن هلكوا بالصيحه (وقال يا قوم لقد ابلغتكم رساله ربي ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين)

فيه تقرير من صالح لقومه بعدما اهلكهم الله عن مخالفتهم وتمردهم علي الله وأعراضهم عن الهدى الي العمي وهذا فيه

أن الموتى تسمع الاحياء كما ورد في شأن قتلي كفار قريش في بدر عندما نادهم الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه أن هناك عذاب في البرزخ والا كيف لصالح أن يخاطب قومه وهم موتي لو كان الإنسان لايعذب في البرزخ

وايضا هذا فيه الأشهاد علي امانه التبليغ والبراءه من المكذبين والمصير الذي استحقوه لأنفسهم بالعناد والكبر وا لانانية ودناءه النفس وحقارتها لانهم لم يقبلوا النصيحه لأن نفوسهم متعلقه بالدنيا ومتاعها فما حل بهم عائدا الي خسه نفوسهم

القصه الرابعه

قال تعالى (ولوطا إذ قال لقومه اتاتون الفاحشه ما سبقكم بها من أحد من العالمين انكم لتاتون الرجال شهوه من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اخرجوهم من قريبتكم أنهم أناس يتطهرون فانجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبه المجرمين)

اولا:

الملاحظ أن القصة ورد فيها حذف كلمه وارسلنا وحذف توحيد العباده وهذا للعلم به من الآيات قبله ومما ذكر في غير هذه السوره اي وارسلناه في الوقت الذي أنكر

علي قومه ما هم فيه من شذوذ جنسي ولم يقل أخاهم لانه لم يكن من البيئه التي أرسل إليها فهو ابن اخ ابراهيم عليه السلام وقد عاش فيهم بعد أن ترك قومه هروبا بدينه ولهذا فهم قومه لانه مكث فيهم فتره طويله فهم يعرفونه

والملاحظ أن هذه القصص لم تتعرض لقصة ابراهيم مع قومه فهذا يعود لأن القصة تتناول سنه الله في الاستخلا ف واهلاك كل من خرج عن طاعه امتدادا لقوله تعالي في مقدمه السوره (وكم من قريه اهلكناها فجاءها باسنا بيانا أو هم قائلون ..) وقوم ابراهيم لم يهلكوا

واحداث هذه القصة تدور في منطقه سدروم في الشام في البحر الميت حاليا حيث أن أهل هذه المدينه كانوا قد وصلوا إلى الرخاء والرفاهية والتمدن مافسده فطرتهم فنتج عن ذلك الشذوذ الجنسي فماذا كانت دعوه لوطا لقومه قال تعالي (ولوطا إذ قال لقومه اتاتون الفاحشه ما سبقكم بها من أحد من العالمين)

وهذا فيه الآتي

المفهوم الاول

تبين النصوص اهميه انتقاء الألفاظ والعبارات القادره علي تحقيق الغرض عند مخاطبه الآخرين ودعوتهم الي الايمان وكذلك إنكار المنكر ولهذا نجد أن لوط ابتدا في مخاطبة قومه بتوجيه سوال (اتاتون الفاحشه ما سبقكم بها من أحد من العالمين)

فلم يقل أن الله ينهاكم عن هذه الجريمة القدره وهي اتيان الرجال في ادبارهم

برغم بشاعه الجريمة ولكنه استعمل الاستفهام الانكاري يخاطب فيها العقول والفطره بأسلوب استفهام انكاري وهو قادر علي إيصال التقرير والتوبيخ وتحقيق الغرض يقول لهم أن هذه العمليه قدره ولهذا كني العمل الذي يقومون به بالآتيان وسماها فاحشه اي البالغه أقصى درجات القبح الذي لم يسبق أن قام بها أحد من العالمين قبلكم فهم من اخترعوا وابتدعوا هذه الجريمة الشنعاء

المفهوم الثاني

الفرق بين الزني واللوط

ذهب البعض للقول إن اللوط كالزني واستدلوا بقوله تعالي (ولاتقربوا الزنا أنه كان فاحشه) فاعتبروا أن لفظه فاحشه الوراده هنا في قوله (ولوطا إذ قال لقومه اتاتون الفاحشه ما سبقكم بها من أحد من العالمين) أنها هي نفس الفاحشه

وهذا القول غير سليم لأن الزني يعني الخروج عن منهج الله أي انحراف شرعي

لأن الله حدد المنهج الذي يكون فيه قضاء الشهوة بأن يكون عن طريق الزواج الشرعي وبقصد الانجاب فالإنسان له ثلاث قوي العقل والشهوه والغضب فالكفر يفسد قوه العقل والقتل يفسد قوه الغضب لانه يفسد النفس الموجودة والزنا اعتدي وفساد في القوه الشهوانيه لأن قوام النوع بالنكاح والنسل ولهذا فهو إفساد في صفه الوجود لا في أصله ومن هنا يتبين أن اللوط أعظم فسادا من الزنا

لأن الزنا انحراف في الطريق الذي رسمه الله لبقاء النوع البشري

فالاصل أن المراه خلقت لأجل الرجل والرجل للمراه لأن عالم المخلوقات يبدأ بالافتقار فكل واحد يحتاج للآخر فكلا منهما يكمل الآخر فالرجل محتاج المراه والمراه تحتاج الرجل ولهذا فإن الزنا يعني انحراف في الطريق

أما اللوط فهو مخالف للفطره والمنهج لانه يسلك طريقا قدرا

ولهذا جاء بعدها (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) فيه أفاده الاستغراق من العالمين أي اجتماع جميع أفراد العالمين كلهم (بني آدم_والخيوونات_والطيور والحشرات والنبات) علي تحاشي هذه الفاحشة ولهذا قال بعدها (انكم لتاتون الرجال شهوه من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون)

يعني خالفتم المنهج وخالفتم الفطره السويه للاتي

الأمر الأول

(أن الحق خلق الماده وقرين الماده)

ف الله تعالى يقول في موضع آخر (ياايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثي...الخ

وقال تعالى (وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفه اذا تمنى)

وقال تعالى (وقلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) وحتى النبات فقد قال تعالى

(ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) فالإنسان والحيوان والنبات خلقوا جميعا في صورته ذكر وانثي بل إن كل شي حتي الجماد له صورتان ذكر وانثي ف الله سبحانه وتعالى يقول (ومن كل شي خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)

وهذا ما أكدته العلم الحديث ان كل شي له ذرات موجبه الشحنة وذرات سالبه الشحنة وان الموجب يتنافر مع الموجب وكذلك السالب مع السالب يتنافر اي لايمكن أن يتحدان وأنه لا يحصل الاتحاد والجاذبيه الا بين الذرات الموجبه والسالبه ف الله قد خلق كل شي في صورته ذكر وانثي

ولهذا فإن جميع المخلوقات لاتشذ فأنت لاتري كلبا يمارس الجنس مع كلب ذكر مستحيل بل يقضي شهواته مع انثي وهم حيوانات ولهذا قال تعالى (ما سبقكم بها من أحد من العالمين)

ثم فسر ذلك بالفاظ التأكيد بقوله (انكم لتاتون الرجال شهوه من دون النساء) اكد خروجهم عن سنه الخلق

بفعلتهم النكراء بأن وباللام (لتاتون) أنهم يضعون الشهوه فيهم (الرجال) ما يوضع في النساء وعبر بالرجال لبيان مخالفه الفطره فوضع ماهو للنساء في الرجال وهذه شناعه لاحدود لها وهذا خروج عن الفطره التي خلقت عليها المخلوقات كلها

الامر الثاني

استعمل صيغه مبالغه في التوبيخ بقوله (شهو) لأن الشهوه خلقت في الإنسان لأجل بقاء النوع الإنساني و التناسل

فالاصل أن الداعي الي المباشره طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوه ولهذا سجل عليهم انهم يبتغون الشهوه وحدها وفوق ذلك فهم خالفوا غريزه الذكوره التي تطلب الإناث فدل هذا أنه وصل بهم الانحطاط الي أقل منزله من الحيوانات.

فالحيوانات لاتطلب الا الإناث ولهذا قال تعالي (بل أنتم قوم مسرفون)

اضراب عن إنكار ماهم عليهم الي الاخبار باحوالهم التي أدت الي اقبالهم علي هذه الفعله الشنيعه أنهم قوم اعتادوا علي تجاوز الحد في كل شي

فالشاذ قد جمع خصلتين مذمومتان انحراف في الفطره والغريزه التي أوجدت في المخلوقات كلها وانحراف عن المنهج الذي رسم للإنسان طريق قضاء الشهوه بينما الزنا انحراف شرعي عن المنهج الذي يميز فيه بقاء النوع الإنساني بأن يكون امتداد النسل عن طريق الزواج الشرعي وبالتالي فإن الزاني هو الذي يخرج عن الطريق الذي رسمه الشرع لقضاء الشهوه ولهذا فإن الشذوذ أعظم فسادا من الزني لأن الشذوذ خالف الفطره وتوجه الي مكان قدر مكان ليس مكانا لقضاء الشهوه ولا فيه حرث ولانسل ولهذا قال تعالي (بل أنتم قوم مسرفون)

اكذ خروجهم عن الفطره بفعلتهم النكراء بأن وباللام لتاتون أنهم يضعون الشهوه فيهم الرجال ما يوضع في النساء وعبر بالرجال لبيان مخالفه الفطره فوضع ماهو للنساء في الرجال وهذه شناعه لاحدود لها فيه خروج عن الفطره التي خلقت عليها المخلوقات كلها واستعمل صيغه مبالغه في التوبيخ بقوله شهوه لأن الشهوه خلقت لأجل بقاء النوع الإنساني والتناسل فالاصل أن الداعي إلى المباشره طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الشهوه ولهذا سجل عليهم انهم يبتغون الشهوه وحدها وفوق ذلك فهم خالفوا غريزه الذكوره التي تطلب الإناث فدل هذا أنه وصل بهم الانحطاط الي أقل من منزله من الحيوانات والبهائم فالحيوانات لاتطلب الا الإناث ولهذا قال تعالي (بل أنتم قوم مسرفون)

اضراب عن الإنكار المذكور الي الاخبار باحوالهم التي أدت اقبالهم علي هذه الفعله الشنيعه أنهم قوم اعتادوا على تجاوز الحد في كل شي اسرفوا في باب قضاء الشهوه وتجاوزوا الحدود الي غيرها تجاوز الفطره السويه فهناك فرق بين العاص والمسرف لأن المراه خلقت للرجل ومن الطبيعي أن الإنسان لا يطلب الا الإناث

وهو يشترك في هذه الرغبه الجنسيه وهذا الطريق هو والحيوانات لكن الذي يميز الإنسان أنه ارقى في علاقته الجنسيه فهو يسلك طريق الزواج في قضاء الشهوه

ولهذا فإن الشاذ قد خالف الفطره السويه وخالف المنهج نتيجته الاسراف ولهذا يقول الحق في سوره الشعراء (بل

أنتم قوم عادون) ويقول في النمل (بل أنتم قوم تجهلون)

فهم مسرفون في جميع أعمالهم ولا يقفون عند حدود الاعتدال ولهذا فإن اسرافهم جعلهم بهذا الفعل يقتلون ذكوره الذكور ويفتلون الانسانيه ويعتدون علي كرامتها وهذا من افطع انواع العدوان وكذلك فإنهم يتعدون حدود العقل والفطره ولا يعقلون ضرر ما يفعلونه لحياتهم علي النسل والصحه

فاذا كانت الحشرات والحيوانات مجردة من الاراده والعقل ومع ذلك فهي تستعمل قوه الشهوه في بقاء النوع وليس لاجل قضاء الشهوه فقد علم الله سبحانه هذه الكائنات كيف تحافظ علي بقاء النوع حتي لا يحصل لها الا نقرض فنحن لو تأملنا الي كيف تقضي الحيوانات والنبات والحشرات غريزه الشهوه التي اودعها الله فيها نجد انها تتجه بها نحو حفظ نوعها وقد ذكر الدكتور جمال الدين افندي مثلا يظهر التعقيدات الطرفيه في هذا الكون عن العلاقات التوافقية الاضطراريه بين الاشياء فحرب مثلا للعلاقه الموجوده بين فراشه اليوكا ونبات اليوكا وهو احد النباتات الزنبقيه يقول الدكتور جمال (فزهرة اليوكا تتدلي الي اسفل ويكون عضو التانيث فيها اكر انخفاضا عن عضو التذكير او السداه اما الميسم وهو الجزء من الزهره الذي يتلقي حبوب التلقيح فانه يكون علي شكل الكاس وهو موضوع بطريقه يستحيل معها ان تسقط فيه حبوب اللقاح ولا بد ان تنتقل هذه الحبوب بواسطه فراشه اليوكا التي يبدأ عملها بعد مغيب الشمس فتجمع كميه من حبوب اللقاح من متك الازهار التي تزورها وتحفظها في فمها الذي بني بطريقه خاصه لاداء هذا العمل ثم تطير الفراشه الي نبات اخر من نفس النوع وتثقب مبيضا بجهاز خاص في موخره جسمها ينتهي بطرف مدبب يشبه الابره وينزل منها البيض وتضع الفراشه بيضه او اكثر ثم تزحف الي اسفل الزهره حتي تصل الي القلم وهناك تترك ماجمعته من حبوب اللقاح علي صوره كره فوق ميسم الزهره وينتج النبات عدد كبير من الحبوب يستخدم بعضها طعاما ليراقه الفراشه وينضج بعضها كي يواصل دوره الحياه)

فاذا كانت الحشرات والتبات لديها غرائز تستخدمها لحفظ نوعها وفقا للنظام الذي حدده لها الخالق فان علاقتها تنبع عن النظام لا الفوضي وبالتالي كيف لهذا الانسان العاقل ان يخرج عن الفطره وعن النظام وهو العاقل الذي ميزه الله علي سائر المخلوقات

ولهذا فإن معركه هولاء مع العلم والفطره والإنسانية ولذلك تجد دعاه المثليين جنسيا اليوم يحاولون تسويق ثقافه الجهل والتجهيل لتبرير هذه الجريمه من خلال نظريات فلسفيه يهدفون فيها إلي أن يرتاح المنحرفون الشوذ من تأنيب الضمير فزعموا أن الشاذ جنسيا هو أمر بيولوجي في تكوينه واصل خلقه

فاعلم أن هذا القول من اسلحه الباطل الذين يريدون أن يبدلوا الفطره ويطمسوا معالمها ليكون الشوذ مقبولا عند الناس فاللازم أن تحافظ علي مفاهيم الفطره ولا تقبل هذه المحاولات لانه يستحيل علي الخالق سبحانه وتعالى أن يوجد في الإنسان شوذ ثم يحاسبه علي ذلك بالخلود في جهنم عليك أن تقف ضد هذا الانحلال الذي تجاوز الاخلاق المذمومه الي الانحراف عن الفطره فانتبه أن تتأثر بدعوه الإلحاد والكفر التي تعتبر الشوذ من حقوق الإنسان فإن هذه الدعوات تقتل الانسانيه وتقتضي علي الادميه وهي دعوات كافره من وافقهم فيها فإنه يخرج عن المله

المفهوم الثالث

تبين النصوص نهايه كل من يعيش بلا هدف في الحياه بأنه مهما بلغ من الرفاهيه فإنه لا يجد السعاده التي يبحث

عنها ولهذا تنقل لنا الآيات صورته لما وصل إليه أهل سدروم الذين كانوا يعيشون في رخاء مادي وتمدن ورفاهيه فقد أقاموا الانديه كما تصف الآيات في مواضع أخرى لأجل الترفيه علي النفس لقد كانوا يمتلكون أموال طائلة واثرياء وأهل غني فاحش فهل وجدوا السعاده ؟

ترسم لنا الايه كيف أن غياب الهدف الذي يقنع العقل ويشبع اشواق العاطفه

عن الناس ينحرف فيه الإنسان عن الفطره فإن الإنسان حينها يفقد ادميته وينحط إلي مستوي ادني من البهائم والحشرات في مسيرته البحث عن ما يشبع رغباته وشهواته ومن هنا فإنه يمل قضاء الشهوه في طريقه السليم ويكون الانحراف نتيجة البحث عن الجديد الذي يشبع رغباته وشهواته والعالم اليوم يرسم صورته مشابهه لما وصل إليه قوم لوط خاصه في المجتمعات الغنيه حيث أن عمليه البحث عن الكيف والجديد في عالم الجنس قد اوصل الناس الي حال يستحي الشريف أن يتحدث عن ذلك لبشاعه أحوال الكثيرون

ولهذا لاتستغرب هذا الشذوذ الجنسي الذي يبحث عن أماكن القذره لقضاء الشهوه فهو من الموكد ليس امتع من لذه المراه ولكن عندما يعيش الانسان بلاهدف للحياه فإنه يمل من الوضع الطبيعي ويبحث عن كل شي جديد وغريب

فهو لايجد طعم الحياه مهما بلغت مرتبته في العلم والمال والجاه فهو لايجد طعم الحياه يبقي باحثا عن كل جديد وغريب يريد أن يذوق طعم اللذه ومن هنا لاتستغرب أن تري منه هذا الانحراف والشذوذ عن الفطره

أما المومن فإنه يعيش لله يعيش لأجل أن يعمل الأعمال الصالحه ولهذا فإنه يجد لذاته في طاعه الله فهو يفرح بـ الطاعه والأعمال الصالحه ولهذا فإن صلاح الشعوب هو بالعوده الي الله تعالي وامتنال منهجه تعالي

ثانيا

تنتقل النصوص الي بيان ما انتهى إليه الحوار الطويل بين لوط وقومه فقال تعالي (فما كان جواب قومه إلا أن قـ الوالوا اخرجوهم من قريبتكم أنهم أناس يتطهرون)

المفهوم الاول

أن علي الداعيه أن يتحمل المسؤولية فلا يتقاعس عن القيام بواجبه في الدعوه

فلا تكون الأحوال المزريه التي تعيشها المجتمعات سببا للتخلي عن دورك والقاء اللوم علي الآخرين أو التعلل بنظريه المومره كما هو حال الكثيرون اليوم حيث وأن المتأمل لحال قوم لوط يجد ان أزمتهم كانت كبيره جدا فلو وضعت نفسك مكان نبي لوط عليه السلام انك كلفت لدعوه قوم مثل هولاء القوم فأنت حينها لابد أن تنظر إلي ما فيهم من علل لابد أنك عندما تري تلك الأوضاع المزريه من الموكد أن النتيجة هي الشعور بالاسي لماهم عليه لابد أنك سوف تقف حائرا لاتعرف من اين تبدأ ولا ماذا تفعل ولا كيف تواجهه هذا الواقع المولم خاصه وانك تواجهه برده فعل عنيفه كلما حاولت أن تحرك المياه الراكده تحاول أن تبحث عن بقايا جذوه نار بين الرماد المبعثره لتبعث فيهم الحياه فلا تجد إلا رمادا لانار فيه

فما الذي ستفعله لو كنت مقام لوط وانت تواجهه بهذه التحديات والعقبات التي تعترض طريق دعوته ان تصاب بـ الاحباط وتفقد الامل من تغيير أحوالهم التي وصفها لوط (بل أنتم قوم مسرفون) بهذا الإضراب الانكاري الذي

تحول الي الاخبار باحوالهم بأنهم مسرفون في كل شي فدللت الجملة هنا ككره انزعاج لوط لحال قومه . ومع ذلك تحمل لوط المسووليه ووقفا ثابتا ولم يسمح للأسف والانزعاج أن يسيطر عليه وهو يري القوم غارقون في الرذيله التي ابتدعوها واخترعوها رذيله قبيحه بل ظل ثابتا متحملا المسووليه يقول الامام الشوكاني في فتح القدير بشأن قوله تعالى (فما كان جواب قومه) أن التكرار لهذه الجملة في الموضع الثالثه من سوره النمل و العنكبوت والأعراف تبين أن لوطا كان ثابتا علي الإرشاد ومكررا للنهي لهم والوعيد وبعد ذلك قالوا هذه الجملة (فما كان جواب قومه)

استثناء مفرع من أعم الأشياء وليس المراد أنهم لم يصدر منهم غير هذا الجواب علي محاوراته معهم إلا هذه المقاله الباطله كما هو المتسارع الي الافهام بل المراد أنه لم يصدر عنهم في المره الاخره الا هذه المقاله

المفهوم الثاني

أن معركه الباطل منذ الأزل يتوجه الي تشويه الفطره وطمس معالمها لأجل أن تقبل الفساد ولهذا فإن الانبياء يستهدفون بدعوتهم الفطره لازاله ما علق بها من اوساخ فالفطره إذا سلمت من التلوث فإنها تعرف الحق وتحبه

ولهذا تنقل لنا الآيات مظاهر فساد الفطره لدي هولاء فذكر تعالى أن جوابهم في اخر مره هو (إلا أن قالوا اخرجوهم من قريبتكم أنهم أناس يتطهرون)

لماذا يريدون أن يخرجوا لوط والمومنين من المدينه ؟

لأنهم أناس يتطهرون ؟

لقد عابوهم بهذه الخصله الحميده انظر كيف أفسدت الجاهليه ثقافه هولاء وفطرتهم وغيرت معيار القبول بالآ خر..أمروا باخراجهم لأنهم حريصون علي النظافه فهم لا يريدون أن يبقى في المدينه الا الملوثون

وهذه هي صفات الفاسدون في كل زمان يكرهون الرجال الطاهرين لأن وجودهم يظهر قذرات القذرين يظهر نجاسه الانجاس

فهذه هي حال الجاهليه في كل زمان فمنطق الجاهلية اليوم هو نفس منطق جاهليه الامس بل ربما أقبح فقوم لوط قالوا اخرجوهم لأنهم يتخرجون من فعل ما تفعلونه ومن اقراراكم عليه علي صنيعتكم فاخرجوهم من بين اظهركم فإنهم لا يصلحون لمجاورتكم في بلادكم فعزموا علي ذلك فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها بينما جاهليه اليوم أقبح فاي انسان يعيش في الغرب امريكا وكندا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا....لا يتجرا أن ينتقد المثليين ولو حصل انتقاد لأفعالهم التي تمارس علنا وتشريعات أقرتها الدول الغربيه بل فيهم من وصل إلي مركز القيادة في تلك الدول فإن رده الفعل لكل من ينتقد أفعالهم سوف تقابل بالاجراءات الصارمه والطرده من تلك الدول ومنع دخولك لها مره اخري تحت شعار حمايه الإنسان وحرية الشخصيه بينما لو أن قام شخص باحتقار ا لأديان وسب الانبياء فلا يتجرا أحد أن يعترض عليهم ولك أن تقارن بين ذلك لتري ان منطق الجاهلية في الزمن الغابر هي نفس منطق جاهليه هذا الزمان

كلاهما يحمي القذره ويمنع إزالتها ولهذا عابوا علي لوط وأهله أنهم قوم يتطهرون

ثالثا

بينت الايه السابقه أن دور المومن في ازاله النجاسه عن المجتمع أمر واجب علي المسلمين

فليس المراد من التشخيص للداء أن تقف موقف من يحلل الأحداث ولايقوم بأي عمل ملموس ولهذا بعد ذكر تشخيص لوط للاسراف الذي اعتاده قومه مبينا أنه صار أمر مألوف عندهم تلك الأفعال الشنيعه لم يتوقف عند هذا الحد بل كان له مواقف وأعمال ملموسه بالدعوه والإرشاد والنهي ولهذا جاء الإيجاز القرآني علي طريقته البلاغيه فقال تعالي (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اخروجهم من قريبتكم أنهم أناس يتطهرون)

فما الذي خوف القوم منهم ما الشئ الذي عابوه أنه الأعمال المملوسه المعبره عن موقف لوط في محاربه مفسد قومه بأعمال علي الارض لقد لاحظ القوم أن لوط

تركيز لوط علي تنظيف نفسه وتوسع الي من يستطيع التأثير عليهم بدرجه أولي

لأن طبيعه المومن طاهر هذه هي صوره المومن الحقيقيه هو نظيف في بدنه وسلوكه وظاهره وباطنه عليك أن تحرص علي أن تكون طاهرا علي الدوام فاللازم أن تنظف نفسك من الاوساخ فالطهاره تعني رفع الحدث وازاله النجاسه يقال طهر المياه اي نقاه ونظفه من النجاسه قال تعالي (وثيابك فطهر والرجز فاجهر) بمعني طهر ونظف ثيابك من الاوساخ وطهر روحك من الذنوب والمعاصي

فلوط كان الي جانب اهتمامه بإرشاد الآخرين وتقديم النصح لهم لكنه لم يهمل أن يركز علي يستطيع أن يسيطر عليهم وان يوتر فيهم بدرجه أولي ولايعني هذا أن لا يهتم بالآخرين ولكن الالويه هنا تكمن في الذين يسيطر عليهم ومن هم قابلين للتأثير ولهذا قال تعالي (فانجيناه وأهله الا امرأته كانت من الغابرين وامطرتنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبه المجرمين)

١

فدل هذا أن لوط لم يومن به إلا أقاربه وهم أبناءه وبناته ولهذا يأتي الاستثناء (الا امرأته كانت من الغابرين) وقال تعالي في موضع آخر (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)

٢

فامراه لم تخن لوطا بالزنا أو غيره قطعا ولكن أقرت قومها علي فعلهم وخانتهم بالكفر واخبرت قومها عن اضياف لوط وهذه خيانتها

٣

عليك أن الإنتباه من التعاطف مع العصاه وأهل الكفر والشرك او التغافل عن معصيه فلا تنكرها ولو كنت تشاهد فيلم او مسلسل سينمائي كما هو حاصل في الافلام الاجنبيه والهنديه التي تحاول تصوير المسلمين بأنهم مجرمون وترسم صورته جميله للهندوس في معركتهم مع المسلمين تصور الهندوس أنهم أصحاب اخلاق وابطال لتجذب مشاعرك وعواطفك مع بطل الفلم وكذلك فإن بعض الافلام حتي العربيه منها تحاول تصوير المعصيه انها بطوله فإن انصراف عاطفتك مع الكفار أو حتي مع العصاه يجعلك مشاركا لهم في الجريمه وان لم تحضرها لأن من غاب عن معصيه فاقرها كمن شهدها ومن اشهد معصيه فانكرها كان كمن غاب عنها

ولهذا يخبرنا الله أن زوجه لوط كانت من الهالكين مع انها لم ترتكب ما ارتكبوا من فاحشه وليس لها مصلحة أن يكون زوجها متنزها عن جريمه اللوط لأنها امراه ومن مصلحتها نظافه زوجها عن قذره القوم فما الذي جعلها من الغابرين اي الهالكين اي المنقضي بالفناء والهلاك... لقد تعاطفت مع قومها لقد تغافلت عن المعاصي فصارت في العقاب من ضمن الهالكين الذين ارتكبوا الجريمه ولم ينفعها صله القرابه بنبي الله لوط عليه السلام

رابعاً

(وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبه المجرمين)

انه بالوقوف علي حروف كلمات الجمل (وامطرنا عليهم مطرا)

تري بلاغه القران الكريم وإبداعه العجيب في رسمه للصوره التي تحكي نهايه قوم لوط الذين كانوا يرفضون النظافه يرفضون الطهاره ويريدون بقاء النجاسه في مجتمعهم وقد هموا بإخراج لوط وأهله لانهم من سدروم لا نهم قوم يتطهرون ينقون أنفسهم واجسادهم من الاوساخ والنجاحات

ولهذا جاء مناسباً قوله تعالي (وامطرنا عليهم مطرا) لقد كان تنظيف الأرض من هذه النجاسه والوحل والوساخ التي طالما تفاخروا بها ورفضوا إزالتها عن أنفسهم بان امطرهم الله بالعذاب النازل من السماء فكان الجزء من جنس العمل

ولهذا يقول بعدها (فانظر كيف كان عاقبه المجرمين)

الأمر بالنظر الي نهايه المجرمين دعوه للسير في الأرض واكتشاف مافيه من سنن يهدف أن يلفت انتباهك أن كل شي في الحياه يحكمها سنن ونظام واقدار وهذه السنن ثابتة لاتحابي أحد ولهذا فإن المسلم بحاجه الي أمرين معرفه هذه السنن لأن الاستدلال علي اطرادها يتاتي من هذه المعرفه وهذه المعرفه هي من الوحي

ولانه لاسبيل النهضه والبناء الحضاري الا بالوقايه من الازمات ولهذا فإن الحاجه الي استعياب السنن وفهمها أمرا ضروريا ولذلك فإن التحقق بفاعليه السنن إنما يتم من خلال السير في الأرض والتوغل في تاريخ الشعوب وتاريخ النبوه وملاحظه قوانين سقوط ونهوض الحضارات ولهذا بعد أن حكي الحق قصه قوم لوط قال تعالي(فانظر كيف كان عاقبه المجرمين) فالسير في الأرض مهم لاكتشاف هذه السنن يزودك بأسباب السقوط و النهوض للحضارات ويعطيك الفقه بكيفيه التعامل مع الأزمات وكيفيه تجاوزها ولهذا فإن الامه اليوم مطلوب منها لاستعادته دورها وفاعليتها أن تستدعي معرفه الوحي واستصحابه كدليل عمل وبوصله هدايه لكيفيه التعامل مع مسيره الحياه لمعرفه مواطن الخلل واستبانه أسبابها وإيجاد العلاج للخروج من الازمات

فمن ينظر حال المسلمون اليوم يري أن أوضاعهم بين سوء التشخيص للداء أو الرضا بالعلل او وجود التشخيص السليم لكن لا يضعون العلاج المناسب القادر علي اخراج الامه مما هي فيه

أن الملاحظ اليوم أن استدعاء التجارب الإنسانية في مجتمعنا ليس لاكتشاف مواطن الخلل واستشرافها قبل وقوعها للحيلولة دونها أو التخفيف والحد من آثار الأزمات وانما لطلب الفتى وخلق الأزمات في المجتمعات استدعاء أزمات تاريخيه ماضيه وايقاظ فتى نائمه لها اكثر من الف وثلاثمائة سنه استدعاء ليس لاخذ الدروس و العبر ومعرفه السنن التي تتجاوز أزمات جديده وانما تهدف إلي اشاعه الفوضى واسالت الدماء هكذا ينظر اغلب

ربان وقاده اغلب مذاهب وحركات العمل الإسلامي الي التاريخ والأحداث لماذا؟

لأن المسلم أضع بوصله معرفه الوحي وتنزيله علي الواقع نتيجه الفهم المحزن والسقيم للوحي الذي منحنا فقه السنن وقدم لنا نماذج للتدريب والاعتداء فهو تعالي يقول لنبيه (فانظر كيف كان عاقبه المجرمين)

إن المسلمون اليوم بحاجة الي فهم فقه السنن بحاجه الي منهج السنن فغيا به عن عقل المسلم اليوم أوقع علماؤنا في التيه وساعد في خبال الامه وتخلفها وبروز صور التعدين المغشوش والانسحاب من الدنيا او المروق من الدين شاهدنا من اعتبر سفك الدماء سبيلا للدعوه الي الله شاهدنا من أباح دماء المسلمين باسم الإسلام ارضاء للحكام شاهدنا من حول الاسلام الي القاب يتمترس وراءها صارت مهمتهم خلق الأزمات والمشاكل في المجتمع المسلم بدل المساعدة في إنهاء معاناه الامه بدل مواجهه أعداء الإسلام والمعركة الشرسه الموجهه ضد المسلمين شاهدنا من يقف في صف الأعداء ويصدر الفتاوي باسم الإسلام

أن معرفه السنن وفقه التحولات يتطلب أن تفتح منافذ التفكير ولهذا يقول الحق لنبيه (فانظر كيف كان عاقبه المجرمين)

لتعرف الأسباب والعوامل الكامنه وراء كل ازمه فالعمليه تتطلب دراسه تحتاج استبانه مواطن الخلل والتقصير ف لا يكون ردك عفوي اذا وجهت ازمه مشابهه بل قائما علي علي دراسه وتأمل واستشعار التحدي فهمه

فالامر بالنظر بعد ذكر القصة يعني أنك بحاجه الي الادوات التي تقرأ بها الأحداث فالوحي دليل عمل لكن ذلك يتطلب منك توفير الادوات التي تجعل العقل قادرا علي القيام بدوره ووظيفته في الاجتهاد وتنزيل معرفه الوحي علي واقع الناس ونوازلهم من خلال المنهج السنني في ضوء الاستطاعات المتوفره والظروف المحيطة والخلوص من ذهنيه التخلف والعجز

القصة الخامسه

(والي مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءكم بينه من ربكم فافوا الكيل و الميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مومنين ولا تتعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكركم وانظروا كيف كان عاقبه المفسدين وان كانت طائفه منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفه لم يؤمنوا فاصبروا حتي يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين

قال المأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أو لو كنا كارهين قد افترينا علي الله كذبا أن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شي علما علي الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير. الفاتحين وقال المأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفه فأصبحوا في دراهم جائمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرون فتولي عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف اسي علي قوم كافرين)

اولا

الايه (والي مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءكم بينه من ربكم فافوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مومنين)

المبحث الأول

يحكي لنا الحق قصه شعب مدين الذين أرسل الله إليهم شعيبا عليه السلام

فمن هم أهل مدين ؟

شعب مدين قبيله تسكن قرب معان الاردن وقد ذهب البعض للقول إن الاسم يراد به بنو مدين بن ابراهيم وهذا ما ذكره الالوسي بان مدين بن ابراهيم عليه السلام تزوج من ابنة لوط عليه السلام وسكن هذه البقعة من الأرض وقد سميت قبيله مدين بهذا الاسم والمراد به بنو مدين كما يقال مضر والمراد بنو مضر

والرأي الثاني أنه اسم مدينتهم فنسبوا إليها .. وشعيب أخاهم في النسب ومنهم هذه القبيله وهو نبي من أنبياء العرب أرسله الله الي أهل مدين والي أصحاب الايكة فالاسم عربي (شعيب) وقد ورد في التوراه اسم عم موسى عليه السلام المذكور في القران أن موسى تزوج أحدي ابنته رعوثيل اي رع :صديق وثيل الله

بمعني صديق الله اي الصادق في عبادته طبعاً هو شخص آخر غير شعيب نبي الله

المبحث الثاني

ماهي حضاره قوم مدين ومعاصيهم ؟

مشكله هولاء القوم هي فساد ذات طابع اقتصادي واجتماعي وسياسي حيث يبدوا أنه كانت ثمه حضاره تجاريه قامت علي هذه الأرض بلغت فيها التجاره مبلغاً من اتساع رقعته التعاملات التجاريه وتبادل السلع التجاريه وصارت هذه الأرض لها تأثير علي غيرها من الأمم لأنها تمتلك قوه المال وكانوا أهل علم بفنون التجاره والبيع و الشراء فحصل انحراف منهم فقد استغلوا حضارتهم تلك في الافساد بالأرض بالغش والظلم والتطيفي بحثاً عن المكسب المادي ولهذا أرسل الله إليهم شعيباً فقال تعالي (والي مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءكم بينه من ربكم فافوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مومنين)

الأمر الأول

لماذا سماه أخاهم ؟ في حين ذكر القران نداءه لأصحاب الايكة بدون هذه القرابه كما ورد في قوله تعالي (كذب أصحاب الايكة المرسلين إذ قال شعيب ... الخ

والمراد بهذا أنه أخاهم في النسب فهم يعرفونه ويانسون به فليس غريباً عنهم فمن فقد أخاه يفقد القوه ولا يعني هذا أن أصحاب الايكة لم يكونوا من نفس القبيله لأن القول بذلك يتعارض مع سنه ارسال الرسل في فتره الطفوله البشريه التي كان ارسال الرسل بلسان قومه لأجل أن يحصل البيان فقال تعالي (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه... الخ

فشرط أن يكون الرسول من القوم المرسل إليهم مهم وأساسي

سواء كان منهم من حيث صله الدم والنسب أو منهم مقيم في القبيله يعرفهم ويعرف امراضهم ويانس بهم ويانسون به كما هو حال لوط فهو لم يكن يتصل بهم بصله نسب ولكنه كان يعيش بينهم يشعر

فهذا لأن أصحاب الايكه الجزء الاخر من قبيله مدين البدو كانوا يعبدون الشجره فهم اضافه الي امراض فساد التعامل بالتطيف بالكيل والميزان والبخس والافساد في الأرض التي اتصفت مدين الحضر فقد كانوا فوق ذلك مشركين بعباده الشجره ولهذا لم يقل أخاهم تنزيها له وإلا فهم جزء من قبيله مدين التي شكلت مدين الشق المتحضر بينما الايكه هم البدو

الأمر الثاني

تبين النصوص أن الأساس الذي انطلق منه شعيب في دعوته قومه هي من التوحيد (ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءكم بينه من ربكم)

اي من أفراد العبوديه لله فهذا الأصل الذي انطلق منه وربط به جميع الأحكام بعدها... فافكاره التي يريد من الناس أن يأخذوا بها هي فكره التوحيد بحيث تكون كل حركه تتحركها تتجه بها الي الله تعالي العباده بالمعني الشامل

فهو يريد إقناعهم بما يدعوهم اليه انهم يعبدون الله في الالتزام بالمنهج الرباني فالدين لايتجزء فاصلاح الاختلالا ت الاقتصاديه عبادته لله مثلها مثل الصلاه فالعبره بالامر التكليفي هو مصدره طالما انه صادر من الله تعالي فهذا الامر من اهم الاسس في بناء الامه والحضاره ولهذا فان الايات تهدف الي الاتي

المفهوم الاول

أن المدخل لاي تطور وتقدم ونهضة في حياه الشعوب إنما يكون بالمنهج الذي يحقق تطلعات الشعب وإحداث التغيير والأمل المنشوده والثقه بالقياده المنهج الذي يخلق التجاوب من الجماهير مع الأهداف التي تسعى القياده لتجسيدها علي الواقع من خلال هذا المنهج والذي لن تبلغ مرحله التطور الا باقتناع وقبول الجماهير للأفكار والثقه بشخص القائد الذي يقود عمليه التغيير فتفاعل الجماهير أمر مهم في عمليه التطور ولهذا ولوسالت نفسك

ما هو سلاح الانبياء لإقناع الناس بأفكارهم واشخاصهم لأجل الوصول إلي مرحله تفاعل الجماهير؟

أنها الكلمه فالانبياء يبعثوا مزودين بسلاح يقهر الناس فلم يكونوا أهل قوه ولا مال بل جاؤا بالكلمه الطيبه يدعون الناس الي الايمان ينشرون الحق بالكلمه الطيبه هذا هو السلاح الوحيد ولهذا قالوا (ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)

استعمل لفظ التودد ياقوم الكلمه الحسنه ودعوههم الي التوحيد الكلمه الطيبه

ف الله قادر أن يرسل معهم الوحوش والجيوس تقاثل الأعداء لكن هذا يسقط الجزاء لأن ايمان الناس سوف يكون اضطراري وبالتالي فلا معني للادره التي اختص الله بها الإنسان مع العقل

فالحق ينتشر بالكلمه الطيبه ولا بد لاهل الحق من الكفاح والنضال في تحمل أعباء الدعوه

وقد اقتضت حكمه الله عند إرسال الانبياء أن يحملوا المنهج للناس الذي فيه نظام الحياه ما يفعلون وما لا يفعلون .. وأنه تعالي يعيظهم من الايات الداله علي صدقهم وصحه دعوتهم المعجزات القاطعه ولهذا يقول شعيب لقومه (قد جاءكم بينه من ربكم)

اي أن الله أقام الحج والبيئات علي صدق علي ماجئكم به واستعمل لفظ (جاءكم) لفظ القرب علي حصول الآيات الداله علي صدق نبوته

والبيئه ما يتبين به الحق فيشمل المعجزات والبراهين العقليه فيصح أن يكون شعيب قد استدل بالآيات الكونيه التي عطف القصص الخمس عليها لأن حمله (الي مدين) معطوفه علي جملة (لقد أرسلنا) الوارده في مقدمه و التي ارتبطت بما ورد في المقطع السابق من عرض الادله الكونيه التي بها تعرف الله فقال اعبدوا الله مالكم من إله غيره.. شرع بعدها بعرض المنهج الذي تعبد الله به فذكر أوامره ونواهيه فأمرهم بالوفاء بالكيل و الميزان.... الخ فتكون البيئه هي الكون. ويجوز ان يكون شعيب هو البيئه ..والآيات لاتذكر ماهي معجزه شعيب لكن الأرجح أنها معجزه خارقه لأن الامم القديمه لم تكن تذعن الا بالخوراق للعادات

المفهوم الثاني

أن الانطلاق نحو التقدم في اي شعب من الشعوب للاستفاده من طاقاتها يتطلب تعبيت النظام في هذه المجتمعات وذلك يحتاج الي جهود نضال وصبر لانه لا يكون التأثير علي الجماهير الا بالتدرج والتعاطف ولهذا فإنه للاستفاده من تفاعل الجماهير لابد أن تنتقل بعد حصول التعاطف والقبول الي ضبط هذا التفاعل بالاعتدال بعيدا عن التهور والجمود ولهذا فإن علي القيادة أن تبذل جهودا لتحريك الجماهير والتأكد من تفاعلها لأن التحريك للجماهير إنما يتحقق بجعلها تتفاعل تفاعلا إيجابيا وعقليا مع قيادته لاتفاعلا عاطفيا سلبيا ولهذا بعد أن آتي شعيب بالآيات المعجزات القاطعه لمعاذير قومه شرع في الانتقال الي اصلاح الأوضاع الاقتصادية والا جتماعية والسياسية في هذه الحضاره فرتب علي البراهين الكونيه او المعجزه التي ولدت الاقتناع فيهم بوجود الله تعبيت النظام فقال تعالي (فاوفوا الكيل والميزان ولاتبخسوا الناس اشياءهم ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مومنين)

ضروره وجود ميزان تزن به الاشياء حتي يكون تفاعلك ايجابي فاذا كان الكون محكوم بنظام دقيق كل شي خلق فيه بقدر موزن فانت يجب ان يكون لديك ميزان لأن التفاعل الإيجابي يولد بالاقتناع أثناء مشاهدة البدايه الصحيحه للمسيره ثم ينمو بتحمل المسؤولية فكل فرد عليه مسوولييه وتوزيعها علي أوسع قاعده فكل واحد يقع علي عاتقه مسؤوليه تعبيت نظام العدل والمساواة وحمايه الحقوق وصيانتها من التفريط حتي يبقي التفاعل ويكون أفراده قابلين للتطور متعاونين مع القيادة ليشاركوا في صناعه التاريخ ولهذا قال فاوفوا الكيل والميزان

فإن اللازم أن يكون لديك ميزان ومكاييل توزن وتكيل بها الحقوق ولهذا استعمل الأمر (فاوفوا الكيل والميزان) و الكيل مصدر من قولك كلت الطعام والمصدر لايمكن ايفاؤه لأن النقص والاتمام من خواص الأعيان ولهذا حمله القاضي علي حذف المضاف اي اله الكيل وفسره ابو السعود بالمكيال ويويده قوله الميزان فإن المبادر فيه الاله وإن جاز كونه مصدر كالمعتاد فحمل الكيل ما يكتال به كما يطلق العيش علي ما يعاش به حيث كان لهم مكيالان وميزانان اهدهما كبير والاخر صغير فإذا اکتاولوا استوفوا حقوقهم بالميزان الكبير واذا وزنوا للناس نقصوهم فاستعملوا الميزان الصغير

والمعني أدوا حقوق الناس بالمكيال والميزان علي التمام لابد أن يكون لديك ميزان عدل توزن وتكيل بها الحقوق بالوفاء والتمام دون أن تنقص أو تبخس

فالشعب يحتاج الي عارفين بالحقوق شاعرين بالمسؤوليه ينتشر الوعي بالحقوق والواجبات بين جميع أفراد الشعب كل واحد يشعر بمسؤولياته وتعترف بحقوق الآخرين فهذا هو التفاعل الإيجابي الذي يجعل التنافس في أداء الحقوق وإتقان الأعمال لا الانتقاص من ابداع الآخرين ولهذا قال تعالي (ولا تبخسوا الناس اشياءهم)

فصناعه الحضاره تعني أن يحرص كل واحد من أبناء المجتمع علي تجميع الطاقات والقدرات لبناء الحضاره ولهذا ينهي عن البخس الذي التعيب والتزهيد بالتقليل من أعمال الآخرين فهناك من يهاجم الآخرين وينكر إبداعاتهم واشياءهم سواء كان في السلع التي يسعي المرضي الي الاحتيال بالتقليل من قيمتها وشراءها بأبخس الأثمان أو في الحقوق المعنويه المتعدده والتي منها العلوم الفكرية والفنون والآداب وغيرها حيث نجد أن التنافس بين أرباب العمل يصل الي بخس حقوق ابناء المهنة بدعوي أنهم متفوقون عليهم منكرون عليهم ما خصهم الله به من المزايا والقدرات

والايه تحذر من تبديد الطاقات والامكانيات والقدرات يقول أن التفاعل مع هدف بناء الحضاره وعماره الأرض امر ايجابي لأن الله خلق الانسان ليكون خليفه في الأرض يقوم بال عمران وقد جعل الكون مسخرا للإنسان في هذه المهمه بما يودي الي التحسين والاستقرار وصناعه حضاره متوازنه فيها التقدم المادي مع القيم الروحانية لا ن فساد الأرض بالكفر والحييف ولهذا يحذر من التفاعل السلبي مع الدعوه التي أطلقها شعيب للقيام بال عمران وبناء الحضاره بالنظر للدعوه باعث المصلحه الحاليه الشخصيه التي يقوم بتغليبها علي المصلحه ذات الأثر الممتد يودي الي اشاعه أجواء التحاسد والتدبر

فإن هذا يحول الموسسه الي كيان هش أو رخوا لا يستطيع الصمود أمام الأزمات

لأن القلوب اذا تداعت الي أهواء الباطل والميل الي الدنيا حصل التنافس وفشا الخلاف وادي ذلك إلي إهدار الطاقات وانتشار الفوضى وفساد نظام الاجتماع بالظلم وأكل أموال الناس بالباطل وانتشار البغضاء والصراع و الخروج عن الفطره التي اصلح الله بها حال البشر ومكثهم في الأرض و اتاهم الله العقول

المفهوم الثالث

تبين النصوص اهميه أن بناء حياتنا وحضارتنا علي عقيدة التوحيد وان نعيش بحسب القيم الالهيه ولهذا ابتدأت النصوص بقوله تعالي (ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) فهذه العقيدة هي التي ينطلق منها المسلم وبها يقيم حضاره دوله الموحدين فعندما يعيش الانسان لله فإن ذلك قوه يفجر الطاقات ويستعيد الإنسان ارداته وبالتالي يكون قادرا علي احداث التطور والتقدم قادرا علي اكتشاف البدايه الصحيحه لهذا التطور فيضع كل شي في موضعه لأن غياب الارده والهدف لاي حضاره يعني التخبط ومصيرها الي الزوال والفناء يعني قيام حضاره فاسده ذات فاعليه سلبيه تفسد في الأرض ولهذا ابتدأت الايه بقوله تعالي (ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)

فنقطه البدايه لبناء الحضاره وتعديل سلوك الإنسان واستقامه الحياه يكون من خلال الأصل الثابت الذي ينظم الحياه وكل شؤون الإنسان (التوحيد)

حيث أن غياب دور العبادة عن الحياة لابد أن ينتج سلوك خاطئ ويعيق عملية التقدم والتطور الذي يحقق السعادة للعبد في الدنيا والآخرة.. لأن فاعليه العبد في غياب دور العبادة تكون سالبه فيها إفساد الحياة وإهدار الطاقات يكون اجتماع الناس ليس لصنائه الأحداث بل التقاء صراعات ويضرب لنا الله مثلا لذلك قوم مدين الذين بعث إليهم شعيب عليه السلام والذين حكمت لنا سورة الاعراف عن أهل مدين الذين يعتقد أنهم في الاردن أو بين السعودية وفلسطين حيث كان سمات فساد هؤلاء القوم متعلق بجانب اقتصادي بصفه اساسيه فقد كانوا أول من ارتكب التطفيف بالكيل والميزان اي الغش ونهب الأموال وبخسوا حقوق الآخرين المعنويه والماديه وذكرت النصوص القرآنية في موضع أخري أن سلوك هؤلاء اتسم بالاستهزاء بالانبياء والمصلحين فقال تعالي (ق) الوا يا شعيب اصلاتك تامرك أن نترك ما يعبد اباونا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد)

فدعوه شعيب لهم تركزت حول ضروره ان يكونوا عابدين الله في أعمالهم وتجارتهم دعاهم الي التزام الضوابط في كل تصرفاتهم الماليه وأنه يجب أن تحكم احوالهم وتعاملتهم ضوابط ايمانيه وان تكون معاييرهم الوفاء بـ الميزان والقسط والعدل وان يلتزموا العدل والأمانة والصدق في التعامل في اداره شؤونهم فاللتزم بتعاليم الايمان هو عباده الله فلا تتصور أن العباده هي الصلاه والصيام والزكاة والحج فليس الأمر كذلك فأنت في عملك سواء كانت مزارع أو معلم أو مهندس أو طبيب أو تاجر او ...غيره تكون في عباده الله تعالي بأن تلتزم اخلاق المهنة والتعامل بالوفاء والعدل بما يؤدي الي منفعة الإنسان

انتبه أن تتصور أن المسجد هو مكان العباده فقط بل محل تجارتك هو محراب عباده الله وطقوس العباده فيه أن تلتزم العدل في التعامل مع الناس متوجها بذلك الي الله تتجنب الظلم في كل أمر وتتقن عملك قاصدا بذلك ارضاء الله

وانت في مدرستك ايه المعلم عليك أن تشعر أن هذا المكان لا يقل شأننا عن المسجد في عباده الله فيكون اداءك عملك يا خلاص ناتجا عن الإحساس والشعور انك في عباده

فالعمل والإنتاج الذي تحققه بنيه عباده الله والتزام قيم الايمان هو الذي يحقق النجاح الحقيقي والتقدم ويولد التقاء المومنين علي التعاون في أعمال الخير

عندها سوف تستقيم الحياه بالاحتكام الي منهج الحق والعدل وليس الي حكم الاغلبيه والقوه الماديه والظلم للناس والاستقواء عليهم واكل أموالهم بالباطل

فاللازم أن نتعلم كيف نعيش حياتنا كلها لله يجب أن نطعم لذه العباده في كل شأن من شؤون لتنموا اروحنا ويحدث التغيير الإيجابي بتعديل السلوك فحتي الشعائر الدينيه كالصلاه فإن العبره بدورها في تعديل السلوك الإ نسائي الذي يجعله ينتهي عن الفحشاء والمنكر

ولهذا فإن العباده تعني أن نتعلم كيف نتعامل مع الناس بالعدل والمساواة ونحترم حقوق الآخرين بغض النظر عن دينه ومعتقداته

المفهوم الرابع

عليك أن تعلم أن العقيدته ليست مجرد معرفه وجود الله والإقرار بالحساب والعقاب فقط بل لابد أن تكون لهذه العقيدته فاعليتها وقوتها الايجابيه وتأثيرها ودورها في الحياه كلها ولهذا نجد تذييل شعيب دعوه قومه لترك

العادات القبيحة وفسادهم في المال والاقتصاد ونحوه بقوله تعالى (ذلكم خير لكم إن كنتم مومنين)

يقول لهم أن الدين سلوك ومعامله وليس مجرد صلاه وصيام... فاستعمل اسم الاشارة (ذلكم) الي العمل بما أمرهم الله ونهاهم بأنه خير وعلق ذلك بمقتضي الايمان (إن كنتم مومنين)

لأن المومن يدرك أن هنالك حساب وعقاب يدرك أن الله مطلع علي أعماله ولهذا فهو يحس بوجود الله ويدرك أن كل سئيه لها عقاب وكل حسنه لها ثواب

ولهذا فإن العبد لا يحتاج الي أن يتعلم عقيدته يعلمها بل يحتاج الي تحويل هذه العقيدته الي واقع حياه يحتاج أن تمارس عقيدته الايمان دورها وفعاليتها وقوتها الايجابيه وتأثيرها في توجيه السلوك الإنساني بحيث يتطابق مع دعوي الايمان

ولهذا فإن المومن الحقيقي هو الذي يترجم إيمانه الي اعمال في واقع الحياه

فتكون للعقيده فاعليه ايجابيه فمن لم ينتفع بالعلم بوجود الله فلا قيمه لعلمه وإيمانه

فاستعمل اسم (ذلكم) أن الالتزام بمنهج الله من لوزام الايمان وآثاره ولهذا رتب العمل به علي وجود الايمان فدل هذا أنه إذا لم يكون للعقيده تأثيرها الذي تمنعك من الأفعال المنهي عنها فان الايمان ناقص أو معدوم

وكذلك فإن النص فيه الحث بادراه شوونهم وفق تعاليم الايمان فالذي يغش المسلمين أو غير المسلمين بكل بساطه قد الغي عبادته وصلاته وصيامه وزكاته

فدور العقيدته هو تحويل الايمان الي واقع حياه يكون لها فاعليتها لأن عدم الفاعليه وفقدان العقيدته دورها وتأثيرها علي الفرد والمجتمع والدوله تعني أن الإيمان والعقيدة التي يعلن هولاء الانتماء إليها ليس حقيقي وانما هي مجرد قلاده يتزين بها هولاء يعني أنها لم تغزو أعماق النفس الداخليه يعني أنه غير متقين من مساله الحساب والعقاب أو أنه لايعظم أمر الله بالتهاون والركون علي القول دون العمل فلو كان موقن أنه لو ارتكب الخطيئه بأن العقاب سوف يحل به بلمح البصر حقيقه ما ارتكابها فالإنسان إذا كان متيقين أنه إذا شرب السم سوف يموت فهل يقدم علي شربه أن العاقل لن يفعل ذلك أما المجنون فلا عقاب عليه لانه لاعقل له

وبالتالي فمن أيقن أنه ارتكب الخطيئه سوف يحرق بالنار فإنه لن يرتكب الفعل لانه سوف يشعر بالألم النار وعندها سوف يهرب من الخطيئه

أما الأمر الثاني فإنه يعود إلي الفهم السطحي لمفهوم العبادته حيث ينظر إلي أن العقيدته لادخل لها بأمور الاقتصاد والصناعات والسياسيه وأمور الدوله وحضارتها وشوونها وهذا هو فهم قوم مدين عن الدين ودوره في الحياه بأن الدين لاعلاقه له في شؤون السياسه والاقتصاد... ونحوه فيبدو أنهم لم يكونوا ينكرون وجود الله ولاينكرون الصلاه التي يقيمها شعيب فقالوا (اصلاتك تامرك أن نترك مايعبد اباونا أو أن نفعل في أموالنا مانشاء انك لانت الحليم الرشيد)

فهم يصلون لكن صلاه لا تدعوهم الي ترك الفحشاء والمنكر لاننا نجد أن شعيب يقول (أن اريد الا اصلاح ما استطعت... الخ

فتركيز شعيب هو أن يخلق فيهم السلوك الجماعي من خلال غرس الشعور بوجود الله ليكون لهذه العقيدة فاعليه تودي الي جمع الناس حول هدف واحد هو عباده الله بالتعظيم لأمر الله والإحسان للناس ويحذرهم من التمادي في محاربه المومنين الذين التزموا بما جاء في منهج الله بأن هذا من عمل الشيطان الذي يقف في الطريق مترصدا للمومنين محاولا صرفهم عن السبيل المستقيم

فالصراع كان بنظرهم لاعلاقة له بالدين بل هو صراع سياسي واقتصادي كما يبدو من خلال الوقوف علي حال الفريق الأول من قوم مدين وهم الذين كانوا يمثلون الشق المتحضر الذين يسكنون في مدين أما الشق الثاني فهم البدو من قوم مدين الذين كانوا يسكنون منطقه مجاوره لاهل المدينه واسماهم (أصحاب الايكة) فهؤلاء كانوا مشركين ويعبدون الشجره كما هو مفصل في الحجر والشعراء اضافه الي الاحتكار للسلع والتلاعب بالاسعار واختلاق الأزمات واضطهاد الضعفاء وهضم حقوق الآخرين فقد أضافوا الي امراض قوم مدين الذين كانوا يقطنون المدينه جريمه الشرك ولهذا اختلط الأمر علي الكثيرون بين مدين وأصحاب الايكة فهم اصلهم واحد في النسب والمصالح المشتركة وأعمال التجاره ولهذا بعث إليهم شعيب لكن هنالك اختلاف بينهم أن أصحاب الايكة اتصفوا فوق ما اتصفت به مدين بصفه الشرك وهذه تعود إلي طبيعتهم البدواه ولهذا كان خطاب شعيب لهم مختلفا عن خطابه لمدين فلم يقول إن كنتم مومنين..لانهم مشركون يعبدون الشجر ولم يقول إنه جاء لإصلاح أوضاع تشكل خلل يجب إصلاحه وإعادته الي الوضع الذي ينسجم مع أصلها الاعتقادي كما خاطب قومه في مدين الذين كان فسادهم ناتج عن خلل يعود إلي انقطاع بعض الأجزاء والفروع عن أصلها الاعتقادي ولهذا جاء التركيز علي تبليغ معاني الدين وحث الناس علي التطبيق لأحكامه في حياتهم اليوميه أراد أن ينشأ مجتمع يحكمه المنهج الرباني فهذه هي دوله الموحدين التي ينبغي علينا جميعا أن نسعي الي إقامتها

ثانيا

عليك أن تدرك أن عمليه التغيير تحتاج إلي أمرين...الأول تحريك وتجميع طاقات الجماهير لتحقيق الهدف...الثاني تحريك الظروف الموضوعية التي تحقق وتخلق الظاهره الايجابيه التي تحقق التطور و التقدم بدلا عن ظاهره التخلف

لأن بلوغ التطور إنما يكون بخلق سلوك جماعي وهذا يحتاج الي الآتي

الأمر الأول

أن نشعر بالقلق تجاه الظروف التي ورتناها ولانزال نحيها نشعر بأننا مهديين بالضياع والهلاك فالخطوه الاولى أن تخاف من أمراض البعد عن الدين لأن هذا يزيل التبلد ويوقظ الاحساسيس والمشاعر الميته ولهذا نجد أن الايات النهي عن التطفيف بالكيل والميزان والبخس والافساد في الأرض مقرونا بالنهي عن الشرك..فيه تعظيم شأن هذه المخالفات وان الذي يرفض الالتزام بالمنهج الرباني الذي ينظم الاقتصاد يكون مشركا فالعباده لاتتجزء ولهذا يأمرهم بالعدل والمساواة وان عليهم احترام حقوق كل واحد منهم وترك هذه العادات القبيحه المستوطنه فهم وا لانتقال من عقليه المصلحه الفرديه التي لاتراعي حقوق الآخرين من الضعفاء الي عقليه الدوله التي تحفظ حقوق جميع المواطنين لإنشاء وطن يقوم علي التعاون والتكامل بين أفراده والنقه فيما بينهم ليكون الهدف بناء حضاره قويه يستفيد منها جميع أبناء المجتمع فالتقدم يحتاج الي تجميع الطاقات وعندها سوف تجدون الأرباح المضاعفه بواسطه الكسب الحلال وبما يفوق ارباح الغش والتطفيف والافساد فقال تعالي (ذلكم خير لكم إن

كنتم مومنين)

لانه يوجد لكم وطن مستقر تتفجر فيه الطاقات لخدمه الامه كلها لك غرض يخدم الامه كلها بحيث يكون كل واحد يتالم من الم الآخر ويفرح لفرحه كل واحد يتفاني في خدمه هذا الوطن عندها سوف يكون لكم قوه يحميها الجميع بدلا من الواقع السطحي الذي تعيشونه فأنتم غارقون في بحور المشاكل الشخصيه منشغلون فيما يجعلكم مهديين بزوال تجارتكم وفقدان الآخرين التعامل معكم وانتشار سمعتكم القبيحه عن الغش والتطيف والتقطع للناس يعني فقدانكم مصدر الكسب الذي تعيشون منه تدريجا فإذا صارت القبائل كلها تعلم بما انتم عليه من المفاسد حينها لن تجدوا من يتعامل معكم

فاللازم أن تحافظوا علي مصدر دخلكم لأن الأرباح الحقيقيه إنما بالمحافظة على العدل والمساواة والأمانة و الصدق فهذه أهم السمات التي يجب أن يجتمع عليها الناس في انشاء الوطن الذي يعيشون فيه وفي اقامه حضارتهم وتجارتهم ليكون استمرار النشاط وتطوره ولهذا لابد من خلق تقاليد وأساليب جديده يسودها النظام و القانون بغير عجز مالي أو اقتصادي أو مالي لابد من وجود دوله ومنهج قادر علي تحقيق التقدم والتطور للامه ويحفظ القيم والمبادئ في نفس الوقت

وقد قال في موضع آخر (بقيت الله خير لكموما انا عليكم بحفيظ)

يقول لهم أن المنهج الرباني هو الذي يحقق لكم السعاده الحقيقيه في الدارين فلا بد لحصول التقدم من وجود سلطه تراقب حركه المال لاحداث التقدم والتطور الاقتصادي وتدير شؤونه فالتقدم الاقتصادي لايتحقق الا في ظل وجود انظمه قضائيه وضمانات تكفل تحقيق العدل وتنظم امور التجار بما يودي الي الاطمئنان في التعامل وهذا يحتاج الي انشاء جهاز محاسبه ومراجعته جميع الامور الماليه المتعلقه بأعمال التجاره

وهذا من اعمال الدوله ولهذا يقول لهم شعيب (وما انا عليكم بحفيظ)

فشعيب كان يدعوا الي ايجاد هذا الجهاز الذي يضبط جشع التجار وايضا يخاطب ضمائرهم في ظل غياب دور الدوله في مراقبه الاقتصاد ومنع الاحتكار لاسيما تلك السلع التي تتصل بالاشياء الضروريه للشعب بحيث يكون سعرها مناسباً وقريب من تكلفتها للتخفيف عن كاهل الشعب الأعباء بالذات ذوي الدخل المحدود

الأمر الثاني

(اهميه تقديم الدواء والعلاج والبدائل عن الظاهره السلبيه)

نجد أن شعيب عقب علي ماسبق بقوله (ذلكم خير لكم إن كنتم مومنين ولا تتعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله... الخ

دعاهم الي تقديم مصلحه المجتمع عن التطلعات الشخصيه والمصالح الضيقه بترك التطيف بالكيل والميزان و البخس والافساد في الأرض واستبدال ذلك بالتعامل بالامانه والصدق فإن هذا سوف يودي الي مضاعفه الأرباح لماذا ؟

لانه يشجع الاستثمار فالناس عندما يتقون في عداله النظام وصيانتهم لحقوقهم وهم وضبط كل من يغش وينهب الأموال فإن ذلك يعود بالنفع علي المجتمع كله حيث تتدفق الأموال وتزداد حركه التجاره والإنتاج وتتوقف

عمليات الاكتناز وتهريب الأموال ويزداد حجم الثروة القومي ويتضاعف الدخل القومي فالانتفاخ الاقتصادي مهم لجذب اكبر قدر ممكن من رؤوس الأموال فهو يحذرهم من اقامه الأسوار حول اقتصادهم بتلك التصرفات التي تودي الي الانكماش الاقتصادي والانغلاق الاقتصادي وهو ما يفهم منه ضروره تقديم البديل للناس عن كل ظاهره جاهليه ترسخت في المجتمع لعقود وسادت فلا بد من تقديم بديلا يشعر الناس بفائدته ومنفعته فلا يكفي تخويف الناس مما أصابهم من الأمراض لبعدهم عن الدين وعلل التدين

دون تقديم العلاج ودون أن تصف لهم الدواء والعلاج فلاتتفع المواعظ والخطب وحدها فنحن نري المجون منتشر والرباء رغم المحاضرات والدروس التي تحرم ذلك ومع ذلك نجد زيادتها كل يوم لأن الغائها لايمكن دون تقديم البدائل النافعه ودون أن يري الناس المصلحة التي تحقق المنفعة فاللازم عند اراده تغيير الظاهره السلبيه من تحريك قوي التفاعل لدي الجماهير وتحريك الظروف الموضوعية القادره علي احداث التغيير لأن الفساد في المجتمعات يعود إلي اقتناع الناس بالواقع السطحي والتعايش مع الفساد وقبول الواقع الذي يرسم اهداف حياتهم معيار المصلحه الشخصيه ولهذا ينشاء عن ذلك مجتمع يقيم الاشياء والأمور وفقا لمعايير المصلحه الشخصيه فتغلب عليهم مشاعر الانانيه ويطغي سلطان المصلحه فأراد أن يشعروا بالقلق تجاه تلك الظروف فإن حصل هذا فإن هذا سيؤدي إلي رفض الاقتناع بالواقع السطحي الذي يحيونه ويمتنعون عن إغراق قورا بهم في بحور مشاكلهم الشخصيه وفلا يهدرون الطاقات بالخصومات العقيمه ولا تليهيهم المشاكل الشخصيه والخرافه بظواهرها الشكليه عن جذورها الحقيقه فينسينا أهدافنا الكليه الشموليه التي من شأنها أن تعالج هذه المشاكل وتمنع استمرارها وتحول دون الضياع والانهيال للحضارات فقال تعالي (ولاتتعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبه المفسدين)

لبيان ان هذه الأعمال تتعارض مع شرف الخلافه التي تزيد المهتمدين قوه الي قوتهم يقول لهم انهم يهدرون الطاقات في المشاكل الشخصيه التي تزيد منها في الأصل وتخرجون عن شرف الخلافه الذي يكمن في طاعه الله وبالتالي فإن هذا يعرضكم للزوال فالقوه تكمن في طاعه الله ولهذا يذكرهم كيف انعم الله عليهم بتكثير أعدادهم وأموالهم بعد أن كانوا ضعفاء ويذكرهم بما حل بالامم من قبلهم عندما خرجوا عن طاعه الله فسنة الله واحده وقانون الخلافه واحد لايتغير فما حل بقوم نوح وعاد وثمرود ولوط ليس بعيدا عنكم فقال تعالي في موضع آخر (ولا يجرمكم شقاقي)

فدل هذا أن قوم شعيب (أهل مدين) لم ينزعجوا من اقامه شعيب ومن معه للشعائر الدينية من صلاه أو صيام... لكن الذي ازعجهم هو الاثار الناتجه عن الصلاه فقال تعالي (قالوا يا شعيب اصلاتك تامرک أن تترك مايعبد اباونا أو أن نفعل في أموالنا مانشاء انك لانت الحليم الرشيد)

فعليك ان تفهم أن العباده ليست محصورة بالشعائر فهم لم ينزعجوا من أداء شعيب الصلاه وانما انزعجوا لأن هذه الصلاه امتدت لتمس مصالحهم فقد جاء شعيب بقوانين تنظم الاقتصاد انزلها منزله الصلاه فهم يعبدون الله بالالتزام بها شاهدوا أنها تمس سلطانهم ولهذا فإن السلطه السياسيه في قوم مدين وقفت ضد مشروع الدعوه الي عباده الله بالالتزام فيما شرعه لهم الله في حياتهم الاقتصادية ولهذا كانت الخطوه الثانيه من قوم مدين هي اعلان الحرب ضد شعيب والذين آمنوا معه فاتهموه بالجنون وقالوا إنه مسحور كما أخبرنا الله تعالي في موضع آخر (قالوا إنما أنت من المسحورين)

فقد كانوا يجلسون في قارعه الطريق يحذرون كل من يدخل المدينه من شعيب يقولون انتبه أن تتأثر بما يقوله

شعيب ولعل ذلك كان ينصب علي الماره من البدو التابعين لقبيله مدين اي أصحاب الايكه الذين كانوا يقصدون المدينه للتجاره وغيرها وحتى الزياره لانهم ابناء قبيله واحده فقال تعالي (ولاتتعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا....الخ

المبحث الثاني

فالايه فيها تعبير بليغ واقعي عن ما كان يقوم به قوم شعيب حزب السلطه ومن يقف معها وهو مايقوم به كل من شاكلهم الي اليوم أنه الوقوف أمام الناس ومنعهم من أن يسلكوا طريق مرضاه الله أنهم يصنعون الحواجز التي تمنع ذلك ويلجأون الي تخويف الناس ومنعهم من الإيمان وصددهم عن كل ما يحقق لهم التقدم والتطور والسعاده والتشكيك بالدعاه والمصلحين والمشروع الذي يحقق لهم التقدم والتطور من خلال الترغيب والترهيب فقال تعالي (ولاتتعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من امن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ انتم قليل فكمركم وانظروا كيف كان عاقبه المفسدين)

الأمر الأول

فالنصوص تبين للداعيه الصراع الذي يحدث بين أهل الحق والباطل في هذه المرحله فعليك أن تدرك أن أصحاب المصالح والرياسه والسلطه وجنودهم سوف يقفون بوجهك في هذه المرحله لماذا

لانهم يشاهدون مصالحهم تتعرض للمس وقوانينهم تنتهك وسلطانهم يقهر فطبيعه المعركه تتطلب منك أن تتعلم كيف تصبر في وجه هذه التحديات وان تستمر في الدعوه فلا تتوقف يجب عليك مواجهه هذه التحديات بالعبات والصمود لابد أن تعرض للناس نظريه الاسلام في هذه المرحله التي تهدف إلي (تحريك تفاعل الجماهير وتجميع طاقات الطليعه لتحقيق الهدف....تحريك الظروف الموضوعية الايجابيه التي تحقق التقدم والتطور لتحل محل الظروف الموضوعية التي شكلت ظاهره التخلف)

يتطلب منك أن تمتلك المهاره لمواجهه التحديات والقدرة علي تحريك الظروف الموضوعية التي تحقق التقدم و التطور فالظاهره ايان كنت سلبيه أو ايجابيه ترتبط بظروف موضوعيه ذات مستويات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وبالتالي فإن استبدال ظاهره ايجابيه بدلا عن ظاهره سلبيه يتطلب منك ليس مجرد معرفه وتميز الظاهره السلبيه بل يتطلب منك إدراك كيفيه احداث التطور بحيث تستبدل الظاهره الايجابيه محل الظاهره السلبيه وهذا لا يكفي معه اراده التغيير فقط والإخلاص في ذلك فلا بد من وجود الأمور الفنيه التي تمكنك من احداث التغيير فأنت بحاجة الي معرفه الاسباب التي تحكم الظاهره السلبيه ومفرداتها حيث أن البعض ينظر إلي للظروف المكونه للظاهره بمعزل عن بقيه مفرداتها لان فصل الظروف الموضوعية التي شكلت الظاهره السلبيه عن بعضها لمعالجه المشكله أمر يعيق قدرتك علي احداث التطور فلا بد من مراعاة علاقه ال ارتباط العضوي بين الظروف الموضوعيه التي شكلت التخلف حتي لا يودي العلاج الجزئي الي خلق ظواهر جديده أكثر تخلفا ولهذا فإن اللازم لإحداث التغيير للظروف التي تتكون منها ظاهره التخلف أن تقوم بتفصيل الظروف التي كونتها تفصيلا لا يستهدف عزل مفرداتها وعلاج كلا منها علي حده وانما يستهدف تحديد آثارها المتبادلة و المتداخله لترتيب كيفيه البدء في معالجتها وبالقدر الذي يحقق النتيجة دون أي مضاعفات وفقا لقاعده دره المفاسد مقدم علي جلب المصالح ولهذا نجد ضم شعيب الي ماتقدم ذكره من التكاليف التي تستهدف تغيير أساليب التعامل فيما بينهم اشياء تهدف إلي تغيير الظروف الموضوعية ذات الأبعاد السياسية والفكرية والا

اجتماعية وربطها بعملية تغيير الظروف الاقتصادية السابق ذكرها نظرا الارتباط بين الظروف الموضوعية ذات المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية هي مفردات ظاهره التخلف التي شكلت جميعها قوه مانعه من التقدم والتطور فكان هذا الترتيب في عرض اسباب التخلف والعلاج لذلك لاعطاءنا ابعديات الدعوه الي استبدال ظاهره التخلف بالتقدم لبيان ان إدراك أسباب التخلف والقدرة علي استبدالها بأسباب أخرى تخلق التطور والنهضة يتطلب إدراك كيفية احداث ذلك إلي جانب الاخلاص و اراده أحداثه ولهذا يجب أن يتوجه العلاج الي جميع مفرداتها وحينها تكون قادرا علي احداث التقدم والتطور وخلق السلوك الجماعي الذي يجسد امنيه الشعب وإرادته فقال تعالى

(ولاتتعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليل فكمركم وانظروا كيف كان عاقبه المفسدين)

وهذا فيه

:1

تبين النصوص ان تحريك تفاعل الجماهير الايجابي يتطلب اعاده ترتيب احوالهم واثاره الاحساس من خلال عمليه جراحيه تهدف الي تكوين الرأي العام الفاضل بما يقلل الشرور ويفشي الاحساس بالخير وتدوال احسان المعامله وإحسان الظن بالمسلم واجتناب كل ما يودي الي الشرور والتحاسد والتباغض ولهذا نجد أن القرآن الكريم يعرض لنا هذه الوسيله النافعه لتحريك الجماهير والظروف الموضوعيه لاحداث التقدم والتطور او التقهقر والتخلف من خلال ما ترسمه الايات لنا من صورته تجسد حرص الاعداء علي توجيه الراي العام لدي شعوبهم وامهم لتربيته ما يحبون ويبتغون ولصد وتسفيه ما لا يبتغون ولا يريدون فتوجيه الرأي العام أما أن يكون نحو الرأي السي أو الرأي العام الفاضل ولهذا فإن اللازم عليك العمل علي غرس مشاعر التنفير من الأخلاق الرذيله في المجتمع المسلم ولذلك نجد أن النصوص وردت بعد ربط ترك التطفيف بالكيل والميزان والبخس والا فساد في الأرض بالإيمان لأن المجتمع المومن لا يقبل فيهم من يقف بوجه الحق لا يقبل من يقف في الطريق الموصل الي الله فقال تعالى (ولاتتعدوا بكل صراط توعدون)

النهى عن الوقوف بوجه الحق فهم لم يتركوا طريقا يوصل الي الحق الا وقفوا مانعين له والقعود للتضييق ف الكلمات قادره علي غرس مشاعر التنفير من هذا العمل لماذا ؟

لأن القعود في طريق الخير هو عمل الشيطان الرجيم الذي توعده البشريه بأن يقف في طريقها الي الله بشتي الوسائل لمنعها من الوصول إلي الهدف في رحلتها الي الله والدار الآخرة فقال تعالى في مقدمه السوره بما توعده به ابليس البشريه

(لاقعدن لهم صراطك المستقيم... الخ)

فهدف الشيطان الذي اعلنه يوم تسليم ادم مفاتيح الارض ليكون خليفه الله فيها هو اعاقه قيام الانسان بدوره ومهته الخلافه في الارض والعمران فيها وفقا لمنهج الله

فهدف الشيطان تدمير العمران والقضاء علي الامم من خلال استهداف النظام الذي يضبط اجتماع الناس ولهذا فان دور المصلحين والدعاه في كل زمان اصلاح احوال الناس واعاده ترتيب احوال الناس بحيث يكون اجتماع

الناس وفقا لمنهج الله . فالانسان مدني بطبعه ولا بد له من الاجتماع وهو بحاجة الي الغذاء ويحتاج الي الاجتماع للدفاع عن انفسهم وحقوقهم ولهذا فان الانسان بحاجة الي وجود دوله تحفظ حقوقهم وتدافع عنها ولا بد من وجود قانون يحكم احوال الناس. في جميع جوانب الحياه لانه يستحيل تنظيم احوالهم بدون وجود تشريعات تضبط احوالهم الاقتصاديه والسياسيه والاجتماعيه والشخصيه

2

إن هذا الأسلوب في توجيه الراي العام الي الاحساس باهميه وجود القوانين الاقتصاديه والسياسيه دستورا ينظم احوال الناس ووجود سلطه تقوم بحمايه الحقوق والنهي عن الوقوف بوجه المصلحين ووجوب احترامهم والتزام منهج الله في كل شان جاء مناسباً مع ماورد قبله من ذكر أن العمل بما أمرهم هو شرط الايمان لأن القوم لم يكونوا ينظرون إلي أفعالهم وتصرفاتهم الاقتصاديه والاجتماعيه والسياسيه ان لها علاقه بالدين وتشريعاته ولهذا نجد أن النصوص جاءت تعالج فساد تلك التصورات كما يتضح من خلال الآتي

المفهوم الاول

تبين النصوص أن الذي يرفض الالتزام باقامه حياته السياسيه والاقتصاديه والاجتماعيه وكل شأن من شؤونه وفقاً لمنهج الله فإن هذا فيه اجترأ علي الله وخروج عن نطاق عباده الله وتمرد عن طاعته فاصلاح الخلل الاقتصادي جزء لا يتجزء من الدين ومن عباده الله وبالتالي فلا تتصور أن الأحكام المتعلقة بالكليات والاصوال و الفروع والجزئيات منفصله عن بعضها بل هي متصله باصلها الاعتقادي التوحيد فهذا الأصل هو الكفيل نجاح النظام وتميزه فليس دعوه التوحيد إصلاحات جزئيه موضعيه وميزات عارضه سطحيه لاتمس جذور التكوين النفسي والعقلي للامه لاتصوغ روحها ومفاهيمها وموزانيتها ومن ثم تختلط السبل علي الناس ولهذا فإن قوله تعالى (بكل صراط توعدون) لايعني أن الحق متعدد فهذا الفهم خاطئ لأن طريق الحق واحد وطريق الباطل هو المتعدد فالطرق طريقان طريق الي الله ..الي الجنه ..والفلاح والسعاده ...وطريق الي الشيطان والي الجحيم و الي الشقاء وسوء المصير

وانما المراد بقوله بكل صراط فروع المنهج والميادين التي يمارس فيها الدين دوره حيث أن هذه الفروع و الجزئيات تتصل مع بعضها البعض وكلها ترتبط باصلها الاعتقادي التوحيد فهو الذي ينظم مجراها ويحكم أوضاعها فسبل الاسلام واحد ومنهج القران الكريم هو الذي يرشدك الي الطريق المستقيم

فهناك منهجان في الحياه منهج الخير والهدايه وهو الذي يرسم الطريق الموصول الي الله يرسم المطلب الرباني من عباده ومنهج الشيطان الذي يعني التمرد والعصيان ورفض القبول بالمنهج الرباني ولهذا فإن المنهج الرباني هو السبيل الوحيد للوصول إلي المراد الذي يحقق السعاده للعبد في الدنيا والآخرة ومن هنا نجد أن المنهج واحد لكن الوصول إلي الله له طرق متعدده جميعها توصلك الي الله ولا تخرج عن إطار هذا المنهج ومرتبطة مع بعضها ارتباطاً وثيقاً ومتصله باصلها الاعتقادي التوحيد فأنت عندما تنفق المال علي المحتاجين فإنك بهذا تسلك طريقاً يوصلك الي الله تعالي وكذلك فإنك عندما تقاوم الظلم بالكلمه أو القلم أو السلاح فإنك تسلك طريقاً يوصلك الي الله تعالي عندما تطيع والديك فإنك تسلك طريقاً يوصلك الي الله عندما تتزوج امرأه صالحه من أجل بناء اسره مومنه فإنك تفتح باباً يوصلك الي الله فاللازم عليك أن تربط ذلك بالاصل الاعتقادي التوحيد لا بد أن تفتح الا

ابواب المغلقة وتكسر الحواجز الفاصله بينك وبين الوصول إلي الله فأراد بلفظ بكل طريق بيان أن المسلم ينطلق الي الله ينشر الخير ويقيم العدل من مواقعه الذي هو فيه فالمهندس ينطلق من المكان الذي هو فيه والصحافي من قناته الاعلاميه والطبيب من المستوصف يدعو الناس الي عبادته الله والمعلم من مدرسته والمحامي من المجال الذي يعمل فيه يشق طريقه الموصل الي الحق والتاجر من متجره والعسكري من ثكنته والاقتصادي من موقعه والخطيب من مسجده والسائق من سيارته والمزارع من مزرعته كلا من ينطلق من موقعه ليكون الالتقاء حول الأصل الذي ينظم مجري كل طريق ويربطها به (عباده الله) ليكون الغوص في أعماق المساله بعيدا عن السطحية

فكلا منهم يكمل الآخر ويشارك في القضاء علي التخلف من موقعه ليكون معالجه اسباب التخلف كلها فهذا هو الطريق المستقيم وهكذا نجد أن دور المصلحين متعدد كلا من موقعه وبالتالي فإن اللازم عليك أن تدرك أن دورك مكملا لدور اخيك الذي ينطلق من موقعه فلا يكون التصادم بين العاملين في حقل الدعوه ولهذا فإن غياب هذا المفهوم عن العاملين في حقل الدعوه اليوم انك تري إهدار الطاقات الخلاقه بالخصومات العقيمه بين أفراد لامة الاسلاميه نتيجة الاتفاق الضيقه حيث وان كل واحد ينظر إلي ظروف تكوين ظاهره التخلف من الزوايه التي يقف فيها فمن هم من ينظر إلي التخلف أنه ناتج عن خلل اجتماعي ومنهم من يري ان العلاج بممارسه العمل السياسي وهكذا نجد تنوع وجهات النظر وكلها صائبه والأصل أن كلا منها يكمل الآخر فكلا له دور في خلق الظاهره الجديده (الاسلاميه) بدلا عن ظاهره التخلف كلا منهم له دور يساهم في معالجه اسباب التخلف من الموقع الذي هو فيه لكن الواقع المولم نتيجة غياب الإدراك و الفهم السليم لكيفيه احداث التغيير والقدرة علي استبدال أسباب ظاهره التخلف بأسباب أخرى تخلق ظواهر التقدم والتطور في المجتمع أدت إلي تشتيت الجهود وإهدار الطاقات فيما بين مكونات العمل الإسلامي للأسف الشديد

المفهوم الثاني

يقول الحق للمخاطبين لاتأخذوا ادوار الشيطان في تثبيط الناس عن العمل الصالح (بكل صراط توعدون)

اي بكل طريق من طرق الدين تقعدون مترصدين لأجل فتنه المومنين ومنعهم من الوصول إلي الله فاستعمل الباء (بكل)

الباء للملاصقه أو المصاحبه لأن القعود ملتصق بالمكان وان القاعد ملابسه ويحتمل أن تكون بمعني في لأن القاعد يحل بمكان قعوده أو أن يكون بمعني علي لاستيلاء القاعد علي المكان حيث وان الشيطان قد توعد البشريه ؛ الغويه وأنه سوف يترصدهم في طريقهم الوصول الي الله من الجهات الأربع كما سبق في مقدمه السوره

ومن بلاغه القران الكريم قوله بعدها (توعدون) حال من فاعل لاتقعدوا ولم يذكر الموعد به ليذهب الذهن كل مذهب والمعني لانقعدوا بكل طريق من طرق الدين كلما وجدتم طريق الي الله حاولت تثبيط الناس كما يفعل الشيطان إياكم أن تفعلوا عمله احذروا أساليب الشيطان فالذي يمنع الناس من الإنفاق ويخوفهم بالفقر يعمل عمل الشيطان والذي يخوف الناس من حضور مجالس العلم والعلماء يخدم المشروع الشيطاني .والذي يتوعد الناس بقطع المعاش والفصل من الوظيفه كل من صار ملتزم دينيا يكون خادما للشيطان فكل من وقف في طريق يودي الي طاعه الله وخدمه مشروع الحق وينهي سالكها من بلوغ الهدف بافساد جهود المصلحين في اصلاح الأرض ولهذا فإن هذا من عمل الشيطان وهو يتعارض مع مشروع الايمان

المفهوم الثالث

(وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا)

عليك أن تدرك أنك في المعركة مع الباطل سوف تجد عوائق وحواجز تقطع الطريق امامك فالكثير من الناس لا يكتفون برفض الاستجابة وعدم قبول الحقيقه بل أنهم يسعون الي تحويل الحقيقه وتغيير صورتها من خلال تحريفها وتشويه صورتها عندما لاتناسب مع رغباتهم فهؤلاء يصدون الناس ويصرفونهم عن طريق الله المستقيم

يسعون الي إبعادهم عن السبيل المستقيم من خلال الوسائل الممكنة سواء بالقوه أو الترغيب والاغراء أو من خلال تزيين الانحراف وتشجيع الفاسدين والضالين وتمكينهم من الترويج للباطل والقاء الشبهات حول الدعاة والعلماء وحول الدعوة والدعايه الاعلاميه ضد دور العباده والتقليل من مكانتها وإفراغ احكام الدين عن مضمونها وهذا يعود لعدم رغبتهم بتصديق المعلومه ولأجل أنهم يطلبون تطويع الدين لرغباتهم واهوائهم ولهذا فهم يريدون أن ينعطف الناس في طريقهم بعيدا عن الطريق المستقيم خوفا علي مصالحهم التي ينظرون أن الدين يهددها ولهذا يلجأون الي كل الوسائل لأجل أن ينحرف من امن ويترك التصديق بالحق

ولهذا سالت الدماء لأن الفاسدون شعروا أن المنهج الرباني يهدد سلطانهم ويمس مصالحهم ويتعرض لقوانينهم

الامر الثاني

كما ان النهي عن القعود. في قوله تعالي (ولاتتعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا..... الخ

يحذرهم فيه

تحدث فيها النصوص عن قيام هولاء بالقعود والترصد امام امال الناس وطموحاتهم في تحصيل وكسب ما يرونه فيه لمحاربه الخير ومنع تحويل العقيده الي واقع حياه تتصل جميع شؤونه باصلها الاعتقادي التوحيد حيث ذكر ان من ضمن مفاسد قوم مدين هو أنهم كانوا يتعرضون للماره وينهبون اموالهم يتعرضون لذوي الحرف ويعتدون علي اموالهم وحقوقهم وكذلك كانوا يخوفون الضعفاء من المومنين من الايمان بالتهديد والوعيد يقفون في سبيل امالهم بنظام العدل والمساواه والحريه فه

ولهذا يحذرهم من ذلك السلوك الذي يهدف الي نشر الفوضى والظلم والعدوان علي الناس بذهاب امالهم مع ذهاب اموالهم وحقوقهم فذلك الامر يودي الي تدمير العمران لان ذلك يعني ذهاب امالهم وطموحاتهم عندما يرون ان غايتها ومصيرها انتهاياها من ايديهم وذهاب الامال والطموحات تعني تدمير الحضاره اي العمران لانه يودي الي توقف السعي في الاكتساب ونشوا الطبقات وتعطيل حركه تقدم الحضاره فالعمران ما هو الا بالاعمال وسعي الناس بالمكاسب ذاهبين وجائبين فاذا توقف الناس عن المعاش وانقبضت ايديهم عن المكاسب كسدت اسواق العمران وادي الي خراب الحضاره ويقدر ذهاب الامال يكون قتل المواهب والابداع ويكون الخراب والدمار اي يتوقف علي مقدار الظلم والظلم اعم من اخذ المال من الاخرين بلا عوض بل هو يشمل كل تعرض لانسان في ماله او ملكه او عمله او فكره او حريته او حقوقه او فرض عليه شي وحق لم يفرضه الشرع فجباه الاموال بغير وجه حق والمعتدون ظلمه والمانعون لحقوق الناس ظلمه ويتنافي مع نشاه العمران كضروره اجتماع الناس

وحاجتهم الي التعاون والتضامن والدفاع عن الحقوق والتي كان وجود الدوله والقوانين لاجل ذلك.

فقال تعالي(واذكروا اذ انتم قليل فاكركم) ووبال هذا كله يعود علي الدوله بخراب العمران الذي هو مادتها لا ذهابه بامال اهله وهذه هي حكمه تحريم الظلم وما ينشا عنها من فساد العمران وخرابه وذلك مؤذن بانقطاع البشريه

الأمر الثالث

أن اللازم عليك اذا اردت التقدم والتطور والمساهمة في صناعه الخلاص واسترداد الفاعليه الايجابيه للامه أن تعرف الهدف الذي تسعى إليه وان تكون ارداتك حره لديك تصميم وإصرار علي تحقيق الهدف وهذا يتطلب منك أن تتزود بالمهارات والمعارف اللازمه للقيام بالمهمه يتطلب أن تحرر طاقتك من القيود والاغلال ولهذا نجد أن الحق سبحانه وتعالى يخاطب العباد فيقول (واذكروا إذ كنتم قليلا فكركم وانظروا كيف كان عاقبه المفسدين) فإن عليك الاستفاده من التجارب السابقه لتكون خطواتك مدروسه فانظر الي التجارب السابقه في حال النعمه وفي حال النقمه

فقوم مدين كانوا ضعاف واعدادهم قليل فأراد الله أن يستخلفهم في الأرض فبارك في نسلهم وأموالهم واهلك من كانوا قبلهم من قوم نوح وعاد وثمود برغم قوتهم وإعدادهم وعتادهم

فالرساله لنا من هذه التوجيهات :-

أن اللازم علينا اذا وصلنا الي منزله العز والتمكين بالمال والجاه والسلطان وغيره أن لاننسي ما كنا فيه قبل ذلك من الضعف والفقر والذل والهون حتي نشعر بما نحن فيه من نعمه فمعرفة النعمه تعني تذكر المنعم وبالتالي إذا استقرت هذه الحقيقه في النفس فلا بد أنك حينها تتعلم كيف تودي واجب هذه النعمه بشكر الله علي انعامه فإذا وصل بك العرفان لهذه المرحله فلا بد أن هذا يقضي علي الطمع والجشع بالكسب الغير حلال وسوف تبحث عن مصادر الكسب الحلال معتمدا علي الله ومتوكلا عليه

2

تدعوا الايات المخاطبين الي دراسته نشاه العمران وبواعثه واسبابه المفضيه الي نشوا الحضارات والموديه الي انحلالها واندثارها في اطار بيان اهميه ان تمارس العقيده دورها في بناء الامه وقيامها بدورها ولهذا يقول لك المولي عليك أن تنظر في الأرض لتري نهايه المفسدين في الأرض الذين كانوا أشد منكم قوه لتري سنن الله في الناس ولتنظر الي قانون الخلافه المطبق في الأرض فمن خالف منهج الله وتجب علي رسله وآياته فإن مصيره الهلاك فاللازم علي العبد أن يعرف هذه السنن فمن أراد التطور والتقدم فعليه الإنتباه من الخروج عن السنن فالتطور محكوم بهذه السنن ومدي قدرتك علي اكتشافها والأخذ بها برفق للارتفاع إلي مستوي العصر يكون انتقالك في مستوياته بالتزامن مع مراجعه الطريق الذي تسلكه فتتنظر هل مسيرتك متطابقه مع منهج الله ومع الأسباب التي كانت وراء نجاه المومنين نظره المتأمل بهدوء بعيدا عن التشنج والانفعال والتطرف لأن ذلك يودي الي طمس معالم الهدف ويولد التطرف فاللازم أن تلتزم منهج الوسيطيه والاعتدال

الأمر الرابع

تستمر النصوص في محاولة شعيب اصلاح الاختلالات في الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أحاطت بقوم مدين أنه يتوجه إليهم بالدعوة الي التعايش السلمي بعيدا عن لغة التهديد والقوه والسلاح فقال تعالي (وان كان طائفه منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفه لم يؤمنوا فاصبروا حتي يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين)

حيث نجد أنه جاء فيه الدعوة للتعايش وذيل ذلك بأن المطلوب هو الصبر وهذا فيه تهديد ووعد للمكذابين بان النهايه سوف تكون بزوالهم وعقابهم وفيه أيضا وعد للمؤمنين بالنصر وبالتالي فإن عليهم الصبر فالحق لابد أن ينتصر علي الباطل

وفي هذا عده رسائل ومفاهيم وتوجيهات لك انت ايه المسلم

١

عليك أن تدرك أن السلاح في مرحله الدعوه الجهرية هو الكلمه وليس القنبله ولا المدافعيه ولا الرشاش فمن تصور أنه يمكن له أن يغير أحوال الناس الي الافضل بالعنف فهذا واهم فالتغيير بالكلمه والعلم والايمان وقد شاهدنا كيف أن اختيار بعض العناصر المحسوبه علي الاسلام لغة العنف كوسيلة تغيير أضر بالإسلام وأساء لسمعته التي اوجدتها ظروف ظلام الرؤيه نتيجه غياب فقه الدعوه والسنن واساءه فهم النصوص وعدم القدره علي تنزيلها لقد ادي ذلك الفهم المحزن للوحي الي زياده مضاعفه معاناه المسلمين اليوم واستفاده الأعداء من هذا النوع من الأفكار التي نقلت صورته مشوه عن الإسلام

٢

ولهذا فعليك أن تدرك أن التجارب التي تنقلها لنا الآيات يراد منها أن تستخلص الدروس وتفهم ماهو منهاج التطور والتقدم والخطوات التي يجب أن تخطوها في سلم التطور والتقدم والرقى للوصول إلي مستوي العصر فلا تتناطح مع العقبات التي يمكن أن تفتك بك فاللازم أن تكون صبورا في هذه المرحله فمنهاج التطور تكمن في مدي إدراك الظروف السائدة في المجتمع المراد تطويره ومدي القدره في احداث التطور برفق للارتفاع إلي مستوي العصر فالانتقال يجب أن يكون برفق بعيدا عن التشنج والتطرف لأن ذلك يؤدي الي طمس معالم الهدف ويولد التطرف

٣

أن تذييل دعوه شعيب للتعايش السلمي بينه وبين قومه بالصبر فيه تهديد ووعد للمكذابين بان النهايه سوف تكون بزوالهم وعقابهم وفيه أيضا وعد للمؤمنين بالنصر والتمكين والعز فعليهم أن يصبروا فلم يأمر المؤمنين ب القتال في مرحله الضعف هذه وأمرهم بالصبر ولم يأمرهم بالانقضاض علي السلطه في هذه المرحله وليس معني هذا أن الإسلام والأديان لاعلاقه لهم بالدوله بل العكس ولكن فقه المرحله ودورها في تهيئة الظروف الموضوعية لإحداث التغيير دون مضاعفات هو من أهم أهداف واغراض مرحله الدعوه الجهرية حيث أن الناس عندما يكلفون بالتغيير فإنهم يعلقون الآمال كثيرا علي تغيير السلطه في تحسين ظروفهم وأحوالهم كونها من وجهه نظر الكثيرون هي أساس التخلف في المجتمعات وهو ما ادي الي ظهور حركات الانقلاب الذي تلجأ إليها الشعوب كخطوه اوليه علي طريق احداث التطور وتغيير الظروف الموضوعية ولهذا فإنه من الطبيعي أن تتجه الأنظار الي

التركيز علي السلطه لأحدث التغيير ولكن هذه النظرية خاطئه لماذا ؟

لأن السلطه السياسيه في أي مجتمع من الموكد أنها تمثل أحدي العناصر المكونه للتخلف او التقدم لأنها أحدي مكونات المجتمع لكنها ليست وحدها التي تحدث ظاهره التقدم أو التخلف فالظاهره كما أوضحت سابقا محكومته بظروف موضوعيه ذات مستويات متعددة سياسه واقتصاديه واجتماعية متداخله مع بعضها ولهذا فلا يمكن احداث التطور وتغيير الظروف بمعالجه أسباب الظاهره كلا علي حده لأن فصل مفردات الظاهره عن بعضها يعني ولاده ظوهر جديده اشد تخلفا ولهذا لابد من تهيئه الظروف الموضوعية وإعداد الطليعه القادره علي احداث التطور والتقدم لأن وصول الطليعه إلي السلطه السياسيه قبل تهيئه الظروف والمناخ لإحداث التغيير قد يولد طواغيت وجبابره في الأرض اشد وأعتي من ذي قبل باسم الدين والتاريخ ملئ بمثل هذه التجارب ولهذا نجد تركيز الاهتمام بالصبر وإبراز دور الابتلاء والامتحان قبل العز والتمكين في جميع الرسائل التي حملتها الرسل للبشرية فلا بد للمخاض من الالام

(قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أو لو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا

المبحث الأول

ابتدأت الآيات باستئناف بياني علي سوال ينساق الي الذهن بالتشوق الي نتيجه المعركه الفكرية بين الحق و الباطل في مدين معركه بناء الحضاره والامه التي خاضها شعيب عليه السلام مع قومه حيث والايات السابقه قد تناولت الأسس التي يكون بها بناء الامه وحضارتها فذكرت أنها تخضع لثلاثه اشياء (الأمر التكليفي) (ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره)... فمصدر التكليف الذي لامعقب لحكمه هو الله تعالي ولهذا فإن شرع الله واجب التطبيق سواء كان ذلك متعلق بجانب اقتصادي أو مالي أو اجتماعي أو شخصي او في العلاقات الدوليه في أي مجال

هذا هو الأمر التكليفي والايات معطوفه علي الايات الكونيه فقال شعيب (قد جاءتكم بينه من ربكم) رتب عليها اهميه الميزان فالكون منضبط وفق تقدير دقيق فأمر بالوفاء بالكيل والميزان ونهي عن البخس والافساد في الأ رض فالكون مضبوط بنظام دقيق والله أرسل الرسل وانزل معهم الميزان فاخبر الحق أن الفوضى والعشوائية ورفض المنهج الرباني ومحاولة تعطيل دوره في الحياه هو عمل ابليس ..ولهذا فعليكم أن تنظروا الي القواعد التي تقيمونها بها افعالكم وحضارتكم هل تنسجم مع الأمر التكليفي (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) وهل لديكم ميزان منضبط فشرع الله تعالي ومنهجه هو الميزان الذي تكون فيه الامه بين حالين أما أن تخف موزانيتها وبالتالي مصيرها الهلاك وأما أن تثقل موزانيتها فينعم الله عليها بالرخاء والسعاده

فالعبه هو وزنها في ميزان الله ولهذا أشارت الآيات الي سنه الله في نهايه المكذبين والمفسدين الذين يعيشون في الدنيا وفق لاهوائهم وبلا ميزان للاعمال فجاء حث السامعين علي النظر في عاقبه المفسدين في الأرض انظروا الي نهايه المتمردين علي الرسل والأنبياء والجاحدون ايات الله وانعامه

فاللازم مقاومه الظلم والفساد بالحزم والقوه لانه خروج عن ميزان العدل الذي أقام الله الحق عليه والعبات و الصمود علي الحق ف الله سوف ينصر أوليائه ويحقق لهم وعده بالعز والتمكين في الأرض فلا يمكن أن يتساوي المومنين مع المجرمين كما قال تعالي في موضع آخر (ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأ رض) وحكمه هو الاصدق وهو خير الحاكمين يحكم بالعدل ولايجور في حكمه ولامعقب لحكمه وبعد هذا تأتي النصوص باستئناف بياني لسوال ينساق إليه المقال كأنه قيل ماذا كان رده فعل قوم مدين علي دعوه شعيب لهم ب الاحتكام الي المنهج العقلي وفهم الوجود بشقيه الشهاده والغيب والرابط بين أفعال الإنسان وسلوكه وعاقبته دعوته لهم الي فهم السنن الاجتماعيه والاقتصاديه والسياسية التي تحكم سير الإنسان والتي تعد سببا لسعادته في الدراين يقول لهم انظروا ما حل بالمفاسدين واربطوا المقدمات التي انتم عليها بالنتائج التي انتهت بها الامم السابقه ماذا قالوا بعد أن سمعوا المواعظ من شعيب

فقال تعالي (قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا)

المفهوم الاول

لتعليم المومنين وتربيتهم علي الصبر والتحمل فالمعركة مع الطواغيت سنه معروفه مفروضه لابد منها ف الطواغيت لايطيقون مجرد وجود الحق ويرونه خطرا عليهم لايطيقون رويه الحق فالمعركة ازاله بين الحق و الباطل ولهذا قال تعالي (قال الملا)

لقد تولي الوجهاء من قومه الرد علي دعوه شعيب حيث نجد أنهم لم يكتفوا بالامتناع عن الاستجابة لدعوه الحق بل إنهم بالغوا في الاستكبار ولجاوا الي التهديد بالنفي من الأرض لشعيب ومن آمن معه قالوا ذلك بصيغه القسم ليس أمامكم الا العوده الي ملتنا أو ترك الديار ومغادرتها فاختاروا لأنفسكم أحدهما هذا هو ردهم علي دعوه شعيب لهم للاحتكام الي الحق والعدل المعيار الذي تستقيم به الحياه فقد ردوا عليه أن الاحتكام إنما يكون للقوه الماديه والأغلبيه

قالوا له أن من يمتلك القوه يمتلك الحق فالقوه هي التي توجد الحق رفضوا اتاحه الحريه للناس في اختيار الطريق لبناء الحضاره هذه هي نظرتهم للحق وهي نظره جميع من يستعلي بالقوه في كل زمان أنه يرفض الا عتراف بحقوق الضعفاء فهذه هي طبيعه المستبدين

فنحن نشاهد اليوم كيف أن النظام العالمي الظالم أفسد في الأرض لأن القوي التي شكلت مجلس الأمن الدولي هي القوي التي انتصرت في الحرب العالميه الثانيه القوي التي امتلكت السلاح النووي والمال فهي تتحكم في قرار مجلس الأمن بموجب حق الفيتو وهو ما جعل العالم يقف كله عاجزا أمام غطرسه العدو الصهيوني الذي يعبت بغزه واهلها بأبشع صور الفساد والاجرام لماذا لايرفع الظلم عن أهل فلسطين لماذا يقف العالم منددا عاجزا عن وقف هذه المجازر أن عجز العالم يعود إلي البلبطجه التي تمارسها دوله الولايات المتحده الأمريكية نتيجته فساد المنظومه الدوليه التي رسخت فكره أن القوي يمتلك الحق بجعل حق الفيتو للاقوياء لم تجعل بناء حضاره العالم علي ميزان الحق والعدل ولهذا عم الفساد في العالم وأصبح يهدد الاستقرار العالمي

فهذا هو منطق الجاهليه عندما ينظر إلي القوه كمعيار للحق فيقال لديك القوه فانت علي الحق فالقوه بنظرهم هي التي تنشأ الحق وهو منطق لا يختلف في مضمونه عن منطق الجاهليه الحاليه التي يعيشها للاسف الشديد كوكب الارض في القرن الواحد والعشرين لننظر الي رد قوم شعيب ماذا قالوا (لنخرجك يا شعيب والذين آمنوا معك أو لتعودن في ملتنا)

أن الألفاظ والكلمات التي تحكي رد قوم شعيب تعطينا صورته حيه متحركه حيث ابتدأت باللام الموكده اي القسم من قبلهم أنهم سوف يخرجون شعيبا أولا ثم ذكر وا بعده اخراج الذين آمنوا معه...علي طريقه التوكيد القسمي فدل هذا علي اصالته في الاخراج عليه السلام وان المومنون تابعون له ونسبه الاخراج إليه ثم الي المومنين متعلق بالاخراج لا بالإيمان وما يؤكد ذلك قوله تعالي (معك)

وتوسط اسمه العلمي بين المعطوفين لزياده التقرير والتهديد الناشئه عن غايه الوقاحه والطغيان فهذه هي طبيعه الطواغيت في كل زمان كما قال تعالي (واذا اردنا ان نهلك قريه أمرنا مترفيها)

انه استعلاء بالقوه فقالوا (من قريتنا) اي من بلادنا كلها دفعا لفتنتكم أو لترجعون الي ملتنا فاختاروا لأنفسكم فجاء العطف (أو لتعودن في ملتنا) وهذا هو القصد الاصلي العود

وانما ذكر النفي والاجلاء لمحض القسم كما يفصح عنه عدم تعرضه عليه السلام لجواب الاخراج كأنهم قالوا لا ندعكم حتي ترجعوا الي ملتنا وادخال شعيب في الخطاب لايعني أنه كان قبل ذلك في ملتهم يمارس الغش و التطفيف والبخس والعياذ بالله فهو معصوم وانما قيل ذلك بطريق تغليب الجماعه علي الواحد واتي بقوله (أو لتعودن في ملتنا) ولم يقول أو لنعيدكم علي طريقه ما قبله مرداهم أن يعودوا إليها بصورة طواعيه

وهذا فيه ان أهل الشر يميلون الي أشكالهم مثلما أن أهل الخير يميلون الي أشكالهم كما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم الأرواح جنود مجنده .. الخ

الأمر الثاني

تبين النصوص نظره المومنين للقوه بأن الذي يمتلك الحق هو الذي يمتلك القوه هذا هو الميزان الذي يوزن فيه المومن الأشياء ويقيم به حياته فقال تعالي (أولو كنا كارهين)

المفهوم الاول

(من الاسس التي يتم بناء الشخصيه المومنه هو الاستعلاء بالحق)

فالمومن لاتراه خاضعا ذليلا ولا مستخدما طامعا لاتذله الاحداث ولاتنحي جبهته امام الازمات لانه يستعلي بالحق يري ان الحق هو الذي يصنع القوه فانت اقوي لانك علي الحق ولهذا كان رد شعيبا جازما بانكار الوقوع ونفيه ف الهمزه (ولو) ليست للانكار الواقع واستقباحه بل لانكاره ونفيه فجاء النفي وقوعه بحال من الاحوال فالمراد انكار رجوعهم الي الكفر وبصيفه المبالغه في الاستبعاد لبيان انه امر مقرر وليس مجرد نفي واستبعاد فالعود مما ينكر عنده فليس المراد بالكراهيه مجرد كراهيه المومنين للعود الي مله الكفر حتي يقال انها معلومه لهم فكيف تكون مستبعده عندهم بل من كراهيتهم له بعد وعيد الاخراج الذي حصل من قومهم جاء انكار العود ونفيه و التقدير :-

لن نعود فيها لا في حال الكراهيه او عدمها فانتم لاتعرفون حقيقه الدين وما يغرسه في النفوس من قوه الاستعلاء بالحق فالمومن لاتوثر فيه التهديدات لانه لا يخاف الا الله تعالي وهو لا ينحني امام الازمات حتي لو طرد المومن من وطنه فانه لا ينحني لانه ينظر انه مهاجر في سبيل الله بل ان الفرار بالدين والهجره عند خشيه الفتنة من الا مور التي امر بها الدين واوجبها لقوله تعالي عن ابراهيم(وقال اني مهاجر الي ربي)

وقد اوجب الله الهجره لمن يستضعف في الارض وهدد من لم يهاجر ويتعرض للفتنه بالعذاب فقال تعالي(الذبن تتوفاهم الملائكه ظالمي انفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كونا مستضعفين في الارض قال الم تكن ارض الله واسعه فتهاجروا الي قوله(ماواهم جهنم وساءت مصيرا)

المفهوم الثاني

اهميه معرفه الحق والعلم به ومحبتة ومعرفه الباطل والعلم به وبغضه فليس معيار الحق القوه كما يتصور البعض بان من يمتلك القوه فهو علي الحق ...وليس معيار الحق رأي الاغلبيه من الناس كما هو مشروع الديمقراطيه فترى ان رأي الاغلبيه هو الذي يعبر عن من يملك الحق والحقيقه حيث نجد ان قوم شعيب لما دعاهم شعيب الي التزام الطرفين حريه المعتقد واتاحه المجال لعرض فكرته علي الناس دون ممارسه احد للفريق

الآخر اي ضغوط فقال. تعالي (وان كانت طائفه منكم امنتم بالذي ارسلت به الخ

لقد طلب منهم شعيب ان يسمحوا له واتباعه بحريه المعتقد وحرية الدعوه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد رد المستكبرون بانه لايمكن ان يسمح للاقليه المومنه بحريه المعتقد ولن يسمح لهم بان يتعامل بالعدل لن يسمحوا خارج عن راي الاغلبيه فقالوا امامكم خيارين اما الخروج من المدينه او العوده الي معتقد الاغلبيه لا يمكن ان نسمح لكم باختراق نظام الجماعه ومعتقدنا لن نسمح ان يكون هناك لونا اخر يصغ به المجتمع غير لونا الاغلبيه فقال تعالي (لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودون في ملتنا)

وتوجهوا بالخطاب لشعيب كما قال تعالي (وقال الذين كفروا لرسلم لنخرجنكم من قريتنا او لتعودون في ملتنا فاحي اليهم ربهم لنهلكن الظالمين) ولهذا ادخل شعيب نفسه في الرد الذي انكر فيه العوده ونفي حصول الاحتكام لراي الاغلبيه فقال (او لو كنا كارهين)

لقد اردوا ان يقروهم علي ما هم فيه من الكفر ان يتوقفوا عن القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فالحق يريد منكم ان تتعلم الصبر والثبات علي وان تستمر بالدعوه فلا تنسحب نزولا عند راي الاغلبيه ف الله قد جعل للكفر والباطل والشر اهلا وانصارا مثلما جعل للحق والايمان والخير اهلا وانصارا ولهذا فانت بحاجة الي التزود بالعلم والارده الجازمه لان اهل المعاصي كثيرون في العالم والله يقول (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله)

وهم يدعون الناس الي الباطل ويزينون لهم القبائح ويحاولون قهرهم علي ذلك ويستغلون مافي النفوس من شبهات واهواء

ولهذا نجد ان شعيب يعلل نفي العوده وانكاره بقوله

(قد افترينا علي الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ انجانا الله منها)

يعني يستحيل ان نعود الي الشرك لا في الاقوال وعباده الاصنام التي تعبدونها ولا في مخالفه منهج الله بالغش و التطفيف ولا اي امر من امور الجاهليه بعد ان عرفنا دين الله

لاننا نعلم عظم جريمه الافتراء لانه اختلاق قول علي الله لاعلم لنا به بوحى ولا برهان من عقل فكيف نحيد عن صراط الله المستقيم عن علم ان ما انتم عليه مخالف لمنهج الله

فالكفر هو رفض قبول الحق وغمطه بعد العلم به وهو شر انواع الكفر واقراركم علي ما انتم عليه هو افضح ضروب الافتراء التي لاتقبل معها الاعذار

فدل هذا علي اهميه معرفه الحق والعلم به ومعرفه الباطل وطرقه حتي لاتختلط السبل فانت عندما تامر بـ المعروف لابد ان تكون عالم به وكذلك اذا اردت ان تنهي عن المنكر لابد ان تكون عارفا به فمن لايعرف المعروف لايمكن ان يامر به ومن لايعرف المنكر لايمكن ان ينهي عنه

فالعبد بحاجة الي معرفه سبيل المومنين معرفه تفصيليه معرفه الاسباب التي ادت الي التوفيق والهدايه والعاقبه وكذلك بحاجة الي معرفه سبيل الكافرين واسباب الخذلان والهلاك فاذا استبان له السبيلان وعرف الطريق

الموصل الي النجاه والسبيل الموصل الي الهلاك كان هذا اعلم الخلق وانفعهم للناس وانصحهم لهم

لانه يعرف الفرق بين ما كان فيه من الضلال والعمي والحيره فاخرجه الله الي النور والاطمئنان والعدل والامن. فعرفوا مقدار ما نالوا وظفروا به ومقدار ماكانوا فيه فان الضد يظهر حسنه الضد فالايه ترسم لنا مشاعر الاعتزاز بعقيده التوحيد لدي المومنين الذي وافقهم الله اليهم فقد وجدوا فيها الاطمئنان الامن والسعاده بعد الحيره و التخبط ولهذا قال تعالي علي لسائهم(بعد اذ انجانا الله منها)

فالاشياء تتبين باضدادها وهو مهم لدفع الاهواء والاراء لان النفوس فيها مالايعلم الا الله من الشبهات والشهوات وهو سلاح يحاول دعاه الكفر استغلاله في المعركه فهم دعاه الي المنكر وينهون عن المعروف ولهذا فان المومن بحاحه الي ارده جازمه وقدره علي دفع الاهواء وذلك يتطلب زياده الرغبه والمحبه فيما انتقلوا اليه ونفره وبغض لما انتقلوا عنه يبغضون العوده الي الكفر ولهذا كان ردهم (قد افترينا علي الله الكذب ان عدنا فيها بعد اذ انجاءنا. الله منها)

وهذا فيه الاتي

1

ان علي العبد ان يوزن الامور بميزان الحق وبالتالي يوتر الاخره علي الدنيا يوتر العلم علي الجهل والطاعه علي المعصيه

فالجاهل هو الذي يتشبث بالدنيا والعالم السفلي وهذا ما يفسد عليه قدرته علي الالتحاق باهل الخير لانه يشعر ان انقطاعه عن الملذات خساره وهذا يعود الي تعلقه بالمطلب السفلي ولهذا لايقدر علي حسم مواد الفساد التي تدفعه الي الهلاك

فتكون نفسه فارغه من الارده والطلب لما فيه سعادتها

اما المومن فان نفسه عاليه وشريفه متعلقه بالمطلب العلوي الذي يري انه فيه السعاده ويشعر بنعمه الايمان و التوفيق لهديته ولهذا يجزم المومنون باستحاله العوده الي الكفر بعد الايمان فقال تعالي

(وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا شي وسع ربنا كل شي علما)

لان همه المومنون متعلقه بالمطلب الاعلي ارضاء الله ولهذا نجد ان المومنون يخاطبون قومهم بانهم لن يتوقفوا عن امتثال امر الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر لماذا لانهم ينظرون الي الغايات المحموده والمذمومه ينظرون الي المعاصي انها بمنزله وحش مفترس او سم قاتل فهل يشرب العاقل السم ينظرون الي لذه الطاعه للغايه التي تنتهي اليها وهم يوطنون انفسهم علي الصبر لتحمل مشقه الطريق لما يومل عندهم من الغايه فالصبر واليقين بهما يتحمل العبد مشقه طلب الخير واللذه الدائمه

2

ان اساس ذلك الصدق والاخلاص فقلوب المومنون طاهره لايسكن داخلها الا الله تعالي ولهذا يخافون من الافتراء علي الله لان كل عمل صالح ظاهرا وباطنا فممنشوه الصدق فالصدق هو اصل عمل القلوب واضداده الكذب الذي

هو منشوا كل عمل فاسد من الرياء والعجب والكبر والفخر والبطر....واعلي مراتب الكذاب الافتراء

يقول ابن القيم في كتاب الفوائد

والله يعاقب الكاذب بان يقعه ويحبطه عن مصالحه ومنافعه ويعبت الصادق بان يوافقه للقيام بمصالح دنياه
واخرته فما استجلب مصالح الدنيا والاخره بمثل الصدق ولا مفاسدهما ومضارهما بمثل الكذب

ولهذا يحرص المومن علي الصدق طالبا من الله السعاده والتوفيق من الله فهو يفوض امره الي من يعلم عواقب
الامور والرضي بما يختاره الله له ويقضيه لما يرجوا من حسن العاقبه

فدل هذا انه لتحريك التفاعل الايجابي لدي الجماهير لابد من الوصول اعماق النفس البشريه الداخليه ليستقر
فيها مشاعر الاتصال بالله فالمومن يانس بجوار ربه والامن بحماه ولهذا يجد الطمئنانه والسعاده والامن بالا
يمان فهذه المشاعر ولدت قوه تمسك بالعقيده رغم التهديد قوه ترددت صدها عاليا ومدويه قابلين يستحيل ان
نعود الي الشرك والجاهليه في اي حال من الاحوال واي وقت من الاوقات وهذا هو الفرق بين المومن الصادق
في ايمانه باليقين الجازم وبين الكافر هو ان المومن يري المناهي كالاطعمه اللذيذه بانها قد خلطت بسم قاتل
ولهذا كلما دعت له لذته هرب منها خوفا من ان تقتله وكذلك ينظر الي الطاعه انها مثل الدواء للمريض فمذاقه
الكريهه مفض الي الشفاء ولهذا يتحمل الالم اليسير لما يعقبه من اللذه العظيمه والخير بينما الكافر لا يتجاوز
نظره الي اللذه الظاهره امامه ولهذا لا يدرك الغايات التي تنتهي اليها الامور

3

ان من ذاق الايمان وحلاوته يعرف مقدار نعمه التوفيق التي انعم الله بها عليه ولهذا يحرص علي العمل بالاسباب
التي تمده بالعون الالهي والهدايه التي يحتاجها للثبات علي دينه بدوام تزكيه النفس وتطهيرها والاتجاه الي الله
في كل الاحوال طالبا العون ولهذا نجد التعرض لعنوان الربوبيه الا ان يشاء الله ربنا ...

لنفي الخذلان طالما نحن في رعايه الله لان من صدق الله في جميع اموره صنع الله له فوق ما يصنع لغيره.
حيث يطمئن بالشعور من كل ضر ومن كل شر الا بما يشاء الله يطمئن برحمته تعالي للهدايه والرزاق والستر في
الدنيا والاخره فالمومن مستند الي اقوي الاقويا ملك الملوك فلا يبالي بقوي الدنيا باسرها فقال تعالي علي
لسانهم (وسع ربنا كل شي علما)

من جهه فيه اشاره الي مداومه تزكيه نفوسهم ومحاسبتها علي تقصيرها نتيجته الشعور برقا به الله وانه محيط
بكل شي علما ماكان ومايكون وماسوف يكون والتي من جملتها احوال العباد وافعالهم وتصرفاتهم ونواياهم.
ومن ناحيه اخري فيها اعلان الفبول والرضا بقدر الله تعالي وبالتالي فلا ضعف ولاذل ولاهون في سلوك المومن ف
لاتطمعوا في عودتنا الي الكفر

فالذنوب من خذلانه تعالي. وتخليه عن عبده وتخليته بينه وبين نفسه لان العبد اذا تخلي عنه ربه لا يعرف عيوب
نفسه ولهذا يتضرع المومن الي ربه ويبتهل اليه ان يدفع عنه اسبابها حتي لاتصدر منه ولهذا جاء التعرض لعنوان
الربوبيه(الا ان يشاء الله ربنا شي وسع ربنا كل شي علما)

فالتوفيق والخذلان لهما اسباب فمشييه الله مرتبطه باهليه المحل وعدمها فمن كان قابلا للنعمه شاكر الله علي ما

انعم ويعظمه عليها ويعلم انها من محض الجود وعين المنه من غير ان يكون هو مستحقا لها ولا هي له ولا به انما هي لله وحده وبه وحده فاخلص في توحيده وصرفها في محبته شكرا وعرف تقصيره في شكرها فزاد ذلك بانكساره وخضوعه لله تعالى واستمر في التضرع والابتهاال لله ان يرزقه التوفيق فانه تعالى يمدّه بالعون و التوفيق اما من جحد النعمه ولم يوقر المنعم ويشكره فانه يخذله تعالى ويسلبه النعمه

ولهذا نجد ان شعيب ياتي بعدها ببيان اهميه الاستعانه بالله والانس به والتوكل عليه في جميع الامور فقال تعالى (علي الله توكلنا)

فاظهار اسم الجلاله في موضع الاظمار للمبالغه في التضرع لله بالاعتماد علي الله بعد الاخذ بالاسباب فالتوكل الصحيح يشترط فيه القيام باحكام الشرع ومراعاة السنن الكونيه والاجتماعيه اللازم الاخذ بهن في هذه المواقف

لان ترك العمل بالاسباب لايعني التوكل بل هو التواكل المنهي عنه فالعزم يكون بعد الاخذ بالاسباب لحديث ان رجل جاء الي النبي فقال انه يترك ناقته سابه بحجه انه متوكلا علي الله فقال له الرسول (ص) اعقلها وتوكل

المفهوم الثالث

علي العبد ان يفهم ان هجران السيئات وحدها لا تكفي ولا تنفع

فلا بد ان يكون من المجاهدين لازالتها حتي لا تكون فتنه

فاللازم ان تتحرك ضد المنكرات

بعد هذا يتوجه شعيب بالدعاء الي الله طالبا العون الالهي بان يمدّه بالنصر علي الاعداء فقال تعالى

(ربنا افتح بيننا وبين قومنا وانت خير الفاتحين)

توحي الايه ان شعيب فقد الامل في عوده قومه لجاده الصواب بعد ان شاهد العتو منهم والكبر اخذ بالاسباب لمواجهه الباطل وتوجه الي الله بالدعاء فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا

والفتح تعني باللغه ازاله المغالِق التي صعب عليه ان يفتحها والمغالِق قد تكون ماديه وقد تكون معنويه

ولهذا فان المفاتيح منها ما يدرك بالبصر ومنها ما يدرك بالبصيره والمغالِق في قضايا الحكم تعني الفصل وفتح الا فقال التي احدثت المشكله والعقد ولهذا يقال فتح الحاكم بينهم ويقال فتاحات الخصومات وقد ورد عن ابن عباس قوله ما كنت ادري قوله تعالى (ربنا افتح بيننا... الخ

حتي سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها اتعالي افاتحك وقالت عربيه لزوحها بيني وبينك الفناح ولهذا جاء تذييل ا لايه (وانت خير الفاتحين)

والمعني ربنا احكم بيننا وبين قومنا بالحق الذي تقضي به سنتك في التنازع بين المرسلين والكفار وانت خير الحاكمين لاحاطه علمك بما يقع بين المتخاصمين وتنزهك عن الحيف والجور

رابعاً

لما بينت الايه السابقه الخطوات التي يجب علي المومن القيام بها اتجاه واجب نعمه الايمان وذكرت النصوص ان الخطوه الاولي تكون بهجران السئيات واعلان القطعيه معها والنظر اليها انها مثل الوحش المفترس الذي يجب ان تحذر الاقتراب منه

لانك ان اقتربت منه فانه سوف يلتهمك فقال تعالي (وما يكون لنا ان نعود فيها ...الخ

وهذا يدل علي وجود العلم وكذلك فان الهجران للسئيات يتطلب العمل بما امر الله ابتغاء مرضات الله ومحبه هذه هي القوه التي تدفعك الي امتثال امر الله

والحب لله له علامات هي اتباع الرسول فذلك هو وسيله التعبير عن حب الله لقوله تعالي (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله)

فنظره المومنين موضوعيه ينظرون للشئ من حيث مصدر هذا التكليف فهم يحبون ما احبه الله ويبغضون ما ابغضه الله

بينما معيار الكفار شخصي فقال تعالي في موضع اخر علي لسان شعيب (ويا قوم لايجرمكم شقاقي ان تصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد)

ولهذا نجد انه تعالي يخبرنا عن محاوله قوم شعيب صرف المومنين عن اتباع نبي الله شعيب انطلاقا من تلك النظرة الشخصيه للموضوع فقال تعالي

(وقال الملا الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون)

كانت المواجهه ابتدا مع نبي الله شعيب وهنا انتقل الحوار بين الوجهاء من قوم شعيب وبين المومنين

حيث يفهم منه انهم اتبعوا شعيب بامتثال امر الله وكذلك قاموا بحمل دعوه الاصلاح لاختلالات المجتمع الا قتصاديه وما دعاهم اليه شعيب وهو ماغضب القوم فلجاوا الي تهديد اتباع شعيب بالخساره اي تهديدهم بفقدان المصالح كما هو حال المتكبرون في كل زمان يهددك بالفصل من الوظيفه بلقمه عيشك وغيرها من الوسائل

المهم هنا ان اللازم عليك ان تفهم ان هجران السئيات وحدها لاتنفع فلا بد من المجاهدين لازالتها حتي لاتكون فتنه

فكراهيه المعاصي واهله من الكفار الفجار مع بغض النهي وجهادهم لاينفع وكذلك فان حب المعروف واهله ولا تحب ان تامر به ولاتجاهد بالنفس والمال لاينفع

فكراهيه النفس لجهاد المنكرات اعظم من كراهيتهم للمنكرات لاسيما اذا كثرت المنكرات وقويت بها الشبهات و الشهوات فاللازم ان تقف ضد المنكرات وتزيلها فلا تقف في دائره السيطره ولا بد ان تنتقل الي دائره التأثير لتغيير المنكر

ولهذا جعل التغيير قائما علي ثلاث بالقلب واللسان واليد

فعليك ان تدرك ان دورك يتعدى كراهيه المنكرات الي العمل علي ازاله المنكر ولهذا فان ذلك يعني ان تجد مصاعب وعوائق يصنعها الاعداء فلا تضعف فاللازم عليك ان تصبر بالنظر الي ما عند الله من نعيم فيكون الشوق قوه دافعه لتحمل المشقه

فالميزان الذي توزن به الاشياء يختلف عن ميزان الكفار الذي ينظرون للربح والخساره من منطلق الشهوات و الملذات يعلمون ظاهرا من الحياه الدنيا ولا يدركون الغايات والمالات التي تنتهي اليها الامور ولهذا نجد الايات ترسم نهايه الكفار (فاخذتهم الرجفه فاصبحوا في دارهم جائمين)

انها النهايه لكل من يرفض الحق ويتمرد علي الحق فهذه سنه الله والرجفه الصيحه ازهقت اروحهم ودمرت الحضاره وقضت عليها

وعذاب الصيحه

بتاثير الرنين الناتج عن الموجات تحت الصوتيه باعضاء الجسم والتي تتسبب بارتجاف بعض الاعضاء الداخليه للا نسان

بدليل انها لم تؤثر علي المباني وانما علي الانسان فقط وبقيت المباني كما هي وهذا لانهم كانوا ينظرون الي المباني في الجبال انها تحميهم من الهلاك

ولهذا قال تعالي بعدها (الذين كذبوا شعيبا كان ن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرون)

اي لم تغني عنهم القصور وكثره الانصار والقوه والعتاد فقد خل العذاب بهم

ولهذا فان المومن يزن الامور بميزان الحق فهو ينظر الي ما يعقب المعصيه والملذات من الالم والعذاب فلا يقربها وينظر الي ما يعقب الطاعه من نعيم فيتحمّل مشقه ذلك ولهذا فهناك فرق بين نظره المومن ونظره الكافر ف النظر الي متاع الدنيا بالنسبه للكافر نظره تعظيم ومحبه لها ولاهلها ولهذا قالوا للمومنين لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون

بينما نظره المومن للدنيا وما فيها انها متاع قليل زائل لقوله تعالي (ولاتمدن عينك الي ما متعنا به ازوجا منهم زهره الحياه الدنيا لنفتهم فيه ورزق ربك خير وابقى)

فمنطق الربح والخساره يعود الي الميزان الذي توزن به الاشياء والمومن ينطلق في نظرتة للموت بانه بدايه لحياه جديده وابدائه و بمجرد موته تقوم قيامته فهو ينتهي به الحال اما الي الجنه ونعيمها واما الي النار وجحيمها

وقد ورد عن الرسول (ص) في معني الحديث انه يوتي بانعم اهل الدنيا من اهل النار يوم القيامه فليقي به في النار ثم يقال يا بن ادم هل رايت خير قط هل رايت نعيم قط فيقول لا والله مارايت ويوتي باشد الناس تعاسه في الدنيا من اهل الجنه فيقال يا بن ادم هل رايت شقاء قط فيقول لا والله

فمن مات قامت قيامته فالموت بدايه لحياه جديده اما سعاده او شقاء حياه ابدائه ولهذا تاتي النصوص مبينه ح ال شعيب بعد هلاك قومه فقال تعالي (فتولي عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف

اسي علي قوم كافرين)

تركهم وتوجه لهم بالخطاب الذي فيه القطعيه لقد صاروا يعذبون لانهم لم ينتفعوا بالنصائح ولم يستفيدوا من التحذير فكيف يحزن عليهم والمراد بهذا ان الاهتمام بدعوه الناس للايمان لا يعني ان ترهق نفسك بتحمل الا حزان لعدم الاستجابه

المقطع السابع

الاعراف

بعد ان تناولت آيات المقطع السابق قصص انبياء الله نوح وهود وصالح ولوط وشعيب مع اقوامهم وماكان من هلاك تلك الامم بعدما كذبوا الرسل تاتي آيات هذا المقطع تكمله لما سبق فقال تعالى (وما ارسلنا في قريه من نبي الا اخذنا اهلها بالاساء والضراءلعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السئيه الحسنه حتي عفاواقالوا قد مس اباؤنا الضراءوالسراءفاخذناهم بغته وهم لايشعرون ولو ان اهل القري امنوا واتقوا لفتحنا عليهم باركات من السماءوالارض ولكن كذبوا فاخذنهم بما كانوا يكسبون)

اولا

الآيات معطوفه علي ما سبق ذكره من احوال الامم التي حكى الله تعالى لنا احوالهم ومواقفهم مع رسلهم وما اصابهم من الهلاك ولهذا فان مجي العطف في سياق التعقيب علي قصص الانبياء نوح وهود وصالح ولوط وشعيب يعني ان الحق سبحانه وتعالى يريد منك ان تقف علي التعقيب بعنايه وتدبر وتامل فدمار الحضارات واندثارها ليس مصادفه بل له قانون وسنه ثابتة يعطينا الحق الاسلوب الامثل لقراءه وتفسير الدليل التاريخي يعينك ابجديات القراءه وادابها

المفهوم الاول

يقول لك الحق عليك ان تعلم ان الرب رحيم بعباده كلهم ولهذا ارسل الرسل لهدايه الناس فلم يترك امه بلا رسول ف الله اقتضت رحمته ان لايعذب احد حتي يبعث اليهم رسول فقال تعالى في موضع اخر (وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا)

ولهذا ابتدات الآيات باسلوب القصر (وما ارسلنا في قريه من نبي)

اي ما من قريه الا ارسلنا لها رسولا يدعوهم الي مافيه سعادتهم في الدنيا والاخره وينهاهم عن الشرك والكفر و العصيان

يدعوهم الي مافيه هدايتهم وسلامتهم في امور دينهم ودنياهم

لان الانسان يحتاج الي الاهتداء لكيفيه التعامل مع ربه ومع نفسه ومع اسرته ومع الاخرين المحيطين به وبني جنسه ومع الكون من حوله ولهذا جاء وردت(من) تبويض يفيد العموم لانه ورد فيه نكره (قريه) في سياق النفي و تخصيص القري بارسال الرسل دون البوادي لايحي اهمال حال اهل البوادي وانما لان البوادي يتبعون المدن كما هو حال اصحاب الايكه التي كان اهلها بدو تابعون لمدين الحضر

ولان النصوص تتحدث عن نشاء الحضارات واندثارها فاخبرنا الله انه ارسل الرسل لاجل اصلاح الحضارات واهلها التي يتطرق اليها الخلل بسبب الاجتماع الذي يتطلب وجود دوله تحمي حقوق الناس ووجود قانون يحكم احوالهم ويودي الي الاستقرار والاعمار والتحسين في الارض

ولهذا فان اول خطوه لاصلاح الناس تكون بارسال الرسول الذي يدعوهم الي مافيه سعادتهم فهدف الاديان و الرسل من دعوه الناس الي عباده الله واتباع منهجه هو اسعاد البشريه واخراجها من الظلمات الي النور

وبالتالي فان ارسال الرسل رحمه من الله بالناس واللازم عليك ان تعي ان السلامه والنجاح والفوز والفلاح يكمن في اتباع الرسل والاستجابه لدعوتهم لان ذلك يعني الحياه قال تعالى

يايها الذين امنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحيكم)

فانت حينما تلتزم منهج الله وتطيع الله تعالي تنفع نفسك لان هذا فيه ضمان سلامتكم وسلامه حضارتكم

فالذي يريد النجاح والتفوق وبقاء حضارته فان ذلك يكمن في طاعه الله والتزام منهج الله تعالي الذي ارسل رسوله رحمه للعالمين فقال تعالي في موضع اخر (وما ارسلناك الا رحمه للعالمين)

المفهوم الثاني

يطلعنا الحق علي سنته الثابته التي تسبق اهلاك المجرمين والقضاء علي الحضارات من خلال اطلاعتنا علي الخطوات التي التاديبية التي تسبق ذلك فاخبرنا انه تعالي عندما يجد الرسل التكذيب والعصيان من الناس وعدم القبول بمنهج الله فانه تعالي رحمه منه بعباده لا يتركهم شاردين في غفلتهم لان اساس الكفر هو الغفله والغني ولهذا قال تعالي (الا اخذنا اهلهما بالباساء والضراء)

والاخذ هنا مجاز بمعنى التناول والاصابه بالمكروه الذي لا يستطيعون دفعه وهو مرتب علي التكذيب والعصيان لا علي الارسال

فالدعوه فيها البيان والحجج الكافي لاقامه الحجه عليهم في حال عدم الاستجابه ومع ذلك جعل الله التاديب التربوي بالباساء والضراء لاجل ان يعود الناس لله تعالي بالتوبه والاستغفار... لاجل ان تعود الي الصواب والمبادره لاصلاح الواقع فالتوبه تعني الاعتراف بالخطا وبالتالي رويبه الخلل وبالتالي تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر السلبيه للحيلوله دون امتداد الازمه وبالتالي التضرع يعني ان نبادر لاصلاح الواقع بالعوده الي منهج الله ومعالجه الخلل للحيلوله دونها او دون اثارها او السقوط فيها فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول بادروا بالا عمال الصالحه (اي السرعه في مواجهه ابتداء من تنميه الجوانب الايجابيه واصلاح الخلل) فتنا كقطع الليل يصبح الرجل مومنا ويمسي كافرا او يمسي مومنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا)

ولهذا فان التضرع تعني فهم ما تحمله الشده من رسائل يخاطبك بها الله تحمل اشارات انذار لك قبل حلول الكارثه فعليك اصلاح الخلل بالعوده الي الله تعالي

المبحث الثاني

ان التضرع هو اساس ارسال الرسل حيث وان غايه وجود الانسان هو ان يعرف الانسان ربه ويحبه ويعبده وحده لاشريك له

فالتضرع هو العباده التي هي غايه وجود الانسان اي الخضوع والخشوع لله تعالي خضوع ذل ومحبه له تعالي وهذا يتطلب ان تعرف الله وصفاته وكماله وغناؤه عن عباده وتعرف نفسك بضعفها وافتقارها وحاجتها الي الله تعالي ولذلك ارسل الله الرسل يدعون الناس الي عباده الله تعالي فاذا لم يستجبوا للرسل انتقل الانسان الي مرحله ثانيه من مراحل الاصلاح

وهو الاخذ بالباساء والتي تعني المصائب في الاموال والممتلكات مثل الزلزل ودمار المنازل وموت الاحبه او الا عاصير وتلف المحاصيل والضراء المرض في الابدان وهذا فيه الاتي

الامر الاول

عليك ان تعلم ان ذلك تاديب من الله لان الشده تعني ان يشعر الانسان بضعفه وافتقاره وحاجته لربه لان الكفر يعود الي الجهل والغني فالغفله تعني ان الانسان ينسي نفسه ويتصور نفسه انه عظيم ولهذا يتكبر او الغني يعود

الي الرخاء والرفاهيه

وهو ما ينتج عنه قساواة القلوب والشروود ولذلك فان الشده توقظ الفطره وتزيل الغبار الذي غطي عليها الرؤويه و الشده تعني تريقق القلوب وتلينها وعندها يتوجه الناس الي ربهم طاليين من الواحد القهار ان يرحمهم ويزيل عنهم الكروبات

وبذلك يتخلص الانسان من الغرور والكبر والهوي ومن عباده الشيطان

فانت تشاهد ان الانسان وقت الشده يقول يارب فهذا لان الفطره تعرف ربها ولان النصوص تتحدث عن الحضاره و التزام منهج الله فاراد بهذا بيان ان الشده توقظ من مازال فيه خير وبالتالي فان الربوبيه توجب عليهم ان يخضعوا لمنهج الله

الامر الثاني

عليك ان تفهم ان معامله الله لك رسائل ولهذا فاللازم عليك مراجعه حسابك ف الله يقول لك انه يسبق الازمه اشارات تحذيرييه هي من النذر الالهيه التي يخوف بها عباده لعلهم يراجعون ماهم عليه من سلوك يودي للازمه فال لازم عليك التقاط الاشارات واصلاح الخلل قبل ان تحل الكارته

فعندما تمرض او يهلك مالك او نحوها من المصائب فان اللازم عليك ان تحاسب نفسك وتبحث عن الخطاء الذي ارتكبته فالمصيبه التي انت فيها رساله من الله لك يقول لك فيها الحق استيقظ لقد ارتكبت خطأ خطير يتوجب عليك اصلاح حالك قبل حلول الكارته عندما تفشل في علاقتك الزوجيه وتجد المشاكل داخل البيت معلا مع زوجتك لاتتوقف فعليك ان تراجع حساباتك هل كان اختيارك لزوجتك لاجل ان تبني اسره. مومنه ام انه كان لاجل مالها او جمالها وبالتالي فعليك ان تصحح نويك

من جهه اخري عليك ان تنظر الي اخطاك وعلاقتك بربك فربما كان السبب عائد لامر اخر لم تلتزم فيها بناء علاقتك مع ربك علي امره ونهيه

اذا شاهدت عصيان من اولادك لك معلا فعليك ان تنظر ان في ذلك رساله من الله لك لمعصيه ارتكبتها فراجع حساباتك اذا اصبت بنكبه حادث سياره في مالك او نفسك او ولدك او احد اقاربك فعليك ان تنظر ان هذه رساله من الله لك فتمه ذنب او تقصير ارتكبته بحق الله او احد من خلقه يتطلب منك ان تفتش عنه وتبحث وتنقب عن هذا الذنب وتستغفر الله وتتوب من هذا الفعل اذا مرضت فعليك ان تتعامل مع الامر انه رساله من الله لك تقتضي منك ان تبحث عن التقصير الذي فعلته وهكذا ينبغي ان تتعامل مع كل ما يحل بك في كل شان علي انه رساله من الله اليك

الامر الثالث

عليك ان تشعر عندما تحل بك المصائب برحمه الله تعالي بك لانه يعيطك فرصه لتصويب الخلل بهذه الاشارات التحذيرييه التي تسبق الهلاك فمن رحمته سبحانه وتعالى بك ان تحل بك الشده لاجل ان يردك اليه ولهذا فاحذر من التبرير لنفسك نتيجة الخلل الذي يقع فيه الكيرون بين الاشاره والابتلاء صحيح ان المومن مبتلي لكن الواجب عليك ان تحاسب نفسك بحملها علي ماهو خير بالتفتيش عن جوانب التقصير لديك حتي تتمكن من تصويب الخطا فاللازم ان نروض انفسنا ونمرن عقولنا ونربي انفسنا وابناءنا علي شجاعه الاعتراف بالخلل شجاعه الاعتراف بالفشل والاخفاق بعيدا عن المكابره بغير الحق

فاول خطوه للخروج من الازمات يكون بالاعتراف بالمسؤوليه وعدم القاء التبعيه علي الاخرين

الامر الرابع

عليك ان تعلم ان ما نعانیه من ازمات يعود الي اننا لانتضرع كما يجب فلو تضرعنا كما يجب لازيحت الكثير من الازمات لان الله يقول (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكرا عليما)

فالازمه فرصه لتلقت للمراجعه علي مختلف الاصعده تجعلك تعيد ترتيب اوضاعك وتكتشف الخلل واسبابها و العمل علي امتلاك القدره علي توظيفها في استرداد الفاعليه الايجابيه يعني تجديد شباب الامه لان الامم مثل الانسان لها عمر يقول عمر عبيد حسنه في كتابه الازمه (ان المصائب جرس انذار تدق بصوتها الاذان كي تفيق الامه من السبات لتحقق المراجعه والتوبه الفكرية والعملية واكتشاف اسباب الخلل ومواطنه والعوده الي مراجعه المعاصي التي اهلت لحصول الازمه والمبادره لاصلاح الحال واللجو الي الدعاء الذي يشهد الفاعليه ويبنى الهمم ويجلي الحقيقه ويوصل بمصدر القوه فالدعاء فعل وفاعليه وليس سلاح العاجز وتكريسا للعجز ذلك ان الاستعانه ب الله معقد الرجاء وسبيل الصمود والعبات علي القيم وعدم الانكسار امام الازمات)

ولهذا فعليك ان تدرك اهميه اللجو الي الله وقت الشده واهميه ان تفهم الرسائل التي يخاطبك الله بها في مثل هذه المواقف

ثانيا

تنتقل سياق النصوص الي بيان المرحله الثالثه التي تسبق سقوط الحضارات وانهارها فقال تعالى

(ثم بدلنا مكان السيئه الحسنه حتي عفوا وقالوا قد مس اباؤنا الضراء والسراء فاخذنهم بغيته وهم لايشعرون)

ان من الاخطاء الشائعه التي وقع فيها المفسرون في تاويل هاتان الايتان هذه الايه والتي قبلها هو انهم خلطوا بين. الابتلاء بالشده والمرض... والابتلاء بالرخاء والرفاهيه.. وبين انزال الشده والمرض بالناس كعقاب رباني لمن رفضوا الاستجابه لدعوه الرسل و

الامر الاول

تبين النصوص انه تعالى جعل لسقوط الحضارات سنن وقانونين وموشرات انذار تدل علي قرب حلول موعد سقوطها اذا لم يتلافي اهلها اوجه الخلل بتصويب احوالهم ولهذا جاءت الايه معطوفه بحرف العطف(ثم) : الذي يفيد التراخي اي انه بعد اخذهم بالشده لاجل ان يعودوا تائبين الي الله لكنهم لم ينتفعوا ولم يستفيدوا من درس الشده حيث استمروا في استكبارهم وطغيانهم فكان الانتقال الي الخطوه الثالثه (بدلنا مكان السيئه الحسنه) اي لونا اخر من الوان العقاب للناس فهي معطوفه علي جملة (اخذنا اهلها) وداخله في حكمها والمعني اعطيناهم الحسنه محل السيئه اي بدلا عنها فقال تعالى (حتي عفوا) اي كثروا في اعداءهم واموالهم وسلطانهم وقوتهم

فاراد الحق بهذا ان يزودك بخطوات سقوط الحضارات لتكون قادرا علي قراءه وتفسير الاحداث في مجالي الخير والشر يعيظك الدليل والمفتاح لقراءه العواقب من خلال الوقوف علي الموشرات والمقدمات فالحياه محكوم به السنن وهي لاتحابي احد حتي نحن المسلمون ومعرفه هذه السنن هو مفتاح الهدايه واداه مهمه الاستخلاف والا ضطلاع بالمهمه ولهذا فان علي المسلم ان يحرص علي فهم السنن التي تحكم الحياه ليحذر الوقوع فيما وقع فيه اولين

الامر الثاني

يقول لك الحق انه اذا لم تستقيظ القلوب بالشده والمرض فانه تعالى الله يستدرجهم بالرخاء والرفاهيه مكان الشده والقحط يستدرجهم بكثرة الاموال والاعداد والمتاع مكان العسر يستدرجهم بالكثرة بدل القله فقال تعالى

(ثم بدلنا مكان السيئه الحسنه)

والسيئه ماتسوا حال صاحبها فهي من الشقاء اما الحسنه فهو من الحال الحسن فهي من السعاده والنعمه ولهذا استخدم كلمه بدلنا اي مكان الشده الرخاء ومكان الضيق السعه ومكان الضعف القوه ولهذا فمن الاخطاء التي وقع فيها البعض ويرى بعض العلماء ان لفظ مكان مفعول به وليس ظرفا والمعني بدلنا مكان الحال السيئه الحال الحسنه فالحسنه

هي الماخوذه الحاصله في مكان السيئه المتروكه والمعني هنا لا يختلف بحصول التحول من حال الي حال لكن الملاحظ وجود خلط بين مفهوم الشده والمرض الذي يبطل الله المومنون لمعرفه الصادق من الكاذب والصابر العابت علي الحق من المتخاذل الرخاء والتمكين والعز والقوه والمال كوعد الهي يناله المومنون ابتلاء من الله لعباده لينظر كيف يفعلون هل يشكرون الله علي انعامه ام يجحدون ويبين مفهوم الرخاء والرفاهيه واليسر والعافيه كعقوبه استدراج من الله تعالي وهذا الخطا الذي وقع فيه المفسرون ناتج عن الخلط بين الابتلاء بالشده و المرض الذي يبطل الله به المومنون لمعرفه المومن من الكاذب ويبين انزال الشده والمرض بالمكذبين للرسول كناديب لهم لاجل ان يستفكوا من غفلتهم وعنادهم ومكابرتهم فالاول ابتلاء وامتحان لمعرفه مدي صدق ايمان العبد وقدرته علي التحمل وهذا يتوقف علي قوه الصبر الذي من دعائم الايمان... فالومون يصبر عند الشدائد... اما الثاني فهو تاديب للذين لم يستجيبوا لما دعاهم اليه الرسول فالمولي يريد بالشده ان يخرج من قلوبهم الشوائب واخراجا للتكبر من قلوبهم واسكانا للتذلل في نفوسهم ليجعل الشده ابواب مفتوحه واسعه للوصول الي فضل الله واسبابا لعفوه تعالي فهذه المرحله يكون بعدها انتقال العبد الي مرحله اخري مرتبطه بنتيجه الامتحان بالمرحله الاولى ارتباطا لايقبل التجزئه فالنسيبه للمومن والذي يختبره الله تعالي بعدها بنعمه الغني والصحه والاقتدار لينظر اتشكر ام تكفر هذا اذا نجحت في الامتحان الاول اما اذا لم تستيقظ القلوب بالابتلاء بالشده والمرض فانه تعالي يستدرجهم بالرخاء والسعه مكان الشده.

يعني مكان الباساء والضراء النعمه والراحه والسعه وهذا ما يفصح عنه الحرف (حتي) اي لغايه ما يصلوا الي مرحله (عفو) كموت الاموال والعتاد والقوه فيقال عفو الشي اذا كثر من قول الرسول صلي الله عليه عفو (الحي) اي كثرها

فاراد الحق بهذا

المفهوم الاول

ان يحذرك من هذا التغيير في الحال (الاستدراج) بانه نتيجه طبيعيه لموقفك من الشده فانت اذا لم تنتفع من التاديب الرباني ولم يخرج الكبر من قلبك ولم تخشع وتستسلم لامره تعالي فانه تعالي يتركك في شرودك ويسهل لك ابواب المعاصي كما قال تعالي في موضع اخر (ونيسيره للعسري) ولهذا فان التوسعه عقوبه من الله تعالي ولهذا فاللازم عليك الانتباه اذا اعطاك الله النعم وانت تعصيه فان هذا استدراج لك فكن حذرا فان هذه اشاره لعقوبه قريبه قاسيه سوف تحل بك

المفهوم الثاني

عليك ان تدرك ان الترف يقضي علي العمران لماذا؟

لانه يودي الي بلاده الاحساس وعدم المبالاه ولهذا توحى اليه بالحاله النفسه المصاحبه لحاله الترف (حتي عفو)

لان الترف والنعمه اذا حصل لاهل العمران دعاهم بطبعه الي مذاهب الحضاره والتخلق بعوائدها لان الحضاره تعني التفتن في الترف واستجاده احواله وتزداد لديه الرغبه في التفتن والتائق ويتبعه طاعه الشهوات فتتلون النفس

من تلك العوائد بالوان كثيره لا يستقيم حالها لا في الدنيا ولا الدين فالتطور المادي لاي حضاره يصاحبه انحطاط في القيم الروحانيه ويولد الاستهتار والاستخفاف بالحقوق ولايبالون بالآخرين ولايحسبون لاحد حساب ولا يشعرون في نفوسهم تحرجا من فعل القبائح حيث ان المجتمعات التي تعيش حاله الترف البذخ تخرج عن القصد الي الاسراف يكثر فيهم الفسق والشر والسفه فتجدهم اجرياء علي الكذب والسرقة والغش والريا والسرقة وابصر بطرق الفسق ومذاهبه والمكر والخديعه نتيجه الانهماك في الشهوات والاسترسال فيها لكثرت الترف فيقع التفنن منهم في الشهوات فقال تعالي (وقالوا قد مس اباؤنا الضراء والسراء)

تجدهم ابصر بالمكر والخديعه يدفعون بذلك ماعساه ان ينالهم من القهر وما يتوقعونه علي تلك القبائح حتي يصير ذلك ثقافه المجتمع وتموج المدينه بالسفله والمنحطين من اهل الاخلاق الذميه وبجاريهم فيها كثير ممن يمتلك القرار في الدوله وخاصه الناشئه الذين لم يعيشوا الشده ولايستشعرون بان هذه النعم من الله لايفقهون انها استدراج يتبعه الهلاك معلما لم يفهموا الحكمة من التاديب بالضراء ينظرون ان ذلك مجرد حظ وعاده جاريه وليست موعظه يقولون الزمن يومان يوم لك ويوم عليك فيقولون لقد جاء دورنا كي نتلذذ بالشهوات بعد العناء الذي عناهها اسلافنا وايضا ينظرون ان ماهم فيه يعود الي ذكائهم وذكاء اسلافهم في جمع الاموال والمناصب يقولون عندما توجه اليهم المواعظ والنصح بالتعامل مع الناس بالرحمه فالمال مال الله وكذلك فان القوه التي يتمتعون بها والمناصب والنفوذ يوجب عليهم التواضع والتعظيم لامر الله والرحمه بالناس فهم لاينظرون الي المشنيه الالهيه واراده الله بانها هي القوه التي تقف وراء المنع والعطاء لايعترفون بان الفاعليه هي لله ولايعترفون بذلك فلا يشعرون بالاستدراج يقولون ان مانحن فيه هو نتاج نضال اسلافنا فقد تحملوا المشقه والتعب والكدر وجاء دورنا لنحصد الثمار ولهذا فان الفاسدون يكثرون حتي يصبح الفساد والفاسدون هو سمه البلاد واعيانها ووجهاءها فاذا كثر ذلك في امه فاذن بخربها وانقراضها فقد قال تعالي (واذ اردنا ان نهلك قريه امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)

فالنهيائيه ثمره الغفله والطغيان وسوء التقدير فقد جحدوا النعمه وظنوا انها خصنا يتحصنون بها من المصائب حتي يتفاجوا بالهلاك من حيث لايتوقعون فقال تعالي (فاخذناهم بغتته وهم لايشعرون)

فعليك الانتباه فاللازم ان تنظر للتحويلات في حياتك نظره تدبر وتامل في السراء والضراء والعسر واليسر وان تاخذ الموعظه من كل تحريه وتستلهم الدروس وتفهم الرسائل الربانيه المواجهه اليك وان تعود نفسك علي الصبر عند الابتلاء ومحاسبه النفس عند التقصير والشجاعه علي الاعتراف بالخطاء وان تكون شاكرا لله عند الرخاء ف الله يبين لنا احوال الاولين لتنعظ بها فالمومن من يتفطن لما ابتلاه الله في السراء والضراء فقد جاء في الحديث (لايزال البلاء بالمومن حتي يخرج نقياً من ذنوبه والمنافق مثله كمثل الحمار لايدري قيم ربطه اهله ولا قيم ارسوله)

ثالثا

(ولو ان اهل القري امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون)

الامر الاول

العلاقه بين القيم الايمانيه وبين سنن وقوانين اندثار الحضارات وسقوطها وانهيائها)

الايه وردت تعقيب علي بيان سقوط الحضارات واندثارها بان ذلك يعود الي طبيعه نظره الامم للانسان وتقدمه فحضارت الكفر انطلقت من الاهواء والشهوات لامكابح ولاضوابط لحركتها في الحياه حركتهم فوضوئيه وغوائيه

اما المسلم فان مفهوم الحضاره لديه لها اسس تنطلق من طبيعه نظرتة للانسان والغايه من وجوده ولهذا ف الحضاره وفقا لمفهوم الاسلام تعني احترام كرامه الانسان ينظر الي وجوده في الارض انه لم يكن عشوائيا وانما

هو امر مقصود من الخالق سبحانه وتعالى الذي اختاره ليكون خليفه في الارض وبالتالي فان ايمانه انه مكلف من الله بان يكون مستخلفا في الارض يشكل باعنا للانتاج والعمل الجاد والنافع يتحرر فيه الانسان من كل الاغلال والاضغوط فيخرج من قلبه الانانيه وحب الذات ويشعر بمسؤوليته عن تعاسه البشريه ويسعي جاهدا لرفع الظلم والالام عنها فهو يتفاني في خدمه البشريه فالايامن يخلق المناخ الملائم الذي لايتوقف عند معرفه الحقيقه والتصديق بها الي الحرص علي تجسيدها في ارض الواقع وعدم التقاعس عن القيام

2

فالعقيده لها دور ايضا في نشاط المرء وفاعليته بتوجيه الحركه والجهد البشري نحو الفاعليه الايجابيه وان يكون نشاطه في الارض منسجما مع حركه الكون لانه يؤمن ان سيادته علي الكون انما هو تسخير الهي لاجل ان يقوم ببذل جهده في الاستفاده مما سخره الله له وتعميره وتطويره وتحسينه وانه لايجوز للانسان تخريب اي جز من الكون باي نوع من انواع التخريب اي ان من اسس الحضاره الاسلاميه هو التحسين والاعمار وهو ما يجعل عمله ونشاطه يتجه الي ما فيه تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الفساد يتحرك حركه منتظمه وفق ضوابط هنالك كوابح للشهوات وكل ما يضر بمصلحه الجماعه والفرد

3

ان الايمان والتقوي يخلق المناخ الذي الملائم لعملية التقدم والتطور والذي لايمكن حدوثه في الاضطرابات و المراهقه الفكرية والجمود العقلي حيث انه يحرق الطاقات الخلاقه للشعب فالتقدم يحتاج الي التعاون للوصول الي الاستقرار

لان العمران لايتحقق الا بالاستقرار للكيان وقيام كل فرد بدوره في صناعه الاستقرار والشعور بالمسؤوليه ولهذا فان الايمان والتقوي يخلق المناخ الملائم لتحقيق هذه الهدف لانه من جهه يحرر الطاقات الخلاقه للشعب من قيود المراهقه الفكرية والجمود العقلي الذي يحول دون الكفاح الذي تحتاجه الامه في عمليه التقدم يقضي علي التردد وتجعل تفكيرهم ينطلق من الايمان بالله وخوف الله وتقديم مصلحه الجماعه علي المصلحه الشخصيه وبهذا يمتلك القدره علي التفكير الخلاق المنبعث من عقيدة الايمان ومراقبه الله ومن البحث العلمي بالاستفاده مما سخره الله له بهذا الكون بعيدا عن الخرافات لانه يتصل بالواحد القهار وحده لاشريك له فهو لا يهمل الامكانيات الموجوده ولا يقفز علي الواقع بل يتحرك خطوه خطوه ويمتلك المهارات والخبرات لمواجهه التحديات من خلال الالتزام بالقيم والمبادئ وعدم التفريط بها مع البحث العلمي ودراسه التاريخ والطبيعه والواقع وربط ذلك بالمنهج ومعرفه التزاماتك الواجب القيام بها اي دراسه الهدف والتكلفه والموزانه بين المصالح والخسائر بالنظر الي الكلفه الماديه والقيميه فلا يجوز التفريط بالعدل والوفاء فاذا عرف الحقيقه فانه ياخذبه ولا يتقاعس عنه لانه قد تحررت طاقاته فقد امتلاك القدره علي الحركه لان الفكر يسبق الارده وحتما يوجد قوه العمل المشترك فالمجتمع حينها يكون قويا لان ضعف المجتمع وقوته يقاس بمدى قدرتهم علي التفكير الخلاق المنبعث ومن الواقع الموافق لعقيدة الايمان والمنهج الرباني (الوسطيه والاعتدال) بعيدا عن المراهقه الفكرية التي تخلق نوعا من الارهاب المعنوي الذي يعرقل التقدم فهذا التدين المغشوش كان من اهم اسباب التخلف اليوم في امه الاسلام

3

ان الحضاره والتطور لايتحقق دون وجود قياده تقود عمليه التقدم (السلطه السياسيه) ووجود السلطه امر مهم وضروري فهي التي تقود عمليه التطور وهي في جوهرها جهد سياسي منظم ومتضبط ينطلق من امال الشعب ويحقق اهدافه وفي مقدمتها عقيدته ولهذا فان الايات تتحدث عن اهميه ان تكون السلطه خاضعه لمنهج الله وان يكون وصول الحاكم الي المنصب وفقا لقيم الاسلام ومبادئه من الشوري وسياده القانون

فالقيادة ينبغي ان تكون مومنه بما جاء به الاسلام وتخدم الشعب وتراقب الله علي الدوام ولا تخالف الدستور الوثيقه التي تضبط العلاقه بينه وبين الشعب وترسم حدود سلطته ومهامه

وهو ما يقضي علي التخلف واسبابه والذي يعود الي تغليب المصالح الشخصيه علي المصالح العامه يقضي علي الحضاره ويمنع التقدم ويسقط الحضاره واندثارها فنحن نري اليوم كيف ان العالم الاسلامي نتيجه الموترات الغير منتجه التي خلقتها الانانيه وحب الرئاسه جعلت الامه ومقدراتها وامكانياته اسيره الاستعمار الجديد فاصبح يتحكم في مقدرات الامه الاعداء ضد الاسلام وصارت البلاد العربيه مسرحا للصراعات الامريكه واذنابها في المنطقه من جهه والروس والاييرانيين من جهه اخري دمرت سوريا واليمن وليبيا هدمت حضارتنا لان الحكام لا يمثلون ارداه المجتمع ولانهم لا يمثلون امالها فهم لم يصلوا الي السلطه وفقا لمبدأ الشوري ولانهم واقعون تحت الاستعمار الذي اوصلهم الي سده الحكم لانهم لم ينظروا ان مهمه الحاكم هي

تولي تنظيم المجتمع والدوله و العمل علي تحقيق اهداف الامه وحمايه حقوقها وحمايه القيم التي تقوم عليها الحضاره العدل والمساواه وكل القيم العليا لكنهم نظروا للسلطه وسيله لاشباع رغباتهم بحب الرئاسه يريد ان يصنع في الناس ما يريد ينظر للناس كأنهم ثياب يريد ان يفصلهم مثل قطعه القماش ليصيروا ملابس جاهزه لهم ولا يبناهم علي مقاسهم في الحاضر والمستقبل اما المسلم فانه ينظر للسلطه تكليف لاتشريف وانها ليست مطلقه اليدين فلا يجوز التسلط علي رقاب الناس وهو يلتزم الدستور المكتوب الذي حمله الرسل من ربهم والذي يحتاجه الناس وبما يودي الي تلبية الاحتياجات الماديه والروحيه للانسان وحضارته

وهذا فيه الاتي

المفهوم الاول

(معني تجديد الحضاره)

مما سبق يتضح الايمان اي التصديق بما جاء به الرسل والعمل باحكامه يعني التقدم والرقى والتطور فالايمان قوه دافعه تودي الي انسجام المجتمع في حركتهم وتحمل المسووليه وهذا من دواعي بقاء الحضارات ونموها لانه ينمي بواعث اليقظه واتقاء

العاقبه ودليل علي سلامه اجهزه النظام ومن موهلات النجاح لان الحضارات مثل الانسان لها عمر ونهايه تموت فيها فاذا كان الانسان بعد الاربعين سن الكمال يبدا في الانتكاسه فان الحضاره كلما تقدمت حتي تصل الي الكمال فانها تنذر ببدايه حلول موعدها ف الله يقول في موضع اخر(والتيين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سفلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين)

ولهذا فان الحضاره بحاجه الي ان يتداركها ابناءه بالايمان والتقوي لاجل ان تجديد روحها وتمديد عمرها صيانتها من الهلاك والموت وقد اخبرنا الله ان الايمان والعمل الصالح هو الوسيله لتجديد روح الحضاره (الا الدين امنوا وعملوا الصالحات فلهم اجرغير ممنون ... الخ

الايمان والتقوي اساس النجاح والفلاح لماذا ؟

لانك تتصل بمصدر القوه الحقيقيه ولهذا فانك تطمئن بالانس بالله والقرب منه ولهذا فان المسلم لا يضعف امام الازمات لانه يركن الي القوي والرزاق

ولهذا فالمومن لا يتاثر بالازمات لانها متوقعه عنده من قبل وقوعها من جهه ومن جهه اخري لان يعتمد علي الله جازما ان مصادرها من قضاءه وامورها بيده ولهذا فان المومن يحول المحنه الي منحه فيحسن اداره الازمات

واحتواءها والحد من اثارها لانه علي يقظه من امره وهذا هو مفهوم تجديد الحضاره وليس كالكافر الذي يفرق نفسه في الشهوات والملذات ولهذا يتفاجا بالازمه نتيجته غفلته

المفهوم الثاني

بالوقوف علي الايه في سوره المائده نجد انه ورد فيها (ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئتهم ولا دخالنتهم جنات النعيم) بينما هنا قال تعالى (ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا ...الخ

فالخطاب بشأن اهل الكتاب جاء جواب الشرط بمحو عنهم الذنوب مهما كانت وانه لن يفضحهم لان الحديث في ا لايه فيه دعوه الي التحول في قراءه المطلب الرباني من التواره والانجيل الي القران بينما الحديث عن اهل القرى في سوره الاعراف جاء في سياق الاخبار عن سنن بقاء الحضارات وزوالها وعن طلب الناس الرزق والبركه مكان الوعيد ولهذا

نجد ان النصوص تبين (اسس بناء وتجديد الحضارات وبقائها)

حيث نجد ان الايه تتحدث عن المنهج الرباني واهميه الدين لقيام الحضاره وبقاوها واستمرارها تبين النصوص ان مصير الحضاره وبقاوها وسقوطها واندثارها مرهون بالالتزام بالدين

فقال تعالى (ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون)

فالايه تتحدث عن ضروره وجود الاذن الحضاري لنمو الحضاره وبقاوها

فالدين هو اساس قيام الحضاره وبقاوها او سقوطها واندثارها

وهذا شرط اساسي لقوه الحضاره انه قانون الخلافه وشرطها فالامان والسلامه والرخاء والسعاده في الدنيا والا خره هي لمن يلتزم منهج الله تعالى ومن يقيم حضارته ودولته وفقا لمنهج الله فهذا هو شرط الخلافه الماخوذ من ادم حينما سلمه الله مفتاح الارض هو التوحيد فقال تعالى (فاما ياتينكم مني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن اعرض عن ذكري فان له معيشه ضنكا ونحشره يوم القيامه اعمي)

ولهذا فانه من الموكد ان كافه الحضارات الانسانيه كانت قد ادت الي قيام حضارات ماديه كبيره ساهمت في تحريك الطاقات وظهور الابداع ووالتكنولوجيا والصناعات لكن تدشين هذه الحضارات وتوجيهها اي الفكر المعرفي الذي انطلقت منها في قراءتها لما وصلت اليها من علوم لم تاخذ بالاذن الحضاري الذي يعني ان تكون القراءه باسم الرب وحده لاشريك له كما قال تعالى (اقرا باسم ربك الذي خلق) بل ان هذه الحضارات انطلقت في قراءتها من خلال لغه غير اللغه التي فيها الاذن الحضاري فقد تجاوزوا في قراءتهم للحضاره اسم الرب الي اسماء مختلفه من عقيدته الشرك والاحاد والنجوم والعقل والماده ولهذا نجد انه تعالى عندما خاطب اهل الكتاب في سوره المائده فقال (ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ...الخ

اي لمحونا عنهم ذنوبهم ولن نفضحهم فاراد بهذا منهم ان يعيدوا النظر في ثوابت قراءتهم لتتنطوي ضمن التجديد الرباني في العالم بلغه القران فدل هذا انه توقف العمل بالتوراه والانجيل وانه لم يعد هنالك اذن للعمل بهما وعليهم التحول الي القران لقراءه مراد الله ولذلك وصف اليهود والنصارى بالكفار والمغضوب عليهم والضالين لا نهم رفضوا التحول الي الاسلام

وتمسكوا بحضارتهم التي توقف العمل بها اي لم يعد لهم اذن حضاري بمجي الاسلام ولذلك دعاهم الي الايمان و التقوي

ووعدهم بمحو الذنوب مهما كانت

في هنا في الاعراف فالحديث عن اهل القرى الذين يطلبون الرزق والبركه فجاء الوعيد انهم لو امنوا و اتقوا لفتح الله لهم ابواب البركات لنفهم ان الحضاره مقيده بالاذن الرياني في العالم وهذا الاذن هو المنهج الذي انزل الي امه الاسلام واختار الله امه العرب لتعمل علي تجسيد مراد الله في كونه الفسيح ولهذا يقول الله لهم انتبهوا من التعسف في قراءه مراد الله او قراءه الاذن الحضاري لقياده العالم عليكم ان تدركوا حجم المسووليه التاريخيه فاعلموا ان ماحل بالامم سابقه من دمار الحضارات يعود الي الفشل والاخفاق في تجسيد مراد الله في كونه الفسيح وعملت علي تجسيد مراد الشيطان

ولهذا فان الدين هو اساس قيام الحضارات ونشائها وانتهائها

وبدونه تكون هذه الحضاره بلا شرف لانها لم تحظي بالاذن الرياني

الامر الثاني

كما ان قوله تعالي (ولو ان اهل القرى امنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا... الخ وردت هذه الصيغه في سبعة مواضع في الانعام الايه 129 وفي التوبه الايه 82...95 وفي يونس وفي ص وفصلت و الجاثيه

يريد ان يستجلب منهم الاستجابه فتجسيد مراد الله وبناء الحضاره واستمرارها مرهون بالتزام منهج الله ولما كانت امه العرب عباره عن قبائل متناحره لاتعرف الدوله ولا الانظمه ولا القانونيين فكان لا بد من تهذيب العربي المتوحش وترويض هذا المتمرد ليكون اهلا لقياده العالم ولهذا نجد ان النصوص تتخذ من قصص اهل القرى وما فيها من سلبيات وسيله لتربيته المجتمع المسلم من خلال هذا التبسيط في ايضاح الاسلام وايجابياته كنظريه انقاذ للحضارات وتلافي ماحدث لاهل القرى من هذا العرض الذي يليي تطلعات الشباب المومن للوصول الي الوعد الالهي بالعز والتمكين يدلهم علي بدايه الطريق لتحقيق الوعد الالهي ولهذا نجد ان الايه تبين الاتي

المفهوم الاول

بان القاعده الاساسيه التي تقوم عليها الحضاره هي الاخوه

فالمحبه بينهم فانها سوف تنمو روابطها وتسموا مقاصدها وتتحول من محبه غايتها المصالح الدنيويه الي محبه خالصه لله تعالي ينال بها سعادته الدنيا والاخره فالتاخي والتالف بين القلوب هو الاساس في بناء المجتمع الفاضل وتقويته وهذا يودي الي البذل والعطاء والايثار بين المتحبين علي النفس مع شده حاجته

فالمتمامل لما كان عليه المجتمع العربي قبل مجي الاسلام يري انهم قبائل متناحره وقد استطاع الاسلام اجتثاث نار العدواه وتطهرت النفوس من اوساخ النظره الجاهليه وعصبياتها البغيضه وغرس فيها الحب والاخاء فلا فضل لاعربي ولا اعجمي الا بالتقوي ولهذا فان الايمان والتقوي هنا يعني ترسيخ قاعده بناء الحضاره علي العدل و المساواه فلا يوجد طبقات داخل كيان النظام الاسلامي وبالتالي عدم وجود الصراعات الداخليه التي تمزق الامم يعني الخلاص من التعصب الشخصي التي تعوق التقدم تعني ان التسابق في المجتمع هو لاجل احتمال الاعباء و التعاون علي البر والتقوي يعني قيام مجتمع يسود اجواه التكافل والتراحم

وهذا يعني ان وحده التفكير للمجتمع المسلم فالجميع لهم تفكير واحد ينطلق من قاعده الايمان التي تسد القلق الناتج عن الفراغ الروحي لان الايمان بالله الواحد يعني ان تومن انه منحك بكل قواك وطاقتك ونوزاعك عقيدته شامله تجعلك تراقب الله في اتصالك بالناس وتلتمس الاخره في طلب الدنيا

ولهذا فان هذا يعني تعظيم التقوي ومعني هذا انها تحفظ الفطره وتمنع فسادها لان فساد الفطره يعني القلق لان الفطره تعرف ربها وتجد عند غياب الايمان فراغ يفتح الباب للشياطين ان يتسللوا الي الحضاره ويتسببوا في هدمها حيث بالنظر الي انهيار الحضارات المعاصره نجد ان العقائد الباطله من القوميات والعصبيات والمذهبيه هي السبب وراء انقضاء اجل العديد من الدول في العصر الحديث ولهذا نجد ان الاستعمار برغم مغادرته الوطن العربي الا انه مازال يغذي العصبية والمذهبية والطائفية والمناطقيه لانه يسيطر علي مقدرات الشعوب من خلال اختلاق الصراعات فالتقارب اذاه صناعه الحضاره والمستقبل والابداع بينما التباعد اذاه هدمها ولهذا فان العالم الاسلامي بحاجة الي وحده التفكير من خلال عقيدته الايمان فاذا صار لها الايمان صبغه يصبغها اي لا يوجد من يخرج عن قاعده الايمان في تفكيره ينظر للمصلحه العامه اولويه يجب الالتزام بها قبل المصلحه الشخصيه فان هذا يولد وحده الاراده لان المومنون يصبحون كالجسد الواحد ينظر الي الخطر الذي يهدد النظام والمجتمع المسلم انه يهدده هو يحس بالالام الذي يصيب اي مسلم في العالم فالرسول لما وصل المدينه شرع في توخيد الصف المسلم بالموخاه بين المهاجرين والانصار فقال تعالي (وكنتم اعداء فالف بين قلوبكم)

وبالتالي فان هذا يعني ان الناس اتحدوا في تفكيرهم من حيث ماهو الشئ الحسن والقبيح لهم معيار واحد هو حكم القران علي هذا الشئ وبالتالي فان هذا الاتحاد يودي الي تكوين ارداه واحده للمجتمع المسلم لان الالتزام بالمنهج يعني تحديد مسار اراده المجتمع وصياغه شكلها فهذا المنهج هو الذي يتابع مساره من خلال الشعور بوجود الله والاهتمام بشؤون المسلمين واجب علي كل مسلم وهو ما يودي الي اتحاد المشاعر بين المسلمين اي يصير الخطر الذي يهدد اي مسلم هو تهديد للامه كلها (قوميه الخطر) فعندما يكون الاحساس بالخطر من جميع مكونات المجتمع فان هذا يعني التحرك من جميع ابناء المجتمع المسلم للعمل المشترك لمواجهة الخطر المشترك

مما سبق يتضح تجديد روح الامه وحضارتها مرهون بتكوين فريق عمل مشترك يشمل الحكام والمحكومين يتحد فيه تفكيرهم وارداتهم وعملهم بحيث يشعر الشعب انه جزء من السلطه ومساهم في صناعه القرار والحضاره فالشعب هو صاحب المصلحه في التقدم ولاغني عن طاقاتها فاذا انفصلت السلطه عن الشعب ولم يشعر الشعب انها تمثل اهدافه واماله فانها لاتعطي طاقاتها الخلاقه التي تصنع التقدم لانها تدرك ان السلطه الحاكمه لا تعمل لصالحها ولهذا جاء القران بمنهج كامل يحدد التزامات الحكام والشعب ويربط اداء كلا منهما للالتزام الواجبه عليه بالايمان بالله والتقوي وبهذا تحقق الفاعليه الايجابيه ويكون انشاء مجتمع يحكمه القران وبالتالي يفتح الله عليه الارزاق والبركات ولهذا نجد ان الاخبار في هذه الايه عن الوعد الالهي بسعه الرزق والرخاء لو التزام منهج الله اي يلتزم الناس كلهم فالايه وردت بعد ذكر انقسام الناس الي فريقين مومن وكافر وبيان مصير كل فريق وما ينتظر كل فريق في الاخره والدنيا فهي مثل قوله تعالي في سوره الجن(والو استقاموا علي الطريقه لاسقيناهم ماء غدقا لفتنهم... الخ

بعد ذكر قول الجن (وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا) الي قوله...واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)

وهنا ذكر ان الاغلبيه لم يستجيبوا لدعوه الله ولم ينتفعوا بالشده ولذلك حلت بحضارتهم الدمار والموت ثم ذكر هذه الايه لتعود بالقاري الي فائده الايمان بدل التكذيب. والتقوي بدل الاستهتار في الدنيا والاخره ومساوي الكفر والكذب لتقويه وشد انتباه السامع لاستجلاب استجابتهم بان يسلكوا طريق الصواب والرشد والصالح فالايمن والتقوي هنا مثل الاستقامه في سوره الجن متعلق بالنشان الجماعي للامه كلها بانهم لو التزموا منهج الله كلهم وحصل الاستجابه منهم لما يدعوه اليه الله ورسوله لحصلت لهم الحياه الطيبه قال تعالي (يا الذين امنوا

استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم)

فلوا اخذ الناس كلهم بالقران فان هذا فيه التجديد للخياه فلو امنوا والتزموا منهج الله كلهم استقامه جماعيه بان صاروا كلهم متلزمون بالسير في حياتهم كلها وفقا لنظام ومنهج الله بامتثال اوامره واجتناب نواهيه والاحتكام لمنهج الله فانه تعالي يعدهم بالرخاء وسعه الرزق

المفهوم الثاني

تحدث الايه عن تطوعات الناس الي التطور والتقدم وكانهم في حيره لا يدرون من اين تبدا الطريق مع وجود موجه تستهدف تجريد الامه من مقوماتها المعنويه (الايمان والتقوي) وما يتفرع عنها من اخلاق كريمه كالتعاون والمحبه والاخاء والتسامح والاتحاد والي ما الي ذلك من علاقات وصفات ايجابيه بشريه تسعى الافكار الهادمه الي استبدالها بعلاقات ماديه مجردة تتسع للغدر والخيانه والعنف والقسوه والخداع وهذا ما نراه في واقعنا المعاصر حيث نشاهد الاعداء يستهدفون الاسلام وحضارته بموجات شديده محاولين تشويه صورته ولهذا فان الناس بحاجه الي مناعه قويه تصد هذه الهجمات يحتاج الي التمسك بدينه فاذا حصل ذلك فانه لا يخيفنا معها موجات الاعداء ولهذا نجد تركيز الحديث عن النظام الاسلامي واظهار ايجابياته مع اظهار سلبيات المناهج الا رضيه ومفاسدها وانها من اسباب هلاك الناس ودمار الحضارات واندثارها وهذا لاجل ازاحه الشبهات علي الناس وحتى لا يضل الناس الطريق كان لابد من ايضاح الامور وتبسيطها ولهذا قال تعالي (ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما.. الخ

فالدين هو اساس بناء الحضارات وبقائها واستمرار فاعليتها وفوق ذلك كله فهو قيمه روحيه ونفسيه وضروره اخلاقيه تسد الفراغات التي لاتصل اليها القوانين الوضعيه فالمومن يشعر انه هو المخاطب في الايه التي فيها الوعد من الله لكل من امن به وكتبه ورسله... الخ قولاً وعملاً واتقى الله بمراقبه الله ايمان حقيقي شعور يجعلك تشعر بوجود الله يجعلك تقف عند كل حركه او قول او فعل لتنظر هل ذلك الفعل مما يحبه الله ويرضاه ام مما يبغضه الله?

ليكون تصرفك تابعا لمنهج الله وليس لاهوائك ولا لارضاء الناس

هذه هي قاعده التعامل التي ينطلق منها الفرد في حياته كلها مع نفسه ومع اهله ومع جيرانه وفي تعامله مع الاخرين في تجارته ومهنته وفي علاقته مع الموظفين الذين هم تحت امرته والحاكم مع المحكوم وفي العلاقات الدوليه بين الدول

وبالتالي فانه عندما تستقيم النفوس علي طاعه الله ويعرف كل انسان ماهي حقوقه وماهي واجباته ويعمر قلبه الايمان والمحبه لله ولرسوله وللمومنين فان هذه النفوس لاتحتاج الي رقابه السلطه لكي تردعه عن الجرائم لان رقابه الايمان اقوي والوزاع الايماني لا يفارقه فهو يسكن قلب المومن وهذا الايمان يحقق الحمايه للمجتمع والامن ويحميه من الاخطار

المفهوم الثالث

ولما كانت المصلحه هي عنصر الذي يجتمع عليها الناس ودافعا للمساهمه كل فرد بناء الحضارات فهي من اهم عناصر بناء الحضارات وبقائها لانها تحدد حجم الكيان وتأثيره وفاعليته

نظرا لسعه الافق وضيقها لذلك تبين الايه ماهي المصلحه التي يجتمع عليها المومنون انها مصلحه الحب في الله والبغض في الله وهذا فيه اساس بقاء الحضارات (وحده التفكير... وحده الاراده... وحده العمل)

فعليك ان تنظر للمصلحه من حيث موقف حكم الشرع منها هل هي حلال او حرام ثم هل تجلب المصالح فقط ام

انها تجلب معها المفساد ولهذا فعليك تغليب المصلحه التي تكون لك رصيذا في اخرتك فالايه تناقش مفهوم المصلحه كقوه تحدد حجم الكيان وتأثيره وفاعليته عليك تغليب المصلحه العامه وايضا فان المصلحه العامه ليست بلا ضوابط بل لها قواعد ترتبط بالعقيده فالدوله تخضع للعقيده فالايه تتناول استقامه الدول والحكومات باقامه نظام الحكم علي منهج الله وبالتالي لاتضعف الحكومات المسلمه امام الابتزاز والضغوط التي سوف يلجا اليها الاعداء لتفكيك اتحاد الامه وتماسكها سوف يلجأون الي سلاح الحصار الاقتصادي وحرب اقتصاديه سياسيه التجويع عندما يحصل الياس من احداث الانشقاق الداخلي للكيان المسلم ولهذه تبين النصوق ان المصلحه وان كانت مهمه لكن ليست مبررا للتفريط بالقيم والمبادئ العليا كما هو حال العرب والعالم اليوم فقد شاهدنا كيف ان دول العالم المسلم اليوم تقف مواقف مخزيه من جرائم ذبح اهلنا في فلسطين غزه... وعندما تنهض الشعوب تتطالب الحكام بالقيام بواجبهم تجد المبررات القبيحه منهم تردد بقولهم القبيح: اننا نحافظ علي مصالح شعوبنا لا ننا لو وقفنا مع اهل غزه سوف تقطع امريكا علينا المعونات فنحن نستلم مليارات الدولارات معونه من امريكا وانقطاعها يعني المجاعه

الم يقرأ هولاء قوله تعالى (ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض)

ربط الحق سبحانه وتعالى الرخاء والعز والتمكين بالاستقامه علي منهج دون انقطاع وصبر علي المشقه فالايه تبين تحقق الوعد بالعز والتمكين يسبقه اختبار لمعرفة الثبات علي منهج

الله بحيث يكون قلب المومن متصلا بالله

فالايما هنا يعني ان تومن بما اوجب الله عليك من حق النصرة لاختيك المسلم في كتابه العزيز كيف لك ان تقعد جالس تشاهد اهلنا في غزه يذبحون وبينك وبينهم خمس امتر هي الحدود الفاصله يقف الجندي العربي يشاهد اخاه الفلسطيني يذبح

وهو يموت حزنا لان يداه مكبتلان باوامر الحكام

فالايه تهدف الي تربيته المومنين علي اعداد انفسهم بالابتلاء والتمحيص ليكون اهلا لتحقيق وعد الله بالرخاء وسعه الرزق

ولهذا قرن التقوي بالايما لان قوه الحب والغضب تحتاج الي التقوي التي تبعث علي ان تحب ما احب الله وما امرك بفعله في كتابه وهي تقوي قوه الغضب فتغضب لما يغضب الله وتنفر مما يبغضه الله

لان امتعال امر الله يتطلب قوه الحب لما يحب وترك ما يكرهه

لان ذلك يوجب ان يكون الضمير حيا يراقب الله في كل افعاله ويحاسب نفسه قبل ان يحاسب فاراد الحق ان يفرس في القلوب الرجاء والخوف بالله وحده يقول لهم ان الخوف والرجاء بغير الله باطل لان مادون الله عاجز لاحول له ولاقوه بل ان خوف المخلوقات ورجاء غير الله احد اسباب الحرمان ونزول المكروه بمن يرجو وبخاف غير الله فانه علي قدر خوفك من غير الله يتسلط عليك الشيطان وعلي قدر رجاءك لغير الله يكون الحرمان ولهذا تسلط الكفار علي رقاب المسلمين اليوم عندما ابتعدت الحكومات عن منهج الله فتسلط عليهم الظالمين من المغضوب عليهم فهذا التسلط عقاب الابتعاد عن منهج الله

والعجيب انك ترى بلدان عربيه تمد العدو الصهيوني بالغذاء والغاز والنفط وكل ما يحتاج واهلنا في فلسطين محاصرون

بدعوي المصلحه الوطنيه بدل استخدام هذه المقدرات لخدمه الامه ومصالحها صارت سلاحا يوجهه الي خاصره الامه سلاحا للعدو لتهديدنا به فلا الفقر نفع... ولا الغني نافع كلاهما صار سلاحا يستخدم لمصادره سلطه القرار من

الامه

والعجيب. انك تري اكثر العوام اليوم من يقتنع بفكره ان الحكام العرب حكماء في مواقفهم ويقولون انهم يحافظون علي المصلحه الوطنيه هكذا ينظرون الي التفريط بالقيم المتعلقه بالولاء والبراء وواجب النصره يقولون ان امتثال امر الله تهور غير محسوب يقولون لو فعل الملك او الرئيس ذلك لحصل لنا الجوع والمجاعة ونحن اعدادنا تفوق مائتين مليون اما اهل غزه فعددهم لايتجاوز اثنين مليون ان هولاء لم يفهموا وحي الله حقيقه ولم يقرأوا القران كما يجب لم يومنوا. حقيقه ان الله هو الرزاق ان حالهم لاتختلف عن حال المشركين كما وصفهم الله تعالى فقال(قالوا ان نتبع الهدي معك نتخطف من ارضنا) ان مشركي مكه لم ينكروا ان القران كتاب هدايه كما يتضح من الايه لكنهم كانوا يبررون رفضهم القبول به خوفا علي ما يرونه مصلحه عامه سوف تتعرض للزوال فقد كانوا يحظون بالامان وكانوا لهم سلطان علي القبائل العربيه ولهم مصالح اقتصاديه فخافوا ان يفقدونها وان يصبحوا عرضة للاحتلال والرق والخطف الذي كان غيرهم يتعرض له وبالتالي فان مبررات حكامنا اليوم ومن يدور في فلهم تشبه مبررات كفار قريش لاتختلف عنها ان حال المفكرين والمتقنين العرب الذين يروجون لتلك التبررات هو مثل حال مشركي مكه من اتباع الهدي ان ايمانهم محل شك فلم يومنوا باليقين فهم محسوبون علي اهل الايمان ارقام بلا قيمه لان الايمان يعني الثقه ب الله والثقه بانه محقق وعده فاذا كان الله قد وعد المتقون والمؤمنون الصادقون بالرغد في العيش وجعل الايمان والتقوي مفتاح بركات السماء والارض فكيف يكون هولاء مومنون ...

وهم لم يصدقوا الله فيما وعدهم وهو القائل(افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياه الدنيا .. الخ

واذا كان الله قد وعدنا بالرزق والتمكين والخيرات التي لم يحدد ماهي هذه البركات ولا تفصيليها وانما جاء بصيغه الجمع التي تصور البركات الفيض تهبط من كل مكان وتنبع من كل مكان من كل الاماكن ومن كل الانواع والاشكال واستعمل كلمه الفتح لتشبيهه البركات بالبيوت التي تفتح ابوابها للتعبير عن اعطائه الخيرات لاهل الايمان والتقوي فقال (لفتحنا) فتعديه فعل فتح الي البركات هنا استعاره مكنيه للانتفاع من بيوت البركه المحتجزه من السماء وا لارض ان التزمنا منهج الله وكان الايمان صحيحا باليقين الجازم وهو يقتضي الثقه ب الله

ولهذا فان الانهزام امام الاعداء والتفريط بالقيم وعدم التزام منهج الله من قبل الدوله يعني ان الايمان غير صادق يعني عدم الثقه بوعد الله لمن التزم منهجه وثبت علي الحق وهذا من اسباب زوال الحضارات

وهنا يظهر لنا عله مانحن فيه اليوم من ذل وهوان ومحق فاعدادنا بالملايين ولكننا ارقام بلا فعل بينما اهل غزه صامدون لانهم واثقون بما وعدهم الله لانهم لا يخافون في الله لومه لائم

علينا ان نعود الي القران بالفهم الصحيح لندرك المخرج لما نحن فيه فاول خطوه هو الثقه ب الله كما وثق المسلمون الاوائل عندما امرهم الله ان يمنعوا المشركين من دخول الكعبه فقال تعالى (فان خفتم عيله فسوف يغنيكم الله من فضله)

المفهوم الرابع

ان الايه تبين اهميه اتحاد التفكير والاراده والعمل كما اوضحنا في نهايه الفقره الماضيه من هذه الايه بالابتعاد عن الانقسام والصراع والاختلاف فالايه وردت كمقدمه لدعوه المومنين لاقامه الخلافه علي منهج الله وعدم التفرقه كما قال تعالى

(ولاتكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون)

فاشارت الابه الى اهميه وحده التفكير ووحده القلوب ووحده الاعمال والاجتماع علي محبه الله وخشيته وابتغاه مرضاته والاخلاص فان ذلك وسيله تحقيق الوعد بسعه الارزاق والرخاء

والتمكن كما فصل الله ذلك في سوره النور في قوله (وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض.... الخ

فتحقيق الوعد مرتبط بالاستقامه الجماعيه علي منح الله بالشروط الوراده في سوره النور ليغرس في القلوب وا لانها مفهوم العباده التي هي دعوه الرسل كلهم بانها ليست محصوره في الصلاه والصيام... بل هي في جميع شؤون الحياه فنظام الحكم والسياسه والاقتصاد يندرج ضمن مفهوم العباده واختيار الشعب للحاكم واقامه الحكم علي مبداء الشوري وسياده الشرع يندرج ضمن مفهوم العباده التي شملت دعوه الانبياء ولذلك نجد ان دعوه الجن لاقوامهم بالسعي لاقامه نظام الحاكميه لله في جميع شؤونهم شرط لتحقيق الوعد الرباني بسعه الارزاق والرخاء

واقتران الايمان بالتقوي اشاره الي المدوامه علي الاستقامه ومحاسبه النفس لبيان انه قبل تحقق الوعد سوف يحصل ابتلاء وامتحان لاجل التمحيص والاختبار فالاستقامه توجب اتحاد القلوب بالمحبه والابتعاد عن الضغينه و التخاذل الاجتماع يعني تكوين ارداه واحده في جميع الاحوال في الشده والرخاء

ولهذا لا بد قبل تحقق الوعد ان يختبرهم في الشده والرخاء والعسر واليسر ينظر هل يصبروا ويتحملوا المشقه في سبيل الله حتي اذا راي الحق منهم الجد والصبر علي الاذي في محبه الله والاحتمال للمكروه من خوف الله جعل لهم بعد الضيق فرج وبعد الخوف امن وبديل الذل عز

فالاستقامه الجماعيه تعني التقاء علي فكره الايمان يعني ان منهج الله هو مصدر الفكر للمجتمع كله يعني التقاء الابه واجتماعها وتربطها علي محبه الله وطاعته لا اهواء مختلفه

وبالتالي فان هذا الاجتماع يفتح المجال لتحريك الطاقات المهمله واستثمار الموارد المعطله

ومن جهه ثانيه فان هذا من اسباب قوه الامه لان المصلحه هي التي تحدد حجم الكيان وفعاليتيه وتأثيره فاذا نظرنا للمصلحه وفق الشريعه الاسلاميه نجد ان اجتماع الامه وتربطها علي محبه الله يعني تغليب المصلحه العامه علي المصالح الشخصيه الضيقه وهذا يعني اجتماع القوه وتماسكها لاجل تحقيق الهدف والفاعليه ايجابيه لاننا نراقب الله ونلتمس في تعاملنا ارضاء الله والدار الاخره وبالتالي يحصل تحريك الطاقات و التعاون و التماسك للايدي في العمل والعزائم موحده وهذا فيه قوه الدوله المسلمه لان حجم الكيان هو الذي يحدد الفاعليه الدوليه و هو الذي يتوقف عليه التأثير النهائي لان العالم لا بد له من الصراع لاجل المصالح فما دام هنالك مصالح في الكون فلا بد من صراع وبالتالي كيف للامه ان توجه التحديات وهي ممزقه فالصراع الراسمالي في العالم اليوم بنظرياتيه المختلفه امتدت اثاره الي وطننا الاسلامي بل صارت ارضنا مسرحا للصراعات في غياب اي دور لا مه الاسلام والنظريه الاسلاميه في هذا المجال نتيجه تفرقنا وتمزق امتنا وتباعد القلوب فقد صارت الامه متحاربه ولهذا سلبها الله النعمه

الامر الثالث

اذا افتقدت البركه في وقتك او مالك او اي شي فعليك ان تراجع حساباتك عليك ان تقررا رساله من ربك كما هي بان ثمة ذنوب ارتكبتها ادت الي حرمانك نعمه البركه

فلا تتشائم من الاخرين وانما عليك ان تفهم ان ثمة ذنب ارتكبته

وكذلك اذا حرمت التوفيق من امر فعليك ان تدرك ان هنالك ثمة رساله من ربك موجه اليك لتقرأها مفادها انك اذنبت واخطات وخالفت منهج الله فعليك ان تعيد حساباتك فاذا تاخرت عن الصلاه في وقتها فاعلم ان هذا من

اسباب الحرمان نتيجه تقصيرك

القسم الثاني

ولما كان اي تطور وتقدم مرهون بالاستفاده من التجارب التاريخيه وتلافي. الاخطاء التي وقع فيها السابقون ف التاريخ والطبيعه والواقع من اهم خصائص تطور الامم وتقدمها اذا احسنت التعامل مع تلك الامور وربط قراءه ذلك بالدين لان لكل شي سنن ونواميس تحكمها فالانسان والحياه والكون محكومين بسنن ونواميس توصل الي النتائج ولهذا فان التعامل مع السنن يستوجب استيعابها ومعرفه اسبابها ومسبباتها فلا يمكن القفز فوق هذه السنن التي تحكم الاحداث ولهذا نجد انه بعد تقرير سنه الله الجاربه في بقاء الحضارات واندثارها وفي اللحظه التي تنتفض فيها المشاعر يتوجه الخطاب الي الغافلين فقال تعالى

(ا فامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحي وهم يلعبون ا فامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون الم يهد للذين يربثون الارض من بعد اهلها ان لونها اصبناهم بدنوبهم ونطيع علي قلوبهم فهم لا يسمعون)

اولا

ابتدات الايات بالاستفهام فقال تعالى (ا فامن اهل القرى... الخ

بعد تقرير سنه الله في اهلاك الحضارات وبيان علاقه القيم الايمانيه بتلك السنن ولهذا جاء بالاستفهام في هذه اللحظه تحديدا مناسبا لخدمه الهدف من ذكر القصص (العظه والعبره) والتي تتطلب المشاركه الشعوريه من خلال النظر الي افعال وسلوك المكذبين والعاقبه القبيحه كي يتجنبوا ما وقعوا فيه ولهذا نجد انه بعد ان انتفضت المشاعر وارتعشت القلوب مما حل بالامم السابقه يتوجه سياق النصوص الي محاوره الغافلين من خلال هذا الا سلوب البديع بالاستفهام يشاركهم فيه في صناعه الاجابه في هذه اللحظه والتي لا تحتمل الا اجابه واحده هي التي تقررها الايات وبالتالي فان الاستفهام ينشط العقل والفكر للتفكير ويوقظ الغافل فهو يريد ان يحسنوا استعمال السمع والبصر لاثار الامم السابقه حتي يكون ذكر القصة منتج لاثاره فالناس كلهم يسمعون ماجري للامم السابقه لكنهم لا يحسنون قراءه الاحداث ولا ينظرون لانفسهم انه يمكن ان يحل بهم ما حل بالامم السابقه وهذا يعود الي عده اسباب منها عدم الفهم للمعلومه. نتيجه عدم القراءه الصحيحيه وسوء الادراك وعدم التقدير السليم للامور ولهذا جاء بالاستفهام والذي ذهب البعض انه للانكار وقيل انه للتذكير والتعجب للعطف وقيل انه للتذكير والتعجب من امر ليس من شأنه ان يقع فيه العاقل

والفاء عطف علي محذوف تقديره اغر اهل القرى ما كانوا فيه من نعمه فكذبوا الرسل اطمئنا منهم بالامن بـ الركون الي ما هم فيه من قوه ماديه... والسلامه وانه لا توجد مخاطر

انه شعور ناتج عن عدم الشعور بالمسؤوليه شعور عن عدم المبالاه والاستهتار... يقول ما الذي جعلهم لا يصلحون الخلل قبل حدوث الكارثه? لماذا تفاجاؤ

لم يشعروا بالمسؤوليه لانه يستحيل ان تاتي مصيبه بدون اسباب فكل مصيبه تعود لكسب الانسان فالله عادل لا يظلم احد

وان كان لها اسباب علميه فان هذه الاسباب تنتهي الي الله تعالى فاللازم ان ننظر الي سير الاحداث ونتائجها انها بيد الله تعالى انه سبحانه وتعالى هو المتحكم في هذا الكون.. وانه سبحانه وتعالى قد جعل للكون والحياه سنن ونواميس ولهذا فان اللازم عليك ان تقرا القصة من حيث موقف الدين لتري ماهي نهايه كلا من المومنين والكفار بناء علي مواقفهم من الدين لا من وجهه نظرنا الخاضعه للاهواء والملذات فاللازم ان يكون تفاعلك مع القصة من

خلال مشاعر حب المومنين وافعالهم وكراهيه الكفار وافعالهم فنظرتنا تنطلق من مواقف الدين من كل فريق ليكون الانتفاع بالقصه بعكس القراءه الوضعيه للقصه والتي تنطلق من الاهواء والرغبات وبالتالي يحجب علي القاري الرويه لما تحمله من دروس ومفاهيم

الدرس الاول

يريد الحق منك ان تحذر من الوقوع في اللحظه الحرجه التي تفقدك القدره من مقاومه الهلاك الذي لم تستعد له فقال تعالي

افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحي وهم يلعبون

حيث يصف الحق وقت حلول العذاب علي الغافلين بانه يشكل لحظه حرجه غير متوقعه بالنسبه لهؤلاء الغافلين في ملذاتهم

فقال (بياتا) اي مفاجاه غير متوقعه الحدوث وهي لحظه حرجه لما يترتب عليها من تحول مصيري في حياه الامم والافراد

فالايه ترسم لنا صوره لقوه خطر يتعذر تدراكه يعصف بالموسسه ويختل نظام المجتمع وانه تزوال قدرتهم علي الضبط والسيطره فهم في غفله وغره في الوقت الاول فاراد بهذا فالنوم يعني انه مسلوب الاراده والقوه فالنوم كالموت وفي وقت الضحي وانبساط الشمس كانوا يلعبون فاراد بهذا الاشاره الي ضخامه العذاب وما صاحبه من مفاجاه غير متوقعه الحدوث بالنسبه لهؤلاء المكذبين وهو مايشوش الذهن ولايملك من حلت بهم دفعها والتصدي لها ولهذا وصفهم في الاولى (وهم نائمون) لان النوم يعني ان صاحبه مسلوب الاراده والقوه فالنوم كالموت وفي الثانيه (وهم يلعبون) لان اللعب يعني ان حركته مثل الطفل الذي يتحرك ولايقصد من حركته جلب منفعه ولادفع مضره بل عملهم اسوء من ذلك لانهم يعملون الاعمال الفاسده التي تضرهم

الدرس الثاني

اهميه استشعار المسووليه الملقاه علي عاتق المسلم حتي لايقع في الهلاك فالمسلم يجب عليه ان يكون في يقظه دائمه عليه ان يدرك ابعاد مهمته ورسالته التي كلف بها وبالتالي لان عدم الشعور بالمسووليه يفقد الباعث لمعرفه الحقيقه و السكون والركون الي ماهو فيه من حال وبالتالي لايكشف الخلل الذي يهدد الكيان والموسسه من داخلها حتي تتجمع العناصر التي تشكل عاصفه تعصف بالموسسه فجاءه ومبغته ولهذا قال تعالي (بياتا وهم نائمون او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحي وهم يلعبون)

يصف وقت حلول العذاب علي الغافلين بانه يشكل لحظه حرجه

واذا كان عنصر المفاجاه من اهم عناصر الهزيمه في الحروب حيث ان العدو يلجا الي مفاجاه عدوه ليضعف من قوته

ولهذا نشاهد كيف ان اثر الكمائن في الحروب ترهق الدول وتوقع بها الهزائم ولذلك تجد الجيوش علي اهبه الا استعداد تاخذ احتياطاتها اللازمه لجميع الاحتمالات وتسد الثغرات وتبقي العيون ساهره لمنع اي هجوم مفاجي. من خلال معرفه نقاط الضعف وتلافي اي خلل لان الازمات تنشأ من خلل في النظام

حيث تبدأ بالتكوين ثم تنمو الي ان تصل الي مستوي الاتساع وعندها يتفاجا بها عديمي المسووليه والاستهتار الذين لايعالجون الداء قبل انتشاره وقبل ان يصل الي وقت لايتسع لتلافيه وتدراكه وهذا يتطلب ان يكون الانسان في يقظه شاعرا بالمسووليه الملقاه علي عاتقه ولهذا قال تعالي(افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله. الا

القوم الخاسرون)

ثانيا

الايات تحذر المسلمين من الغفلة عن طاعة الله وتحثهم علي اليقظه ولهذا جاء الانكار بعد الانكار للمبالغه في التوبيخ والتشديد من الغفله والركون الي الماده وليس المراد بالتخويف تعطيل الحياه كما تصور البعض ان يحذر العبد الركون الي ما اعطاه الله من نعم حيث ان البعض يري ان ذلك من علامات حب الله وايضا ينظر اليها انها قوه تحميه وهذا يعود الي اساءه التقدير للامور وعواقبها نتيجته الغرور ولهذا نجد ان الايات وردت بعد عرض لحظات الضعف الانساني يريد ان يمس الوجدان البشري بقصد شد انتباهه ليجعله يعيد ترتيب احواله يقول له استفيق قبل ان يفجاءك العذاب وزوال. مانت فيه من نعيم ولهذا قال تعالي (الم يهد للذين يرثون الارض. من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم)

الامر الاول

فالتحذير دعوه لاهم الاسلام لانه الورايت لجميع صور الاديان والتدين ولهذا فان الايات الاربعة الخطاب فيها موجه الي امه الدعوه المحمديه في زمن الرساله وفي كل زمن الي ان يرث الله الارض ومن عليها فالتعبير جاء في سياق النفي والاستفهام داخل علي فعل محذوف ومعطوف علي ما قبله وللتقدير وجوه كلها تفيد الغره وهو ما تذهب النفس فيه كل مذاهب في تفكيرها بما ذكر من حال اهل القري وسنته في اخذهم فكلهم الم يهد تعني الم يتبين للذين يرثون الارض ان شانهم كشان من سبقهم لانهم خاضعون لسنه الله التي لاتحابي احد حتي نحن المسلمون لانك تقول هداه السبيل وهداه الله اي دله عليه وبينه

فليس المراد بالتحذير تعطيل الحياه بالتخويف المستمر لان ذلك يعني شل الطاقه ويتوقف الناس عن العمل والانتاج وانما يريد تخليصها من الاستهتار والاستهزاء واساءه التقدير للاشياء والحقائق حيث ان اغلب الناس يقرأ التاريخ ويجد ان ظروفه تتشابه مع اعمال وظروف الكفار من قبل ولكن لاينظر ان نهايته سوف تكون مثل نهايه اولئك المكذبون

الامر الثاني

ان الغرض من التحذير تفجير الطاقات الخلاقه وليس شل الطاقه وتعطيل الحياه بل بناء الحضاره وحمايتها من التهديد المستمر والذي يتخذ علي مسار التاريخ صوراً متعدده ومختلفه

ولهذا يقول الحق ان هذه الحمايه مستحيله بدون الايمان الذي يحقق به وحده القلوب والافكار والاجتماع علي طاعة الله ومحبتة لان الاخطار التي تهدد الوجود للامه لن يتوقف مادامت الحياه مستمره فالصراع بين الحق والباطل لن يتوقف لان امهال الشيطان الي الموعد المحدد هو لانه له مهمه في هذا الصراع فاراد تقويه مشاعر اليقظه بحيث يكون كل فرد مساهما في بناء حضاره الاسلام وشاعرا بالمسؤوليه لان. الحياه ماهي الا صراع في اول والاخير فالانسان في معركه مع الباطل ومعركه مع الطبيعه صراع بين البقاء والفناء ولهذا فان الانسان الي اليقظه حتي لاتقعوا في دوامه المفاجات التي تدهم كل من لم يحذر العاقبه التي يصير اليها ولم يعمل عملا لنفسه يحفظها من سو المصير فيقول انظروا الي الامم السابقه لماذا لم تنتفع بدليل الحدث حتي حلت الكارثه ما السبب انه لم ينتفع بالتاريخ :-

لانه نظر الي ان السلطه والمال والجاه هو معيار القوه وراي انه في مامن من العقاب ولذلك هو يتصرف كيفما يشاء بالركون الي نفوذه وقوته هذا ما نراه في واقعنا ان اصحاب النفوذ وانباءهم من المشايخ وغيرهم الذين يمتلكون قوه تاثير علي السلطه والانظمه يعبتون باحوال الناس لماذا لانهم ينظرون الي انهم لن يحاسبوا من قبل السلطه

والايات تحدث عن سنن سقوط الحضارات واندثارها فاراد الحق بهذا التحذير ان يستفيق امثال هولاء من غفلتهم وان يفهموا السنن الالهيه في زوال الحضارات والنعم فقد شاهدنا انظمه تتساقط وقاده تذلل وتهان هل كان القذافي واولاده يتوقعون النهايه المولمه بنظرك قبل فبرير?

من الموكد انهم لم يكونوا يتوقعوا لذلك ولهذا فان الحق يريد منك ان تستفيق قبل حلول العذاب عليك ان تلتقط اشارات الانذار لتصويب الخلل قبل وقوع الكارثه فلا تغفل عن تدابير الله الخفيه فمكر الله تدبره الذي يخفي علي الناس والتي تكون باقامه سنته واتمام حكمته وكلها خير فعدم الاستفاده منها من قبل الكيرون يعود الي جهلهم وسوء اختيارهم جهلهم بصفات الخالق الجبار ووحده لاشريك وانه فعال لما يريد

وجهلهم بسنه الله اغترار بالظواهر الغني يفتر بغناه والعابد بعبادته فيخطي تقدير ما قدره الله تعالى فيظن ان ماعنده يبقي ولهذا فان الايه تحذر من ذلك الفهم الخاطي وتدعوا الي الابتعاد عن سلوك الكفار من الاستهتار وعدم المبالاه والغرور

فقال تعالى (الم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لونها اصبناهم بذنوبهم ونطيع علي قلوبهم فهم لا يسمعون)

فاراد تهذيب النفوس بان تظل مشاهد الدمار والهلاك حاضرا مائلا منصوبا امام اعيوننا لنعرف انه اذا ارتكبنا جريمه فسوف يحل بنا العقاب الذي حل بالامم السابقه

الدرس الثاني

مما سبق يتضح ان التحذير ليس لشل الطاقات وتعطيل الحياه بالتخويف بل العكس من ذلك اراد تفجير الطاقات الاخلاقيه وحمايه الحضاره من التهديد المستمر والذي يتخذ علي مسار التاريخ صوراً مختلفه فالصراع في الحياه لا يتوقف مادامت الحياه مستمره ولا بد من مواجهه الاخطار والاعداء ولهذا نجد ان الايات تحدد لنا اسس تفجير الطاقات الاخلاقيه التي نحتاجها لمواجهه التحديات واهم هذه الاسس

التاريخ ودوره في تكوين الرؤيه الحقيقه للاشياء:-

لان التاريخ هو الماضي الذي يبني عليه الحاضر من خلال معرفه تجارب السابقين ودراسه احوالهم وظروفهم و النهايه التي انتهوا اليها بقصد العظه والعبره والاستفاده من ذلك

فدراسه احوال الامم والماضي ينبغي ان يكون بقصد معرفه اسباب هلاك الامم ونجاتها معرفه كيف كان وضعهم قبل الهلاك في التعرف والقصور

فماذا كان سبب الهلاك انه ظلم الحق وعدم تنفيذ منهج الله انه الخروج عن طاعه الله

ولهذا فعليك ان تفهم ان البحث في الارض ودراسه التاريخ لاينتج اثاره مالم توجد الرغبه والاراده الصادقه في الاستفادة من دليل الحدث بحيث تكون نظرتك الي النتائج انها موكده الحصول لكل مقدمات تسلك ذات الطريق الذي سلكه الهالكين من الامم الغابره تنظر الي النتيجة انها حتميه فالله تعالى يقول

(وكاين من قريه اهلكناها وهي ظالمه فهي خاويه علي عروشها وبئر معطله وقصر مشيد افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها واذان يسمعون بها فانها لاتعمي الابصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور)

ولهذا فان الفارق بين سماع المومن لاخبار الامم السابقه تختلف عن سماع الكافر لان دراسه المومن لتاريخ الامم تزرع في قلبه الخوف من ان ينتهي به الحال الي المصير الذي انتهت اليه تلك الامم وبالتالي فان القلب يكون اداة

تعقل صاحبه فتمنعه من الوقوع فيما وقعوا فيه فالعقل ماخوذ من العقال الذي يربط به الخيل فيمنعه من الحركه السريعه المتهوره لان نهايتها حتما سوف تكون الهلاك والدمار عند كبوح الخيل

وبالتالي فان دراسته التاريخ لايقصد بها مجرد قصه ورؤيه تتناولها الاجيال وتجاهل اسبابها التي كانت وراء الهلاك الذي حل بالامم السابقه والتي تعود الي الانحراف والخروج عن منهج الله

2

اهميه فهم السنن التي تحكم الحياه واستعيابها والقدرة علي تسخيرها والتعامل معها :

ولهذا يقول الحق كيف تشاهدون اثار الامم السابقه وتسمعون اخبارهم بان الهلاك والدمار كان بسبب خروجهم عن منهج الله وبالتالي فاذا كانت النتيجة (الهلاك والفناء) حتميه وهي سنه الله المتكرره في معاقبه المخالفين عبر الا زمان كيف تفضلون ايتار الجهل علي العلم كيف تفضلون ايتار المعاصي علي الطاعات كيف تفضلون المصلحه العاجله ذات الامتدادالزمني والمكاني ان هذا يعود الي سوء الفهم والادراك الناتج عن خداع العقل صاحبه لان من كان عقله مكار بصاحبه فانه يتبخط لانه لا يوجد لجام يمسك بتصرفاته كي يعود الي الصواب لانه يستبعد عن نفسه ان تكون نهايته مثل نهايه الامم السابقه حتي لو تشابهت ظروفهم واحوالهم وفعالهم مع ظروف السابقين

حيث ان عدم الانتفاع من التجارب التاريخيه يعود الي العمي القلبي الناتج عن ارتكاب الذنوب فهو نوع من الا ستدرج لانه ينظر الي التاريخ وما حل بالامم نظره استهزاء واستخفاف نتيجه الغرور حيث ينظر لنفسه انه اكثر ذكاء من الامم السابقه

ينظرون لانفسهم انهم اكثر تقدما وتطورا من الاولين بحكم انهم يمتلكون اخر ما انتجت البشريه من علوم وقوه وان حياتهم اكثر رفاهيه وعقولهم اكثر قدره علي تجاوز اسباب الهلاك الذي حل بالامم البدائيه بنظرهم وان حياتهم وزمانهم يختلف عن حياه الامم السابقه وزمانها وبالتالي لاياخذون العبره ولاينتفعون من دورس التاريخ وتعمي ابصارهم ولايرتدعون من الاستمرار في ارتكاب المعاصي

ولهذا يقول الحق اذا كانت السنن تقرر ان ارتكاب المعاصي توجب زوال النعم وهلاك الامم واستبدالها بقوم اخرين ولهذا فان اللازم عليك ان تاخذ من هذه السنن دليل تضعه في ذهنك ان سنه الله لاتحايي احد حتي نحن المسلمون فهي لها قوانين ثابتة عليك ان تفهم ان تلك الامم منحهم الله كل اسباب العز والتمكين في الارض اكثر منكم تمثل في عالم زمانهم قوه تفوق قوه البشر في هذا الزمان فما انعم الله عليهم من الانهار والامطار والخيرات تعد كثيره مقارنة بعالم زمانهم وتاريخهم وامكانهم واعداد الناس وما يمارسونه من سلطه هي اكبر مما لكم في هذا الزمان اما الجاهل فهو ينظر الي التطور ووسائل الحياه المتاخره في الزمن المتاختر ومافيه من تطور فيفتخر ان له سلطه وقوه اكبر من الامم السابقه متجاهلا ان عامل الزمان والمكان متغير من حيث فهم الناس لوسائل الترف والقوه والسلطه ولهذا يغرس في حياه كل امه اثرا معينا بقدر المتاح له في زمانه

وفوق هذا وذاك فعليك ان تنظر ان للقصه نظره المومن المتامل الذي يدرك ان كل شي يتم وفق تدبير الله تعالي وقدرته فالكفار السابقين لايفتخرون عن الكفار المتاخرين ف الله يقول في موضع اخر (اكفاركم خير من اولئلكم ام لكم براءه في الزبر ام يقولون نحن جمع منتصر)

3

يريد الحق منك ان تفهم ان فاعليه الامه والقيام بدورها في حمل الامانه يكون بادارك السنن واستعيابها وحسن تنزيلها فهو يمثل ابعاد مهمه الاستخلاف في الارض والاضطلاع بحمل الامانه او هي مفتاح المعرفه لقصه الانسان علي الارض منذ بدء الخلق حتي ينشا الله النشاه الاخره فمن خلال هذه السيروره تتضح المعالم وتكتشف الفوائين

والسنن ويتولد فقه التعامل معها

ولهذا يقول الحق لامة الدعوه المحمديه عليكم ان تدركوا ان فقه السنن لايحابي احد حتي انتم المسلمون فكيف تستبعدون ان يستدرجكم الله نتيجه مخالفتكم لمنهج الله وارتابكم المعاصي فقال تعالى (ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع علي قلوبهم فهم لا يسمعون)

والطابع والخاتم ماخوذ من الطبع بالتحريك وهو الصدا الشديد فيقال طبع السيف والدرهم اي ظربه وطبع الكتاب وعلي الكتاب ختمه اذا ضرب عليه الطابع والخاتم بعد اتمامه ووضعه في ظرفه حتي لايدخل فيه شي اخر

ومنه الطبع والسجيه ولايستعمل الطبع علي القلوب اشاره الي فسادها فهي لاتقبل معها خيرا كالهدى والايمان و العلم النافع الذي هو فقه الامور وهذا انما يحصل بالاصرار علي الشرور والمعاصي واستحسانها حتي لايعود للخير ولايرجي منه فائده ولهذا قال (فهم لا يسمعون) سماع تاويل واتعاظ وليس مجرد سماع فقط وهذا ماحل ي المسلمين عندما ارتكبوا المعاصي وخرجوا عن طاعه الله فكان ذلك سببا لزوال ملكهم

القسم الثالث

(تلك القرى نقص عليك من انبائها وولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله علي قلوب الكافرين وما وجدنا لكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين)

اولا

ابتدات آيات هذا القسم باسم الاشاره (تلك) بعد ان انتهت آيات السوره من الحديث عما جري في في الامم السابقيه من احداث وكيف كان موفقهم من الدين ومن دعوه الانبياء لهم و

سنن الله الجاربه في اهلاك المكذبين تتوجه الايات بالخطاب الي النبي صلي الله عليه وسلم ليطلعه علي النتيجه ا لاخيره لما ابتلاء الله به الامم السابقيه وما تكشف عنها من حقائق عن طبيعه الكفار والفرق بين سماع الكافر و المومن ونظره كلا منهما

فاستخدم المولى (تلك القرى نقص عليك من انبائها) فيها الاتي

الامر الاول

تلك اسم اشاره القرى التي تقدم ذكرها من قوم نوح و ثمود وعاد وقوم لوط وقوم مدين التي (نقص) نتلو عليك من اخبارها اي ما كان من امرها مع الرسل بما يحصل بها عبره للمعتبرين

فالحق يريد منك ان تفهم ان الاخبار التي ذكرها الله علي نبيه هي من عند الله لم يكن الرسول(ص) يعلم بها ولا قومه فهي وحي من عند الله تعالى فهي تايد صدق دعوه الرسول صلي الله عليه وسلم وتسليه وتثبيت لقلبه

الامر الثاني

ان استخدام اسم الاشاره يوكد اهميه الحفاظ علي الطاقات ولهذا يقول الحق ان المعركه ازاله بين الحق والباطل فالصراع لايتوقف مادامت الحياه فلست وحدك الذي يوجه الكفار في هذه المعركه فقد سبقك العديد من الانبياء فقال تعالى (من انبائها)

فلفظ التبويض (من) اشاره الي ان هناك اخبار لم نقصها عليك وانما ماذكر نماذج للاقتداء والتدريب لان الابتلاء سنه ثابتة

فاحذر من الاحباط لما يفعله الكفار فطبيعه الكفار واحده في كل زمان فذكر القصص هي للتعبيت كما قال تعالى
(وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك)

2

وايضا ليحترس المسلمون من ان يعملوا تلك الاعمال فعليهم ان يعتبروا بما حل بالامم السابقه ولهذا فان. هنالك
فرق بين سماع المومن والكافر للقصص

3

الفرق بين سماع المومن للقصص وسماع الكافر

ان قراءه المومن للقصص وسماع الاخبار المتعلقة بها تختلف عن سماع الكافر فسماع الكافر هو للتسليه والا
ستخفاف وعدم المبالاه

اما سماع المومن لها يعني اعتقاده باليقين الجازم انها وحي من عند الله تعالى وبالتالي فلا بد ان يكون له موقف
منها

4

لماذا لا بد للعبد ان يكون منها له منها موقف

لانها كلام الله الخالق الخبير والله لا يمكن ان يقول كلاما ليس لك منه. موقف مطلوب منك ان تقف فيه فانت
عندما تسمع كلام الله لا بد ان تحمل الامر علي الامر او النهي عليك ان تعود نفسك ان يكون لك منها موقف
(اقتباس من تفسير النابلسي)

فعندما تسمع آيات وصف الجنه وما فيها من نعيم فان المطلوب منك ان تسعي الي طلب ارضاء الله تعالى اي
تتكون لديك قوه جذب لطاعه الله وعندما تسمع آيات وصف النار وما فيها من عذاب فان المطلوب منك ان تسعي
الي اجتناب غضب الله اي ان وصف الجنه يدافعك الي عمل الاعمال التي تقربك الي الله ووصف النار يعني تقويه
قوه الغضب فتتفر عن كل عمل يفضب الله ثم بعد ذلك فان المطلوب منك ان تتخذ موقفا اخر بان تجاهد لازاله
المنكرات في المجتمع وتنشر الخير اي تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر

5

والسؤال ما الحاجه الي الموقف طالما ان العبد يحب المعروف ويكره المنكرات :-

انه لا يكفي ان يحب الانسان المعروف ويبغض المنكر في المعركه مع الباطل والصمود امام الابتلاء والاعداء
سواء النفس او الهوي او الشيطان او الكفار والمنافقين فلا بد للمسلم ان يقف بعبات امام الابتلاء الذي هو سنه الله
التي تسبق التمكين فحب الله يعني انك سوف تتعرض لامتحان يظهر فيه العبد الصبر علي الاذي في طاعه و
القدره علي التحميل ابتغاء مرضات الله

فلا يضعف المسلم امام الابتلاء ولا يستسلم عليك ان تستلهم من القصص الدروس والعبر للتعرب علي العبات علي
الحق

فالآيات كما اوضحنا تهدف الي التعبيت وعدم الاحباط لان المسلم مكلف بالاستمرار بالدعوه وعدم و
التوقف ولهذا :

فالموقف الاول علي المسلم يمثل مرحله السيطرة التي تعني ان يلزم نفسه ان يحب فعل الطاعات ثم ينتقل الي مرحله والامر بالمعروف واللازم ان يجتنب المعاصي وينهي عنها فلايكفي ان تعمل الطاعات وتترك المعاصي دون ان تعمل علي ازاله المنكرات من الارض اي عليك ان تسعى جاهدا في تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر وهذا يعني ان توسع دائره الدعوه الي من من تقدر ان تاتر فيهم

ولهذا فان هذا يقتضي عليك ان تشعر انك في معركة مع الباطل انت في صراع دائم ومستمر مادامت الحياه

ولهذا فان الملاحظ في حكاية القران الكريم لاحوال الكفار واوصافهم وافعالهم وظروفهم نجد انها تذكر علي سبيل الذم لهم ولاحوالهم وافعالهم ويذكر ما فيها من مفاصد وترسم النهايه القبيحه التي انتهت اليها تلك الامم فالحق يريد منك ان تشاهد ذلك علي وجه البغض والكراهيه لهم ولافعالهم فتحذر ان تسلك الطريق الذي سلوكه يفرس فيك قوه النفور منهم ومن افعالهم فتحذر من الوقوع فيما وقعوا فيه

وعندما يحكي القران عن احوال المومنين يذكر ذلك علي سبيل المدح لهم ولافعالهم واقوالهم وبيان منافع اعمالهم ويرسم النهايه الجميله لمصيرهم ليشهد المومن رؤيتهم علي وجه العلم والمعرفه والمحبه والتعظيم لهم ولاخبارهم واثارهم فيحصل الاقتداء بهم .

ثانيا

مما سبق يتضح لنا ان الحق سبحانه وتعالى رحيم بنا فعندما امر النبي صلي الله عليه وسلم بالجهر بالدعوه و القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد جعل الوحي هو سبيل الهدايه ودليل العمل والتعامل مع الحياه بكل تحولاتها واطرداها ولهذا

قال تعالى (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله علي قلوب الكافرين)

الامر الاول

فاراد بهذه القصص اعطاءنا النماذج للاقتداء في معركة نشر الخير وتنميه جوانبه ومحاصره جوانب الشر ولمواجهه الاعداء في المعركة علي الباطل

ولهذا نجد ان الايه ورد فيها قوله تعالى (ولقد جاءتهم رسلهم)

ولم يقل كما في هو في موضع اخري (وجاءتهم رسلنا بالبينات)

حيث والملاحظ انه عندما يذكر الاحكام التي تاتي عن الله ينسب الرسل اليه سبحانه وتعالى ويقول رسلنا كما ورد في سوره المائده (من اجل ذلك كتبنا علي بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس اوفسادا في الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون)

اما عندما يتكلم بما يتعلق بموقف القرني من الرسل وما اصابهم من سوء ينسبهم اليهم ويقول رسلهم وايه الاعراف تتحدث عن موقف القوم من الرسل وكان عليهم ان ينتفعوا بما جاء به الرسل فاراد الحق بهذه القصص ان يعبت المومنين علي الحق ويرشدهم الي دليل التعامل مع الحياه من خلال فهم السنن التي تحكم الحياه بكل تحولاتها ومن جهه ثانيه يفرس في مشاعر كل داعيه فعليك الاهتمام بامر الدعوه واستنقاذ الاخرين باخراجهم من الظلمات والاحساس بضخامه المعركة مع الباطل وان هذا الصراع بين الحق والباطل سنه الله فالصراع دائم مع

الباطل ما دامت الحياه مستمره

لكن الاهتمام بالدعوه واستنقاذ الاخرين لايعني ان ترهق نفسك بما يفقد المرء طاقاته فلا تصل الي الاحباط كما قال تعالى (فلا يكن في صدرك حرج منه) ولهذا يكشف الحق للنبي صلى الله عليه وسلم عن طبيعه الكفار في كل زمان (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك

يقول لك الحق ان المعجزات لاتخلق الايمان فان الكفار في الامم السابقه لم يكن ينقصهم المعجزات ليؤمنوا فقد ارسل الله اليهم الرسل واقام الحجه علي المكذبين وانزل مع الرسل المعجزات الداله علي صدق الرسل فهل حصل الايمان منهم.

لم يستجيبوا ولم يتفاعلوا مع الحق فلم يكونوا يطلبونه ولهذا لم يستجيبوا فلم يوجهوا انفسهم وقلوبهم لاستقبال موجبات الهدي ودلائل الايمان فالذي ينقصهم الاستعداد لقبول الحق كانوا يحتاجون فتح نوافذ الايمان فقد حجروا علي عقولهم بالجحود والعناد والكفر وعدم الرغبه وبالتالي فلا ترهق نفسك في بذل الجهد الزائد عن طاقتك فليس كفرهم عائد الي التقصير في البيان وانما هذا عائد الي طبيعه الكفار فقد تحجرت قلوبهم واستوت عندهم المعجزات قبل مجي الرسل بها وبعد المجي بها لان الله طبع تلك القلوب عقوبه لها علي ما ارتكبوا من ظلمهم الخير فهي لاتنتفع بالايمان ولاتستجيب ولاتتفاعل مع الايمان

الامر الثاني

ان التفاعل مع دعوه الايمان يتطلب ان يكون لدي الطرف الاخر رغبه في معرفه معرفه الحقيقه رغبه صادقه في اكتشافها والاقتناع بها وهذا هو شرط الاستجابه ولهذا فان مهمه الرسل والانبياء والدعاه هو تحريك عناصر التفاعل القابله للتفاعل ولديها الاستجابه الصادقه وبدون ذلك لاتنتفع البيئات

ولهذا فعندما تشاهد من يتخذ قرارات قبل ان يتبين حقيقه الحكم وقبل ان يحيط بها علما وقبل ان يتمكن من المساله فان مثل هذا الشخص احمق وجاهل ومن الطبيعي ان تكون قرارته خاطئه ولهذا فان مثل هذا الشخص قد اجتمعت فيه (نقص المعلومه...وسوء الفهم) كما قال تعالى في ذم الكفار فقال تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله)

فالشعور بكمال المعرفه جعلت هولاء يرفضون سماع ما جاءهم به الانبياء وحتى لو وصلت المعلومه فان سوء الادراك والفهم والتحليل للمعلومه تجعلهم يفهمونها بشكل خاطي ولهذا قال تعالى (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل)

اي استوت عندهم المعجزات قبل مجي الرسل بها وبعد المجي بها فاذا كان البيان يهدف الي ايصال المعلومه صحيحه فان البعض يفهمها بشكل خاطي لانه ليس مستعد للاحاطه بها علما والتمكن منها لان القلوب التي هي مركز الفهم قد طبعها الله عقوبه لها فهي لاتتفاعل مع الحقيقه ولاتقبل بها

الامر الثالث

تبين النصوص ان منشاء سوء الادراك للمعلومه التي جاء بها الانبياء والرسل لاقومهم برغم انها واضحه لاغموض فيها هو التكذيب بها اول مره دون ان يتفحصوا حقيقه ما دعاهم اليه الرسل ولهذا استوت عندهم دعوه الرسل قبل مجي المعجزات وبعدها فلم تغيير من حالهم شي ولهذا جاء اطلاق السبب التكذيب فقال تعالى (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) بينما في سوره يونس جاء فيها (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل) فيها التخصيص لان الابيه قبلها قال تعالى فيها(واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبه...الخ فقد حدد التكذيب بالايات هنا

اما في الاعراف فقد اطلق التكذيب في الايه قبلها بالنظر لقوله

(ولكن كذبوا فاخذناهم) ولهذا جاء اطلاق التكذيب بانه ورسوء الادراك لان الفهم الخاطي يعود لخلل فكري او نفسي او غياب الرؤيه الكليه فجاء الاطلاق مناسبا لاحوال القرى المتعدده فالكذب سببا لكل ذلك للاتي

1

(من حيث الخلل الفكري)

وهذا يعود لان الكذب يودي الي افساد قوه التصور للمعلومات فيصور المعدوم موجودا والموجود معلوما فلا يدرك قيمه الدليل ولهذا استوت لديهم الدعوه قبل المعجزه التي كانوا يطلبونها وبعد مجي الرسل بها فلم يحدث اي تغيير فالكذب قد افسد عليهم تصورهم وعلمهم عقوبه لهم

2

من حيث الخلل النفسي

ان فساد قوه التصور والعلم يعني فساد قوه الاراده لان التصور هو اساس كل فعل ارداي ولهذا فان الحاله النفسيه تجعله يري الامور بصوره مغايره لحقيقتها يقول ابن القيم (ان نفس الكاذب معرضه عن الحقيقه الموجوده نزاعه الي العدم موثره الباطل)

3

من حيث غياب الرويه والعقافه

لان الكذب يسري من النفس الي اللسان والجوراج و يفسد اعماله واحواله واقواله فقال تعالى (فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل) ويقول في موضع اخر (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون)

الامر الرابع

يقول الله لعباده احذر الكذب لانه يكون سببا لعقوبه الله بان يقعد الكاذب ويعبطه عن مصالحه ومنافعه فقال تعالى (كذلك يطبع الله علي قلوب الكافرين)

لان القلب هو مركز الفهم للمعلومات فيطبعه الله بحيث لا يكون صالحا لاستقبال الحق فهو محكم الطبع علي قلوب الكفار ولهذا يحذر الله امه الاسلام من هذا العقاب الذي حل بالامم السابقه

فالكفر سبب تفويت الفرصه للنجاه لعدم الرغبه في تصديق المعلومه والسعي لاختفاء الحقيقه وتشويها لانها لا تناسب رغباتهم ولهذا تشكل الذنوب ران القلب حتي يتكون غشاء وختم وطابع يجعل القلب مقفلا بقفل محكم لا ينفذ اليه الانوار الربانيه

ثالثا

تنتقل النصوص الي كشف طبيعه الكفار من خلال الوقوف علي التجارب السابقه بانها طبيعه واحده فهم اتصفوا

(وما وجدنا لكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين)

فالاغلبيه اتصفوا بنقض العهود ..اي عديمي الوفاء ..وخارجون عن الطاعه

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

علي المسلم ان يقف مع نفسه ويسالها عن تعامله مع الله

هل حافظت علي عهدك مع الله .. اسال نفسك قبل ان تنام ماذا فعلت في يومك هل كان السلوك الفلاني موافقا للعهد مع الله

هل التزمت في حديثك مع فلان اداب الاسلام هل اقامت الصلاه علي اكمل وجه ... كذلك فان الطبيب يسال نفسه هل حافظت علي العهد الذي اقسمت به بان تبذل جهدك في الحفاظ علي ارواح الناس ام انك خالفت القسم والعهد ونظرت للماده ...

والمحامي عليه ان يقف مع نفسه هل كان عمله موافقا لمبدأ تحقيق العدل ونصره المظلوم ام ان الماده هي التي تحكم عمله والمهندس والمعلم والمحافظ والرئيس وهكذا

فهذه كلها عهود منبعقه عن عهد الايمان

الامر الثاني

تبين النصوص اهميه الحفاظ والالتزام بالقيم والمثل العليا فلا يجوز التفريط بها مهما كانت المصلحه فقد جعل الا سلام لكل هدف معيار للموزانه بين المصالح والخسائر تتناول التكلفه الماديه والقيميه معا فلا يجوز التفريط بقيم مثل الوفاء فهذا الالتزام القيمي يعود بالنفع علي المكاسب الماديه لوجود ارتباط بين المصالح جميعها بحسب الرؤيه التكاملية الاسلاميه فالمصالح لاتبرر التفريط بالقيم

ولهذا يذم الله الكفار بان طبيعه الاغلبيه منهم انهم لايلتزمون بالعهود ولاتجد لهم انقياد لاوامر ونواهي

فطبيعه الكفار تميل للفوضى والعشوائيه ولاتقبل الانضباط نتيجته الكبر والعناد فهم تابعون لمدرسه الشر الشيطانيه وزعيمهم ابليس اللعين

الامر الثالث

تهدف الايات الي تربيته المومنين علي سلوك الامانه في نقل المعلومات حتي عن الاعداء ولهذا استخدام الحق كلمه (لاكفرهم) فهذا الاحتراس في القران بعرض الحقائق يعني ان اللازم علي المومن الانتباه من القي التهم جزافا وانما يعطي كل ذي حق حقه فالله يخبرنا ان الاغلبيه استحقوقوا الذم لكفرهم ونقضهم العهود وان هنالك اقلية تستحق المدح للوفاء بالعهد ولهذا جاء (من عهد) للتبعيض تاكيد ان هنالك اقلية امنوا واتقوا

المقطع الثامن

الاعراف

آيات هذا المقطع تتناول قصة سيدنا موسى عليه في سبعين آية تتناول في الشطر الاول منها مدار بين موسى وفرعون وملئه وما انتهت اليه من اغراق فرعون وملئه ونجاه موسى ومن معه ثم تتناول في الشطر الثاني مدار بين موسى وبني اسرائيل من محاورات تدل علي اصرارهم علي الكذب والافساد والفسوق... وبالوقوف علي الشطر الاول المتعلق بمدار بين موسى وفرعون وملئه والحوار الذي دار بين موسى وفرعون الي نهايه القصة نجد انها ابتدأت بقوله تعالي (ثم بعثنا موسى من بعدهم آياتنا الي فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبه المفسدين) وقد ابتدأت القصة باداء العطف (ثم) بعد ان تحدثت النصوص قبلها عن اخبار خمس رسالات سابقه هي رساله نوح وهود وصالح ولوط وشعيب والاصل ان وضع ثم اللغوي هو الترتيب بمهله اي الترتيب مع التراخي والايذان بان الثاني انما يجي بعد الاول بمهله ومما لاشك فيه ان مجي موسى عليه السلام هو بعد جميع الانبياء المذكورين لكن تخلل ذلك ارسال العديد من الرسل امثال اسحاق ويعقوب ويوسف والاسباط ولهذا فليس المراد بالتراخي الزماني هنا فموسي لم ياتي بعد الرسل المذكوره مباشره

وانما المراد (ثم) التراخي الرتبي لا الزماني وهو ما يتناسب مع اغراض القصة للاتي

الدرس الاول

تهدف النصوص الي تقويه عزائم المسلمين والهمم في مواجهه الاعداء الذين كانوا يسعون الي اجتثاث الهمم و المدركات من خلال الحاق الهزيمه النفسيه بالمسلمين الذين كانوا قله في مكه وضعفاء ينكل بهم المشركون اشد التنكيل مع بدء الدعوه الجهرية ولهذا فان العطف لقصة موسى علي ماسبق يهدف الي اخبار المسلمين ان طبيعه الكفار واحده في كل زمان فقد بعث الله العديد من الرسل الي الامم المختلفه تركز علي اظهار رده فعل الناس علي الرسل الذين بعثهم الله الي الامم بان طبيعه الكفار واحده في تلقي ما ياتيهم به الرسل من ربههم فطريقتهم واحده يتلقون ذلك بالتكذيب والانزي ولهذا فان ذكر قصة ارسال موسى عليه السلام بأسلوب العطف (ثم بعثنا من بعدهم موسى آياتنا الي فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبه المفسدين) بعد ذكر اخبار قصص انبياء الله نوح وهود وصالح ولوط وشعيب مع اقوامهم لاتعني التراخي الزماني فالمهله هنا في العطف باعتبار مجموع الامم المحكي عنها قبل لان ما بين موسى والانبياء الخمسه نوح وهود وصالح ولوط وشعيب ازمته طويله وتخلل ذلك ارسال العديد من الرسل امثال يوسف واسحاق- ويعقوب واسماعيل ومما لاشك فيه ان هولاء الرسل قد شملتهم النصوص في الايات السابقه التي اختتم بها المقطع السابق عن ذكر احوال اهل القرى بشكل اجمالي في معرض الحديث عن مقابله الناس لانبياءهم والايات التي جاوا بها والتي توكد صدق نبوتهم فاخبرنا الله انهم قابلوا ذلك بالتكذيب ونقض العهود والفسق اشاره الي انهم تابعين لمدرسه الشيطان فقال تعالي (تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله علي قلوب الكافرين وما وجدنا لكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين) ولهذا فان الانتقال الي قصة موسى هي من باب عطف قصة علي قصة عطف خاص علي العام للاشاره الي ان المعركه بين الحق والباطل مستمره وانه لم ينقطع ارسال الرسل وان المعجزات الموضوعيه ليست هي التي تخلق الايمان بل التواضع والاستعداد لقبول الحق هو الذي يودي الي قبول الحق وهذه الصفات توجد عند القله من الناس الذين يحافظون علي فطرتهم وانسانيتهم فلا يتاثرون بالماده والمصالح العاجله فمن بقي فيه بقايا من اثار الفطره يكون قابلا للتفاعل مع دعوه الحق وهو يحتاج الي محرك يثير الانفعالات الاخلاقيه لكن حال الامم التي ارسل الله اليها الرسل ان اغلبيه الناس قد اصيبوا بعدوي الشيطان من الكبر والتكذيب والعدا ف اغلب الناس لا ينجون من الوقوع في مصيده ابليس ولهذا نجد ان الايه تصرح بالفرض الذي تتحدث عنه السوره هو التخويف من عواقب التكذيب ومن الاستكبار و التعالي والبغي والظلم لان تلك الامور هي الات ابليس واسلحته المهلكه التي لا ينجو منها العالم فضلا عن الجاهل

ولا الفقير فضلا عن الغني فاغلب الناس تابعين لمدرسه الشر الابليس التي تتصف بالفسق والعصيان والكبر والبغي والظلم

فالناس منقسمون الي فريقين فريق الخير وهم الذين يتبعون مدرسه الخير التي يمثلها الانبياء والرسل ومن اهتدي بهديتهم ومدرسه الشر والتي يمثلها المتكبرون والفاسقون وان الصراع ممتد من بدايه ولاده ادم عليه السلا م حيث اعلن ابليس العدواه معه تعصبا لاصله

ولهذا نجد ان السوره لاتحدثنا عن قصه موسى من اولها كما في القصص وغيرها وانما تصرح بالهدف الذي سيقى من اجله وهو النظر والتدبر في نهايه المعركه بين الحق والباطل بين الخير والشر بين الفاسقون والمطيعون بين المصلحون والمفسدون ثم تحدثنا السوره حديث مستفيضا عما دار بين موسى وفرعون وملئه والسحره وكيف انتهت المعركه لاجل تسليه المومنون وتقويه الطاقات فلا يضعفون امام الهجمه الشرسه التي تعرضوا لها من المشركين بمجرد الجهر بالدعوي فقد كانوا ياخذون بعض الصحابه ويضعونهم علي الرمال في الرضاء ويضعون ا لاجار الثقيله علي صدور الصحابه ويقولون لهم لن نرفع الصخر حتي تكفر بمحمد فلم ينيهم ذلك لقد اكلوا اوراق الشجر في شعب ابي طالب نتيجه الحصار الذي فرضه المشركون عليهم ولهذا كانت القصص تسليه لهم وتثبيتا لقلوبهم فكانت الاظطهادات المتواليه والتكذيب والاصرار علي العناد من الاسباب التي تحدث في نفس الرسول صلي الله عليه وسلم والصحابه رضوان الله عليهم حرجا وحرنا من حال اقوامهم الذين كان الاجدار بهم ان يبادروا قبل الاخرين للايمان ولهذا كان التثبيت بانزال الايات التي تتحدث عن الانبياء والمرسلين ليبين الله لهم فيها سنته في جعل العاقبه للمتقين رغم ما يصيبهم في تبليغ الدعوه من المحن والخطوب وسنته في اهلاك المكذبين المستهزئين مع مالهم من قوه من الحول والقوه والملك والسلطان ليزداد علي ثباته واقداما فوق اقدامه وجراه علي المضي قدما في سبيل هدايه الناس وانقاذهم من عمايه الضلال

ولهذا كان مناسبا الانتقال من اخبار الرسالات السابقه الي رساله موسى عليه السلام لانها كانت مازالت قائمه وقت النزول ولانها تحوي علي حوداث عديده تعطي المسلم الطاقه يقول لك لاتقلق ولاتحزن لان الله معك فهو قادر ان يعز المستضعفين ويورثهم الارض من بعد المستكبرين فما الذي يحزنك ان كان معك الله فكن مع الله يكن معك والله لايعجزه شي فاعرض له مشكلتك مهما كانت فالحياه ابتلاء وامتحان

الدرس الثاني

(حاجه الناس للقدوه الحسنه)

ان الانبياء والرسل قدوه للبشر ولنا نحن المسلمون كتجارب نحتاجها لانه لاني بعد الرسول صلي الله عليه وسلم واذا كانت البشريه تمر بطفرات تطمس الفطره وتطفي نار الانفعال الخلاق واخلاق الحركه التي يحتاجها الانسان ليتحرر من قيود الشهوات والكبر والتعالي والفخر وجميع بواعث الفسوق والعصيان نتيجه تعاقب الاجيال ومايصاحبها من سدود وحواجز تعترض طريق النور حيث تصاب البشريه بموت الانفعال الخلاق وانحطاط جانب القيم الروحانيه فيهم ويعيشون في دائره مغلقة من الشهوات يتحركون بين اقطارها بحثا عن الملذات وبذلك تفقد الامه حيوتها وتنفصل انفعالها عن الحيويه لان غياب القدوه الحيه يعني انك امام رماد انفعال قد انطفا ولهذا فان اراده الناس تحتاج من يهزها ويحركها لان هنالك اجزاء بسيطه منها ماتزال حاره ولكنها تحتاج الي محرك يحركها فالنار يمكن ان تشتعل ولكن بالتدريج والمحرك الذي يميز نار الانفعال خلال الرماد حتي يستعيد الحياه و التوهج هم الانبياء والمصلحون فقد كان الله يرسل الانبياء الذين تخلقوا بالكمال البشري عرفوا الحقيقه وعرفوا ربه واستناروا بنور ربه وحملوا هموم البشر فنقلوا رساله ربه للناس فهم القدوه الحسنه الذين يشيعون الحيويه في المحيط الذي يعيشون فيه وهم التجربه الشخصيه الواقعيه للانفعال الخلاق واخلاق الحركه وعن طريقهم تنبع الحياه في المجتمع فيتحرر ويتفتح وينطلق ولهذا قال تعالي (ثم بعثنا موسى من بعدهم) فارسال الرسل لم ينقطع كلما طرا في حياه البشر ما يستلزم وجود محرك يميز نار الانفعال خلال الرماد واستعادته الحياه و

التوهج فاستعمل البعث اشارته الاثارة والتهيج وكان العطف بذكر بعثه موسى بعد نوح وهود وصالح ولوط وشعيب برغم تخلل ذلك العديد من الرسل لبيان انه لم ينقطع ارسال الرسل حتي ارسال الرسول صلي الله عليه وسلم والبعث يعني ان تخرج الشي من داخل الارض متى كان ميتا فاخرج وبث فيهم الحياه فهذا التصوير يهدف الي بيان ان الحق قديم وان تعاقب الاجيال يودي الي طمس الفطره والتباس صورته الحق ثم ياتي نبي فيظهره وهكذا يحدث بعد ذلك طمس الحق فيرسل الله نبي لايظهر الحق فكلما تاه البشر في ملذات الشهوات وغلبهم المصالح الماديه وانحرفوا عن القيم وانحدروا الي اسفل السافلين فان عنايه السماء لاتتركهم فيرسل الله الرسل ليرشدوهم الي طريق الحق ولهذا فقد تعاقبت الاجيال علي حمل امانه الاسلام منذو بعثه النبي صلي الله عليه وسلم الي يومنا هذا له حيويه دافقه دافعه مستمده من القران الكريم الدستور الخالد حيث انه كلما اعتراضت انوار الحق ظللمات قيض الله للامه من يجدد لها امر دينها ويخرجها من الظلمات الي النور ولهذا ظهرت حركه التجديد المتعدده والعلماء الذين يجددون امر الامه تهدف الي اثاره الانفعال الخلاق من خلال ازاله العوائق وتحطيم السدود امام دين الله فاعمال المجددين هي اعمال صيانه فالعصور التاليه لعصر البعثه عصر صيانه تستهدف ازاله الاذي عن طريق الاسلام ليعود كما كان ايام البعثه النبويه والخلفاء الراشدين يعني العوده بالناس الي منابع اصول الاسلام فازمه الامه هي ازمه ذكر والتباس مفاهيم لان الاعداء يستهدفون الفكر المسلم والواقع المسلم من خلال تزييف الحقائق والخلط بين المفاهيم فنحن اليوم نعيش في دوامه حكم الضروره في الانظمه السياسيه منذو صفيين فقد كان التنازل عن حق الامه في اختيار الحاكم لاجل الحفاظ علي الوحده الوطنيه باعتبارها حكم وقتي يزوال بزوال الضروره كما اوضحنا في تفسير قوله تعالي (اليوم اكملت لكم دينكمالي قوله تعالي فمن اضطر في مخمسه...الخ من سوره المائد

لقد اصبح الفقه يكرس مفاهيم خاطئه اراد العلماء من خلالها في ذلك الوقت تجاوز ضروره تشكل خطرا يهدد تمزيق الكيان فوصلت اليها قواعدا لاتقبل النقاش واصبح الناس ينظرون اليها بمنزله القران والسنة النبويه فشكلت حواجز امام استعادته دوله الموحدين وقيامها بدورها لانكر ان اولئك العلماء العظماء هم مرجعيه يجب عدم تجاوزهم لكن ينبغي ان ننظر الي الاحوال والظروف التي احاطت بالفقه السياسي تحديدا لانه يمس الاسلام فكريا في فقهه وتعاليمه ويمثل ازمه المسلمين التاريخيه علي ممر العصور ذلك ان المجتهدون والمجددون في العصور السابقه حتي بدايه القرن العشرين قد ركزوا علي صيانه الفقه الاسلامي من الدجل والشعوذه و العقافات الفاسده من ان تسلل الي الفقه الاسلامي والبعض حاول اعاده واقع الحياه ليكون موافقا لما كان عليه السلف الصالح لكن لم يتعرضون لمساله الدوله حصل الخلط بين ايام كان الاسلام ديننا ولم يعد له دوله يحكمها وبين ايام ما كان الاسلام ديننا ودوله فصار هذا الخلط من اهم الازمات التي عصفت باغلب الحركات الاسلاميه التي حملت المشروع الاسلامي لم ينظر الي ان ظهور الفساد السياسي في دوله الاسلام بعد صفيين امر واقعي قد حصل واللازم اعاده قراءه الاحداث وحركات اصلاح الحكم السياسي في تلك الفتره تحديدا مثل حركات ابن الزبير وابي ذر ثم الشيعه والخوارج فهي حركات تحتاج الي الدراسه والتحليل لكشف الحق من الباطل.

حيث والمتامل للحركات الاسلاميه كلها يجد انها حاولت اصلاح احوال المسلمين وركزت علي مفهوم الانسان الخليفه لا خلافه الدوله فالصوفيه ظهرت في عصر الترف الاجتماعي والسلفيه حاولت اصلاح الفساد الذي نشأ في المغالاه بحب الصالحين وهكذا لم نجد من ناقش النظام السياسي ودوله الموحدين غير مالك بن نبي وجمال الدين ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا والسيد قطب فهؤلاء هم المفكرون الذين امتلكوا الشجاعه لمناقشه الازمه السياسيه للامه الاسلاميه فكانوا رواد الفكر السياسي الاسلامي كانوا هم حركه التجديد في هذا الجانب وهو ما شكل الامل لاستعادته دوله التوحيد لدورها وتأثيرها وفاعليتها

ولهذا فان القصص تهدف الي اعطانا النماذج التي نستلهم منها الدروس حيث نجد ان قصه نوح تناولت موضوع معالجه الشرك ومواجهه المشركين وقصه قوم عاد تناولت معالجه طغيان مظاهر القوه العسكريه والصناعات وتناولت قصه قوم ثمود الفساد مظاهر الفساد الاجتماعي بينما تناولت قصه لوط فساد من نوع اخلاقي بينما تناولت قصه قوم مدين معالجه الفساد الاقتصادي وهنا تناولت دعوه موسى عليه السلام فرعون الي اصلاح الا

اوضاع السياسييه والي اخراج بني اسرائيل من عبوديه فرعون وتعذيبه وان ذلك جزء من نظام العبوديه لله تعالى
ولهذا فان المطلوب منك ايه المسلم ان تنظر الي القصص انها درس يحمل توجيه لك انت من الله تعالى انها منهج
لك من الله فانت المخاطب بها انها فيها الطريق الذي يوصلك الي الله تعالى انتبه ان تنظر لها علي انها اخبار عن ا
لامم السابقه فقط. او لاخذ العلم النظري والتعرف الفكري بل انظر الي قصص الانبياء انها للاقتداء

ثانيا

تبين النصوص ان الله بعث موسى بايات الله الباهره التي تؤكد صدق نبوته فقال تعالى (ثم بعثنا موسى من
بعدهم باياتنا الي فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبه المفسدين)

بالوقوف علي الايه نجد انها تناولت

انه بعد القضاء علي الحضارات الفاسده التي خالفت قاعده السعاده والنجاح في الدارين بنقضها العهد الماخوذ من
ادم حينما سلم له مفتاح الخلافه علي الارض فقال تعالى (فاما ياتينكم مني هدي فمن تبع هداي فلا خوف عليهم
ولا هم يحزنون.... الخ

ف الله قد حدد سنته الخلافه ودوام الحضارات وبقائها بان ذلك يكون باتباع الرسل الذين يحملون المنهج الرباني
الذي يتم به التقدم والنهوض والبناء والتنميه في عمران الارض بما يحقق التحسين والاستقرار وفقا لمنهج الله

ولهذا فان الخروج عن المنهج يعني ان الحضاره اداه افساد في الارض وليس اصلاح وتحسين واستقرار ولهذا فان
هذه الحضاره بلا شرف لانها خرجت عن طاعه الله وهي حضاره سلبيه لانها تابعه لمدرسه الفسق وموسسها ابليس
اللعين ولهذا تنتقل النصوص الي موضوع ارسال موسى عليه السلام بالمنهج الرباني الكفيل باصلاح الحضاره
الفرعونيه الفاسده فقال تعالى (ثم بعثنا موسى من بعدهم باياتنا الي فرعون وملئه)

حيث ترسم لنا الايات ملامح هذه الحضاره والنظام الذي كان يحكم مصر كما يتضح من الاتي

/1

ان النظام السياسي الذي كان يحكم مصر عباره عن منظومه استبداديه هرميه شكلت نظاما وكيان حاكما
استبدادي منظم له اركان وسلم وقواعد وبناء وجوانب واضلاع وقمه تمثل راس هذا الهرم هو الملك الذي كان
يسمي فرعون وله اضلاع سماهم (ملئه) اي اشراف قومه الذين يملوون العيون منزله ومكانه وقد ذكرت النصوص
في مواضع اخري هامان الوزير الذي كان يقف لجانب فرعون فهم امثال قاده الاحزاب في هذا الزمان الذين
يشاركون الانظمه الاستبداديه العسكريه والملكيه في توطيد الاستبداد وهم امثال كبار المشايخ وممعلي القبائل
عندنا ورجال الدين المحسوبين علي الانظمه الاستبداديه الذين يساهمون في تكريس الانظمه الاستبداديه والقمع
للحريات وانتهاك الحقوق باسم الدين

ويندرج ضمن هولاء قاده الجيوش واصحاب رؤوس الاموال الذين يحصل تزواج بينهم وبين الانظمه فيصيرون
جزء من النظام وان لم يكونوا من ذات الطبقة الحاكمه فقارون لم يكن ينتسب للاقباط وانما كان من قوم موسى
ومع ذلك صار من ضمن المنظومه الاستبداديه التي استبدت بني اسرائيل

2

تبين الايه ان الحضاره الفرعونيه كانت قائمه علي ابداعات متنوعه منها الزراعه والصناعه وفن البناء واستخراج

المعادن ونظام الري والسدود والنظام الاداري وقد بعث الله موسى فكذبوه واظهروا مهارتهم في السحر امامه فعقابهم الله باصناف العذاب كالجرد والقمل والضفادع والدم والطوفان ونقص الثمرات والسنون فقال تعالي باياتنا اشارة الي التسع الايات ماذكر مضافا لهن العصا واليد ولهذا فان الباء للملابسه وهي في موضع الحال من موسى اي ارسلناه بالايات والدلائل الواضحه علي صدق انه مرسل من الله تعالي علامات داله علي صدقه ولكنهم كذبوا بها حتي اغرقهم الله في البحر الاحمر هو وجنوده

3

تبين النصوص ان الانظمه الاستبداديه لها نظام متماسك الحلقات يرتبط بحلقات يصعب فكها لها سياسات وافكار واهداف وغايات لها منظرون وبرامج وخطط تزيد من تماسك منظومه الاستبداد ففرعون لم يكن يتمكن من الظلم والسيطره لولا تلك المنظومه ولهذا قال تعالي (فظلموا بها) نسب الظلم لهم جميعا لانهم كذبوا بالايات وجحدوها ولم ينقادوا لها جميعا

فهذه المنظومه نموذج لكل استبداد فهي التي تصنع الفراعنه ولهذا اخبرنا الله انه ارسل موسى الي فرعون وملئه يدعوهم لاصلاح الاوضاع السياسيه وترك الظلم واقامه العدل وان يرسل معه بني اسرائيل الذين استعبدهم فرعون وملئه فلم يقل الي فرعون وقومه لان هولاء الوجهاء جزء من المنظومه الاستبداديه المستفيده من استعباد بني اسرائيل وليس لسائر المصريين من الامر شي ولهذا جاء الهاء الضمير في (ملئه) عائدا الي فرعون فقد اخبرنا الله في سوره القصص كيف ان فرعون قسم شعب مصر الي شيع وانه استضعف طائفه بني اسرائيل فقال تعالي (ان فرعون علا في الارض وجعل اهله شيعا يستضعف طائفه منهم يذبح ابناءهم ويستحي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن علي الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمه ونجعلهم الورثين)

حيث ان المنظومه الاستبداديه قامت علي تقسيم الناس الي طبقات وجعلت بني اسرائيل طبقه مستعبده لاحقوق لها ولا كرامه وروجت ذلك بين الناس بانهم اجانب اقاموا في مصر وليسوا بمنزله الاقباط اصحاب الارض والذين يماركون من الالهه وذهبت هذه المنظومه الي الترويج لفكره ان فرعون من سلاله الالهه نظرا لاهميه البعد الديني في قبول الناس لفكره حتي تغللت هذه النظرية في نفوسهم وحدثت خلافا في المدركات والوعي وصار الناس يمارسون الظلم تحت شعار الدين وصار القبول بالاستبداد واجب ديني ولاجل قطع بواعث التفكير في الحرية لدي بني اسرائيل فقد اشغلوهم بالهموم والحقوق بهم الانهزام النفسي وجعلوهم يتجرعون مراره الاستعباد والذل و الهون واستحلوا نساءهم وجعلوهم خدم بلا عائدات ولم يسمحوا لهم بممارسه اي نوع من انواع الاعمال المنتجه

ولهذا فعندما جاءهم موسى يدعوهم الي اصلاح الخلل في المنظومه السياسيه وترك الظلم والخضوع لمنهج الله والتوحيد وارسال بني اسرائيل معه رفضوا القبول بالحق ورفضوا التصديق به فكابروا ولم يؤمنوا حتي اغرقهم الله

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ان الاسلام يحترم العقل البشري وقوه الادراك ولهذا ارسل الرسل ومعهم المعجزات والايات الداله علي صدق الرسل يدعوهم الي التفكير والاستجابه لنداء العقل والفطره والايمان وترك العناد والكفر والفسوق والكبر والعصيان ولهذا ذكر تعالي انه ارسل موسى باياته تعالي فقال تعالي (باياتنا)

والايات منها ما تكون كونه الايات الموجوده في هذا الكون ومنها ما تكون تكوينه ومنها ايات خارقه للعاده

فذكرت النصوص عموم الايات حيث اننا نفهم ان رفع الطوفان والضفادع والدم... انها ايات تكوينه من افعال الله

التي اراد ان تودي دورها في اثاره الفطره تدعوا الانسان الي استعمال قوه الادراك والتفكر قدره الله وكما له وعظمه ليعرف الانسان ضعفه وافتقاره لربه وانه محتاج لرعايه الله ولهذا فان كفر الايات اشد وابشع انواع الظلم لانه اعتداء علي الحق فمن كفر بالدلائل الواضحه فقد اعتدي علي حق العقل والنظر

الامر الثاني

ان علي المسلم عندما يقرأ قصه موسى ان يدرك ان الحياه امتحان وابتلاء ولهذا فان اللازم عليك اخي المسلم ان تتلقي القصص علي انها آيات الله الموجه لك لتسبب الدروس منها

عليك وانت تقرها ان تحس انك من ينزل عليه القرآن انها رساله من الله لك عليك ان تعيش مع القرآن اذا اردت ان تسري فيك روح الحياه الطيبه فهو للقلب كالروح للابدان فلا ينشغل المسلم عنه فمن قام بتلاوته وتدبر احكامه فقد زالت شقاوته ولهذا اخبرنا الله كيف تلقي فرعون وقومه آيات الله بانهم جحدوها ولم ينقادوا لما فيها من دروس رغم تعدد آيات العذاب من نقص العمرات والسنون... الخ

عليك ان تتذكر الايام التي مرت بحياتك والمعاناه التي عانيتها ليس لغرض الحقد علي المجتمع والاخرين بل تتذكر كيف ان الله تعالي من عليك بالعنايه وانقذك من الالام وبالتالي لاتغيب عن ذهنك هذه الذكريات فهي من آيات الله التي توجب عليك الشكر لقوله تعالي (ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الي النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور)

الامر الثالث

عليك عندما تسمع آيات الله ان تصغي اليه فحسن التلقي من اسباب السعاده التي من رزق التلاوه والتدبر زالت عنه الشقاواه والذي ينشغل عن آيات الله ولايصغي اليها فان هذا الشخص يظلم نفسه ويوردها موارد الشقاء و التعاسه فاخبرنا الله في هذه القصة كيف تلقي فرعون وملته دعوه موسى وايات الله فقال تعالي (فظلموا بها)

اي كفروا بها بالعناد والمكابره والكبر فهم من جهه ظلموا انفسهم بان عرضوها للعقاب المهين وظلموا الناس بصددهم عن الايمان واستمروا علي ذلك حتي اهلاكهم الله

ومن الظلم للآيات عدم اعطائها حقها في التامل واستنباط الدروس والعبر

فاللازم عليك عندما تسمع حديث عن الله ان تصغي فالموضوع يخصك انتبه من الانشغال عن آيات الله لان ذلك يعني ظلم حق الايه وتلحق بنفسك العقاب فعندما تسمع الحديث المتعلق بكلام الله ينبغي ان يهز الحق كيانك بحيث يقشعر له جلدك

ولهذا فان علي المسلم عندما يقرأ القرآن ان يستشعر الموقف وانه يقف بين يدي الله يشعر انه يوحى اليه هو وان في القصة التي يقرأها او اي حادثه بحياته رساله من الله له عليك ان تعيش مع القرآن وان تتدبره بكل جوراحك

تنظر انك المخاطب بكل حرف منه ولهذا نجد ان الخطاب موجه للرسول صلي الله عليه وسلم ولكل من يتاتي منه النظر والاعتبار عند سماع الايات (فانظر كيف كان عاقبه المفسدين) والتقدير انظر اليها اي الناظر نظر تدبر وتامل لتري نهايه المفسدين فمن عاش مع القرآن ولزمه فانه يجد في نفسه سرور وسعاده لايدري كيف حلت به ولهذا حذر الحق من سلوك الكفار الذين لم يتلقوا الايات بالاصغاء والقبول فوصفهم بانهم ظلموا انفسهم لانهم فرطوا بالآيات التي كانت مهياه ان تاخذ بايدهم الي طريق النجاه لكنهم لم يعباوا لها ولهذا فان من لم يعبا بايات الله ظالم فانتبه فعليك ان تدوام علي تدراس القرآن فهو علاج لفتور العباده يعالج الكسل وادران ضعف الهمة فمن ثمرات من رزق بركات القرآن ازاله كل تلك الامراض ان درسته تصديقا بايمان حقيقي وتدبرته بعقل وقلب حاضر وجدت السعاده

المبحث الثاني

يتوجه الخطاب الي كل من يتاتي منه النظر والاعتبار عند سماع الايات فقال تعالي (فانظر كيف كان عاقبه
المفسدين)

يقول الحق احذروا من الكبر والغرور والاعراض عن ايات احذرو من العصيان فهذه هي نهايه المفسدين فالظلم
مستلزم للافساد اختتم الايه بالامر بالتدبر في احوال فرعون وملئه وفي احوال المومنين المستضعفين فقد كانوا
اضيق اهل الدنيا حالا فقد استعبدهم الفراعنه واستحلوا نساءهم وتجرعوا مراره الذل والهون والضعف والقتل وا
لاهانه والعجز وعدم الحيله حتي اذا راي الله منهم الصبر علي الاذي في محبته وقوه التحمل خوفا منه ابدالهم
بذل الذل عزا وبذل الخوف امانا التمكين وصاروا ملوكا وهذا فيه تقويه للطاقت للمومنين الذين كانوا يواجهون
البطش من المشركين في مكه ومن جهه ثانيه التخويف من عواقب التكذيب بايات الله والخروج عن منهج الله
ينهي الناس عن السير علي منولهم محذرا من الظلم وعواقبه فكان التعبير بالاستفهام. ب(كيف الموضوعه للسؤال
عن الحال والاستفهام بكيف يقتضي تقدير شي اي انظر الي عاقبه المفسدين التي تسال عنها بكيف لانها حاله
عجيبه تفوق التصور ولهذا علق فعل النظر عن العمل لمجي الاستفهام بعده فصار التقدير فانظر كيف كانت النهايه
فترك لهم ان يقدروا النهايه القبيحه التي لحقت بالمفسدين فرعون وملئه فهذه النهايه في الدنيا الفرق وفي الا
خره الحريق لماذا؟

لانهم تركوا منهج الله ولم يقبلوا الانقياد لايات الله ولم يستمعوا لها كما ينبغي فانظر كيف فعلنا بهم فمهما كانت
قوه الكفار فعليك ان تجهر بالدعوه ولاتخاف مما يملكون من قوه انبته ان تنهزم نفسيا امام الاعداء فتسحب من
المعركه مع الباطل فانت معك الله وماهي قوه الباطل واهله اذا كان الله معك فالظالمون مهما بلغوا لن يعجزوا الله
من نصره اوليائه مثلما نصر موسي والقله المستضعفين علي فرعون وملئه فهذه هي سنه الله انه يمتحن اوليائه
ثم ينصرهم عندما يري انهم اهلا للتمكين

القسم الثاني

تنقل الايات الي مشهد تفصيل دعوه موسي لفرعون وملئه والحوار الذي دار بينهم وموقف السحره وكيف واجهه
فرعون ايمان السحره بدعوه موسي والصراع الذي- دار بين المومنين وفرعون وملئه حتي اغرقه الله تعالي

وقد ابتدأت ايات هذا القسم بمشهد دخول موسي قصر فرعون ودعوته لفرعون حيث دخل موسي وهارون الي
القصر يلبسان ثياب الصوف ويبيد موسي العصا وعند دخوله علي فرعون ما الذي حصل تحكي لنا الايات المشهد
بصوره متحركه حيه ترسم الطريق لكل داعيه لاسلوب العمل وطريقه الدعوه فقال تعالي (وقال موسي يا فرعون
اني رسول من رب العالمين حقيق علي ان لا اقول علي الله الا الحق قد جئتكم ببينه من ربكم فارسل معي بني
اسرائيل)

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ان اضمن طريق لمواجهه الظلم بكافه صوره هو عقيدته التوحيد لانها تنمي في القلوب حب العدل ولهذا لما بينت
النصوص ان النظام الذي كان يحكم مصر استبدادي مارس الظلم الاعتقادي .. والاجتماعي كان التركيز علي دور
عقيدته التوحيد واثرها وفعاليتها في مواجهه الديكتاتوريه والانظمه الاستبداديه من خلال المشهد الذي فيه
توجيه

بان علي المسلم الاستعلاء بالحق والثقه بالله تعالي والاعتزاز بمقام العبوديه لله تعالي وان لاينظر الي المال و

الجاه والسلطان فموسي دخل الي قصر فرعون بتلك الملابس ولايمتلك سوى عصاه يتكا عليها ومن الموكد انه شاهد فرعون يجلس علي كراسي الملك المطرز بالذهب وحوله الاشراف الذين يملوون العيون مهابه والناس ينتظرون ماذا سوف يقولون

فهل انبهر موسي الذي كان يرعي الغنم بهذا المشهد الذي فارقه قبل عشر سنوات وقد ازداد زينه ؟

لا لم ينهبر لماذا لانه يحمل رساله من ربه تجعله ينظر الي الدنيا وما فيها من ذهب ومجوهرات والكنوز انها لا تساوي شي امام وعد الله انها قناعه تملئ قلبه عن الدنيا وما فيها قناعه تملئ العيون غني عن كل مافي الدنيا وايضا كان قوي في عزمته لم ينظر الي ماعد فرعون من قوه فلم يتردد من الدخول عليه ويشترط عليه لبقاء ملكه ودوام عزه ان يسلم ويخضع لله رب العالمين

يدعوه الي ترك العنصريه والعصبيه التي صنعها هو والمنظومه الاستبداديه في النظام الفرعوني وان يتعامل بـ العدل والمساواه وقيم الايمان فهو ومنظومته واشراف مصر ووجهاء سواء مع اصغر فرد في مصر فلا فرق بينهم فالجميع عبيد لله فهو ربهم الخالق لهم فاعلان الربوبيه هنا هو اعلان العدل المساواه التي هي اساس بقاء الحضارات فاذا انتهك هذا المبدأ فان ذلك يعجل بزوال الامم وحضارتها فلا فرق لحاكم علي محكوم فالجميع سواء امام الشريعه الالهيه ومنهج الله فاختر صفه رب العالمين ابطال لاعتقاد الفراعنه ان فرعون يتمتع بقدرات الالهه وانه من سلاله الالهه وانه له مطلق الامر عليهم وما اشرنا اليه من منظومه الاستبداد وقد استعمل اسلوب اللين فناده بلقبه (يا فرعون) وهو الاسم الدال علي الملك والسلطان بحسب المتعارف عليه في ذلك الزمن وهو اسم فيه الاحترام تنفيذاً لقوله تعالى (فقولا له قولاً لنا)

فحقيقه الربوبيه التي اعلنها موسي والالوهيه لله تعالى وحده لا شريك له التي وجهه بها فرعون وطلبوا منه ان يلتزم عقيدته التوحيد ويخضع لمنهج الله تعالى في كل شان من شؤونه وان يقوم باصلاحات سياسيه واقتصاديه وفكريه واعاده ترتيب اوضاع المنظومه التي تحكم البلاد لتكون موافقه لمنهج الله فانه ان فعل ذلك كان له بقاء ملكه ودوام عزه وان هو رفض كان زوال ملكه لانهما مرسلان من رب العالمين الذي بيده مقاليد الامور وهو فعال لما يريد فانت يا فرعون محتاج الي الرب لانه المدبر للامور كلها وكل شي بيده فهو رب العالم السفلي والعلوي فدوام ملكك ليس بقتل اطفال بني اسرائيل واستعبادهم بل بالتزام منهج الله وشريعته فعليك ان تحرر بني اسرائيل من الرق اذا اردت بقاء عرك انت ومن معك فهذه فيها ايضاً شجاعه وجراه وهو مادافع فرعون الي التعجب من مما اشترطه موسي وهارون علي فرعون لبقاء ملكه ودوام عزه فقد التفت الي من حوله وقال الا تعجبون من هذا يشترط عليا لبقاء ملكي ان اتبعه وهما بما ترون من حال رثه الملابس والفقر فهلا القى عليهما اساور من ذهب اعظاما للمال واحتقار لما يلبسه موسي وهارون هكذا قابل فرعون دعوه موسي له فقال (انا ربكم الاعلي)

لانه راي حال موسي وهارون فيها ضعف من حيث النظره الماديه فقال لماذا لا يمنحك ربك المال والقوه اذا كنت تقول انه مالك كل شي فانت بحاجة الي ملابس فما تلبسه من الصوف ممزقه يجعلك بحاجة الي ثياب تلبسها فكيف لك ان تهدد ملكي فخذ اساروه من ذهب كي تشتري بها ثياب تلبسها ودعك من الهذيان والجنون فانا ربك وسيدك فخذ هذه الاساور من الذهب فقال في موضع اخر (ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون)

فقد تسال فرعون في نفسه مامصدر هذه الشجاعه والجراه فلم يتجرا احد ان يقول له ان دوام ملكه وبقاء عزه باتباع منهج الله فمن اين جاءت هذه الجراه

ان الله اعدهما لهذا الموقف العظيم فقال تعالى في موضع اخر(قال ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغي قـ ال لاتخافا اني معكما اسمع واري)

ولهذا كان واثقين بالله فلم يخافا وانه حاضر معهما في الموقف ولهذا قال (اني رسول من رب العالمين) ولم يقل اني رسول رب العالمين وهذا ناتج عن الشعور بوجود قوه رب العالمين معه فما هي قوه فرعون فانت عندما تقول آتيت من عند فلان تعني انك تشعر ان قوه فلان كلها معك

تعني ايضا اظهار ان ارساله هو من عنايه الله ورعايته بالناس ان يرسل اليهم الرسل يشعر ان الله يبتلي رسله والا فانه تعالي قادر ان يرسل الوحوش تقاتل مع انبياءه وقادر ان يمدهم بالكنوز ولكن الله يبتلي عباده ولهذا جعل قوتهم في عزائمهم وثباتهم علي الحق وقناعاتهم عن الدنيا ومتاعها ليكون لعقيدته الجزاء دورها لان عدم الابتلاء يجعل من الجزاء منعدم ولا يكون لاسم المومن والمحسن لازمه

الامر الثاني

اهميه اظهار الموده واقناع الاخرين بشخصتك وانك لاتقصد اي مصلحة من الدعوه و انتقاء الالفاظ القادره علي الوصول الي اعماق النفس الداخليه للمخاطبين ولهذا نجد ان موسي يوكد في سياق الحديث حرصه علي سلامه الحضاره من الزوال مبينا ان الرسل لاتقول الا الحق فلا يليق بالرسول الافتراء علي الله بالادعاءات الكاذبه لانه يعلم عقوبه الافتراء علي الله الكذب فالرسول لا يتجرا علي ارتكاب جريمه كهذه

فمن يدعو الناس الي الهدايه لايتكلم الا بالحق ولهذا فعلي الداعيه ان ينتبه من الاختبار الذي يضعك الله فيه انتبه من التحول فتعمد الي ابراز شخصيتك واخفاء الدين فانتبه ان تتحول دعوتك من الفكره الي الذات فهذه اصنام ينبغي الانتباه منها ولهذا عندما انكسفت الشمس وقت موت ابراهيم ابن النبي صلي الله عليه وسلم قال الناس لقد انكسفت لموت ابراهيم فقال الرسول صلي الله عليه وسلم ان الشمس والقمر اياتان من ايات الله لا تنكسفان لموت احد اولحياته... الخ

فاي انسان في هذا الموقف يري ان الحدث يدعم مركزه فهل استغله الرسول صلي الله عليه وسلم

لا وانما وظف الحدث لتربيته لامه علي حقيقه ضروره الاهتمام بالعلم والابتعاد عن الخرافات

اراد اخراج المومن من الوهم ويريبه علي ان يحمل هم الدعوه دون ان يبالغ ولا يبرز شخصيته بل يبرز حقيقه الدين ولايقول كلاما لمصلحته فالتزام الحقيقه وتحري الصدق هو اساس نجاح الدعوه وثبات الداعيه

انتبهوا من تسييس القضايا والمواقف لخدمه اجنده حزبيه ضيقه هذه هي اسس الدعوه في معركه الحق والباطل وبعد هذه المقدمه يضيف موسي الي ذلك انه قد جاء من عند الله بدليل علي صدق كلامه وصدق دعوته مع استعداده لتبيين ذلك بان لديه معجزه من ربه ثم جاء طلب الارسال (فارسل معي بني اسرائيل)

الامر الثالث

لماذا ابتدأت الايات بدعوه فرعون الي التوحيد رغم ان موسي لم يكن من قومه ولانه اوضح انه يطلب ان يرسل معه بني اسرائيل?

الجواب

عليك ان تفهم ان مهمه كل رسول وداعيه في الحياه هو تجسيد العدل ونشره وحمايته فلا بد من مقاومه الظلم واجتثاث بواعثه واسبابه بكافه الوسائل الممكنه من الموقع الذي انت فيه فالمسلم يشعر بانه مسؤولا عن رفع معاناه الناس حتي ولو كان هولاء الناس غير مسلمين

فاليقاده وامانه الخلافه توجب عليك تحمل المسويليه فالاسلام لا يلتقي مع الظلم فالصراع لا يتوقف حتي تقوم

الساعة ولما كانت النصوص القرآنية قد بينت ان الفرعون وملئه قد مارسوا الظلم بكافة اشكاله ابتدا من الظلم الا
عقادي والظلم الاجتماعي بهضم حقوق الضعفاء واكل اموال الناس بالباطل وان التكوين الاجتماعي كان طبقي
ثم ان هنالك ظلم سياسي استبدادي يمثل اشد انواع الظلم ففرعون نموذج للظلم السياسي ولهذا تكرر في القران
في اكثر من موضع فاراد الحق تنبيه الحكام من الظلم والاستبداد ولهذا فان اضمن طريق لمواجهة الظلم بكافه
صوره واشكاله هو عقيدة التوحيد لانها تنمي في القلوب حب العدل وادته وهو ما ينشي في القلب نورا يزيل
ظلمات الظلم يقول ابن الجوزي انما ينشا الظلم من ظلمه القلب لانه لو استنار بنور الهدي لاعتبر

ولهذا دعا موسى فرعون وملئه الي التوحيد لاجل ان يزيل الظلم باشكاله وصوره والتي منها تحرير بني اسرائيل
من الاستعباد ليغرس في النفوس الشعور برقابه الله فيخاف الناس عذاب الله ان ارتكبوا الظلم فقال (ان ارسل
معي بني اسرائيل

وتقيده بكلمه معي لان المقصود من اخراجهم من الظلمات الي النور و ان يكون الرسول قدوه يرشدهم الي طريق
الهدايه

الفقره الثانيه من المشهد الاول

رده فعل فرعون علي دعوه موسي

(قال ان كنت جئت بايه فات بها ان كنت من الصادقين)

الملاحظ:

ان فرعون بجبروته وطغيانه لم يقتل موسي وانما قال له ان كان معك معجزه علي ما تدعي فاطهرها لنا حتي
نراها ان كنت صادقا انك مرسل من ربك لماذا لم يقتله

لان اعتزاز موسي بدينه اذهل فرعون وجعله يتسال في نفسه ما سر قوه موسي في هذه المواجهه فاراد ان يعرف
ذلكوهذا يعود الي حقيقه ان فرعون بيد الله وقبضته وبالتالي فعلي المومن ان لا يخاف احد في موقف الحق
فكلمه الحق لن تقطع راس او رزق او معاش فاذا كنت مومنا حقا فلا تخاف لان الله معك فما الذي يجعلك تخاف

ان قوه موسي تعود الي عقيدة التوحيد والثقه بالله فلا تخاف من قول الحق فموسي لم يكن له قوه ماديه الا الا
يمان والثقه بالله والعزيمه والهيمه العاليه

2

في هذا الموقف يطرح موسي العصا التي دخل يتكا عليها فهذا هي تنقلب الي ثعبان مخيف كبير فقال تعالي (ف
القي عصاه فاذا هي ثعبان مبيين)

وهو ما اذهل فرعون والسؤال لماذا قال تعالي في موضع اخر (فاذا هي حيه تسعي) وهنا قال ثعبان مبيين ?

الاولي حيه صغيره وهذا في اول مره عندما نادى الله موسي وساله ما تلك بيمينك ياموسي فقال هي عصاي
اتكي عليها... الخ فامر ان يلقيها فصارت حيه تسعي

فقد كانت هذه تجربه لتمرين علي القيام بذلك حتي لا يتفاجا بها في قصر فرعون فيخاف ويهرب فزعا
فكانت حيه صغيره ولهذا قال له خذها سنعيدها سيرتها الاولي

اما لما دخل علي فرعون فقد كان واثقا من نفسه بعد التجربه الاولي ولهذا كانت ثعبان كبير فناسب هذا الموقفين

اما الايه الثانيه فقال تعالى (ونزع يده فاذا هي بيضاء تسر الناظرين)

اخرج يده فاذا هي بيضاء من غير برص ولامرض بيضاء تلمع بها نور ساطع تسر من نظر اليها

(الفقره العالته من المشهد الاول)

تنقل لنا الايات موقف المنافقون والبطانه السوء التي تتكرر في كل زمان بمثل هذه المواقف حيث ان فرعون صغر حجمه من مشاهدته للايات العظميه التي جاء بها موسى من ربه وهو ما دفع الملاء الوجهاء الي مواجهه الحق فقال تعالى (قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره)

اي الاشراف اصحاب الكلمه المسموعه عند الناس اتهموا موسى بانه ساحر ماهر بفنون السحر خبير بمسالكه

وهو ما يفهم منه الاتي

*

ان دخول موسى وهارون ومحاورتهما لفرعون في البدايه كان بينهما وبينه فقلا لفرعون ماقالا اذا اردت دوام ملكك وبقاء عزك فاسلم وامن بالله وارسل معنا بني اسرائيل كما قال تعالى (انهبنا الي فرعون انه طغي... الخ

*

عندما نظر فرعون اليهما وما عليهما من ثياب ولايملكان الا العصا سخر منهما ودعا قومه لسماع مايقول موسى وهارون بقصد السخريه منهما ومن شرطهما وهم بتلك الحاله من الفقر وهنا كان اجتماع القوم فاخبره موسى انه لايكذب علي ربه فهو مرسل منه وجدير به الايكذب وانه جاء بايه من ربه تدل علي صدق نبوته فطلب فرعون اظهار الايه وقد كانت المفاجاه التي شاهدها الجميع

*

تبين الايه ان قوم فرعون اندهشوا واصيبوا بازمه عاصفه شعروا بخطر محقق بهم وبمصالحهم خطر يهدد سلطانهم وقوائينهم وامتيازاتهم من دعوه التوحيد ومن دعوه تحرير بني اسرائيل من الاستعباد شعروا ان دولتهم سوف يقضي عليها ان لم يتدركوها وهذا واضح برده فعلهم علي المعجزات فقال تعالى (قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره... الخ

فاراد الحق ان يخبرنا الاتي

الامر الاول

ان طبيعه الانظمه الاستبداديه انها متماسكه بحلقات مصالح لاتنفك في كل زمان. ولهذاترسم لنا الايه رده فعل فرعون وملئه بانهم لم يستسلموا للايات الواضحه ولم

يومنوا ولجاوا الي التاويلات الفاسده فلم ينتفعوا بالايات البيئه التي تدعوهم الي الايمان فذهبوا الي اختلاق الا عذار لانفسهم بان موسى ساحر لديه مهاره عاليه وخبره في السحر فهم خائفون علي مصالحهم التي ترتبط بوجود النظام الاستبدادي ولك ان تقيس ذلك علي احوال العديد من الانظمه واذراعها في العصر الحديث ولهذا

بادروا بالحديث هم نيايه عن فرعون بان موسى فاسد يحاول قلب نظام الحكم ويسعي للاستيلاء علي ارض مصر وخيراتها بسحره الذي يخدع الناس فجاءت الجملة بدون حرف العطف لترسم التماسك بين حلقات الانظمه الاستبداديه لان الدعوه الي العدل والمساواه والحرية امر يكرهه الطغاه ينظرون اليه انه يهدد مصالحهم ولهذا رفض الكفار في مكة الاسلام لانهم فهموا معني كلمه لا اله الا الله بان هذه الكلمه تعني الثوره علي مصالحهم وسلطانهم تعني الحرية وحفظ الحقوق

الامر الثاني

تبين النصوص ان الهرميه الاستبداديه للانظمه الديكتاتوريه تعمل بشكل متجانس للحفاظ علي المصالح المشتركه من القمه للقاعده وانها تحاول استغلال الاحداث لتقويه النظام الاستبدادي فهي تري ان اي دعوه اصلاح النظام واسترداد حقوق الضعفاء خطر يهدد كيانهم ونحن نري في واقعنا صوره هذا التماسك العجيب لدرجه انك تري المعلم في مدرسته هذا الموظف البسيط تجده يدافع عن النظام الديكتاتوري كان الثوره تسهدفه هو ومصالحه

ولهذا جرت جملة (قال الملاء من قوم فرعون) علي طريقه المحاوره للتحذير من تسييس القضايا لاجل اختلاق الا عذار لان من مدلولات هذه الطريقه التي جرت بها الايه

بيان ان هذه الاعذار انحلوها لاقناع انفسهم لقبول جحود الايات الواضحه كما قال تعالي (وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا)

او ان كل واحد راح يقنع الاخر بهذا القول فالخطاب حاصل من بعضهم البعض اي كلا فريق كان يردد هذا القول علي الفريق الاخر فقال تعالي (يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره)

وهم يستغلون كل مايمكن استغلاله لوقف تحرير الانسان واقامه دوله العدل والمساواه

الم نشاهد هذا الواقع في الوقت المعاصر كيف ان الطغاه تجمعوا لقتل وذبح كل ثوره تنادي بالحرية والعدل و المساواه ليس داخل النظام لدوله ما بل تنادي الطغاه من كل الارحاء لمنع سقوط الانظمه الفاسده ومحاوله تخويف الناس من دعاه التحرر من خلال تسخير الاموال للثورات المضاده في ليبيا وتونس وغيرها ان الفراغه اليوم لها نظام عالمي تجاوز الاقطار هي اشد وقعا من فراغه الماضي ان وجه التشابه واضح في مواجهه الثوره ورجالها فاذا كانت اضلاع الاستبداد الفرعوني قد استهدفت موسى بحمله تشويه واسعه النطاق بانه ساحر لتخويف الناس فان اضلاع الفراغه الحديده قد وصفت قاده التغيير باوصاف عديده كلها افتراء

ان الانظمه الاستبداديه ذات طبيعه واحده تحاول دغدغه مشاعر الناس باظهار حب الوطن وانهم حريصون علي انقاذ الوطن والمواطن من المفرضين حسب تعبيرهم بقصد تخويف الناس من دعاه التغيير الايجابي لاجل زياده الانصار والمويدين والاعوان في معركتهم الباطله مع الحق

ويلعب الاعلام الدور الاكبر في هذا الجانب ولهذا نجد النظام الفرعوني يذكر المواطنين الذين سمعوا بحجه موسى... يذكرونهم بحب الوطن ويزعمون ان موسى يسعي لاجراجهم من ارضهم يستعملون هذه العبارة لتهديد الاقباط- بان موسى يريد من اجراج بني اسرائيل الاستيلاء علي ارض مصر وخيراتها وان حجه اجراج بني اسرائيل مجرد ذريعه للاستيلاء علي ارض مصر

ومن جهه اخري يحاولون استماله بني اسرائيل من خلال تشويه دعوه موسى بانه يريد ان يخرجكم من ارضكم التي تعيشون فيها منذو مئات السنين

المبحث الثاني

تظهر الايات توجه فرعون الي تفعيل مبدا الشوري وتبني

اسلوب فريق العمل الواحد في مواجهه الدعوه التي جاء بها موسي فقد استدعاء الوجهاء والساده واصحاب المصالح وتشاور معهم عن الوسيله المناسبه لمواجهه موسي الذي بنظرهم يهدد مصالحهم فاجتمعوا لاجل اخماد كلمته ودراسه الحلول التي توقف العوره اردوا ان يتوصلوا لحيله يظهرهم للعوام انه كاذب فهذا هو الفريق الذي يشكل عناصر صناعه الازمات فقال لهم فرعون دعوني اقتله اني اخاف ان يبديل دينكم كما قال تعالي في سوره غافر (ذروني اقتل موسي وليدعو ربه اني اخاف ان يبديل دينكم ... الخ

ففرعون شرع يطلعهم علي الخطر الذي يشكله موسي علي النظام ومصلحتهم وانه يمثل خطرا علي الدوله والملك والسلطان يريد ان يشجع العبيد علي الاكابر فهو طامع في حكم مصر وقد وافقوه الراي انه يشكل خطر لكنهم لم يوافقوه في القتل لانهم خافوا من يفتتن الناس به وبدعوته وهنا قال تعالي (فماذا تامرون)

وهذا فيه احد معنيين اما ان يكون القول من الوجهاء لبعضهم اي يطلبون الذي يجب امتثاله او انه من فرعون وهو الارجح فيكون الامر بصيغه الطلب علي وجه التلطف مع المخاطبين او هو علي وجه طلب نتيجه الافتاء والتشور ولهذا فاللازم :-

ان تدرك اهميه الشوري وتفعيل مبدا العمل كفريق واحد في مواجهه الازمات والتحديات فهذا هو الطريق العلمي لمواجهه التحديات ولهذا فان هذا المبدأ هو طوق النجاه الذي يلجا اليه حتي المستبدون في وقت التحديات ففرعون اراد بهذا ان يضمن عدم استغلال موسي لاي خلاف بين قوي الاستبداد واقناعهم بان استمرار المكاسب يقتضي العمل كفريق واحد فهذا اهم عنصر لمواجهه التحديات ولذلك قال لهم (فماذا تامرون)

علي وجه التلطف لاشعال روح الابداع بينهم لتقديم حلول واره غير مسبوقة يريد منهم تشخيص الازمه بشكل فوري وسريع واعداد خطه للتعامل مع الخطر الذي يشكله موسي بنظرهم ولهذا جاء الرد من قوم فرعون عن مضمون التشخيص في البدايه بان موسي ساحر متمكن من علوم السحر وفنونه فقالوا لفرعون... فالقضييه ليست مجرد سحر بسيط انها اكبر من ذلك فهي تحتاج الي اعداد وتخطيط لان دعوه موسي لاتكاد تخفي وانه ان قتلته او سجنته فسوف يتحقق للناس ان موسي غلب وبذلك سوف يتعرض سلطان فرعون للتعزعع في قلوب الناس .. قالوا لفرعون (ارجع واخاه وارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم)

الخطه التي عرضها الوجهاء والاشراف من قوم فرعون1

1/

ان يرجي الحكم في امر موسي وهارون وياخر امرهم الي موعد اخر وهذا يعود الي تحليل الموقف وتقدير ماقد ينتج عن قتل موسي او حبسه لان ذلك سيودي الي اقتناع الناس بحجته فدعوته سوف تنتشر لامحاله ولهذا ق الوا (ارجع واخاه) فالامر بالتاخير دل انه تقدم منه امر اخر فقد اراد فرعون قتله او حبسه فقالوا له اخر امره هو واخيه

2/

اردوا من التاخير ابطال دعوي موسي حيث تصوروا ان ماجاء به موسي هو سحر وانه بمقدورهم ابطال ما جاء من خلال التدخل العملي للسحره المتمكنون في ارجاء المملكه فقد اردوا التصعيد للازمه مواجهه التحدي بالتحدي وهذه وسيله مهمه لمواجهه الازمات لكن تحتاج الي العلم والمعرفه وهؤلاء جهلوا حقيقه ان ماجاء به موسي معجزه من عند الله تعالي

3/

يلاحظ ان قوم فرعون كانوا ذو مهاره فنيه للتعامل مع التحديات وحاولوا ادارتها بما يتفق مع مصالحهم ومن هذا الحشد والاعداد بكل ما يملكون من قوه ومن هذا العنصر البشري واستغلال الموارد المتاحة فقد كانت مصر تموج بالسحره فالكهنه يزوالون السحر في المعابد لاجل تزييف وعي الناس وتزييف الحقائق لخدمه السلطان ف السحره هم من اهم عناصر المنظومه الاستبداديه مثل الاعلام اليوم ومراكز الافتاء ورجال الدين التابعين للسلطه الذين يبررون افعال الطغاه

وهذا الفساد من اعظم انواع الشر الذي يهدد الامم لانه يغيب عنهم الوعي باسم الدين لقد شاهدنا امثال هولاء في مناطق عديده يتم انتهاك حقوق المسلمين باسم الدين وفتاوي ائمه الضلال والناس يتلقون ذلك بانه قران منزل فقد سفكت الدماء وقتل الخطباء في عدن بفتاوي من ائمه الضلال خدمه للطغاه هولاء مثلهم مثل سحره فرعون

المهم هنا ان اشراف قوم فرعون اعلنوا استنفار الطاقات التابعه للدوله و اشاروا علي فرعون ان يستثمر كل العلا قات بما يودي الي النجاح في المعركه التي تصوروا انهم من خلال الاخذ بهذه الاسباب يمكن ان يطفوا نور الله ويبطلوا ما راه انه سحرا من موسي وحددوا لذلك المكان والزمن يوم الزينه وان يحشر الناس ضحي فقد كان الذعر الذي اصاب المنظومه الاستبداديه باعنا لذلك الحشد بكل قواها ولهذا قالوا (وارسل في المدائن حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم)

ان يرسل الجنود الي الامصار ليجمعوا له كل السحره البارعون في هذا العلم وقد ذكر في الشعراء (وابعث في المدائن حاشرين) وهذا فيه التهيج والاثاره فالبعث يعني فوق الارسال التهيج والاثاره ولان سوره الشعراء كان فيها مبالغه (ياتوك بكل ساحر عليم) فاستعمل لفظ وابعث

بما ينسجم مع الجو العام للسوره

فدل ماسبق حب الرياسه داء خطير ومن دواعي ترك الدين وايغار المعاصي علي الطاعه ومعارضه الحق

المشهد الثاني

ابتداء هذا المشهد بمجي السحره لمقر اقامه فرعون فقال تعالي (وجاء السحره فرعون قالوا ان لنا لاجر ان كنا نحن الغالبيين قال نعم وانكم لمن المقربين)

انتقلت سياق النصوص الي مشهد المشارطه بين فرعون والسحره فدل هذا علي حصول ارسال الرسل الي الامصار التابعه لمملكه فرعون وطلب ارسال وجمع السحره الماهرون فقد حصل كل هذا وقد حضروا وقيل ان اعدادهم سبعين الف ساحر وبالوقوف علي الايه نجد الاتي

/1

تشير الايات الي انهم اهل خبره في السحر ومحترفون ولهذا جاء الخبر بجمع السحره الذين وصلوا الي قصر فرعون واجتمعوا به لاجل معارضه ما دعاهم اليه موسي عليه السلام

/2

تبين الايه كيف هو حال الناس اذا انحرفوا عن العقيدته وعندما يصبح المال هو هدف حياتهم والابداع والاحتراف فان هذا الانحراف يجعل المبدع اداه تكريس الظلم والاستبداد وخدمه الطغاه وهدم القيم واداه الانحطاط ولهذا يستخدم الطغاه هولاء في تزييف الوعي والحقائق عن الناس ولهذا كانت المشارطه بينهم وبين فرعون فطلبوا الا

وصيغه المشارطه (ان لنا لاجر) وفي قراءه (ء ان لنا لاجر) همزتين وهذه علي سبيل الاخبار والاولي همزه واحده جاءت علي سبيل الاستفهام وهذا وجه من وجوه الاعجاز فقراءه لان مجي التعبير علي صوره الخبر يوحى بظلال ل معناه فهو يعكس ثقه السحر في النصر وكانهم قد حكموا انهم سوف يغلبون موسي وما بقي لديهم الا الاجر فطلبوا تحديده علي سبيل التوكيد مثال ذلك مايقوله المحامي لصاحب القضيئه الشائكه اذا تم تبرأتك من التهمه هل ستعطينا كذا مال... الخ اذا وجد ثغره في الاجراءت تمكنه من تبرائه من يرغب بتوكيله

ولهذا فان القراءه تودي معني جميل يدل علي غرور هولاء وعلي ثقتهم بانهم غالبون وبانهم ماهرون وانهم قادرون علي غلبه موسي ولهذا قالوا لموسي اما ان تلقي... وقالوا بعزه فرعون انا لنحن الغالبون... الي غير ذلك من الامور الداله علي ثقتهم ولكن الله ابي الا ان يتم نوره فغلبهم وانقلبوا صاغرين واتباع السحره دعوه التوحيد التي دعاهم اليها موسي

تبين النصوص استخدام فرعون للتحفيز فقال تعالي (قال نعم وانكم لمن المقربين)

وهذا فيه ان فرعون كان مرعوب من دعوه موسي فهو يوكد لهم باعطائهم الاجر وفوقه انهم سوف يكونون مقربين منه وهذا من اكبر الحوافز الذي جعل السحره يحرصون علي ابطال دعوه موسي

فقد ادراك فرعون اهميه شعور السحره بان عملهم سيكون محل تقدير لان وجود ذلك يدفعهم لانجاز العمل فاراد بهذا العرض والاغراء بالمكافآت جذب اهتمام السحره

لان غياب الحوافز والمكافآت يعني ان يتهاون العاملون لكن الحافز يبعث علي الجد وراء المجد فنظام المكافآت والحوافز من اهم عناصر مواجهه الازمات

(الفقره الثانيه)

تنتقل النصوص الي بدايه المبارزه بين موسي والسحره الذين احضرهم فرعون لابطال دعوه موسي فقال تعالي (قالوا ياموسي: اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءو بسحر عظيم)

اولا

تنقل لنا الايه مبادره السحره الي البدء بالتحدي فقالوا لموسي (اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين)

وهذا فيه الاتي

المفهوم الاول

(التحذير من الشعور بكمال المعرفه)

يريد الحق منك وانت تخوض اي معركة ان تحيط بعناصر الصراع وقوتهم من جميع جوانبها وان تعد الخطه المناسبه لذلك وفق تقدير دقيق فالمعلومه والاحاطه بالشئ من جميع جوانبه هي اساس مواجهه الازمات وانه من حماقه اتخاذ قرارات مصيره في حاله نقص المعلومات وعدم الاحاطه بالشئ فالسحره كانوا غافلون لايعلمون ان الموقف ليس موقف احتراف وبراعه وتضليل انما هو موقف مواجهه بين المعجزه الربانيه وبين سحر بشري

وهو ما دفعهم الي البدء بالتحدي تحت تاثير النخوه والسكر في حب الجائزه الماليه التي وعدهم بها فرعون وانه سيجعلهم من المقربين قد اخراجهم عن الاتزان فقوه الفرخ والرغبه في القرب من فرعون دفعهم للغرور فدفعهم ذلك الي البدء في التحدي

المفهوم الثاني

(التحذير من سوء التقدير والاعجاب والاغترار بالقوه)

ترسم الايه لنا صورته حيه عن مشاعر السحره فتظهر شعورهم بامتلاك قوه متفوقه وينظرون لموسي انه طرف ضعيف ولهذا يظهرون استخفافهم به لاجراء اختبار ميداني لقوتهم وابطال دعوه موسي ولهذا قال تعالي (قالوا ياموسي اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقيين)

حيث يفهم من هذا ان تاخير قولهم (واما ان نكون نحن الملقيين) ولم يقل واما ان نكون الملقيين ..اظهار وبرايز المشاعر الناتجه عن داء الاعجاب والاغترار بالقوه والمغلايه في تقدير القوه الذاتيه فجاء بضمير (نحن) لتاكيد الرغبه للبدا اي كان رغبتهم في ان يبدوا هم هي التي دفعتهم الي طلب هذا الامر من موسي مع ان العقل يقتضي التأخير لانك في حاله التأخير تتلافي القصور الذي وقع فيه غيرك وهم كانوا في صراع ولذلك فان من الحكمه ان يتاخروا فاراد الحق بهذا التحذير من العقه الزائده في النفس الي حد غير منطقي لان من شان هذا السلوك ان يودي الي عدم التخطيط بما يقود الي ازمات فالاغترار بالقوه يقود الي عدم الفقه الاداري وهو عله الهزيمة فقد كان من الحكمه ومقتضي العقل ان يتاخروا فهم في صراع

لكن حملهم الغرور بقوتهم علي الاستخفاف بقوه الطرف الاخر فكان ذلك سببا للخطا في تحليل المعلومات

ثانيا

(قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءو بسحر عظيم)

المبحث الاول

تبين الايه رد موسي عليهم فقال تعالي (قال القوا)

فضل موسي ان يتاخر وهذا فيه :-

تحصين الامه من خلال استنباط هذه المفاهيم من هذه القصص التي تدلنا علي اسس اداره الازمات والمهارات الفنيه التي تحتاجها للفوز في المعركه فموسي لم يتسرع ولم يستفزه استعراض السحره للقوه برغم انه يعلم ان ماجاء به معجزه وهو مويد من عند الله فلم يقول لهم انا سوف ابدا لماذا?

لان من اغراض القصص تقديم حلولا قرانيه لمواجهه التحديات ومتطلبات اداره الازمات فنيا وادرايا فمن اهم هذه المهارات التي يجب ان ينبغي علي المسلم ان يستخدم توظيف مهاراته وقدرته العقلية والنفسية والجسديه من اجل (التفوق في السيطرة علي الاحداث)

فقد اراد موسي من بدء السحره بالمواجهه ان يري الناس ما يصنعه السحره ويتاملوا فاذا فزعوا من بهرهم

وما شاهدوا جاء الحق الواضح فاراد بهذا ان يحدث اختراق امني في القوي الصانعه للازمه (فرعون و اشراف قومه والسحره) والمواجهه لها (وهم العوام الذين اراد الفراعنه تزييف الوعي لديهم) والمهمته بها بني اسرائيل

ولهذا فان موافقه موسي لطلبهم لاجل التفوق في السيطرة علي الاحداث لانه كلما طال الانتظار منهم لمجيئه كان اوقع في النفوس

والتفوق في السيطرة علي الاحداث وامكانيه احداث اختراق امني يتطلب الاتي

معرفه ماهو هدف العدو و سلاحه وتقدير امكانياته وقدراته تقديرا علميا صحيحا تنظر الي مايبعد العدو من سلاح والاهداف التي يسعى لتحقيقها ومدى تاثيرهم علي القوي المواجهه لها والمهمته بها والصانعه لها وكيف يمكن احتواء اثارها والحد من اضرارها وكيف يكون تحويل المحنه الي منحه

ولهذا يقول الحق (وسحر وا اعين الناس واسترهبوهم وجاءو بسحر عظيم)

فما هو السحر

السحر لغه كل ما لطف ماخذه ودق

وقال الازهري واصل السحر صرف الشئ عن حقيقته الي غيره فكان الساحر لما اري للناس الباطل في صورته الحق وخيل للناس الشئ علي غير حقيقته وقد سحر الشئ عن وجهه اي صرفه)

وقال القرطبي : السحر اصله التمويه بالحيل وهو ان يفعل الساحر اشياء ومعاني فتخيل للمسحور انها بخلاف ماهي به كالذي يري السراب من بعيد فيتخيل انه ماء وهو مشتق من قولك سحرت الصبي اي خدعته

وتستعمل كلمه سحر مقيدا فيما يمدح ويحمد في قولك (ان من البيان لسحر) فسمي بعض البيان سحرا

لان صاحبه يوضح الشئ المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه ولطف عبارته ويقدر علي تحسين الشئ فدل هذا ان المعركه هي معركه تبديل مفاهيم وتغيير مصطلحات هذه هي المعركه مع الباطل منذو القدم تهدف الي تزييف الوعي من خلال التلبيس علي الفطره واستهداف الذكر المغروس في الفطره

(هل للسحر حقيقه وتأثير في الواقع)

ذهب الجمهور الي القول ان السحر حقيقه وله تأثير واستدلوا بالاتي

بقوله تعالي (سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءو بسحر عظيم) فدل هذا علي انه حقيقه والثانيه (فيتعلمون منهما ما يفرقون بين المرء وزوجه) علي ان السحر له تأثير بقوه التفريق بين الرجل وزوجه

والعالمه بقوله تعالي (من شر النفاثات في العقد)

فالاستعاذه من شر السواحر هنا يدل انه له تأثير

وهذا هو الارجح وما تعلل به المعتزله من التباس المعجزه بالسحر فان الفرق واضح لان المعجزه حقيقه ظاهرها وباطنها اما السحر فظاهرها غير باطنه وصورته غير حقيقه يعرف ذلك بالتامل والبحث ولهذا اثبت القران الكريم انهم استرهبوهم مع اثبات ان ماجاءو به انما هو من طريق التخيل والتمويه فاراد المولي سبحانه وتعالى بهذا الاثبات ان يغرس في نفس المومن ضروره البحث والتامل في مختلف فروع الحياه حتي يواصل المسلم مسيرته بمهاراه ودرايه وعلم ولهذا فان القصة تهدف الي

تدريب وتزبييه المسلم من خلال غرس ثقافه القران في النفوس لاجل ان تساعد المسلم في مواجهه التحديات من خلال استقراء الحوادث التاريخيه والاستفاده من التجارب واستنباط الدروس والعبر فقصص الانبياء يعطي المفهوم قوه حركيه لتجسيد الافكار علي صعيد الواقع والعمل بالافتداء بهم في اداره الصراع مع اهل الباطل فعندما تسمع القصة فاعلم انها وحى من الله وليست احداث يروي الرسول مدار فيها من عنده هي ليست معارف يحصل بها الترف الفكرى بل خطوط عريضه تمكن المسلم من استعياب السنن والنواميس وقراءه الاحداث في مجال الخير والشر ومعرفه كيفيه السير في الطريق المستقيم الذي هو طريق الانبياء والصديقين والشهداء و الصالحين ومن سار علي دريهم ولهذا فان القصة ترسم لك الطريق ومعالمها ولهذا نجد ان القصة ترسم لنا الا حداث بدقه

ما جاء به السحره فقال تعالى (سحروا عين الناس واسترهبوهم وجاء بسحر عظيم)

ولهذا عليك ان تدرك ان السحر انواع فالسحر الورد في سوره البقره متعلق بسحر الافكار باستخدام نوع من السحر الروحي الذي صرحت الايات ان له تاثير يصل لحد التفريق بين الرجل وزوجته وكل ذلك يتم باذان الله ..

ولذلك حذرت النصوص بعدها من تلك العقافه وامرت بمقاطععتها فقال تعالى (واتبعوا ما تتلو الشياطين علي ملك سليمانالي قوله لاتقولوا رعنا...الخ

اما هنا فموضوع هذا النوع من السحر ومجاله ليس في الوجود الموضوع خارج الذهن وانما محله الاعين و المخيله ومن المعلوم ان قدره العين علي الرؤيه محدوده فاذا تجاوز شي في الصغر مدي ومجال قدره العين فانها لاتراه لانها لاتراه فهو يختفي عن الرؤويه ولايعني عدم وجوده وكذلك اذا تعاضم وتجاوز مدي قدره العين ومجال الادراك فان العين تري السراب ماءوالعين تري الحركه ضمن سرعه معينه ولهذا فان الساحر يقوم باستخدام هذه العلوم امام اعين الناس لاجل السيطرة عليهم بخفه تجعل المشاهد يري اشياء لاجود لها فالسحر مرتبط بالعين فاذا حصل اغماض العين فانه لن يستطيع التاثير عليك لانتهاء الرؤويه ولهذا تذكر الرؤويات ان السحره جاوا بعضا وحبال ووضعوا فيها الزئبق بعد تشكيلها علي هنيه ثعابين ووضعوها فوق سطح. ساخن ومعلوم ان الزئبق يتمدد بالحراره وعندها يتوهم لك انه يتحرك فهذه الخدعه هي التي لجاء اليها السحره فهذا هو سحر الخيال اي يتوهم رؤويه اشياء لا اصل ولا وجود لها فقال تعالى (فلما القوا سحروا عين الناس)... اي جعلوهم يتخيلوا اشياء مخالفه للحقيقه...واثاروا الخوف والهلع في قلوبهم لان السحر يتطلب توفر مشاعر الخوف في النفوس ليكون له تاثير

ووصفه الحق بانه سحر عظيم فقال تعالى (واسترهبوهم وجاوا بسحر عظيم) اي انه لم يكن سهلا والسحر يعني الخداع والتاثير بحواس الانسان وجسمه وسحر الخيال يصيب الناس كلهم لان مقدرتهم الابصاربه ضعيفه ومحدوده وانما التفاوت بين الناس تكمن في عمليه التصديق فمن كان ذا علم بقواعد اللعبه فانه يعرف الموضوع علي حقيقته في الواقع برغم رؤيته للحدث كما راه الناس فقال تعالى عن موسى (يخيل اليه من سحرهم انها تسعي) فما الذي اختلفت فيه رؤيه موسى عن الاخرين انها عمليه التصديق فهو يدرك باليقين الجازم ان ما جاء به السحره ليس له حقيقه ولهذا فان التفوق والسيطره علي الاحداث تتطلب ان يتسلح المومن بالعلم والمعرفه الذي يجعله قادرا علي مواجهه التحديات وحتى يستطيع ان يحدث اختراق امني ثلاثي الابعاد فالمعركه بين الحق والباطل هي معركه تبديل مفاهيم وتغيير مصطلحات الذكر فالطغاه عبر التاريخ قديما وحدينا يبذلون جهودهم لتبديل المصطلحات وتغيير المفاهيم التي تقوم عليها الحياه لديهم مهندسون ومفكرون ومخططون يضعون البرامج والخطط لتزييف الحقائق وتغيير المفاهيم لينظر للحق بانه باطل والي الشر انه خير والي الظلم انه عدل ولهذا تتعرض المفاهيم الي هجمات شراسه منهم ويحاولون تزييف الحقائق ففرعون رفع شعار الصلاح وزعم ان موسى يريد الافساد في الارض فقال تعالى في سوره غافر (اني اخاف ان يبديل دينكمالخ

ولهذا فان العلم مهم في المعركه حتي لا يكون انتصار العدو في الصراع نتيجته ضعف العلم لدي المسلم سببا في

تبدیل المفاهیم وانتشار الكفر في الارض

ولهذا فان اللازم عليك ان تتسلح بالعلم والمعرفه لتكون علي قدر التحدي وقادرا علي ازاله الشبهات فهذه هي مهمه الداعيه في مرحله الدعوه الجهرية عليك ان تفهم الرسائل والتوجيهات الربانيه التي تحملها آياته فانتبه من ا لايمن التقليدي لان صاحبه لايصمد امام التحديات ولهذا فاللازم علي المسلم ان يتزود بالعلم اللازم نظريا وعمليا وان يكون صاحب مهاراه في اداره الازمات فالفضل الذريع الذي تعيشه الامه اليوم يعود الابتعاد عن القران وعدم التفاعل مع مفاهيم القران وما تحمله من رسائل وتوجيهات نتيجه التقليد وتردد اقوال الفقهاء دون الوعي بما فيها فكان من السهوله ان يسيطر الغرب علي العقول الاسلاميه

(الفقره الثالثه من المشهد الثاني)

تبدا هذه الفقره بقوله تعالي (واوحينا الي موسى ان القي عصاك فاذا هي تلقف ما يوفكون)

المبحث الاول

الجمله معطوفه علي ما قبلها (سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاوا بسحر عظيم) حيث اخبرنا الله في موضع اخر ان موسى لما شاهد سحرهم خاف ان يفتتن الناس بالسحر فقال تعالي (فاوجس في نفسه خيفه موسى قلنا لاتخاف انك انت الاعلي والقي ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد سحر ولا يفلح الساحر حيث اتي)

فموسي لم يخاف من سحر السحره لانه يعلم انه لاحقيقه له وانما هو مجرد خيالات وانما خوفه من نتيجه المعركه فخاف ان لايستطيع الناس التميز بين السحر والمعجزه وبالتالي لاتحسم المعركه لصالح احد فتعبت تهمة فرعون بانه ساحر فدل هذا علي اهتمام موسى بتطورات الصراع ومتابعه سيره وهذا من اهم التفاصيل للتفوق في السيطرة علي الاحداث ولهذا ترسم الايات لنا القصة كانه تري صورته مجسمه متحركه لاشخاص وابطال القصة تبرز مشاعر موسى وخوفه كي تعيش القصة وفصولها واحداثها ولهذا تاتي الايات هنا بقوله تعالي (واوحينا الي موسى ان القي عصاك... الخ يعني القي عصاك حينها سوف تحسم المعركه فسوف تتبلع ما صنع السحره وسوف يبطل تأثير سحرهم علي الناس وترجع الحبال والعصي الي طبيعتها ويشاهد الناس حبال السحره وعصيتهم مازالت حبالا عندها يحدث الاختراق الامني الذي يقنع الناس بالحق ويقنع السحره الذين هم من اهم اضلاع المنظومه الاستبداديه

فاراد بهذا الاتي:-

/1

التحذير من الاحباط فمهما كانت قوه الاعداء فلا تصاب بالياس ولا تسمح للاحباط ان يتسلل الي نفسك مهما كانت اعداد الاعداء وعدتهم وقوتهم لان الله يقف معك فما عليك الا ان تاخذ بالاسباب وان تسعي لرفع الظلم

فالانسان عزيز بالانس ب الله لانه مع الله يعلم انه مع خالق السموات والارض وبالتالي فان المومن يعق ب الله وينصره وانه تعالي لن يضيعه فلا تخاف من تهديد الاعداء فاذا كان الباطل يسحر اعين الناس ويتصور اصحابه انه قادرون علي مواجهه الحق فانهم واهمون لانه عند مواجهه الباطل ويضمحل ويذول والحق هو الغالب ف الله تعالي هو الذي يهي الاسباب وكل شي بقدره تعالي

2

عليك ايه المومن ان تجعل القران الكريم جزء من حياتك تستمسك به وتتدبره وتعمل به خشوعا وتدبرا وفهما قولا وعملا وسلوكا فهو من اسباب المجد في الدنيا والاخره فعندما تتحدث النصوص عن قصة اي نبي فاعلم ان لك

منها نصيب تستفيد منها في حياتك ولهذا فان الايمان يولد فيك راحة النفس ويذهب عنك القلق فلا تخاف من تهديدات الاعداء مهما كانت فعليك ان تتوجه الي الله تطلب العون فهو تعالى اشد النصراء حضورا بما يكفي المعتمدين عليه ولهذا يقول الحق سبحانه وتعالى انه في ذلك الموقف الذي خاف فيه موسى ان يفتتن الناس بما جاء به السحره زواده الله بالثقه والاطمئنان لاكمال التحدي فامرهم الحق ان يطرح عصاه ارضا فاذا هي تبتلع ما القوا وظهر الحق جليا بان موسى هو الصادق وماعاده زاهب ولم يعد له وجود ليكون هذا درسا لك ايه المومن بانه اذا كنت علي الحق فعليك ان تحسن توكلك علي الله في مواجهه الباطل بالثقه بانك لن تنتصر الا بتأييد الله تعالى يقول احد العلماء فسبحان من اظهر حجه نبيه بعضا وابطل سحر فرعون بعضا وسقي موسى قومه بضربه عصا ونجي موسى والمومنون معه بعضا فهو يفعل ما يريد

ويجعل من اسباب نصره اوليائه مايشاء ويهيأ له الاسباب

المبحث الثاني

تعبير الايه عن مجموعه اعمال بمفهوم واحد بكلمات موجزه تحمل معاني شامله قادره علي الوصول الي اعماق النفس الداخليه للانسان بما ترسم له من صورته عن طريقه حسم المعركه واحداثها المتسارعه فقال تعالى (ان القى عصاك فاذا هي تلقف ما يوفكون فوقه الحق وبطل ماكانوا يعلمون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين والقى السحره ساجدين... الخ

وهو ما يجب ان نتعلم منه طرح المفاهيم الشامله بعيد عن التطويل الممل او الايجاز المخل حيث نجد الايات تبين الاتي

1

ان كلمه (ان القى) تفسيريته لفعل اوحيثا والفاء في قوله (فاذا هي تلقف .. الخ للتعقيب الداله علي سرعه مفاجاه شروعاتها في التلقف بمجرد القاؤها علي الارض

فدل السياق علي جملة محذوفه تقديريها ان موسى القاء عصاه وان العصا دبت بها الحياه وصارت ثعبان تلقف ما صنع السحره فكلمه (فاذا) في معجم اللغه حرف للمفاجاه يختص بالدخول علي الجملة الاسمييه ولايجي في اول الكلام ومعناه الحال لا الاستقبال

/2

ترسم الايه حركات الثعبان بعد ان دبت فيه الحياه في صورته تعبيرا عما يتشوق السامع المومن لرؤيته تعبيرا عما في خلجات صدره واحاسيسه من رغبه في رؤيه هزيمه السحره فبناء كلمه (تلقف) وتركيبها مع ما بعدها (ما يوفكون) تعبيرا عن مضمون تصوير نصره الله الحق ودم الباطل واهله قادره علي ان تغرس في اعماق النفس كراهيه الباطل واهله وتصوير ضعف الباطل وسلاحه

فكلمه تلقف مبالغه في اللقف وهو الابتلاع والازدرار فيقال لقف الطعام اي تناوله بسرعه شديده ويلقف اللاعب الكره اي اخذها بسرعه

(وما) موصوله بمعني الذي والعائد محذوف اي ما يوفكون و الافك الصرف عن الشي وقلب الحقائق وسمي الزور افكا والكذب المصنوع افكا لان فيه صرفه عن الحق واخفاء الواقع فلا يسمى افكا الا الكذب المصطنع فما صنعه السحره مخالف للواقع وفيه الخبر الكذب

والتعبير بالماضي تلقف للدلاله علي التجديد والتكرار مع استحضار الصورة العجيبيه فاذا هي تجدد تبتلعها من

فالايه تصور الموقف بانه موقف حسم المعركه فتوضح مفهوم الثقة بالله والاعتماد على الله من خلال شي
ظاهر محسوس تنقله لنا القصة يقول لك الحق ثق بالله وقف مع الحق ولا تخاف ولا تضعف فالايه تهدف الي
تعبيت المومنين وتهديد المشركين يقول الحق ان الحق لا بد ان ينتصر فاذا كنت مع الحق فلا تخاف لانك تنتمي
الي اهل الحق فقله الانصار ليس سببا للاحباط فعليك ان تنظر الي من تنتمي انك تنتمي الي من خلق السموات وا
لارض عندما تقف في صف الحق يقول النابلسي (كم من شخص عادي يعمل مستخدما لوزير ما يمشي بكيرياء
ولسانه طويل يتوعد هذا واذا تحدث عن امر يخص الوزاره يقول لقد فعلنا كذا وقمنا بكذا مع انه مستخدم لادخل
له)

والمراد من هذا ان عليك انت ايه المسلم ان تعزز لانك تنتمي الي الحق انت مع الله تعالي حين تكون مع الحق
فالماذا تقف موقف الضعف ولهذا نجد ان الايه تذكر نتيجته المعركه (فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون)

فليس المراد بالقصه التسليه والمتعه بل المراد ان تتذكر دائما ان الحق لا بد ان ينتصر في المعركه مع الباطل لان
الحق من اسماء الله تعالي ولهذا لا بد ان يظهر الحق ويضمحل الباطل ويزوال ولهذا (فوقع) تفريع علي تلقف و
الوقوع حقيقه تعني سقوط شي من اعلي الي الارض فيقال وقع الطائر اذا نزل الي الارض واستعير الوقوع هنا
لظهور امر رفيع لان ظهوره كان بتأييد الهي فشبّه بشي ينزل من علو وقد يطلق الوقوع علي الحصول لان الشي
الحاصل يشبه النازل كقوله تعالي (ان الدين لواقع)

والحق هو الامر الثابت الموافق للبرهان وضده الباطل الذي لا بد ان ينهزم مهما كانت قوته الماديه

فانظروا لحال موسي امام فرعون وقوته وجبروته فقد نصر الله موسي علي السحره وفرعون فاختر كلمه وقع
مرعاه لفعل الالتقاء لان الشي الملقى يقع علي الارض فكان وقوع العصا علي الارض وظهور الحق مقترنين فاراد

تربيته الانسان المسلم وتنميه جانب الخير فيه وحذف مظاهر السلبيه والفساد والانحراف اراد توجيه الطاقات نحو
الخير فالحق لا بد ان ينتصر وانت مسولا عن حمل الدعوه فلا تخاف من الباطل فلا بدا ان يضمحل ويزوال فقال
تعالي (وبطل ما كانوا يعملون) اي ذهب عملهم بلا فائده

ان التذكير المراد من القصة ليس تذكيرا عارضا ولا تشويق سطحي بل المراد ان تقوم القصة بمهمه عظيمه في
التذكير الواقعي الحي ف الله يقول للمومنين الذين كانوا يطاردون في مكه وهم قله لاتخافوا فالحق لا بد ان
ينتصر ويقول للمشركين ان الباطل مخذول فالظالم لا بد له من نهايه .. فاراد ان تستقر هذه الحقيقه في اعماق
النفس الداخليه للمسلم فانه يستحيل ان يوجد ضعف فيهم يريد ان يغرس فيهم الثقه بانفسهم من خلال العيش
في هذه التجربه للتخلص من الافكار السلبيه التي كانت تقف عائقا امام حسم مواقف الكيپرون فالسوره تعالج ح
اله التردد وعدم حسم المواقف لان فقدان الثقه بالنفس يولد الشعور بعدم المبالاه وعدم الرضا عن النفس وعدم
القدره علي التعبير عن افكاره بطريقه متوازنه ولهذا تاتي الايات موضحه ان الحق لا بد ان ينتصر فهذه هي سنه
الله الي يوم القيامه فانتصار الحق لا بد ان يحصل فعرض القصة لمشهد هزيمه فرعون وجنوده من اعجب القصص
التي تستدعي الوقوف علي فصولها والمقارنه بين ضعف موسي من حيث القوه الماديه وقوه فرعون لكن من الذي
انتصر لقد كان السحره يقفون في صف فرعون الطاغيه ويدعمونه فرعون الذي قال انا ربكم الاعلي .. وفي المقابل
كان موسي يمتلك عظيمه قويه لانه علي الحق فمن الذي انتصر في النهايه انها قوه الحق فقال تعالي (فوقع الحق
وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين)

يعطيك المعلومات عن نهايه الصراع بين الحق والباطل لان من اسباب عدم الحسم والتردد عدم الثقه بالقدرات
نتيجته نقص المعلومات يقول لك اذا. كنت علي الحق فلا تخاف من قوه العدو مهما كانت قوته لان الحق منصور و
الباطل مخذول فالباطل لايقف امام الحق فلايكون الاغترار بمظاهر الباطل فلا تسمح لضجيج اهل الباطل ان
يتسلل الي بيت افكارك وقلبك ويحدث التردد وعدم قدرتك علي حسم موقفك فهذا الضجيج لا بد ان يسقط بمجي
الحق فطبيعته الباطل ان ينتفخ بما يصنعه اصحابه فنحن نشاهد اليوم كيف ان اهل الباطل يحاولون تشويه صورته
الحق يتناولون في الاعلام يتكلمون علي العلماء وعلي ديننا نري انهم يسجنون اهل الخير ويوصفونهم بالارهاب
ويمارسون ابشع الجرائم وبنفس الوقت يدعون انهم يحترمون حقوق الانسان بل ذهب الي الزعم بانهم دعاه حفظ
حقوق الحيوان فان هذه المظاهر التي تراها لاينبغي ان تولد فيك الاحباط فانت علي الحق فكُن واثقا ان الحق
لا بد ان ينتصر فعليك ان تحسم موقفك وتتق بنفسك ولا تسمح ان يؤثر فيك الضجيج لا تسمح له ان يهز ثقتك
بنفسك ويمنعك عن التطور ففرعون الذي قال انا ربكم الاعلى صغر امام الحق وانهزم فصوله الباطل لا بد ان
تضمحل وتزوال فعليك ان تحدد هدفك فاذا كان هدفك مع الحق فعليك ان تتق بالجهه التي تقف في صفها فهذه
الخطوه هي اول خطوه تخطوها للتخلص من التردد لان معرفتك لاهداف يعني معرفتك للطريق الموصل اليه
معرفتك لنهايه ولهذا نجد ان الايات جاءت معطوفه بالفاء (فغلبوا هناك وانقلبوا صاغرين) فدللت اداه العطف و
المعطوف عليه بحصول المغلوبيه اثر تلقف العصا لما صنع السحره و اشارت الي المكان (هناك) اي انهزم الباطل
وظهر الحق والايماء فيه ان حصول انهزام السحره كان نصر للحق واهله وهزيمة لفرعون وجنوده واعوانه ومن
يسلكون طريقه الي يوم القيامه فقال تعالي (وانقلبوا صاغرين)

التوجيهات لك ايه المومن ان تعزز بدينك وتعلم ابناك هذه العقيدة فالاسلام ليس فيه ضعف ولاذل بل عزه وكرمه
وقوه عظيمه وارداه وهمه عاليه فالاسلام اعزه علي الكافرين اذله علي المومنين

انتبهوا من الغرور والكبر بالباطل فان النهايه هي الذل والهون فقال تعالي (وانقلبوا صاغرين)

والانقلاب مطاوع قلب وهي تعني التبديل للحال وتغييره ويستعمل للرجوع الي المكان الذي خرج منه الشخص لان
الراجع قد عكس حال خروجه

وانقلب من الافعال التي تجي بمعني صار وهذا هو المراد هنا انهم صاروا صاغرين فجاءت مناسبه لكلمه غلبوا و
الصغار المذله وهي مذله ظهور عجزهم ومذله خيبه رجائهم فيما املوه من ان يبطل السحره معجزه موسى فقد
سقط الباطل وانهار امام الحق

ولهذا فان التفكير بنهايه المشهد يولد الثقه في النفس. طالما انك علي الحق وبذلك يتحقق الحسم في اتخاذ القرار
لمن كان متردد من ان يقف مع الحق

الفقره العالنه

تبين النصوص اهميه ان تكون اكثر حسما عند اتخاذ القرارات والمواقف وان تتعد عن التردد خاصه تلك القرارات
والمواقف المصيري والمؤثره علي مستقبلك في جميع المستويات ولهذه تنقل لك الايات موقف السحره بعدما
شاهدوا صدق نبوه موسى عليه السلام فقال تعالي (والقي السحره ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى
وهارون)

فالايه تنقل لنا هذا المشهد لحال السحره بعدما شاهدوا المعجزه الداله علي صدق نبوه موسى فقد خضعوا وقبلوا
الحق واعلنوا ايمانهم بالله تعالي في حين استمر فرعون في كفره وعناده هو ومن معه

وفي هذا المشهد نجد الاتي

الامر الاول

جاءت الايه معطوفه علي قوله تعالى (فغلبوا..وانقلبوا)

فهي في حيز ذكر ما قبلها من القاء العصا وابتلاعها لما القوا وانه انكشف لهم صدق موسى عليه السلام انهم خضعوا لما روا الايات واعلنوا ايمانهم فاستعمل كلمه (والقي)

والالقاء كلمه تستعمل للتعبير في سرعه الهوي الي الارض

فلماذا استعملت هذه الكلمه وما دلالتها وما المراد من تصوير مشهد سرعه الهوي الي الارض والسجود من قبل السحره حيث ان المفسرون ذهبوا الي القول ان انبهار السحره ودهشتهم دفعهم للسجود كان هنالك قوه دفعتهم دفعافلم يتمالكوا انفسهم والحقيقه ان المراد من تصوير المشهد هو الاتي

المفهوم الاول

(تعليم المسلم كيف يتخذ القرارات الافضل في المواقف الحاسمه)

ان الحياه مليئه بالقرارات المهمه والمصيرييه فهناك قرارات تحتاج الي الثاني والتفكير وهناك قرارات يمثل عنصر الوقت مهما فلا ينبغي تضييع الكثير من الوقت واستهلاك الطاقات الذهنيه في المفاضله خاصه اذا كانت النتائج للمفاضله واضحه امامك لان التأخير هنا يعني التردد الغير مبرر فليس هذا من قبيل الثاني في التفكير بل عجز يشل الحركه فانت اذا كنت امامك خيارين اما ان تدخل كهف بداخله وحش مفترس واما ان تصعد جبل فيه الامان لك فايهما تختار ثم هل تأخير صعودك الجبل بدعوي ان المساله تحتاج الي ثاني وتفكير مع هذا الوضوح يعد من اعمال العقلاء ام انه من اعمال المجانين لانك تفوت علي نفسك فرصه النجاه وتعرقل مافيه تطورك

ولهذا فالسرعه في الهوي الي الارض التي عبرت عنها الايه يراد منها تعليم المسلم كيف يتخذ القرارات الافضل ومنها تلك المواقف الواضحه التي تتطلب السرعه لواضحها

المفهوم الثاني

(اهميه تحقيق التوازن بين عقلك وقلبك)

فالانسان يقف امام خيارات متعدده متعلقه بحياته ومستقبله وهنا يجد نفسه حيران في تحديد الخيار الافضل من بين هذه الخيارات المتاحه فينشأ عن ذلك التردد وهذا اما انه يعود الي الافراط في التفكير الذي يتصف به البعض وهو ما يجعله حبيس الخوف ويشكل عائقا امام تطوره خاصه في المسائل التي يمثل عنصر الوقت مؤثر في تحديد مستقبلك مع عدم الحاجه الي التأخير لوضوح المساله وكذلك فان البعض يعتمد في تفكيره علي التحليلات الماديه دون ان يعرف ماهي اولوياته والبعض يواجه الامور بالعاطفه والانفعال الذي يقع تحت تأثيره وهو ما يوتر سلبي علي الاختيار نتيجه الاندفاع لانك توجه المساله بمشاعر سلبيه فالحماسه الزائده تدفعك لاتخاذ قرارات ارتجاليه عفويه ولهذا نجد ان الايه جاءت معطوفه علي ما قبلها (فغلبوا.. وانقلبوا) فهي في حيز ما قبلها من القاء العصا وابتلاع ما صنع السحره

فقد انكشف لهم صدق نبوه موسى عليه السلام لانهم اهل علم ودرايه فكان منهم اعاده ترتيب الاولويات والاهداف والافكار والعواطف بالنظر الي الجانب الايجابي للموقف بالاعتمادعلي التوازن بين افكارهم وتحليلات عقولهم تجاه دعوه موسى ومن عواطفهم ومشاعرهم تجاه هذا الامر الذي انكشف لهم فقد ادشهم الموقف واتضح لهم صدق موسى ولهذا كان استخدام كلمه الالقاء لبيان ان موقف السحره ناتج عن هذا التوازن بين العقل والقلب بالنظر الي الحقيقه فكان السجودفيه اعلان كف الانبي و قطع الرغبه في الجائزه التي وعدهم بها فرعون

فلم يعد المال يشكل هدفا لهم فالتوازن شكل قوه دفعتهم الي اعاده ترتيب الاولويات والاهداف سعيا منهم الي تغيير الظروف السببيه للضغط من خلال النظر للجانب الايجابي للموقف مع العمل علي تغييرها فكانت النتيجة المسارعه الي التسليم و السجود لله تعالى للتعبير عن قطع الرغبه في المال بكف الاذي و اعلان الوقوف ضد الطاغوت نتيجة الخشيته من الله فقالوا (امنا برب العالمين رب موسي وهارون) فقد حسموا اختيارهم فليس لديهم وقت يضيعوه بعد اكتشاف الحق ومعرفته فالفطره تحب الحق

الامر الثاني

تصوير مسارعه السحره للسجود مع ان فرعون احضارهم لابطال دعوه موسي وقد بينت النصوص تفاعلهم مع. طلب فرعون وبدوا بتحدي موسي فقالوا (اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين) فلماذا تحول التحدي الي التسليم المطلق و اعلان التعظيم لله في الموقف?

المفهوم الاول

(اهميه الصدق مع النفس في حسم المواقف)

يريد الحق ان تفهم ان قدره علي اتخاذ القرارات وحسم المواقف يعتمد بدرجة اولي علي المصادقيه مع النفس في تحديد الاهداف التي تسعي الي تحقيقها في الحياه وتريد ان تعيش من اجلها وترتيب الاولويات- ولهذا استفاد السحره من روبيتهم للايه التي جاء بها موسي لانهم كانوا صادقين مع انفسهم في تحديد الهدف الذي يسعون لتحقيقه اما فرعون ومن معه فقد خانوا انفسهم فقال تعالى في موضع اخر (وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا)

فلم يكن ينقص فرعون وقومه الدليل فهم كانوا مستيقنون من صدق موسي فقد وصف الحق حاله النفسيه لفرعون وقومه امام الايات التي جاءهم بها موسي من ربه بانها بلغت مستوي اليقين في الادراك لكنهم خانوا انفسهم وظلموها برفض الحق فليس الحسم عائدا لنقص الدليل

المفهوم الثاني

يريد الحق ان تعلم ان قدره علي اتخاذ القرارات وحسم المواقف مساله ثقه بالنفس وهي مهارات شخصيه مثل اي مهارات اخري بامكانك اكتسابها وتنميتها من خلال الاتي

المساله الاولى

ان يكون لديك اراده في التطور والاراده تختلف عن الرغبه لانه قد يوجد رغبه في التطور ولا توجد اراده التطور عندها تبقي ما لديك مجرد امانتي وهي لاتعني اراده التطور

لان الاراده تعني الرغبه المشفوعه بعمل تنفيذي محدد وقاطع ولهذا عبر السحره عن ارادتهم بالمسارعه بالتسليم و السجود ودعموا ذلك العمل بالاصرار المتواصل والمقصود وتصميم متطلع الي هدف معروف ومطلوب فقالوا (امنا برب العالمين رب موسي وهارون) فقد وضعوا ارادتهم في قالب تنفيذي يعبر عن المسار الذي اختاروا ان يتحركوا في اتجاهه وهو الخضوع والتسليم لله رب العالمين

المساله الثانيه

التفاعل مع المفاهيم القرانيه بحيث تعيد تشكيل واقعهك وترتيب حياتك واحاسيسك وسلوكك وحياتك علي الا رض وفقا لما جاء به القران ولهذا نجد ان السحره اعلنوا ان سجودهم هو ايمان ب الله رب العالمين الذي عرفوه

حينئذ بظهور معجزه موسى والداعي اليه بعنوان كونه رب العالمين لانه قال علي لسان موسى لفرعون (وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين)

بهذه السرعة اعدوا تشكيل واقعهم تفاعلا مع المفاهيم التي استنباطوها من خلال قراءه نتائج الايه التي جاءهم بها موسى من ربه

المساله العالجه

جمع المعلومات المتعلقة باي مساله والفهم الصحيح لها من اهم الاشياء التي تحتاجها لتنميه العقه بالنفس وحسن الاختيار فالفهم الصحيح للنصوص والوحي يعين الانسان علي الاختيار السليم فهو يختصر الوقت والجهد فلا تقع في الاضطرابات والتخبط ولهذا لما كان السحره اعلم الناس بالسحر والاعمال السحريه فان تلك الخبره جعلتهم يسرعون بالسجود لله والخضوع فتحول التحدي الي التسليم المطلق والافراط بالتعظيم لله تعالى لماذا كان هذا منهم مع ان فرعون احضرهم لابطال دعوه موسى لانهم اهل علم ولهذا ادركوا صدق موسى فلم يترددوا ومن هنا ندرك ان مفتاح التخلص من التردد ان تكون في حاله ذهنيه جيده وان تكون قادرا علي تقييم الخيارات المتاحة امامك بموضوعيه عن علم ودرايه وان تتخذ قراراتك بعقلانيه واستقلاليه بناء علي علم ومعرفه فقال تعالى (و القى السحره ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون)

فقد القوا انفسهم علي الارض ساجدين لمن سجدوا؟

لله تعالى الذي عرفوه حينئذ بظهور معجزه موسى ولهذا فان المعلومات التي لديهم كانت من اهم عناصر قدره علي الاختيار فلم يجدوا صعوبات في اتخاذ القرارات في تحديد مسارتهم لانهم اعلم الناس بالسحر ولهذا اعلنوا ايمانهم بوضوح

المفهوم الثالث

اهميه انتقاء الالفاظ وان يكون الخطاب له اهداف وذو مضامين حيه حتي يتلقاه الناس بوضوح اي تختار الكلمات التي تعبر عما في نفسك من مشاعر واحاسيس حتي تصبح الكلمات لها قوه مؤثره ومنتجه تعبر عن المسار الذي اتخذته طريقا لحياتك ولهذا فقولهم (امنا برب العالمين رب موسى وهارون)

فيها التعبير عن قبول ان يكونوا اتباع لموسى وهارون لماذا لانهما مرسلان من الله

فيه اظهار مافي قلوبهم من مشاعر حب الخير الذي جاء به موسى وهارون فيه اعلان مبدا المساواه بين الناس لا ن المنظومه الاستيديديه كانت تقوم علي الطبقات فينظر الي بني اسرائيل انهم طبقه ادني وان الاقباط الذين ينتمي لهم السحره طبقه ارقى ولهذا فقد اخرج السحره من قلوبهم هذا الصنم باعلان ان الناس سواسيه كلهم عبيد لله وحده لاشريك له فلا عصبية ولاطبقية

المفهوم الرابع

ان قولهم (امنا برب العالمين رب موسى وهارون)

فيه توجيه لك اخي المسلم مضمون هذا التوجيه ان تكون مفاهيمك التي تستخدمها في حياتك واضحه المعني وتوضيحها يكون باستخدام الاسلوب القراني في توضيح المفاهيم فلا بد ان تربط المفاهيم بما يوضحها حتي لا يحدث الالتباس خاصه في المواقف الحاسمه فعليك ان تبين حقيقته بوضوح لا لبس فيه ولهذا نجد جاء اعلان ايمان السحره انه ايمان برب العالمين رب موسى وهارون لثلا يظن الناس انهم يقصدون بذلك فرعون فاردوا ان يفهم من قولهم انهم امنوا بالاله الحق الذي يدعوهم اليه موسى وهارون فتحديد المسار بوضوح من اهم الامور

للتخلص من التردد

المشهد الثالث

يتناول هذا المشهد مدار من حوار بين السحرة وفرعون وتهديد فرعون لهم بالقتل والتنكيل وردهم علي ذلك الدال علي الثبات وحسم الموقف فقال تعالي (قال فرعون امنتتم به قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكروتموه في المدينه لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين قالوا انا الي ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان امانا بايات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين)

اولا

بعد ان سمع فرعون ايمان السحرة وقبولهم بدعوه موسي قال تعالي عن رده فعل فرعون(قال فرعون امنتتم به قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكروتموه في المدينه لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ترسم لنا الايه صورته تظهر فرعون مهزوز فاقد لتوازنه عندما شاهد موقف السحرة الذين هم جزء اساسي من المنظومه الاستبداديه فقد مغل استجابته السحرة لدعوه موسي اختراق امني كبير لمنظومه الديكتاتوريه الفرعونييه

فهذا التخبط والاهتزاز من فرعون لانه شعر بان القاعده التي اقام عليها نظامه الاستبدادي تنهدم فهذه القاعده تقوم علي عنصر الخوف من شخصه وبطشه فشعوره انه لم يعد يخيف الناس يعني فقدانه اهم الامور التي يستمد منها قوته وتسلطه علي الناس الناتج عن الاستخفاف بهم فاعلان السحرة ايمانهم ب الله رب العالمين بمثابة تحرر من الافكار التي تسلطت علي المصريين فهم كانوا يدركون سخافتها ومع ذلك صعب عليهم الخلاص منها سابقا لماذا لانهم كانوا يحرصون علي الدنيا ولذلك قالوا (ان لنا لاجر)

اما بعد رؤويه الحق فقد تخلصوا من الخوف واعلنوا الربوبيه لله وحده لاشريك له وهنا شعر فرعون بالخطر من يقظه الناس من غفلتهم لك ان تتخيل نفسك واقفا في هذا الموقف تشاهد ماحدث لفرعون وهو يصرخ بالتهديد للسحرة تشاهد الارتباك والذعر في الفاظه وملامح وجهه فالايه تنقل لنا تلك الصوره كامله لو عشت مع القصة واحداؤها فقال تعالي (قال امنتتم له قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكروتموه في المدينه لتخرجوا اهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبانكم اجمعين)

لماذا هذا الذعر لان الخوف الذي كان مصدر اذلال الناس وعجزهم عن مقاومه فرعون وبطشه انهدم اليوم في هذا الموقف الذي اظهر فيه السحرة عدم الاكتراث لفرعون وبطشه فالخوف هو سلاح الانظمه الديكتاتوريه اذا انكسر زالت قوتهم

الامر الثاني

تبين النصوص لنا كيف ان الانظمه الديكتاتوريه تري تطوعات الجماهير الي الحريه خطرا علي نظامها تخاف من مخاطبه العقل تخاف من سعي الجماهير الي جعل السياسه قائمه علي افتراض الخير العام تخاف من قبول الجماهير لمفهوم الخير العام تخاف من ان استقلال الجماهير في التعبير عن اراءها وقناعاتها واختيارها للنظام الذي يحكمها يريد المستبد ان تبقي تحت وصايته فالفراعنه صفه موجوده في كل زمان وهو يركز علي مصادره الاراده لدي الشعوب يخاف من تحرر الاراده ولهذا نجد ان الاستعمار الفرعوني الجديد الذي يهيمن علي الشعوب

اليوم لا يقل شأننا في سياسته عن فرعون زمان فالانظمة السياسيه التي تحكم العالم الاسلامي اليوم كلها تابعه لا مريكا الحكام يخافون بطش امريكا لانها هي من اوصلتهم الي سده الحكم فقد اذابه الدول الاسلاميه في بوتقه اسلاميه وفق مزاجها بما يمنع تحرر الشعوب بما يمنع انطلاق اراده الامه نحو حريتها ولهذا فقد شاهدنا تلك الحشود تصل الي العراق عندما لم يعد حاكمها خاضعا لها وان لم يكن اسلاميا

شاهدنا تزامم الاوصياء من امريكا وفرنسا وبريطانيا يفرضون وصايتهم علي امتنا يحمون امراضهم التي عملوا علي نشرها في العالم الاسلامي بالهاء الشعوب بافكار قومييه وتقدم وتابعين لامريكا اروسيا او بريطانيا يصنعون لشعوبنا امال زائفه لاجل تجريد شعوبنا من مبادئه ومن كل مقومات الانسانيه ينزعون من اراده المسلمين كل فعاليه من خلال الجمود الفكري والغزو الفكري منعنا من الرجوع للماضي علي سبيل معالجات مشاكلنا وانما علي سبيل التفاخر والتباهي مغل البائس الفقير الذي يحكي ماضي اسلافه الاغنياء

لقد انتقلت عدوي الخوف من الحكام الي الشعوب للأسف الشديد من قوه امريكا وبتطشها ولهذا تعد مشاعر الشعوب حيه بما يناسب الحدث الذي نراه في غزه لماذا لان ثقافه الفرعونييه تغللت في اعماق النفوس الداخليه للحكام واغلبيه الشعوب للأسف الشديد فالحكام يخافون من بطش امريكا والشعوب تخاف من بطش الحكام فامريكا والغرب فرعون علي الحكام تخاف من وصول اي حاكم حرشجاع الي سده الحكم ولهذا تحارب وتشجع ا لانقلابات التي تسقط الانظمه التي تمارس قدرا من الحريه في اختيار حكمها كما حدث في مصر وغيرها

وسبيل الطغاه عند الشعور بالخطر واحد هو التهديد بالقتل

الامر الثالث

تبين النصوص انهيار حسابات فرعون واستراتيجيته التي كانت هنداستها الاساسيه تعتمد علي تخويف الناس وتمزيق المجتمع وقهر اراده الناس فاخبرنا الله ان فرعون مزق شعب مصر الي فئات وطبقات وهو ماجعله يقتل وينهب ويسلب ويدوس علي الضعفاء لقد اعتمد فرعون علي امرين :-

اخضاع الناس بالقوه وتخويفهم من بطشه وجبروته بما يمتلك من جيش وسلاح ونظام متماسك ظالم ومال فقال تعالي في سوره القصص (ان فرعون علا في الارض وجعل اهله شيعا...الي قوله (نري فرعون وهامان وجنودهما ماكانوا. يحذرون)

فالامر الثاني هو تمزيق الشعب الي طبقات وكتنونات

وهذه هي الخطه التي تعتمد عليها الانظمه الديكتاتوريه في كل زمان

ولهذا نشاهد ان الغرب والقوي الامبرياليه اليوم تعمل جاهده علي خلق هذه الظروف في الامه الاسلاميه كي تضمن هيمنتها علي العالم الاسلامي فنري اسرائيل تعتمد في غرورها علي ثقته المطلقه في تفوقها المطلق علي المسلمين وتبني ذلك. التفوق علي مزيدا من السلاح والتدريب والتي تشكل قوه رده تزهب العرب...وعلي مزيدا من الصراعات في البلدان العربيه والخلافات وخلق صراع المذاهب والاحزاب والطوائف والقوميات في المناطق العربيه وتشجيعها وتحريك الاحداث والصراعات داخل الدول العربيه بين الحينه والاخري من خلال ادواتها داخل اوطننا الذي صنعه الاستعمار الغربي والامريكي وعن طريق خلق وتجسيم التناقضات عبر مصالح هذه الفئات لا حدات الصراع فيها فقد شاهدنا ان اول عمل قامت به امريكا في العراق وافغانستان هو صناعه الاحزاب القوميه والطائفيه...كل هذا يهدف الي الحلويه دون ظهور اراده اسلاميه تستطيع ان تحمي الحق الاسلامي لتضمن التفوق

ولهذا نجد ان فرعون اصابه الفزع والهلع عندما اعلن السحره ايمانهم بالله رب العالمين والذي يعني انهم تخلوا

عن القوميات والعصبيات وقبلوا ان يتحركوا تحت قياده موسي وهارون وهو مايعني التجاوب مع القياده الريانيه وعدم الخوف من فرعون وبطشه وهو مانظر اليه فرعون انه اختراق امني كبير يهدد الاستراتيجيه التي يستمد نظامه منها الوجود فطبيعه الانظمه الاستبداديه انها تستعمل البطش والقوه اداه لاختضاع الناس لنظامها ولهذا تحاول ان تخلق في النفوس والافكار صورته لنظامها يتصف بالرعب والخوف والقساواه وعدم الرحمه وتسمي ذلك قوه الردع المانع للناس من التحرر فتكون هذه الافكار اداه تسلط عليهم يقفون عاجزون عن اتخاذ اي قرار يعارض مع شكل المنظومه ويجعل الناس يتعايشون مع الظلم ويقبلونه

ولهذا فان هذه الانظمه تصاب بالجنون اذا حدث اختراق امني لمنظومتها الاستبداديه ولهذا تلجا الي استعمال لغه التهديد والوعيد وارتكاب اibشع الجرائم لاجل استعادته قوه الردع ولك ان تشاهد ماجري للنظام الاسرائيلي بعد الا ختراق الامني لقوتها في 7 اكتوبر من قبل المقاومه الفلسطينيه لقد ارتكبت اibشع الجرائم قتلت مائه الف فلسطيني في غزه هدمت المدينه الصغيره ومباينها المتواضعه والبنيه التحتيه لم تترك شي جميل فيها الا ودمرته بمساعده من امريكا وفرنسا والمانيا وبريطانيا والعالم كله شاركوا في هذه الجريمه التي لم ترحم حتي الاطفال الخدج لقد ذبحتهم بدم بارد لماذا

لاجل استعادته قوه الردع لقد انهارت حساباتها وسقطت اسطوره القوه التي لاتقهر هذه الاسطوره الخياليه التي اخضعت جيوش العرب في سته ايام تحركت لاجل الحيلولة دون ظهور اراده اسلاميه لحمايه الحق الاسلامي في فلسطين تخاف من يقظه النائم فقوه الردع هذه جعلت الحكام المسلمون وجيوشهم ودباباتهم وطائراتهم واموالهم ومقدرات الامه كلهم ترتعش خوفا من الوقوف بوجه اسرائيل ووصل الخوف بهم الي الاندماج في الصهيونيه لدرجه الذوبان تحت امواجه فصار بعض الحكام العرب صهاينه اكثر من بني صهيون للاسف الشديد يدافعون عن امن اسرائيل التي تنتهك مقدساتنا وتحتل ارضنا وتذبح اهلنا او في انكماش الذات والانعزال عن القيام بما يجب لنصره اهلنا في غزه مالذي اوصل الناس الي هذا المستوي فاصبحت حتي الشعوب غير مباليه بما يدور كان الامر لايعنيها لماذا لاتحرك ساكنا ولو بالمظاهرات ان الخوف قتل احاسيسهم وتمسك الحكام بالكراسي ونشر ثقافه الا ختلاف وعدم الشعور بما يجمعنا من هويه ودين وقواسم مشتركه نحتاج الي الاهتمام بتقويه هذه المشاعر التي نتفق عليها فلو حصل هذا لادي الي مزيد من الاتفاق ولقضي علي الاختلاف ولتم تنشيط الطاقات وتوجيهها بما يودي الي تكوين الاراده المشتركه لكن سيطره الغرب علي مركز القرار في الامه ونشر ثقافه الذل والهون والخوف من قوه الاعداء والخوف من المجهول والتعصب والمصالح الشخصيه حولت الدول العربيه الي مجرد بيادق بيد الغرب

وحولتهم الي جماعات متحاربه فيما بينها البين لكن المقاومه الفلسطينيه استطاعت بارادتها القويه والاعتماد علي الله ان تسقط اسطوره الردع التي يتغني بها اليهود ويهددون بها الدول العربيه لقد انتصرت المقاومه بامكانياتها المتواضعه في 7 اكتوبر واسقطت فكره الجيش الذي لايقهر رغم قله السلاح والتفوق النوعي لاسرائيل لكن الحق انتصر بالايمان والعزيمه القويه واراده المومنين ولقد صمدت المقاومه عاما كاملا ولم تستطيع اسرائيل ان تسترد قوه الردع المزعومه

ثانيا

تعقيبا علي ماسبق تاتي النصوص مبينه رد السحره علي تهديد فرعون فقال تعالي (قالوا انا الي ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين)

المفهوم الاول

ان الخروج من حاله التردد والضعف والهون والحسم يتطلب التحرر من الخوف فاذا كان المستقبل بيد الله فلماذا تخاف ما عليك الا ان تتوكل علي الله وان تكون شجاعا لان الخوف لوسيطر عليك فمعني هذا انك لن تقدم

حتى خطوه واحده الي الامام بل ان الخوف سوف يجعلك تتراجع الي الوراء الخلف وبالتالي فانك تقف ضد اسباب التطور ولهذا فعليك ان تطرد شبح الخوف لانه ضد تطورك

فاول خطوه للتغيير تبدأ من داخل الانسان باخراج الخوف من غير الله فان هذا يعطيك القوه في اتخاذ القرار وحسم الموقف

المفهوم الثاني

ان التخلص من مشاعر الخوف هنا يراد منها استعمال هذه القوه في محلها لان الخوف من الغرائز التي اودعها الله في نفس الانسان كقوه يدافع بها الانسان عن نفسه من اجل البقاء ولهذا فعليك ان تفهم ان هذه القوه هي لحمايتك وليست لتدمير حياتك فهي لتذكيرك بما يضرک وما ينفعك وتساعدك علي اتخاذ القرارات التي توصلك الي مافيه سعادتك ولهذا عليك ان تضبط هذه القوه لتكون قوه ايجابيه في حياتك لاقوه سلبيه تمنعك من اتخاذ القرارات المهمه في حياتك فانت تجد نفسك في اغلب المواقف متردد حتي في حياتك العاديه من اتخاذ القرارات لما ينتبک من مشاعر الخوف ولهذا فعليك ان تقف مع نفسك وتعرض عليها الامر وتسال نفسك لماذا لا تريد اتخاذ القرار هل القرار يتعارض مع اهدافك ام انه ينسجم مع الهدف ويخدمه تربط بين نقطه الانطلاق والغايه التي يهدف الوصول اليها فالقرار هو الذي يتوسط بين نقطه الانطلاق والنتيجه ولهذا فان التامل ينبغي ان يكون منبعا من ادراك قادر علي ربط نقطه الانطلاق بهدف الوصول فانت حينها لا بد ان تنظر الي المستقبل الذي تتطلع اليه وهل القرار سيؤثر علي مستقبلك سلبا او ايجابا وهل يمثل ذلك الخيار طموحاتك وامالك وهل انت قادر علي تحمل نتائج اختيارك وهل يتناسب مع قدرتك وامكانياتك فخلال هذا التامل تظهر لك مفاهيم ضروريه تحتاجها لتغيير الظروف التي تقف امام التطور تقتنع بان هذه المفاهيم ضروريه جدا للخروج من حاله التخلف التي تعيشها فهناك علاقه سببيه بين التخلف وبين الظروف التي انشأت تلك الظاهره وتناثر بها وان حسم المساله يتطلب العمل علي تغيير هذه الظروف واستبدالها بظروف ايجابيه تتفق واهدافك التي تريد الوصول اليها ولهذا كان رد السحره (انا الي ربنا منقلبون) لماذا نخاف اذا كانت النتيجه من القتل والتهديد هو الموت الذي يعني الرجوع الي الله تعالي اي بدايه الحياه الابدائيه التي فيها السعاده الحقيقيه فلو علمتم مافي الاخره من نعم لما اثرتم دار الفناء علي دار البقاء وهذا فيه رساله للمتهاونين الذين غلب عليهم الهوي وباتوا ينسجون الاعذار في ذلك يقولون يجب مهاده اهل الباطل اتركوا التشدد فهؤلاء لم يفهموا انه قوه الخوف يجب ان تستعمل بالخوف من الله تعالي فهي قوه تمنحك الشجاعه للاعتزاز بدينك وعقيدتك فلا تخاف من الاعداء ف الله اكبر من كل شي

المفهوم الثالث

اهميه المواجهه للمخاوف:

يفهم من القصة التي تعرض موقف السحره اهميه مواجهه المخاوف والعمل علي ان لا تتحول الي قيود وسلاسل تقيد الانسان وتحول بينه وبين تحقيق اهدافه في الحياه ولهذا عرضت القصة اطلاق فرعون التهديد (فسوف تعلمون)

بهذا الاجمال لادخال الرعب في نفوسهم ومن ثم قام بالتفصيل لاقطعن ايديكم الخ

فاراد بذلك ان يتركوا الحق ويعودوا الي الباطل واذا نظرنا الي من اطلق التهديد انه فرعون نحن نعلم كيف ان الكهنيون عندنا في الريف اليمني بالذات في المناطق الفقيره مثل تهامه ان المرء لايجروا ان يرفع راسه اثناء الحديث بوجود الشيخ فعندما يتحدث الفرد باذن الشيخ ينكس راسه في التراب تراه يتصبب عراقا في مواقف الحديث مع الشيخ تتسرع انفاسه يتعرق يظهر عليه جفاف الحلق وعدم القدره علي التركيز وهذا طبيعي لان جسمه احس بالخطر فيندفع الدم ويرتفع نسبه السكر في الدم فمابالك بان السحره وقفوا امام فرعون فلم

يخافوا من جبروته فماذا اراد الله بهذا المعال

اراد ان يعلمنا مبدا المواجهه فلا تخاف من الطاغيه فعندما تواجه تهديده بعبات تسقط قوته فالمتكبر اقصي مايمكن ان يفعله هو التهديد بالقتل بينما المومنون يرون ان الموت اسعد لحظات حياتهم لانهم يرجعون الي ربهم

فالمومن يقف مع نفسه عند اي تهديد فيسالها ماذا ساترك ان نفذ الطاغيه تهديده وماذا ساخذ ماذا ساقبض انها الجنه والعوده الي الله فالجميع سوف يعود الي الله

ولهذا فعندما تعرف انك عائدا الي ربك فما الذي يخيفك من الموت فعليك ان تتذكر دائما ان المخاوف ماهي الا مشاعر وافكار استحدثتها عقلك من داخلك وبالتالي عليك مواجهه هذه الافكار والمشاعر لانها ان تسللت الي داخلك واستسلمت لها كانت من اسباب عرقله تطورك وتشتت الطاقات ويمنعك من الوصول الي هدفك الذي تسعى اليه فانت بحاجه الي الشجاعه في مواجهه المخاوف واسبابها والعمل علي ازاحتها وان تمضي قدما نحو تحقيق اهدافك وتحقيقها يتطلب ان تتقدم الي الامام ولهذا عليك مواجهه المخاوف حتي لاترجع الي الخلف ولاتعود الي الوراء مهما كانت تهديدات الاعداء فهذا اول سلاح يلجا اليه العدو بل تقدم الي الامام وانظر الي المستقبل الحقيقي فالحياه تقدم لك تجارب ولهذا عليك ان تستخلص الحقيقه من نتائج تجربته فلا تكون ممن تشبت ببدايه تجربته ولم يستفيد من نهايتها ولهذا تذكر لنا النصوص ثبات السحره بعدما امنوا ولم تنقل لنا النصوص في هذه السوره ولا في اي موضع في القران هل نفذ فرعون تهديده بقتل السحره او صلبهم ام لا. لان الغرض من القصص هو الاعتبار بمحل العبره وهو تاييد الله موسي وهدايه السحره وتصلبهم علي الايمان بعد تعرضهم للتهديد بنفوس مطمئنه

ثالثا

عليك ان تدرك ان الانظمه الديكتاتوريه تقوم علي اجراءت امن لحمايه الاقليه الظالمه من يقظه الاغلبيه المظلومه

ولهذا يشعرون بالفزع من يقظه النائم واذا وجدوا امارات تشير الي قرب ذلك فانهم يلجأون الي اتخاذ اجراءت تمنع نشاه العوره بل يبدوان بالتحرك بما يشبه العوره المضاده بالتشهير بدعاه الحريه وافكارها وتلفيق التهم ونشر الاشاعات وتلفيق التهم ودفع الجماهير لصالحتها ولهذا نجد ان فرعون لجا الي اتهام السحره بانهم حاكوا موامره هم وموسي قبل ان ياتوا وزعم انهم تآمروا لقلب نظام الحكم مع انه يعلم كذب ذلك لان موسي لم يلتقي بهم ولا يعرفهم فهو وصل الي قصر فرعون وبعدها دعا فرعون اشراف قومه وجمعهم وتشاور بشأن دعوه موسي كيف يتصدوا لها فكان منهم المشاوره بحجز موسي وارسال الجنود لجمع السحره من المدن المختلفه وحضر السحره ولم يلتقوا بموسي اطلاقا ولهذا فالحق يريد منك ان تعرف ماهي الاجراءت التي يتخذها الظالمون في هذه المعركه وانها محض كذب وافتراء تهدف لوقف يقظه الشعوب وحمايه اضلاع المنظومه ولهذا فالنصوص تهدف الي الاتي

الامر الاول

تربيته المسلم علي الاستقلاليه في اتخاذ القرار منذ الصغر وعلينا ان نزود اطفالنا بالمهارات الكافيه التي تمكنه من مواجهه الانظمه الاستبداديه لان الحريه لاتخلق خلقامفاجئا فلا بد من تهيئه الظروف لنموها فقياس تقدم الامم انما يكون فهمه من خلال النظر للظروف والسلوكيات في المجتمع ونموها ومدتها بالوسائل والاجراءت التي تصوغها لتعويد الجماهير علي ممارسه النقد البناء وعدم التنازل عن حريته والاستعداد لتحمل مسويله اختيارته وبالقوانين التي تضمن حمايه هذه الحريه والاستقلاليه وهذا يتطلب ان نمح اطفالنا قدرا من الاستقلاليه في التفكير واتخاذ الحلول لمعالجه المشاكل بعيدا عن الاتكاليه علي الابوين حيث ان ذلك يعني خلق انسان عاجز يعتمد علي غيره ولايستطيع الوقوف امام التحديات فعليه تقديم الحلول ليست في سهوله طرحها عن طريق النقل.

وانما في التعمق باستخلاصها عن طريق البحث والدراسه من عده جهات وليست نقل لوصفات جاهزه في قوالب جامده فمهمه الاسره والدوله تعويد المواطنين علي استخلاص الحلول للمشاكل واتخاذ القرارات في حياتهم بشكل مستقل ولكن ينبغي تزويد الافراد بالمعلومات والخبرات والمهارات التي تمكنهم من اتخاذ القرارات الفهم السليم مهم لتكون هذه القرارات مبينه عن علم ودرايه وليست عن حماقه وجهل ولا مبنيه علي القسر والاكراه والقوه ف الطبيب لابد ان يكون طيبا لديه علم وخبره ومهاراه قبل ان يتعرض لعلاج المريض فالمساله ليست شعارات وتلقين المساله مساله واقع نعيشه ونحتاج ان ندرك ابعاده ونشارك نحن في صناعته ولهذا فان المجتمعات الحره لابد ان تتوفر فيها قدرا كبيرا من العلم ويقاس مدي استقلال الناس في اتخاذ القرارات والاختيار بمدي الوسائل واساليب والقانونيين التي تضمن سلامه الاراده واستقلالها اما الانظمه الاستبداديه فانها تنظر الي الاستقلاليه في اتخاذ القرار خطرا يهدد كيانها ولهذا قال فرعون (انتم به قبل ان اذن لكم) فهي انظمه تقوم علي مصادره الارده وتقتل المواهب ولا تحترم الابداع

الامر الثاني

ان الانظمه الاستبداديه تلجا الي صياغه قوانين لحماية الاقليه المستبده لتجريم كل من يحاول ان يقف ضد الظلم والباطل تضع قيودا علي كل من يسعى الي التحرر او المساهمه في صناعه الخلاص من الاستبداد ولهذا فان عليك ان تدرك ان احترام سياده القانون لاي يعني تكريس الظلم فالقانون الذي يتطلب من الجميع احترامه هو الذي مخالفته يضر باجتماع الامه و

هو المستمد من الشريعه الغراء والذي يلتزم به الحاكم والمحكوم اما القوانين التي تكون اهدافها تكريس الظلم وحمايه الجمود الطبقي ومنع الحركه الاجتماعيه وحصر الحقوق السياسيه في فئات معينه او سلاله او عنصره او طبقه فان هذه القوانين لا يكون مخالفتها جريمه لان المعركه مع الباطل حول هذه الامور ففرعون اعتبر ايمان السحره موامره علي الدوله والاكابر من قبل من يراهم بنظره عبيد وموسي والسحره ولهذا كان رد السحره (ق الو انا الي ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان امانا بايات ربنا لما جاءتنا)

ذكر فيه السحره ان تهديد فرعون بقتلهم لانهم اتبعوا الحق وخالفوا قوانين فرعون ونظامه الاستبدادي ليس لامر يذم فهو ان قتلهم لن يلحق بهم شي لانهم سوف يرجعون الي الله وواجهوا فرعون بانهم لم يرتكبوا جريمه عندما امنوا بالحق بعدما كشف لهم زيف فرعون ومنظومته الاستبداديه الظالمه واتضح لهم الحق بالايات التي جاء بها موسي من ربه فاذا نفذت تهديدك يافرعون بقتلنا فان هذا ليس لذنوب مدموم ارتكبناه بل هو انتقام لامبر له ولهذا فاننا لانبالي ان خالفنا قوانينك وان كانت تمنحنا بعض الامتيازات علي الاخرين فان هذه القوانين ليست عادله ولهذا فان قتلك لنا شرف لاننا علي الحق ومبادي الايمان وبهذا لم يتاثروا بالتهديد الذي لجا اليه فرعون

الامر الثالث

اهميه تحويل الاشكاليه السلبيه الي نقطه ايجابيه للدفاع عن النفس وحمايه الامل الذي يجسد الاهداف التي تسعى الي تحقيقها فالحب للحياه والخوف من الموت اشكاليه سلبيه لمن تعلق بالدنيا وملذاتها لكن اذا تعلق هذه النقطه بالنظر والتطلع الي ما عند الله والشوق فان هذا يتحول الي قوه صبر وتحمل وزهد عن الدنيا فمصعب بن عمير كان في مكه يلبس اجمل الثياب والعيوب والاعطوب وعندما يمشي في الطريق تتجه الانظار اليه بالحب والاهتمام وعندما استشهد لم يكن معه ثوب يغطي جسده فهو رمز البطوله والتضحيه والاصرار والثبات علي الحق مهما كانت المغريات ومهما كانت العقبات فمن العوائق التي تمنع التقدم هو عدم الرغبه في من منطقه الراحة والتي توجد فيها الامور المألوفه فمن لم يتجاوز هذه العوائق فانه يشعر بالخوف من ان يخطو خطوه للامام يخاف ترك منطقه الراحة فيشعر ان التقدم يمثل خطر وهو ما يجعله يتردد ويتراجع ولهذا فان ذلك يصبح عدوا لدود لتطور الانسان ولهذا يجب عليك ان تتخلص من هذه العقبات فمصعب بن عمير ترك المال والجاه وكل شي في سبيل

الله وعندما استشهد لم يجد ما يغطي جسده وهو من اغني الاغنياء قبل الاسلام فقد كان يغطي راسه وتظهر قدماه فما الذي جعله يزهد عن الدنيا انها قوه الحب لارضاء الله والشوق لما عند الله فهذه القوه هي التي جعلت السحرة يقولون (انا الي ربنا منقلبون) بعد ان خطفوا الانظار والابصار وهم يتباهون ان فرعون اختارهم لمهمه ابطل دعوه موسي وبعد ان كان كل ما يطلبون هو المال والجاه (ان لنا لاجر ان كنا نحن الغالبين) فما الذي جعلهم يزهدون عن ذلك انه التطلع والشوق لما عند الله والطموح الي المستقبل الحقيقي الذي فيه السعاده الا بدايه فان هذا الطموح جعل الفكر لديهم يتجه نحو العمل الفوري فقال تعالي (والقي السحرة ساجدين) ولهذا لم يباليوا بتهديد فرعون فقالوا (انا الي ربنا منقلبون) انهم يعرفون النتيجة في المعركه مع الباطل اين تتجه وكيف تنتهي فكيف يضعفون امام التهديدات اذا كانت النتيجة الرجوع الي الله فهم لايبالون بالطغاه وانما يطلبون النصر من الله يطلبون الصبر والعون من الله تعالي وكذلك فان الخوف الذي يشكل عائقا امام التقدم ينبغي ان يكون نقطه ايجابيه عندما لاتخشي الا الله فان الخوف يمثل قوه دفاع عن النفس وحمايه الامل فقوه الشفاق من عذاب النار يعني قوه صبر علي التحمل لالم مشقه الطاعه ومايلقاه العبد من معاناه في حمل الدعوه وكذلك فان قوه الخوف من الموت تتحول الي قوه ترقب حوله فيدفع هذا علي الاعمال الصالحه والاستعداد للقاء الله والا كثر من الاعمال التي تشكل رصيذا بعد الموت بالحرص ان يكون في موقف طاعه فلا يفاجاه الموت الا وهو. خاضعا مستسلما لله يخاف ان يفاجاه الموت وهو في معصيه فالمعركه معركه حق وباطل معركه ايمان وكفر معركه يستهدف فيها الاعداء اردتك يريدون اضعاف الهمة واجتثاث العزيمه وبالتالي فلا مهادانه ولا مساومه مع اهل الباطل ولهذا قال تعالي علي لسان السحرة (ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين)

فهم قد ادراكوا حقيقه المعركه بانها معركه الاراده معركه انتصار الحق علي الباطل معركه انتصار الخير علي الشر معركه انتصار الايمان علي الفسق فهم حملوا هم الدعوه والعقيده ولهذا يطلبون من الله العون بان يجعل لهم طاقه تحمل لما توعده به فرعون اياهم وان يجعل لنفوسهم صبرا قويا يفوق المتعارف عليه لان فرعون توعدهم بعذاب شديد ولهذا شبهوا الصبر بالماء تشبيه المعقول بالمحسوس علي طريق الاستعاره المكنيه وتشبيه خلقه في نفوسهم بافراغ الماء في الاناء علي طريقه التمثيل به فان الافراغ صب جميع مافي الاناء والمقصود من ذلك الكنايه من قوه الصبر لان افراغ الاناء يستلزم انه لم يتبقي فيه شي مماحواه ودعوا لانفسهم بالوفاه علي الاسلام ايذانا بانهم غير راغبين بالحياه الدنيا وزينتها اذا كانت فتنه تعيدهم الي الكفر ايذانا بقطع الرغبه بالمال الذي كانوا قد طلبوه من فرعون وكانت تلك المطامع نقطه ضعف سلبيه عندما كان همهم الدنيا لكن اليوم همهم كيف يرضون الله همهم النجاه من عذاب النار والشوق لما عند الله فهم لايبالون بتهديد فرعون فالايه عرضت لنا الاسلوب و الطريق الذي وجهه فيه المومنون الازمه والمشكله التي حاول فرعون الضغط بها علي السحرة فقد تحملوا المسؤوليه بجداره وحسموا موقفهم ولجوا الي الله طالبين العون والنجاه قبلوا التحدي قالوا نحن نخوض معركه الحق ضد الباطل فلن نهرب من مواجهه الباطل

فاراد الحق بهذا نتعلم مواجهه المشاكل بقتل مشاعر الانزعاج والمعاناه لان الوصول للنجاح لا بد ان يمر بالمتاعب و التعرض للالم الحقيقه لا بد ان تقف في طريقك المصاعب فعليك التاقلم مع مشاعر الانزعاج والتحديات الناتجه عنها لاجل التغلب عنها بالاستعانه بالله والعقه بنصر الله واختياره لك فمعظم الاشياء الجيده في الحياه

تسبب لنا المعاناه ولايعني التاقلم التعايش مع الظلم فليس هذا المقصود وانما يعني ان تبذل جهدك للتغلب علي المشكله واثارها فاذا لم تستطيع فعليك بالصبر والدعاء وبذل المستطاع من الجهود فلا تسمح لمشاعر الانزعاج ان تقتل الطاقات لديك فمن كان مع الله فلا يخاف

فانت مطلوب منك ان تقوي صلتك بالله وان تدعوه فلا وساطه بينك وبين الله فهذه الحقيقه اذا استقرت في الذهن تحقق نصر الانسان علي عدواه الداخلي والخارجي واستطاع تحويل الاشكاليه السلبيه الي نقطه انطلاق ايجابيه اذا استطاع ان يفهم ما تحمله الايات من مفاهيم فالمفهوم القراني بمثابة الكائن الحي يحتاج الي رعايه واهتمام وعنايه ومحافظة وتكوين انه منهج متكامل يتضمن مجموعه من الاجراءت والسلوكيات التطبيقيه

فليست كلمه لا اله الا الله مجرد كلمه تنقال بل هي منهج حياه فالسحره كانوا قريبي عهد بالايمان لم يكونوا يعرفون التوحيد الا في هذا الموقف الذي اتضح لهم الحق من الباطل فكان هذا الفهم الذي ارتبط بهذه التجربه له داعيا الي العمل والبذل والجهد لقد استشعروا ما وراء حقيقه لا اله الا الله من معاني فكانت هذه المفاهيم داعيه الي تذكر الله وخشيته والارتقاء به فكانت قوه موثره حملتهم علي الصمود والثبات وحملهم علي طلب قوه التحمل والصبر من الله للوصول الي ما يريدونه كانت هذه المفاهيم قوه مناعه تحصينه من الانحراف مع الاهواء وزخرف الدنيا التي كانوا يطلبونه قبل ان يروا الايات فقد فهموا ماذا يقصد برب العالمين فهموا ما ينبغي ان يقوم به المومن فتعلموا من هذه الصفه ان يناجوا الله ان يحاكيوا ربههم ويستعينوا به فما احوجنا اليوم الي مفاهيم موثره تمدنا بالقوه علي الصبر والتحمل في سبيل الله اننا اليوم نفتقد الي هذه المفاهيم التي شكلت ميلاد حياه للسحره وغيرت اسلوب حياتهم تغيير ايجابي فهكذا ينبغي ان تكون مفاهيمنا داعيه للعمل والبذل والجهد والتغيير الكامل والشامل

المشهد الرابع

بعد ان ذكرت الايات مشهد انتصار الحق وهزيمة الباطل في معركة الايمان والطغيان معركة الخير والشر ومشاهده الناس ايمان السحره تنقل. النصوص لنا مشهد اجتماع الملا من قوم فرعون وتحريضهم فرعون ضد موسي

فقال تعالي (قال الملا من قوم فرعون اتذروا موسي وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحي نساءهم وانا فوقهم قاهرون)

وهذا فيه بيان الاتي

الامر الاول

الايه معطوفه علي جملة (قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها... الخ حيث ان فرعون رفع شعار التمييز بين اهل الثقة واهل الخبثه فاراداستنفار اصحاب المصالح واركان نظامه ومنظومه الدوله العميقه باتهام السحره انهم وموسي يسعون لقلب نظام الحكم ليوقفوا في صفه باعتبارهم اهل الثقة ولاشك ان تشكيك فرعون في الكفاءات (السحره) فيه اختراق امني لمنظومته لان ايمان السحره شكل ضربه قاصمه للنظام لان ذلك فيه تجميد لفعاليه السحره في خدمه النظام وايضا شكل هذا التمييز الذي اعلنه فرعون بين اهل الخبثه السحره وبين اهل الثقة الذين سماهم فرعون اهل المدينة عامل اضعاف المنظومه ومضاعفه عدم الاستقرار وتعميق جذور الصراع بين اهل الخبثه (السحره) الذين صاروا في صف موسي و المومنون وبين من اعتبرهم فرعون اهل الثقة فسامهم انهم اهل المدينة بقصد استنفارهم لتشكيل قوه تجتمع حول مصلحه وغايه مشتركه ولهذا كان عطف الايه علي جملة (قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا.. الخ

فذكر ان من اعتبرهم فرعون اهل الثقة استجابوا لما استنفارهم اليه فرعون وتشاورا حول كيفية استعادته الا استقرار المفقود بعد ايمان السحره الذين يمثلون ضلع اساسي من اضلاع المنظومه وقد شاهدوا عدم الاكتراث منهم لتهديد فرعون لهم بالقتل وربما انه قتلهم فعلا فالنصوص القرانيه لم تتناول هذه المساله هل نفذ فرعون وعيده ام لا ..ولهذا فان قوله تعالي (قال الملا من قوم فرعون)

فيه بيان رده فعل اهل الثقة بنظر فرعون علي طلب استنفارهم للاصطفاف معه في مقاومه دعوه موسي بعد ان اصبح الناس يتدولون المعجزه التي جاء بها موسي وماتعقب ذلك من ايمان السحره ولهذا فقد جاء هذا الكلام علي وجه الشوري وليس علي وجه التوبيخ كما ذهب بعض المفسرون فهذا القول لاينسجم والكرزما الفرعونييه ولا

ايوثر في ذلك استخدام اسلوب الاستفهام فهو بالاضافه الي ما سوف نبينه لاحقا يدل ان استنفار فرعون لهم و التفريق بينهم وبين اهل الخبره السحره باسقاط المواطنه عن السحره واقتصر هذه الصفه علي اهل العقه الاكابر و الساده او فريقه الخاص منهم فان رفع فرعون لمنزلتهم ادي لشعورهم بالاعجاب بانفسهم فكان منهم استعمال اسلوب الاستفهام نتيجته تلك الانفعالات

الامر الثاني

تبين النصوص ان الانظمه الاستبداديه حتي لو منيت بالهزيمه فان اركان المنظومه في الدوله العميقه تلجا الي خطوات الثوره المضاده لازاله ومسح اثار الهزيمه من عقول الناس ولهذا تبين النصوص انه بعد انتصار الحق كان من الدوله العميقه الانتقال بالصراع الي مرحله جديده من مراحل الطفيان والاستبداد للسيطره علي الاحداث واستعادة الانفاس ومحاولة احتواء الثوره من خلال الثوره المضاده ولهذا تبين النصوص لنا الاتي

المفهوم الاول

(من هم ادوات الثوره المضاده)

فقال تعالي (قال الملا من قوم فرعون)

الاكابر واصحاب المصالح والمنتفعون من النظام ولهذا فان الاجتماع علي مصالح مشتركه تجعل كل واحد منتفع بفكره فرعون لابد ان يحسب حسابه وبالتالي يسعى جاهدا للحفاظ علي النظام الفرعوني ويدافع عن الفكره التي يستمد منها النظام قوته ولهذا قال تعالي (فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطين)

وبالتالي فان هولاء المنتفعون بقربهم من فرعون والمرتبطنون بمكاسب تعود عليهم من النظام يخافون من قوه ظهور الحق لان معرفه الناس ان فرعون ليس الها وليس ابن الالهه يعني ان مكاسبهم ضاعت وهذا هو حال المنتفعون من الانظمه الاستبداديه في كل زمان فنحن نشاهد امثله حيه في واقعنا الاسلامي اليوم تجسد صورته المنتفعون من الانظمه الاستبداديه كيف انهم يدافعون عن تلك الانظمه بكل طاقاتهم يبررون لجرائم الطواغيت يبررون لافكار الطواغيت التي تتعارض مع منهج الله يبررون للقتل وسفك الدماء فهم لا يختلفون عن المنتفعون من صنم الفراعنه الذين قالوا لفرعون (اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذكرك والهتك)

فهم يحاسبون حسابهم بان سقوط النظام وفكره الوهيه فرعون سوف يسقط معه مكاسبهم هم يخافون من سقوط النظام ولهذا جاء التطمئن من فرعون لهم فقال (سنقتل ابناءهم ونستحي نساءهم وانا فوقهم قاهرون) لا تخافوا لن نسمح لهم ان ينتصروا علينا فسوف نقتل الرجال ونجعل النساء خدما ونجعلهم مغلوبين محكومين هذا هو منطق الفرعون واتباعه في كل زمان فمن تدبر الايه ونظر الي حال الطغاه في هذا الزمان يري الشبه بينهم وبين فرعون سوا بسوا

المفهوم الثاني

تبين النصوص خطوات الثوره المضاده في الانظمه الاستبداديه

1

المرحله الاولى لهذه المرحله هي مرحله التامر وتبدا هذه المرحله بتجميع المستفيدين من النظام الذين يضعون مصالحهم الشخصيه فوق كل اعتبار خوفا علي امتيازاتهم الذاتيه

رفع شعار التطرف وجعله وسيله للتمييز ولهذا تشاهد اناس يتسمون بالتشنج والتطرف في قساواه القلوب وعدم قبول الاخر واطهار القوه بلا رحمه ضد كل من يخالف يتعاملون مع كل من خالف النظام بالرأي بالشده والبطش ويظهرون الغلظه ولهذا تبين النصوص لنا صورته هذا التطرف الذي يتسابق الملا في اظهاره امام فرعون كوسيله تميز يميزون بها فترسم لنا الايه صورته التطرف من خلال استعمالهم الاستفهام في مخاطبه فرعون فقال تعالي (قال الملا من قوم فرعون اذرموسي وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك)

جاء فيه الاستفهام للاغراء وتهيج فرعون علي موسي والمؤمنون فالملا اجتمعوا للتامر والتحريض وتناجوا علي الشر والاجرام اردوا اظهار التشنج واطهار التطرف منهم بالتمسك بربوبيه فرعون فهم ينكرون علي فرعون الابط في القضاء علي موسي ومن امن معه فهم يخاطبون فرعون ان المرحله مرحله انقاذ اساسيه للنظام تقتضي السرعه في المواجهه فالابطاء يعني تحقق النبوه التي كنت تخشاها بان طفلا من بني اسرائيل سوف يقضي علي دولتك فعليك ان تمنع حصول هذا -

وهذا هو سلوك الطغاه في كل زمان يخافون من اطفال المستقبل فلا تستغرب من اعمال اليهود في غزه وهم يقتلون الاطفال الخدج لان طبيعه الفراغه في كل زمان واحده ذوي قلوب قاسيه لارحمه في. قلوبهم ان اي انسانيه فاي مجتمع يقوم علي اساس التفوق في الجنس او اللون او الطبقة فان هذا النظام هو فرعون يتخذ من التطرف والتوحش وسيله للتمييز فلا تستغرب ان تسمع وزير دفاع الكيان الصهيوني يصف اطفال غزه بانهم حيوانات لاتستغرب ان تسمع قاده الكيان الصهيوني يتباهون بقتل الاطفال والنساء فهذه هي صفات كل الطواغيت والانظمه الاستبداديه يتخذون من التطرف وسيله للتمييز والظهور يعتبرون ذلك مكاسب يتقربون بها حتي يكونوا من اهل العقه التي توهمهم للمناصب والمكاسب العاليه

لان اي نظام طبقي سلالي عنصري انما يستمد وجوده من خلال ما يزرعه في قلوب الناس من خوف فهذه هي فلسفه فرعون واركان نظامه التي نراها اليوم في غزه. يتشاركون مع فرعون بالقتل للاطفال والتوحش في قتل العزل فالمجرمون جنباء يخافون من سماع الحق والعدل يخافون من الاطفال فهذه من الصفات التي يتشارك فيها كل الطغاه مع فرعون ونظامه فهم بلا انسانيه ففرعون كان يقتل الاطفال خوفا علي ملكه وسلطانه بعد النبوه التي اخبره بها احد الكهنه واليهود يقتلون الاطفال في غزه خوفا من نبؤه القرن الثامن الذي يعني ان دولتهم سوف تزوال عندما تبلغ 80سنه

كما ان الايه تظهر حاله التشنج من الملاء الذين اتخذوا من التطرف وسيله للتمييز فقال تعالي علي لسانهم (اذرموسي وقومه ليفسدوا في الارض)

فاللام في لتفسدوا لام التعليل وهي مبالغه في الانكار لانهم جعلوا ترك موسي وقومه معللا بالفساد وهذه اللام تسمي لام العاقبه وهي ليست معني من معاني اللام حقيقه ولكن استعملت مجازا فشبهه الحاصل عقب الفعل لا محاله بالغرض الذي يفعل الفعل ليحصله واستعير لذلك المعني حرف اللام بمعني فاء التعقيب كما في قوله تعالي (فالتقطه ال فرعون ليكون) فهم اعتبروا ان الدعوه الي الحريه والعدل والمساواه ومقاومه الظلم بانه فساد في الارض وهكذا تسمي اسرائيل الفلسطينين الذين يطالبون بحريتهم ويقاومون الاحتلال وبالمناسبه هل تعرف لماذا كان فرعون يحقد علي بني اسرائيل لان الفراغه قاموا باحتلال مصر وازاحه من كان يحكم مصر الورد ذكرهم في سوره يوسف حيث كان بني اسرائيل جزء من منظومه الحكم قبل وصول الفراغه للحكم حيث كانت مصر قد صارت علي التوحيد بعد يوسف فجاء الفراغه واعادوها الي الوثنيه واعتبروا ان فرعون من سلاله الالهه حيث صنعوا الهه ترمز لاله الشمس والقمر والنجوم والمطر. ورمز لكبير الالهه جد فرعون ولهذا فقد كانت هذه العقافه هي الاساس التي اقام عليها فرعون نظريته في الحكم بانه من سلاله الالهه واليهود اليوم يدعون انهم ابناؤه الله واحباواه ولهذا لاتستغرب ان تسمع من الصهيانه التعالي وعنصريتهم ضد الفلسطينين-ه فطبيعه الاحتلال واحده

فكلمه فرعون لقب من جملة القاب ملوك مصر القديمه واكثرهم شهره وكذلك كان يمنحه الكهنه المصريون لحكام مصر الاجانب من الفرس والرومان وحتى الهكسوس الذين احتلوا مصر ولهذا نجد تكرار كلمه اخراج اهلها منها فمعرفة نفسه انه محتل جعله يستغل ذلك لتهديد اركان نظامه من يقظه اهل مصر وشعبها من الاقباط وبنى اسرائيل انذاك الذين كانوا جزء من مكونات الشعب فقال تعالي (وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفه منهم)

المهم هنا ان طبيعه المحتل واحده وهو البطش والادعاء انهم اهل الارض

3

اعداد الخطط الاجراميه لاستئصال اهل الخير ومن يقاوم الظلم وتغيير المفاهيم

المبحث الثاني

نري في خطاب الملاء من قوم فرعون انهم قالوا (ويذرك والهتك)

والسوال هنا هل كان فرعون معبود ام كان يعبد الهه اخري

ثم ماهي الربوبيه والالوهيه التي ادعي بها فرعون علي ضوء ماورد في موضع اخري في القران بقوله تعالي حكاية عن فرعون انه قال (انا ربكم الاعلي) وقال تعالي عن فرعون انه قال (ما علمت لكم من الهه غيري)

الجواب

فرعون كان له الهه يعبدها هو وقومه وكان يدعي انه ابن الالهه وانه الوسيط بين الشعب والالهه ونظامه ولم يكن يعبد بطقوس وشعائر دينيه وانما كان له سلطه التشريع وهذا اعتداء علي حق الالوهيه والربوبيه فالله يقول (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله)

وبالوقوف علي الابيه نجد الاتي

الامر الاول

ترسم الايه لنا حال الامم والدول عندما تكون قيادتها تحكم من قبل شله مسلحه استولت علي الدوله فان هذه الشله تعرقل التطور لانها تنظر الي الوطن كانه ملكيه لهم دون غيرهم ولهذا لايتقبلون ان يشاهدوا من يعيش في الوطن ولايخدم مصالحهم او يتعارض مع رغباتهم ولهذا تاتي مفاهيم الايه موضحة ان مشكله الملاء من قوم فرعون هي انهم كبر عليهم رويه موسي واصحابه يتحركون دون ان يلقوا الوان العذاب الذي طالما اعتادوا عليه اي انها مساله مزاج هولاء للتفرج علي موسي واصحابه وهم يعانون الالام ولهذا اردوا تهيج فرعون علي موسي ومن امن معه من قومه خاصه بعدما شاهدوا معجزه موسي وتأييد الله لموسي وبعد هزيمه السحره اردوا استفزاز فرعون وتهيج مشاعره كي يرتكب ابشع الجرائم ضد موسي ومن امن معه ولهذا قالوا (اتذر موسي وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك)

فقد اعتبروا اسلام السحره واتباعهم موسي وعدم الاكتراث بتهديدات فرعون وتصلبهم واصرارهم علي الايمان موشرات علي تحقيق النبوه بزوال ملك فرعون علي يد فتى من بني اسرائيل فقالوا ان هذا الاختراق الامني

فهم يحذرونه من الابطاء في القضاء علي موسي ومن امن معهم يقولون له ان اسلام السحره وعدم الاكتراث منهم لتهديدك لهم بالقتل واتباعهم موسي موشرات علي تحقق النبوه بان زوال ملكك سوف يكون علي يد فتى

من بني اسرائيل فاعتبروا ايمان السحره وتصلبهم علي الحق موشرات علي تحقق النبوه فهذا الاختراق الامني لمنظومه الاستبداد ينبي بالتفكيك والانقسام من الداخل وعدم الاستقرار فلا بد من مواجهه المساله بحزم وبسرعه فالخطر يداهمك فاذا لم تنتبه فسوف تتحقق النبوه بزوال ملكك

فقالوا (ويذكرك والهتك)

اردوا ان يعود فرعون الي البطش والقتل والتعذيب ل حمايه ملكه وسلطانه من الزوال وهي جمله معطوفه بمعني انه قد ترك نظامك وقانونيك وعباده الهتك فعزك ودولتك مهدده بالزوال يريدون من فرعون ان لا يتساهل بشأن موسي واتباعه لان فرعون لما دخل عليه موسي اول مره

قال له بقاء ملكك ودوام عزك مرهون بكلمه التوحيد لا اله الا الله بان تدعن لله وتسلم له

وهنا كان استعلاء فرعون بالمال والجاه والسلطان كما اخبرنا الله في سوره الزخرف

(ونادي فرعون في قومه قال يا قوم اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولايكاد يبين فلولا القي عليه اسوره من ذهب او جاء معه الملائكه مقترنين فاستخف قومه فاطاعوه)

فقد استبعد ان يكون موسي هو ذاك الطفل الذي ذكرته نبوه الكهنه فموسي بنظره فقير لا يملك شي من مصادر القوه فقد شرع في المقارنه بين ما يملك من مصادر قوه يستحيل معها ان يكون موسي سببا في زوال ملكه فاتخذ من تلك الفلسفه وسيله نقض دعوه التوحيد قائلا لمن حوله (ما علمت لكم من اله غيري) فانا املك مصر وما فيها من خيرات بينما موسي فقير لا يملك شي فلو كان الاله الذي ارسله يمتلك القوه لاعطي موسي المال ولا مده بالسلاح فاراد بتلك المقارنه السخريه من موسي ومن دعوته وليس المراد بها انه ادعي الالوهيه بالمعني اللفظي للكلمه ولهذا فان الملا اردوا اتخاذ من موقف السحره سببا لدفع فرعون الي القتل والتعذيب لموسي ومن معه

الامر الثاني

ترسم الايه لنا الوثنيه السياسيه ومخاوفها من ان يفتح الاحرار ثغره في جدار الظلمات التي يصنعها الطغاه وهم يتناجون للوقف ضد العدل والحق يخافون من يقظه النائم

ولهذا تبين الايات مناجاه الملا فرعون ان ينتبه من حركه موسي وقومه بين الناس فما الذي اخافهم من موسي

انه الدعوه الي الله لقد كان موسي يدعو الي الغاء شريعته الغاب التي شكلت فلسفه الاستبداد والطغيان فقد صنعوا لنزع اللقمه من الافواه لياكلها فرعون وملئه وتشريد الناس من مسكنهم ليدخلوا بدلا عنهم ويجعلونهم يعيشون في العراء صنعوا قوانين فقد رسموا في اذهان الناس صورته عن الصلاح والخير مشوه مفادها ان اصلاح الارض انما يكون باتباع القوانين التي يامرهم بها فرعون لانه ابن الاله وهو الوسيط بين الاله والشعب فاصبح فرعون هو الذي يمتلك امر الدين والدنيا ويمتلك ارض مصر كلها فهو يشرع القوانين ولها قوه الالزام الدينيه ويجمع الضرائب ويشغل منصب القائد العام للجيش ويتولي اداره المعابد ويختار مواقعها وكان مسوولا علي الحفاظ لكل ما تحبه الاله والناس خاضعون له بموجب هذا المعتقد ولهذا كان موسي يدعو الي الله وفي ذلك الغاء قانون وشريعته الغاب ووقف عمليات مصادره الحقوق و اطلاق حريه كل موطن بالعوده الي اي مكان يريد ان يحيا فوق تربته

ولهذا نظروا لتلك الدعوه بانها افساد في الارض وتهدد السلطه التي يستمدون منها مصالحهم وامتيازتهم فهم يخشون ان يتحرر الناس من الظلم يخافون من فقدان هيبه الوثنيه السياسيه التي زرعوها في النفوس ولهذا فان

عليك ان تحذر من اعداء المفهوم فينبغي ان تحرص علي ان تزيل الاغطيه التي يحاول الاعداء اخفاء جوهر المفهوم واستبداله بما يخالف حقيقه المفهوم فالحريه والعداله مفاهيم ينبغي ان ترتبط بمعني التوحيد فكله لا اله الا الله ترمز لكل معاني الخير والعدل والصلاح ولهذا فمهلك هو ابراز المفهوم للواقع وتعريف الناس بمدلولاته وتنميته والعمل علي ازاله كل رموز الشر والفساد التي تستهدف المفهوم الرباني وتريد قلب الحقائق فالتامل للاثار المتعلقة بالفراعنه يجد انهم استخدموا رموزا لها معتقد تساعد علي اخضاع الناس لها علي اساس معتقد ديني منها الصولجاناات والعصي رمزا للسلطه العامه فالفرعون لابد ان يبطش بالناس وكذلك اللحيه المزيفه التي جعلوها للفراعنه دون غيرهم من الناس وهي ترمز الي اشتركتهم مع الالهه في هذه الصفه تميزهم عن بقية البشر وكانت تأخذ شكل لحيه طويله مصغره مستقيمه او منحنيه عند طرفها تلبس علي الدقن وتصل الي الاذن بخيط ذهبي ولهذا نظروا لدعوه موسي انها تشكل خطرا لان ماتستند عليه الوثنيه السياسيه هي اوها م وخرافات فاذا جاء العلم الحقيقي فقدت الوثنيه قيمتها ولم يبق لدعاه الوثنيه الا اللجو الي القوه فيسلوكوا طريق الوحوش لمنع فتح ثغره في جدار الظلام الذي صنعوه لانه لو تم فتح تلك الثغره فان النور سوف يدخل ويبدد الظلمات ولهذا قالوا (اتذر موسي وقومه ليفسد في الارض ويذرك والهتك)

يخافون من سقوط اصنامهم التي يستمدون منها مصالحتهم ولهذا لاتستغرب ان تسمع شخصيه بارزه مصريه ينادي امريكا وبريطانيا عشيه انتخابات محمد مرسي ليطالب بوقف الانتخابات قائلا ان محمد مرسي لا يومن ؛ الهلوكست يقول لاتدروه يصل الي الرئاسه يجب اتخاذ اجراءات وقف الانتخابات فهو لا يومن بالهلوكست مع ان هذا القائل عربي ويحمل اسم النبي صلي الله عليه وسلم فاسمه محمد لكنه يعتبر الهلوكست عقيده ودين واله يعبد يجب ان يومن به من يصل لرئاسه مصر للاسف الشديدفهذا لا يختلف عن الملاء من قوم فرعون وتهيجه مشاعر امريكا ضد حريه المصريين يشبه تماما خطاب الملاء من قوم فرعون مع فرعون وفعلا استجابت قوي الا ستكبار العالمي لتهيج هولاء وطمانوه بانهم سوف يقتلون ويقومون باذلال الاحرار مثلما كان رد فرعون علي الملا من قومه كما قال تعالي (قال سنقتل ابناءهم ونستحي نساءهم وانا فوقهم قاهرون)

كلمه سنقتل قرا ابوجعفر وابن كثير بفتح النون وضم التاء وقرا البقيه بضم النون وفتح القاف وتشديد التاء للمبالغه في القتل مبالغه كثره واستعجاب وكلمه (ونستحي نساءهم) للمبالغه في باستحياء النساء في مقابله قتل الرجال تلبيه لمقترحاتهم التي طلبوا فيها ان ينكل بموسى وقومه فاجابهم علي عزمه القيام بذلك فمزاجهم للتفرج علي معاناه موسي ومن امن معه يرسم انعدام المشاعر الانسانيه لديهم وانه لاتتحرك وجدانهم للماساه فهم بلا مشاعر يتلذذون بالاساءه والعدوان فهذه هي طبيعه الطغاه في كل زمان ولهذا فلا تستغرب ان تشاهد الصهاينه يتلذذون بقتل الاطفال ويرفضون التوقف عن جرائمهم في غزه وقبل ذلك جرائم الامريكان في العراق وافغانستان وحاليا في غزه فهم جزء اصيل من منظومه الاجرام مثلهم مثل الصهاينه فهذا البرود في وجدانهم هي طبيعه الفراعنه فلا تقشعر ابدانهم للكائه فهم يتلذذون بالم الاخرين ومعاناتهم هم وحوش بمعني الكلمه في سبيل استعباد الناس واذلالهم يتفنون في اختراع وسائل التعذيب للضعفاء والعزل فلا تستغرب ان يتباهي المجرمون الصهاينه من قتل الاطفال ونسف الاحياء وقاطنها من النساء والاطفال والعجزه ففرعون سبقهم لذلك وقال (وانا فوقهم قاهرون) استعمل مجازي للتعبير عن استطاعته قهرهم فكله فوقهم تستعمل مجازا في التمكين من الشي لاستطاعته التغلب عليهم فهم عزل لا يملكون اي سلاح او قوه بنظره ولهذا يتنمر عليهم وهذه هي طبيعه الوثنيه السياسيه في كل زمان

المشهد الخامس

اولا

لما بلغ موسي خطه فرعون وملئه ضده ومن امن به من القتل للرجال وتسخير النساء لخدمتهم قال موصيا قومه

(قال موسي لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبه للمتقين)

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

يريد الحق ان ندرك اهميه تحديد كيفيه مواجهه المشاكل

ولهذا جاءت الايه بعد ذكر الخطه التي وضعها فرعون وملئه للتكيد بموسي ومن امن معه والتضييق عليهم من القتل واستخدام النساء والاذلال مع قدرتهم وتمكنهم من ذلك ولهذا ابتدأت الايه بتوجه موسي بالخطاب لقومه يعرفهم كيف يكون مواجهه المشكله فقال تعالى (قال موسي لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبه للمتقين)

فدل هذا ان موسي وقف امام ذلك التعسف والتعذيب الذي بلغه من تهديد فرعون وملئه وقام بتحديد اسباب المشكله الظاهره والباطنه جلس مع نفسه يهدو واسترخاء يفكر جيد ويتمعن لايجاد الحلول المناسبه فهذه هي اول خطوه لمواجهه المشاكل وبعدها وضع خطه لمعالجه المشكله ومن ثم توجه بالخطاب الي قومه يعرفهم كيف يكون مواجهه هذه المشكله ولهذا فان اول درس نتعلمه من هذا الموقف انه لا بد ان تقف مع نفسك عند ما تواجهك مشكله وتسال نفسك كيف تواجهه المشاكل فعليك ان تقضي وقتا كافيا للتعرف علي المشكله وكيف يمكن مواجهتها وتضع الخطه وتنظر هل فكرت بطريقه سليمه ام لا وهل لديك خطه لمواجهه المشكله ام لا لان الهروب من المشكله يعود الي عدم وجود طريقه لحلها او لوجود الارتباك

الامر الثاني

اهميه ايجاد الحلول للمشاكل بعد الدراسه والتحليل للمشكله ومعرفه اسبابها وعواملها ولهذا نجد ان الايات تفصح لنا عن الحلول التي توصل اليها موسي لمواجهه المشكله بعد ان تدبر وتامل وفكر في المشكله فذكرت انه

1/

امر قومه بالاستعانه بالله وطلب العون منه تعالى فليس لاصحاب الدعوه ملاذا الا الله تعالى

2

الصبر علي المكاره حتي يحين الوقت الذي قدره الله تعالى...

3

ويعرفهم بسنه الله في تدول الايام والدول في الارض ليست بقدره الملوك وانما هي سنه الله ...

4

ذكر ان العاقبه المحموده هي للمتقين الذين يتقون اسباب الضعف والخذلان والهلاك بترك الظلم والفساد و الطغيان والفسق والاخذ بالسنن والنواميس فلا بد للظالم من نهايه مذمومه

الامر الثالث

تبين الايات ان اللازم عليك مواجهه المشاكل اولا باول وعليك ان تعتمد علي الله تعالى وحده بان يدفع عنك الضرر فهو الذي بيده كل شي وان تاخذ بالاسباب فاراد موسي بهذا ان يصلح الخلل في التصور الخلل في العقيده والخلل في السلوك لان بني اسرائيل كما يتضح من الايه بعدها كانوا يعانون من الفزع والهلع هناك نقص من جانب

الاستعانة والتوكل ومن اتصف بهذا فانه يكون اما عاجزا او مفرطا وهو مغلوب اما مع عدوه الباطن واما مع عدوه الظاهر وروبا يكتر منه الجزع مما يصيبه والحزن لما يفوته وهذا الحال اصاب الكثير من يعرف شريعه الله وامره ومن يري انه متبع شرعه تعالى حيث ان هذا النوع يغلب عليه قصد التاله لله ومتابعه الامر والنهي .. ولكنه لايعرف قضاءه وقدره وان كان حسن القصد طالب للحق فهو غير عارف بالسبيل الموصله والطريق المفضيه الي الله ولهذا نجد ان موسي يعالج هذا الخلل الذي اتسم به بنو اسرائيل فهو يقول لهم اطلبوا العون من الله تعالى فهو الذي بيده كل شي فهو الناصر والمعطي والمانع والنافع والضار والاسباب كلها بيد الله واليه ترجع الامور واليه المنتهي

فموسي عليه السلام يضع قاعده التصور الايماني وفلسفه الحياه التي جاء بها الرسل من ربهم يربط كل شي بعقيده التوحيد ويعرفهم بسنن الله في الكون ف الله فعال لما يريد

المفهوم الاول

فهذه هي العقيدة التي يجب ان يعتقدها المسلم فالمسلم يانس بالله ويتوكل عليه مهما كانت الاحوال والمصائب فهو تعالى اشد حضورا لنصره المعتمدين عليه

ولهذا فان اهم عناصر مواجهه المشاكل هو الاستغفار والدعاء والذهاب للصلاه فقد ذكر عن الامام احمد ابن حنبل انه كان في سفر ولم يجد مكانا ينام فيه فذهب الي المسجد فجاء العامل فيه وامره بترك المسجد فاراد ان ينام بجوار المسجد فجاء عامل المسجد وامره بالرحيل قال فذهبت حتي وجدت صاحب مخبز وطلبت منه ان امكث عنده تلك الليله فوافق قال الامام احمد واثناء ذلك كنت اشاهد صاحب الفرم كلما وضع الرغيف في الفرن قال استغفر الله حتي الصباح فسالته لماذا تعمل ذلك وما الذي عاد عليك من هذا العمل قال لم اطلب من الله شي الا اعطانا ماعدا شي واحد قال قلت له ماهو قال ان اري احمد ابن حنبل فقال له هاهو الله عز وجل قد جرنني اليك قهرا والمقصود من هذا اذا كنت تريد شي فعليك ان تطلب ذلك من الله فهو يسمع الدعاء انه قريب مجيب فاذا واجهتك مشاكل فعليك ان تلجا الي الله ليدلك علي الحلول مهما كانت فهو حسبك ونعم الوكيل ولن يخيبك الله

المفهوم الثاني

عليك ان تشعر انك لست وحيدا مهما كانت حجم المشاكل فانت تحظي بدعم الخالق سبحانه وتعالى وبالتالي فما الذي يخيفك فعليك ان تقف امام التحديات انتبه من الشعور بالوحده في مواجهه التحديات لان ذلك يقود الي الشعور بالارهاق وبالتالي الهروب منها ولهذا عليك ان تعتمد علي الله فانتبه من الشعور بالوحده وانه لا يوجد احد يهتم بك ويحاول مساعدتك لان ذلك من اسباب تفاقم المشكله او تلجا الي طلب المساعدة من اشخاص لا يريدون لك التفوق وانما يريدون لك الفشل فانت عندما تشاركهم مشكلتك تقدم لهم فرصه الاضرار بك ولهذا عليك ان تلجا الي الله بدرجه اساسيه تطلب الدعم والعون منه تعالى وهو تعالى سوف يهديك الي سوا السبيل ثم عليك الا ستفاده من دعم اخوانك الذين يشاركونك الهدف ويساعدونك علي الثبات علي الحق قال تعالى (والعصر ان الا نسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وتوصوا بالحق وتواصوا بالصبر)

المفهوم الثالث

اهميه تهيئه النفس لمواجهه المشكله

فلا بد ان تصل الشعوب الي قناعه عامه بتشخيص الخطر والبعد الذي يهدد مستقبلها ينبغي ان تنهي للمواجهه مواجهه علم وواقعيه بعيدا عن المزيديات انها معركه حضاره فعندما تجري تغييرا جذريا في حياتك فعليك ان تدرك حاجتك الي الاستعداد بشكل ملائم كي تتغلب علي مشكلاتك يجب عليك ان تلتزم بالتغلب علي التحدي ويجب ان تقرر ذلك بنفسك فمن لم يستطيع الوقوف امام التحديات لن يكون موهلا للقياده في مرحله الرخاء

فعليك ان تتعدى مرحله المشاكل وتكسب العقه بنفسك لتكون اهلا للتمكين والعز عليك ان تتحمل المسويله فلا تتهرب من حل مشاكلك فاللازم ان نتحمل مشاكلنا نحن ونقف امام التحديات فلا نختلق الاعذار للهروب من المشاكل كما فعل بني اسرائيل عندما قالوا (اوذيينا من قبل ان تاتيينا ومن بعد ما جئتنا) اخبرهم موسى هذه سنه الله لتكونوا اهلا للعز والتمكين عليكم ان تواجهه التحديات لتهربوا من المشاكل فمن لم يمتلك الاراده القويه ولم يكن مستعدا للالتزام بمواجهه المشاكل كيف له ان يقوم بادراه امه وقيادتها فالوصول الي التمكين يتطلب استعداد للالتزام بمواجهه المشاكل والتغلب عليها حتي النهايه فالهروب ليس هو الحل ولهذا فلايكفي الانفعال لتحريك الجماهير فلا بد ان تكون الرويه واضحه لا بد ان يحدث التحام الجماهير مع القياده في مواجهه التحديات فقد شاهدنا كيف ان هروب بعض المقاومين للظلم في البلدان العربيه وهروبهم من مشاكلهم والاعتماد علي دول اخري عربيه للمواجهه نيابه عنهم اوصلت البلاد في النهايه الي التمزق لان غيرك لاتعني لهم مشكلتك شي فهم لهم مصالح ولهذا عندما تنتهي مصالحهم او تصبح هذه المصالح بيد من هم اعدائك عندها تصبح انت ورقه مساومه وتذهب تضحياتك ادراج الرياح ولهذا فان تهيئة النفس لتحمل المسويله واعباء التحرر هو بدايه الطريق السليم والعلمي الذي يقود الي الرخاء والتقدم بالاعتماد علي النفس والثقه بها وبذل الجهد والاخذ باسباب التقدم فالايام دول ولهذا لا بد ان نفتح لانفسنا بايدنا ثغره في جدار الظلام بالصبر والتوكل علي الله والامكانيات المتاحة فلا تقطعوا الامل في النجاح في فتح هذه الثغره ولهذا يقول الحق (واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبه للمتقين)

فاللازم ان نكافح ننظر الي المستقبل نظره فيها الامل بعيدا عن الياس والتشاوم ننظر الي الغد انه افضل من اليوم وبعد الغد افضل من الغد نتحمل مسوليتنا بالعقه بالله وان اختياره لنا هو الافضل فلا نخاف من قوه الظلم فهم لايملكون الارض فالله هو المالك لها فظلم الظالم لن يدوم ولهذا قال تعالي (ان الارض لله)

لتشعر ان كل الارض هي ملك الله وليست ملك فرعون ولا الملك الفلاني ولا الاسره الفلانيه ولا الرئيس الفلاني انها لله تعالي وهو يعطي الملك لمن يشاء فلا تفقد الامل بالله فعليك بالاستعانه بالله والصبر فان فعلت ذلك فان حكم الظالم لا بد ان يزول فالارض ليست لفرعون ولاغيره مهما بلغت قوتهم وانما تلك سنه الله ان جعل الايام دول فمهتك تنحصر في فتح ثغره في جدار الظلام علي امل ان تري شعاعا من نور لبناء مستقبل افضل فقال تعالي (عسي ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون) في رده علي استعجال قوم موسى النصر الالهي فجاه الرد يحذرهم ان يستطلوا طريقهم مع ايات الله وان تعثرتم اليوم او تاخرتم المهم ان تبقوا علي الدرب ان تشدوا الهمة وتكملوا المسير ولو بخطي عرجي ولو بتعتعه. ولو بمشقه الذهاب وعناء السير و التكرار فعليكم الثبات حتي يبلغكم الله مطلوبكم فالعاقبه الحميده هي للمتقين ووظيفه العبد الصبر عند الامتحان ان لم يكن قادرا بعد ان يبذل جهده وياخذ بالاسباب

ثانيا

اهميه الاستفاده من التجارب لتجاوز الاخطار وبذل الجهد

وخوض معركتنا مع الباطل بارداه قويه وهمه عاليه وان ننظم انفسنا في اطار فريق عمل متماسك فعلينا اقتفاء اثر موسى ورسولنا الكريم محمد صلي الله عليه وسلم في تربيته انفسنا فموسى ابتدا بعرض الدعوه علي الناس ثم انتقل الي اعداد التنظيم الذي قبل بالدعوه والمستعدين للالتزام بها والدفاع عنها يترجم الاهداف في الواقع وهو ما يتطلب اعاده تشكيل عقولهم وافكارهم وغرائزهم فالظروف لاتتطور الي الافضل تلقائيا انما لا بد ان توجد اراده واعيه تستند في خلق قدرتها علي خبره يحتاج الي مناخ مناسب ولهذا لا بد من وجود قياده قادره علي اعاده ترتيب احوال المجتمع فتطوير المجتمعات واثاره الغرائز الي التطوع والرقى مع تنظيم هذا التطوع بما يتفق مع الاهداف امر يحتاج الي مهاراه لان تطوير المجتمعات علاج والعلاج الاجتماعي له قواعد واصوال مثل العلاج البشري فالطبيب لا بد ان يتابع حاله مريضه فلا يستطيع ان يصف دواء ثم ينصرف وينقطع عن مواصلة

التعرف علي النتائج ولهذا نجد ان موسي ظل يتابع قومه بعد ان وصف لهم سبيل الخروج من الازمه بامرهم بالا ستعانه ب الله والصبر و التوكل علي الله والعقه بنصره فماذا اجاب قومه (قالوا اودينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا)

وهذا فيه انهم لم يفهموا السنن والحوادث فهما صحيحا يتفق مع ما وصف لهم موسي لم يصلوا الي مرحله الاستعلاء بالحق فلم ينظروا الي ان عوامل النجاح والفشل في الارض مرتبطه بقدر الله تعالي ومشئته

تبين النصوص ان الفهم السطحي لدي بني اسرائيل للحوادث افقدهم القدره علي استغلال المحنه وتحويلها الي منحه فلم يفهموا الحوادث فهما توحيديا

فالحادثه تقع وكل الناس يشاهدها ويعلم بها والعلم بها لها قواعد واصوال واسس للوصول الي ادراك ما تحمله من معاني وهذا مرتبط بالفهم الذي يختلف الناس فيه من شخص لآخر فلا يختلفون في تصديق وقوع الحدث ولكن باختلاف في فهم ماوقع فهناك فهم سطحي لا يصل الي اغوار الشئ وهناك فهم يصل الي اعماق الشئ واسراره فتحليل كلا منهما للحدث يختلف عن الاخر لان للحدث

اسباب ومسببات يجب استيعابها وفهم هذه الاسباب لكن عليك ان تدرك ان الاسباب كلها تنتهي الي الله تعالي فهو الفعال لما يريد فتحقيق النتيجة يعود لتوفيق الله تعالي

ولهذا فالناس يتفاوتون في فهم الاحداث وتفسير الظواهر من حيث الفهم الذي ينطلقون منه في تفسير الاحداث وهم بين الفهم السطحي ..والفهم الناضج ..بمعني اخر اكثر واضحا الفهم التوحيدي ..الفهم الشركي

حيث ان البعض ينظر الي التفوق بانه يعود الي الاسباب الارضيه وانها لاعلاقه لها بالدين اطلاقا وهذا وان كان قد اخذ بالمنهج السنني الا انه فاقد للبوصله التي تدله علي الطريق الصحيح لفهم السنن بشقيه المادي والروحي اي العلم بالماده وخالق الماده

ولهذا فان التفسير المادي البحت الناتج عن الفهم السطحي يجعل المرء عاجزا فاقد للرشد ويقبل التعايش مع الظلم ويهربون من مواجهه المشاكل يعني الضعف والهون من الضعفاء وبالنسبه للاقوياء فانه ينظر الي عناصر القوه الماديه انها وسيله الاستعلاء فيغتر ويسعي الي تدمير من حوله نتيجة ذلك الغرور فالفهم الخاطي يولد الشر والحقد والياس يولد الافكار المتحجره التي لاتقبل بالحق ان لم يكن قوياي ان الفاعليه سلبيه اما الفهم التوحيدي فانه يولد قوه الامل ب الله فهو عندما يحبط او يخيب امله يطلب العون من الله ينظر الي الله انه اكبر من كل شئ وانه القوي فهو يراقب الله في اعماله ولهذا فان فعالتيه ايجابيه فلا ياس ولا حقد انه متفائل يبحث عن حل يوافق الله للاهتمام اليه اما صاحب الفهم السطحي فانه يبحث عن شخص ليلومه ولهذا قالوا لموسي (اودينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا)

فالايه توحى بحاله تدمر وانهم متضجرين فقالوا لم يتغير حالنا بمجيتك فالعذاب هو العذاب فلم نستفيد من رسالتك شيئا فما كنا نلقاه من عذاب قبل ان نسمع منك هو نفس العذاب واشد فدل هذا علي الفهم السطحي لديهم للاحداث

لم يفهموا ان الوصول الي التمكين يتطلب ان تجتاز مرحله الابتلاء لم يفهموا ان التغيير يتطلب ان تحدثه اولاف في داخل نفسك فالله يقول (ان الله لا يغير ما بقوم حتي يغيروا ما بانفسهم)

فعليك ان تطع الله وتعمل كل ما تملك ان تقدر عليه عليك ان تكون متفائلا ومطمئن بالاستئناس ب الله والتوكل عليه وان ترضي بما يقسمه الله لك فالفهم التوحيدي للاحداث يجعلك متوازن ويرفع عنك القلق والتوتر والضرر ويجعلك مطمئن بذكر الله فتنتقل من الفهم التوحيدي فتراجع الي الله وقت الشده وترجع حساباتك فتحصل

الفائدة من الازمات فتكون التجربه موعظه لك فكلما اشتدت صار الفرج قريب فقال تعالى (قال عسي ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون)

التعبير بعسي فيه حثهم علي التخلص من القنوط فهو يفتك بالطاقات وعليكم بالرجاء فاللازم ان يكون تعاملكم مع الله قائما علي الخوف والرجاء والتادب مع الله ولهذا استعمل عسي لتعليم الناس من بعده ان يلتزموا الاداب مع الله

وان الرجاء لايعني الاتكال وترك العمل والاختذ بالاسباب ولهذا جاء بعسي لانه لو جزم لهم في الوعد فانه سوف يحصل الركون وترك العمل والسعي والجهاد اعتمادا علي ذلك ولهذا جاء بهذه الصيغه ليحثهم علي العزم ولهذا يخبرهم ان والمرء بين امرين حاله ابتلاء بالشده والمطلوب منك الصبر فهذا الشطر الاول من الايمان واما الثاني فهو ابتلاء بالرخاء والتمكين والمطلوب منك الشكر وهذا الشطر الثاني فالمراد بهذا الحث علي الاستعانه ب الله وتوطين النفس علي لزوم الحق والصبر عليه فيما خف منه او ثقل ولهذا يقول لهم ان الله سوف يحقق وعده وهو ابتلاء لينظر كيف تتصرفون هل تعاملون الناس بالعدل اما تمارسون الظلم والاستبداد الذي مارسه فرعون

والمعلوم ان الله يعلم كل شي قطعاً قبل ان يكون ولكنه سبحانه وتعالى لايعاقب حتي يظهر فساد المفسدين

المشهد الخامس

(ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلمهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنه قالوا لنا هذه وان تصيبهم سيئه يطيروا بموسي ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لايعلمون وقالوا مهما تاتنا به من ايه لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين)

اولا

ابتدات آيات هذا المشهد بقوله تعالى (ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلمهم يذكرون) وبالوقوف علي الايه نجد الاتي :-

صدرت الجمله بالقسم الدال عليه لانه لتأكيد مضمونها وتعظيم شأنه وهذا لانها فيها اظهار آياته سبحانه وتعالى علي تاييد رسله وقدرته علي نصره المظلومين المستضعفين في الارض علي الاقوياء المستبدين والاختذ استعملت في القران بمعني العذاب فقال تعالى (وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه ايم شديد)

وقال تعالى (فاخذناهم اخذ عزيز مقتدر) وقال تعالى (فاخذناهم اخذه... الخ والايه تشير الي:-

العقوبات التنبيهيه :-

فهذا هو القانون الالهي المطبق للامم قبل ان يوقع بهم العذاب حيث انه تعالى لا يهلك الامم بذنوبها وهم غافلون ولهذا قبل ان يحل عذاب الاستئصال للامم المعارضه للرسل كان الحق يسوق الشدائد التي فيها رسائل تحذيره تتجه الي ضمائرهم ونفوسهم وفطرتهم التي تعرف ربها فلديهم العلم الفطري والحب الفطري مغروس في نفوسهم

هذه العقوبات تهدف الي اثاره الاحاسيس وايقاظ المشاعر والعقول من سباتها وغفلتها لعلمهم يعودون الي الحق و الي عقيدته التوحيد ليعرفوا الله تعالى

والسنين كلمه تطلق علي جمع الاعوام والسنه ولكن اقتترانها بكلمه اخذنا تدل علي العذاب فهي هنا اطلقت علي سنين الجذب والقحط والشده خاصه انه اضيف اليها عبارته (ونقص من الثمرات) فاراد بهذا ان تدرك حجم الشده التي حلت بارض مصر الخصبه المعطاه المثمره فهذه الظاهره تلفت النظر وتهز القلب وتدعوا الي الفكر واليقظه

فقد استمر الجذب لسنوات عديده متتاليه وليس لمدته بسيطه فآثاره واضحه في الاشجار فقد سقطت اورقها لطول مده القحط فاصابت العمار والفواكه بالهلاك

في ارض مصر المعطاه وهو ما يدعوا الي التفكير والتامل خاصه وان الايه توحى ان العذاب حل بمن (ال فرعون)

وهذه العبارة تطلق علي اقارب الشخص وخاصته اوزملاءه ونظرائه في الملك والتفكير واعوانه وكذلك علي اتباعه ومن يتبع شريعته فقد قيل لجعفر الصادق زعم البعض ان جميع المسلمين هم ال الرسول صلي الله عليه وسلم فقال جعفر لقد صدقوا وكذبوا قيل كيف يكون هذا قال لقد صدقوا في انهم اذا اقاموا بشرايط شريعته انهم ال الرسول فالله يقول (قال رجل مومن من ال فرعون)

اي من المختصين به وبشريعته وجعله منهم من حيث النسب والمسكن او من حيث تقدير القوم انه علي شريعتهم وقال تعالي (ادخلوا ال فرعون (واغرقنا ال فرعون) ومن هنا نفهم ان البلاء عم البلاد كلها واصاب عامه الاقباط وكل من كان علي شريعته فرعون قد نالهم العذاب بالتسع الايات فالايه تبين لنا

الامر الاول

منهم الذين يصنعون الازمات ويقفون في صف الظالم فالخطاب يشمل المقربين من فرعون والعوام الخاضعين لشريعته فاراد بهذا الاتي

/1

الفريق الاول هم المستفيدين من الماضي المشدودين له والغير مستفيدين من دروسه وهؤلاء هم اصحاب المصالح فهؤلاء عنصر اساسي في الازمه ولهذا فان الايه فيها توجيه لنا بكيفيه التعامل مع الازمات وتفتت مكوناتها من خلال معرفه صانعي الازمات ولهذا جاء النص بهذا التوجيه الذي يوحي ان المراد الخاصه والمقربين من فرعون وان عم الخطاب الجميع اشاره الي ان المهم ان يستيقظ هؤلاء الخاصه لان بيدهم ازمه الناس فهم ان اهدوا اهتدي الناس وانتهت الازمه وهذا الامر مهم في تعليم الدعاه فن تفتت الازمات من خلال معرفه صانعي الازمات ومعرفه مصالحهم لان المصالح هي التي تشكل الاطار المشترك بينهم وبين الانظمه الاستبداديه فاذا صار النظام يشكل خطرا عليها سرعان ما يحصل تفتت النظام واركانه

حيث ان صانعي الازمه عندما يشاهدون ان الاستمرار في التحالف يشكل خطرا علي مصالحهم فانهم سرعان ما يبادرون الي حمايه مصالحهم

2

الفريق الثاني هم الغير مستفيدين من الماضي ونظامه ولكنهم سلبيون لا جراه لديهم لان يقفوا مع الحق وهم غير مستفيدين من الدروس ولهذا شمل الخطاب عوام الاقباط بانهم تعرضوا للخساره والقحط وهذا فيه التحذير من السلبيه في المواقف من ان تصيبك الفتنه بسبب ظلم الخاصه فاراد بهذا ان تفهم ان الازمات انما تنشأ عن خلل في النظام فالايه فيها التحذير من اثار الفتنه التي يحدثها من يملك سلطه القرار وان اثارها تمتد لتعصف بالموسسه كلها كما قال تعالي (واتقوا فتنه لتصيبين الذين ظلموا منكم خاصه واعلموا ان الله شديد العقاب)

فانت ملزم ان يكون لك موقف ايجابي تبرا فيه من اعمال الظالمين انتبه من السلبيه فتقول ليس لي دخل فانا ليس بيدي القرار فاعلم ان العقاب سوف يطالك

الامر الثاني

ماذا تهدف الرسائل التحذريه والعقوبات التنبيهيه?

تهدف الي

/1

يقاظ الحب الفطري ..والعلم الفطري ..والفكر الفطري

فالانسان يعرف ربه وخالقه ويحب الحق ويكره الباطل

فذلك مغروس في فطرته فهذه هي الحقيقه التوحيديه الموجوده في الروح الادميه لكن التلوث الناتج عن البئيه و العقافه الفاسده والتربيه الغير صحيحه من الوالدين وغيرها من العوامل الموثره في تغير فطره الانسان وطمس معالمها كلها تودي الي نسيان الانسان لخالقه ويتعلق بالشهوات والجاه والسلطان فتكون لديه غفله وغني يبعده عن ربه

ولهذا فان الابتلاء بالشده يهدف الي ايقاظهم من الغفله

ومن الغني لان اصل السئيات منه عدم العلم والغني لانه لو كان عالما بمضرتها وهو غني عنها فانه سوف يمتنع عن ان يفعلها ولهذا قال تعالى (لعلمهم يذكرون)

/2

ان عدم العلم والتكذيب للحق سببه عدم معرفه الحق والاقرار به نتيجه نسيان الانسان ماهو مغروس في فطرته من الاقرار الفطري.. والعلم الفطري.. والحب الفطري

وعند حلول البلايا يتذكر ذلك مجددا فماده ذكر يتناسب مع المعني ولهذا كانت الرساله التحذيريه الاولي بالقحط والجدب والمجاعة في ارض مصر الخصبه فيها امر يدعوا الي التفكير في هذه المساله ليعرفوا العلاقه الوثيقه بين هذه العقوبه التنبيهيه وبين القيم والمبادي الايمانيه

فهذه الرساله فرصه للخلاص من اسباب عدم العلم والتي تمعلت في الامتناع عن النظر والاستماع التام لايات الحق واعلامه لانهم اعتقدوا بامتلاك فرعون سلطه الاله وانه يحظي بعنايه الالهه فهذا التصور الباطل بحلول المصائب بارض مصر الخصبه اسقطت فكره ان فرعون اله او رب وبالتالي فان هذا يسقط صنم فرعون فلا بد ان الشده ايضا ولدت فيهم الشعور بالعجز والفقر والحاجه الي الله

لكن هذا يحتاج الي ان تربط الاحداث بالقيم الايمانيه لتري جمال الله وقدرته وجلاله وعظمته سبحانه وتعالى

وعدم هذا الربط يعني استمرار الغفله فالفائده انما تكون في الربط بين القيم وواقع الحياه والاحداث بالايمان المطلق ان وراها ارده فعاله وموثره هي التي تقوم بتدبير الامور والاشياء فهو تعالى يسوق المصائب كي تعرف الله وتحبه وتعبده لاجل ان تزوال الغبار من علي فطرته فتقر له تعالى بالالوهيه والربوبيه والعبوديه وحده لا شريك له

3

ان المصائب لها معاني وتحمل رسائل اليك عليك ان تقف مع نفسك لتعرف اسبابها فهي تريد منك ان تخرج من غفلتك عليك مراجعه حساباتك قبل ان يحل الهلاك

عليك ان تبحث عن جوانب التقصير الذي وقعت فيه فهناك رسائل تحذيره تدل علي وجود انحراف في المسار يستوجب تصحيحه فالمسلم له مواقفان من المصائب

الاول انها رسائل تحذيره عن انحراف وبطر للنعم واهمال للاعمال الصالحه فيراد بمجي المصيبه ان تدفعك الي باب الله دفعا لتعود الي الله تائبًا تسال نفسك هل ارتكبت خطيئه هل اقامت العدل في حياتي مع من حولي والعائيه ان تعمل قليل مع امكانياتك ان تعمل اكبر ولهذا فان الابتلاء يراد منه رفع مستوي اعمالك الصالحه

4

لاجل ان تعرف الله في الرخاء قبل الشده ولهذا فالشده تهدف الي ازاله التصورات الفاسده وازاحه المانع من النظر والاستماع لان الشده تهز الكبر وصاحبه وتولد في النفس

مشاعر العجز والفقير والحاجه وبالتالي لاتجد الا الحق تلجاليه فلا تنسي ان الله المنعم في الرخاء فمصر ارض خصبه زراعيه وهذه هي اول اسس الحضاره الفرعونيّه ولهذا فان اصابه ارضها بالقحط والسنن امر غريب عنها يقتضي من ال فرعون ان يتفكروا في تلك الاحوال وان يستوعبوا الدروس ويتعظون لان الشده ترقق القلوب وتنزع عنها الكفر والعصيان والشور اذا فهموا ان كل شر في العالم لا يخرج عن كونه الم يصيبهم او سببا للالم فاعمالهم السئيه سبب للعذاب فاصل الذنوب هي سبب الالم

ثانيا

الاصل ان يتذكروا ضعفهم امام قوه الله يتذكروا عجزهم وعجز ملكهم المتغطرس وانهم في قبضه الله يتذكروا ان ماحل بهم من الجفاف انما هو بسبب كفرهم وطغيانهم واستعبادهم بني اسرائيل الذين خلقهم الله احرارا فخذ لاص امرهم متوقف علي امرين الايمان وتحرير بني اسرائيل لو استعملوا عقولهم التي اعطاهم الله اياها ليفكروا بها فالعقل والفطره يكره الظلم والطغيان فكان اللازم علي الاقباط ان يستيقظوا من غفلتهم فلا يقبلوا استعباد فرعون لهم وان يتبعوا موسي بعدما اتضح لهم زيف فرعون ولكن لم يستفيدوا من الدروس فهم كما قلنا اما منتفعين من نظام فرعون غير مباليين بالدروس من التجارب واما غير منتفعين من نظام فرعون غير مستفيدين من الدروس والتجارب فما هو السبب لعدم استفادتهم من التجارب يخبرنا الله بالجواب عن هذا السؤال فقال تعالي (فاذا جاءتهم الحسنه قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئه يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تاتنا به من ايه لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين)

الامر الاول

مشكله هولاء تعود الي فقدان العلم والغني واساءه تفسير احوال الانسان في الغني والاقتدار وفي الفقر والمرض

فهولاء ينسبون النعم لانفسهم وان حلت به المصائب اتهم الدعاه والدين او غيره لم ينتبه الي علاقه بين النعم وا لايمان ورحمه الله وبين المصائب والبعد عن الدين وغضب الله وسخطه

فرعون وملئه لم ينتبهوا للرسائل الالهيه التي تنوعت بين الترغيب بالنعم وبالترهيب بالمصائب الي ان هنالك ثمه علاقه بين كفرهم وبين ماحل بهم من قحط وجذب

لم ينتبهوا ان اخذ لهم بالقحط والجذب وضيق المعيشه رساله من الله لهم كي يذكروا ضعفهم وفقرهم وحاجتهم لله وضعفهم امام قوه الله وعجز ملكهم المتغطرس وعجز الهتهم لعلمهم يتعظوا ويتذكروا فيعودوا الي الله تائبين عن كفرهم ويترجعوا عن ظلم بني اسرائيل واجابه دعوه فالاصل ان الشده ترقق القلوب لكن هولاء لم يستفيدوا من ذلك لانهم كانوا اذا جاءت النعم نسبوا ذلك لانفسهم وذكائهم ولم يتذكروا المنعم فحرموا عن مشاهده جمال

الله ورحمته وفضله التي تفصح عنها انعامه واذا اصابهم مصيبه نسبوا ذلك الي موسى ومن امن معه فلم ينتفعوا من الرسائل التحذيرييه والتجارب التي عاشوها وهذا يعود الي انحراف الفطره عن الايمان وعدم النظر الي قضاء الله وقدره الذي به تنشأ الاحداث والاشياء

الامر الثاني

يحذرك الحق من طريقه التفكير الفاسده للتجارب التي تمر بها اخي المسلم فالذنوب سبب للمصائب والابتعاد عن كتاب الله وسنته هو سبب الشقاء فما اشد حاجتنا اليوم الي القراءه السليمه والصحيحه للاحداث فقد سلط الله علينا الاعداء بسبب ذنوبنا ولتركنا تعاليم الله سبحانه ولهذا يعطينا الله هذا المعال الذي يضربه لتلقي فرعون وملئه للرسائل التحذيرييه بان هولاء كانوا يستخدمون الظروف والاحوال التي يعيشونها حسب امزجتهم فهذا النمط من التفكير يعتمد علي النظر للاحوال فاذا كانت موافقه ومطابقه لرغباتهم قالوا هذا الامر الحسن يعود الي جهدنا وذكاءنا وخبرتنا فتري احدهم يقول لقد نضالت وانتصرت علي الالم والمصاعب لقد دربت نفسي فاذا نزلت به المشاكل عز ذلك الي الخرافه وهذه هي طبيعه الشعوب والمجتمعات المصابه بالانانيه والضلال فهي تفقد ادراكها وتتبدل الاحاسيس لديها فتفسر الاحداث بمعزل عن التوحيد لاتنظر الي تاثير الله وانه فعال لما يريد فهذه الشعوب تلجا الي خدع نفسها وضمايرها والآخرين لاتعترف باخطاءها وتحاول ان تلقي بتعبئيه ذلك علي الآخرين او علي القدر هذه الحاله المرضيه الالقاء بالتبعه علي الآخر للاسف اصبح حاله نعاني نحن منها الان وقد تحولت الي ظاهره تتوارثها الاجيال وباء معدي نتيجته وباء الطوائف والاحزاب والجماعات المتناحره داخل المجتمعات العربيه اليوم وقد تجاوزت ذلك الي الافرادالذين يجتهدون في القاء تبعيه فشلهم فيما يظطلعون به من مهام علي الآخرين فلوا انهم انشغلو بمراجع حساباتهم مع انفسهم لادركوا ان في ذلك رسائل تحذيرييه تاديبه من الله رحمه بهم لاصلاح مافيه من عيوب ونواقص ولاجل الارتقاء لكن الاستكبار والتمترس وراء اللقب وعناوين التمايز المزعومه تخدع اصحابها وتمنعهم من الاعتراف بالخطا ولايستفيد من التجربه وبالتالي لايكشف الخلل والاختفاق الحاصل لانه لم يعتمد علي المنهج العلمي المتخصص والمنهج الرباني الذي يمكنه من اكتشاف الخلل والعمل علي معالجته والذي يبدا بالشجاعه علي الاعتراف بالخلل والاختفاق والفشل بعيد عن المكابره والاعتراف بالمسؤوليه عنه ف الله يقول (قل هو من عند انفسكم.)

فاللازم الوقوف مع النفس ومراجعه احوالها واخطاءها وتقصيرها علينا اصطحاب معرفه الوحي كبوصله تدلنا وترشدنا الي مافيه السلامه لتكون قراءتنا للاحداث وفقا لذلك

الامر الثالث

تبيين لنا النصوص الاطار الذي ينظم العلاقات في الانظمه الاستبداديه بانه يقوم علي فكره تقسيم المجتمع الي طبقات ولهذا فان الطبقة الحاكمه تلقي باخفاقتها علي الطبقة المستضعفه فهذه هي ثقافه الانظمه الديكتاتوريه الاستبداديه فعندما يتحقق للبلاد تقدم فانها تعتبر سبب ذلك حسن قيادتها وجدراتها وكفاءتها واذا حصل الاختفاق والفشل فانها تنسب ذلك الي العدو الخارجي والمومره بينه وبين الطبقة المهضومه الحقوق داخل الدوله وتلجا الي التنكيل بهم بانهم هم سبب الاختفاق والفشل وهذه الحقيقه واضحه في نكبه 1967م وفي العديد من النكبات التي تعيشها الدول حيث تحاول ان تلقي بفشلها علي ماتسميه المومره والمعارضه وبدل ان تراجع حساباتها كونها هي المتسببه بالفشل فانها تلجا الي معاقبه المعارضين لها اي انها تستغل الفشل والاختفاق الناتج عن اعمالها سلاحا لتصفية الخصوم للاسف الشديد هذا هو حالنا اليوم

المبحث الثاني

ان الانظمه الاستبداديه لاتقبل العلم وتسعي الي تكريس ثقافه الخرافه استخفافا منها بعقول الرعايا فهذه من اهم سمات الانظمه الاستبداديه الطبقيه والسلاليه فقال تعالي

(وان تصبهم سيئة يطيروا بموسي ومن معه)

للهراب من المشاكل ومن معالجه اسبابها ولاجل منع الناس من فهم الاحداث وما فيها من رسائل تلجا تلك الانظمه الي التفسيرات الاسطوريه الخياليه للظواهر الطبيعيه ومن هذه التفسيرات والنظريات فكره التطير

ومعني يطيروا ماخوذ من عاده العرب انهم كانوا اذا اردوا الخروج لامر اخذوا طائرا وتركوه يطير فاذا طار عن يمينه قال معي وتحرك نحو الامر الذي يريده متفائلا بطيران الطائر اما اذا طار عن شماله فانه يتشائم ويقعد عن طلب الشئ

ولهذا يقول الحق ان هذا التفسير لا اصل له فجاه الاستغناء(الا انما طائرهم عند الله)

بيان انه لا يوجد. علاقه منطقيه بين التفاول والتشاوم بامور مثل هذه وبين النجاح والفشل فهي خرافيه فاراد بهذا الاستغناء توجيه ذهن القاري لما يلقي بعده حتي لا يفوته شئ يريد ان يعلموا ان العلم له قواعد واصوال واسس يسعى الي ان يقبلوا ما يملي عليهم من اسس علميه لتفسير الاحداث والظواهر بانه ليس للتشاوم بشخص دور للمصائب وانما كل ما في الكون وما عليه هو من خلق الله جعل الحق له سنن وقواعد يسير عليها وانه لا يؤثر فيها احد ولا تؤثر هي نفسها باحد لانها خلق من الله لاتملك من امر نفسها ولا من امر سواها شيئا فاراد بهذا توجيه الانسان الي دراستها علميا من حيث معرفه اسبابها الماديه مع ربط ذلك بذنوب الانسان تراجع علاقتك مع الله تعالي والمعني فما اصابكم وما حصل هو ناتج عن ذنوبكم واعمالكم الخبيئه فما حل بكم هو عدلا من الله بحقكم

فاراد بهذا ان يكون التشاوم مرتببا بالذنوب والتفاول مرتببا بالطاعات بان تسعي الي ارضاء الله تعالي لانه هو الفعال لما يريد وهو الموتر في كل شئ فاليه يرجع الامر كله فعليك ان تراجع حساباتك مع الله لان التفاول والتشاوم ليس لهما اثر طبيعي وانما اثر نفسي فالتفاول يعني الامل بينما التشاوم يوجب الياس والوهن ولهذا عبر بمجي الحسنه (اذا) الداله علي تحقيق الوقوع وعرفها لافاده الاصل الثابت لان رحمته وفضله سابق علي سخطه وغضبه وعبر عن اصابه السئيه ب(ان) التي هي اداه الشك اي ان شرطها اما مشكوك في وقوعها او بمنزله المشكوك فيها او انها قليله الوقوع

فاراد بهذا تعظيم الحسنه لاجل ان تكون ماده التفاول في السعي لارضاء الله بالاعمال الصالحه والتشاوم من الذنوب لتدفعك الي مراجعه حساباتك اتقاء سخط الله والتوبه لا القنوط من رحمه الله فالنهي عن التشاوم لانه يدفع الي الياس وبالتالي عدم المبالاه من اصلاح الاخطا المرتكبه ولهذا حذر الرسول صلي الله عليه وسلم من اشاعه اجواء الاحباط فقال عليه الصلاه والسلام اذا قال الرجل هلك الناس فهو اهلكهم)

وكان الرسول صلي الله عليه وسلم يحث الناس علي التفاول فقد كان يدعهم الي التفاول ويقول اتفاولو بالخير تجدوه(واعبر التطير شرك في احاديث اخري

المبحث الثالث

فعلي المسلم ان يتوكل علي الله ويعق به سبحانه وتعالى

وان يسعى الي اصلاح كل احواله ويستفيد من التجارب ويبذل الاسباب ويترك النتائج علي الله فان اصابه سوء صبر وان اصابه خير شكر فكل شئ بيد الله تعالي فهو فعال لما يريد وهذا الفهم يدركه القليلون اما الاغلبيه فهم كما قال تعالي (ولكن اكثرهم لا يعلمون)

تبيين الايه ان الكثير من الناس لا يعلمون ان الاشياء كلها ليست فاعلها بذاتها وانما الفاعليه هي لله تعالي ولهذا لا ينتفعون بالايات المعروضه لفقدانهم العلم وعدم النظر لايات الله فما هي اسباب عدم العلم توضحه الايه بعدها (وقالوا مهما تاتنا به من ايه لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين)

الامر الاول

(التعصب والغني بالنفس)

تبين النصوص ان اغلبيه الناس ينظرون ان الدين ليس له علاقه بالنظام السياسي الحاكم والعلاقات التي ينظمها في اطاره ويعتبرون اخضاع الجانب السياسي للدولة لنظام الله ومنهجه امر غير مقبول ويعتبرون دعاه العلماء لذلك تدخلا سافرا فالاغلبيه تري انه لاتوجد علاقه بين الاحداث الجاربه والدين لهذا برزت الوثنيه السياسيه سواء بصورتها الديكتاتوريه الاستبداديه التي تحمي الاقليه الظالمه او بصوره الديمقراطيه التي تسعى لحمايه مصالح الاغلبيه واضطهاد الاقليه فان هذه الصوره الثانيه هي الاخرى وثنيه سياسيه فليست المساله راي اقليه او اغلبيه واكثريه فهذا المعيار باطل تجاه اوامر الله ونواهيه والقيم والمبادئ فالحكم لله ولايجوز ان يتدخل احد في التشريع او تفسير الاحداث في مجال الخير والشر فقد انزل الله الوحي بوصله هدايه ودليل عمل وتعامل وامر بالمنهج العلمي مع اصطحاب هدايه الوحي وبذلك نستطيع استعياب السنن وفهم ما يجري حولنا ومعالجه المشاكل واحتواها بالقراءه الصحيحه لها اما الاغلبيه العظمي فانهم لاينتفعون بالآيات فهم مرتابون لاعراضهم عن النظر عن آيات الله وعدم الاستعداد لقبول الحق وتلقي الحق ولهذا قال تعالى (وقالوا مهما تاتنا به من ايه لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين)

تشير الآيات الي امتعاض هولاء من الحق وهم يفضلون عنه الباطل لماذا انها العصبيه والقوميه التي جعلتهم يرفضون دعوه موسى لهم بالتوحيد وتحرير بني اسرائيل من العبوديه لانهم كانوا يخافون من سقوط فرعون وجنوده فالتعصب القومي لدي الاقباط والخوف من تغلب بني اسرائيل علي فرعون والخوف علي المستقبل في حال تغلب موسى علي فرعون جعلهم يتصلبون في مواقفهم ويرفضون القبول بالحق وصار موسى بنظرهم يمثل خطرا وجوديا علي قوميتهم وهو ماتسبب في عدم العلم فلم يستخدموا عقولهم في التفكير السليم فقد شكلت العصبيه مانعا لهم رويه الحق ومانعا من الاستماع للحق وعدم معرفه الحق وعدم الاقرار به

فالافق الضيقه لدي الناس من اسباب اعاقه الانسان عن القبول بالحق لانه يكون واقعا تحت تاثير القوميه و العصبيه وانفعالاتها الخبيثه ولهذا فان المتامل لسلوك المستبدين والاستعمار في كل زمان نجد انه يعتمد علي سياسييه فرق تسد يقوم بتمزيق الرعيه الي طوائف واحزاب وجماعات عرقيه وقوميه فهذه سياسييه مستغلي الصراعات في كل زمان لبقاء سلطانهم والتفريط بالقيم لان التقارب بين مكونات المجتمع يعني زوال الاستبداد يعني القضاء علي الجهل والعنصريه والسلايه والطبقيه والقوميات ويحل محل ذلك العلم والعدل والمساواه وتعاون الحاكم والمحكوم علي البر والتقوي اما عند غياب منهج الحق فان الناس تتعاون علي الائم والعدوان في سبيل التقرب من الطاغوت ونظامه ولهذا فقد سعي فرعون جاهدا بسن القوانين القوميه التي زرعت العنصريه و الطبقيه بين افراد المجتمع المصري وتغللت تلك العقافه في النفوس فولدت الكبر والعناد لدي الاقباط بالشعور ان دعوه موسى تستهدف مجدهم وقوتهم التي صار فرعون رمزا يحمي قومتهم من خطر موسى ومن معه حسب تفكيرهم الفاسد

الامر الثاني

ترسم الايه لنا الحاله النفسيه التي تقف وراء عدم علم قوم فرعون بالحق وعدم الاقرار به بان سبب عدم العلم و القول به يعود لعدم اسبابه من النظر التام والاستماع لآيات الحق واعلامه فقال تعالى (وقالوا مهما تاتنا به من ايه لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين)

ليبان ان المانع من النظر والاستماع يعود لوجود مانع من الكبر في النفس ولدت فيهم تصور باطل وسببه عدم

غني النفس بالحق فتعتاض عنه بالخيال الباطل

ولهذا جاء اعلانهم هذا بالاصرار على التكذيب بالقطع قبل ان ينظروا للبرهان او يتفحصوا الدليل رافضين الا ستماع او النظر مهما كانت قوه الدليل فهم لا يرغبون بالحق ولا يقبلون به وليس لديهم نيه لمعرفة او النظر فيه ف لا يرغبون بمعرفه الحقيقه اصلا وهذا هو سلوك ابليس الذي تكبر علي امر الله متعصبا لاصله فقال تعالي عن ذلك (مامعنك الاتسجد اذ امرتك قال انا خير منه ..الخ

وهذا الرفض منهم يعني العناد والتابي والكبر في قبول الحق وهو سلوك ابليس لقوله تعالي (الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين) فعدم سجوده هو بدافع الكبر والعناد والتابي فدل ان المانع هنا متعلق بمعصيه الشبهه فالعناد والكبر والتابي يعطل الانتفاع بالعقل فالعناد اشد جرما من ارتكاب جرائم الشهوات التي تغلب فيها الشهوه علي الانسان لماذا

لان مرتكب المغلوب علي شهواته بعد ارتكاب الذنب يندم ويتالم بعد ان يفيق من غفلته اما المعاند المتكبر فانه يري نفسه عظيما وهو ينزع الله في ملكه وعظمته وجبروته ولهذا فلا يدخل الجنه من كان في قلبه ذره من كبر اما من غلبته شهواته فباب التوبه مفتوح وقد رد الرسول صلي الله عليه وسلم علي الصحابه عندما لعنوا شخصا ارتكب جريره شرب الخمر وتكرر منه ذلك فقالوا عليه اللعنه ما اكر ما ياتي منه فقال لهم النبي عليه الصلاه والسلا م لاتلعنوه فانه يحب الله ورسوله

فداء الشبهه خطير وهو داء ابليس اللعين وفرعون وملكه كانوا ينظرون لموسي ومن معه بانهم عبيد ليسوا بمنزلتهم فهم اقل منهم شانا فهم قالوا لموسي ذلك في معرض رفض القبول بالمساواه بينهم وبين بني اسرائيل رافضين دعوه الايمان والدعوه الي العدالة الاجتماعيه وتحرير بني اسرائيل من ظلمهم ولهذا قالوا (فما نحن لك بمومنين)

تفيد المبالغه في القطع بانتفاء ايمانهم بموسي والجملة الاسميه للدلاله علي ثبوت هذا الانتفاء ودوامه كما يفيد الباء تاكيد النفي وفي هذا المشهد عده توجيهات ومفاهيم لك اخي المسلم نذكر منها الاتي

المفهوم الاول

عليك اخي المسلم الانتباه من معارضة الحق مهما كان فاللازم ان تقبل به حتي ولو كان في مظهره اذي يلحق بك فالحق احق ان يتبع انتبه من العناد في الحق عليك الانتباه ان تقف في جانب غير جانب الحق فهذا يجعلك تقع في سخط الله انتبه من الهزل والسخرية بالحق ولو علي سبيل المزاح لان ذلك موجب للهلاك فالزم الحق وان كان اهله قله وضعفاء ف الله ينصر اوليائه والعاقبه للمتقين وهو تعالي يساعد المومنين ويبعد عنهم المهالك

المفهوم الثاني

انتبه من الجدل بالباطل لاجل اظهار قوه الجدل لا الحق فهذا الفعل من دعائم الكفر

واللازم عليك عند النقاس ان تكون قاصدا بذلك طلب معرفه الحق بنيه صادقه تهدف الي اكتشاف الحقيقه و القبول بها وان خالفت مصالحنا ورغباتنا

فمعرفة الحق يتطلب حسن الاصغاء والنظر التام للاداله والتفحص لها والاعلام لترزق نعمه معرفه الحق والاقرار به

فالايه تبين لنا ان مصيبه هولاء انهم لا يريدون سماع اداله الحق او القبول بالاستماع للاخرين يتضايقون من سماع الحق وادالته اذا لم يوافق رغباتهم

فعليك الانتباه من الجدل الذي يقود الي ارداه الغلبه لا انتصار الحق واظهار الحقيقه فهذا من سلوك الكفار

المفهوم الثالث

ان التذكير والحوار والنقاش مع الناس اذا لم يكن بهدف معرفه الحقيقه ولم يكن لديهم رغبه في ذلك فانه انما يودي الي مزيد من الاختلاف وبالتالي فعليك ان لاتجادل مثل هولاء الناس لانهم لايخير فيهم فلو كان فيهم خير ولو واحد بالمليون لسمعوا الحق فالله يقول (ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم)

رابعاً

(فارسلنا عليهم الطوفان والجرذ والقمل والضفادع والدم ايات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين)

وبالوقوف علي الايه نجد الاتي

الامر الاول

ابتدات الايه بالفاء (فارسلنا) للتفريع باصابتهم بهذه المصائب لبيان عنادهم واصرارهم علي الرفض لقبول الحق رغم تعدد المصائب فالارسال يطلق بمعني وجه كما قال (ارسل في المدائن حاشرين) وتاتي بمعني اطلق (فارسل معنا بني اسرائيل) اي اطلقهم من الاستعباد وتاتي بمعني انزل كما في قوله (يرسل السماء عليكم مدرارا) ولهذا فان قوله (فارسلنا عليهم) تفيد معني التوجيه للطوفان والجرذ والقمل والضفادع... الخ

وكلمه عليهم تفيد ان التفريع هو تفريع عقاب لا تفريع زياده

والمراد بهذا التفريع بيان الاتي

المفهوم الاول

ابتدات الايه بالفاء (فارسلنا) بالتفريع باصابتهم بهذه المصائب لبيان عنادهم واصرارهم علي رفض الحق رغم تعدد المصائب والعقوبات في المرحله الثانيه وتنوعها فلم ينتهوا لتعلم ان الكافر لا يبحث عن الحقيقه ولا يرغب فيها خاصه اذا كان فيه الكبر والشعور بالعظمه والخيلاء فان هذا يكون معاند وتجده يسخر من الحق واهله فذكرت الايه قبلها قولهم (مهما تاتنا به من ايه لتسحرنا بها.. الخ

فهم يسخرون من موسي وكانهم يقولون مهما جاءت به من مزاعم ايات ايها الساحر فان سحرك لن يصل اليينا وهذا نوع من الاستهزاء والسخرية باداله الحق واياته فهذا الجواب هو انكار لدعوي موسي ومقابله منهم للنواب التي تمعلت في المرحله بالقحط والجذب وما ترتب عليها من اضرار ماليه ثم تمعلت نواب المرحله الثانيه في عقوبات اشد منها فانزل عليهم نواب متفرقه مدمره لكنهم لم ينتهوا والتعبير بالايه هنا منهم من باب الاستهزاء و السخرية لان موسي وصفها بانها ايات الله وهم يفسرونها باسلوب الاستهزاء فهم مغرورون بالقوه واغنياء بالمال ومن كان هذا شاناه فانه يصعب مناقشته والنصوص توحى بان الجهاز الاعلامي في نظام فرعون كان يلعب دور في تزييف الوعي ولهذا فان التعبييه العامه للاعلام شارك في تعبييه الراي العام ضد موسي برفع شعار ان ما جاء به موسي هو نوع من السحر فقالوا(مهما تاتنا به من ايه لتسحرنا بها فما نحن لك بمومنين) فجاء تفريع العقاب بعدها بانه ارسل العقوبات التنبيهية العديده والمتنوعه لعلمهم ينتهون ولكنهم لم ينتهوا فقال تعالي (فارسلنا عليهم الطوفان والجرذ والقمل والضفادع ايات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين)

انهم رغم تنوع العقوبات التاديبية والتي تدل علي صدق موسي لاقترانها بالتحدي وما فيها من دلائل علي غضب الله عليهم فالفصل في الحقيقه يستعمل للتمييز بين الاشياء ويستعار لازاله اللبس والاختلاف في المعني (ايات

مفصلات) بانها لاشبهه فيها في كونه معجزه وقيل انها مفصوله عن بعضها لقوله تعالى (وما نريهم من ايه الا هي اكبر من اختها) فماهي النتيجة لقد استكبروا والجملة فيها تفريع علي ارسال الطوفان وترتيب ذلك وان ما بعدها كان استكبارهم للاشاره الي طريقه تفكيرهم فدل هذا علي انغماسهم في الضلاله والوقوف في وجه الحق وبعدهم عن التوفيق والسعاده فالايه (فاستكبروا) تدل علي فساد الفكر وغياب الوعي بالتوهم وتعاضم النفوس عن التصديق باداله الحق فشكلت ماده الكبر الشديده مانعا من النظر والاستماع لاداله الحق ولهذا استخدم السبين و التناء للدلاله علي شده الكبر فيهم ووصفهم بانهم مجرمين لرفضهم الاعتراف بالحق رغم تعدد الايات وبصيغته الجملة الاسميه للدلاله علي ثبات الاجرام فيهم وتمكنه ورسوخه منهم فوصف الاجرام الراسخ فيهم هو عله الا استكبار الصادر منهم ويبدل علي استمراره

المفهوم الثاني

(جنود الله)

ابتدات الايه بالتفريع بالفاء بقوله تعالى (فارسلنا عليهم

والارسال يطلق علي التوجيه كما قال تعالى (ارسل في المدائن حاشرين) وتستخدم بمعنى الاطلاق كقوله تعالى (فارسل معنا بني اسرائيل)

وتستخدم بمعنى الانزال كقوله تعالى (يرسل السماء عليكم مدررا) فاستخدم الجار والمجرور (عليهم) في جملة التفريع (فارسلنا) يراد منه ان تفهم ان لله جنود تقوم بتنفيذ اوامره في انزال العقوبات باعداءه لاننا لو سالنا انفسنا من الذي قام بتوجيههم بذلك الامر من الذي امر الطوفان بتدمير ارض مصر واتلاف المحصولات واغراق الا رض من الذي امر الجراد باتلاف المحصولات الزراعيه من الذي امر القمل ليكونوا سلاحا يدمر المحصولات او يوذي الاجسام من الذي امر الضفادع لافساد الحياه ومن الذي جعل المياه تصير دم لابد ان الجواب هو الله تعالى و تفهم من النص ان الذي امرهم بتنفيذ العقوبات هو الله تعالى فهذه المخلوقات كلها جنود الله تعالى شاركت في المعركه ضد الباطل فكلمه ارسلنا تعني انهم تلقوا الاوامر من الله لتنفيذ العقوبات التاديبه ضد فرعون وملئه ف الحندي يعرف بهذا الاسم لبيان انه يتلقى الاوامر ويقوم بتنفيذها فهو الاداه التي تستخدم لتنفيذ العقاب

ابتدات الايه بالتفريع (فارسلنا عليهم) لتفهم ان لله جنود يرسلهم لنصره الحق فعليك ان لاتخاف من الاعداء مهما كانت قوتهم فاللازم ان تقاوم الظلم فنحن اليوم مثلا نعيش تحت وطاه الاستعمار الذي نهب ارضنا في فلسطين وهناك استعمار غير مباشر لا يختلف في وطته علي الاستعمار المباشر بل ربما هو اشد لانك تجد ابناء جلدتك يقفون بوجه الحق لخدمه الكفر واهله تنهب ثروتنا وتسخر امكانيات الدول الاسلاميه ومقدراتها ضد ابناءها وضد مبادئ الاسلام وضد مصالح الامه والشعوب

فهل نستسلم امام هذا الاحتلال يقول لك الحق انتبه من الوهن والضعف فانت قوي بمن ب الله تعالى ولهذا ابتدات الايه بالتفريع (فارسلنا)

لتفهم ان هنالك قوه و جنود لله يرسلهم الله لمعاونه اوليائه ونصرتهم يرسلهم للقيام بالتدخل لتغليب كفه المومنين واظهار دينه فعليك ان تعلم ان لله جنود تقف في صف الحق وهو تعالى قد وعد عباده بالنصر

المفهوم الثالث

يريدك الحق ان تفهم انه تعالى يقوم بتدبير الامور كلها وهو تعالى لا يعجزه شي وان جميع المخلوقات هي في الا صل جنود لله تعالى فحتي فرعون الجاحد كان جنديا لله رغم انفه فقد كان كفره وجحوده لحكمه ليري الله من يستسلم لفرعون ومن يتبع موسي ولهذا فاللازم ان تثق ب الله تعالى ونصره فلا تضعف اذا كنت مع الله

ولذلك نجد تعدد الايات المبينه طبيعه جنود الله التي شاركت في هذه المعركه لتبرز الايه التوافق بين العقوبات وبين ماتقوم عليه الحضاره الفرعونييه الماديه الكافره والتي كانت قائمه علي ابداعات متنوعه ولهذا كانت العقوبات التنبيهيه متنوعه تتناسب مع ذلك التنوع الذي تميزت به الحضاره الفرعونييه في الابداع الزراعي و الصناعي وفن الري وبناء السدود فقد ابتدأت بمساله الطوفان والكلمه علي وزن خوف وتعني الشئ الذي يطفوا ويدور ثم اطلقت هذه الكلمه علي الحادثه التي تحيط بالانسان واطلقت علي السيول والامواج المدمره التي تاتي كل شئ وتدمره وتقتلع الاشياء من جذورها

فكان الطوفان مفاجي لهم ابداعاتهم في تلك الجوانب المشار اليها تعود الي العلم المادي الذي توصلوا اليه فهذه العلوم تجعل المرء ينظر الي القوانين المحكمه التي تحصن البلاد من الكوراث فالطوفان لم يكن متوقعا بالنسبه لهم لانهم قد وضعوا قنوات الراي القادره علي تصريف المياه وابعاد شبح اي كارثه مائيه عن انفسهم وارضهم فكانت مساله الطوفان ايه عظيمه لانها اخرجت حركه نهر النيل والامطار الساقطه علي مصر عن قوانينها التي يعرفونها فالامر معجزه فمصر قليله الامطار ثم ان التهديد بالطوفان لم يشمل جميع الناس بل توجه الي فرعون وقومه ولم يهدد حياه بني اسرائيل الذين كانوا يعيشون في الصحراء بعيدا عن شاطي النهر فخروج الطوفان عن قوانينه يدل انه انتقل الي قوانين المشنيه الالهيه المطلقه والامر لا يحتاج الي تفسير علمي وكذلك لم يجد الفراعنه تفسيراً لعدم تهديد الجرد محصولات بني اسرائيل وكذلك فان فرعون وقومه وجدوا انفسهم مهديين بالقمل توذي اجسادهم رغم انهم في منازل محصنه من هذه المخلوقات وفق النظريات العلميه التي حرصوا علي مراعاتها عند تشيد منازلهم والعجيب انها لم تدخل منازل بني اسرائيل المتوضعه والتي لم يراعي فيها ايان من تلك الاحتياطات عند البناء وهكذا هو الحال بالنسبه للضفادع والدم فلم تعد لفنون وعلوم السدود وقنوات الراي و لا فن البناء ولاغيرها من العلوم وقوانينها اثر فقد تعطلت واصبح هذا العذاب يهدد فرعون والاقباط ولم يؤثر في بني اسرائيل والسؤال هنا ما الذي جعل الطوفان والجرد والقمل والضفادع والدم كلها تهدد الفراعنه ولاتمتل خطرا لبني اسرائيل لماذا؟

المفهوم الاول

لأنها جنودا لله تعالي وقد صدرت لها الاوامر من الله تعالي ان تهجم علي فرعون وقومه ففعلت مثل البحر الذي له قوانينه الخاصه ونعرف ان القوانين التي تحكم البحر ليس فيها ان ينشق البحر ان يضربه احد ما بعضا فاراد بهذا ان تعلم ان الله الاحد الصمد اذا خلق قانونا خضع له القانون ولم يخضع هو للقانون فعليك ان تفهم ان المشنيه الالهيه المطلقه تبقي هي مصدر القانون وفوق القانون فهو تعالي اذا اراد شي فانما يقول له كن فيكون فكل شي ينتهي الي الله ومايعلم جنود ربك الاهو

المفهوم الثاني

يعلمنا اهميه التفريق في المعامله بين المسي والمحسن فلا تكون المعامله عندك بمنزله سواء ولهذا تبين الايات ان الله وجه جنوده من الطوفان والجرد والقمل والضفادع والدم لتاديب فرعون وقومه فالعقوبه خاصه لم تطال بني اسرائيل فنجاه بني اسرائيل تدل علي التفريق في المعامله

فلو عم البلاد كلها لما كان له معني لكن حينما ينجي الله المومن فمعني هذا ان انه تعالي فرق بينهما علي معيار ما الزم كلا منهما به نفسه فالمسي الزم نفسه استحقاق العقاب واما المحسن فقد الزامها استحقاق الكرامه ولان المساواه بالمعامله يعني قتل روح الابداع والاحسان ولهذا لا بد من المعامله بالمثل فالله يقول وهل جزء الاحسان الا الاحسان... كما ان عدم التفريق بين المسي والمحسن فيه تشجيع لاهل الاساءه علي الاساءه فلايمكن ان يتساوي المومن مع الكافر ولا الكاذب مع الصادق

الامر الثالث

قد يقول قائل كيف تعتبر المعامله عنوان لرضا الله وسخطه في حين ذكر الله في موضع اخر ان ذلك المعيار فاسد فقال تعالى (ايحسبون اننا نسارع لهم في الخيرات)

الجواب :

الايات وردت في مقام التاديب وليست في مقام الابتلاء الذي يختبر الله به عباده ليعرف من يصبر علي قدره تعالي في الشده والخوف والفقر والجوع والمرض ممن يجحد ويكفر ويشكو من قدر الله وكذلك الابتلاء بالغني و الاقتدار ليعرف من يشكر الله ممن يجحد انعامه فهذا موضوع يختلف عن ما ذكر في هذا المقام المتعلق بالتاديب كما ورد في الحديث عن الرسول صلي الله عليه وسلم ما تلف مال في بر او بحر الا بحبس الزكاه

ولهذا عندما نقرأ الايات في مقام التاديب ينبغي ان ننظر اليها بشكل مختلف عن مقام الابتلاء فمقام التاديب ينبغي ان نعود الي انفسنا لنصلح ما بيننا وبين الله اما مقام الابتلاء فعلينا ان نكثر من الدعاء ونصبر علي قدر الله

فالاصل ان مقام التاديب يعيد المرء الي الحق ولمقام التاديب علامات فمولا شاهدنا علي شاشه التلفز في ازمه تسونامي ان الكارثه حلت بجميع المباني ومن كان بسواحل اندونيسيا عدا. جامع كان فيه اناس يصلون فلم يصبه اذي اليس في هذا رساله من الله ان التسونامي تاديب لاولئك الذين اتبعوا شهواتهم اليس في ذلك رساله من الله لعباده المومنين يطمئنهم فيها بعنايته وعطفه يدعوهم فيها الي الثبات وكذلك شاهدنا في ليبيا عند انهيار السد انه دمر كل شي مر عليه قبل عامين تقريبا الا منزل لم يصيبه باي اذي تحدث الناس ان هذا المنزل كان صاحبه يلقب ابو الايتام فقد جعل منزله ماوي للمحتاجين اليس في ذلك رساله تستدعي من كل الناس ان يفهموا مدلولاتها وماذا يريد الرب ان يقول لهم ف الله تعالي يقول في موضع اخر (ام حسب الذين اكتسبوا السيئات ان نجعلهم ك الذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون)

خامسا

مما سبق يتضح لنا انه في مقام التاديب والعقاب لا يمكن ان يتساوي المستقيم مع المجرم والمنحرف اطلاقا لماذا?

الجواب :

لان الهدي يرفع الانسان فالعمل الصالح يرفع الانسان والعبودية هي مصدر عز الانسان اما الكافر فانه يتوهم نفسه ذو قوه وانه عظيما ولهذا فانه لا ينتفع بوضوح الحق ولا يقوده الي ما فيه سعاده لان الضلال يرديه ويعطل حواسه فلا يري الحق مهما كان واضحا فالكبر يمنعه من رويه الحق او سماعه ولهذا قال تعالي (ايات مفصلات)

انها كانت منسقه الخطوات تتبع كلا منها الاخرى وتصدق اللاحقه وهنالك فواصل زمنييه بينها فانزل الله الطوفان ثم رفعه ثم وجه الجرد ان تاكل المحصولات الزراعيه .. فهي جاءت متفرقه وهذه الفواصل منحتم فرصه للتفكير والانتباه لما هم فيه لكنهم لم يفكروا بسبب الاستكبار الذي هو سبب اجرامهم فهو مانع لهم من معرفه الحق والا قرار به ولهذا فان المجرم لا ينتفع من الرسائل التنبيهيه فهو يتنقل من مصيبه الي مصيبه ولكنه يظل في اجرامه لوجود المانع من الايمان بانه داخل نفس الانسان انه القلب اما المومن فانه يكون موافقا متوازن لان الله يشرح صدره الايمان ولهذا تاتي الايه تحكي لنا واقع فرعون وقومه في كل مره تاتيهم الايات فقال تعالي (ولما وقع عليهم الرجز قالوا ياموسي ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الي اجل هم بالغوه اذا هم ينكمون)

وهذا فيه الاتي

بانهم في كل مره تحت ضغط العذاب كانوا يطلبون من موسي ان يدعوا الله لينقذهم من العذاب ويقسمون بـالله ان رفع العذاب عنهم بانهم سوف يؤمنوا بصدق رساله موسي وانهم سوف يطلقون بني اسرائيل من الاستعباد ويعطونهم حق المواطنه وحرية الاقامه في مصر او الخروج منها وفي كل مره ينقضون العهد الذي قطعوه وهكذا تتكرر العمليه فيعودن الي ما كانوا عليه من قبل من الكفر والجحود وهذا فيه الاتي

المفهوم الاول

تبين الايه ان هنالك فرق بين تفكير المومن وتفكير الكافر

فطريقه تفكير الكافر ومفاهيمه للحياه وسلوكه وكلامه يختلف لانه يفسر الامور من منطلق الكبر والاجرام الذي نشا عليه ينظر للاشياء وفقا لاهوائه ليس لديه منهج يسير عليه في حياته ولهذا لا يستفيد من التجارب التي يعيشتها ولا يفهم رسائل الرب وتوجيهاته اليه واما المومن فانه يسير وفق منهج الله يربط كل حركه بمنهج الله ولهذا ينتفع المومن من الاحداث التي يمر بها لانها يتمكن من فك الشفره التي تحملها الرسائل الربانيه لعباده فيراجع حساباته ويصلح علاقته مع ربه وفي حاله الابتلاء يصبر

فالمومن يستقوي بالله تعالي ويعتز بالعبوديه لله ويستعلي بالاتصال بالله وبالحق فقوه المومن في الدعاء لانه يشعر ان له ربا يقف معه فمعرفه الله تعني العطاء والرحمه العظيمه فالمرء لا يجد السعاده الا بمعرفه الله ومحبتة وعبادته فشهادته الانسان ان لا اله الا الله فيها خروج الانسان من ومن سجن الغربه الانانيه والذات ويتصل بمصدر القوه فالشهادته تعني انه يشهد ان له ربا يبسط عليه المن الالهي والرحمه فيعرف انه ليس في الكون وحده فاذا استقرت هذه الحقيقه تحرر الانسان من الغربه والخوف فلا يخاف احد وتحرر طاقاته من السكون ويصير الانسان حرا لانه يشعر ان الله معه فلا يحس بالغربه ولا يحس انه وحيد لانه اذا كان الله معك فهو خالق الكون والا تصال به يعني الامان وهذا اول ما يتعلمه المسلم ولهذا لا ينهار المسلم امام التحديات لانه يسير وفق منهج الله لا يروغ المسلم ولا يضعف فهو يلجا الي الله بالدعاء ويستغني بالله فهو القوي الذي لا يقهر اما الكافر فانه ينهار ويضعف وقت الشدائد ولهذا ترسم لنا الايه صورته الكفار عند الشدائد عندما وقع عليهم المصائب قالوا يا موسي ادع لنا ربك .. لماذا لم يلجاوا الي فرعون الذي زعموا انه اله وانه ربهم الاعلي لقد شاهدوا انه ليس فعال وليس بيده شي لكن اله موسي بنظرهم فعال لما يريد

المفهوم الثاني

تبين الايه ان من ترك منهج الله وسنه رسوله اصاب بالذعر والخوف عند حلول المصائب التي يعجز عن ردها بما يستعلي به من قوه وجاه ومال وضرب الله لنا مثال لذلك (ولما وقع عليهم الرجز)

اي لما اصابهم الطوفان والجرذ.. فالرجز هو العذاب بشكل عام ولكن المقصود به هنا ما ذكر وليس هنالك دليل علي انه الطاعون كما ذهب البعض بل الموكد هو الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم يقول ابو السعود(اي العذاب المذكور علي التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحده من الايات المفصله اي كلما وقع عليهم عقوبه من تلك العقوبات قالوا يا موسي ... فالمراد بهذا بيان الي حقيقته

انهم في كل مره يتعرضون للعذاب والسخط الذي كان يحل بهم كانوا في كل مره يلجاون الي موسي طالبين منه ان يتوجه بالدعاء الي ربه اي ان قوه المومن هي الدعاء والاتصال بالله فرفع العذاب اخي المسلم انما يكون ؛ الدعاء والتوبه والانابه الي الله وهذا ما فهمه اعداء الله من اتباع فرعون فقالوا لموسى (ادع لنا ربك بما عهد عندك)

اي بما عرفك واودع عندك من الاسرار وهذه عبارته متحير من امر ملتبس عليه الاداله والباء بما عهد عندك مرتبط ؛ الدعاء وما مبهمه موصوله اي ادعه بما علمك ربك من وسائل اجابه دعائك عند ربك وهذا يعني انهم جوزوا ان

يكون موسى مبعوثاً من ربه

المهم هنا ان الايه تبين انهم لجأوا الي موسى لانهم لايعرفون الطريق لرفع العذاب ويعلمون ان موسى يعرف هذا الطريق ومن هنا نفهم ان الاتصال ب الله وانشا علاقه مع الله انما يكون بالتزام منهج الله تعاليدوالتلذذ بطاعه الله فالبلاد لايرفع الا بالانابه الي الله فالايه توحى ان موسى كان يربعهم باتصاله بربه فقالوا (ادع لنا ربك)

وقال تعالي في موضع اخر عن فرعون (ذروني اقتل موسى وليدع ربه ..الخ

ان فرعون كان خائفا من العلاقه التي يتصل بها موسى بربه كان فرعون مرعوباً وهذا انما يكون بالتزام منهج الله

فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول نصرت بالرعب مسيره شهر)

ولهذا لما ترك المسلمون منهج الله وطغي بينهم التعصب والانانيه وحب الذات وانقطعوا عن مفاهيم الايمان الحقيقي والقيم التي تحملها الشعائر لم تفهم الامه دورها في حمل الامانه وتخلت عن واجبها وانفصلت عن مفهوم القوه والاستعلاء الحقيقي بالاتصال ب الله والتزام منهجه وصارت تنظر الي المال والجاه والسلطان مصدر القوه وصارت تتنافس علي حب الدنيا وتخلت عن الجهاد لكراهيه الموت فقد اصيبت بالوهن وهو ما حذر منه الرسول صلي الله عليه وسلم تندعي عليكم الامم كما تندعي الاكله الي قصعتها قالوا امن قلله نحن يومئذ يارسول الله قال لا ولكنكم غثاء كغثاء السيل يلقي عليكم الوهن قالوا وما الوهن يارسول الله قال حب الدنيا وكراهيه الموت وفي روايه وتنزع المهابه من صدور عدوكم)

فالوهن هو الضعف الباطن والظاهر بسبب التعلق القلبي بالدنيا وامالها واعمالها وشهادتها وصناعتها والا ستقرارالمادي الصوري يولد الضعف لان الناس يعتقدون ان السعاده بالراحه والمال والجاه والسلطان

والاتصال بالاقوياء ولو كانوا كفارا فانهم يلهثون تحت اقدامهم طلبا للعزه ويتباهون بان امريكا تحميهم وان لهم ع لاقه حميمه بدوله اسرائيل اليس هذا هو الواقع الذي تعيشه الامه اليوم لماذا لانها تركت منهج الله الذي لو التزمت به فانها تجد مصدر القوه الحقيقي وهو الاتصال ب الله فلماذا تخاف اذا كان الله معك عندها لن يجرؤوا الاعداء ان يتدخلوا بشؤوننا لكن الابتعاد عن منهج الله وقبول صداقه الكافر ولو علي حساب المبادي والقيم وتبرير ذلك بعده مسميات مثل حقوق الانسان والمنظمه الدوليه جعلت الاعداء يتجرؤن علي اختراق صفوف الامه رغم الاعداد السكانيه الكثيره ومن خلال هذا الاختراق قاموا باعاده ترتيب الامه لتدور في فلكهم لاننا طلبنا العزه من غير الله اذلنا الله فاذا اردنا القوه فعلينا ان نقتدي بموسى ونطلب العزه من الله وحده ولنلتزم منهج الله

المفهوم الثالث

ان طبيعه الكفار انهم وقت الشدائد يبحثون عن وسيله للخلاص فهم قد التفتوا الي مساله كفرهم والعنصريه فهم يدركون انه يجب تصحيح اوضاعهم بالعوده الي الايمان التوحيد وتحقيق العداله الاجتماعيه بتحريير بني اسرائيل ولكنهم متمسكون بكفرهم فقال تعالي (لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك معك بني اسرائيل)

ولهذا جاء القسم في جمله استغنافيه بيانيه فيه بيان ان طلبهم من موسى الدعاء بكشف العذاب مع سبق كفرهم ف القسم باعتبار ان موسى سوف يقول وماهو الجزء المقابل علي رفع العذاب فجاء القسم بقطع العهد علي انفسهم ب الايمان بان موسى نبي وتحريير بني اسرائيل

وهذا نوع من المرواغه التي كانت بنظرهم سياسيه وذكاء منهم وهو ما يعتبروه الكثيرون اليوم تدبير سياسيه للوصول الي السلامه والسلطه والتمكين فارتباط اهل الكفر بالمصالح التي تجمعهم مع النظام تعكس علي سلوكهم

لانه يولد فيهم عدم الوفاء بالعهود والشعور بنشوه خداع الاخرين فالايه تستعرض لنا هذه المرواغه التي هي شان الكفار في كل زمان كما قال تعالى (يخادعون الله والذين امنوا وما يخادعون الا انفسهم) وهنا قال تعالى (فلما كشفنا عنهم الرجز الي اجل هم بالغوه اذا هم ينكتون)

لقد اعماهم التعصب والمصالح التي تربطهم بنظام فرعون عن الايمان فلم يعودوا الي رشدهم رغم انهم اقسماوا الايمان المغلظه انهم سوف يؤمنون اذا رفع الله عنهم العذاب ويطلقون بني اسرائيل الي حال سبيلهم لكنهم ينقضون العهود ويعودون لما كانوا عليه قبل رفع العذاب

فجمعت الايه النكوث كانه وقع مره واحده مثلما جمع الايات في البدايه لبيان ان القلب المنكوس يتلقي التجارب ولا ينتفع بها ولبيان ان الايمان انما يكون بالاعتناع والرضا والقبول وليس قهرا ولا اضطررا فالانسان حينما لا يكون اقباله علي الايمان بالرضا والقبول فلاقيمه لايمانه لانه يكون ايمان اضطرري ومرواغه تحت الضغط فاذا وجد فرصه فانه يعود لكفره كما قال تعالى في الانعام (بل بدا لهم ماكانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون)

سادسا

تبين الايات ان موسي ظل صابرا يدعوا فرعون وقومه للايمان ولكنه لم يستطيع اقناعهم رغم الاداله والبراهين فقد حملهم التعصب الاعمي لنظام فرعون القوي علي التمسك بقياده فرعون ونظامه ورفضوا العوده الي الرشد فكانوا ينكثون العهود التي اعطوها موسي فقد استدراجهم الله بذلك فقال تعالى (فانتقمنا منهم فاغرقتاهم في اليم بانهم كذبوا باطنا وكانوا عنها غافلين)

فقد عميت بصائرهم وعندما علم فرعون بخروج موسي من مصر حشد كل قواته وجنوده لاجل اللحاق بهم وعندما وصل موسي الي البحر راى خلفه فرعون وجنوده وقال بني اسرائيل هذه النهايه انا لمدركون فقال موسي كلا ان معي ربي شهيدين فارشده الله ان يدخل البحر فانفلق البحر بضربه عصا ودخل فيه موسي واتبعه فرعون ومن معه فاغرقتهم الله في البحر فقال تعالى بعدها (بانهم كذبوا باطنا وكانوا عنها غافلين واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاريها التي باركنا فيها وتمت كلمه ربك الحسني علي بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون)

وهذا فيه بيان الاتي

الامر الاول

عليك ان لا تستسلم امام قوه الاستكبار مهما كانت فلا تخضع طالما انك علي الحق فانه تعالى يقف مع اوليائه فالاعداء لن يتمكنوا من القضاء علي الحق مهما كانت قوتهم فعليك ان تفهم ان كل شي من تدبير الله فقد جعل الله هلاك فرعون وملئه علي يد موسي الذي تربى في قصر فرعون وكان البحر سببا لنجاه موسي هو سبب هلاك فرعون لتعلم انه سبحانه وتعالى القاهر القوي العزيز فعال لما يريد

الامر الثاني

يقول لك الحق ان الانتفاع بالعلم و الايمان يحتاج الي قبول الشخص وارادته له باختيار منه فهذا هو الذي ينتفع بالعلم و الايمان فقوم فرعون كانوا قد شاهدوا الايات ومع ذلك اعماهم التعصب الاعمي عن رويه الحق الواضح فالعناد اوصلهم الي الذل والهون بل ان فرعون وقومه لحظه دخول موسي وقومه البحر شاهدوا معجزه كبيره فليس من شان القوانين التي تحكم البحر ان ضربه العصا يجعله ينفلق كان بإمكان فرعون وقومه التوقف عن متايعه موسي داخل البحر فقد كان المشهد كافيا ان يعودوا لرشدهم ووعيهم فيعرفوا الحق او علي الاقل يتوقفوا

عن متابعه موسى لكن تكرار التكذيب منهم لايات الله جعلهم بلا احساس وتعصبهم الاعمي اعمى بصائرهم ومنعهم من معرفه الحق والاقرار به حتي. وقعوا في الغرق

الامر الثالث

عليك ان تدبر نهايه المعركه بين الحق والباطل انظر الي نهايه الظلم والطغيان فهذا فرعون امام الطغاه ورمز الظالمين والوثنيه السياسيه رمز الاستكبار العالمي اهلكه الله واستدرجه بتلك الطريقه امام انظار المستضعفين من بني اسرائيل الذين قالوا لموسي انا لمدركون كانت نهايتهم بتلك الخارقه التي نفذ البحر امر الله وتوقفت القوانين الطبيعه واغرق الله فرعون ونزع عنه وقومه السلطان والقوه ومكن الله لبني اسرائيل في الارض واستخلفهم كما وعدهم ليعبدوه واظهر الله فعليك ان تفهم ان هذه من النتائج الضروريه لسنه الاستبدال التي هي من السنن الالهيه الحاكمه والتي فيها البشاره للمستضعفين في الارض ان هم اقاموا منهج الله في حياتهم فان الله سوف ينصرهم فكن اخي المومن واثقا ان الله سوف ينزع سلطان الاستعمار والطغيان والاستكبار العالمي الذي يحتل ارضنا علي ايدنا ان نحن اقمنا منهج الله وقمنا بواجب حمل الامانه وصبرنا في سبيل الله وتحملنا الاذي لاجل طلب ارضاء فسوف يهلك الله فرعون هذا الزمان كما اهلك فرعون زمن موسى فاصبر وكن واثقا بتحقق وعد الله فالله لا يخلف المعياذ فهذا المثال ضربه الله للفته القليله في مكه المطارده من قريش لتري نهايه الظلم وهو مثال لك اخي المسلم لتري نهايه الطغاه في كل زمان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع التاسع

الاعراف

هذه المقطع امتداد للمقطع السابق الذي تناول الشطر الاول من قصه موسى عليه السلام مع فرعون وقومه الي ان اهلاكه الله تعالى وقومه في البحر غرقا ونجا الله موسى وبنو اسرائيل من الغرق فابتدات آيات الشطر الثاني من مشهد. يصف حال بني اسرائيل من بعد ما انجاهم الله من الهلاك وبعد اغراق فرعون وقومه اي انها توصف حال بني اسرائيل بعد ان انجاهم من عدوهم فرعون وقومه فقال تعالى (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا علي قوم يعكفون علي اصنام لهم قالوا ياموسي اجعل لنا الها كما لهم الهه قال انكم قوم تجهلون ان هولاء متبروا ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم علي العالمين واذا انجيناكم من ء ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناكم ويسحقون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم)

وهذا فيه الاتي

اولا

ان الايات توصف حال بني اسرائيل بعد النجاه والسلامه من الهلاك الذي حل ببني اسرائيل فقال تعالى (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا علي قوم يعكفون علي اصنام لهم قالوا ياموسي اجعل لنا الها كما لهم الهه) وهو ما نفهم منه ان الايات تتحدث عن مرحله جديده من حياه بني اسرائيل مرحله ابتدات بنصر الله لهم وتذوقهم الحريه بعد الاستعباد فكيف كان حالهم تنقل لنا الايات انهم كانوا في انحراف وفساد عقلي وقلبي ونفسي وفطري فتذكر لنا الايات انهم اصابوا موسى بالاعياء وهو يحاول اصلاحهم واعاده ترتيب اوضاعهم واثاره احاسيسهم وهم يقابلون ذلك با لصرار علي الفسوق والكفر والعصيان ولهذا تنقل الايات حال بني اسرائيل لاجل الاتي

الامر الاول

(تحذر الايه من مصيبيه التعايش مع الاستبداد)

نجد ان النصوص ترسم لنا حال بني اسرائيل ومايعانون من افات وامراض استوطنت اوعيه الفكر والتصور و القلب والفطره نتيجه الاستعباد الطويل الذي عاشوه تحت قهر فرعون وقومه حياه الذل والهون والعيش بلا كرامه ولا حقوق فقد اعتادوا علي نمط تلك الحياه وصارت طبائعهم متبلده الاحاسيس والمشاعر لم يعودوا يباليوا بانهم احرارا وان الله خلقهم احرارا فقد اثر فيهم التعايش مع الاستبداد

بفقدان الكرامه والشجاعه واعتادوا علي التخفي بالمشي جنب الحيط باللغه العاميه ..لتفادي الاخطار لقد فقدوا الهويه التي كانوا عليها بعد يوسف عليه السلام وفقدوا الكرامه والادمية فالتعايش مع الوثنيه السياسيه الا ستبداديه والاذلال والاهانه والعمل في خدمه الاقباط افسدت فطرتهم وتصوراتهم وعقولهم وامتلات نفوسهم بـ الخوف والذل والهون وفقدان العقه بالنفس

فهذا الداء من اخطر الافات التي تصيب الانسان لانها تورث الخبال والتخلف والعجز وعدم القدره علي فهم ما يدور حولك فنتائج التعايش مع الاستبداد وخيمه خاصه عندما يكون هذا الاستبداد مجتمعي اي يشارك المجتمع في ممارسته وليس النظام وحده فالاستبداد المجتمعي اخطر تاثيرا من استبداد النظام الديكتاتوري لقد نقلت التجارب التاريخيه لنا ان العبيد في امريكا كانوا هم انفسهم اول من وقف في وجه دعوه تحريرهم في منتصف القرن الماضي

وليس الامر ببعيد ففي اليمن مثلا هناك ظاهره استحي ان اتحدث عنها للاسف الشديد واقع نعيشه هي معاناه طبقه المهمشين (الاحدام) هم اخوان لنا في الدين والوطن والعروبه لكنهم ذوي بشره سوداء يقال انهم من اصول افريقيه المهم هذه طبقه تعاني من استبداد المجتمع وتقاليد المذمومه وبرغم انه بعد التحرر من الامامه ومن الاستعمار فتحت لهم المدراس ولا يوجد اي مانعا قانونيا امام الارتقاء بهم لكن هذه الفئه مازالت تتجرع المعاناه وبنفس الوقت اذا اردت ان تدمجهم في المجتمع للاسف الشديد تجد الاغلبيه العظمي منهم تقف ضد حريتها لقد كرس الاستعباد ثقافه الذل والضعف فيهم وانعدام الثقه بانفسهم

فهذا الداء للاسف الشديد من اخطر الامراض التي تفسد الانسان وتقتل ادميته وتقضي علي كرامته تفقده القدره علي الفهم والادراك لما يشاهد من احداث ولهذا تنقل لنا الايات هذا المشهد المولم فاقدامهم لم تجف من اثار مياه البحر فقد شاهدوا انعام الله عليهم بالنجاه والسلامه ف الله يقول (وجاوزنا بني اسرائيل البحر)

وجاوز الشئ بمعني عداه وانفك عنه والحديث عن الله تعالي بضمير المتكلم لبيان انهم تجاوز البحر بعنايه الله فكانه معهم بذاته فجاوزه مصاحبا لهم بالسلامه والامان بان فلق الله البحر وعبروا الي الشاطي بعدما اهلك الله فرعون فعندما وصلوا الي شاطي البحر بامان وقعت ابصارهم علي قوم وثنيين يعكفون اي مستغرقين في طقوسهم الوثنيه وهم في هذا الموقف يطلبون من موسى الذي اخرجهم من مصر باسم رب العالمين الذي ارسله لاخرجهم من الظلمات الي النور ماذا يطلبون انهم يطلبون من نبي الله ان يجعل لهم اصناما الهه مثلما لاهل تلك القرية اصنام فهذا القول منهم خلال فرحه العبور اختلط بطلب لايقوله الا حمق او غبي لم يفهم الدرس يدل علي انهم لم يفهموا ما علمهم موسى من عقيدته التوحيد خلال ثلاثه وعشرين سنه مابين بدايه دعوه موسى وبين الخروج من مصر لم يفهموا المعجزه التي مازالت حاضره ومازالت ثيابهم لم تجف بان من انقذهم هو الله وهذا من رواسب الفكر الجاهلي وفساد الفطره والعقول والقلوب نتيجته التعايش مع الاستبداد والقبول بالذل والهون لانه يبيلد الاحاسيس ويقتل المشاعر ويولد قساواه القلوب وغلاظه الطباع ولهذا فالايات تحذرنا من التعايش مع الاستبداد

فعليك اخي المسلم ان تقاوم الظلم والاستبداد فليس في الاسلام دعوه للذل والخنوع كما يحاول ائمه الضلال تصويره بانه يدعوا لقبول الظلم فقالوا طاعه ولي الامر وان جلدك... فطاعه ولي الامر مرهونه باقامه العدل وقيم ومباني الدين واول هذه القيم الحريه والمساواه والشوري والمواطنه المتساويه وتطبيق منهج الله تعالي فالطاعه تكون في قبول حكم الله الذي يقوم ولي الامر بتطبيقه فاحترام سياده الشرع هو الذي يوجب الطاعه لقوله تعالي (فلا وربك لا يؤمنون بك حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدون في انفسهم حرجا مما قضيت... الخ)

فالاسلام حرص علي حريه الانسان وصان كرامته وحفظها ومنع ايان كان من المساس بها وخير مثال علي ذلك هو استدعاء عمر بن الخطاب عامله علي مصر عمرو بن العاص لاجل انصاف الشاكي القبطي الذي قال له ابن عمرو العاص انا ابن الاكرمين ولطمه في خده فقد امر عمر بن الخطاب ابن العاص بالحضور الي المدينه وامر القبطي ان ياخذ بحقه وقال قولته المشهوره متي استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا هذا هو منطق الاسلام وما كان تربيته المومنين عليه فانتبه من التعايش مع الاستبداد فذلك هو الكفر بعينه لان اول خطوه يخطوها العبد في عقيدته التوحيد انما تكون بتحرير الانسان من كل الاصنام واعاده للانسان حريته وادميته وانسانيته وكرامته ومن ثم تترك له حريه الاختيار فالعقيده الاسلاميه تحمي الانسان وكرامته وحريته من الازلال فكيف يقبل بالتعايش مع الاستبداد كلا والف كلا لان الاسلام هو دين الحريه والكرامه والعزه

الامر الثاني

(من اين يبدا الداعيه في معركه تحرير الانسان)

ان اول خطوه نحو الطريق المستقيم يبدا بتخليص وتنقيه الاوعيه الذهنيه والعقليه والقلبيه والنفسيه من اثار

ركام الفكر الجاهلي ورواسبه اذ لايمكن احداث التقدم والتطور قبل اجراء العمليه الجراحيه والتربويه في اوساط المجتمع المسلم لتخليصه من اثار ورواسب الجاهليه وافكارها وما علق بها فعلي الداعيه ان يدرك ان مهمته سوف تكون شاقه وصعبه لانك سوف تجد الجاهليه تقف في طريقك تحاول ان تصدك فانت سوف تجد نفسك امام حاله افراط او تفريط حين الرجوع الي الماضي نتيجه عدم الاستفاده من الدروس والتجارب او تشدد وهنا تكمن المصيبه لان تفريط صاحب العقيده يولد الاستهانه بالقيم والمبادي وتتحول العقيده لديه لمجرد شعارات وفي الطرف الاخر تجد المتطرف ولهذا فانت بحاجة الي الاعتدال والوسيطيه واول خطوه في هذا الطريق هو تنقيه الاوعيه القلبيه والذهنيه والنفسيه من ركام الفكر الجاهلي وهذه المهمه صعبه وتحتاج الي مضاعفه الجهود وتحتاج الي الصبر علي ماسوف تجد من مشاهد انتكاسات بعد كل مرحله وعوده الي الماضي الجاهلي فقد روي احمد و النسائي عن ابي واقد قال خرجنا مع الرسول صلي الله عليه وسلم فمررنا ..فقلت يارسول الله اجعل لنا هذه ذات انواط كما للكفار ذات انواط فقال الرسول صلي الله عليه وسلم هذا كما قالت بنو اسرائيل لموسي اجعل لنا الهاكما لهم الهه ...انكم تركبون سنن من قبلكم

الامر الثالث

(اهميه تقيم انتفاع المتعلم بالعلم النظري والتجارب)

من الاهميه ان يخضع القائد والمربي والمعلم والمرشد الصفوه والطليه الذين يعدهم ليشكلوا نواه العمل الثوري لاختبار الميداني لمعرفة هل استفادوا من التجارب السابقه لان الذين لايستفيدون من تجاربهم يستسلمون للدوران في حلقات مفرغه يعجزون عن المساهمه في نهضه الامه ويعجزون عن قياده غيرهم فلا بد في مرحله التحول ان تقف في فواصل التحولات لاجراء التقييم هل الصفوه والمريدين جاهزين لتدشين المرحله الجديده فلا بد ان تتم مراجعه التجربه لتعرف هل الناس قادرين علي اداره المرحله الجديده فالعبور من الماضي الي المستقبل امر يصعب عمليا علي كثير من الناس خاصه اولئك المشدودين للماضي الغير مستفيدين من دروسه ولهذا نجد ان الايات تصف حال بني اسرائيل من بعد ان انجاهم الله من الغرق واهلك الله فرعون وقومه فقال تعالي (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا علي قوم يعكفون علي اصنام لهم قالوا ياموسي اجعل لنا الها كما لهم الهه)

بينما في سوره يونس قال تعالي (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون ...الخ

ففي سوره يونس تتحدث الايات عن حال بني اسرائيل قبل اغراق فرعون اما في هذه السوره فهي تصف حال بني اسرائيل بعد ان انجاهم الله بفضل وعطفه من الاغراق وبعد ان اهلك عدوهم اي انها بدايه مرحله جديده فكان الوصول الي شاطئ البحر نهايه المعركه مع فرعون الطاغيه وبدايه مرحله جديده فقال تعالي (فاتوا علي قوم يعكفون علي اصنام لهم)

لما وصلوا الي الشاطي اول ما وقعت عليه ابصارهم مشاهده اناس يواظبون علي عباده الاصنام قيل انهم الكنعانيين وقيل انهم قبيله مصريه وقيل انهم من قبائل لحم اليمنيه ولم يذكر القران منهم لان المراد ليس الاشخاص وانما العبره والعظه انها فرصه ليصقلوا ما تعلموا بالممارسات العمليه ويمتلوا من انواره لان الارتقاء بالعلم انما يكون من خلال الاختبار العملي لمعرفة هل فهموا التعاليم التي تحملها الايات ام لا فالعلم ينمو ويكبر مثل راس المال والتجاره للوصول الي اعلي درجات الكمال المسمي اليقين وهذا انما يكون بالتطبيق العملي لانه يكسب صاحبه نورا فهذا هو العلم المثمر ولهذا فان الدرس هنا هو ان الله اراد ان يضع هولاء في هذا الموقف لا جل ان ينظر الي اثر العلم الذي تلقاه بنوا اسرائيل طيله 23عاما وماشاهدوا من آيات عظيمه اخرها عنايه الله ورعايته لهم بان انجاهم من الهلاك بعد ان شاهدوا البحر صار بضره عصا موسي يابسه وكان لهم السلامه والامان في حين اهلك الله عدوهم فماذا كانت نتيجه التقييم للتجربه لقد كانت صادمه فقد قالوا لموسي اجعل لنا الها كما لهم الهه طلبوا ان يصنع لهم اصناما الهه مصوره ليتقربوا بها الي الله فكلمه (كما لهم الهه) الكاف متعلقه بمحذوف وقع صفه لها وما موصوله والالهه بدل والتقدير اجعل لنا الها كائنا كالذي استقر هولاء علي عبادته فدل هذا

السؤال انهم لم يفهموا الدرس السابق

دلت ان القوم تصوروا ان الثوره مجرد هدف وصول تصوروا ان الحريه هي تحريرهم من عبوديه ارض مصر و الوثنيه السياسيه وليست تحرير الانسان نفسه من كل الاصنام فهذا ضعف من جهه قوم موسي كيف لم يفهموا محنه فرعون كيف يبحثون عن الها وقد شاهدوا قوه الله العزيز الجبار تنقذهم من فرعون وقومه كيف يبحثون الهه غير الله فكان الاصل يشكروا الله علي فضله وعلي تحريرهم بحيث تمثل التجربه نقطه عبور للمستقبل بالا عزاز بالاتصال بالله دون الحاجه الي وساطه فهو تعالي خالق كل شي

الامر الرابع

ماذا يعني العكوف؟ وماذا يستفاد من هذا المعني؟

العكوف من لزوم الشئ وحبس النفس عليه بالاقامه علي علي الشئ والاقبال عليه بحيث لاتصرف وجهك عنه وهذا انما يكون ناتج عن التعظيم له والتعظيم الديني يكون الغرض منه التقرب من المعبود وطلب ثوابه او دفع ضرر عنه سوا كان في مساله الغيب او غيره باعتقاد ان له سلطه او لاجل التقرب الي الله وقصد الانتفاع في الا مور التي لاتنال بالاسباب العامه وكل ذلك من الشرك

ولهذا وردت الايه في مقام الذم لبني اسرائيل بانهم لم يفهموا ايات الله عليهم ومنها ايه اهلاك فرعون وكيف ان الله انجاهم بعدما كانوا قد تاكدوا ان هلاكهم واقع لامحاله فقالوا لموسي (انا لمدركون)

فالاصل ان يتوجهوا بالعباده لله تعالي خالصه وان تعكف قلوبهم علي الله وجمعيته عليه والخلوه به والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه وتعالى بحيث يصير ذكره وحبه والاقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته فيستولي عليه بدلها ويصير الهم كله والخطرات كلها بذكره والتفكير في تحصيل مرضاته والقرب منه فيكون انسه بالله بدلا عن انسه بالخلق

يقول ابن تيمه(ولما كان المرء لايلزم ويواظب الا من يحبه ويعظمه كما كان كان المشركون يعكفون علي اصنامهم وتماثيلهم ويعكف اهل الشهوات علي شهواتهم شرع الله لاهل الايمان ان يعكفوا علي ربهم سبحانه وتعالى

الامر الخامس

(اهميه العلم و الفهم السليم للمعلومه وترك التقليد)

تبين الايات ان الايمان انما يكون بالعلم وليس بالتقليد

ولهذا يذم القران قوم موسي لانهم عندما شاهدوا اناس يعبدون اصنام قالوا ياموسي اجعل لنا الها ..برغم انهم لتو وصلوا الي بر الامان ونالوا السلامه بواسطه معجزه شق البحر الذي امتن الله بها عليهم فالابيه واضحه امامهم ومع ذلك يبحثون عن الها مصورا ؟

ان هذا الامر يعود الي سوء الفهم لمحنه فرعون وماشاهدوا من معجزه فالعيب يعود الي سوء الفهم والادراك يختلف نتيجته اختلاف الثقافه والحاله النفسيه والبيئيه ..فدلت النصوص ان فرحه العبور امتزجت بطلب قبيح اصاب موسي بالصدمه وهو ماقتل الفرحة بتنغصها فقد افصحت النتيجة عن سوء الفهم للتجربه التي مروا بها

لان نفوسهم اعتادت علي سوء الاختيار والفطره قد افسدتها حياه الانزال الطويله والثقافه الموروته فيهم مازالت تقف وراء تفسيرهم للاحداث ينطلقون من الاهواء

والامزاجه المتأثره بحياه الفراعنه ولهذا جاءت كلمه (اصنام) منكره للدلاله انها مجهوله ووصفها بانها (لهم) ولم

يقول اصنامهم ليبين صغر عقولهم فهم يعبدون ماهو مخلوق وماهو مصنوع بايدهم وملك لهم ويجعلون مصنوعهم ومملوكهم الها

فدل هذا علي تفاهه التقليد وبالتالي فعليك الانتباه ان تقيم عقيدتك علي التقليد دون الفهم والدليل فالله يقول في موضع اخر (فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك)

وعقيدته الاسلام تقوم علي العلم وتامر به لا علي التقليد فالايما ييدا من العلم وليس التقليد ويلاحظ هذا الامر بتامل الفارق بين ايمان السحرة الذين كانوا اهل علم ودرايه وبين ايمان قوم موسى

ثانيا

تاتي النصوص مبينه رد فعل موسى عليه السلام بهذا الجواب (قل انكم قوم تجهلون ان هولاء متبر وا ماهم فيه وباطل ماكانوا يعملون اغير الله ابغىكم الها وهو فضلكم علي العالمين

المبحث الاول من الجواب

ابتدا باثبات جهلهم بانفسهم وبربهم باسلوب فيه امتعاض من سلوك قومه فهم لم يفهموا الايات وعجزوا عن ترجمه العلم النظري الي واقع حال في اول اختبار لم ينتفعوا بالمعجزات فقال (انكم قوم تجهلون)

وهذا فيه

الامر الاول

وردت الكلمه علي اطلاقها يعني الجهل الكامل الشامل وهو يطلق علي عدم المعرفه.. والحماقه لان ما صدر منهم لا يقوله الا احمق او جاهل فهم قد شاهدوا ايات الله ومعجزاته وبالتالي فان هذا القول لايقوله عاقل

كما ان هذا الوصف المطلق لهم بالجهل باسلوب يشير الي غضب موسى من مقولتهم يهدف الي تعليم قياده كيف تقوم بتربيته واعداد الطليعه والصفوه ليكونوا اهلا لتحمل الامانه فلابد من توفير اسباب النجاح ووسائله والانتباه في مرحله التحولات من ترك الفكره واستبدالها بالتركيز علي الزعامه وانما نموذج تلتف حوله الطاقات ليكون الا سهام منهم في نهضة الامه ولهذا قال لهم موسى (انكم قوم تجهلون)

ولهذا فان النموذج هو المحرك للطاقات وبالتالي لاينبغي ان تخدع الاتباع فتقول له مثلا هذه وجهه نظر محترمه فعندما يتعلق الامر بالفكره ينبغي عليك ان تواجهه باخطائه وتخبره بجهله وحماقته فلا مداهنه في مقام الحسم والتقييم للتجربه ولهذا كان موسى واضحا في رده فقال (انكم قوم تجهلون)

تجهلون ماذا لم يحدد يقصد بها

يقصد تجهلون عظمه الله تعالي وجلاله وجماله وما يجب ان ينزه من الشرك

يقول لهم انه لا اجهل مما ذكرتموه تجهلون مقام التوحيد وانه لاوساطه

الامر الثاني

تبين الايه ان الجهل بنوعيه يقود للانحراف والشرك سواء كان جهل معرفه او الحماقه وانه يتساوي الجهل فيهما

لان العقل والعلم كلاهما يقودان الي الله تعالي لماذا؟

لان العقل يعني ايتار الطاعه علي المعصيه وايتار العلم علي الجهل وايتار الاخره علي الدنيا فهذه الثلاثه الاشياء هي مكايح لقياده العقل فاذا خلت من عقل فان هذا العقل مكار مخادع لصاحبه فاذا كانت آيات الله واضحه في الكون تشهد بان لها ربا حكيم مدبرا فانه لاينكر هذه الحقيقه الا مكابر معاند او احمق لاعقل له فالفطره تعرف الحق وتحب العلم وتكره الجهل والحق موجود ولهذا فان الانصراف الي غيره يكون مكابره وايتار للجهل علي العلم

فالعلم اذا وجد عارض من هوي فانه يجعل القلب ينصرف الي محبه ما هو مضاد للعلم فتكون معلوماته مغلوطة وتصوراته فاسده فهذا لاقيمه لعلمه فهو اسوي من الجاهل

وكذلك فان العلم فهو لايتذكر الحق ولا تحدث له الايات ذكرا

وكذلك فان العلم الذي بمعني المعرفه يحتاج الي نفي الهوي المعارض له ولهذا لابد من الخشيه والا فلا فائده للعلم وقطع الرغبه بترك المعصيه

وبهذا يكون العلم بمعرفه الحق واتباعه فالجاهل هو الذي لايعرف الحكم الشرعي ويبنى عقيدته علي التقليد او ذلك الذي يبتعد عن منهج الله ويتبع هواه

يقول شيخ الاسلام

(فالعلم بالحق انما ينتفع به من تذكر بما تحدثه الايات ومن الخشيه المانع من اتباع الهوي فهذان بهما يكون صلاح الانسان فاذا قوي العلم والتذكر دفع الهوي واذا اندفع الهوي بالخشيه ابصر القلب وعلم فبذلك يكون صلاح العبد وفساد القلب بانتفاء كلا منهما او احدهما فاذا انتفي العلم بالحق كان ضالا غير مهتدي واذا انتفي اتباعه كان غاويا مغضوبا عليه)

المبحث الثاني

يكشف لهم موسي عن سوء مغبه ما يطلبون وعن سوء اعمال القوم الذين شاهدوهم يعكفون علي اصنام لهم فقال تعالي (ان هولاء متبروا ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون)

وهذا فيه

الامر الاول

توجيه للداعيه في مرحله ما بعد التحرير بان اللازم عليه اصلاح الاخطاء التي تمس الفكره والهدف المراد تحقيقهما فمرحله الانتهاء من معركه تحرير الانسان من الظلم تتطلب منك ان تربى قاده التحرير علي الحفاظ علي الفكره ليفهموا ان التقدم لايتوقف علي كون نظام الحكم ثوريا او ديكتاتوري استبدادي وانما يتوقف علي كون هذا النظام متقبلا للتقدم او معرضا عنه ويقاس مدي نجاحه بالحفاظ علي التزام المنهج الذي يحقق الفكره ولهذا يخبرهم ان الله اختارهم ليكونوا خلفاءه في الارض باقامه منهجه وبناء دوله التوحيد فهذا النظام هو القابل للتطور والتقدم لانه يحظي برعايه الله وعنايته وبالتالي فانه يكون محميا من الخساره فهو سبحانه يجمع بين الهدى والسعاده وبين الضلال والشقاواه وبين حسنه الدنيا والاخره وسئيه الدنيا والاخره ولهذا يتوجه الخطاب اليهم بقوله تعالي (ان هولاء متبروا ما هم فيه) بان من ترغبون تقليدكم متبروا ما هم فيه وكلمه متبروا تعني الخسران والكسر اي انهم هالكون فالله سوف يهدم دينهم واصنامهم وقادتهم عن قريب ويحطم اصنامهم

الامر الثاني

يحذره من نهايه الشرك بان عاقبه الهلاك فالعابد والمعبود مهلكان واعمالهم باطله

الامر الثاني

يكشف لهم ان الحق ثابت مستقر وان الباطل زائل وكل الانحرافات في واقع حياتهم كلها باطله ولايجد العبد منفعه منها ليبين لهم ان العكوف لغير الله باطل وان كان يقصد به التقرب لله فهو باطل مضمحل بالكلية لافائده منه

فلا يجد السعاده الا من كان مهتديا يسير في طريق الحق ولهذا يقرب الله الشقاء والهلاك والخذلان بالباطل معلما يقرب السعاده بالهدي والتوفيق واتباع منهج الله كما يقرب بين العلم النافع والعمل النافع بين العلم الطيب والعمل الطيب كما يقرب بين الضلال والغي باتباع الظن والهوى.

المبحث الثالث

هذه الخطوه جاء فيها انكار موسى عليهم ان يطلبوا منه ان يتوسط بجعل لهم اصناما يعبدوها حيث يفهم من هذا ان قلوبهم لم تستقر فيها عقيدة التوحيد وانها تعاني من الغفله والشهوات والاحجبه التي شكلتها ظلمات الغفله فناسب هذامجي الانكار المعبر عن ارتفاع الغيره في كلمات موسى علي ربه والغضب لربه والتعجب من شان قومه وغفلتهم عن نعمه الله عليهم بان فضلهم علي عالم زمانهم بعد ان كشف لهم نهايه طريق الشرك والغفله والابتعاد عن ذكر الله بان ذلك من اسباب هلاك الناس وتعاستهم وشقاوتهم في الدنيا والاخره مبينا لهم ان ذلك الطريق موجب لهلاك العابد والمعبود وضياع اعمالهم التي قصدوا بها طلب التقرب من الله تعالي لانهم اخطاوا الطريق الذي سلكه هولاء يقول لهم موسى ليس هذا هو الطريق الي محبه الله ورضاه والتقرب منه بل ان العكس من ذلك فهذا الطريق سبب تعاسه العبد وشقاوه لان نسيان الرب يوجب نسيان النفس ومصالحها ف الله يقول في سوره طه (ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشه ضنكا ونحشره يوم القيامه اعمى قال ربي لما حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بايات ربه ولعذاب الاخره اشد وابقي)

اي تنسى في العذاب كما نسيت ايات الله فلم تقم بذكرها ولم تعمل بها واعراضه عن ذكره يتناول اعراضه عن الدعاء لله باسماءه وصفاته التي ذكرها في كتابه والاعراض عن اوامره ونواهيهِ والاعراض عن تدبر اياته وتلاوتها وفهمه والعمل بها وهذه هي مناسبه كشف تعاسه وخساره القوم الذين شاهدتهم قوم موسى يعكفون علي اصنام لهم لتحذيرهم من اساءه فهم ايات الله ومن الغفله ومن الابتعاد عن منهج الله وذكره فهذا النموذج حياته ضنكا وضياع فهم لايعرفون اين مصالحهم ولايعملون لما فيه الامان لانفسهم فهم يبتعدون عن الله فبقدر الغفله يكون البعد عن الله وبقدر ذكر الله يكون القرب منه. يقول انتبهوا من هذا السلوك. ولهذا يستنكر عليهم موسى ذلك الطلب فقال تعالي (قال اغير الله ابغيتكم الها وهو فضلكم علي العالمين واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم)

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ابتدا بانكار ما طلبوه منه ان يكون وسيطا بالجعل الذي طلبوه حيث دل هذا علي جهلهم تعاليم ما ارسله الله به وكذلك انكر عليهم عدم تقدير نعمه الاختيار لحمل الرساله والتي فيها اسماء الله وصفاته وكمالهِ وتنزيهه عن كل نقص فهذه هي مهمه الانبياء فكيف يطلبون منه ان يامرهم بعباده الاصنام فهو تعالي ارسله ليامرهم بعباده الله وحده لاشريك له فهو تعالي المستحق للعباده وحده لاشريك له فلا حاجه للوساطه فمن يريد الاتصال ب الله فما عليه الا الدعاء وهو تعالي قريب يجيب دعوه الداعي فانت مامور بذكر الله في كل الاحوال ذكره بامتثال امره

فتسرع الي طاعاته متلذذا بذلك وعندما يتبادر الي ذهنك المعصيه تتذكر رقابته واطلاعه علي ما تعمل فتشعر بـ
الحياء ان يراك فيما يسخطه يقول لهم موسي ان رعايه الله وعنايته انه تعالى يحفظ عباده ويحرزهم من الهلاك و
الخسران يحميهم من العدو طالما عبده ولم يشركوا به شيئا فالقوم الذين شاهدوهم يعبدون الاصنام مخذولون.
فمنافذ الشيطان هي الغفله والشهوه والغضب ومنشا الشرك هو المبالغه في حب الصالحين وفقدان العلم والمعرفه
مما يورث الغفله فالسير الي الله يتطلب منك المواظبه علي تذكر نعم الله واحسانه فهي من اعظم الوسائل
الموصوله الي المقاصد الجليله فدوام التذكر يعني حياه القلب. ينبه القلب من نومه اذا كان نائما يوقظه ولهذا
ناسب مجي الايه بعد ذكر ان حال القوم الذين يعكفون علي اصنامهم هو الخسران والضياع فاراد بهذا ان
يستقظوا من غفلتهم وان يفقوا من نومهم وان عليهم ان يشدوا المنزر بقيه اعمارهم وتذكر ما فاتهم. فالذكر هو
راس المولاه والعنايه واصلها والغفله اصل المعاده وراسها فذكر الله متولي امورك واحسانه يعني ان تترك الغفله
وتستقيظ فقال تعالى (اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم علي العالمين)

الامر الثاني

يخبرهم ان السعاده في ثلاثه اشياء شكر النعمه ..والصبر علي الابتلاء والتوبه من الذنوب والمعاصي

فهذه الاشياء هي عنوان السعاده والفلاح والنجاح في الدنيا والاخره وبهن يتقلب احوال الانسان. ولهذا فان نعمه ا
لاصطفاء والتفضيل علي عالم زمانكم مقيده بالشكر بالاعتراف بنعمه الله بهذه النعمه وكذلك بانقاذكم من الذل و
الهنون في مصر واهلاك عدوكم فمن الذي تفضل عليكم بهذه النعم انه الله تعالى فيجب نسبها لله تعالى ..ثم
الحديث عن نعم الله في الظاهر واياته للثناء عليه تعالى فالحمد لله تعالى بالاخبار عن صفاته وكماله وعطفه
واحسانه مع محبته والرضا به يعني ضروره ان تتحدث بذلك لان الساكت لا يكون حامدا ولا يكون الثناء بلا محبه
حامدا حتي يجمع المحبه والثناء فاللازم ان لاتستعملوا انعامه في معصيته ثم ان دوام تكرار الحمد والثناء يصل
الي المدح بذكر صفات الجلال والعظمه والكبريا لتمجيد الله سبحانه وتعالى فهذا هو ذكر الثناء بالخبر عن الله
تعالى وصفاته واطلاعه علي اعمال العباد واحاطته علما بكل شي والثناء عليه بما اثني علي نفسه بما انزل في
كتابه وبما اتي به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه

اما الثاني فهو الصبر علي الابتلاء والصبر علي مشقه الطاعه فلا تسخط بالقلب ولا تشكوا باللسان ولا ترتكب
المعاصي بالجوراح مثل لطم الخدود فاذا التزمت ذلك انقلبت المحنه الي منحه ولك ان تتذكر ما حل بفرعون
وقومه من الهلاك فالصبر نهايته طيبه

الثالث

التوبه يريد موسي منهم ان يتوبوا من طلبهم ذلك فباب التوبه من رعايه الله الخاصه والعنايه بعباده بان يحمي
اوليائه ويحفظهم ويحرزهم من اسباب الهلاك والخذلان فلا يمكن الشيطان منهم حيث ان منافذ الشيطان هي
الغفله والشهوه والغضب. ولهذا فان الشرك منشا الغفله والمبالغه في حب الصالحين او الاغترار بالاعمال والا
عجاب بالنفس. ولهذا فاذا احب الله العبد عرفه بعيوبه واخطائه وولد في قلبه الانكسار والذل فعاد تائبا وهذا هو
التوفيق بانه تعالى لا يكلهم لانفسهم اما الخذلان فهو ان يكلك لنفسك حيث تفتخر بما انعم الله عليك فتتصور ان الا
ختيار والتفضيل علي عالم زمانك بانه شيك علي بياض يمنحك الحق بارتكاب المعاصي والتصرف كيفما تشاء
وانك غير محاسب علي هذه النعمه فتقابل النعمه بالمعصيه وتعبد غير الله فهذا من اسباب الخذلان .

فلا تستعملوا النعمه في معصيه الله احذروا من ذلك فان هذا من اسباب الخذلان

المبحث الرابع

تنقل الايات في الحكايه من الحديث بلسان موسي الي الحديث عن الله تعالى مباشره فقال تعالى (واذ انجيناكم

من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلا من ريبكم عظيم)

وهذا فيه عده امور

الامر الاول

تكريما لاوليائه بهذا الوصل في الكلام وليبان ان موسي مرسلا من ربه يبلغهم اومره ونواهييه واسماءه وصفاته
وما يحب ويرضا وما يسخط

فهو تعالي الذي بيده كل شي وهو المدبر الحكيم لامور العباد وان الرسل مبلغون عن ربيهم

الامر الثاني

تبين الايات ان الوصول الي الله والنجاه والسلامه يتطلب ان تسير في الطريق الذي يرسمه الله لك علي السنه
رسله وان الرسل لاينطقون عن الهوي انه الا وحيا يوحى ولهذا فان السير الي الله يتطلب مشاهده المنه ومطالعه
عيب النفس والعمل كما ذكر شيخ الاسلام وهذا يتوافق مع حديث الرسول صلي الله عليه وسلم (اللهم انت ربي لا
اله انت وانا عبدك علي عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابؤ بنعمتك علي وابؤ بذنبي فانه لا
يغفر الذنوب الا انت)

فمشاهده المنه (وهو فضلكم علي العالمين) والنجاه من الازل والهون ايام الفراعنه توجب المحبه والحمد و
الشكر لولي النعمه والاحسان ومطالعه عيب النفس يوجب الانكسار والذل والتوبه والافتقار لله فهذا هو الباب الذي
تقبل به علي الله تعالي فانت عندما تشاهد انعام الله واحسانه ينبغي ان تري جمال الله وجلاله وعظمته وقدرته
تري حسنه واحسانه ورعايته وعنايته لك باستمرار وبالتالي فعليك ان تتوجه الي الله بالعباده والمحبه والشكر و
الحمد فقد تحققت لك المعرفه به ومحبهه وبالتالي فعليك افراده بالعبوديه وحده لاشريك له فما حاجتك الي الا
صنام

ثم ان عليك ان تري كيف انقذك الله من عذاب فرعون حتي تظل الصوره حاضره في ذهنك لتري ان القوه هي لله
والاستعلاء ب الله والعزه لله فتكون تلك الصوره من ابواب الذل والانكسار والافتقار التي تدخل بها علي الله تعالي
من الابواب التي تري بها عيوب نفسك وجهلها وتشاهد فضل الله واحسانه ورحمته

الامر الثاني

ان اليقظه من الغفله لاتحصل الا بالذكر. فهو يزيل الغفله فيكون الذاكر غنيا بلا مال عزيزا بلا قوه ولاسلطان
بعكس الغافل فانه يكون فقيرا مع كثره غناه ذليلا مع سلطانه ولك ان تنظر الي احوال بني اسرائيل فقد كانوا
اضعف الناس حالا واعجزهم حيله لدفع عدواهم فمن الذي انقذهم من ذلك البلاء الذي يفوق التصور انه الله تعالي
فالذكر جالب للنعم ودافع للنقم ف الله يدافع عن المومنين ودفاعه عنهم بحسب قوه الايمان فكلما كان الايمان و
الذكر اقوي كان دفاع الله عنهم اقوي واعظم ف الله يقول (لئن شكرتم لازيدنكم)

فالذكر والشكر جماع السعاده والفلاح فاللازم ان تعود نفسك تذكر ايام الله ف الله يقول في موضع اخر (وذكرهم
بايام الله)

فالذكر كما يقول ابن القيم رحمه الله هو شجره المعارف فلا سبيل لنيل نعم الله الا بالذكر وكلما رسخت وعظمت
شجره الذكر كانت الثمره اعظم فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظه الي التوحيد وهو اصل كل مقام وقاعدته
التي يبني عليها المقام فهو يحافظ علي البناء والسقف فوقه

الامر الثالث

لبيان شدة حاجه الناس لذكر الله تعالى وفضله وانعامه واحسانه وعدم الاستغناء عنه تعالى عليك ان تتذكر المصائب في ايام الضعف وكيف ان الله انقذك من البلاء حتي لا يصدأ قلبك نتيجة الغفله فقلبك بحاجه الي تصقله من الصدا الذي اذا لم تنتبه له فانه يصير به بقع سوداء ورن حتي اذا اكتمل صار مظلما وعندها يصبح الحق عندك باطلا والباطل حقا ولهذا فان الذكر هو الوسيله الوحيده لجلاء القلوب وعلاج الغفله فالذكر يفتح ابواب المعرفه وكلما كثر الذكر كثرت المعرفه وفيه حياه القلوب وهو الذي جعله الله سببا لنيل محبه الله والقرب منه فهو باب المحبه وشارعها الاعظم ويكون بالقلب واللسان وهذا اعظم انواع الذكر يليه ذكر القلب ثم اللسان وذكر القلب افضل من ذكر اللسان لان ذكر القلب يعمر المعرفه ويهيح المحبه ويغير الحياء ويبعث علي مراقبه الله والخوف فهو اداه الفاعليه الايجابيه

الامر الرابع

ان الذكر سد وحاجز بين العبد وبين جهنم ولهذا جاء الامر بذكر فضل الله عليهم والامر بان يذكروا احوالهم في مصر وما عانوا من الاستبداد وكيف ان الله انقذهم من ذلك البلاء بعد ان اخبرهم ان من شاهدوهم يعبدون الا صنم في غفله وطريقهم الهلاك لهم وما يعبدون وضياع الاعمال فناسب مجي الامر بالذكر لله وحده بعد ذلك وانه هو الولي الذي يتولي رعايه عباده ليكون هذا الذكر وسيله سد الطرق امام الاعمال التي قد توصلهم الي جهنم لان من كان ذكرا فان الله يجعل بينه وبين المعاصي حاجزا وسدا محكما فالذكر بمنزله احجار تسد عنك ابواب جهنم و الطرق الموصله اليه

القسم الثاني من المقطع التاسع من سوره الاعراف

تبين الايات حال بنو اسرائيل بعدما انجاهم الله تعالى من فرعون الطاغية الذي قتل بني اسرائيل واستعبدهم واسترقهم ونساءهم فاغرق الله فرعون وملئه وانجي الله موسى وقومه من الغرق فقد زال خطر العدو الخارجي الذي كان قد قاومه موسى وناضل وكافح من اجل تحرير بني اسرائيل فماذا كان موقف بني اسرائيل بعد زوال الخطر لقد كان اول شي فعلوه بعد التحرير هو طلبهم من موسى ان يصنع لهم اصناما مثل الاصنام التي يعبدوها اهل القرية التي وصلوا اليها وقد شاهدوا للتوا ايات الله العظيمة ومعجزاته لكنهم كانوا قد تآثرت نفوسهم بما عاشوا في مصر وفسدت فطرتهم فهم في الاصل علي دين التوحيد لانهم ينتسبون الي ابراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف لكنهم كانوا لا يصدقون الا بالامور الحسية ولهذا فهم يتصورون ان الله يشاكل الانسان ولهذا كان موسى يحاول ان يقرب لهم الحق الي اذهانهم وهم يحاولون ذلك الي اصنام وتماثيل ولهذا كان هنالك حاجه لانزال المنهج الذي يتم به تربيته هولاء واعاده تشكيلهم وفقا للصورة التي يرضاها الله فقد انتهت مرحلة التحرير وبدأت مرحلة القيادة والبناء وهي تختلف عن مرحلة التحرير فكان لا بد من منهج رباني يلي مطالب المرحلة الجديدة فقال تعالى

(وواعدنا موسى ثلاثين ليله واتمناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليله وقال موسى لآخيه هارون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني انظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الي الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلي ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما افاق قال سبائحك تبت اليك وانا اول المؤمنين قال يا موسى اني اصطفيتك علي الناس برسائلي وبقلامي فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في الاواح من كل شي موعظه وتفصيلا لكل شي فخذها بقوة وامر قومك ياخذوا باحسنها ساوريكم دار الفاسقين ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخره حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون)

وبالوقوف علي الايات نجد الاتي

اولا

ابتدات الايات بقوله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليله واتمناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليله)

الامر الاول

تبين الايه ان التحرير من الطغاه ليس هو الهدف النهائي ولا نقطه وصول بل يمثل ذلك نقطه انطلاق في المعركة مع العدو الداخلي فلا يكفي الانتصار علي العدو الخارجي

بل عليك ان تدرك اهمية الثبات علي منهج الهدايه واهميه ان ترسخ العقيدة في النفوس فلا بد ان تكون عقيدة التوحيد راسخه في قلوب العباد والنفوس بحيث لاتسمح باي اختراق من قوي الشرك البائسه للنفوس فاذا وصلت لهذه المرحلة من الرسوخ والعبات فانه لايمكن ان تعصف بها العقائد الضاله والشبهات ولهذا تطلعننا الايات ان معاناه موسى لم تتوقف عند هلاك فرعون وقومه وانتهاء جبروت فرعون وظلمه لم يكن المحطه الاخيريه في نضال موسى بل ظل يتحمل المتاعب في مدواه امراض قومه المطبوعين علي الذل وخسه النفوس وفساد فطرتهم فهم لم يكونوا ليتخلوا عن ما اعتادوا عليه من حياه الاسترقاق والقهر والذل وغلاظه الحس وعدم الايمان بغير المحسوس

وعقيدة التجسيم والتشبيه والتمثيل التي محت عقيدة التوحيد التي بلغها اياهم اجدادهم اسحاق ويعقوب ويوسف فهم لم يعودوا يهتمون بما وراء الحس الا اعتناء شكلي من غير اصله ولا حقيقه فقد تآثروا بما عاشوه في

مصر وان كانت العصبية القومييه قد احتفظت لهم باظهار الايمان لكن الخلل من داخل اعماق النفس الامر الذي جعلهم بحاجة الي منهج تعليمي وتربوي وروحاني يعيد لهذه النفوس حقيقتها فقال تعالي (وواعدنا موسي ثلاثين ليله واتمناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليله)

اي انه بعد حصول التحرير والنصر بهلاك فرعون وقومه كان الانتقال الي مرحله جديده وهذه المرحله تتطلب التشريع ولهذا كان مجي التشريع فهو له وقت ومكان محدد لاجل اللقاء الكتاب المنهج الرباني الذي يتم به اعاده تشكيل الناس وفقا للصوره التي يريدها الله. فالمنهج يتضمن المطلب الرباني من العباد ويعرفهم بسبب وجودهم و الاهداف التي يجب عليهم تحقيقها في الحياه فبعد ان تم الله عليهم بنعمه النجاه والتحرر اراد الله ان يتم عليهم نعمته بانزال الكتاب الذي فيه الاحكام والوصايا والوامر والنواهي وما يجب عليهم ان يفعلوا وما لايفعلوا منهج يحكم الحياه وما فيها

الامر الثاني

تبين الايه ان المنهج هو اداه التغيير للامه وهذا يتطلب ان تغزو المفاهيم القرانيه اعماق النفس الداخليه بالا حساس عند قراءه القران انك انت الذي يوحى اليك انك تتحدث مع الله فلا تنظر لها علي انها آيات مجردة فاللازم وجود مشاعر الاحساس انك تتصل بالله لتحدث اهتزاز كهربائي تقشعر منه جسمك فاذا حدث هذا كان الاتصال بالله والاطمئنان به بالشعور انك تناجي الله تعالي وكان للايه القرانيه دورها في تغيير حياه العبد كما حدث في عهد الصحابه بالشعور انك في لقاء مع الله الخالق العظيم فهذا اللقاء اعظم واجمل لقاء ولهذا اراد الحق ان يلفت انتباهك بان هنالك لقاء وموعد بين موسي وبين ربه لبيان عظمه لقاء الله والاتصال به لترسم لك الايه مشاعر الفرحة لدي موسي والشوق لهذا اللقاء والمراد بهذا ان تشناق انت للقاء الله ومناجاته فقد جعل لك خمس محطات في اليوم تلتقي بالله تعالي وتناجي ربك انها الخمس الصلوات فعليك ان تشعر بعظمه من تلتقي ومن تناجي انه الله سبحانه وتعالى وكذلك لديك فرصه في رمضان وفي الحج محطات كثيره يجب ان تفتنم هذه الفرص وتشعر بالاعتزاز بان الله قد جعل لك موعدا سابقا للقاءه حددته الله لك بالمكان والزمن فاذا جاء وقت صلاه الفجر فانهض شاعرا بالموعد الذي بينك وبين ربك لاجل اللقاء بينكم في هذا الوقت فانتبه ان تتاخر عن الوصول في الموعد فايهما افضل لك ان تصل في المعياض المضروب او تنام وتصل متاخرا او تترك الموعد؟

من الموكد ان العاقل ينظر ان الوصول في الموعد هو افضل ما يتمناه ويكون مشتاقا لحلول الموعد فينهض لتعليبه النداء هذا بالنسبه لزمن الموعد وكذلك فان مكان اللقاء له اهميه فالصلاه في المسجد افضل بكثير من الصلاه في البيت لان الله قد حدد لك المكان الذي تلتقي به

وهكذا قد جعل لك في كل مكان وزمان لقاء لمناجاته فعندما تكون الامه في حرب فان مناجاه الله ولقاءه تكون في ميدان المعركه فهل تتاخر اخي المسلم عن الوصول للمكان الذي تلتقي فيه ربك هل تخاف عناء الجهاد ومشقته

من الموكد ان العاقل الصادق في ايمانه يكون مشتاقا للقاء ربه في هذا الموعد والمكان وكذلك فان مناجاه الله ولقاءه في ميدان الصناعات الحربيه وما فيها نصره دينه هو ميقات تلتقي فيها بربك وتتصل به اذا كنت من اهل الخبره في هذا المجال ولهذا كانت الموعده ليستعدموسى ويتهيأ لوعده الله ويكون لنزول التوواره موقع اكبر لديه وشوق لنزولها

الامر الثالث

الايه جاء فيها تفصيل واجمال (وواعدنا موسي ثلاثين ليله واتمناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليله)

ولهذا فلا اشكال ان وردت في موضع اخر بقوله اربعين ليله ولكن الملاحظ هنا انه سبحانه وتعالى خص بالذكر

ليه دون الايام مع ان موسى مكث اربعين يوما بايامها وليالها فلماذا خص بالذكر ليله؟

لان الميقات كان لاجل التقرب الي الله تعالى ومناجاته تعالى ولهذا خصه بالليل فهي خلوه روحيه لما يحتاجها كل انسان للخلوه مع الله والاقبال عليه والاحساس بالقرب منه سبحانه وتعالى والاحساس انه راض عنك معلما كان الرسول صلي الله عليه وسلم يخلوا بنفسه في غار حراء فكل انسان بحاجة ان يخلوا بنفسه مع ربه ليتزود بشحنات روحانيه وغذاء روحاني واحسن الاوقات لذلك جوف الليل لما فيه من اجتماع الحواس وتهيوا النفس كما قال تعالى لنبية (قم الليل الا قليلا)

لبيان فضل قيام الليل

فقد ورد عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال افضل الصلاه بعد الصلاه المكتوبه الصلاه في جوف الليل) وعن جابر ان رسول الله (ص) قال ان من الليل ساعه لا يوافقها عبد مسلم يسال الله خيرا الا اعطاه اياها) وقال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع... الخ وقال تعالى في وصف اهل الجنة ايضا (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون)

وقال تعالى عن النبي (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسي ان يبعثك ربك مقاما محمودا) وورد في الحديث عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال (احب الصلاه الي الله صلاه دواد عليه السلام واحب الصيام الي الله صيام دواد وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه... الخ

فمعرفة فضل قيام الله يعين العبد ويهيجه علي اللحاق بركب الصالحين وكذلك فان العبد اذا احب الله احب الخلوه به والتنعم بمناجاته ولذيذ خطابه

الامر الرابع

اضاف ميقات انزال التواره اليه سبحانه وتعالى (ميقات ربه) تشريفا وتعظيما ليكون استقبال اوامر الله بالامتثال والتعظيم والتوقير كما اضاف الله القران اليه سبحانه وتعالى ليعلم الخلق ان من اتصل بكتاب الله حصل علي شرف معظم فكيف بمن اتصل به تعالى من الخلق عالما وعاملا فالاتصال به تعالى يكون بالاعمال الصالحه فالله يقول في موضع اخر (من كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا)

ثانيا

(وقال لاخته اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين)

بالوقوف علي الايه نجد الاتي

المبحث الاول

الاسلوب الذي تحدث به موسى لاخته هارون (وقال لاخته)

لماذا جاء الاخبار عن حديث موسى مع هارون بهذه الصيغه وقال لاخته والذي يقصد به هارون ولم يقل وقال لهارون؟ وما علاقه ذلك بقوله (في قومي)؟

الامر الاول

اهميه اشاعه اجواء المحبه وبناء روح الفريق الواحد لدي العاملين في اي موسسه فهذا هو السبيل لتوحيد الرؤي والاهداف لدي الجميع حتي لا يحصل تعارض بين من يصنع القرار وبين من ينفذ كما يفهم من قول موسى (افعصيت امري)

ولهذا فان التودد والرفق بمن يتولى تنفيذ القرارات من اهم الاسس لبناء روح الفريق الواحد واشاعه اجواء المحبه
ولهذا فان كلمه اخيه تشير الي العلاقه القويه التي تربط موسي بهارون فهو اخيه ابن ابيه فالاخ الحصن الحصين
الذي يعتمد عليه الاخ ويلجا اليه عند الحاجه ثم ان موسي نبي الله فهذا يؤكد العلاقه الحميمه ويوحد الاهداف
التي يعملون لتحقيقها . كان موسي قال له انت اخي ابن ابي وشريكي في حمل الرساله الربانيه وتبليغها لبني
اسرائيل فالعلاقه بينهما قويه فهو يذكره بهذه العلاقه للاعتماد عليه في تولي ادراه شؤون بني اسرائيل

الامر الثاني

للدلاله علي حرص موسي علي تدبير امور الرعيه شاعرا بمسئوليته وواجبات القيادة فالقائد والخليفه هو الاب
الروحي للرعيه وكل الرعيه ابنائه ولهذا كان الخطاب وقال لآخيه باعتبار ان هارون نبي مثله فهو يذكره بانه اخوه
في النسب والرساله وانه شريك معه في حمل الاهداف وتحرير بني اسرائيل فهو قد طلب من الله ان يجعله وزيرا
يشاركه في تنفيذ الامور والقيام ببعض صلاحياته كما ورد في سوره طه (واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي
اشدد به ازري واشركه في امري)

فالنص هنا لبيان تذكيره بالتفويض الممنوح له في بعض الصلاحيات ليقوم بها نيابه عنه ليتمكن هو من الاضطلاع
بامور واعمال اكبر فهو يذكره بهذا لاجل ان يستحضر المسؤوليه الملقاه علي عاتقه بان عليه ان ينظر للرعيه كاهم
انهم ابناؤه حتي من خالفهم او عليه ارشادهم ورعايتهم وهدايتهم للطريق الصحيح فقال (اخلفني في قومي) اي
هم عزيزين علي فاخاف ان اتركهم فينحرفوا فالايه تشير الي الابواه الروحيه التي تقتضي حبه واحترامهم فهذه
هي مؤهلات القيادة واساسها فاذا لم ترحم وتحب من حولك فانت لست مؤهلا لقيادتهم

ومن هنا فان فن القيادة يتطلب التعامل والاحساس بالرحمه والحب للرعيه والخوف عليهم من الانحراف وان
ترعاهم بالنصيحه وتتوخي ما ينفعهم فالاب في المنزل يقود اسرته وبالتالي فعليه ان يرحمهم ويحبهم ويحرص
علي سلامتهم من الانحراف في وجوده وفي غيابهم فلا يتركهم بدون رعايه وكذلك المعلم في مدرسته يجب
عليهم ان يحب تلاميذه ويرحمهم وهكذا في كل المجالات

المبحث الثاني

(اخلفني في قومي)

هذه الايه تحتاج الي الوقوف عليها من خلال استعراض معاني الخلافه لغه واصطلاحا والفرق بينها وبين الامامه
نظرا لحدوث اشكال كبير حول هذا المفهوم حيث استدلت الشيعه الاماميه بهذه الايه وعلي قول الرسول (ص)
لعلي حين خلفه في بعض مغازيه اما تراضي ان تكون مني بمنزله هارون من موسي الا انه لاني بعدي

استدلوا بهذا علي ان الولايه لعلي بن ابي طالب معتبرين ان الخلافه متعلق بالامر الالهي فهي منصب الهلي الي غير
ذلك من التاويلات الفاسده والتي انتهت الي تكفير الصحابه ورفض الاعتراف بولايه ابي بكر وعمر وعثمان

وهذا القول فاسد منهم لان الخلافه هنا بمعني النيايه في حال غيبه الرسول صلي الله عليه وسلم مثلما استخلف
ابن ام مكتوم في بعض المواقف ولا يدل ان هذا يعني ان لعلي الولايه والخلافه بعد الرسول (ص) لان الاستخلاف
في حياته

ولهذا سوف نبين هذا حقيقه ما تتناوله هذه الالفاظ من مفاهيم من خلال الاتي

الامر الاول

من حيث المعني اللغوي لكلمه الخلافه

الاسماء: الاخلف الخليف الخلف المستخلف الخوالف المخلفات الخليفات الاخلاف الخولف الخلف الخلاف الخلافي
الخولف الخلفيه الخليفه الخلفاء التخالف الخلفي المخالف الاختلاف

الافعال :

استخلف تخلف تخالف خالف خلف اختلف يخلف خلف

وكلمه (استخلف) يستخلف استخلافاً فهو مستخلف تعني جعله خليفته جعله يعقبه ويتلوه وجعله مكانه استخلف
اخاه في الاشراف علي تربيته اولاده اشارة لمن يستخلف مكان من كان قبله ويقوم مقامه ومن يخلف غيره

وخليفه مدير من يختاره رئيس الدوله ليخلفه في منصبه او يختاره كنائب مع مهمته

ويقال وخلفه ربه في اهله وولده يخلفه خلافة كان خليفه عليهم منه يكون ذلك في الخير والشر ولذلك قيل
اوصي له بالخلافه (القاموس المحيط الاعظم-وتاج العروس من جواهر القاموس) فخلفه في قومه صار خليفه
فيهم

والخليفه الذي يخلف غيره وهو فعيله بمعنى فاعل اي خالف وقال بعضهم يجوز ان تكون فعيله بمعنى مفعول اي
استخلفه غيره مثل ذبيحه

فقال اهل اللغة هنا ان الخليفه

يعني النيايه عن الغير اما لغيبه المنوب عنه او لموته او لعجزه واما لتشريف المستخلف وعلي هذا الوجه. الاخير
يكون استخلاف الله لاولياءه

والخلافة اسم للمنصب الذي اطلق علي من يخلف الرسول (ص) في تولي امور المسلمين من حراسه امر الدين
وسياسيه مصالح الدنيا

الامر الثاني

الخلافة بمعانيها الخليفه الخلافة. الخلفاء خلائف في القران الكريم وردت في اكثر من موضع حيث نجد انها
تتناول الاتي

انواع الخلافة :

من اصطفاء النوع الانساني وتمييزه علي سائر المخلوقات ليقوم بعماره الارض وبنائه وفق منهج الله ومطلوبه
بتنفيذ اوامر الله ونواهيته فهو تعالي قال (اني جاعل في الارض خليفه)

والكلام هنا ورد في مقام الاخبار عن خلقه تعالي لنوع جديد من المخلوقات وليست في معرض البيان لاحوال
خاصه بشخص ادم

فهي تتحدث عن اختيار النوع الانساني للقيام بمهمه البناء والاصلاح والاعمار في الارض وهو ما دفع الملائكه
للتساؤل عن سر هذا الاصطفاء وبالتالي فان هذا يعني ان الانسان هو المختار المكلف للقيام ببناء الارض واعمارها
والتي خلق منها الانسان كما اخبرنا الله فقال (هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها) فالانسان حمل الامانه
وكلف بالقيام بالبناء الشامل فهذه هي مهمته اي حفظ الحياه والاصلاح في الارض ومحاربه الفساد ولهذا فان هذه
المهمه ذات طبيعه تمتاز بالامتداد والتراكم حيث ان الانسان عمره قصير في الارض ولا يمكن ان يحقق الاهداف و
المهام المكلف بها في فتره حياته القصيره ولهذا جعل الله طبيعه الانسان انه يخلف بعضهم بعضا بالتناسل والتولد

ولهذا سمي الانسان خليفه لان كل انسان يجي بعد الاخر فهو يخلفه

وكذلك فان الدول تخلف بعضها البعض فقال تعالى (جعلناكم خلائف)

ويتامل النصوص نجد انها تربط بين خلافه الانسان والجماعات والدول علي الارض ويبين قيام الحكم السياسي علي اساس مبادي الحق والعدل فجعل الحكم بالحق هدفا من اهداف الخلافه وممارسه القياده لمسؤوليه الحكم انما يريد منها تحقيق الاراده الالهيه العادله فتكون النائب المستخلف لتنفيذ المهمات وفق منهج الله. بحيث ينطلق كل فرد او جماعه او دوله بعماره الارض وبناءها وممارسه من الرؤيه الالهيه التي حددت الحقوق والواجبات بين الحاكم والمحكوم ونظمت العلاقات بين الافراد والدول والجماعات فيكون متوجها بكل حركه يتحركها نحو مرضاه الله وان يتعبد الله في ذلك بان يخضع اردته طوعيه لاراده الله فتكون حركته منسجمه مع حركه الكون

الامر الثالث

مما سبق يتضح بجلاء ان المراد من استخلف الرسول صلي الله عليه وسلم عليا كان من باب النيايه في موقف محدد مثلما استخلف الرسول صلي الله عليه وسلم ابن ام مكتوم وغيره فهي من قبيل التفويض له ببعض الصلاحيات الادرايه بصفه موقته لغيابه او انشغاله بامر اكبر وهو في الامور المدنيه والسياسيه وقد قال موسي هذا لا خيه هارون لحظه ماكان يفارقهم فالاستخلاف انما يكون في غيبه وبالتالي فلايلزم من استخلاف الرسول (ص) عليا او ابن ام مكتوم او غيره ايمان لان الخلافه تنتهي برجوع الخليفه لان الخليفه يقوم بعمل من يخلفه عند غيبه فقط ولهذا كان حديث الرسول صلي الله عليه وسلم مع علي من باب شد الاهتمام بالمسؤوليه في الاداره - ال غيايب الرسول صلي الله عليه وسلم فالخليفه من يقوم مقام الذهاب ويسد مسده وهي هنا بمعني النيايه عن غيره

عند غيبته للقيام بمهمه وهي تختلف عن مفهوم خلافه الانسان علي الارض لان الله حاضر لا يغيب وحديث الله انت الخليفه في السفر يعني الذي ارجوه واعتمد عليه في غيبيتي عن اهلي وان تلم شعهم وتقوم امرهم وتحفظ عليهم دينهم وديناهم فكلمه خليفه لها جذور من اصل الكلمه مرتبطه بحروفها الثلاثه الخاء واللام والفاء. حيث لها ثلاثه اصوال الاول: ان يجي شي بعد شي يقوم مقامه

(الثاني: خلاف قدم) (الثالث التغيير)

وتكليف الرسول صلي الله عليه وسلم لعلي هو موقت وهو يعني النيايه وليس الخليفه بالمعني الذي يعني تولي امور المسلمين وحراسه دينهم وسياسيه امور دنياهم لان عوده الرسول (ص) للمدينه انهدت مهمه علي رضي الله عنه معلما كان. انهاء مهمه ابن ام مكتوم بعوده الرسول صلي الله عليه وسلم فلم يخلف علي الرسول (ص) ولم يقوم مقامه الا في هذا الموقف وانتهي الامر ولم يحصل التغيير وانما نيايه موقته لفترة محدده

المبحث الثالث

(واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) ذهب البعض للقول ان موسي اوحى اليه ان قومه سوف يفسدون بعد غيايه وانه بسبب ذلك امر اخيه بهذا الامر

وبالنظر الي النصوص اللاحقه عليها وماورد في سوره طه نجد ان هذا القول غير صائب لان موسي علم بفتنه قومه بعد ان كلمه الله بدليل قوله تعالى (وما اعجلك عن قومك ياموسي.... الي قوله) قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامري)

وهذا دليل كافي لنفي تلك المزاعم والفهم السطحي للنصوص حيث وان المراد من هذا بيان الاتي

الامر الاول

تعلمنا الايات فن القيادة بان علي القائد ان يطلع من يقوم مقامه علي الصعوبات التي سوف تواجهه وان يضع امام نصب عينيه كل الافتراضات بما في ذلك التمرد والخروج عن القانون حال غيابه وان يضع المعالجات والحلول لمواجهه تلك التحديات ولهذا نفهم من سياق النصوص ان سيدنا موسى عليه السلام كان متوقعا شرا من قومه مدركا انهم سوف يستغلون غيابه ولين هارون لخرق النظام والشرع والتمرد ولهذا بادر الي تقديم النصائح لاختيه هارون لبيان كيفية التعامل مع التمرد الذي قد يحدث حال غيابه وهذا التوقع مبينا علي ما شاهد منهم تصورات فاسده وتعلقهم بالاوثان عندما طلبوا منه ان يصنع لهم صنما ليعبدوه مثلما لاصحاب القرية صنما ولهذا قال لاختيه (واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين)

فامرهم بتوخي ما ينفعهم وقال له عليك ان تبعدهم عن الجهل الذي هم واقعون فيه فقد وصفهم في الايات السابقة بانهم قوم يجهلون فالجهل اساس دمار وخراب العمران وحذر من التهاون معهم عند المخالفة فاللازم ان يقوم بتاديبيهم فقد راي في سلوك القوم بواعث التمرد والعصيان وانهم مشددون للماضي البغيض

الامر الثاني

ان التفويض لمن ينوب عنك يتطلب ان تطلعه علي المهمه وابعاده وان تزوده بالمهارات اللازمه للقيام بالمهمه وان تراعي الكفاءه ويكون مطلعاً علي الضوابط التي يجب عليه الالتزام بها في اداء مهمته ليكون شاعرا بالمسؤوليه وانه سوف يحاسب علي التنفيذ للمهمه فلا يصح ان يكون التفويض بلا رقابه والمحاسبه ولهذا فان المحاسبه تتطلب ان يكون المكلف عالماً بالواجبات التي يجب عليه تنفيذها

ومن اهم الشروط اللازم توفرها في صفات القيادة ان يكون حريصاً علي الامه والرعيه من الانحراف عن الطريق فلا يسمح لها بالانحراف عن سبيل الحق ولهذا نجد ان موسى امر هارون بالاصلاح وهارون نبي مرسل معصوم لاتصدر عنه المعصيه وكذلك لايمكن ان يكون منه اتباع سبيل المفسدين فليس مراده نهي عن الكفر والمعصيه بل ان لايتبع شي في اداره امور قومه بما يشير اليه فيه بعض المفسدين من قومه لان الاتباع اصله المشي خلف ماشي فعليه مداومه ما هو عليه من صلاح وان يسلك سبيل الصلاح الذي عهدته عنه يريد من اختيه ان يكون عند مستوى المسؤوليه فلا يغفل عن الانحراف والاعوجاج ولا يتساهل عن ذلك وان يبادر الي معالجه الخلل قبل وقوعه فجاء استعاره الاتباع للتحذير من المشاركة في عمل المفسد فالسبيل يعني الطريق مستعار للعمل المودي الي الفساد والمفسد مماكان الفساد طبيعته فالنهي عن الفساد والسلوك الذي يسلكه المفسد ومن المشاركة في عمل عرف بالفساد فلا بد ان تقف له وتمنعه بقدر المستطاع والنهي عن مخالطه الفساد والمفسدين او اقراراهم علي فسادهم

الامر الثالث

تبين النصوص كيف يكون سياسيه تدايير امور الناس ومهمه القائد باقامه منهج الله في الارض وتنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر فالسياسيه تدور حول محور الاصلاح بجعل الشي صالحا بحيث تكون جميع تصرفات الامه متجه نحو الصلاح عانده بالخير وتزيل الشر وتحاصره ولهذا حذر من الفساد وطريقه فالله يقول في موضع اخر (كنتم خير امه اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) فعز الحق انما يكون بصلاح الرعيه والراعي بالاستقامه علي منهج الله فصالح الزمان مرهون بصلاح اهل الزمان فاراد بهذا ان يحدد لاختيه معيار الاستجابة للامر وهو يجتهد في اي مساله بانه ينظر الي امر الله في الشي لا امر النفس او دعاه الضلال مهما استحسنت الناس الشي او استحسنته النفس فامر ان يباشر بنفسه مشارف الامور وتصفح الاحوال لينهض بسياسه المله ولايعول علي التفويض للغير تشاغلا بلذه او عباده لانه قد يخون الامين ويغش الناصح فلا يعبت في مثل هذه المواقف الا من ترسخت لديه عقيدته التوحيد ومن ادرك الاتباع انما يكون بما جاء به الامر من عند الله لا

الابتداع واتباع الهوى فهو كما قال تعالى لدواد (يادواد انا جعلناك خليفه في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله)

فلم يقتصر الله سبحانه في. التفويض دون المباشره ولاعذر في الاتباع حتي وصفه الله بالضلال فاراد موسي بهذا التحذير تنبيه اخيه ان المعركه مع الباطل لن تتوقف فهناك من سوف يستغل غيابه لتضليل الجماهير وصددهم عن طريق الحق وبالتالي عليك ان تكون متيقظا خاصه وان القوم لديهم استعداد للغوايه والانحراف فهم رغم تبين اداله التوحيد والمعجزات المتكرره لم يفهموا حقيقه عقيدته التوحيد وطلبوا ان يصنع لهم اصناما وهم خارجون للتو من اعظم مواقف النصر في التاريخ

ثالثا

تتناول الايات هنا موضوع من اهم الاسس والقواعد والحقائق التي تقوم عليها العقيدته الاسلاميه انها استحاله رؤيه الله تبارك وتعالى في الارض بعين البصر وبانوار العقل وحدها فالجسد البشري لا يصمد لنور الله ولا يمتاسك امام جلاله وكبريائه فهو تعالى كما اخبرنا في موضع اخر (لاتدرکه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير) وتحدثنا النصوص عن قصه نبي الله موسي الذي احب الله حبا شديدا فدفعته تلك المشاعر ان يسأل ربه الرويه فقال تعالى (ولما جاء موسي لميقاتنا وكلمه ربه قال رب انري انظر اليك قال لن تراني

فالاية فيها....

الامر الاول

ان طلب موسي الرؤيه جاء بعد كلام الله معه في المقيات الذي حدده لانزال الكتاب وكلمه الله بما يضمن امره ونهيه

فقد تشوق موسي لرؤيه الله تعالى بعدما تفضل الله عليه بنعمه الكلام لاننا نعلم انه تعالى لا يكلم احدا الا وحيا او من وراء حجاب. او يرسل رسولا باذنه فالله يقول في موضع اخر (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء)

وهو ما يفهم ان الله كلم موسي تكليما فلم يكن الوحي عن طريق رسول انما كلمه مباشره من وراء حجاب

الامر الثاني

لما تفضل الله علي موسي بنعمه الكلام من وراء حجاب اندفع موسي كعاشق لله تعالى فطلب رفع الحجاب وموسي من اولي العزم من الرسل ومن الموكد انه يعرف ان رؤيه المخلوق لله عزو جل مستحيله فالله لاتحيطه لانظار ولاتحده الجهات ولاتدرکه الابصار ولاتسعه اقطار السموات والارض الله اكبر من كل شي

فموسي يعرف هذا كله ولكن حبه العظيم لله دفعه الي تجاوز منطق العقل والاعصاب فطلب الرؤيه طلبها باندفاعه انه عاشق عظيم سال المحال ناسيا انه محال كان طموحا فرده الله تعالى الي حقيقه الالوهيه وحقيقه العبوديه يرفق وحب فقال تعالى (قال لن تراني ولكن انظر الي الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني)

وهذا فيه الاتي

المساله الاولى

لوان الله قال (لن تراني) ولم يزد عليها شيئا لكان هذا عدلا منه تعالى لان المفروض ان النبي يعلم ان جلال الالوهيه يتعالى عن نظر المخلوقات ويتعالى علي عجز حواسهم وانحصارها غير ان الله سبحانه ادرك موسي

برحمته وبداء بالحب والرافه فنبهه الي ان الرؤيه مستحيله

وساق له الدليل علي استحالتها فحدثه ان الجبل الذي هو اقوي الخلائق اذا استطاع ان يتحمل تجلي الجلال عليه
واذا استطاع ان يستقر في مكانه فسوف يمكن لموسي ان يري

المساله الثانيه

ان الدليل الذي ساقه الله لموسي الجبل كان جبلا مشهودا له فجااء بلام العهد الحضورى (ولكن انظر الي الجبل)
اي انك لن تطيق رويتى فاذا استطاع الجبل ان يستقر مكانه واطاق رويتى فاعلم انك تطيق النظر الي رويتى
والجبل اقوي صلابه من الانسان

الامر الثالث

تبين النصوص نتائج تجلي الله عزوجل للجبل فقال تعالى

(فلما تجلي ربه للجبل جعله دكا وخر موسي صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المومنين)

1

لقد سجد الجبل لهيبه الله. اندك الجبل العظيم وزايل مكانه انهارت صخوره وتهاوت ترابا يمغر جبينه في تراب
الذل

2

لقد اصيب موسي بالصدمه وهو يشاهد كيف اصبح الجبل دكا واصبح مسوي بالارض لقد تفاجا ان الجبل يتلاشي
امام عينيه والصعق اما الاغماء اشاره الي السقوط- من هول ما راي واما ان يكون الموت حسبا ذهب البعض الا
خر من العلماء المهم هنا ان موسي علم انه لاطاقه له لرؤيه المولي سبحانه وتعالى بالعين والبصر

3

امر الله موسي ان يفيق فلما عاد اليه وعيه عاد اليه وعيه بحقيقه الواهيه الخالق وعجز الخلائق فقال تعالى (فلما
افاق قال سبحانك)

بدا بتنزيه الله ان يراه احد من خلقه في الدنيا تنزيه كبرياه تعالى وتقديس لعزته ان يحصره مكان او يحده زمن
ثم اعلن توبته (تبت اليك)

من اجترائه علي طلب الرؤيه ..ومن نسيانه حقيقه ان احد لايصمد لنور الله ..تاب من اغفاله انه يجب تنزيه الله
عن المكانيه المحدوده التي لايد منها لحدوث الرؤيه

ثم بادر الي الاعمال الصالحه بعد اعلان التوبه لان من دلائل صحه التوبه الاسراع لعمل القربات فقال تعالى (وانا
اول المومنين)

رابعا

(قال ياموسي اني اصطفيتك علي الناس برسالتى وبكلامي فخذ ما اتيتك وكن من الشاكرين)

تحدث الایه عن مخاطبه الله سبحانه وتعالی لنبیه موسی علیه السلام بانه جل جلاله نداه باسمه یاموسی قائلاً له لقد اخترتک واجتبیبتک بفضائل عظیمه ومناقب جلیله بان اخترتک لحمل الرساله التي لا اجعلها ولا اخص بها الا افضل الخلق وكذلك بکلامی بغير واسطه فعلیک ان تاخذ ما اعطیتک من شرف الاصطفاء والمناجاه وکن من الراسخین فی الشکر علی ما انعمت علیک ..وهذا فیہ الاتی

الامر الاول

ان الجملة مسوقه لتسلیه موسی عما اصابه من عدم الرؤیه فکانه یقول له ان منعتک فقد اعطیتک من النعم العظام ما اعطیتک فاستعمل الاصطفاء هی افتعال من الصفوه وصفوه الشی خالصه وخياره ای اخترتک علی عالم زمانک برسالتی لان الرسل قبل موسی وبعده اصطفاهم الله ایضا وبالتالی فان هذا یدل علی ان المراد بالاصطفاء بالرساله علی ناس عالم زمانه وليس کل الناس

اما بالنسبه لنعمه الکلام مع الله بدون واسطه فهذه نعمه اختص الله بها موسی دون غیره من الانبیاء فهذا تکریم خاص له دون غیره

الامر الثاني

یخبر الله تعالی نبیه موسی انه قبل الاصطفاء کان بشراً عادیا وان الله اکرمه بالاصطفاء وهو من نعم الله التي یخص الله بها من یشاء من عباده صحیح انه بعده یرتقی فی مدارج البشر الی افق الکمال لان علم الانبیاء مصدره الوحي بینما علم البشر مصدره العقل وهو محدود واصل حركه الانبیاء اصطفاء الله فالله یقول (الله) یصطفي من الملائکه رسلاً ومن الناس) ویقول (الله اعلم حيث یجعل رسالته) وبعد اختیار الله للنبی تبداً مرحله جدیده فی حیاته تقف امامه قوی الشر یتعرض للذی فی نفسه واهله وبيته وماله وعقیدته وافکاره فالنبی بحاجه الی یتقوا قویاً فی حمل الدعوه وان یکافح من اجل الدعوه الی الله حتی یلقي ما قدره الله علیه فالانبیاء یدفعون ثمن اختیار الحق للمهمه والعناء فی الله ویقدمون التضحيات ولهذا فهم یحتاجون الی العزیمه والجد والا جتهاد للقیام بالمهمه فبعد البعثه تصعد حیاتهم لافاق فی الکمال لاندری بها نحن البشر فهو یحتمل ما لا یحتمله البشر ویدفع ما لا یقدر علیه البشر ویزوده الله بما لا یزود به البشر من معجزات وغیره

وهذه الامور من نعم الله ولهذا یقول الله لموسی خذ ما اعطیتک من النعم التي فضلت بها علی عالم زمانک ۛ القبول والانقیاد وکن من الشاکرین لله ولا تطلب المزیذ

فالامر باخذ ما اتاه من التوراه وما فیها من علم والشکر علی الاصطفاء والعطاء یعلم الحق نبیه ما ینبغي ان یقابل به نعمه الله تعالی من القبول والشکر ففي ذلك زیاده النعم لقوله تعالی (لئن شکرتم لازیدنکم) واصلاح القلوب وا لاحتراز من بطر النعمه والاتصال ب الله ...وهذا فیہ تعلیم موسی ان طلب استزاده النعم یشکر فلا یطلب م الیس له ان یطلبه یقول له لا تطلب ما لطاقه لك ای ان التفضیل للانبیاء والارتقاء فی مدارج الکمال الذی یصلون الیه بعد الاصطفاء یجعلهم غیر البشر العادیین لكن ذلك لا یخرج النبی عن بشریته وحقیقه انه عبداً لله یشکر ربه علی انعامه ویلتزم المنهج بامتنال اوامر الله واجتناب نواهیة فهو القدوه الحسنه للناس فیجب ان یشکر اول من یشکر بمنهج الله وبالتالی فعلیک اخی المسلم ان تتذکر انعام الله تعالی وتشکره وان تظهر احسان الله وفضله ف الشکر مقرون بالمزیذ

خامساً

قال. تعالی

(وكتبنا له فی الاواح من کل شی موعظه وتفصيلاً لكل شی فخذها بقوه وامر قومك یاخذوا باحسنها ساوریکم

دار الفاسقين

المبحث الاول

(مضمون الرساله التي انزالها الله علي موسى)

الايه ذكرت مضمون ما جاء في التوراه في سياق الحديث عن بعض النعم التي انعم الله بها علي موسى وقومه فجاءت الايه معطوفه علي ما قبلها كانها تفصيل لهذه النعم التي توجب الشكر لله علي انزالها فقال تعالى (وكتبنا له في الالواح من كل شي موعظه وتفصيلا لكل شي)

وبالوقوف علي الايه نجد الاتي

الامر الاول

تهدف الايه الي الوصول الي اعماق النفس الداخليه لرؤيه احسان الله وعطاءه ليكون الشكر لله نابعا من الشعور بجمال الله وجلاله وعظمته وبالتالي تعظيم امر الله ونهيه ولهذا جاء اسناد الكتابه لله جل جلاله وهي تحتمل ان يكون النقش بالكتابه منه تعالى او انها كنايه عن امره ونهيه سواء كتبها موسى او ملك من الملائكه

الامر الثاني

استخدام كلمه الالواح وهي جمع كلمه اللوح وهي صحيفه معده للكتابه فيه لانه يلوح ويظهر بما فيه من الخط واصله من لاح البرق اذا علم

وهذا الوصف المذكور في القران الكريم والذي يجب التوقف عنده وما ذكره المفسرون من القول انه من الياقوت نقشه والجواهر والزمرد وغيرها من الاوصاف فانه لادليل صحيح من الكتاب والسنه علي ذلك ولعلها من تسريبات الاسرائيليات وبالتالي فلا ينبغي القول بذلك لعدم الدليل ويكفي الوصف الورد في القران بانها الالواح واسند الكتابه لنفسه لبيان ان فيها كل ما يختص بموضوع الرساله من توجيهات وارشادات واحكام في جميع نواحي الحياه في السلم والحرب والسياسيه والاقتصاد والاجتماع والاخلاق والعقيده والمعاملات وسائر ما هو متعلق بالا نسان وما يحتاج اليه

لبيان انه لم يترك مساله الا كتب في الالواح كل ما يتعلق بها من احكام وبالتالي فلم يكن هنالك غموض ولا عذر لبني اسرائيل ذلك ان الاحكام مكتوبه يعني لم يبق اي عله لعدم الفهم لها وانها شامله لكل شي فلا نقص ولا غموض فيها فقوله (من كل شي) بالتبعيض يعني بيان لكل شي وتكثير تفصيلا لافاده الابهام والتبعيض والمعني كتب المولي في الالواح وهي التواره النازله مختارات من كل شي حسب ما يحتاج اليه الناس في الاعتقاد والعمل في جميع نواحي الحياه في زمانهم

المبحث الثاني

التوجيهات بكيفيه التلقي والتنفيذ لما في التوراه حتي تحصل الفائده وهي توجيهات لك انت ايه المسلم كيف تتعامل مع مساله تلقي وتنفيذ آيات القران واحكامه وموعظه لتحصل علي الفائده فقال تعالى (فخذها بقوه وامر قومك ياخذوا باحسنها)

الايه ابتدأت بالعطف بالفاء عطف تفريع علي قوله (كتبنا)

لان الايه تشعر بمعني القول فالتقدير وقلنا له فخذها بقوه

وامر قومك ياخذوا باحسنها وهذا فيه الاتي

الامر الاول

اهميه اعداد القائد وتزويده بالمعلومات والاساليب التي تحقق الغايات والاهداف وادواته فقال تعالى (فخذها بقوه) والخطاب موجه لموسي والخذ بالقوه هنا تعني الحزم والجد والصبر والعزيمة والهمه لانه ارسل الي قوم طال امد الاستعباد فيهم ولهذا فانه اذا لم يكن قويا وجاد فانه سوف يعجز عن تربيتهم وارشادهم ويعجز عن تنفيذ امر الله فالقياده تحتاج الي شخص قوي ومعلوم ان الحازم والجاد يستعمل ماعنده من قوه حتي لايفوته المقصود فالخذ بالقوه لازم للجد والحزم

الامر الثاني

تهدف الايات الي اعداد وبناء الشخصيه المومنه الصادقه المتقيه العابده العلميه القياديه في مجتمع نشاء في بيئيه اجتماعيه سادت اجواءها الذل والقهر والاستعباد لفته طويله من الزمن تعاقبت فيها الاجيال علي نمط حياه الخوف والقهر والهون وتعايشت مع الاستبداد والظلم والحريه والكرامه ولا مواطنه واستوطنت ثقافه الاستعمار في اعماق نفوسهم بانهم عاجزون عن اداره امورهم ولايمكنهم القيام بشي وغيره ص الحين للقتال وليس لهم الا ان يعيشوا في خدمه الاسياد

ثقافه نتج عنها الشعور بعدم العقه بالنفس وتبلد الاحاسيس والمرواغه والالتواء في التعامل وعدم الوضوح لا تعرف صدقه من كذبه مجتمع كسل حياته كلها هزل لايتحدث معك بجديه البته مجرد الحديث فكيف بالتعامل كل تلك الظروف جعلت نظرتهم وطريقه تفكيرهم تفتقد للجديه والحزم يتهربون من اعباء المسؤوليه ومشقه تكاليفها ولهذا كان لايد من استعمال اسلوب معين في تربيتهم واعاده تشكيلهم بحيث يكون تفكيرهم ومشاعرهم نحو العقيد واهدافها واحكامها نابعا من الجديه والحزم في التلقي والتنفيذ باحساس بالمسؤوليه والواجب عليهم يشعرون انهم منتجون ولهم دور في صناعه الحياه والتاريخ مساهمون في حركه التغيير والارتقاء والنهوض بالامه نجو المجد واضحون في تعاملهم يعشقون الحريه والعقيد التي زرعت فيهم هذا الفكر والمشاعر الجديده

فالامر يحتاج الي منهج مكثف قادر علي تربيتهم واعاده تشكيل قواهم العقلية والنفسية والذهنية مع طبيعه المرحله الجديده والحدث الضخم الذي انتقلوا اليه فتكاليف الخذ بالمنهج تحتاج الي قوه عظيمه وهمه عاليه تحتاج الي رجال اقوياء لا ميع وضعفاء وكسالي فكان الامر باختيار الاحسن بمنعي التكاليف الشاقه هو الاحسن لهم والاصح لحالهم احد المعاني التي اخذ بها بعض المفسرون امثال السيد قطب باعتبار ان ذلك يتناسب مع التشخيص للامراض التي يعاني منها بنو اسرائيل كما شرحنا سابقا فهم بحاجة الي منهج لازاله امراضهم تلك

ولايتعارض هذا المعني مع راي من قال ان المراد بهذا ان يامرهم بالعفو بدل القصاص وكظم الغيظ والامهال للمعسر بدل التعجيل لان هذا فيه تربيه لهم من اثار فتره الاستعباد والتي غرست فيهم الحقد والكراهيه وعدم التسامح

وكذلك لايتعارض مع راي من قال ان المعني هو يامرهم باختيار الاحسن من الامور عندما يعرض حسن وسي عليك ان تختار الحسن لكن عندما يعرض عليك حسن واحسن فهل تختار الادني ام الاعلي من الموكد ان صاحب الذوق السليم سوف يختار الاحسن علي الحسن ويبعدوا ان بني اسرائيل كانوا قد فسد لديهم الذوق نتيجه الا ستعباد اصيبت نفوسهم بالخسه والدناءه ولذلك كان اختيارهم للادني والسي كما وصفهم الله في موضع اخر (ق) ال اتستبدلون الذي هو ادني بالذي هو خير)

ولهذا فان التوجيه هنا يامر فيه موسي باعاده تربيه قومه والارتقاء بنفوسهم وتخليصهم من الخسه وذلك يحتاج

الي تنميه الذوق فيهم برؤيه الجمال للاشياء من حيث حالها وعاقبتها ودوام هذا الجمال وزواله لان بني اسرائيل كانت معيارهم تنبع من التعلق بالدنيا وشهواتها ومن رغبه البطون فلم يكونوا ينظرون الي جمال الامور والاشياء من حيث غذاء الروح ولهذا فالأخذ باحسن الامور لازم حب الجمال وملازمه الحس فيكون الاستماع للامر باعنا علي اتباع احسن مافيه باستنباط الاحكام وتكوين المفاهيم الجميله عن تنفيذ الاحكام في اعماق النفس وهذا يتطلب ان تكون النفس شريفه والهمه عاليه والعزيمه الرفيعة كما قال تعالي (الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه)

فالامر يحتاج الي الأخذ بالعزائم خاصه في الاحكام التربويه لان الأخذ بالعزائم تعمل علي تقويه الانسان لحمل العظام خاصه لمن كان يتصف بالكسل والضعف

المبحث الثالث

يعقب المولي عزو جل علي ماسبق بقوله (ساوريكم دار الفاسقين) ذهب المفسرون في تاويل هذه الايه الي اراء متعدده

الراي الاول :

بان الايه وردت في مقام الوعد لهم بالتمكين في الارض ان هم اخذوا التوراه بقوه في التلقي والتنفيذ بان يورثهم دار الفاسقين التي اخبرهم بها اي الارض المقدسه التي كانت في ذلك الزمن بعينه عنهم وقد خرجوا من مصر لاجل دخولها كما ذكر الحق في في موضع اخر (ادخلوا الارض المقدسه التي كتب الله لكم)

وهذا الراي فيه :

المفهوم الاول

الحث علي عدم التساهل والتهاون بالمنهج ومافيه من مشقه وان عليهم الأخذ بالعزائم فان هذا لاجل تربيتهم واعدادهم وتجهيزهم ليكونوا اهلا لدخول الارض المقدسه حيث يفهم ان تربيتهم لم تكن قد اكتملت فلم يكونوا اهلا لدخولها وهذا واضح في ردهم في سوره المائده (اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون)

فقد كانت عزائمهم خائره مفككه وملتويه ولهذا كان الامر الالهي ان ياخذ الامر بقوه وان يامر قومه تحمل تكاليفها الشاقه

المفهوم الثاني

هذا فيه الترغيب علي التمسك بالمنهج وان يكونوا من اهل العزائم خاصه للنخبه والطليعه التي هي التنظيم النواه في عمليه التغيير فاللازم ان يكونوا اصحاب عزائم لايبحتون عن الرخص ولهذا جاء الوعد بالتمكين لبيان نتيجه نعمه الايمان والأخذ بمنهج الله وتوجيهاته بان ذلك يوصلهم بحبال الكرامه والعزه وتنقاد لهم النعمه ويحصل انبساط العاقبه لهم بالاعتصام بمنهج الله والاجتماع علي نعمه الاسلام والتمسك بمنهجه عندها سوف تصيرون ملوكا علي من كان يتحكم فيكم ففي ذلك الكرامه وسعه النعمه عندها سوف تشاهدون امر الفاسقين وترثون ديارهم واموالهم فيتحقق وعد الله بالتمكين والعز بدل الذل

الراي الثاني

ان المراد بدار الفاسقين هي ديار الهالكين من الامم السابقه مثل ثمود وقوم لوط وقوم شعيب الذين اهلكهم الله بذنوبهم وابقى علي ديارهم عبره يعتبر بها المومنون المتواضعون .. قال بهذا الراي الكلبى

وهذا المعنى لا يتخلف عن مدلول المعنى الاول فالمعنى هنا ان المنهج هو لتربيته لاجل ان يكونوا اهلا للرزق والتمكين

ومنهم من قال ان المراد بها منازل فرعون وهذا القول غير سليم لان النصوص تتحدث عن حقه جديده من حياه بني اسرائيل بعدما شاهدوا هلاك الفراعنه

الراي الثالث

ان الايه وردت للتهديد بعد الامر باخذ التوراه بالقوه والعزيمه والهمه العاليه فذكر نهايه اهل الفسق بانها في نار جهنم

المفهوم الاول

فاراد الحق بهذا تقويه العزائم للاخذ بالمنهج واتباع مافيه لان الخلافه اختيار فهي لاتعبت بمجرد ولاده الانسان كالادميه والعبوديه وانما تثبت له بطاعه الله والقيام بحق الامانه التي كلفه الحق بها وان كان الانسان يولد عبدا لله سواء اعترف بهذا او كابر فالانسان لا يولد خليفه لله وانما يصير خليفه لله اذا اراد الخلافه وسعي لها سعيها وهو مومن ولهذا عقب الامر باخذ المنهج الرباني بالقوه واختيار احسن الاحكام فيها بتوجيه الانظار الي نهايه الفاسقين العصاه والمتمردين الذين جعل لهم دار يقيمون فيها (ساوريكم دار الفاسقين) وهي نار جهنم وربط النهايه لاهل الفسق بالتمرد عن اتباع منهج الله فان هذا التعقيب يتناسب مع شرط الخلافه الذي اشترطه سبحانه وتعالى علي ادم حينما اسكنه وحواء في الارض فقد جعل الله اول شرط لاستخلاف البشر هو طاعتهم لله تعالى فقال تعالى (فاما يتبينكم مني هدي فمن تبع هدي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون)

نفهم منها ان اتباع هدي الله يعني النجاه من الاحزان والخوف فقيدت الخلافه بشرط اتباع الهدي اي منهج الله

فالايه تهدف لبيان ان مدرسه الخير التي التي ينتسب اليها الانبياء ومن اهتدي بهديتهم تقوم علي ابواه المنهج بامتثال امر الله واجتناب نواهي

وان مدرسه الشر التي ينتسب اليها الفاسقون والمتمردون العصاه تابعون لمدرسه الفسق وموسسها ابليس اللعين

وان النهايه والعاقبه تكون باجتماع اهل الفسوق والعصيان في نار جهنم فذكر هنا ان جهنم هي الدار التي يسكنها الفاسقون فسامها دارهم بينما سماها في ايه شرط الخلافه انهم اصحابها فقال تعالى (اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون)

المفهوم الثاني

تبين الايه ان الاحكام والمواعظ الوراده في كتاب الله هي لتطهير النفس من نوزاع الفسوق والعصيان والتمرد فهي

من نعم الله علي الانسان ومن رحمته ف الله يحرسكم بما انزل من عبادات من الافات التي كانت سببا في هلاك ابليس اللعين فعليكم قبولها لتزكيه نفوسكم من الافات ففي المواعظ والاحكام والعبادات تذليلا للنفوس من الكبر وازهاب للخيلاء بالاذعان لامر الله فمثلا الصلاه تعني تمرغ الوجوه والجوراح في التراب تواضعا لله وقمع للكبر وفي الزكاه اعتراف بحق الفقير واخراج للتعالي عليهم

المفهوم الثالث

ان من يريد الانتساب لمدرسه الخير فعليه ان يلتزم منهج الله لانه اذا تمرد فانه يكون فاسقا تابعا لمدرسه
الفسوق وموسسها ابليس اللعين

ولهذا فان اساس وقاعده الانتساب هي اخراج الكبر من القلب والنفس وترك التعصب لاثار مواقع النعم والذي ينشا
عنها التعالي والكبر فابليس تعصب لاصله وتفاجر علي ادم بمادته التي خلق منها ولهذا فاللازم ان تحذروا من
العدوي بداء ابليس فلا تعصوا امر الله ثم انه للوصول الي التمكين لابد من الازعان لله بالعبوديه ولهذا لاجل ان
تكونوا اهلا للعز والتمكين انزل الله المنهج لازاله الشك والريب من الصدور باختباركم بضروب المكاره والشدائد
في مشقه الطاعه ومشقه ترك المعصيه لاجراج التكبر من قلوبكم واسكانا للتذليل والاذعان في نفوسكم لله تعالي
لتكون المواعظ مفتاحا لرحمه الله لتملكوا امور من كان قبلكم وصولا الي العز والتمكين

سادسا

(ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل ايه لا يومنوا بها وان يروا سبيل الرشده لا
يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكا نوا عنها غافلين. والذين كذبوا
باياتنا ولقاء الاخره حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون)

المبحث الاول

علاقه الابيه بما ورد قبلها من الامر بالعزيمه والارده القويه في تلقي منهج الله تعالي والعمل به والتي اختتمت
(ساوريكم دار الفاسقين)

فان هذا الاستئناف للتحذير من سلوك اعداء الحق سواء في مقابله المنهج بالفتور والكسل والضعف او مقابلته بـ
التعالي والعصيان فهذا يدل علي خسه النفوس وحقارتها وفساد العقول فاراد الحق ان يحذرنا من ذلك فهو يقول

عليكم ان تفهموا ان الطريق الي العز والتمكين يكون بطاعه الله وامتنال امره واجتناب نهيه وان يكون ذلك عن
حب لله واجلال وتعظيم فالانسان محتاج الي رضا الله وتوفيقيه ولهذا فلا بد من تنظيف النفوس من الكبر و
التعصب والتمرد فهي نجاسه مانعه من الانتفاع بالعلم النافع عليك ان تخلع ثياب التعزز وتلبس ثياب العبوديه
وتطهر قلبك من الكبر لان الكبر والتمرد والفسق والعصيان ينتهي الي دار الفاسقين فابليس هو امام المعتصبيين و
الله لم يرخص بالكبر لانبياءه فاحذروا من الاصابه بعدوي داء ابليس فهو كما يقال عبد ربه سته الف سنه لكنه
احبط عمله كله وذهب جهده الجهيد بسبب كبر ساعه واحده عندما رفض امتثال امر الله بالسجود لادم

فعلي كل واحد ان يفتش مافي نفسه من كبر او تعصب ويخرجها في الحال لانه بعد هذا كيف لاي انسان ان يسلم
من العقاب الالهي فالمساله حاسمه فما انت فاعل في عمرك القصير الذي لايتجاوز ستين سنه اذا كان ابليس قد
سجد لله سته الف سنه فاستحق الغضب الرباني لانه تكبر علي امر الله فلا نجاه ولاهدايه ولافلاح الا باتباع منهج
الله والخضوع والاذعان لامر الله تعالي ولهذا ذكر بعدها قوله تعالي (ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الا
رض بغير الحق الخ

الامر الثاني

تبين الايات ان مصير الفاسقين المتكبرين مشهود بما ترون من اثارهم الباقيه في ديارهم لتروا. نهايه المتكبرين
المتمردين عن احكام الله تعالي ومنهجه والذين يرفضون القبول بالحق فتلك ايات تنطق بنهايه اهل الفسق و
العصيان ولكن فهم الايات وادراك مافيها واستنتاج العبر والمواعظ يحتاج الي توفيق الله وهدايته والهدايه
الخاصه انما تكون لاولياء الله تعالي اما اعداء الحق المتكبرون فانهم محرمون من الهدايه والتوفيق لان قلوبهم
غير طاهره فمعاني الايات سواء كانت الكونيه او اداله الحدث او الايات المسموعه التي هي اياته تعالي وادالته وع

لامته علي حقيقه ما امر به عباده من توحيد له بالواهيته وربوبيته وعبوديته وحده لاشريك له وما فرض من اوامر كلها آيات الله لها معاني لا يذوقها الا القلوب الطاهره فالقلب لا يدخله حقائق الايمان اذا كان فيه ما ينجسه مثل الكبر والعصيان والحسد لقوله تعالى (اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم) ولهذا قال تعالى (ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا ..الخ

المبحث الثاني

تبين النصوص من هم الذين ينتفعون بالآيات الربانيه سواء المسموعه او المرئيه آيات الله الكونيه او اداله الحدث

بالرجوع الي النصوص القرانيه نجد ان الحق سبحانه وتعالى ذكر في اكثر من موضع دعوته الي استخدام العقل في طلب رؤيه الحق بالتفكير من خلال النظر والتامل الي ما وراء المحسوس لتري في آياته الكونيه مفعولاته ما يدل علي وجوده وانه حكيم خبير عليم قدير

والقران يامر بالتفكر ويحترم العقل فقال تعالى (قل انما اعظكم بواحد ان تقوموا لله ...ثم تفكروا)

فاصحاب العقول هم الذين يستخدمون عقولهم في النظر والتامل فقال تعالى (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعوداويتفكرون في خلق السموات والا رض ...الخ

ولهذا نجد ان الحق سبحانه وتعالى يقول لنا (ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق)

لان العلم والاراده هما اصل كل عمل فاصل الخير بمعرفه الحق ولهذا فان ذلك يوجب اتباعه لكن بسبب العارض الكبر ...حجبت عنهم معرفه وفهم الحق واتباعه فكان منهم من فهم الآيات عقوبه لهم لانهم حرموا معرفه الخير واتباعه كما قال تعالى (ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مره ونذرهم في طغيانهم يعمهون)

وهذا فيه

الامر الاول

عليك اخي المسلم الانتباه من الانهماك في الباطل فان ذلك موجب للعقاب الالهي فالاصرار علي التكذيب بالآيات برغم معرفه الحق بسبب عارض الكبر يترك اثرا في النفس تمنعه عن رويه القضييه ولهذا قال تعالى (ساصرف عن آياتي ..الخ فالسنه الالهيه في سلب المعاندين توفيق الهدي لان المعاند يدخل نفق مظلم لانهايه له ولا امل في عودته للحق ولهذا قال تعالى (بغير الحق) بعد لفظه الكبر

لتأكيد ان التكبر والشعور بالاستعلاء علي الاخرين واحتقار عباد الله يكون دائما بغير الحق فجاء القيد هنا قيد توضيحي وتوكيد خاصه وانها وردت بعدها (في الارض)

للدلاله بمعني التكبر والطغيان فوق الارض لاشك ان هذا العمل بغير الحق

الامر الثاني

فالمنع لهم من فهم الحق واتباعه لان قلوبهم متسخه باوساخ فهي غير صالحه لاستقبال انوار الله لان الله يفتح علي قلوب اوليائه المتقين وعباده الصالحين بسبب طهاره قلوبهم مما يكرهه واتباعهم مايحبه ما لايفتح به علي غيرهم فان الكبر واتباع الهوي مانع من قبول الحق فاخبرنا الله ان اتباع ما يكرهه الله يصرف عن العلم والهدي

فقال تعالى (وان يروا كل ايه لايومنوا بها)

وان يروا جميع الايات ولهذا فعليك الانتباه من الاعراض

فالففور والهروب من دلائل. الحق حجودا له او كسلا عن مشقه التفكير هنا من اسباب العقاب لهم كما قال تعالى

(وما تاتيهم من ايه من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين)

ولهذا يصف الحق من يتصف بذلك كمن لاعقل له فهو يفقد التميز بين الخير والشر والحسن والقبيح يسلب القدره علي التميز بين الرشد والغي فقال تعالى (وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا) فهم لايسلكون طريق الصواب الموصول الي النجاه الذي يسلكه العقلاء حتي وان ظهر لهم ذلك الطريق بل يسلكون طريق الغي لانهم انغمسوا في الشرور والضلال واعتادوا علي المنكرات ولهذا فقدوا التميز

المبحث الثالث

فاللازم عليك اخي المسلم الحذر من المعاصي والذنوب لانها سبب الخذلان والانحراف وتعطيل حواس الفكر و النظر ولهذا نجد ان الايه تاتي بعدما سبق ببيان الاسباب التي كانت وراء عقوبه صرف الايات فقال تعالى

(ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا غافلين)

تعليل العقوبه فاستعمل اسم الاشاره لبيان ان العقوبه المذكوره من التكبر وعدم الايمان بشي من الدلائل الداله علي الحق واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم علي سبيل الغي والغوايه والضلال كان بسبب تكذيبهم بالايات الداله علي بطلان ما هم عليه من اباطيل وسبب انهم انغمسوا في الاهواء ومتقلبات الحياه فصاروا في الغفله ف الله لم يخلقهم مطبوعين علي شي مما ذكر ولم يجبرهم ولم يكرههم بل ان ذلك بسبب اختيارهم التكذيب بايات الداله علي الحق فاستعمل اسم الاشاره (ذلك) مبتدا وخبره الجار والمجرور بعده اي ذلك الصرف سبب تكذيبهم

ولهذا قال تعالى بعدها (والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخره حبطت اعمالهم هل يجزون الا ماكانوا يعملون)

فالكذب يصور المعدوم حقا ويصور الحق معدوم ولهذا يفسد عليه تصورته واعماله وحركاته ولهذا فان المومنون و المصدقون بايات هم الذي ينتفعون بما فيها لان الاعتقاد الحق يزيد صاحبه معرفه وكذلك فان الذين يومنون بلقاء الله والحساب والعقاب فانهم يخشون الوقوع في الهلاك ولذلك هم يبحثون عن الحق ويتحروا الحق في كل حركه يتحركونها ف الله يقول في موضع اخر (ذلك الكتاب لاريب فيه هدي للمتقين) ويقول (وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون)

فعليك ان تتجه باعمالك الي غايه مقصوده وهي ارضاء الله وان تشعر برقا به الله فهذه هي اساس الفاعليه الا يجابيه واساس الانتفاع بالعلم لان الله سوف يشرح صدرك لاستقبال انواره ولهذا يخبرنا الله ان الذي يكذب بايات الله ولايومن باليوم الاخر ايمانا يقينيا فان اعمالهم وان كانت في ظاهرها متجه جهه الخير فانها سوف تبطل اثارها ولايجدها وقت الحاجه بسبب فقدان شرطها وهو الايمان والتصديق فالجزاء من جنس وهو عقاب لكل من يكذب بالايات ويكذب باليوم الاخر

القسم الثالث

تعود الايات لموضوع قوم موسي بعدما تركهم موسي تحت امره اخيه هارون وذهب لمناجاه الله فما الذي حدث وكيف عرف موسي ذلك وماذا كان رده فعل موسي فقال تعالى (واتخذ قوم موسي من بعده من حلبيهم عجلا جسدا له خوار الم يروا انه لايكلمهم ولايهديهم سبيلا اتخذه وكانوا ظالمين ولما سقط في ايديهم وراوا انهم قد

ضلوا قالوا لمن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى الي قومه غضبان اسفا قال بسما خلفتوني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقي الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذل في الحياه الدنيا وكذلك نجزي المفترين والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وءامنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم)

الموضوع الاول

تنقل لنا الايات فعل قوم موسى بعدما ذهب موسى لمناجاه ربه وتركهم تحت اماره اخيه هارون فذهب لمقيات ربه حيث دفعه الشوق والحب لربه بالذهاب متعجلا بالوصول وخلال فتره غيابه حدثت امور فقال تعالي (واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار)

فقد استغل السامري غياب موسى وصنع لهم من الحلي الذهب التي اخذوها معهم من مصر ومع قبضه من اثر الرسول اي جبريل عجلا له صوت خوار اي البقره وعبدوه

وهذا فيه الاتي

1/

ان واقعه خصلت بعدما فارقه موسى ماضيا الي ربه لمناجاته وفاء للوعد الذي وعده ربه اياه فموسى كان في حضره ربه في موقف مناجاه ربه

2/

ترسم لنا الايات صورته انتكاسه وتردي بني اسرائيل بانه حصل سريعا فلم يمضي علي غياب موسى شهرا حتي انحرفوا ووقعوا في عباده العجل فقد اعتبروا غياب موسى انه لن يعود وصنع لهم السامري عجلا وقال لهم ان هذا هو ربهم الذي ارسل موسى فعبده

الموضوع الثاني

تبين لنا الايات ان التغيير الايجابي يتطلب العبور من حقبه الماضي البغيض الذي يرمز للتخلف الي المستقبل الذي يعمل امنيته الانسان وطموحاته والذي يرسم طريق التطور والعبور هنا يعني الانتقال من مرحله التخلف الي مرحله التقدم وهذا يتطلب اعاده تشكيل العقول والافهام والنفوس بما يتفق واهداف التغيير ولهذا فان اول خطوه لنجاح ذلك هو تنقيه الاوعيه القلبيه والذهنيه والنفسيه من ركام الفكر الجاهلي البغيض ليكون الانطلاق من خلال الواقع الجديد والاهداف التي تحكمه ولهذا نجد ان الايه تنقل لنا صورته ترسم حال بني اسرائيل وانهم مشدودين للماضي ومازالوا متأثرين بحقبه فتره الاستعباد في مصر حيث ذكر عن بني اسرائيل كانوا قد اخذوا معهم حلي من ال فرعون فقال لهم السامري لما مضي ثلاثين يوما من غياب موسى هاتوا ما عندكم من حلي نحرقها فبقاؤها حرام كونها خاصه بفرعون فاوقد نار فالقي فيها الحلي فلما ذاب الحلي القي ما معه من قبضه من اثر الرسول في النار فصار عجلا له والعجل ابن البقره له خوار مثل صوت البقره فقال لهم هذا الهكم واله موسى فعبده فالحادثه ترسم لنا الاتي

الامر الاول

ان بني اسرائيل فشلوا في اول امتحان في تطوير طبيعه هذا المجتمع لانهم لم يتهيأوا بعد لتطوير طباعهم

المتخلفه التي اوجدتها ظروف الاستعباد فصارت بمرور الزمن سلوكا عاما تمثل بالتردد يتقدمون خطوه ثم يرتدون خطوات الي الخلف فهذا السلوك متلائما مع طبيعه الالتواء التي اتصف بها بني اسرائيل نتيجه الاستعباد الطويل الذي صاغ سلوك الانحراف وصار طبيعه ملازمه لهم تتناقلها الاجيال نتيجه ضعف العزائم التي شكلت دافعا علي استمرار بنو اسرائيل علي طباعهم المورثه من حياتهم في مصر

الامر الثاني

تصور لنا الايات استبقي ذهنيه بنو اسرائيل علي معايير اجتماعيه من حياتهم في مصر والتي صاغت نظرهم للاشياء تحت تاثير الاستعباد وهم لم يستطيعوا التلائم مع الظروف الجديده نظرا لعدم قدرتهم علي التخلص من اسباب الذل والهون الذي عاشوه فقد جمدت قناعتهم بتلك الحياه احكام طباعهم فهم غير قادرين علي تجاوز اثاره من فقدان الطاقات ولهذا فقد شكلت تلك الطبيعه عائقا امام تقدمهم وصعب عليهم اجتياز مراحل التطور وبسبب ذلك تتعثر خطواتهم لانهم غير قابلين للتقدم. فالملكات التي تحكم تفكيرهم سطحيه لانها تستند علي معايير فاسده استوطنت عقولهم فهم برغم مشاهدتهم ايات الله ومعجزته ومنها انشقاق البحر بضربه عصا وهي تدل علي قدره الله تعالي وانعامه ومع ذلك يطالبون من موسي ان يصنع لهم صنما يريدون ادراك الخالق تنزه سبحانه وتعالى عن ذلك فهو لاتدركه الابصار ولهذا يذم الله هولاء فقال تعالي (واتخذ قوم موسي من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار)

لانهم لم يتذكروا وصايا نبيهم عندما طلبوا منه ان يصنع لهم الها بان ذلك القول يدل علي الجهل والحماقه فالله لاتدركه الابصار وامتناعها علي العقول ادراكا فقال لهم انذاك (انكم قوم تجهلون)

ولم يفكروا ان الذي صنع العجل هو واحد منهم رجل منهم فاساس الدين معرفه الله وهو تعالي قد يعرف انه خالق العالم فاذا كانت هذه المعرفه بدون تنزيه فانها معرفه ناقصه وكمالها التصديق به ذاته سبحانه وتعالى بصفته الخاصه التي لايشركه فيها غيره فكمال التصديق به توحيديه وكمال التوحيد الاخلاص وكمال الاخلاص نفي الصفات عنه فلا يجوز التشبيه فهو تعالي منزه من مشابهه الماديات فلا يقول بالتشبيه الا جاهل لايعرف ربه وبني اسرائيل لم يكونوا يؤمنون بما وراء الحس وقد انعكس ذلك علي تفكيرهم وجعلهم يعبدون ماصنعوه بايديهم من الحلي فقال تعالي

(من حليهم عجلا جسدا له خوار)

ولم يقل عجلا جسما وانما عجلا جسدا لان الجسد هو الجسم الذي لاروح فيه وهو خاص بجسم الحيوان الذي بلا روح وبهذه الدقه في اللفظ استطاع القران ان يسلب القران السامع الدهشه التي شعورا بها من تحويل قوم موسي الحلي لبيان انهم صنعوا هذا العجل لكن بلا روح لبيان فساد العقول لانهم عبدوا جمادا اقل منزله من الانسان ولبيان ان من اهم صفات الخالق انه حي دائم لايموت فقال تعالي بعدها منكرها عليهم ماواقعوا فيه من ضلال لايقبله عاقل (الم يروا انه لايكلمهم ولايهديهم سبيلا اتخذه وكانوا ظالمين)

بعد الفراغ من الحديث في الذات الالهيه وامتناعها عن العقول ادراكا لان الله مدبر السموات والارض ومالكها لايجوز ان يكون جسدا له خوار تنزه عن ذلك يذكر الحق صفات الاله الحق بانه يتكلم بما يوحي لعباده ويهديهم الي سبيل الرشده وخص بالذكر هاتان الصفتان التكلم والهدايه لان ذلك من صفات الله التي تكليم عباده عبر رسله بما يعبدوه وهو يرشدهم الي سبيل الخير وينهاهم عن سبيل الهلاك

والمطلوب منك ان تضع كل شي في موضعه لان الخلافه تعني حمل امانه العلم البشري وامانه العلم ب الله اي العلم بالماده والعلم بخالق الماده وحملها يحتاج فيه الانسان النجاه من الجهل والظلم لقوله تعالي (انا عرضنا الامانه علي السموات والارض والجبال فابيين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا)

فالنجاه من الظلم لاتقوم الا بالاتصال بالله والنجاه من الجهل تقتضي العلم باسماء الاشياء ومن هنا فان الاتصال بالله يعني افراده بالتوحيد والالوهيه والعبوديه والربوبيه وحده لاشريك له

بالتنزيه والتقدیس في ذاته بكماله وكمال صفاته عن مشابهه الصفات الحادثه لان كل صفات الممكن لها في اثرها حد تنقطع اليه كما نجده في قدرتنا وعلما مثلا لكل منها اطوار تتوقف عنده ولاتتعداه اما قدره الله وعلمه فلا حد لشمولها فالانسان له اطوار فيها ضعف ونقص وغموض اما صفاته تعالي فهي منزّهه عن هذه النعوت واشباهها ثم هي ازاله ابدیه ولهذا قال عن بني اسرائيل (اتخذوه وكانوا ظالمين)

ظلموا انفسهم لانهم اتخذوا العجل الها لعباده غير من له العباده

الموضوع الثالث

تبين الايات ان المجتمعات المتخلفه عندما تصبح راضيه ومقتنعه ومتشبهه بما تعيش من اوضاع تخلف صنعتها احوال طبيعتها ثم جمدها اجكام طباعها فهي غير قابله معالجه للتطور والتجديد والتحديث لايمكن ان تتخلص مما هي فيها الا بعد ان تتخلص من اسباب التخلف بحيث تنهيا لتطور طباعها المتخلفه اي لايد من اعاده تشكيل العقول والنفوس بما يولد الانسياب الفكري الذي يسمح باجتياز مراحل التطور بنجاح اكبر وبسرعه اكثر من خلال معالجه اسباب التخلف والتمهيد لخلق القناعه بالرغبه في التطور والترقي ولهذا تعددت المعجزات التي انزلها الله علي موسى لاجل ان يحدث الانفعال الباعث علي التخلص من عادات الماضي وتوجيه الطاقات نحو عباده الله وحده لاشريك له والتحرر من كل الاوهام والمخاوف بالنظر الي الامام ورفض الواقع الذي كانوا يعيشون فيه لكن سلوك بني اسرائيل يدل علي ان ايمانهم لم يكن حقيقا فهم مازالوا مشدودين للماضي مرتبطون بقيود ذكريات مرحله الاستعباد فاسباب التخلف هو ضعف العزائم وخسه النفوس وفقدان الطاقات عطوا الحواس رويتهم لا ترتفع عن مدى الرؤيه الحسيه في الاعتقاد والتصوير فهم لا يومنون بما وراء الحس ولهذا كان ايمانهم انفعالي وقتي كلما وقعت معجزه امنوا وصدقوا لكن اثرها يزول بسرعه فالاعجاب الغير منظم بطبيعه مثل البخار الغير منظم لا يولد طاقه دفع ولا قدره تحريك لانه يتجلي مع المناسبات العابره ويتبخر مع البخار المنطلق ولهذا نجد انهم بعدما خرجوا من البحر وشاهدوا المعجزه طلبوا من موسى ان يصنع لهم صنما وبرغم وصاياهم عبدوا العجل بمجرد غيابهم فهم لم يومنوا ايمانا حقيقا لان اثار مرحله الاستعباد ولدت فيهم طبيعه العناد والاستكبار فهم لا يومنون الا تحت وطاه السوط كما اخبرنا القران في مواضع عديده ولهذا نجد ان الحق يذم بني اسرائيل .

لتركهم اعمال العقل بالنظر الي العجل المصنوع بايديهم بانه لايمكن ان يكون الها فقال تعالي (الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين) لبيان ان الايمان ليس مجرد انطباع في النفس ناتج عن العلم النظري بل لا بد ان يكون فعلا اختياريا والنتيجه هي التصديق المنطقي الذي يرسخ في العقول والنفوس اما الانفعال النفساني فانه يزوال بزوال المؤثر وهنا يكمن الفرق ان الايمان يولد الطاقه ويدفعها ويحرك القدرات في اتجاه التطور وهذا الايمان هو الذي يكون به بدايه ولاده ميلاد التطور في حياه الانسان ويبدا بالتخلص من اثار ركام الفكر الجاهلي ولهذا تبين الايات حال بني اسرائيل بعدما رجع موسى واحرق العجل او بعدما تدفعوا حوله وسقط العجل وشاهدوا انه عاجز عن دفع الضرر عن نفسه فادركوا انهم ضلوا عندما عبدوه بعد ان كشفت لهم الحقيقه فقال تعالي (ولما سقط في ايديهم وراوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين)

فالايه تبين الاتي

/1

انهم ادركوا اخطاءهم التي وقعوا فيها بعد ان وقع البلاء في ايديهم قال ابوجعفر لما سقط في ايديهم ..لما ندّم الذين عبدوا العجل الذي وصف الله جل ثناءه عند رجوع موسى اليهم واستسلموا لموسى وحكمه فيهم ف

العرب تقول لكل نادم علي امر فاته منه او عاجز عن شي قد سقط في كذا

2

تبين الابيه انهم عندما ندموا علي فعلتهم سقط الندم في ايديهم تشبيه بمن عض يده من الندم فظهرت اثار العض من شدة الندم

واستعمل اليد لانها تستعمل للقوه والقدرة وتحريك الاشياء واستعملت هنا بمعنى الندم وتبين الخطاء ففي الايه تمثيل بحال من سقط في يده حين العمل اي تعطلت حركه يده بسبب غير معلوم دخل بها فصارت عاجزه وهذا كتابه عن الدهشه والجمله تفيد التنبيه لما ذهلوا عنه فشاهدوا انهم قد انحرفوا عندها لجاوا الي الله تعالي فقالوا (قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين)

وكلمه ربنا لها قرأتان قراءه بفتح الراء (ربنا) اي علي وجه الخطاب قرا بهذا البعض وقرا البعض بالرفع للراء (ربنا) بعض اهل الكوفه والمدريه والبصره فيكون المعني علي وجه الخبر كائهم قالوا لئن لم ينعطف عليتنا ربنا بالتوبه بزحمته وينعمدنا بها بمحو ذنوبنا لنكونن من الهالكين الذين خبطت اعمالهم

فدل هذا علي التخلص من ركام الفكر الجاهلي باعلان التوبه فاخبر الله في موضع اخر انه جعل التوبه بقتل انفسهم فقال تعالي (يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل.... الخ

فهذا هو بدايه الطريق للخلاص من الفكر الجاهلي ان تعترف باسباب الخلف والاعتراف يدل علي قابليه التطور والتلائم مع الظروف الجديده يدل ان الانفعال اصبح منظمًا يمكنه ان يحرك الطاقات والقدرات نحو التقدم والتطور يدل علي رفض الناس لواقعهم والاستعداد للتضحيه بالنفس في سبيل الله

ثانيا

المبحث الاول

(ولما رجع موسى الي قومه غضبان اسفا)

الامر الاول

ترسم الايه لنا انفعال موسى وعضبه لما حدث من قومه في فتره غيابه فكان غضبان عند رجوعه من متاجاه ربه كان علي وجهه ملامح الغضب والحزن الشديد من فعلت قومه الذين عبدوا العجل

وهذا فيه

ان الغضب الذي يتبعني علي المسلم ان يعضبه انما هو الغضب الذي يكون لله تعالي

الغضب الذي يصدر من العبد عند انتهاك حرّمات الله لان من غضب لله غضب الله له وارضاه يوم القيامة

فمن علامات الايمان الغيره علي دين الله والغضب لله تعالي فالمؤمن يعضب للخق فهذه القوه اوخذها الله في الانسان كغريزه لاجل ان تولد فيه قوه التقوى من كل ما حرم الله قوه بغض وكره لكل المعاصي لاجل النهوض بالذعوه والوقوف في وجه الطغاه وبغض الفاسقين واعمالهم وارغام انواف الكفار فالله يقول عن المؤمنين بانهم اشداء علي الكفار رخماء فيما بينهم ..

الامر الثاني

كَيْفَ عَرَفَ مُوسَىٰ بِمَا أَحْدَثَهُ قَوْمُهُ مِنْ بَعْدِهِ فِي فِتْرَةِ غِيَابِهِ

لَقَدْ أَخْبَرَهُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ تَعَالَىٰ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ (قَالَ مَا أَعْجَلَكُ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ... قَالَ) هُمْ أَوْلَاءُ عَلِيِّ أَرِيَّ وَعَجَلْتَ إِلَيْكَ رَبِّي لِتَرْضَىٰ.. قَالَ) انا قد فتننا قَوْمَكَ واضلهم السامري... الخ

ولهذا ابتدأت الآية هنا بقوله (ولما رجع موسى الي قومه غضبان اسفا)

تَبَيَّنَ أَنَّ مُوسَىٰ رَجَعَ فِي حَالِهِ غَضْبٌ وَأَسْفٌ مِنْ فَعَلِهِ قَوْمُهُ وَالْأَسْفُ لَهُ مَعْنَىٰ أَمَّا الْحُزْنُ وَأَمَّا شِدَّةُ الْغَضْبِ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ الْأَسْفُ مَثَلُهُ وَرَأَى الْغَضْبَ وَأَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ

فَالْآيَةُ تَصَوَّرْنَا أَنَّ الرَّسُولَ لَا يُخْرِجُ عَنْ بُشْرِيَّتِهِ فَهُوَ يَتَأَلَّمُ وَيَحْزَنُ وَيَغْضَبُ فَوَاقِعِيهِ الرَّسَالَةَ وَبُشْرِيَّتِهِ الرَّسُولَ مُهِمٌّ لَأَسْتَجِيبَ الْأَسْجَابَ مِنَ النَّاسِ وَتَقْدِرُ تِلْكَ الْوَأَقْعِيهِ يَكُونُ لَهَا التَّجَاخُ

المَبْتَحُ الثَّانِي

(قَالَ بِسْمَا خَلَقْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَالْقَبِي الْأَلْوَاخِ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ)

ترسم لنا الايات صورته انفعال الغضب لدي موسى من فعل قومه في قوله وفعله في مواجهه الانحراف الواقع من قومه في فتره غيابه لبيان الاتي

الامر الاول

اهميه وجود القيادة الرشيدة التي تعمل علي تحقيق الاهداف وتحقيق التقدم فلا يمكن تحقيق التقدم بغير قيادة تقود التقدم وتدفع تياره ولهذا لم تاتي الايه بكلمه (يا قوم) وانما (قال بسما خلفتموني) لان الموقف تقريع يتطلب اظهار الغضب منهم ومن فعلهم بعكس اذا كان الموقف يتطلب اثاره حميتهم مثلا نجد انه يقول (يا قوم ادخلوا الارض المقدسه) او تلين قلوبهم نجد ان القران ينقل لنا صورته التودد من موسى لقومه فقال تعالي (واذ قال موسى لقومه يا قوم لما توذنتني) وفي موقف التذكير بنعم الله عليهم (قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمه الله عليكم) اما هنا فقد جاء يقرعهم ويوبخهم فاراد بهذا تعليما كيف تقود الشعوب ونربي الجماهير بالاستفاده من الاحداث والازمات التي تقع لتقليل الشرور في المجتمع وتنميه جوانب الخير وبالتالي فلا بد من اظهار الغضب لارتكاب الجماهير مخالفه الشرع والقانون لاجل تربيته الجماهير علي النفور والبغض من هكذا افعال فلا يجوز التهاون او التساهل في التمرد الجماعي علي النظام والشرع او الخروج عن سياده الشرع لان ذلك يتعارض مع الاهداف التي تسعى القيادة لتحقيقها فلا بد من الحزم في مثل هذه المواقف فالقيادة في جوهرها جهد سياسي منظم ومنضبط ينطلق من امال واسعه كي يتم تحقيق اهداف محدده تمثل امال وطموحات القيادة والجماهير في الكل منخرط في تهنيه الظروف والمناخ لتحقيقها ومشاركون فيها وفقا للخطة والمهام التي يجب علي كل واحد ان يقوم بها بما يشكل هيكل تنظيمي يسعى كل فرد لاجل تحقيق الاهداف من خلال المهام المكلفون بها من القيادة ولهذا قال (بسما خلفتموني من بعدي) فالخلافه تعني القيام بامر بعده يكلفه بمهام وهذا الامر يتطلب وضوح المهمات المطلوبه وعدم تعارض التعليمات الادرايه ولذلك فان موسى قبل ان يترك قومه حدد لهم من يتولي ادارته شوونهم في غيابه وصلاحياته فقال اخلفني في قوم واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) وحدد لهم المهام فلا تضارب في التوجيهات ولهذا جاء الذم لهم ب(بس)

هنا في اطار الرقابه و المحاسبه لهم علي تنفيذ الاهداف لان غياب القيادة الرشيدة يعني الفوضى والعشوائيه و التداعي لاهواء الباطل وهذا بحد ذاته من اخطر اسباب نشوء الازمات ولهذا ذكر (من بعدي) عقب قوله (خلفتموني) مع ان الخلافه اصلا تفيد البعديه للتذكير بالفرق الشاسع بين حال الخلف وحال المخولف كما قال تعالي (فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاه واتبعوا الشهوات... الخ ولهذا يقال خلفه بخير او خلفه بشر لمن كان

اولاده او اهله او قومه من بعده قد اتصفوا بالخير فيقال خلفه اهله بالخير او اتصفوا بالشر ولهذا يقال خير خلف لخير سلف

فالايه تبين تصوير موسى لهم فظاعه ما خلفوه به من بعد ما سمعوا منه التحذير من الاشرار و تحذيرهم من تقليد المشركين عندما طلبوا منه ان يصنع لهم صنما ليعبدوه مثل اصحاب القرية التي وصلوا اليها فاخبرهم ان مصير هولاء ومن وقع في فعلهم منهم الاهلاك والضياع ولهذا اظهر غضبه من فعلهم قائلا لهم ما الذي جعلكم تنحرفون عن المسار وتخرجون عن التوحيد الذي تركتكم عليه في اطار الرقابته والمحاسبه لهم علي ما فعلوا

الامر الثاني

التحذير من العجلة :-

(اعجلتم امر ربكم)

الايه وردت في اطار محاسبه موسى لقومه علي ما فعلوا فلم يكتفي بذكر المخالفه بل باشر بذكر اسبابها التي اوقعتهم في ذلك

فقال (اعجلتم امر ربكم)

اي استعجلتم امر ربكم باعطائي التواره فعبدتهم العجل قبل ان ارجع اليكم

والعجلة التقدم بالشي قبل وقته وهي مذمومه وهي تختلف عن السرعة التي تعني عمل الشي في اول وقته وهي محموده

ولهذا جاء الذم هنا لانهم طلبوا الشي قبل اوانه ومعني ذلك انه وبخهم بما صنعوا فقال بنسما خلفتموني من بعد غيابي عنكم بامر ربكم وطلبتموه قبل بلوغ اجله وهو امر بيده خيركم وصلاحكم ولايجري امرا الا بما تقتضيه حكمته البالغه ولايوثر فيه عجله غيره

وفيه التوبيخ من العجلة في الامور قبل حلول موعدها فاظهار موسى الغضب لما فعلوه وتوبيخهم يهدفهم الي تربيتهم وخلق تغيرات موضوعيه فيهم كي يقبلوا المتغيرات الجديده في حياتهم فبني اسرائيل كانوا عاجزون عن وضع كل امر في موضعه فقد اتصفت طباعهم بالعجله بطلب الاشياء قبل حلول موعدها وايضا كان في حاله حلول موعدها لاياخذونها فتسقط من ايديهم نتيجة الضعف رغم وضوحها واذا لم يعرفون وجه الصوب كثر فيهم اللجاج والجدل طلبا للغلبه ولهذا كان التوبيخ لهم لتحذيرهم من ذلك ويحثهم علي ترك ذلك السلوك القبيح

الامر الثالث

تنقل سياق النصوص حركه فعليه تعبر عن غضب موسى من قومه فقال تعالي (والقي الالواح واخذ براس اخيه يجره اليه)

وهذه الحركه تدل علي شدة الانفعال لان الالواح يحمل فيها احكام الشريعه التي تلقاها من ربه وكذلك امسك براس اخيه يجره اليه راس نبي يسحب سحباً لما راهم يعبدون العجل وهذا فيه

المفهوم الاول

عليك ان تدرك ان الغضب بوجه عام امر مذموم فعليك ان تجلس حال غضبك لانه يفقد الانسان توازنه في اغلب الاحوال ويجعل المرء يلقي الاشياء الثمنيه الا اذا كان الغضب لله فانه محمود فموسي من شدة الغضب القي الا

الواح التي ذهب الي ربه لاجل تلقي ما فيها من احكام وهي اشياء ثمينه ولهذا لم يواخذ موسى لانه غضب لله وان كان من صفات الغضب ان الانسان يلقي بالاشياء الثمينه فاللازم وان تحذر الغضب في سائر امور حياتك

المفهوم الثاني

اهميه الشعور بالغيره عند مشاهدته شريعته الله تنتهك او مقدستنا تتعرض لهجوم فمن لم يشعر بالغيره والغضب لله فانه لاصله له بالاسلام والغيره تتفاوت من السمع بالانتهاك الي الرؤيه فقد تسمع ان هنالك انتهاكات تسمى شريعته الله او المقدسات فان ذلك لا يبدان يحدث فيك غيره من الذين يقومون بتلك الانتهاكات لكن مشاهدتها تجعل الغيره والغضب اقوي ولهذا ورد عن الرسول صلي الله عليه وسلم قوله (رحم الله موسى ليس المعايين كالمخبر اخبره ربه تبارك وتعالى ان قومه فتنوا فلم يلقي الاالواح فلما راهم وعابنهم القي الاالواح)

فهذه هي غيره المومن وغضبه لله تعالي فعلينا ان ننظر لانفسنا اليوم وواقعنا الذي نعيش فيه فاننا نشاهد علي شاشه التلفاز انتهاكات اليهود لمقدستنا كل يوم ومع ذلك لا يتحرك لاغلب الناس ساكنا فايين هي الغيره ايه المومنون وانتم تشاهدون اليوم معابد البوذيين تبني في دوله اسلاميه من اموال المسلمين لعباده البقر في دوله عربيه واسلاميه تشيد معابد للاصنام بعد الف واربعائه واربعين سنه من هدم المسلمون للاصنام وتطهير الجزيره العربيه من الاصنام والاولثاون يتم اليوم اعاده بناء معابد لعباده الاصنام يتم تشيد معابد لام العجل في وطننا الحبيب وجزيره الرسول الكريم فايين هي غيره العلماء من هكذا فعل اين انتم يامشاخي الحرميين وياعلماء الازهر الشريف من غيره وغضب موسى

الذي القي الاالواح التي ذهب لاجل تلقيها من ربه ان هذا الفعل من موسى هو لتعلموا ان حفظ ما في الورق و الصحف والالواح لا فايده منه ما لم تحفظ احكامه

لتعلموا ان الاالواح تحتاج الي قوه غضب تحمي الحق وانكار المنكر لا التباهي بالالواح وطباعه المصاحف علي نفقه دوله تقوم ببناء معابد للهندوس في ارض الاسلام فموسي القي الاالواح رغم محبته لها لان الغضب لله هو مصدر قوه الاخذ بالالواح وما فيها وبدون وجود قوه الغضب لله والحب في الله تصبح الاالواح مجرد زينه فسامري العصر الحديث هو نفسه سامري بني اسرائيل بل ان سامري اليوم بيده المال والنفوذ والسلطه يطمح للسيطره علي مقدرات الامه الاسلاميه كلها تجاوزات طموحه الحدود فلم يكتفي بتشجيع عباده الاولثاون في ارض الاسلام بافتتاح اكبر معبد هندوسي وثنى في ارض الاسلام دون خجل او خياء بل سمح باقتناء تماثيل بوذا وغيرها لتعبد في ارض الاسلام ويعمل علي نقل هذه التجربه المذمومه لبقية اوطاننا الحبيبه يعمل جاهدا لمحاربه كل صوت اس لامى في اي مكان لقد استعان بعصابه اجرام لتصفيه علماء وائمه وخطباء المساجد في عدن كل ذلك لاجل ارضاء الفكر السامري الذي يحكم عقول الصهيونيه العالميه اليوم فالصهيونيه اليوم امتداد لفكر السامري الذي جعل موسي ينزع لاتخاذ موقف عملي برمي الاالواح الثمينه وجر راس نبي الله هارون اليه انها عقيدته الغيره علي الدين فالامر في غايه الخطوره والا ماكان موسي ليلقي الاالواح التي فيها منهج الوصول لرحمه الله وهدايته

ان عليكم يا علماء المسلمين اليوم ان تدركوا ضخامه المسؤوليه الواقعه علي عاتقكم فموسي قام بجر راس نبي الله هارون وسحبه اليه لم ينظر لصله القرابه ولا لمنزله هارون وانه نبي فمن انتم بجانب هارون ومنزلته من الله فالمواقف لاتحتمل السكوت فمشاهدته شريعته الله تنتهك والمقدسات تهدم والترويج للفسق والعصيان تتم بابواق اسلاميه وعقيده الشرك ومعابدها تبني في ارضنا دون ان تحركوا ساكنا يعني ان الغيره لم تعد موجوده يعني ان غضبكم ليس لله وانما للمال والجاه والمناصب فعليكم ان ترجعوا حساباتكم قبل فوات الاوان فالغضب لله من ثمرات اجلال الله ومهابته ولاخير في عبد لا يغضب لمولاه

المفهوم الثالث

ان التفويض ببعض الصلاحيات لنواب في ادراته العمل والموسسه امر مطلوب لتسهيل الاعمال ولكن ينبغي ان يتزامن مع الرقابته والمحاسبه للمقصر فالايه تخبرنا ان راس نبي الله تم سحبه من قبل موسي بالقوه يجره اليه ف لا عاطفه في الحق ولا بد من محاسبه العاملين فلا ينظر الي القرابه بل الزام الحق لمن لزامهم وان ثقل عليك وعلي الاخرين فالحاكم عندما يلزم الحق فان له عاقبه محموده بحفظ الدوله في الدنيا ونيل السعاده في الاخره

فالغضب علي المسي بحضرتة متضمن للاجلال وزجر للمسي عن انتهاك الحرمات

المبحث الثالث

تنقل لنا الايات رده فعل هارون علي فعل موسي اثناء ثوره غضبه

فقال تعالي (قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين) ثم جواب موسي (قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الرحمين)

الامر الاول

ابتد ا هارون بامتصاص ثوره غضب موسي فقال (ابن ام)

فلم يقل ياموسي ولا ياخي ولا ابن ابي لان موسي وهارون اشقياء لاب وام لان المقام مقام استعطاف وطلب رحمه واستيعاب ثوره غضب اخيه التي بلغت ذروته فهو يحتاج للعطف والحنان فالاحري ان يذكره بامه ورحمتها وعطفها له وفعلا تحقق له ما اراد فقد استوعب غضب اخيه فاذا موسي الشديد الحازم يقول بعدها (قال رب اغفر لي ولاخي... الخ

وهذا فيه

المفهوم الاول

ان اللازم عليك ان تختار الالفاظ في الدعوه وان تحسن توظيفها

فالدعوه تحتاج الي الالفاظ الرقيقه التي تلين القلوب وتنشرح لها الصدور ويخفق لها الفواد فتصل الي اعماق النفس الداخليه فيحصل التأثير وتحدث الاستجابه

المفهوم الثاني

ان الاخ الذي يشد به عضدك هو الذي يستوعبك اثناء ثوره غضبك

المفهوم الثالث

علينا ان نومن بتفاوت طباعنا وانفعالاتنا فالاختلافات بين العقلاء لابد ان تحدث نتيجه لذلك ولهذا فنحن بحاجة الي التفاهم فيما بيننا وان علينا ان تحمل بعضنا بعضا بالذات وقت الغضب فاللازم ان يستوعب كل اخ اخاه وان نعمل علي تهدئه بعضنا فقد قدم لنا هارون اروع نموذجا لاستيعاب الاخ لايه فذكره برابطه الاخوه مستعملا افضل الالفاظ القادره علي استيعاب غضب اخيه فقال ابن ام ثم ذكره بمخاطر الاختلاف بين ابناء الدعوه في المستفيد منها اعداء الدعوه فاستوعب موسي حجه اخيه وفهم ان الهدف هو منع تفرق بني اسرائيل فهذه هي الع لاقه التكاملية التي تنتج من تفاوت الطباع فموسي كان ذو طبيعه شديد الانفعال بينما هارون كان ذو طبيعه هادئه فكان ذلك فيه التكامل الذي يكمل كل واحد منهما الاخر

الامر الثاني

ما دلالة ذكر وحذف حرف النداء (يا) في قوله (ابن ام)

حيث ذكرت في سورة طه وحذفت في الاعراف

ان هذا يعود الي مقام السياق ففي سورة طه نحد ان المقام مقام البسط والتفصيل فجاء ذكر الحرف ياابننوا اما في هذه السورة فان المقام مقام ايجاز وجاء ذكره باختصار ولهذا حذف

الامر الثالث

يكشف هارون لاخيه موسي عن حقيقه موقفه بانه لم يفرط ولم يقصر بالقيام بالمهمه ولكن كانت هنالك ظروف ومتغيرات طرات في سلوك بني اسرائيل تتطلب التعامل معها فقال تعالى (ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني)

نفهم من النصوص انه حصل تمرد وعصيان لهارون من بني اسرائيل فلم يستجيبوا لامره مندفعين لعباده العجل ورفضوا الاستجابة لنصيحه هارون وخالفوه فاستضعافهم اياه تركهم طاعته واتباع امره وانه وصل الامر بينهم الي طريق مسدود فقال (وكادوا يقتلونني) قاربوا ولم يفعلوا اشاره الي ان التمرد اصبح امر واقعا ووصل الخلاف لطريق مسدود فلم يعد للنصيحه فائده سوى غلق الابواب وهناك متربصين بالدعوه يريدون شق الصف وهم مستغلي الصراع ودعاه التفرق فالسياسيه تقتضي خلق طرق جديده وعدم الوقوف امام المشكله بايدي مكتوفه ولسان معقوده وسط دائره مفزعه فكان من الحكمة فتح طرق جديده تضمن امكانيه استعاده زمام المبادرة ومعالجه الداء

ومثل هذه المتغيرات تحتاج الي اساليب جديده في التعامل ومعالجات جديده تحتاج الي سعه افق وعمق ادراك فالتطورات المفاجاه التي حدثت كانت سريعه تحتاج الي اتخاذ اجراءت سريعه لانها تمنع القياده من التفكير علي مهل والتقرير علي مهل كما هو الحال عند التفاعلات الاجتماعيه التي تاخذ مسارها علي مهل فالجريان السريع للاحداث يحتاج الي سرعه تتلائم مع سرعه التفاعلات فواجب القياده ان تعمل علي احتواء الموقف ومنع تفاقم الازمه والحد من اثارها ولهذا ذكر هارون لاخيه انه خاف ان تتمزق وحده بني اسرائيل في ظل وجود مستغلي الصراع ودعاه التفرق ولهذا قال بعدها (ولاتشمت بي الاعداء)

ان الاختلاف يظهر للاعداء عورات الاخوه فيجد دعاه التفرق ومستغلي الصراع الذين لا يخلوا منهم اي شعب من الشعوب فهولاء لا يقرون اتحاذ الكلمه ولا يقبلون بالوحده لانهم يفقدون مصالحهم الشخصيه وامتيازتهم الذاتي التي تذوب وتنصهر داخل التجمع الكبير الذي يحدد الاهداف والمصالح العامه فالاعداء متربصون بالمومنون يبحثون عن ثغره لينفذو منها فاللازم علي الاخوه ان يحلو مشاكلهم بعيدا عن الانظار

وفي هذا درس عظيم للدعاه لعلاج مشاكلهم مهما كانت بعيدا عن اي اسلوب يجلب شماته الاعداء ولهذا ينبه هارون اخيه موسي الي انه يحتاج نصيحته لكن لا يوجعه بما يجعل الاعداء يشمتون. به فعليك ايه الداعيه ان تحذر التفخيم والتشهير لزلات الصالحين لانها من شماته الاعداء وسميت شماته من قولهم شمت فلان فلانا اذا ذكره بما يكرهه المشمت به

واختتم بقوله (ولاتجعلني مع القوم الظالمين)

يطلب من موسي ان يتوقف عن هذا الاسلوب حتي لا يفرح الاعداء باهانتهم يقول له لست مشاركا معهم ولست من المشركين فلا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك مع الذين عبدوا العجل فانا لست منهم بهذا الاسلوب استطاع هارون اقناع اخيه موسي واستطاع استعياب ثوره غضب نبي الله موسي ولهذا لجاء موسي الي ربه طالبا (قال

وبني اسرائيل خالفوا وصايا موسى واشركوا بالله خالفوا هارون واستضعفوه وانخدعوا بغوايه السامري وافتراه علي الله تحت تاثير الاعجاب بالراي فكان العقاب بالذل والهون وقد اخبرنا الله في سوره طه (قال فما خطبك ياسامري....الي قوله (قال فاذهب فان لك في الحياه ان تقول لامساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الي الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لاله الا هو وسع كل شي علما)

فهذا العقاب الذي عوقب به السامري فكان يهيم في البريه لايمسه احد علي افتراه علي الله وكذلك كان عقاب البقيه كما ورد في سوره البقره فقال تعالى

(واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الي بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم)

بان يقتلوا انفسهم وقد قبل الله توبتهم وبالتالي فلا تعارض. في النصوص ولاتلغي الايه قاعده قبول توبه التائبين

الامر الثالث

تبيين النصوص ان الايمان بالله والرسول واتباع ما جاء به من ربه والجهاد في دينه سببا لخير الدنيا والاخره و العكس بان البدع والالحاد ومخالفه ما جاء به الرسول من ربه سببا لشر الدنيا والاخره وهذه سنه الله ووعدته الي يوم القيامه فقال تعالى

(وكذلك نجزي المفترين)

بان الذل والهون عقوبه كل من يفتر علي الله الكذب بالبدع وغيره ولك ان تنظر اليوم لحال المسلمين عندما تركوا العمل بمنهج الله فقد تسلط عليهم الاعداء فالدول اذا ظهرت البدع فيها التي تخالف دين الله الذي جاء به رسله وحدث الفجور المخالف لشرع الله سلط الله عليهم الاعداء وهذا هو سبب معاناه المسلمين اليوم فلو اقاموا منهج الله في حياتهم وقهروا المنافقين والمبتدعين فان الله سوف ينصرهم علي اعداءهم تحقيقا لوعده سبحانه وتعالى القائل (ياايها الذين امنوا هل ادلكم علي تجاره تنجيكم من عذاب اليم....الي قوله واخري تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين)

فهذا هو مفتاح النصر علي الاعداء واستعادته العز والتمكين

الامر الرابع

تبيين الايه ان باب التوبه مفتوح لكل تائب يعود الله من ذنب كان صغيرا او كبيرا كما قبل توبه من عبد العجل بعد كفرهم وبعد ان ارشدهم الله الي التوبه كما ذكرنا في الفقره الثانيه بما ورد في سوره البقره (واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الي بارئكم فاقتلوا انفسكم....الي قوله تعالى (فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم)

ولهذا قال تعالى هنا (والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم)

فمن عمل السيئات ثم رجع الي الله تائبا طالبا رضا الله وعمل ما يحب الله وترك ما يكره الله فان الله يقبل توبته وهو سائر ذنوبه ولايفضحه بها فهو تعالى رحيم بعباده ولهذا جاء باللام المزحلقة في (لغفور)

القسم الرابع

ابتدات ايات هذا القسم بقوله تعالى (ولما سكبت عن موسى الغضب اخذ الالواح وفي نسختها هدي ورحمه

لَلَّذِينَ هُمْ لِزَيْمِهِمْ يَرْهَبُونَ

تَبَيَّنَ الْآيَةُ الْآتِيَةَ

الْمَبْحَثُ الْاَوَّلُ

انَّ الْاَتْبِيَاءَ لَهُمْ خُصَائِصَ الْبَشَرِ يَغْضَبُونَ وَيَتَالَمُونَ وَيَفْرَحُونَ وَيَعَانُونَ وَهَذِهِ الْخُصَائِصُ مِنْ اَهَمِّ الْمِيزَاتِ الَّتِي تُوَصَّلُ الدَّعْوَةَ لِلنَّفُوسِ فَمَقْيَاسُ النِّجَاحِ يَعْتَمِدُ عَلَيَّ وَاَقْعِيهِ الرِّسَالَهُ وَبَشْرِيهِ الرِّسُولَ الَّذِي يَعْرِفُ مِنْ خِلَالِهِ مَا يَحْمَلُهُ لِلنَّاسِ مِنْ اَوَامِرِ رَبَانِيهِ

ولهذا نجد ان الجملة مستأنفه مسوقه لبيان المبالغه في علامات غضب موسى لما راي قومه يعبدون العجل فقد القى الالواح واخذ يجر براس اخيه فهذه علامات كمال الايمان لان الغضب لله فهذه هي عقيدته الغيره علي دين الله فقد كان النزوع لذلك الموقف العملي من رمي الالواح واخذ براس اخيه لان الموقف الذي شاهد فيه حال قومه استفزه فكان الغضب شخصا يكلم موسى يقول له افعل كذا افعل ثم سكت هذا الغضب وهذا فهل كان غضب موسى لاجل نفسه كلا انه غضب لله تعالي ولهذا فان هذا الغضب محمود لانه يعبر عن عقيدته الغيره علي دين الله

فاستعمل الاستعاره المكنيه لتأكيد معني الغيره علي دين الله وتوضيحه حيث تصنع لك المعاني الذي ترسمه اسناد السكوت الي الغضب صورته محسوسه تصور لك الغيره لدين الله تصوريا ترتاح له النفس حيث ترسم مشهد الغضب كأنه كائن حي يدفع موسى ويحركه ثم تركه بعد ذلك فاثبت للغضب المشاركه في امر الغيره علي دين الله واثبت له السكون علي طريق التمثيل والمراد بهذا ان تحدث هذه المعاني هزه نفسيه تجعلك تستعمل قوه الغضب في محلها فالغضب المحمود هو الذي يدفعك لتغضب فيما يرضي الله ولهذا نجد ان الايه جاء مؤكدا لهذه الحقيقه التي تناولتها الايات قبلها فقال تعالي (ولما سكت عن موسى الغضب)

اي ولما زال عن موسى الغضب لان حقيقه السكوت زوال الكلام وحقيقه زوال الغضب عدم وجود ما يدل عليه من الكلام او غيره في تلك الحال وغضب موسى من حال قومه عندما انصرفوا فقال تعالي (قال بئسما اخلفتموني... الخ والقي الالواح فكانت تلك مظاهر الغضب ولما زال الكلام الدال علي الغضب حسن استعاره السكوت للغضب وهذا من سر جمال الاستعاره المكنيه في تاكيد المعاني وتوضيحها

المبحث الثاني

هل سكوت الغضب يلزم حصول الرضا

لا يلزم لان موسى لم يراض علي فعله قومه علي ارتكاب المعصيه حتي تحصل التوبه ولهذا ذكرت النصوص سكوت الغضب عنه دون حصول الرضا لانها استعاره معقوله لمعقول للمشاركه في امر معقول فذكرت سابقا (ولما رجع موسى الي قومه غضبان اسفا)

فاذا اخذنا بقول من اعتبر الاسف الحزن فان الايه افصحت عن سكوت الغضب دون ذهاب الحزن عن موسى

المبحث الثالث

تبين الايه انه بعد سكوت الغضب عن موسى اخذ الالواح التي القاها فقال تعالي (اخذ الالواح) فماذا فيها؟

يخبرنا الله انه منسوخ عليها اوامر الله ونواهيهِ وتوجيهاته وتعاليمه فيها بيان الحق وطريق السلامه والنجاه و الوصول الي هدايه الله و رحمته للذين يخافون الله تعالي

وهذا فيه بيان الاتي

1

عليك ان تدرك ان الوصول الي رحمة الله الخاصه وهدايته الخاصه بالسداد والتوفيق والنجاح والطمانيه والراحه النفسيه انما تكون بذكر الله واتباع منهج الله تعالى

فرحمه الله وهدايته العامه تشمل كل المخلوقات فهو تعالى خلق الناس ليرحمهم كما قال تعالى (الا من رحم ربك ولذلك خلقهم)

فرحمته وهدايته العامه هو انه تعالى لم يوكل امر الايمان لما في الانسان من فطره ولا يعذبهم حتي يبعث رسولا كما اخبرنا الله فهذا من رحمه الله بعباده ولذلك يرسل الرسل يحملون المنهج الرباني وهذه هي الهدايه العامه

ومساله الهدايه الخاصه والرحمه الخاصه متوقفه علي قبول الهدايه العامه المنهج الرباني وهذا متوقف علي صلاح المحل لاستقبال انوار الله وهو القلب لقوله تعالى (فما من اعطي واتقي وصدق بالحسني فسنيسره لليسري واما من بخل واستغني وكذب بالحسني فسنيسره للعسري)

فهذا هو قانون التيسير الي الحق او الي الغوايه اي ان القبول بمنهج الله والعمل بما فيه يصلك الي رحمة الله ولهذا استعمل كلمه

(لربهم يرهبون)

اي ان الذين ينتفعون بالمنهج هو الذين يخافون ربهم ويخشون الله تعالى اي ان الفاعليه الايجابيه التي تجعل للعقيده تاثير علي حركه الانسان في الحياه انما تكون لمن يشعر بوجود الله وليس مجرد العلم بوجود الله فدور العقيدة هي تحريك الطاقات وبدون هذه العقيدة فان الفاعليه اما ان تكون مفقوده لجمودها واما ان تكون سلبيه ولهذا ورد في الايه ان الوصول الي رحمة الله وهدايته انما يكون بالاخذ بالمنهج مقرونا بقيد هو (الذين هم لربهم يرهبون)

لماذا؟

لانهم يتحررون من كل الاوهام والاصنام فلا يخافون في الله لومه لائم فخوف الله يعطيهم قوه يواجهون بها كل الناس بالاعتزاز ب الله فمن كان الله معه فما الذي يخافونه

لانهم عرفوا الله بقدرته وعظمته وجلاله وغناه ورحمته لهذا انتفعوا بما في منهج الله

لانهم يشعرون بوجود الله ولهذا يخافون ان يراهم الله في معصيه انهم يتصلون بالغيب وتتصل ارواحهم بربهم

وبهذا تكون فاعليتهم ايجابيه وناسب هذا دخول لام التقويه علي المفعول به المقدم مراعاه لتاخير الفعل عن المفعول به.

ثانيا

(واختار موسى قومَه سِيعِينَ رَجَالًا مِّيَقَاتِنَا فَلَمَّا اخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ اَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَاِيَايَ اَتَهْلَكُنَا بِمَا فَعَلْنَا السِّقْهَاءَ مِنَّا اِنَّ هِيَ اِلَّا فَتْنَتُكَ تَضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي بِهَا مَنْ تَشَاءُ اِنَّتِ وَلِيْنَا قَاعَقَقْرَ لَنَا وَاَرْحَمْنَا وَاَنْتِ خَيْرُ الْعَافِرِيْنَ وَاَكْتَبْنَا لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسْبَهُ وَفِي الْآخِرَةِ اِنَّا مُهْدِنَا اِيْلَيْكَ)

المبحث الأول

قال الألوسي هي تنممه لشرح أجوال بني اسرائيل وقال البعض هي استدعاء التوبه وكيفيه وقوعها

المهم هنا ان الايه تبين ان موسي قام باختيار سبعين رجلا من بني اسرائيل والاختيار يعني الانتخاب والاصطفاء
فدل هذا انهم النخبوه والصفوه المختاره من القوم فهم خيريه بني اسرائيل فهم كانوا من خيرتهم وهنائجد في
التعبير القراني جوده الالفاظ لانه استعمل في الجملة البدل او عطف بياني فقال تعالي (واختار موسي قومه
سبعين رجلا)

وهو ما فيه اتسع المعني فلو انه قال (واختار موسي من قومه)

فانها لا تحتمل الا معني واحد وهو مفعول به لكن قوله (واختار موسي قومه)

جعلتهم الايه بدلا عن من القوم جميعا في الاختيار او عطف بياني

وكان بني اسرائيل علي كرتهم لا يوجد من بينهم فضلاء سوي هولاء السبعين فكان حذف (من) له دلالة تقضي
الي معينين.

المبحث الثاني

(عدد الميقات المذكور في السوره)

الاختيار للسبعين رجلا من بني اسرائيل هو لاجل مناجاه الله واستغفاره عما حصل من القوم من عباده العجل
فهولاء هم النخبوه والصفوه المختاره من بني اسرائيل للحضور الي الميقات الذي حدده الله لهم لطلب عفوه
سبحانه وتعالى والاعتذار عما حصل منهم

اي ان السوره تتحدث عن ميقاتين. الميقات الاول مناجاه موسي ربه... واما الميقات الثاني فهو للاعتذار والا
ستغفار بعدما عبد بني اسرائيل العجل

المبحث الثالث

تخبرنا الايات ان في هذا الميقات الذي كان حضور الصفوه من بني اسرائيل للاستغفار والاعتذار اخذهم الله
بعذاب الرجفه

حسب اراء المفسرون اما الصاعقه التي ادت موتهم جميعا ثم احياهم الله بعد ذلك وقال اخرون انها ادت الي
اصابتهم بالغشي ثم افاقوا وبغض النظر عن قول اولئك واولئك فان المفهوم من ذلك ان الله انزل بهم نوعا من
العذاب والسؤال هنا ما هو الذنب الذي ارتكبوه لانزال العقاب بهم؟

ان الاجابه عن هذا السؤال فيه بيان طبيعه غلاظه الحس لدي بني اسرائيل وقساوه القلوب وسوء الادب نتيجته الا
ستعباد الطويل

حيث انهم لما وصلوا الي الميقات الذي وعدهم الله للاعتذار والاستغفار تجروا علي الله جراهه كبيره واساوا الا
داب معه فطلبوا ان يروا الله جهره كما حكى الله لنا في موضع اخر انهم قالوا (لن نومن لك حتي نري
الله جهره.. الخ

فهولاء هم الصفوه ونخبوه المجتمع الاسرائيلي فكيف كان حال العوام والبقية فالايات ترسم لنا مستوي الانحطاط

الذي وصل اليه بني اسرائيل

المبحث الثالث

في هذا الموقف لجاء موسى الي التضرع لربه طالبا منه تعالي ان يعفو عنهم وما فعلوا قائلا (قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي)

يارب لو اهلكتهم من قبل خروجهم معي الي هذا المكان وان تهلكني معهم فاقع في الحرج الشديد من بني اسرائيل فيقال لي ذهبت بخيارنا لاهلاكهم

ثم جاء بالاستفهام للاستعطاف (اتهلكنا بما فعل السفهاء منا) اي ياملونا لاتهلكنا بذنب غيرنا من الحمقي فاذا كان هولاء السفهاء قد خرجوا عن طاعتك وخرجوا عن الاداب في التعامل مع ربهم فنحن يارب خاضعون لك

ثم يتوجه الي ربه قائلا (ان هي الافتنتك تضل. بها من تشاء وتهدني من تشاء)

يعني انه لا بد ان يفتن كل شخص والفتنه تعني الابتلاء والامتحان

فالله يقول في موضع اخر (احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا. وهم لا يفتنون) والايه فيها التحذير من الا عجاب بالنفس لانها تودي الي السقوط بالامتحان فالسبعين الرجل من بني اسرائيل كما اوضحنا كانوا خيره بني اسرائيل وكانه لا يوجد في بني اسرائيل افضل منهم

فكان ذلك الاختيار والاصطفاء ابتلاء وامتحان لهم ليضعهم الله في حجمهم الحقيقي لانهم اعتبروا ذلك الا صطفاء دليل علي عظمتهم فكان هذا التوهم والخيلاء سببا لجراءتهم علي الله ولذلك وفشلوا في الامتحان لان رغبتهم انصرفت عن طاعه الله الي التفاخر بالنفس ولذلك كانت نتيجته الامتحان الفشل وكان اخذهم بالزلزله الشديده الرجفه ليعرفوا حقيقه انفسهم فمن عرف نفسه بضعفه واقتقاره لربه وعرف ربه بغناه وعظمته وقدرته وكماله وجلاله واحسانه فانه يقف عند حد نفسه ولا يتعدها ويظهر الضعف امام ربه ويتادب مع ربه ولهذا تحدثنا لايه عن ان سلامه الانسان بعلم الانسان بنفسه وعلمه بربه وتعطينا نموذجا لذلك بمناجاه موسى ربه متضرعا له بخطاب فيه اجلال لربه وتعظيم خالقه فقال تعالي عن التجاء موسى لربه طالبا ان يكشف عنهم الغمه بقوله تعالي (انت ولبنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين)

يارب انت القائم بامورنا كلها فانت ناصرنا لا احد غيرك فاغفر لنا الخطا الكبير الناتج عن عبادته العجل واستر واخفي عيوبنا وارحمنا برحمتك التي وسعت كل شي وانت خير الغافرين وهذا فيه طلب العون والمدد من الله لا جتياز الامتحان ونيل مغفره الله ورحمته

ولهذا فعليك ايه المسلم ان تتادب باداب العبد الصالح موسى في مناجاه ودعاء ربك حيث قدم طلب المغفره و الرحمه من الله مقرونا بالتسليم لله والاعتراف بحكمه ابتلاءه وختمه باعلان الرجعه الي الله والاتجاه الي رحابه فقال تعالي (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنه وفي الاخره انا هدنا اليك)

اكتب لنا حسنه اي اوجب لنا علي توبتنا وروجعنا اليك والاتجاهنا الي حماك وطلبنا نصرتك حسنه في الدنيا وفي الاخره

وكلمه حسنه لها معني لغوي من الاستحسان. ومعني شرعي هو الشئ الذي حسنه الشرع

ولهذا فاللازم علي الانسان ان ينظر الي الشئ من حيث استحسان الشرع لا من حيث استحسان الانسان لان الهوي يوقع صاحبه في الهلاك والبدع فتكون نظرتة بدعيه حيث نجد ان الكثيرون ينظرون للعلم ودليله وطريقه اي

انهم يعظمون النظر ويعرضون عن الارداه ويعظمون النظر ولم يلتموا النظر الشرعي فاهمال النظر الشرعي يعني ا
لانحراف والوقوع في نتائج النظر البدعي الباطل المنهي عنه

القسم الخامس

لما طلب موسى من الله بدعاءه الحسنه والرحمه لقومه اجابه الله تعالى بقوله (قال عذابي اصيب به من
اشاء ورحمتي وسعت كل شي فساكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاه والذين هم باياتنا يومنون الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراه والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه
ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك
السموات والارض لاله الا هو يحي ويميت فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه
لعلكم تهتدون ومن قوم موسى امه يهدون بالحق وبه يعدلون)

اولا

(قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شي)

والايه وردت في سياق اجابه الله لدعاء موسى ربه بعدما طلب قومه رويه الله جهره فاخذتهم الصاعقه ودعاء
موسى ربه سبحانه وتعالى ان يرفع عنهم العذاب ويرحمهم ويغفر لهم وطلب الحسنه والرحمه لقومه وعلها بقوله
ان هدنا اليك... وهذا يعني ان مساله الرحمه تكون لك هاد اي راجع الي الله بالتوبه فان الله يكتب له الحسنه في
الدنيا والاخره لمجرد عودتهم وتوبتهم فجاء الجواب

متضمن الاتي 1

الامر الاول

اول ما يلفت الانتباه هو الالتفات في سياق الكلام من الغيبه التي وردت في الايات السابقه بقوله تعالى (واختار
موسى قومه)

ثم جاء التكلم هنا مباشره (قال عذابي اصيب به من اشاء ورحمتي وسعت كل شي)

والمراد بهذا ان تدرك عنايه الله تعالى باجابه دعاء الداعين من عباده لتفهم انه لاجاه للتوسط في اجابه الدعاء
فجاء اظهار التكلم بلفظ الله وحده مناسبا لمعني المناجاه

الامر الثاني

تقرير اطلاق المشئيه المطلقه لله فهي تضع الناموس اختيارا وتجريه اختيارا وان كانت لاتجريه الا بالعدل
وبالحق وعلي سبيل الاختيار ايضا لان الله هو العدل ولايظلم ربك احدا ولهذا جاء الجواب بذكر العذاب في
مقابل الرحمه وذكر سعه الرحمه لان العذاب انما ينشاء من اقتضاء من قبل المعذبين لامن قبله سبحانه وتعالى ف
الله يقول (ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم)

والله يقول (لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذبي لشديد)

فالله لايعذب باقتضاء ربوبيته وعدله الا من يستحق العذاب

فهو سبحانه يقول لموسى عذبي الذي تخشي ان اصيب به قومك اصيب به من اشاء فقد اقتضت حكمتي ان

اجازي الذين اساءوا علي افعالهم فالعذاب في حقيقته فقدان الرحمة حيث تحل النقمه بدل النعمه وهذا لايتحصل ا
لا لمن يستحق ذلك من الكفره وعدم شموله بالرحمه التي سبقت الغضب فالعذب في حقيقته يعود لعدم وجود
سبب الرحمة ولهذا ذكر الله منهم الذين يحظون برحمته بانهم الذين يخافون الله تعالى ويوتون الزكاه ويومنون
باياته تعالى لبيان ان رحمة الله العامه ينالها البر والفاجر اما الخاصه في الاخره فانما هي للمتقين لان موسي عل
طلب الرحمة. والحسنه في الدنيا والاخره بالرجوع الي الله بالتوبه فاخبره الله ان اسباب الرحمة الخاصه هو
الرجوع الي الله بالتوبه والايمان الصادق والتقوي فهذه هي موهلاتها

المبحث الثاني

قوله تعالى (ورحمتي وسعت كل شي)

الايه لها ثلاثه تاويلات

الاول

ان المراد بالرحمه هنا العموم في الدنيا والخصوص في الاخره

اي ان رحمة الله شامله تسع العباد كلهم في الدنيا البر والفاجر المومن والكافر فالله يرزق عباده كلهم فكلمه كل
شي يعني شمول رحمته كل شي حتي تفاصيل ادق الامور ما ادركنا وما لم ندرك ما شعرنا به وما لم نشعر به كل
شي فيه رحمة من الله حتي تلك الاشياء التي نكرها ونري انها شر فهي رحمة من الله فعسي ان تكرهوا شيئا
وهو خيرا لكم ...

فرحمه الله ينعم بها البر والفاجر شملت الجميع فهي من مقتضيات الالوهيه ولوازم صفه الربوبيه فما من مخلوق
الا ووجوه نعمه الله تحيط به وهم مستفيدون من عطا الله فقد قسم الله من اجزاء رحمته جزء لمخلوقاته كلها
انسهم وجنهم ووحوشهم وبقي تسع وتسعين جزء له سبحانه وتعالى فما تراه من رحمة الام بولدها حتي
الوحوش التي تعطف علي ابناءها رغم قساواه قلوبها فتاتي لهم بالطعام كل ذلك جزء من مائه جزء. وبقي تسع
وتسعين جزء من الرحمة اختص الله به نفسه فدل هذا ان رحمة الله تعالى تسع العباد كلهم في الدنيا بما فيهم
الكافر والفاجر

اما الرحمة في الاخره فهي خاصه بالمومنين الذين يتقون الله تعالى ويوتون الزكاه وهم بايات الله مومنون كما
قال تعالى (بالمومنين رحيمًا)

والايه نزلت بمناسبه طلب موسي من ربه ان يكتب الرحمة لهم في الدنيا والاخره فاخبره ان موضوع الرحمة في
الدنيا تشمل جميع المخلوقات اما الرحمة الخاصه في الاخره فهي مخصصه للمتقين والمومنين

فاذا اردت الرحمة الخاصه فسارع اخي المسلم الي توحيد الله وطاعته وترك الشرك وسائر المعاصي فانه لا يهلك ا
لا جاحد كافر

الثاني

فالايه فيها الشمول والعموم كقوله تعالى اخبارا عن حمله العرش ومن حوله انهم يقولون (ربنا وسعت كل شي
رحمه وعلمًا)

اي انها متعلقه بعموم التوبه فقد ورد في الحديث ان اعرابي جاء فاناخ راحلته ثم علقها ثم صلي خلف النبي

صلي الله عليه وسلم فلما صلي النبي صلي الله عليه وسلم اتى راحته فاطلق عقالها ثم ركبها ثم بادر بالقول اللهم ارض عني ومحمد ولا تشرك في رحمتنا احدا فقال الرسول صلي الله عليه وسلم ايقولون هذا اضل ام بعيره الم تسمعوا ما قال قالوا بلى قال لقد خطرت رحمة الله .. وفي لفظ لقد تحجرت واسعا) فهذا القول من جهل الاعرابي لاترحم معنا احد مبالغه لما راه من حفاوه النبي له والرفق به والتوجيه للخير فهذا كلام الجاهل اما المسلم فيقول اللهم ارحمنا وارحم المسلمين جميعا وعباد الله كلهم

والرحمه تكون باتباع منهج الله تعالى لان فيه السكينه والاطمئنان والرخاء والرفاهيه للمجتمع لانه يحفظ حقوق ا لآخرين ويحرم الخباثت لانه يزيل الحسد والحقد والبغضاء ويخرج الانانيه من القلوب فمن الرحمه ان تجد مجتمع متماسك قولاً وسلوكاً مجتمع لايسمح للاختلاف في الراي ان يفسد النسيج الاجتماعي مجتمع يراجع الي كتاب الله وسنه رسوله حال الخلاف والمنازعات

العالم

مخرجها عام ومعناها خاص اي رحمتي وسعت المومنين من امه محمد صلي الله عليه وسلم

وهذا الراي يجب علينا ان نفهم ان المعني لايراد به علي اطلاقه

لانه ليس من الصواب القول بان المومنون من قوم موسي وعيسي في زمانهم الي ما قبل بعثه الرسول صلي الله عليه وسلم لم يحظوا برحمه الله تعالى فهذا القول يخالف المنطق وما جاء في القران من ان هنالك جمع من بني اسرائيل قبل بعثه النبي صلي الله عليه وسلم رضوا بالدعوه الالهيه فقبل الله ايمانهم ووعدهم بالخير والكلام الا لهي ناطق بهذا فكيف يمكن ان تقصر الرحمه الالهيه علي الفئه التي صدقت بالنبي بعد بعثته ونستبعد باولئك الذين ماتوا قبل البعثه وكانوا مومنين مصدقين بالحق

ولهذا فان المعني الخاص هنا بقوله (الذين يتبعون الرسول النبي... الخ

مسوق لبيان حقيقه الدعوه المحمديه وانها هي الورايت لجميع مراحل الاديان والتدين فكان التعبير ب(يتبعون) بعد ذكر الايمان بالايات وهي الكتب السماويه والمعجزات والانبياء فالاتباع شرط الايمان فلا ينفع الاعتقاد دون العمل والتسليم والطاعه ولهذا ذكر في نهايه الايات (ومن قوم موسي امه يهدون بالحق وبه يعدلون)

لبيان ان هنالك طائفه تتجه اينما يتجه الحق وتدور معه حيث دار

ولبيان حقيقه اجتماع الرسل علي امر التوحيد وطاعه امر الله تعالى فهم جميعا دعاه الي الله وما من رسول بعث الا بشره الله بالنبي الخاتم واخذ عليه العهد بالايمان به اذا بعث ونصرته كما ورد في ميثاق الانبياء بسوره ال عمران

وقد ذكر عن ابي حاتم في تفسيره عن ابن عباس انه لما نزلت الايه (ورحمتي وسعت كل شي)

قال موسي رب سالتك التوبه لقومي فقلت ان رحمتك منحتها لقوم غير قومي فليتك اخرتني حتي يخرج فاكون في امه ذلك الرجل المرحوم فهذه الايه كما قال شرحبيل بن حسنه لطلحه ابن خويلد اما علمت ان الله لما انزل هذه الايه طمع فيها كل شي حتي ابليس قال لما انزلت (كل شي) قال فانا من الشئ فقال تعالى (فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاه... الخ فنزع عنها ابليس فقالت اليهود والنصارى ونحن مومنون متقون فانزل الله (الذين يتبعون الرسول النبي الامي) فنزعت اليهود والنصارى منها

ثانيا

تاتي الايات مبينه الذين هم اهلا لرحمه الله الواسعه والعظيمه في الدنيا والاخره رحمه الخاصه التي اختص بها المومنون فقال تعالى (فساكتبها للذين يتقون ويوتون الزكاه والذين هم باياتنا يومنون)

المبحث الاول

يقول الحق سبحانه وتعالى لموسي ان رحمه الخاصه قد جعل الله لها اسباب توصل اليها فقال تعالى (فساكتبها) اي سوف اوجب حصولها احسانا منه تعالى كما قال (كتب ربكم علي نفسه الرحمه)

للذين يخافون الله تعالى...والذين يوتون الزكاه...والذين يصدقون بايات الله وكلماته ومعجزاته وانبياءه

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ان الايه تضمنت اصلا ان جماع الدين والعلم هذان الاصلان

1/التعظيم لامر الله (التقوي) 2/الرحمه لعباد الله (ايتاء الزكاه)

فالتعظيم لامر الله يكون بالخشوع والتواضع وهذا هو اصل التقوي

واما الرحمه لعباد فتكون بالاحسان اليهم ...

الامر الثاني

عليك ان تفهم ان قاعده التيسير والوصول لرحمه الله تقوم علي قاعده (فاما من اعطي واتقي وصدق بالحسني فسنيسر له ليسري)

فالاعطاء والتقوي اساس قاعده التيسير لما سبق ولقوله تعالى (ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

وقد اخبرنا الله ان التيسير للعسري. يكون بالبخل والكبر والفخر

(واما من بخل واستغني وكذب بالحسني فسنيسر له للعسري)

ولهذا جاء تخصيص الوصول لرحمه الله الخاصه بالتقوي لان فيها التواضع والذل والخشوع والتعظيم لامر الله و
الذل له وهو مضاد للخيلاء والكبر والفخر ولم يذكر الصلاه مع انها مقدمه علي سائر العبادات لان النقوي جامع
لكل شي ثم جاء تخصيص ايتاء الزكاه بالذكر فيه تعريض ببني اسرائيل لانهم اتصفوا بالبخل والحرص علي المال
فالزكاه متضمنه لنفع الخلق والاحسان اليهم وهو ضد البخل والتقوي متضمنه التعظيم لامر الله والخشوع والذل
له

ثانيا

(الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراه والانجيل)

المبحث الاول

(علاقه الايه بما ورد قبلها)

ان ذكر التقوي وايتاء الزكاه فيها التعريض ببني اسرائيل فالايات تكشف جانبا من طرف الغيب. في المستقبل

يطلع الله موسى عليه المله الاخيره التي اوجب الله لهم الرحمه وموقف بني اسرائيل منها للتعريض بهم وبحرصهم علي المال فهم اتصفوا بالبخل وكذلك اتصفوا بالكبر والخيلاء والفخر ولهذا يحثهم علي الاعطاء ومراعاة حقوق الناس والاحسان اليهم فهذا يكون به التخلص

من البخل وحثهم علي التقوي المتضمنه التواضع الذي هو ضد الفخر والكبر والخيلاء وايضا يامرهم بالايامن الصادق باليقين بايات الله فقال تعالى (والذين هم باياتنا يومنون) كما قال في ايه قاعده التيسير (فاما من اعطي واتقي وصدق بالحسني) فقد ذكر اهميه التصديق بايات الله فانه سبحانه وتعالى هو المعبود المراد المقصود بالدعوه فالعباده اسم جامع لكل ما يحب الله ويرضاه وغايه الحب الذل له تعالى فالعباده تتطلب الحب والتعظيم لان الشرك يوجب نقص المحبه والاستكبار يمنع حقيقه الذل لله تعالى

ولهذا جاء بعدها قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراه والا نجيل)

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ان الاتباع للرسول هو وسيله الوصول الي المقصود فانه سبحانه وتعالى هو المعبود المراد المقصود من الدعوه التي حملها الرسل جميعا ولهذا فان المحبه لله توجب الذل والطاعة لله تعالى لان المحب لمن يحب مطيع ولهذا فان المحبه لله تتطلب اتباع رسوله لقوله تعالى في ال عمران (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) لانه يحمل الخير والرحمه من ربه والمومن متبع لامبتدع يتبع الانبياء ولهذا فان المومن الحقيقي يتبع الحق ولايمكن ان يقف معاندا او مكابرا فهذا هو الايمان الذي يقبله الله تعالى من العبد ان يكون مع الحق حيثما كان

الامر الثاني

ان الايمان الحقيقي ليس مجرد قول باللسان او اقرار بوجود الله فقط بدون عمل فهذا الايمان لاقيمه له لان ابليس لم يكن ينكر وجود الله ولا اليوم الاخر بدليل قوله تعالى بخصوص ذلك ان ابليس قال (انا خير منه خلقتني من نار) فهو مقر بوجود الله وانه الخالق وكذلك مومن بالبعث فقال تعالى (انظرنني الي يوم يبعثون)

بل الايمان الحقيقي هو الذي يولد التواضع والاعطاء ينتج اثاره تكون للعقيده فاعليتها وقوتها الايجابيه وتاثيرها من خلال الشعور بوجود الله فنملاء نفوسنا به كمصدر طاقه فمعرفة الله تعني ان تبحث عن امره ونهيته تعني ان تسال عن منهج الله فهذا من لوزام الايمان الصادق وبالتالي تتبع ما جاء به الرسول من ربه لانه المصدر الوحيد الموثوق للحديث عن مراد الله لان علم الرسل هو الوحي وهذا يتطلب اخراج مافي النفس من اي ذره طلب علو او عناد مع معرفه الحق والعلم به فهذا هو المومن الصادق ولهذا قال تعالى (الذين يتبعون الرسول النبي الامي... الخ

المبحث الثاني

ابتدات الايات بذكر ان المومن الصادق هو الذي يتبع الرسول النبي الامي

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

تقديم الرسول علي النبي وهذا يدل الاهتمام برساله الاسلام لان الرسول اخص من النبي

الامر الثاني

وصفه بأنه أمي وهذا بحق النبي صلى الله عليه وسلم شرف له لأن الله تعالى تولى تعليمه وإيضاً في ذلك إثبات صدق نبوته وصحة ما جاء به من ربه فهو لم يجلس لمعلم قط

الامر الثالث

إليه تكشف عن التعنت في موقف أهل الكتاب من دعوته الإسلام والرسول الخاتم وتفصح عن عنادهم في استقبال النبي الخاتم وما جاء به وتكشف عن المعركة التي سوف تحدث مع أهل الكتاب فهو سوف يقفون بوجه الحق رافضين القبول بتحول قراءه المطلب الرباني إلى القرآن الكريم ولهذا فإن عدم اتباعهم الرسول الخاتم يجعل من إيمانهم بالتوراه والانجيل لأمعني ولاقيمه له

المبحث الثاني

توصف إليه الرسول الخاتم بعده أوصاف

الوصف الأول

انه رسول الله للناس كافة وليس لقوم محدد

الوصف الثاني

انه أوحى إليه من الله بشريعته عامه كامله لكل الناس

الوصف الثالث

انه أمي لا يعرف القراءه والكتابه وهذه تدل علي صدق نبوته

الوصف الرابع

انه معروف نعوته في التوراه والانجيل وهذا أكبر دواعي التصديق بنبوته وصدق ما جاء به وبالتالي فهو لم يشرع شيئاً من عنده ولم يشرع ديناً لم ياذن به الله

الوصف الخامس

(يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر)

فهو يامر بالحق الذي تفره الفطره وتحبه اذا لم تعارض بمانع عارض انه يامر بمكارم الاخلاق ومحاسن السلوك وغير ذلك من الامور التي توافق الفطره والعقول السليمه

وينهاهم عن مساوي الاخلاق

الوصف السادس

(ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث)

وهذا من عظمه الشريعته الاسلاميه لانه احل لهم من المطاعم والمشارب مافيهما غذاء للاجساد والارواح مافيه مصالح الانام

وحرم عليهم من المطاعم والمشارب والمناكح كل مستقذر وخبث

فالتحريم انقاذ للانسان من الوقوع في المفساد

وهذه نعمه عظيمه توجب شكر الله عزو جل علي شريعتنا التي فيها كمال الانسان

الوصف السادس

(ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم)

الاصر:

يطلق علي العقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه عن الحركة لعقله ويطلق علي العهد لقوله تعالى (قال اقررتم واخذتم علي ذلكم اصري) اي عهد

وبنى اسرائيل اخذ عليهم الله عهد التوراه وعهد الايمان بالرسول الخاتم

وكذلك عقابهم الله تعالى بسبب فسادهم بان حملهم اعمالا ثقيله فقال تعالى في موضع اخر (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم)

وهذا العقل عقوبه لهم والاغلال جمع غل وهو يطلق علي السلاسل والقيود التي توضع علي العنق والايدي والاقدام ولهذا فان التعبير بالاصر والاغلال استعاره لما كان في شرائعهم من تكاليف وامور شاقه جزء افعالهم فشبه حالهم بحال من يحمل اثقالا تسمع اناته من ثقل حملها وفوق ذلك انه مقيد بالسلاسل والاغلال كما قال تعالى (ربنا ولا تحملنا ما لاطاقه لنا به)

فاخبر الحق ان مجي النبي الخاتم سيكون رفع هذه الاثقال عنهم والقيود من اعناقهم بالتيسير والتخفيف في الاحكام

من عظمه شريعته الاسلام ان الله جعلها سهله ولم يحملنا الاثقال كما كان حال من قبلنا وهذا من رحمه الله بنا فمن وصايا الرسول صلي الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا...وقوله لمعاذ عندما اطال الصلاه افتتان انت يامعاذ... فالدين الاسلامي يقوم الي التيسير ولايحمل الانسان فوق طاقته

ولهذا تاتي الايه بعدها بقوله تعالى (فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون)

فطريق السعاده والفلاح يكون بالايمان بالرسول وتوقيره ونشر دعوته والاقتداء به واتباع القران واحكامه هو نور يستضي به الانسان ويخرج من الظلمات الي النور وهذا فيه السعاده الاپديه

ثالثا

المبحث الاول

قل ياايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحي ويميت)

وهذا فيه الامر الالهي لنبيه صلي الله عليه وسلم ان يتوجه بالخطاب للناس كافة يدعوهم الي الايمان ب الله والايمان برسالته العالميه فهو رسول الله لكل الناس يشمل العرب والعجم والايه مكيه وهي تكفي للرد علي افتراءات المستشرقين الذين زعموا ان رساله الاسلام للعرب وان الرسول صلي الله عليه وسلم اغرته الانتصارات التي حققها للقول بعالميه رساله...فان هذه الايه تكفي لدحض تلك المزاعم

يقول لهم انه مرسل من مالك الكون والمتصرف فيه ومدبره فهو تعالي الغني وانتم الفقراء الي الله تعالي فالكون ومافيه شاهد علي عظمه الله وجلاله واحسانه وانعامه وعطفه وانه المتفرد بالالوهيه والربوبيه فالجميع عبيده

وبالتالي فالله تعالي هو المستحق بالعبوديه وحده لاشريك هو الذي يجب ان يكون القلب به متيم بحبه فلايشرك معه احد هو الذي ينبغي ان تستسلم له فهو الخالق والمالك والمتصرف والميهمن علي الكون ومافيه فهو له حق التشريع وحده لاشريك له وهو المعبود الذي لايشركه احد فهذا هو معني لا اله الا هو يعني ان تخرج من قلبك وعقلك ونفسك كل ماسوي الله فلا يبغي في قلبك الا الله فمن استسلام لغير الله فهو مشرك فالله الذي بيده الا حياء والاماته

فربط اتباع المنهج الرباني والايمان به بتحقيق الالوهيه لله وتوحيده وامتناع الشرك وفساد السموات والارض بتقدير اله غيره

المبحث الثاني

تبين النصوص ان القلوب لاتصلح الابان تعبد الله وحده فلا كمال ولاصلاح ولالذه ولاسرور ولافرح ولاسعاده بدون ذلك فالاهتداء الي صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين. والشهداء والصديقين والصالحين يكون بالتوحيد والا يمان ب الله وبالرسول والرساله

(فامنوا ب الله ورسوله النبي الامي الذي يومن ب الله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)

الامر الاول

ان الايمان ب الله يوجب الايمان برسوله ونبيه صلى الله عليه وسلم فقد جعل الله الايمان ان تومن ب الله وملا نكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره

فهذه هي اصول عقيدة الايمان واي خروج عن اصل من هذه الاصول يخرج صاحبه من ظلال العقيدة الاسلاميه فانت لو قلت انا مومن ب الله وبرسله لكن لا اومن بالرسول الفلاني فانك لست مومنا وعقيدتك هذه بدعه خارجه عن الاسلام فالله يجعل الايمان به قضيه واحده لايتجزا عقيدة اصلية تعني الايمان به وبرسله وكتبه وملا نكته ...

ولهذا يقول لاهل الكتاب ان الايمان ب الله يقتضي الايمان برسوله

النبي الامي

الامر الثاني

يصف النبي صلى الله انه (الذي يومن ب الله وكلماته)

اي مومن ب الله وبالكتب السماويه فهو مصدقا لما بين يديه فاللازم الايمان به كما ورد في عهد ميثاق النبيين وايضا هذا فيه ان علي الداعيه الذي يدعوا الناس ان يكون مومنا بما يدعوا الناس اليه لتجد كلماته وافكاره منفذا وطريقا لقلوب الناس وليكون لخطابه ودعوته تاثيرا علي الاخرين

الامر الثالث

(واتبعوه لعلكم تهتدون)

الامر باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم واتباع سنته ففي ذلك سبيل الهدايه

فالعلم النظري لابد ان يلحقه عمل تنفيذي

رابعاً

(ومن قوم موسى امه يهدون بالحق وبه يعدلون)

تحدث الايه عن وجود طائفه من اليهود يهدون بالحق ويباشرون به حياتهم وشؤونهم فهم لايجورون ولا يرتشون وانما يعدلون في شؤونهم كلها وقد تعددت الاراء بالمراد بهذه الطائفه ومثل زمانها اشكاليه لبعض المفسرين. اوقعتهم في الخطاء بتاويل الايه بسبب

موقع الايه بعد ذكر رساله النبي صلى الله عليه وسلم وانها لجميع الناس حيث ذهب البعض للقول ان بني اسرائيل كانوا اثني عشر سبطاً وانه لم انحرفت بني اسرائيل عن منهج الله وكفروا رفض سبط منهم الكفر الذي وقعت به البقيه وانهم سالوا الله ان يفرق بينهم وبين بقية بني اسرائيل وانه فتح لهم نفقا في الارض مشوا فيه سنه ونصف فوصلوا الي منطقه في الصين تحجزهم عن العالم وانهم علي الحنفية يستقبلون قبلتنا لانلقني بهم ولايتقون بنا وهذا القول من الخرافات والاسرائليات ولايسجم ودلاله النصوص وموقع الايه بعد ذكر امر الله بالايمان بالله ورسوله واتباع القران وان الاسلام جامع لجميع مراحل الاديان والتدين يدل علي الاتي

الامر الاول

يعلم القران المسلمين العدل والانصاف في القول فلا يجوز التعميم في الالفاظ والاحكام علي الناس ليعم الناس كلهم الصالح والطالح بدون تمييز فعليك ان تتعلم من طريقه القران في الحديث عن الامم فالقران يسوق احكامه بانصاف واحتراس فهو مثلما يذم الفاسدين يمدح الصالحين فهذه عداله في الاحكام تضمن انصاف الصالحين

فالايه كما قال تعالي (ليسوا سوا من اهل الكتاب امه قائمه...)

وكما قال تعالي (الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته) وكما قال تعالي (وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم... الخ وكما قال تعالي (الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون)

ولهذا لما تقدم ذكر معايب بني اسرائيل المنافيه للكمال المناقضة للهدايه. جاء بهذا الايه الكريمه كنوع من الاحتراز فيما تقدم

فاخبر الله عن بني اسرائيل ان فيهم طائفه استقاموا علي الهدى تابعوا الحق وصدقوا بنبوه موسى وهارون وانقادوا للحق احتزرا لدفع توهم المتوهم الذي قد يعم جميع بني اسرائيل فجاءت الايه لدفع هذا التوهم مبينه ان فيهم طائفه يتبعون الحق ويعدلون في الحكم

الامر الثاني

تبين النصوص ان الامم العظيمه لاتخلو من اهل الحق والعدل ولهذا بعد ذكر معايب بني اسرائيل يقول الحق (ومن قوم موسى)

جاء فيه تخصيص لظاهر العموم الوارد في قوله (واتخذ قوم موسى .. الخ

لدفع التوهم بان جميع بني اسرائيل كانوا متمردين عن الحق والحكم بالعدل وهذا القول فيه اشاره الي التقليل وان معظمهم لايهتدي بالحق واستعمل الفعل المضارع يهدون ويعدلون تفيد الاستمرار والتجديد لتصوير

الماضي في صورته الحاضر وهذا فيه بيان ان منهم طائفه اهدوا بالتوراه قبل بعثه النبي صلى الله عليه وسلم وحكموا بها شوونهم وبعد بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم صدقوا الرسول وامنوا به امثال ابن سلام والاياه وردت في اطار بيان ان العلم بالتوراه ونعوت النبي فيها يوجب الايمان ودعوه الناس للايمان فاستعمل الباء في قوله (بالحق) للملابسه اي يرشدون الناس لطريق الهدايه. كونهم ملتبسين بالحق

فالايه فيها اخبار بان الامم لاتخلوا من اهل الحق والعدل فيها اخبار بسنه الله بان الارض لاتخلوا من اهل الحق كما قال تعالى (وممن خلقنا امه يهدون بالحق وبه يعدلون)

اي يعملون ويقضون وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم لاتزال طائفه من امتي ظاهرين علي الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتي تقوم الساعه)

والامه جماعه اي لاتزال طائفه علي الحق منصوره لا يضرها من خذلها والمراد بهذا بيان ان الحق لايزوال من الا مه فهذه سنه الله فالساعه لاتقوم الا علي اشرار الناس

الامر الثالث

فيها توجيه لنا بان نلزم الحق ونحكم به فلا تتبع ايه المسلم امر غير ما انزل الله فتخرج عن الحق الذي جاءك به الرسول صلى الله عليه وسلم الي غير فان هذا عدول عن الحكم الحق عدول عن حكم الله الي حكم اخر حكم الباطل والجور والظلم

فاللازم ان تدور مع الحق حيث يدور ومع حكم الله فان فيه العدل والكمال فهذا هو ميزان المسلم والمومن. في الاشياء والاوزاع كلها اينما كان الحق تجده وهو يلتزم ميزان العدل بالحكم بما في كتاب الله

القسم السادس

تعود الايات للحديث عن بني اسرائيل وانحرفاتهم تحكي الايه الاحداث بعد الرجفه فقال تعالى

(وقطعناهم اثنتي عشره اسباطا اما واوحينا الي. موسي اذ استسقاها قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانجست منه اثنتا عشر عينا قد علم كل اناس مشريهم وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن. السلوي كلوا من طيبات مارزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون)

اولا

ان الايات فيها اخبار الله برعايته بني اسرائيل وانعامه عليهم فبعد عبادتهم العجل وسوء الاداب منهم مع الله عندما طلبوا رؤيه الله جهره فقد عفا الله عنهم وتم تنظيمهم بان صيرهم الله اثنتا عشر فرقه حسب انسابهم فهم ينتسبون لابناء يعقوب الاثني عشر الورد ذكر قصتهم في سوره يوسف فقال تعالى (وقطعناهم اثنتي عشره اسباطا اما)

وهذا فيه الاتي

اهميه التنظيم للجماعه وان يقوم هذا التنظيم علي التجانس بين افراد كل فرقه بحيث يكون الانتاج والتقدم فاصل (القطع) التفريق وابانه شي من شي بحيث يسهل اعاده ترتيب اوضاعهم وتشكيل عقولهم ومعالجه امراضهم

فالعزل هنا لان امراضهم كانت متعدده فالعزل علاج لمنع العدوي وانتقال الامراض

كما تخصيص التقسيم بالاسباط يقصد به توفير المناخ البيئي القادر علي استيعابهم فاطلق السبط لفظ يطلق للد لاله علي امتداد الشئ فالسبط يعني ولد الولد والمقصود بهم قبائل بني اسرائيل المتفرعه من اولاد يعقوب وهو يهدف الي تذكيرهم باسلافهم الذين ينتسبون اليهم كي يقتدوا بهم ولهذا حذف تميز العدد وورد بصيغه التانيث فقال تعالي (اثنتي عشره اسباطا امما) لان السبط اطلق هنا علي الامه ولهذا حذف تميز العدد لدلاله قوله (اسباطا امما)

ثانيا

تخبرنا الايات ان تقسيم بني اسرائيل الي اثنا عشر مجموعه حسب قبائلها امر ذو فائده لترتيب اوضاعهم ومنع الفوضى فهو جزء من رعايه الله تعالي بهم ولهذا يخبرنا انه خصص لهم اثنتا عشر عينا في الصخره ليشربوها منها لمنع اي اعتداء من بعضهم علي بعض

فقال تعالي (واوحينا الي موسي اذ استسقاها قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشر عينا قد علم كل اناس مشربهم)

وبالوقوف علي الايه نجد الاتي

الامر الاول

لما وصفهم الله بالكفره فقال وقطعنا هم.) ذكر ان ذلك استوجب التنظيم لامورهم وتوزيعهم الي مجموعات منظمه لمنع اي مشاكل بينهم وذكر جري الانعام عليهم بما فيها الكفايه في الاكل والشرب وابتداء بالماء لانه اصل الحياه فذكر انه اخرج لهم الماء من الحجر بضربه عصا فهذه معجزه حيث انهم اصابهم الظماء فطلبوا من موسي ان يدعوا ربه فاوحى الله لموسى ان يضرب الحجر بعصاه فخرج الماء وتحولت الصخر الي منبع اثنتا عشر عينا

وهذا لتعلم ان الله قادر علي كل شئ فهو يقول للشئ كن فيكون فالعصا تحولت الي ثعبان بقدره الله والعصا لما ضرب بها موسي البحر صار يابسا حولت الماء الي صخر وحولت الصخره الي ماء فهذا من طلاقه القدره الالهيه

الامر الثاني

تشير الايات ان بني اسرائيل كانوا يعانون من ضعف الاراده والعزيمه فجاء التعبير بالقوم اشاره الي تبكثهم فلم يكونوا اهل قوه ولم يتاسوا بموسى في الصبر الي ان ياتي الله بامرهم فقد عجزوا ان يتحملوا العطش وبادروا الي موسي طالبين ان يدعوا الله ان ينعم عليهم بالماء فقال تعالي (اذ استسقاها قومه)

بان الوحي من الله لموسى بضرب الحجر كان حين طلب قومه منه ذلك وانه دعا الله فامرهم الله بضرب الحجر ولهذا جاءت الايه بعدها بقوله (فانبجست منه اثنتا عشر عينا)

اي بمجرد ضرب موسي بالعصا حصل خروج الماء فدل هذا علي سرعه امتعال موسي لامر الله بالضرب بالعصا. وسرعه التاثر من ضربه حصل الانبجاس اثر تحقيق الضربه فكان الانبجاس اول خروج الماء من مكان ضيق يمثل معجزه خارقه

ثم كان بعد ذلك الانفجار بشكل غزير كما ذكر في البقره لان الانبجاس يعبر عن اول خروج الماء فهو يخرج مثل العرق من الجسد حيث ان من يعمل في حفر الابار يعرف ذلك لان بدايه الماء هو خروج ماء من الجدار او من التربه بشكل العرق يقال له عندنا في اليمن ينشع ثم بعد ذلك يكون انفجار العيون بالاتساع والكفره

فالانفجار ابلغ في كرهه الماء ولهذا ذكر في البقره فانفجرت لان المقام ذكر تعدد النعم اما هنا فهو مقام تقريع

وتوبيخ وتأييب لبني اسرائيل فذكر المرحلة الاولى من خروج الماء فانجست. بينما في البقره ذكر المرحلة الثانيه

الامر الثالث

ذكر ان الضرب بالعصا علي الحجر نتج عنها خروج الماء منها باثنا عشر عينا اي بعدد قبائل بني اسرائيل فهذه معجزه الهيه لتدرك ان كل شي يحدث يتم وفق اراده الله لقد اعطني بهم لدرجه انه جعل عدد العيون باعداد قبائلهم وحسب التقسيم الذي تم توزيع المجموعات لهم معلما ذكر تعالي في المائده انه جعل عليهم اثنا عشر نقيبا لادراتهم ولهذا فان هذا العدد يراد منه ان تقف علي مدلولاته لتري عظمه الخالق وتديره لشؤون عياده ولهذا استخدم (عينا) اشارة الي المكان الذي ينبع منه الماء اويسيل منه لا الي الماء بعينه فالمكان صخره لا يخرج منه الماء اطلاقا وكذلك العدد جاء متوافقا مع عدد المجموعات الذي فيها تنظيم بني اسرائيل ولهذا قال تعالي بعدها (قد علم كل اناس مشربهم)

اي موضع شربهم معلوما لهم وواضحا فاسترحوا من التعب والمزاحمه ايضا وقطعت كل اسباب الخلاف والاختلاف ف فلا يعتدي بعضهم علي بعض لان مشربهم محدد فهذا امر يدل علي الاستقرار لامورهم واطمئنان نفوسهم ف القيادة الرشيده من اهم. الاسس التي تمنع نشوا الازمات في المجتمع

فالايه تبين حرص موسي علي تنظيم قومه واخرجهم من حاله العشوائيه والفوضى التي كانوا يعيشونها لقد كانوا بحاجه الي التربيه علي النظام واحترام الهكيل التنظيمي. فهذه هي الوسيله لتربيتهم وخلق قياده تحترم المصلحه العامه علي المصلحه الخاصه لتخليصهم من فوضى العشوائيه فقد جعل لهم قياده بعدد القبائل ترتبط بقياده نبي الله موسي فهذا التنظيم ضروري ومن الامور التي تؤدي الي تهذيب الانسان وانتظامه في الصفوف العمل الذي يخدم الجماعه ويساعد علي ظهور القدوه الصالحه

المبحث الثاني

تستمر الايه بذكر انعام الله علي بني اسرائيل ولهذا بعد ذكر انعام الله عليهم بما يكفيهم من الماء يذكر الله نعمه اخري انعمها عليهم في زمن التيه (وظللنا عليهم الغمام وانزلنا عليهم المن والسلوي كلوا من طيبات ما رزقناكم) تبين الايه ان الله حماهم من حر الشمس بالتظليل من حر الشمس المحرقه وكذلك انزل المن وهو نوع من الشراب يشبه العسل قيل انه

كان ينزل علي الاشجار فميزجونه بالماء ويشربونه

والسلوي قيل انه طائر السماني وهذا كله تسهيل من الله لهم وتسيير الطعام والشراب لهم في فتره التيه

فهذه الاشياء كلها من عند الله ليس بكسب منهم فالاصل ان يشكروا الله تعالي ولهذا قال تعالي (كلوا من طيبات ما رزقناكم)

فجاء اسناد الرزق الي ضمير جمع العظمه تاكيذا علي انه الرزاق وللتنبيه والتذكير بما يجب من شكره تعالي

ولهذا يخبرنا انهم برغم تلك الرعايه لم يشكروا الله بل اقدموا علي معصيه الله فقال تعالي (وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون)

ولهذا فان اللازم عليك اخي المسلم اذا وقعت في معصيه ان تدرك انك بذلك انما الاحقت الضرر بنفسك لانك اوردتها مورد الهلاك واستحقاق العقاب ف الله غني عن العالمين لا ينقص في ملكه عصيان العصاه شي ولا يزيد في ملكه طاعه المطيعين شيئا

سابعاً

تنقل لنا الايات جانباً من واقع بني اسرائيل وتاريخهم المعبر عن فساد فطرتهم وطبيعته نفوسهم التي اعتادت علي الانحراف بالسير بطريق معوج فتعرض لنا الايات نماذج لظلم بني اسرائيل لانفسهم بمخالفه امر الله التي اختتمت بها الايات السابقه بقوله تعالى (وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون)

تاتي الايات هنا تعرض لنا لظلم بني اسرائيل لانفسهم وانحرافهم

من خلال الاحوال والمواقف المعبره عن هذا الانحطاط والفساد من خلال هذه المشاهد

(المشهد الاول المعبر عن ظلم بني اسرائيل لانفسهم)

قال تعالى (واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطه وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجلاً من السماء بما كانوا يظلمون)

وبالوقوف علي الابه نجد الاتي

تحدث النصوص عن امر الله بني اسرائيل بدخول القرية والاكل منها حيث شاؤوا فما هي هذه القرية لم تذكرها النصوص هنا فمن العلماء من قال انها بيت المقدس الورد ذكرها في سورة المائدة بقوله تعالى (ادخلوا الارض المقدسه التي. كتب الله لكم.) والتي فيها باب يسمى اليوم باب حطه عند المسجد الاقصي ومنهم من قال انها اريحا لان موسي مات في زمن التيه. لان الفاء في قوله (فبدل الذين ظلموا منهم) تقتضي التعقيب موجب ان يكون ذلك التبديل وقع لهم عقب الامر وفي حياه موسي وموسي مات في ارض التيه لكن ليس في الابه ما يدل ان الدخول. بتلك الصفه كان علي لسان موسي او لسان يوشع عليه السلام الذي كان الدخول بيت المقدس في زمانه وبناء علي هذا نفهم ان الابه فيها عده مفاهيم وتوجيهات هي

المفهوم الاول

وعلي هذا المعني فان القصة تبين ان طالب النفوذ الي الله والدار الاخره يحتاج ان يكون شجاعاً مقداماً عاشقاً لمطلوبه زاهداً عما سواه يجاهد نفسه ويقوم بتزكيتها من حب الدنيا لان النكول من بني اسرائيل عائداً لضعف الاراده وضعف الايمان فغلبت الاغواش الرديئه اصحابها فذلك الدنس حال دون امتعال امر الله. فعدم صلاحية المحل وفساد القصد ينتج عنه ضعف الانقياد فاللازم علي العبد ان يتدراك قلبه بازاله كل ما يدنسه فترك الشهوات. لله من اسباب النجاه من عذاب الله وتوجب الفوز برحمته تعالى

ولهذا تنقل لنا الايات هذه القصة لنحذر ما وقعوا فيه

المفهوم الثاني

تبين النصوص ان الفوز والنجاح يكون بالتمسك بالمطلب الاعلي فهذا فيه منفعة النفس وهذا يحتاج الي ارده قويه وهمه عاليه تنظر الي الاعلي واومره وحده لاشريك له فاذا حصل هذا فقد افردت الهمة لمطلوبها ارضاء الله وافردت له الطريق فسلكت طريقه المستقيم بعكس حاله تعلق النفس بالدنيا وما فيها من شهوات يعني ظلم النفس لانك تهمل امر تزكيتها وتنظيفها من الاوساخ ولهذا فان هذه النفس تمتلي بالقذورات والدنس وبالتالي تؤثر علي طريقه تفكيرها ونظرتها للاشياء فكل همها هو الدنيا وملذاتها ولهذا فان هذه النفس تتصف بالخبت ونوايا اصحابها خبيثه يسلكون طريق معوج يقابلون انعام بالجحود والكران فجاء الاخبار بنكول بني اسرائيل عن تنفيذ امر الله لهم بدخول القرية وفقاً لما امرهم فيه من القول والفعل لبيان كيفية استقبال بني اسرائيل انعام الله

ورعايته عليهم لتفهم خطوره اهمال النفس بدون تطهير ولا تزكيه فذلك ظلما للنفس حسبما اختتمت به الايه
السابقه فناسب مجي الايه بعدها بقوله تعالى (واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم...الخ

تدل الايه ان الله هيا لهم الظروف للتمكين من دخول القرية وتمكينهم من العيش والسكن فيها بقوله (اسكنوا)

تدل علي النعمه اي ادخلوها لتكون وطنا لكم ومسكنا واتبعه باباحه الاكل منها حيث شاوا يدل علي تهنيه ظروف
التمكين بان لهم التصرف في اي موضع من القرية وهذا فيه اشعارا بكمال النعمه واتساعها وكبرتها حيث نفهم من
ذلك انها قرية فيها ثمار وانعام عديده وانه اذن لهم في التمتع بما فيها من اي مكان شاوا فكيف استقبل بني
اسرائيل رعايه الله لهم وانعامه التي. لم يكلفهم علي استحقاقها تكاليف صعبه بل جعلها سهله ميسره فقد امرهم
مقابل ذلك اثناء الدخول بان يلتزموا دعاء الله ان يحط عنهم السيئات والذنوب فقال تعالى

(وقولوا حطه) وان يدخلوها خاضعين لله (وادخلوا الباب سجدا)

ووعدهم مقابل طاعه الله وامتنال امره بمحو الذنوب وزياده اجر المحسن فكيف كان تصرفهم يقول الحق انهم
بدلوا القول الذي امروا به فقالوا حطه اي شعير ودخلوا يزحفون علي اساتهم فاستحقوا العقاب بالعذاب علي ما
ارتكبوا من ظلم لانفسهم

فظلم النفس اهمالها وعدم تزكيتها من الاوساخ التي توردها موارد الهلاك

الامر الثاني

تبين الايه لك اخي المسلم ماذا يجب عليك من واجب عند تحقيق الله لك النصر والتمكين فيقول لنا الحق عليكم
ان تسالوا الله ان يحط عنكم الذنوب واي تقصير فقال تعالى (وقولوا حطه)

والثاني الدخول سجدا (وادخلوا الباب سجدا) طبعاً السجود هنا بمعنى الخضوع لله شكراً علي انعامه التي لاتعد
ولا تحصى لانه لايمكن الدخول في حال السجود فالسجود هنا يراد بها الخضوع لله كما قال تعالى (الم تر ان الله
يسجد له من في السموات ومن في الارض)

فالرسول صلي الله عليه وسلم لما دخل مكة عام دخل ساجدا علي دابته وهذا فيه اعتراف بان النصر من عند
الله فيه تنقيه النفس من الغرور والاعجاب واثاره والتي. تنشأ عنها ازمه قاتله لان الانسان في لحظه نشوه
الفرح الزائد يخرج عن حد الاتزان فالاسلام يحذر من الفرح المذموم الذي يخرج صاحبه عن حد الاتزان ويدفعه
لغرور ف الله يقول في موضع اخر (ان الله لا يحب الفرحين) ولهذا امر الاسلام بالسجود لله حال النصر فقال
تعالى في موضع اخر (اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسيح بحمد ربك
واستغفره انه كان توابا)

الامر الثالث

تكشف الايه زيف الاحتلال الاسرائيلي في الوقت المعاصر وادعاءتهم انهم اهل الارض في فلسطين فالله يقول
ان استحقاق الارض انما يكون بالسجود لله وطاعته وامتنال امره والخضوع لاحكامه والعمل بشرائعه فهذا هو
شرط التمكين في الارض ولهذا فانه بعد بعثه النبي صلي الله عليه وسلم ونزول القران فقد صار القران هو المنهج
الذي به معرفه مراد الله. من العباد ولهذا فان الاسلام هو الحاكم لها وطالما انهم لم يخضعوا لامر الله باتباع القران
فانهم قد خرجوا عن طاعه الله والتحقوا بمدرسه الشر

المهم هنا ان الايه تبين لنا ان انحراف بني اسرائيل عن الطريق وخروجهم عن طاعه الله ليس امرا جديدا فهم قد
خالفوا توجيهات ربهم وامره خالفوا رسل الله الذين ارسلهم الله كي يبناو لهم ما يجب عليهم تجاه خالقهم و

الطريق الموصله الي الغايه من وجودهم ولكنهم رفضوا التضرع والخضوع لله والعمل بشرائعه برغم الاغراء الورد
في قوله تعالى (نغفر لكم خطيئا تكم سنزید المحسنين)

بان ذلك من اسباب غفران الذنوب ورفع الدرجات فمن اراد العز والتمكين في الدنيا والاخره فعليه ان يكون
محسنا في طاعته وعبادته لله لكنهم قاموا بتبديل امر الله استهزاء وسخرية مع الغرور والكبر فقالوا حنطه
ودخلوا زحفا ولهذا يحذرنا الله من ان تقع في اخطاء اليهود وسلوكهم القبيح فهم قابلوا الاحسان بالاساءه والنعم
بالجحود والغفران والصفح بالتمادي والطغيان ولهذا استحقوا الازلال والهلاك استحقوا السخط والغضب الالهي

ثانيا

تنقل لنا الايات كيف قابل بني اسرائيل امر الله لهم فقال تعالى

(فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم)

التبديل تغير الشئ. فهم بدلوا صيغه الدعاء التي امروا ان يقولها وكذلك بدلوا هنيهه الدخول التي كلفوا بها سواء
دخلوا علي اساتاهم زحفا او انهم لم يدخلوا خاضعين لاحكام الله واوامره

فدلت الايه انهم حرفوا اوامر الله فقد حرفوا القول استهزاء منهم وكانهم قالوا لماذا يامرنا موسي ان نقول هذا
فقالوا علي وجه السخرية حنطه اي شعير وهذا التحريف يفهم من الايه انه حصل من بعضهم وليس كلهم فدل
هذا علي الاتي

ان نفوسهم خبيثه متمرده كانها لم تتلق شئ من الترييه والترويض برغم مرافقتهم الانبياء فلم ينتفعوا من اداب
موسي الذي رباه الله تعالى فقال تعالى (والقيت عليك محبه مني ولتصنع علي عيني)

فاللازم ان تحذر افعال وسلوك الكفار اخي المسلم وعليك ان تقوم بتربيه نفسك علي الدوام

2

ان طبيعه الكفار في كل زمن واحده حيث يلجاون الي اسلوب الاستهزاء بالحق باستخدام الفكاهه لتشويه صورته
الحق وهذا الاسلوب تتطور وسائله بتقدم البشريه فاليوم اصبح هنالك وسائل اعلام ودور سينما وقنوات اعلاميه
تجد فيها اهل الكفر يستخدمون كل هذه الوسائل للسخرية من الحق حيث تحاول وسائل اعلام الكفر اظهار الاسلا
م واحكامه بانه خرافات وتاتي بالممعلين الذين يجسدون ذلك علي سبيل السخرية والاستهزاء

وهذا يعود الي افلاس اهل الباطل امام الحق فعندما يعجزون عن المواجهه يلجاون الي هكذا امور وهذا يجب ان
يقابل بجهود من العلماء للازاله ذلك اللبس ومنع الابناء من مشاهده مثل تلك الامور لان لها اثر سلبي علي الشباب
توثر علي نفوسهم وطريقه تفكيرهم ولهذا حرم الله الجلوس في مجالس الاستهزاء بالدين فقال تعالى

(واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتي يخوضوا في حديث غيره... الخ

3

تبين الايه ان المخالفه للمنهج عندهم كانت هدفا

يبين النصوص عظم وزر من يبذل كلام الله او يحرفه عن موضعه

فذكر الله عقابه لهم فقال تعالى (فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون)

فالفاء في فارسلنا .. تفيد ان العقوبه كانت سريعه في الالقاء لان الفاء تفيد الترتيب مع التعقيب وسماه الله رجزا اي عذابا شديدا وسماه بذلك لان الرجز يقود الي الاضطراب وزلزه وحركه مضطربه فاخبرنا ان ذلك كان بسبب الاستهزاء والمخالفة للمنهج الرباني يقول الحق ان هذا الرجز السي الهائل (بما كانوا يظلمون)

فالبراء هنا تدل علي السبب بان سبب ارسال العذاب الرجز عاندا لفعالهم الظالم فالعذاب من ارسله؟

لقد ارسله الله اي انه جندي مكلف بمهمه القضاء علي الطغاه

وما هو السبب؟

ظلم الطغاه لانفسهم بارتكاب المعاصي والمحرمات واستعمل المضارع (يظلمون) للاشاره الي ان ذلك كان من دينهم وعملهم المستمر وهذا فيه

عليك ان تفهم ان الابتعاد عن المعاصي فيه النجاه من العذاب

ف الله يمهل ولا يهمل

ان هنالك فرق بين من يرتكب المعصيه وهو مقر بحرمة الفعل واستشعار قبح الفعل وبين من يرتكبها مع الاعتقاد بعدم حرمتها وعدم الشعور بقبح عمله

لماذا ذكر تبديلهم للقول دون ذكر الفعل ؟

الاجابه تتضمن عدده مفاهيم

لان مخالفه وتبديل القول معناه ابلغ من المخالفه في الفعل لانه انكر امرا شرعيا وادعي ان الامر خلافه فهو يقول قولا غير الذي قيل ووضع مكانه قولا غيره فهذا ظلم لانه وضع شي في غير موضعه

كما الالتزام بالقول في المسائل التعبدية والطقوس امر يجب الاخذ كما وردت من الله فلا يجوز معلا ان تقول بـ النداء للصلاه الله اعظم بدلا من الله اكبر

فلا قياس مع النص وايضا مخالفه القول مدعاه لمخالفه الفعل وهذا السلوك ينبع من النفوس الخبيثه التي تحاول التحايل علي احكام الشرع والتماهي مع رغبات النفس القبيحه والخسيسه فالمشركون كانوا يوخرون الاشهر الحرم من محرم الي صفر لاجل ان يقتالوا في محرم وكذلك فان اليهود اعتدوا في السبت بحجز السمك الي الحد واصطادوا

فاللازم التوقف علي النصوص لان مخالفتها باي شكل كان يعد خروج عن الامر الهي فلا يجوز البحث عن وجه الحكمة لاعمال الامر الالهي كان يقول البعض ان الامر بالعدوه هو لمعرفة ابانه براءه الرحم فيقول هنالك اطباء تعرف ذلك فلماذا لا تتزوج المراهه بعد شهر من طلاقها اذا اتضح بالفحص الطبي انها غير حامل

فان هذا القول خروج عن الامر الالهي وهو من ظلم الحق والنفس يوجب العقاب

ان التعبد بالاقتوال المنصوص عليها في الشريعة لا يخلوا من وقوع التعبد بلفظها ومعناها فان كان التعبد بلفظها فلا يجوز تبديلها لزم الله بني اسرائيل علي ذلك

(المشهد الثاني لانحراف وفساد بني اسرائيل)

قال تعالي

(وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لاتاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون)

اولا

اول ما يلفت الانتباه هو عدول سياق الخطاب من اسلوب الحكايه الي اسلوب المواجهه حيث نجد ان الخطاب فيه الامر للنبي صلي الله عليه وسلم (وسئلهم عن القرية ...الخ

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ان الايه مدنيه لان المواجهه مع اليهود انما كان بعد هجره النبي صلي الله عليه وسلم الي المدينه حيث بدا اليهود بمحاربه الاسلام

بشعي الوسائل ولهذا فانه من هذه الايه الي نهايه قوله تعالي (واذ نتقنا الجبل ...الخ هي ايات مدنيه وبقية الايات مكيه

الامر الثاني

الايه وردت في سياق الامر للرسول صلي الله عليه وسلم بدعوه الناس للاسلام واليهود من جمله المدعويين وفي الحديث عنهم بهذا العرض فيه الاخبار بان لاتستغرب ان يقف اليهود مع المشركين صفا واحدا في رفض القبول بدين الله لاتستغرب منهم قولهم للمشركين انهم اهدي من المومنين سبيلا فهم اعتادوا علي العصيان لامر الله و التحايل علي تنفيذ احكامه

الامر الثالث

تفضح الايات اليهود من خلال هذه المواقف التي قابل بها اسلافهم اوامر الله تعالي بالتمرد والعصيان والحيل التي ابتكروها حتي لاينفذوا امر الله وهذا مهم لان اليهود شهودا علي صدق الرساله فموقف الرفض منهم قد يوثر علي موقف الناس الذين كانوا ينظرون اليهم انهم اهل علم بالاديان وقد سمعوا منهم كثيرا عن النبي الخاتم ولهذا فان ذكر مفاسد ومعاييب اسلافهم مهم فيقول لك لاتستغرب رفضهم دعوه الاسلام لان طبائع هؤلاء اعتادت علي الفسق والعصيان

الامر الرابع

العدول في الخطاب بالسياق يهدف شد انظار اليهود واذهانهم الي الوقوف علي حقيقه النبي صلي الله عليه وسلم والرساله التي يدعوهم اليها وفائده هذا تعريف اليهود ان ذلك مما يخبرهم به النبي هي مما علمه الله تعالي فلا يكون الا باخبار ربه سبحانه وتعالى فهذا دليل علي صدق نبوته فالنبي يحدثهم عن اخبار مضي عليها ثلاثه الف سنه وهو امي لايعرف القراءه ولا الكتابه ولم يجلس لمعلم قط يطلعهم علي تفاصيل ما حدث رغم ان علماء

اليهود يخفون هذه الواقعة عن العوام فالايه فيها دعوتهم الي الالتحاق بموكب الايمان وترك العناد والجحود الذي اتصف به اسلافهم يقول لهم قفوا مع انفسكم وفكروا من الذي اخبره بهذه القصص فهي من انباء الغيب لايعلمها هو ولاقومه من العرب عليكم اعاده النظر في مواقفكم من الرسول والرساله فهذا هو النبي الامي المكتوب عنكم في التوراه والانجيل فالاخبار بهذه القصص من الاداله الموكده صدق النبي صلي الله عليه وسلم وصدق الرساله التي يدعوهم اليها

المبحث الثاني

كما ان ابتدا الايه بالامر الالهي للنبي صلي الله عليه وسلم ان يسال اليهود في المدينه المنوره عن قصه اهل القرية التي كانت قريه من البحر اي واقعه علي شاطي البحر والتي دمرها الله تعالى بسبب تجاوزهم شرع الله بتحريم العمل والصيد يوم السبت الذي جعله الله يوم تعبد لهم وقد ابتلاهم الله بظهور السمك لتربيتهم حيث كانت الاسماك تظهر يوم السبت علي سطح الماء بكثره في حين تختفي باقي الايام الاحد والاثنين والثلاثاء والا ربعاء والخميس والجمعه حيث قاموا بحجز السمك يوم السبت في احواض كي يصطدوه يوم الاحد فدمرهم الله بذنوبهم

فالعدول في الخطاب من الحكايه الي المواجهه يهدف الي الاتي

الامر الاول

ان السؤال للتقرير والتقريع والتوبيخ لليهود كيف تنكرون نبوه الرسول الذي تعرفونه كما تعرفون ابناءكم وهو مذكور نعوته وصفاته في كتبكم وهو يخبركم بانباء معروفه لكم وحدكم دون غيركم لتدل علي صدق نبوته فمن اين له ان يعرفها لولا ان الله اخبره بها فكيف تقفون بوجه الدعوه وتحاربونها وانتم اهل علم

الامر الثاني

يامر الله نبيه ان يواجهه اليهود بهذه القصة لتحذيرهم من مغبه الاعتداء علي امر الله برفض القبول بدعوه الاسلا م واتباع الرسول الخاتم يحذرهم من اخفاء وكتمان صفه النبي صلي الله عليه وسلم التي يجدونها في كتبهم فجاء استعراض قصه من تاريخ اسلافهم

ليذكرهم بعاقبه من يتجاوز امر الله يذكرهم بنهايه تمردهم وعصيانهم القديم وما جري علي اسلافهم من المسخ والذل والهون عندما اعتدوا في السبت. فنهايه مخالفه امر الله الهلاك

الامر الثالث

تبين الايه اهميه احترام الاوامر الالهيه والتعظيم والتوقير لها ولهذا يخبرنا الله بقصه اهل قريه كانت واقعه علي شاطي البحر جعل الله لهم يوم السبت يوم راحه يتعبدون الله فيها ولاينشغلوا بغير عبادته الله ولم يحدد لنا ما اسم القرية وهذا فيه ان القصة سوف تتكرر فهي نماذج مكرر ويمكن ان تقع في اي وقت فالقصة فيها سنه الله الجاربه بحق من لم يحترم امر الله تعالى وشرعه بان العقوبه التي حلت باصحاب السبت هي العقوبه لكل من يقابل امر الله بالاستهزاء واللامبالاه ومن يلجا الي استعمال الحيل للتملص من الامر الالهي فالهدف من الاخبار عن بني اسرائيل ومواقفهم من الهدى المنزل عليهم وانحرافهم وماعقبوا به ان نفهم ان ذلك نتيجته لمخالفه امر الله تعالى فعلي الامه المسلمه ان تحذر الوقوع فيما وقعت به الامم الغابره عليك ان تفهم ان هذه هي نهايه من يخالف امر الله بحيله من الحيل بان النهايه وخيمه فعليك احترام امر الله فلا تلجا الي الحيل الرخيصه فسنة الله اهلاك كل من يفعل ذلك من الافراد والامم

وكم نحن اليوم بحاجة الي نعي خطوره الحيل الشرعيه التي اصبحت من سلوك المسلمين خاصه في الاعمال

الربويه حيث اصبح الكثيرون يلجأون الي حيل في هذا المجال لاضفاء مشروعيه للقروض الربويه لاختلاف عن حيله اصطياد السمك وحجزها في الاحواض من قبل بني اسرائيل يوم السبت ثم اخذها يوم الاحد

المبحث الثالث

ان الاصل ان صيد السمك والعمل امر مباح ليس فيه حرمه وانما التحريم وقتي فما الحكمه من ذلك ؟

الامر الاول

لمعرفه من يطبع الله ممن يعصيه فقد حرم الله عليهم الصيد يوم السبت وحرم عليهم العمل هذا امر لايسمح بتجاوزه ولا مخالفته فقال تعالى (اذ يعدون في السبت)

فذكرت الايه ان الصيد في السبت اعتداء علي امر الله لانهم قد نهوا عنه فيقال سبت اليهود اي تركوا العمل في سبتهم لانهم يتفرغون للعباده معلما ان المسلمون لايسمح لهم بالشغل والتصرف من بعد النداء للصلاه في يوم الجمعة حتي انقضاء الصلاه والخطبه فقال تعالى (اذا نودي للصلاه من يوم الجمعة فاسعوا الي ذكر الله وذروا البيع.... فاذا قضيت الصلاه فانتشروا في الارض... الخ

فالله يختبر عباده وقوه ايمانهم وارادتهم وصدق الطلب منهم احيانا بان يغلق امامهم ابواب الحلال ويفتح امامهم ابواب الحرام ليعلم من يعثب في طاعه الله امام المغريات ممن يضعف

امام الشهوات ولهذا يجد التاجر في السوق ان ساعه النداء لصلاه الجمعة يكثر فيها الزبائن قاصدين شري السلع وهناك زحمه في المحلات وهذا اختبار صعب للانسان لمعرفة من يعظم امر الله حيث يصبح الحرام فيما هو حلال ل في وقت اخر وتسمي هذه الابتلاءات مضلات الفتن لانها تخرج صاحبها عن حاده الطريق الي المخالفه بالانحراف

الامر الثاني

تفصح لنا الايه ان هذا ابتلاء من الله تعالى لتربيعتهم لانهم كانوا لديهم ضعف في الارده والعزيمه والهمله كانت نفوسهم خسيسه نتيجه العيش في الذل والهون الطويل في مصر لقد كانوا بحاجة الي تقويه الاراده وتخليص انفسهم من الشوائب الرديئه فهم واقعون تحت ضغط ركام دنس الماضي الذي عاشوه في مصر ولهذا كانوا بين الحين والاخر يخالفون الديانه ولذلك يتعرضون للعذاب والغضب والسخط بدايه من عصر موسي وحتى ما بعد موسي فوصفهم الله في اكثر من موضع من قتلهم الانبياء وما عقابهم من التيه وتحريم الشحوم ثم ما حصل هنا في هذه القصة من مسخهم قرده وخنازير ف الله يخبرنا هنا ان فسقهم كان سبب هذا الابتلاء فواجب الله لهم هذا الامتحان فلو انهم لم يفسقوا لما وضعهم الله في هذا الاختبار فهم كانوا وسائل تحريف الكلام عن موضعه وتزييف الحقائق والعصيان والخروج عن امر الله فاراد الله تخليصهم من الاسباب الكامنه وراء هذا السلوك ليكونوا اهلا لحمل امانه الخلافه ولهذا كان لابد من تحرير الاراده من قيود التعلق بحب الدنيا ومن الضعف والهون التي تمنع النهوض فحمل الامانه تتطلب الصبر والشجاعه والزهد عن سوي المطلوب اي الاستعلاء علي الاغراء بالشوق الي ما عند الله تعالى وهذا الاختبار كما يقول السيد قطب رحمه الله تعالى لابد ان يبتلي به كل من يحمل امانه الخلافه فاول من وقع فيه ادم وحواء فقد خضعوا للامتحان فهو

لابد ان يخضع له كل من يحمل امانه الخلافه وهو يختلف في شكله ولايتغير فحواء

المهم هنا تعرض لنا القصة حقيقه بني اسرائيل بانهم لم يصمدوا امام الاغراءات التي اختبرهم الله تعالى بها حيث اختبرهم باظهار السمك علي ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم وتختفي في باقي الايام فقال تعالى (اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لايسبتون لاتاتيهم)

فعليك ان تفهم ان الامتحان في هذه الاحوال يجعل الله فيها اغراء لتهييج النفوس واثاره الشهوات لمعرفة قوه الا
راده ومقاومتها لان ضعف الهمة تجعل النفس تستجيب للاغراء. لهذا قال تعالى (شرعا)

تعني ظاهرين فالايه تصور الاسماك تكاد تقفز فوق الماء السمك تسبح في الماء فهي ترتفع وتسقط وفي هذا تهييج
نفوسهم واغراءهم حيث ان في هذا اظهار مافي النفوس من خبث وتمرد

فقد جعلهم الله يشاهدون ظهور السمك في يوم السبت تقفز فيغيرهم ذلك وهم لا يشاهدونها في سائر الايام جعلها
سهله التناول

فماذا يصنعون لقد لجأوا الي حيله صناعه الاحواض لحجز السمك واصطيادها الاحد وهنا مسخهم الله قرده
وخنازير

والتوجيه هنا فيه تحذير لهم واقامه الحجه عليهم ولفت الانتباه ليدركوا ان كل شي يسير وفق ارده الله تعالى فما
الذي جعل الاسماك تظهر يوم السبت وتختفي باقي الايام

انه الله تعالى لانه خالق الكون ومالكه والمتصرف فيه والقوانين التي تحكم الاشياء تخضع لاراده الله ومشيئته

الامر الثالث

ترسم الايه لنا ضعف ارده بني اسرائيل امام الشهوات والملذات وانهم يميلون الي تلبيه رغباتهم واهواءهم دون
مرعاه ما ينتج عن ذلك من اضرار وفوضى ومخالفه المنهج فهذا السلوك يدل علي عدم قدرتهم علي الانضباط
واحترام القانون ويعيطننا الله معال لذلك السلوك الذي يجسد سلوك مدرسه الفسق التابعه لابليس اللعين الذي
مشروعه هو هدم النظام ومخالفه الشرع ونشر الفوضى ورفض الانضباط للوامر فتعرض لنا الايه هذه القصة
بشان ما حدث في السبت حيث وان بني اسرائيل طلبوا ان يجعل الله لهم يوم السبت عيدا يعبدون الله فيه وقد
استجاب الله لهم ثم انهم خالفوا امر الله فقد فشلوا في الامتحان وهم كذلك جاوا من الشام لانتظار النبي الخاتم
الذي عرفوا انه سوف ينزل المدينه المنوره وكانوا يهددون العرب بظهوره فلما خرج من امه العرب وليس منهم
لجاوا الي استخدام حيل تحريف النصوص لاختفاء نعت الرسول صلي الله عليه وسلم وزعموا ان عدم الاعتراف
بنبوته يمنع اقامه الحجه عليهم ولايلزمهم بالتحول الي القران الكريم في قراءه المطلب الرباني

فهذه الحيل اوقعتهم في الحرام والخروج عن منهج الله فهم اصحاب حيل فالضمير خالي من التقوي والشعور
بوجود ولهذا فان هؤلاء يصعب التعامل معهم لان من كان متصفا بهذه الاوصاف فانه لايعمل حساب الا للعقوبه
الماديه ولهذا فان صاحبها يرتكب الجريمة بمجرد ان يشعر انه بإمكانه ان ينجوا من العقاب بالحيل

ولهذا تعجز الدول والانظمه عن حراسه تطبيق القانون في المجتمعات التي تخلو من عقيدته الايمان حيث وان
الجريمه تنتشر فيها وتعجز عن ملاحقه المجرمين بعكس في البلدان المسلمه فان عقيدته الايمان والشعور بوجود
الله والشعور بسلطان الله فان هذه العقيدته تولد الفاعليه الايجابيه وتقل فيها الجريمه فالشعور برقابه الله و
الرجوع الي الله والوقوف بين يدي الله تولد قوه النفور من مخالفه امر الله اشفاقا علي النفس من العقاب وتراقب
الموت لان الحياه الابديه في نظره هي في الاخره يولد قوه جذب لعمل الخير شوقا لما عند الله ولهذا يقول الله
في سوره البقره مخاطبا اليهود

(وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا باياتي ثنا قليلا واياي فاتقون ولا تلبسوا
الحق بالباطل وتكنموا الحق وانتم تعلمون واقيموا الصلاه واتوا الزكاه واركعوا مع الراكعين اتامرون الناس بالبر
وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلاه وانها لكبيره الا علي الخاشعين الذين
يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون)

فالانحياز والخضوع لامر الله هو اساس النجاح لانك تخضع لامر الله فهذه هي مدرسه الخير.....وهي تحتاج الي
ارده قويه وعزيمه وهمه عاليه ويقابل ذلك مدرسه الشر وموسسها ابليس اللعين الذي فسق عن امر ربه فالفسق
الخروج عن طاعه الله فيقال فسفت الفاره وتسمي الفويسقه لانها تخرج من مكانها فكل من خرج من طاعه الله
فهو فسق لانه خرج عن الطاعه

ولهذا فان الله يختبر البشر ليعلم من يتبع هدي الله ومدرسه الخير والهدى باتباع منهج الله ومن يتبع مدرسه الشر
والفسوق والعصيان فهذا هو التسلسل الذي يربط اهل الخير ببعضهم البعض وهم الذين يهتدون بما جاء به الرسل
من ربهم من منهج الهدايه فابواه المنهج هي التي تربط الانسان بربه فالبشريه عند الله كلها واحده فلا ينفعهم
نسب الدم فبني اسرائيل ينتسبون الي الانبياء ائمه الهدي وقد فضلهم الله علي عالم زمانهم لكن ذلك لم يشكل
مانعا من عقابهم علي ما ارتكبوا من جرائم لان قانون وسنه الله واحده بان اي امه ترتكب جريمه الفسق عن امر
الله لا بد ان يعاقبها الله فمن اراد القرب من الله فعليه امتثال امر الله وتزكيه نفسه من اوساخ التمرد والعصيان
ولهذا فان المتامل للتاريخ الانساني والحضارات الماديه يجد ان اي امه اعرضت عن الله وعن منهج الله وشرعه
وانغمست في الشهوات فانها تمتحن ثم ياتيها العذاب

لكن اذا فاقت من الغيبوبه والسكر وتابت وعادت الي الله ايام فتره امتحانها وتابت عفا الله عنها اما اذا استمرت
في الباطل اهلكها الله فالعقاب يبدأ تاديب في المرحله الاولي للانداز ثم يكون الهلاك

ولهذا قال تعالي (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون)

ثانيا

(واذ قالت امه منهم لما تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذره الي ربكم ولعلمهم يتقون)

المبحث الاول

من القائل لما تعظون قوما الله مهلكهم

الراي الاول

ان يكون القائلين هم العصاه الفاعلون للصيد يوم السبت قالوا ذلك للواعظين علي سبيل التهكم والسخرية منهم
ومن مواعظهم والمعني اذا علمتم ان الله مهلكنا كما تزعمون فلما توعظونا فهم قالوا ذلك علي سبيل السخرية
لعزل العلماء عن الواقع ومنعهم من التأثير في الناس

الراي الثاني

ان يكون القائلين هم المؤيدين للدعاه لانك عندما تنصح الناس او تلقي مواعظه فان الناس ينقسمون بين مويد
ومعارض وهذا القول من المؤيدين علي سبيل السؤال عن جدوي المواعظه والنصيحه لمن يرتكب المعاصي ولا
يستجيب للنصائح فدل هذا علي انكارهم للمنكر

الراي الثالث

ان الناس انقسموا الي ثلاثه اقسام جماعه وقفت ضد المنكر وكان لها موقف ايجابي وفريق لم يرتكب المنكر
ولكنها لم تنهي عنه واصابها الياس من هدايه المفسدين

وفي مجمل الاراء الثلاثه نجد ان الايات تحمل عداه مفاهيم

المفهوم الاول

(التحذير من قبض العلم بتسييس المنهج وقبض العلماء بعزلهم عن الواقع والتاثير فيه)

مما لاشك فيه ان واقعه حدثت بعد موت موسي ولهذا فان الايات تهدف الي تربيته المسلمين واعطاءهم فكره عن الصراع بين مدرسه الخير التي تقوم علي اساس (المنهج الرباني الذي يحدد لك الطريق الذي تصل به الي الله تعاليوالقدوه الصالحه التي تقوم بتحريك الناس نحو الخير وهم الانبياء والعلماء)

والعدو هم المنتسبون لمدرسه الشر التي تقوم علي اساس (الفسق ومخالفه المنهج ونشر الفساد والفوضى و الدجلابليس اللعين وائمه الضلال)

ولهذا فان ابليس وائمه الضلال يشجعون علي التمرد والفسق والعصيان ومهمتهم هي الدجل والتحريش وتفريق المجتمع وسلاحهم ينصب باتجاه المنهج بدرجه اولي لتغيير المسار من خلال تبديل المفاهيم للنصوص وهذا هو مشروع الشيطان والدجال الذي يظهر في اخر الزمان فالدجال له فتنتان الاولى قبل ظهوره وهي تمثل كل انحراف عن منهج الله والديانات منذو ادم الي اخر الزمان فكل فتنه تتم تنطوي تحت مسمي فتنه الدجال ولهذا فان سياسيه الدجال لها من يمهدها الطريق في فتره خفاءه ولهذا فان

ائمه الضلال يسعون الي نقض المنهج من خلال البدع ومن خلال تسييس المنهج الرباني يحاول ان ترغيب الناس في قبول الانحرافات المتنوعه من الكفر ومخالفه الشرع ولهذا يستعمل الحيل لترويض الشعوب علي قبول الفكر الشيطاني لاجل نقض وتدمير الديانات وهنا تكمن الخطوره حيث يكون قبض العلم بتسييس المنهج بتحويل الطريق والمسار عن غايته وطريقه المستقيم بالانحراف من خلال الحيل وتحريف التاويل للنصوص وتزيف الحقائق وهذه هي صفات اصلية في اليهود من عهد موسي الي اليوم وهذا هو السلاح الاول الذي يستخدمه اتباع الشيطان والمنتسبون لمدرسه الفسق فهو يستهدف تسييس المنهج واسقاط تاثير العقيدة في الناس وجعلها عقيدة بلا فاعليه وهذا هو حال المسلمين اليوم

اما الهدف الغائي لهم فهو يتجه الي عزل العلماء عن حركه الواقع والتاثير فيه ومنع المصلحين من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

فهذه هي صفات الادره العشوائيه الفوضيه حيث تتغلب المصلحه الحاليه علي المصلحه ذات الاثر البعيد وتظهر الفاسدين وتحارب القدوه الصالحه ولهذا نجد رد الدعاه بقوله تعالي

(قالوا معذره الي ربكم ولعلمهم يتقون)

ان الوعظ استشعارا منا بواجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاللازم اقامه الحجج بالبلاغ ولعل بعضهم ينتفع بهذه الموعظه فهم حريصون علي القيام بواجبهم ووالمشاركه في الحياه والتاثير فيها من خلال تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر

المفهوم الثاني

تحذر الايات الداعيه من الياس من تحقيق نتيجه ايجابية في اصلاح المجتمع او اي موسسه لان ذلك يحول حركه الانسان الي السكون والجمود لايبالي بما يري امامه من اخطاء ولايحاول اصلاحها ولهذا حذر الرسول صلي الله عليه وسلم من اجواء الاحباط فقد ورد في الحديث عن ابي هريره ان النبي صلي الله عليه وسلم قال (اذا ق ال الرجل هلك الناس فهو اهلكهم)

قال ابواسحاق لا ادري اهلكهم بالنصب او اهلكهم بالرفع ومعني رويه النصب اهلكهم فعل ماض اي ان هذه الكلمه

كانت سبب اهلاكهم ومعنى الرويه بالرفع اهلكهم تكون اللفظه اسما من صيغه افعال اي فهو اشداهم اهلاكا وقد اتفق العلماء ان الذم يكون لمن قال ذلك علي سبيل الازدراء والاحتقار وتفضيل نفسه عليهم وتقبيح احوالهم لانه لا يعلم سر الله في خلقه اما من قال ذلك تحزنا لما يري في نفسه وفي احوال المسلمين فلا باس

لكن اللازم اشاعه الامل في الانتاج والتاثير ولهذا كان رد الواعظ

(قالوا موعظه الي ربكم ولعلمهم يتقون)

ان الواجب علينا وهو واجب علي كل مومن ان لا يتاخر في النصيحه للاخريين وان يياس من ان يتاثرون بـ النصيحه فامر القلوب غيب في علم الله تعالى فسبحان مقلب القلوب

ثالثا

تبين النصوص اهميه استعمال التخويف في الخطاب الدعوي من عواقب انتهاك المحرمات وان تذكر الناس بتلك العواقب وتحذرهم من المخالفه ولا تياس من عدم استجابتهم ولهذا قال تعالى

(معذره الي ربكم ولعلمهم يتقون)

فهذه هي الحجه المقبوله منكم امام الله لان النفس تعرف الحق وتحبه فليس واجبك ارغام الناس علي الايمان ولهذا يقول تعالى بعدها (فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهاون عن السوء... الخ

فقد وجد من ينهي عن السوء ولكنهم كانوا قله وانه بعد اقامه الحجه عليهم بالبلاغ وحصل منهم الاعراض والترك لما ذكرهم به الصالحون الناهون عن المنكر فاستعمال النسيان هنا المراد به المودي الي الاغترار والبوار رغم حصول التذكير الدائم لهم الذي لو اخذوا به لكان حاجزا وسد فيه الوقايه لهم من الهلاك والعذاب

فالناسي للشئ يعني من ترك الشئ ومن اعرض عنه تمام الاعراض

فهم لم يلتفتوا اليه ولم يقبلوا به فقال تعالى (انجينا الذين ينهاون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب... الخ

المبحث الاول

والسؤال هنا لماذا قدم ذكر نجاه الذين ينهاون عن المنكر قبل ذكر اهلاك المكذبين

تهدف الايه الي تقويه العزائم في مواجهه الباطل لتشعر انك في رعايه الله فهو يقف معك فما الذي يخيفك فعليك ان تقوم بواجبك في الاصلاح فلا تخاف الطغاه فهذه سنه الله انه يقف مع المصلحين وينجيهم من الهلاك فجاء قوله (انجينا) فمن الفاعل انه الله جل جلاله وعظمت قدرته فما الذي يخيفك عن القيام بالواجب الامر بالمعروف و النهي عن المنكر يخبر العلماء ان لا يتخلوا عن القيام بدورهم في نشر الخير وتنميته ومحاصره الشر وان عليهم استعمال كل الوسائل للتاثير علي الناس وان يكون لهم دور وموقف من كل ما يحدث في المجتمع الذي يعيش فيهم انتبه من تمكن الاعداء عزلكم عن الناس فلا بد ان تهدم كل الجدران التي يحاول الاعداء صنعها بينك وبين الناس فلا بد ان تشارك الناس همومهم وتخالطهم وتعمل علي تغيير الواقع السلبي الذي يعيشونه ولهذا لم تذكر النصوص مصير الذين وقفوا علي الحياد ولم يقوموا بدورهم. في النصيحه واكتفت بذكر نهايه المكذبين ونجاه الذين نهوا عن المنكر فقال تعالى

(فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهاون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون)

لماترك العصاه من اهل القرية ما ذكرهم به الصالحون الناهون عن المنكر ترك الناسي للشئ المعرض عنه تمام الا

اعراض حصل النجاه للذين نهوا عن المنكر وحصل العذاب الشديد علي الذين ارتكبوا الخروج والمخالفة لمنهج الله فالتقديم بذكر النجاه للذين ينهون عن المنكر للاشعار برعايه الله لاوليائه

المبحث الثاني

لم تشير الايه لنهايه الفريق الثاني الذي سكت عن النهي عن المنكر رغم انه لم يرتكبه للاتي

الامر الاول

لتحذير المسلمين من التردد وعدم حسم الموقف بالمشاركه في ازاله المنكر ومحاصرته فالتغيير لايتحقق الا باتحاد اردات العناصر الاجتماعيه كي تنصهر في ارده واحده فانها حينها تستطيع ان تقهر ارده الظالمين والظالمين والظالمين وخاصه في مرحله سقوط قرار الامه والتي يصبح الظالمين ودعا الشر يمتلكون سلطه القرار والتحكم في الامه حيث ان الياس من التخلص من الظلم والاستسلام للوثنيه السياسيه نتيجه الشعور بالعجز غالبا ما تسيطر علي شعور اغلبيه الناس فتشاهد بغض الناس للسلطه الظالمه الخارجه عن منهج الله والجميع يتمني زوالها لكن لايجروا احد علي الوقوف بوجه الظلم ولاينكرون المنكر ان مثل هذه الحاله واقع تعيشه الشعوب المسلمه اليوم نتيجه انقضاء الطغاه علي السلطه فالكل يتذمر من خروج الحكومات عن منهج الله ومبادي وقيم الدين الحنيف ومع ذلك لاتجد من يقف بوجه الظالم او يحاول تغيير هذا الواقع المؤلم رغم ان الاغلبيه تريد ان يسود الحق والعدل وان تحكم الشعوب بالقران لكن لايسعون للتغيير في الميدان ولاينكرون المنكر فهذا الياس يفرض عليهم بقاء الظلم رغم انهم اقله لاما لان الاغلبيه مفككه غير متحده وغير مجتمعه علي راي ولامتفقه علي عمل لاتعمل علي تغيير الواقع المخالف لمنهج الله لم تحسم امرها وليس للاغلبيه العظمي دور عملي في التغيير لقد اصابهم الياس وقتل الاحباط طاقتهم وقضي علي امالهم وطموحاتهم فهذا هو داء الشعوب المسلمه اليوم

الامر الثاني

ان علي الناس ان يسالوا اهل العلم في كل امر يتعلق بامر العقيده فالجماعه الثانيه قد استفادت من اجابه الجماعه الاولى التي انكرت مخالفه منهج الله وقامت بالنهي عن المنكر عندما سالتها ماجدوي ان تذكر هولاء بشي يعرفون انه محرم ومع ذلك يقترفونه فقد تصوروا ان حال القوم يسقط عنهم واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم اقترفوا ما يوجب الهلاك فجاء الرد (معذره الي ربكم ولعلمهم يتقون)

هنالك واجب علينا وعليكم لابد من القيام بتاديبه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر لايسقط هذا الواجب عن المكلف الا بالبلاغ الذي فيه اقامه الحجه عليهم فلا يرتفع عنا وعنكم العقاب الا بالنهي عن المنكر فاستخدم كلمه (ربكم) ولم يقولوا (ربنا)

فهم هنا يحذرونهم من التقاعس من القيام بالواجب لان العقاب تاديب من الرب للمخالفين ثم قاموا بالترغيب لهم بالمشاركه معهم في نصيحه المخالفين وتحذيرهم عواقب افعالهم وحثهم علي التسابق في الدعوه لما في اهتداء الناس علي ايديكم من اجر عظيم يستحق تحمل العناء والمشقه

فدلت الايه بعدها انهم استفادوا من هذه الموعظه وانهم التحقوا بصف الفريق الذي لم يرتكب الجريمه وقاموا بـ النهي عن المنكر ولهذا خص الله النجاه للفريقين معا وعبر عنهما بالفريق الواحد فقال تعالى (انجينا الذين ينهون عن السوء) لان اردتهما قد انصهرت معا وتجمعت واتحدت واتفقت علي انكار المنكر بعد ان فهموا من اخوانهم انه لابد من انكار المنكر والعمل علي ازالته ومجاهده النفس في ذلك فلا يكفي انكار المنكر ودلت الايه انهم نهضوا وحصل لهم التذكر فخافوا من العقاب وحسموا امرهم بدليل ان الله انما خص بالعذاب الظالمين فقال تعالى (فاخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) ويبدو ان اعدادهم كانت قليله رغم اجتماع الفريقين الا ان فريق العصاه كان اكثر منهم

الامر الثالث

تبين الايه ان افضليه اي امه وخيرتها انما تكون بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فاذا كان الله يربط استمرار الفضل لبني اسرائيل بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فكيف يترك المسلمون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحن افضل واعظم امه اخرجت للناس فعلي كل مومن ان لا يقصر بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذا يتطلب ان تتزود بالعلم لانه لا يمكن ان تامر بالمعروف وانت لاتعرفه ولا تعلم ماهو ولا يمكن ان تنهي عن المنكر وانت لاتعرفه فاللازم علي الامه ان تتزود بالعلم وان تسال اهل العلم

المبحث الثالث

تبين النصوص اهميه التقاط الاشارات التحذيرييه والاستفاده منها فعندما تشاهد انتشار المخالفه لمنهج الله فعليك ان تتوقع عقوبه الله بعدها في الدنيا والاخره فهذه هي النتيجة التي ادركها الصالحون من بني اسرائيل في انكارهم فعل قومهم وبغضهم لما يفعلون بقوله تعالى (لم تعظون قوم الله مهلكهم) في الدنيا (او معذبهم عذابا شديدا) اي في الاخره

وهذا هو التذكير والموعظه التي حاول الصالحون ان ينصحوا بها الغافلون من قومهم ولكنهم لم يقبلوا النصيحه واعرضوا عنها فحصل النجاه للمصلحين وحصل الهلاك للظالمين فقال تعالى (فاخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون)

والبئيس يعني العذاب الشديد المولم الموجه لماذا لانهم اوغلوا في الخروج عن طاعه اوغلوا في الفساد والشر لان الفسق يعني الخروج عن الطاعه وعندما يحصل توغل في المخالفه يسمي الفاسق والنصوص تبين ان هولاء وصلوا في تمردهم وغيهم الي التجبر واصبحوا لا يحتفلون بما يقال لهم فلا يباليون بالنصائح فقد استمروا في فسقهم ولهذا قال (فلما عتوا عن مانها عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين)

فهذا فيه تكرر لقوله (فلما نسوا ماذكروا به)

للتاكيد والتقرير ان المسخ هو العذاب البئيس وخاسئين

والخاس يعني الصاغر الذليل او المبعاد المطرود فيقال خسا به فخس اي باعد به فتباعد والمعني بعداء عن الخير وهذا فيه تحذير لنا يقول لنا فيه الحق احذروا ان ترتكب ما ارتكبت اليهود

من استحلال محارم الله بالحيل فان عواقبها وخيمه ولا فرق في كون المسخ حقيقه او مسخ قلوب ونفوس لان المراد ان نفهم عظيم جرم ارتكاب مخالفه منهج الله وعظم جرم استخدام الحيل لاستحلال محارم الله

القسم السابع

تعقيا علي ماسبق يقول الله سبحانه وتعالى

(واذ تاذن ربك ليعتبن عليهم الي يوم القيامه من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم)

اولا

وردت الايه معطوفه علي ما قبلها من الايات التي تحدثت عن اللعنه التي لحقت بالذين احتالوا في السبب عطف عليها بمساله اللعنه الابديه التي لحقت باليهود بالحكم الالهي الذي صدر بحقهم بان يذيقهم الذل والهون بتسليط من يذلهم الي يوم القيامه فهم محكوم عليهم بان يعيشوا محكومين بسبب عصيانهم ومخالفتهم امر الله وشرعه واحتيالهم فقال تعالى (واذ تاذن ربك ليعتبن عليهم)

وهذا يعني ان كلمه تاذن تعني حكم وامر الله وعزم وقضي بضرب اليهود بعذاب القهر والذل والهون فلا تقوم لهم دوله وهذا فيه الاتي

الامر الاول

تحدث عن الحكم علي بني اسرائيل بان يعيشوا في الذل والهون مقهورين تحت حكم الطغاه وان هذا الحكم ابدى تحقق منذو صدوره فقد تسلط عليهم الطغاه والجبارين بسبب خروجهم عن شرع الله فقد ورد ان اول من ضرب عليهم الجزيه هو موسي عليه السلام ثم سليمان لكن الايه هنا. تتحدث عن سقوط الحضاره العبريه والتي بسقوطها حدث التحول من القوه والعز والتمكين الذي كانوا عليه في عهد سليمان الي القهر علي يد الملوك اليونانيين والكشديين والبابليين باختصر ثم صاروا في قهر النصاري واذلالهم ثم في كنف الاسلام فقد عاشوا اذلاء صاغرين فهذا هو الحكم الالهي المضروب علي اليهود الي يوم القيامه بتسليط من يذيقهم الذل والهون لانهم خالفوا شرع الله تعالى

الامر الثاني

ان هذا الحكم المضروب علي بني اسرائيل هو حكم ابدى فهم لا يستطيعون الخروج من الذل والهون فهم يتقلبون في هذا الحال ولهذا فقد يبداوا احيانا ان اللعنه توقفت فترى لهم عزا ولكن سرعان ما يلحق بهم العذاب فهذا حكم الله عليهم انها اللعنه الابديه ولهذا فان هذا يفهم منه الاتي

المفهوم الاول

عليك ان تفهم ان العقاب السريع لكل من يخالف منهج الله هو ان يتجرع الذل والهون في الدنيا فهذا هو حكم الله العادل السريع لمن يخالف منهج الله تعالى

المفهوم الثاني

ان الامه اليوم مطلوب منها ان تعود الي منهج الله اذا اردت ان تخرج من دائره الذل والهون والاستعمار فهذا هو السبيل الوحيد لاستعادته الكرامه والعزه لهذه الامه كما قال عمر نحن قوم اعزنا الله بالاسلام فان ابتغينا العزه بغيره اذلنا الله ويقول تعالى (ان العزه لله ولرسوله وللمؤمنين... الخ

فاليوم عندما فرط المسلمون في دينهم وفي حق خالقهم وحق انفسهم وتركوا العمل بالقران ولم ياخذوا بالاسباب وسلكوا طريق من قبلهم فقد اصابهم الذل والهون

المفهوم الثالث

ان بدايه سقوط وانهيار الحضارات التي ارتبطت بالاديان يبدا من سقوط القرار بتسييس المنهج والاحتيال علي احكام الشرع والتذبذب حيث ان الامه عندها تفقد قرارها وتصبح لاتمتلك السياده وانما تكون تابعه تعيش بذل وهون فالله تعالى يقول (ذلك بان الله لم يكن مغير نعمه انعمها علي قوم حتي يغيروا ما بانفسهم)

ويقول (مثل كلمه طبيه كشجره طبيه اصلها ثابت وفرعها في السماء..... الي قوله (يعبت الله الذين امنوا بالقول العابت في الحياه الدنيا... الخ

فعندما تنشأ دوله يحكمها القران فان هذه دوله الموحدين التي يحميها الحق سبحانه وتعالى فهي لايمكن ان تنتزع لان جذورها ثابتة في اعماق الارض لكن عندما تصبح الدوله غير ثابتة لان جذورها مضطربه يسهل قلعها بسهوله

ولهذا سلب علي المسلمين الظالمين عندما تم التفريط بدوله التوحيد

ثانيا

ان الحديث هنا عن مواقف بني اسرائيل بانهم سوف يعيشون متقبلون مترددون في الشر والفساد منغمسون فيه فهم دعاه لكل الفساد واشاعته في الارض ولهذا قال تعالي عطا علي ماسبق

(واذ تاذن ربك ليعتزن عليهم من يسومهم سوء العذاب الي يوم القيامه)

فعبر عن هذا الحكم بقوله (واذ تاذن) وماده الكلمه من اذن واذان وكلها يراد بها الاعلام (واذن في الناس بالحج)

ووسيله الاعلام السمع بالاذن بان يستقبل القاري لذلك بالسمع فقال تعالي (فاذنت لربها وحقت)

اي استمعت لامر لربها ونفذت فكان النص مناسباً للاعلام بالحكم.

الذي صدر بحق بني اسرائيل مع ما قبلها من الايات لبيان ان مواقف بني اسرائيل ظل في تلك الحاله من التردد وعدم الحسم ولهذا استحقوا ان يتسلط عليهم من يذلهم لانهم اهل دين ولهذا فان العقاب عليهم امر حتمي

فالسوره تتحدث عن قصه نشاه الحضارات والفرق بين الحضارات الشرعيه والحضارات الوضعيه حيث يفهم من مما تناولته السوره ابتداء من خلافة ادم وما تعقب ذلك من ذكر قصه سقوط حضاره قوم نوح وعاد وثمود ومدين وقوم لوط والفراعنه بعدها ثم حضاره بني اسرائيل ومواقفهم مع الانبياء ان الحضاره. الشرعيه هي مجموع الحضارات التي ربطت بين الديانه والتاريخ ولم تخالف الرسل والتي منها حضاره سيدنا سليمان عليه السلام التي اشاد بها القران

وان الحضاره الوضعيه هي التي برزت مجردة عن الديانه او محاربه لها وهي التي تعرضت للدمار والفناء والهلاك بعذاب الاستئصال مثل حضاره قوم نوح وثمود وعاد وقوم لوط وقوم مدين والفراعنه

واما قوم موسي فلم يحل بهم عذاب الاستئصال بل كان العذاب ينزل بهم ويبقي علي البقيه ولهذا لاتعارض بين ا لايه وبين ما عطفت عليه من قصه مسخ بعضهم قرده وخنزير لان قوم موسي لم يتم استئصالهم ولكن حصل تدمير حضارتهم الماديه بسبب مخالفتهم فقد انتهت دولتهم علي يد البابليين بختنصر بعد موت سيدنا سليمان عليه السلام

ولهذا يقول لنا الله انه عاقبهم بان جعلهم محكومين يعيشون في قهر الظالمين وان هذا الحكم ابدي الي قيام الساعه فلا يمكن لكم ولا لاي قوه ان تقف لتمنع نفاذ قدره الله وحكمه علي اليهود فقال تعالي (ليبعثن عليهم من يسومهم سوء العذاب الي يوم القيامه)

اي يسلط عليهم الحكام الذين يذلونهم الي قيام الساعه وكلمه (يسومهم سوء العذاب) تعني ان الله سوف يسلط عليهم من يقوم بتعذيبهم جهد طاقاته فاذا فتر او ضعف جاء من يزيد في تعذيبهم وهذا الجزء العادل لمن ينتهك حرمات الله فقال تعالي (ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم) وهذا فيه

1

ان الله تعالي يعجل العقاب في الدنيا بان يسلط عليهم من يقوم بتعذيبهم فمن يسلك طريقهم فانه سوف يلقي نفس العقاب وبسرعه

2

انه تعالي غفور لمن تاب وعمل صالحا فان الله يستر ذنوبه

عليك ان تعبد الله بالخوف والرجاء فلا افراط ولا تفريط ولهذا قرن الرحمة المغفرة مع العقاب لئلا يحصل الياس فيتعوب اليه وكذلك حتي لا يحصل الاتكال علي الرجاء فهذا من باب الترهيب والترغيب لتبقي النفوس بين الرجاء والخوف

ان الله تعالى لم يستاصلهم كما فعل بالامم السابقه لحكمه الهيه ذلك ان لهم دور في قياده الشر فهم جنود الدجال في اخر الزمان حيث ذكرت الروايات والاحاديث ان اتباع الدجال سبعين الف من يهود اصفهان وثلاثه عشر الف امراه

فهم لهم مهمه التمهيد لظهور الدجال ومهمه الافساد في الارض لقوله تعالى (لتفسدن في الارض مرتين)

ولهذا يخبرنا الله ان حالهم متردده في اشاعه الشر والفساد الي قيام الساعه وهذا الامر فيه تحفيز اهل الخير لمواجهه الباطل وعناصره ومحاربه الشر لاجل نيل رحمه الله وهذا يولد الطاقه والنشاط ولهذا يخبرنا الله انه فرقهم علي العالم كله فقال تعالى

(وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلمهم يرجعون فخلق من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادني ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب الا يقولوا علي الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الاخره خير للذين يتقون افلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلاه انا لانضيع اجر المصلحين)

المبحث الاول

تبين الايه انه حكم عليهم بالشتت والتمزق والتقسيم فقال تعالى

(وقطعناهم في الارض امما)

فقد كانت هذه عقوبه لهم فعاشوا موزعين في العالم في الكره الارضيه فلاتوجد دوله والا فيها يهود يسكنون فيها ويعيشون صاغرين مقهورين تحت وطاه حكم تلك الدول

وهذه المرحله مابعد سقوط القرار من اي امه يحصل فيها الضعف

والايه هنا تشير الي الاتي

الامر الاول

حقيقه ان اليهود سلبوا حق الوطن والهويه بسبب خروجهم عن الدين ومخالفه شرع الله فكان التقسيم والتمزيق والتشيت في الارض عقوبه لهم للتعبير انهم لم يعد لهم وطن في فلسطين لان شرط دخول الارض المقدسه كان (ادخلوا الباب سجدا)

لكنهم لم يذعنوا للحق ولاحكام الله وشرعه وكان منهم انتهاك المحرمات والتمرد علي الخالق سبحانه وتعالى ورغم العذاب الذي حل بهم بعد كل جريمه يرتكبونها الا انهم سرعان ما يعودوا الي ارتكاب الجرائم ولهذا تم القضاء علي حضارتهم والحكم عليهم بان يعيشوا محكومين مقهورين في اقطار الارض فكان هذا بمعابه اعاده تشكيل وصياغه احوالهم وفقا للحكم الذي صدر بحقهم

وبالتالي فلا حق لليهود في فلسطين لان العبوديه لله بالخضوع والاذعان والتسليم لامر الله هي اساس استحقاق فلسطين ولهذا فانه بمجي الرسول صلي الله عليه وسلم وبعثته فقد صار الاذعان والخضوع لله من خلال تنفيذ ما في القران الكريم لانه هو المعبر عن المراد والمطلب الرباني ولهذا قال تعالى (سبحان الذي اسرى بعبد له ليلا من المسجد الحرام الي المسجد الاقصى...الخ

فلم يقل بنبيه بل قال بعبد لان العبوديه الخالصه لله تعالى هي التي تمنح حق ملك الارض لان الارض لله يورثها عباده الصالحين وقال تعالى في سوره الاسراء (بعثنا عليهم عبادا لنا اولي باس شديد)

ومن هنا نفهم ان قيام دوله لليهود لايعني ان الوعيد توقف بل ان هذا الامر لحكمه اخبرنا الله بها فقال تعالى (فاذا جاء وعد الاخره جننا بكم لفيثا)

فقد جعل الله عذاب الاستئصال لليهود موجلا الي يوم معلوم حيث يجتمعون من اصقاع الارض بعد تفرقهم لاجل ان يكون القضاء عليهم فهذه هي ارداه الله فقد ورد في الحديث ان الشجر والحجر يقول يامسلم هذا يهودي وري تعال فاقتله

الامر الثاني

تشير الي فقدانهم القرار فعاشوا في قلق وذهب عنهم الاستقرار و انعزالهم عن الشعوب وهذا هو الملاحظ في حياه اليهود في اقطار الارض انهم يعيشون فيها معزلون فالبرغم من تبني دول الغرب اعانه اليهود في اقامه وطنهم في ارض فلسطين فانك تجد اليهود في بريطانيا يعيشون في احياء خاصه بهم وكذلك في فرنسا فهم لا يندمجون في المجتمعات لان الشعوب تكرهه اليهود وتحتقرهم ولا تقبل بالتعايش معهم ولهذا فان مساعدتهم لا قامه وطنهم في فلسطين من قبيل التخلص من قمامه فقد اردوا ان يجعلوا من فلسطين مكان يرمون فيها الزباله و القمامه لانهم اتصفوا بالافساد واثاره الفتن في اي مجتمع يعيشون فيه فهذه صفات جعلتهم منبوذون من كل الناس

المبحث الثاني

قوله تعالى (منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون)

**

نفهم من الايات ان هذه الاحوال التي ابتدأت بتفريق اليهود الي اجزاء ومذاهب وجماعات سكنت في اقطار الارض كلها كانت بعد ضياع امانه الحكم فلم تعد التوراه تحكم الشعب اليهودي فقد عقابهم الله بان سلط عليهم الطغاه والظالمين من الملوك الذين استولوا علي دولتهم وبهذا انتهت حضارتهم الماديه ولم يعد لهم دوله لخروجهم عن منهج الله وهذا كان بعد موت سليمان عليه السلام حيث كان انقضاض بخنتصر علي بيت المقدس واستعباد اليهود عندها سلبوا الوطن وتفرقوا في الارض

وقد ترتب علي ذلك انقسام اليهود الي طوائف ومذاهب واحزاب وجماعات متعدده في اطار سعيهم لاستعادته دولتهم وعلي اثر هذا كان الانقسام في الافكار فمنهم من راي ان النجاه بالتمسك بالتوراه وانتظار النبي الخاتم ومنهم من زعم ان سليمان كان ساحرا وان القوه بامتلاك الجن وتعلم السحر فاتبعوا ماتتلوا الشياطين كما فصلنا ذلك في سوره البقره ولهذا يقول لنا الله (منهم الصالحون ومنهم دون ذلك) كما ورد في مقوله الجن (وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا)

**

فالآيات تتحدث عن ضياع امانه الحكم فيهم لكن بقيت امانه العلم

موجوده لدي البعض فقد اصبح افراد وجماعات وطوائف بني اسرائيل منقسمه بين ملتزم بالتوراه يودي حقوق الله وفرائضه بامتثال اوامرہ واجتناب نواهيہ وترك محارمه ويودي حقوق العياد بامانه وعدم غش وبيّن ط الحون لايلتزمون بمنهج الله ولايبالون بانتهاك حرّماته لايتورعون في ارتكاب المحرمات ومخالفة الشرع

فالايه تحدثنا عن مرحله ما بعد سقوط الدوله وانتهاء الحضاره العبريه كدوله ما هو موقف الفرد اليهودي من امر الله ومنهجه هل خرج عنه الافراد ام تمسكوا به وهذا الامر مهم ان نعرفه لماذا لان تاريخ هذه الامم فيها السنن التي تنحرف فيها عن الطريق والرسول صلي الله عليه وسلم قد اخبرنا ان استتباع سنن الامم الماضيه من علا مات الساعه الصغري وحذرنا من ذلك فقال الرسول لتسلكن من كان قبلكم ...حتي لو سلخوا جحر ضب لدخلتموه)

وقال الرسول صلي الله عليه وسلم (لاتقوم الساعه حتي تاخذ امتي باخذ القرون قبلها شبرا بشبرا وذرع بذراع فقيل يارسول الله كفارس والرم فقال ومن الناس الا اولئك)

فتبين الايه انهم صاروا فريقين فريق انحراف وفقد هويته من خلال التاثر بافكار الوثنيين الذين استولوا عليهم واستعبادوهم كما اخبرنا الله في البقره (واتبعوا ماتتوا الشياطين علي ملك سليمان وما كفروا ولكن الشياطين كفرواوما انزل علي الملكين ببابل هاروت وماروت)

حيث ان بعضهم تعلم السحر في بابل وتسللت اليهم عقيدته الوثنيه فكان التحول من التوراه الي الكتب الشيطانيه مبكرا من هذه الفئه

ولهذا قال تعالي (منهم الصالحون ومنهم دون ذلك)

هذا حالهم قبل بعثه النبي صلي الله عليه وسلم وبعد سقوط دولتهم يتكلم عن احوالهم فذكر ان منهم من استمر ملتزما ومقيم علي اليهوديه والتوراه ومنهم من صار فاسد فلو انهم صاروا فاسدين كلهم لكان اهلاكهم كما حل بالا مم السابقه فسنة الله انه لا يهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولهذا فان الذي يفهم من الايه ان بني اسرائيل كان فيهم صالحون ومفسدون ولهذا لم يهلكهم الله بعذاب الاستئصال كما فعل بمن قبلهم ولهذا سوف نعرف الاتي

الصالح:-

هو الذي يسعي للوصول الي محبه الله ورضاءه بالتزام منهج الله في جميع شؤونه يتقرب الي الله بطاعته في كل امر يفعله او يتركه

المصلح :-

الذي يتولي اصلاح الناس ويتولي ارشادهم وامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر فهو صالح في نفسه ومجتهد في اصلاح غيره

فهذا يسمي الصالح المصلح

الفاسد:-

هو الذي فسد دينه بالكفر بالله او بالمعاصي والسيئات

المفسد:-

الذي يدعوا الي الفساد ومحاربه الحق ويقوم بنشر الرذيله

مما سبق يتضح لنا ان الاصلاح هو صمام امن من العقوبات والمنجي من الهلاك فظهرت الايات انه تعالى بعد نزول التوراه لم يهلك امه بعداب الاستئصال فقال تعالى (ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الا ولى)

فقد كان يهلك بعضهم ويبقى بعضهم فهم لم يتفقوا علي الكفر ولهذا لم يزل من بني اسرائيل باقيه فقال تعالى (ومن قوم موسى امه يهدون بالحق وبه يعدلون)

وقال تعالى (ومن اهل الكتاب امه قائمه يتلون آيات الله اناء الليل وهم يسجدون) وقال تعالى (ليسوا سواء)

فهم لم يتفقوا علي الكفر وكان فيهم مصلحون حيث استمر ارسال الانبياء اليهم حتي بعثه عيسى عليه السلام وكانوا ينقسمون بشأن الرسل الذين كانوا يقومون بالموعظه لهم ويقتلون الانبياء لكن لم يحصل لهم عذاب الا سئصال ولهذا قال تعالى (وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون)

يقول الحق عاملناهم معاملة المبتلي بالنعم والعافيه والخصب والعافيه و(السيئات) اي النقم والمرض والفقرو الجذب والقحط

حتي يعودوا الي الله تائبين

فهذا الابتلاء يدل علي عنايه الله ورعايته لهم التي استمرت تتولاهم بالنعماء والضرر لعلهم يعودون للرشد ويتوبون ويستقيمون علي الطريق

المبحث الثالث

عليك اخي المسلم ان تفهم ان الابتلاء من رحمه الله لانه تذكير دائم للانسان ووقايه له من النسيان المودي الي الا غرار والبوار

لانه يجعلك تذكر الله في الشده والرخاء فالنعم تدعوا الي الطاعه فهذا ترغيب والشده والنقم لاجل الترهيب حتي تشعر بوجود الله

فالشده والرخاء رحمه الله لهم حتي لايتخلي الصالحون منهم عن عقيدتهم فيخبرنا الله ان بعضهم ظل مومنا ومتدينا وان فقدت اشعاعها الاجتماعي وتجردت عن فاعليتها لكنها صارت جذبه فرديه وان لم يكن للعقيده تاثير علي الوسط الاجتماعي الذي يعيشون فيه فهذا هو حال المتدين بعد عصر سقوط دوله التوحيد يكون الايمان ايمان فرد متحلل عن صلاته بوسطه الاجتماعي كما كان حال المسلمين بعد صفين

فكان الابتلاء رحمه من الله لماذا لاجل الحفاظ علي الهويه الدينيه للصالحين من بني اسرائيل وسط المجتمعات و الشعوب الذي انتقلوا للعيش فيها فهم بحاجة الي الشعور بوجود الله بحاجة ان تملأ نفوسهم عقيده الشعور بوجود الله لتكون التواره مصدر الطاقه الذي فيها تجديد الصله ب الله فلا يحدث انفصال الفكره عن العمل لان هذا انما يكون بالنسيان لله والشعور بوجوده لقوله تعالى (نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون)

فالنسيان ان استولي علي الانسان فانه يقع في ماساه الفكر لان ذلك يعني ان العقيده فقدت فاعليتها فلم تعد حقيقه فاعله موثره لم تعد مصدر الهام الانسان في مختلف نشاطاته فقال تعالى (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادني ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه وهذا مايسمي بفقدان الهويه

حيث يستولي الشيطان واعوانه علي وجدان المومن فغياب الروح الايماني يجعل العبد واقعا تحت سيطره الماده وتجعل الانسان مستعدا لتلقي الخرافه تحت ستار احياء الماضي كما اخبرنا الله في سوره البقره فقال تعالى (واتبعوا ماتتلوا الشياطين علي ملك سليمان الخ

وهذا انما يحدث عند غياب من يقوم بتحريك التفاعل واثاره النار في الرماد ومن يقوم بذلك هم الانبياء والعلماء والصالحين لان التغيير يتطلب حدوث تغيير النفس من داخلها فمعني ذلك ان غياب الروح الايماني نتيجته قبض العلماء او سيطره اهل الكفر علي القرار عندها تفقد الامه هويتها فقال تعالى

(فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادني ويقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه)

تبيين الابه

*

ان فقدان الهوية لهولاء يعود الي غياب الروح الايماني وفقدان قدره علي التعامل مع المخزون الديني الذي هو مصدر الالهام للامه وتحويل المعتقد الي عمل متمر او حقيقه واقعيه

كما هو حال المسلمون للاسف الشديد موجودون لكن مثل اناس مشلولين لم يتمسكوا بالمنهج ولم يسيروا في الطريق الذي سلكه السلف الصالح ف الله يقول انه جاء خلف من بعد الصالحين الذين تقدم ذكرهم خلف فاسد فقال تعالى (فخلف من بعدهم خلف)

وكلمه خلف في اللغه بفتح اللام (فخلف) تعني في الخيّر فيقالُ خَيْرٌ لَخَيْرِ سَلَفٍ وَاذَا جَاءَ تَسْكِينُ اللَّامِ (خَلْفَ) فمعني ذلك انه خلف في الشر

فالايه تبين ان فقدان الهوية حصل بانقطاع التسلسل بين الخلف المذموم الفاسد في قوله (من بعدهم خلف) بتسكين اللام عن السلف الصالح الممدوح هنا فقال تعالى (فخلف) بفتح اللام الذين كان تفكيرهم كله في نشر الخير وتنميته ومحاصره الشر هو ان هذا الخلف الفاسد انهزموا عسكريا بسقوط حضارتهم وهزموا فكريا حيث ان هذه الاجيال وقعت تحت سيطره الظالمين وتسلت لعقولهم ان المال والماده هو اساس القوه و العزه ولهذا فقد انقطعت تماما عن كل شي يمت الي امه الايمان ومنهجها بصله فلم تعد للقيم والمبادي لديها قيمه فصار المنكر معروف والمعروف منكرا فقد استولت الحضاره الماديه علي عقولهم وابتعدوا عن القيم الروحانيه فلم تعد معاني الكتاب الرباني لها تاثير عليهم فقد صار ينظر الي اهل الخير والمومنون انهم حمقاء وصار اللصوص اذكيا هذه هي ثقافه ما بعد فقدان الهوية حيث يندفع الناس الي الرذيله والشهوات ومتاع الدنيا وهتك المحرمات كما قال تعالى في موضع اخر (فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاه واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) واضاعه الصلاه تفريغها عن مضمونها وليس تركها اي لم يقيموها حق اقامتها فهم لم يتركوها بالكليه لان اقامه الصلاه تعني النهي عن الفحشاء والمنكر فمن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فان الصلاه لم تحقق غاياتها ولا مقصدها الذي ارده الله منها ولهذا قال تعالى (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب) وخلف بتسكين اللام تعني الفساد ومنها خلف يخلف فهو خالف من خلف الفم اذا تغير رائحته فكان هذا التعبير مناسبا لتعريف مرحله ما بعد فقدان الهوية والتي تعرف بمرحله ضياع الاجيال عندما يستولي المستعمر علي مركز القياده الفكرية العلماء و المفكرون والمثقفون فنحن نري كيف هو حال المسلمون اليوم صحيح ان الاسلام موجودا والقران محفوظ لم يتغير ولم يتبدل ولم يحرف ومازال المسلمين يودون الصلاه ويتدافعون في عرفات لاداء فريضه الحج لكنهم غير قادرين علي تحويل معتقداتهم الي واقع حياه او عمل متمر للاسف الشديد

لم يحافظوا علي المثل الاعلي الذي وضعه لهم النبي الاكرام

وكما قال تعالى في موضع اخر (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب)

ينظرون للكتاب الرباني انه سلاح فتوي او حزبي او طائفي كلا يريد استخدامه لصالحه ولخدمه اهدافه يريدون تطويعه لخدمه مصالحهم واهدافه ومكاسبهم الدنيويه فالمنهج الرباني فيه سعادته الدنيا والاخره فهم لم يسلكوا الطريق الذي سلكه من كان قبلهم هنالك فرق بين السلف الصالح ومن جاء بعدهم من خلف فاسد في التعامل مع الكتاب الرباني وهذا هو واقع حياه المسلمين اليوم فقد ورثوا القران بعد السلف الصالح فلماذا كان لهم التمكين و العز ونحن لسنا كذلك

هذا يعود الي ان السلف كانت همتهم عاليه ونيتهم صادقه همتهم متعلقه بالمطلب الاعلي ولهذا فقد فهموا منهج الله وطبقوه دون افراط ولا تفريط فالنفوس الشريفه صاحبه الهمة العاليه لاتتأثر بالاغراء ولا بزينة المال والبنين والشهوات لانها تستعمل قوه الحب هذه التي اودعها الله في غريزه الانسان للسيطره علي النفس والعقل اي يستعملها في طلب مطلوبه الاعلي فلايسمح للنفس الاماره بالسوء ان تقوده الي ما يغضب الله يستعمل قوه الخوف في صيانه نفسه من الوقوع في الهلاك

لهذا فان العبره للايات بما تسكبه في النفس من الخضوع والاذعان والخشوع لله فصاحب النفس الشريفه يسعى الي ارضاء الله ولهذا لاتغريه الدنيا وما فيها من متاع

اما صاحب النفس الخسيسه فهو الذي يقع في اغراء الدنيا ومتاعها الزائل ولهذا فهو يقضي حياته عبد للمال واسيرا له يحرسه ويسهر علي استتماره ويبيع به دينه ودنياه وتغلبه الشهوات فيكون عقله تابعا لهواه فهو يستبدل الادني بالذي هو خير فقال تعالى (هذا الادني) لتخسيس وتحقير الادني فهو من دنوا بمعنى القريب او من دنوا الحال وسقوطها والمراد ما كانوا ياخذون من الرشا مقابل تحريف آيات الله فالمراد بقوله عرض هذا لادني بيان خسه النفس وحقارتها فهي تختار وتريد الدنيا وحطامها ولهذا جمع متاع الدنيا في كلمه (عرض) بفتح الراء لبيان ان ذلك عرض ياكل منها البر والفاجر فهذا اختيار قبيح وفي هذا اشاره الي انهم صاروا متفرقون بلا قياده تقودهم فهم يعيشون في حاله من الفوضى والعشوائيه يختارون المصلحه العاجله علي ذات الاثر الممتد ويحاربون القدوه الصالحه ويشجعون الفاسدين فقد غلبت عليهم شهوات حب اللذات وكرهيه الطاعات

ثم تبين النصوص ان هولاء قد اقاموا بناء عقيدتهم علي الاماني الزائفه والامال الباطله فقال تعالى (ويقولون سيفغر لنا)

انه من خلال تأمل الايه تجد اخي المسلم انها احتوت علي عده مفاهيم فيها توجيهات لك انت ايه المسلم

المفهوم الاول

احذر من ان تجزم بالمغفره علي الله تعالى وانما عليك ان ترجوا من الله المغفره فقد حكي الله عن اليهود انهم كانوا يستحضرون الذنب ويقولون سيفغر لنا اي جازمين ان الله سوف يغفر لهم

اما المسلم فانما يستحضر الذنب ويندم ويطلب من الله ان يغفر له علي سبيل الرجاء

المفهوم الثاني

ان اللازم عليك اخي المسلم ان تدرك انك ورثت القران بعد الرسول صلي الله عليه وسلم وصحابته الكرام وبالتالي فان اللازم عليك ان تسير في الطريق الذي ساروا فيه لان تتباهي بالماضي وبامجاد الاسلام والصحابه كما يفعل البائس الفقير الذي يجلس يتباهي بما كان عليه اجداده من الغني ولايتحرك لكسب قوت يومه لهذا فعليك ان

تنهض وتتحرك لتحويل معتقداتك الي حقيقه واقعيه لها تاثير علي النفوس وتهز القلوب ليكون استعاده دور العقيدته وفاعليتها

المفهوم الثالث

عليك ان تحذر تجزئه احكام القران كما فعل اليهود الذين اخذوا من التوراه الاحكام السهل واللطيفه وتركوا الاحكام الشاقه

المفهوم الرابع

عليك ان تفهم ان ضعف المسلمون اليوم يعود الي ترك العمل بالمنهج

المفهوم الخامس

احذر من اتخاذ الانتساب للاسلام سببا للمكاسب الدنيويه او التفاخر والتباهي بالقران دون ان تعمل به فان الازمه التي وقع فيها اليهود هو انهم اتخذوا الدين وسيله لكسب المصالح والمنافع فقال نحن ابناء الله واحباءه...ولهذا اجابهم الله بقوله (فلم يعذبكم بذنوبكم)

وكذلك فان المسلمون قالوا نحن خير امه اخرجت للناس فاخبرهم الله فقال تعالى (ليس بامانيكم ولا باماني اهل الكتاب من يعمل سوء يجزئه به ولا تجد له من دون الله وليا ولا نصيرا)

المفهوم الخامس

احذر من بناء عقيدتك علي الاماني الزائفه دون العمل فالتمني لاقيمه لها مالم تتحول الي عمل واصرار مشفوعا بعمل تنفيذي فسلعه الله غاليه فالبر الحقيقي كما قال الله ليس ان تولي وجهك قبل المشرق والمغرب ولكن البر هو الايمان الصحيح الصادق فلا يمكن ان تتمني من الله المغفره وانت ترتكب المعاصي

لاتتصور انك ستدخل الجنه وانت ترتكب المحرمات وتصر علي ارتكابها فهذا تصور سخيف فالجنه تحتاج الي عمل وجهد وصبر لان الله يقول (احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون)

تعود النصوص لتأكيد تعلق هولاء في الدنيا وايثارها علي الاخره

فقال تعالى (وان ياتهم عرض مغله ياخذوه)

للاشاره علي اصرارهم علي ارتكاب الجريمه لماذا لانهم حريصون علي الدنيا وملذاتها والمراد بهذا الاشاره الي ضياع امانه العلم من علماء مقابل المال كما قال تعالى في سوره البقره (فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم. ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا.... الخ

فالايه تناقش مرحله ضياع امانه العلم بعد ضياع امانه الحكم

ولهذا قال تعالى (الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب الايقولوا علي الله الالحق ودرسوا مافيه والدار الاخره خير للذين يتقون افلا تعقلون)

وهذا فيه الاتي

التحذير من تحويل المنهج الرباني الي سلعه تباع لتوظيفها في امور السياسه حيث يلجاء الحكام للاستعانه
برجال الدين لاصدار فتاوي تدعم سلطانهم بحيث يجد القبول من الشعب

وهذا هو الحاصل في واقع المسلمون اليوم حيث صارت الفتوي سلاحا يستخدم اليوم لتصفية المعارضين بل
لتشويه صورهم اهل الحق من قبل الطغاه

لقد شاهدنا كيف ان فتوي بعض علماء السلطه الذين يطلبون متاع الدنيا كانت سببا في اذلال العلماء والصالحين
واستباحه دماهم والزج بهم في السجون لسنوات حتي يومنا مازالوا اسري الانظمه العسكريه

لقد ساعدت فتاوي علماء السلطه علي تمكين الظالمين من رقاب المسلمين وعلماءهم فصار الصادق بنظر الكثيرون
كاذب واللص امين وهذا ما ذكره النبي صلي الله عليه وسلم (انه سيكون هناك سنون خداعه يكذب فيها الصادق
ويصدق فيها الكاذب ويخون الامين ويومن فيها الخوون)

والعلم هو الكتاب والسنة فهو العلم المورث من الانبياء فالعلماء ورثه الانبياء ولهذا فقبض العلم ليس بمحوه من
الصدور وانما يكون بتوقف العلماء عن دورهم فيكون زهاب العلم وموت السنن وبالتالي تظهر البدع ويعم الجهل
عندما يتخلي العلماء عن دورهم في حمل امانه العلم الماخوذ عليها ميثاق الكتاب وعهده فهم درسوا مافيه وفهموا
مدلولاته ولهذا فان من مخالفه اهل الكتاب وتفريطهم بامانه العلم انهم قاموا بتحريف الكتاب مقابل المال وغيره
من المكاسب ولهذا فعليك ان تدرك ان من مخالفه عهد حمل امانه الكتاب هو تحويل مفاهيم النصوص والمنهج
عن مضمونه من خلال توظيف النصوص لخدمه فكره حزبيه او لمصلحه دنبيويه

وتسييس المنهج لتوظيفه في خدمه الحكام اثناء تعليم الاجيال وتربيتهم وتدريبهم حتي تخرج اجيال لاتعرف
من امر دينها لا ما علمه اياها علماء السلطه او علماء المغالاه والتطرف

فمن اسباب فقدان الهويه وضياع الاجيال هو فصل التعليم عن الترييه والدعوه عن الحكمة والموعظه الحسنه
حيث ان ذلك يعني ان العلم لا يخالط النفوس ولا تتاثر به قلوبهم ولا سلوكهم حيث تتحول العقيدته الي ثقافه تدرس
وتحفظ وليس لها دور في الحياه ولا فاعليه هكذا هو حال الناس عندما تخلو الساحة من العلماء الربانيين اما
لموتهم او لتعرضهم للتكيد والسجن ومنع سماع اصواتهم او لاعتزال البعض الحياه نتيجته انتشار الظلم وثقافه
التنفير من العلم والعلماء حيث ينشا في المجتمع جيلا منحطا ومحاطا بالجهالات والضالات ويخلو الجو لعلماء
السلطه الذين اتخذوا من الدين وسيله للمكاسب الماديه فهم يدرسونه لاجل ان يحتالوا علي احكامه ولاجل ان
يحرفوه عن مواضعه

تاتي الايه بالتعقيب علي ما ذكرت بشأن التفريط بامانه العلم مقابل الرشوه والمال السحت وتحويلهم العقيدته الي
اماني زائفه رغم انهم درسوا مافيه فقال تعالي (والدار الاخره خير للذين يتقون افلا تعقلون) فالايه فيها عدّه
مفاهيم وتوجيهات نذكر منها ماياتي

المفهوم الاول

ان الانتفاع بالعلم انما يكون بالاعتزان بالايمان فذلك يكون به الرفعه لقوله تعالي (وقال الذين اوتوا العلم والايمان
لقد لبثتم في كتاب الله الي يوم البعث)

لماذا لاننا لو نظرنا لواقعنا لوجدنا اننا ندعي الايمان بالله واليوم الاخر ومع ذلك نرتكب المعاصي فلماذا؟

هذا يعود الي امرين

الاول:-

اننا نشك ان العذاب سوف يحل باليقين الجازم فانت لو كنت متقين ان العقاب سوف يقع عليك في لمح البصر فمن المستحيل انك ترتكب الجريمة فانت لو كنت متقين ان شرب السم سوف تموت هل هنالك عاقل يشرب السم من الموكد انه لن يشرب السم

وكذلك فان المومن بقاء الله والمعاد والحساب والعقاب باليقين الجازم لن يرتكب اي معصيه لانه بمجرد ان يفكر بارتكابها يحس بالم العذاب والحريق بالنار ولهذا فانه ينظر الي المعصيه انها اشد فتكا من الوحش المفترس ولهذا من الموكد انه ينفر من المعاصي

الثاني

ان يكون غافلا مخدوع بالركون الي رحمه الله وعفوه ومغفرته كما اخبرنا الله انهم كانوا يقولون (سيغفر لنا)

فالاتكال علي رحمه الله مع اصرارهم علي ارتكاب المعاصي من اسباب الخروج عن طاعه الله والتفريط بمنهج الله ناتج عن ضعف البصيره فهو غافلا عن آيات الله فهو مثلما انه قال انه غفور رحيم فهو قد اخبرنا انه شديد العقاب والغفله ناتجه عن الاغترار بصحبه الصالحين والانتساب اليهم واعتبار ذلك سببا للنجاه من العذاب وانهم شفعاء لهم بدل الاقتداء بهم

فالاول ناتج عن ضعف اليقين والثاني ضعف البصيره فهو كمن لاعقل له او ان عقله مكار قد خدعه لانه لا يجتمع الرضي بالدنيا والغفله عن آيات الرب الا في قلب من لا يومن بالمعاد ولا يرجوا لقاء الله يقول ابن القيم (فلو رسخ قدمه في الايمان بالمعاد لما رضى بالدنيا ولما اطمان اليها ولا اعرض عن آيات الله

اما المومن باليقين بقاء الله اورثهم عدم الرضي بالدنيا ولهذا لم يتدبروا آيات الله ولم تخالط العلوم قلوبهم

المفهوم الثاني

ان ايعار الدنيا علي الاخره انما يكون ناتجا عن عدم الرهبه وشده الرغبه بالدنيا واصل هذا كما اوضحنا ضعف اليقين وضعف البصيره واصله خسه النفس ودناءتها وحقارتها فهي التي تجعل العبد يرضي بالدون من الاشياء وتركهم العمل بالعلم ومسارعتهم الي الذنوب وترك التوبه فهذا كله ناتج عن خسه النفس فهي تحوم حول الدناءات فهي تميل الي ما يناسبها ويشاكلها فدللت الايه ان نفوسهم قدره لخير فيها

فا لخير يحتاج الي نفوس شريفه فانها كبيره لم ترض بالدون فهي لاتقبل من الاشياء الا باعلاها وافضلها واحمدها عاقبه

المفهوم الثالث

علي العاقل ايعار الاخره علي الدنيا فالدنيا زائله وهي قصيره مهما كان فيها من متاع فانه سوف يزول بسرعه اما الاخره فانها حياه ابدية اما سعاده واما شقاء فهي الخياه الحقيقه الدائمه التي لاموت فيها فان العاقل لا يمكن له ايعار الدنيا علي الاخره

المفهوم الرابع

ان العاقل عندما يعلم ان لذه المعصيه مهما كانت فانها سريعه الزوال فاذا علم ما سوف يتبعها من عذاب والم فانه لن يفعل المعصيه ولهذا فان العاقل لا يمكنه ايعار المعصيه علي الطاعه

المفهوم الخامس

اطلب اثار العلم ممن زاده خشيه والعمل به بصيره والعقل معرفه

وعلامه ذلك ان تري منهم ايثار الطاعه علي المعصيه وايثار الاخره علي الدنيا وايعار العلم علي الجهل لان كل من اثر الدنيا من اهل العلم وتعلق بها لا بد ان يقول علي الله غير الحق في سبيل تحقيق مطامع النفس وشهواتها من حب الرئاسة والمال والجاه والسلطان

فلا يمكن تحقيق اغراضهم الا بمخالفه منهج الله فمحب الرياسه والمال يتطلب ان تدفع ما يضره من الحق خاصه مع وجود الشبهات يقول المحاسبي فالعلم اذا لم يصاحبه ثلاثه فهو مزيد في الحجه كف الاذي بقطع الرغبه وبذل الانصاف بالتبادل والرحمه ووجود العمل بالخشيه ولهذا ذكرت النصوص لنا اصرارهم علي تحريف احكام الشريعه وانهم مصررون علي ذلك والحامل لهم علي قول غير الحق التعلق بالدنيا وشهواتها وان قلوبهم قاسيه فدرستهم للتوراه لم تخالط قلوبهم اما الذين يتقون فان هولاء يختارون الاخره وهم يرون الدنيا لاتساوي جناح بعوضه وبالتالي فان هولاء لا يوجد في نفوسهم بواعث حب الدنيا والتعلق بها فهم يرون انهم مسافرون الي الله والدار الاخره ولهذا فهم يتمسكون بكتاب الله والسنة ويستعينون بالصلاه والصبر ويتفكرون في الدنيا وخستها وزوالها و الي الاخره واقبالها

تبين النصوص ان علي الانسان ان يدرك ان الغرائز التي اودعها الله في الانسان هي نعمه من الله فلا يحسبن عاقل ان الغرائز شر تغري الانسان بعصيان ربه بل هي خير انعم الله بها للانسان فما خلق الله في الانسان من قوه الشعور بالخوف والحرص علي الحياه وحب الاموال والرئاسه والرفعه والبنين والجاه والسلطان انما هي للحفاظ علي حياتك وحياه اولادك واقرباك وان تاخذ بايدهم الي مافيه السعاده الابديه وبقوه غريزه الحب تسيطر علي هواك وعقلك بان تجعل الحب لله والغضب لله لان من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوي فان الجنه هي الماوي فانت بهذا تعبت جدرايك بحب الله واستحقاقك لنعيمه وهذا يكون بان تتقي الله حق تقاته فهذه الغرائز تكون دافعا الي التقوي والصبر وجهاد النفس وقمعها عن الحرام تفضي الي رضا الله والي حسن جزائه

فالحب قوه تدفع الي طاعه الله والغضب قوه تردع عن ارتكاب ما يغضب الله والخشيه تحمي الانسان والبصيره تنجيهِ ولهذا انزل الله المنهج لاجل ان يثبت الانسان جدرايه في استحقاقه لنعيم الله تعالي فهو مرهون بمقدار جهاد الانسان لنفسه وسعيه لتاديه واجياته وبمقدار احسانه ومساعدته في الخيرات ليقدّم لحياته

فقال تعالي (والذين يتمسكون بالكتاب واقاموا الصلاه انا لانضيع اجر المصلحين)

فالايه فيها عده توجيهات ومفاهيم

المفهوم الاول

لاتجعل الدنيا اكبر همك فلا تلهك مشاغل الحياه عن المصاحف بتلاوته وتدبره وفهم مافيه والاستقامه علي امر الله فالتمسك بالقران هو اساس الفلاح والبركه والرفعه في الدنيا والاخره وهو شافع لكم يوم تلقون ربكم باذان الله وليس الانساب للانبياء والصالحين

المفهوم الثاني

ان التمسك بكتاب الله فيه الرفعه في الدنيا والاخره فالعقلاء هم الذين يتمسكون بالكتاب قولا وعملا وينفذون اوامر الله ويجتنبون نواهيهِ فالتمسك بفتح الميم وتشديد السين معناها الذين يعملون بما في الكتاب فاريد به

كبره الاشتغال بكتاب الله والاستقامه علي امر يقول العارفين ما اشتغل عبد بكتاب الله الا ورث له حسنا في شانه كله

المفهوم الثالث

ان التمسك بكتاب الله فيه سعادته الانسان والوصول الي الدار الاخره وما فيها من نعيم فالله لا يضيع اجر المصلحين فالكتاب انزل لاصلاح مافي الارض من فساد ولهذا فان المرحله ان تستقيم علي امر الله قبل ان تقوم باصلاح الاخرين فملازمه القران فيه تهذيب الانسان فمن عاش مع القران تسري روح الحياه الي قلبه وتزدهر شجره سعاده فهو للقلب مثل الروح للجسد لقوله تعالي (وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا)

المفهوم الرابع

اجعل القران جزء من حياتك فعليك الاستمسك به وتدبره وفهم مافيه والعمل به علما وخشوعا وتدبرا وفهما وعه لا وسلوكا فهو من اسباب المجد في الدنيا والاخره قال الرسول صلي الله عليه وسلم

ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع اخرين)

ولهذا فان اهل القران لا ينسون القران عن امام وجههم ونهجهم لا يشغلهم شي عنه فهم يطلبون ثواب الله وجنته ولهذا لا يتوقفون عن الذكر واقامه الحياه وفق منهج الله فالتمسك بالقران هو نفقه تكاليف بناا الدار للمومن في الجنه فاذا توقفت عن ذلك توقفت الملائكه عن البناء والعيش مع القران يجد الانسان نفسه في دورب الخير لا يدري كيف وصل اليها فيسري في عروقه فيكون في سعاده واستقرار فمن رزق تلاوه القران وفهمه والعمل به نال السعاده فالله لا يضيع اجر المصلحين

المفهوم الخامس

ان عليك ان تدرك ان المنهج انزل لاجل اصلاح الارض من الفساد ولاجل ان يتصل العبد بخالقه ومعبوده ولهذا فلا تستطليوا طريقكم مع القران فعليكم بالصمود والعبات فلا تنكسروا ان تعثرتم اليوم او تاخرتم المهم ان تبقوا علي الدرب وان تشدوا الهمة وتكملوا المسير ولو بخطي عرجي ولو بمشقه الذهاب وعناء السير والتكرار فالله سوف يبيلغكم مطلوبكم فهو لا يضيع اجر المصلحين

فلا تفوت علي نفسك لحظه فيجب ان تكون حياتك كلها عبادته الله ولهذا قال تعالي (واقاموا الصلاه)

اي تكون حياتك كلها صلاه كلها قراءه قران فانت في متجرك عليك ان تلتزم ماجاء في كتاب الله بشأن الامانه في التعامل والوفاء بالعقود فتكون بذلك عابدا لله كائك ساجدا في المسجد تصلي الصلاه والمنهدس في عمله و الطبيب والعامل والمعلم والقاضي والمخترع والطيار وهكذا كن مقبلا علي الله بقلب طاهر ونيه صادقه تدعوا الي الله من موقعك عاملا بمنهج الله فانظر الي عظمه الاجر فقد ورد عن الرسول صلي الله عليه وسلم انه قال من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنه والحسنه بعشر امثالها لا اقول الم ولكن الالف حرف ولام حرف وميم حرف) فاذا كان القاري لكتاب الله له هذا الاجر الجزيل فكيف بالعمل به

ولهذا فعليك ان تستعين بالصلاه والصبر وتدوام علي قراءه القران وتدبره فقد سال رجل احد العارفين فقال ياشيخ اني اعاني من كسل وضعف همه ابدأ في طريق ولا اكمل واذا بدأت بشي اتوقف تعبت من نفسي فبماذا تنصحني

قال له الشيخ اكثر واكثر من قراءه القران فانه يعالج الهوي ويعالج الارادات الضعيفه ويعالج النفس الثقيله المملوله يعالج الكسل والفتور

وقال له في نهاية الكلام ان نفسك هذه علاجها القران وهذا شي من ارزاق القران وبركه القران وثمرته وما يصدق
بهذه الارزاق. تصديقا حقيقيا الا من عاش مع القران والتف حول مائدته وبذل نفسه لله بالتمسك بالقران

فما اعطيت القران اخي المسلم من وقتك وعملك وقلبك سيبقي نورا معك في حياتك وبعد الممات فهنيئا لمن
اصبح وامسي وهو علي موعد مع القران

فلا تستعقل ولا تستعطل حياتك مع القران فعليكم ان تصبروا وتكونوا اصحاب عزائم قويه وهمم عاليه قادرون
علي احتمال مشاقه وتكاليف المنهج فهو فيه العزه فلا تكونوا مثل اليهود الذين روي عنهم انهم ابو ان يقبلوا
احكام التواره لغلاظها وثقلها فقال تعالي (واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظله)

اي رفع جبل الطور فوق روسهم فاصل النتق قلع الشي عن موضعه والمعني قلعناه من اصله وجعلناه فوق روسهم
كانه سقيفه فالظله يطلق علي كل ماله سقف عندها علموا وتيقنوا انه واقع بهم اي الجبل فقال تعالي (وظنوا انه
واقع بهم)

والظن هنا بمعني العلم باليقين لقوله تعالي في البقره (الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم)

عندها قيل لهم ان قبلتم بها بما فيها او ليقعن عليكم الجبل فنظروا الي الجبل فخر كل واحد منهم ساجدا علي
حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمني للجبل خوفا من سقوطه ولذلك لاتي يهودي يسجد الا علي حاجبيه الايسر
وهو ينظر بعينه اليمني ويقولون هذه السجده التي رفعت عنا العقوبه

عندها قال لهم الحق (خذوا ما اتيناكم بقوه واذكروا مافيه لعلكم تتقون)

لان فساد الحياه انما يكون بترك المنهج ترك الاستمسك الجاد بكتاب الله وتحكيمه في حياه الناس فان هذا يعني
الضعف والهون يعني ان الانسان يعيش في الهوموم والانكاد فالتقصير بالعمل بما في كتاب الله سببا لابتلاء العبد بـ
القلق ولهذا يخبرنا الله ان حامل منهج الله لا بد ان يكون قويا صاحب عزمه قادره علي احتمال مشقه التكاليف
لان المتقاعس غير قادر علي حمل المنهج فالامر يحتاج الي التمسك به بحزم وان لا يتهانوا ولا يتخاذلوا ولا
يترجعوا وان لا يغفلوا عن احكامه فقال تعالي (واذكروا مافيه)

فانت عليك ان تبحث عن الحكم الشرعي في كل مساله في حياتك فلا تنسي امر الله فهذا هو الطريق الي تلين
القلوب من قساوتها وحتى تظل موصوله ب الله لا تنساه

لكن اليهود نقضت العهد وخالفت امر الله ولم تذكر مافيه فاستحقت غضب الله ولعنته

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع العاشر

الاعراف

بعد ان اختتمت السوره قصص الانبياء بقصه بني اسرائيل في سياق تناول نشاه البشريه من ادم عليه السلام وماتلا ذلك من حضارات بشريه في الارض وصولا الي الحضاره العبريه وسقوطها بضياح امانه الحكم وامانه العلم تاتي آيات هذا المقطع معطوفه علي ما قبلها فقال تعالى

(واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهور ذريتهم واشهدهم علي انفسهم است بربكم قالوا بلي شهدنا ان تقولوا يوم القيامه انا كنا عن هذا غافلين او اتقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك فصل الآيات ولعلمهم يرجعون)

الموضوع الاول

(علاقه الآيات بما قبلها)

تبين الايه ان الله سبحانه وتعالى قد فضل علي ابن ادم بارسال الرسل رحمه منه تعالى فسر ارسال الرسل رحمه من الله في الاصل فهو تعالى لو لم يرسل انبيائه ورسله لالزام الناس حجته لسببين

الاول: فهو ان الانسان مولود بالفطره يعرف ربه ويحبه فكل مولود يولد علي الفطره لقول الرسول صلي الله عليه وسلم (كل مولود يولد علي الفطره فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة جمعا هل تحسون فيها من جدعاء) ويقول تعالى (فطره الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) فالفطره المودعه في النفوس تهدي للحق ما لم تلوث وبالتالي فلا تفسير لارسال الرسل غير الرحمه فمحض كرم من الله ورحمته انه ارسل الرسل ومحض كرم من الله انه قضي القضاء الرحيم فقال (وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا)

والا فان عهد الفطره يكفي لاقامه الحجه علي الفاسقين فلا عذر لهم ولهذا كان مناسبا عطف جمله (واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم ...) علي ما قبله لبيان ان ارسال الرسل منه واحسان من الله تعالى وعطف منه تعالى والا فان عهد الفطره يكفي لاقامه الحجه علي الكفار ولاعذر لهم

فالايه تهدف الي احساس العبد برحمه الله فهو القائل في المقطع السابق في صفه رحمته (ورحمتي وسعت كل شي) ولهذا يقول لهم. الحق ان رحمته عرفت طريقها اليك قبل ان تولد

كنت ذره في صلب ابيك حين تعرف الله اليك واشهدك علي الوهيته فشهدت واخذ عليك عهده فاقررت (نقلا عن المحاسبي في كتابه الرعايه لحقوق الله)

اما كيف كان ذلك فقد ذهب العلماء الي قولين في ذلك اما ان يكون محمولا علي ظاهر النصوص وهو ما اكدته السنه المطهره وهو ان الله تعالى مسح ظهر ادم فاستخرج منه كل نسمه هو خالقها الي يوم القيامه فاخذ منهم الميثاق ان يعبدوه ولايشركوا به شيئا وتكفل لهم بالارزاق ثم اعادهم الي صلب ادم فلن تقوم الساعة حتي يولد من اعطي الميثاق بمعني انه اخذ عليهم العهد يوم خلق الخلق وهم ذرات في ظهر ادم

واما الراي الثاني. فقالوا ان هذا من باب التمثيل وان المراد انه تعالى اخرجهم من اصلايهم ذريه وجعلهم يتناسلون ويتوالدون قرنا بعد قرن وحين اخرجهم من بطون امهاتهم واصلاب ابائهم اشهدهم علي انفسهم ان يؤمنوا بالله ويتبعوا رسله واستدلوا بصيغه الجمع ظهورهم فلو قصد اخراجهم من ظهر ادم لقال من ظهر ادم

وانه تعالى لم يقل ذريه بل ذريتهم وانه قال محذرا من الشرك وادم لم يكن مشركا

والارجح الراي الاول لان السنه تواترت علي تاييد قول اصحاب الراي الاول وبالوقوف علي الايه نجد الاتي

الموضوع الاول

لماذا جاء التعبير بالاخراج جاء بصيغه الاخذ اي ايعار الاخذ علي الاخراج؟ ولماذا جاء اسناد ذلك الي اسم الرب؟

الجواب:-

لمناسبه ما تضمنته الايه من الميعاق فكان الاخذ مناسبا للموقف و

كذلك فان اسناد ذلك الي اسم الرب يفصح عن السبب الثاني الذي يدل علي الخالق لما يتبع ذلك الاخذ باعتبار ما يتبعه من اثار الربوبيه حيث وان في ذلك ارتباط العهد بنعمه تسخير الكون ومافيه لخدمه الانسان عندما قبل الانسان حمل الامانه حيث جعل الانسان سيذا علي هذا الكون واودع فيه الفطره والعقل والحواس وادوات العلم

فالايه فيها تصريح ان الله تبارك وتعالى قد واجه النوع البشري قبل ميلاده من ظهر ادم وسال هذا النوع الانساني عن خالقه وكان في السؤال بهذه الصيغه المسيطره المستفهمه الموكده (الست بربكم) قالوا بلي

بهذا تم اخذ العهد علي البشر اي اعترف الخلق بالله وهم في عالم الذر في عالم الارواح في عالم الغيب اعترفوا واقروا وسجدوا واقامت عليهم الحجه البالغه كان الموقف سابقا علي الوجود البشري لم تكن الارواح قد ارتدت ثيابها الموقته من الاجساد الانسانيه ذات الصور المختلفه والمصالح المتباينه والابتلاءات المتعدده (نقلا من بتصريف من كتاب الله في العقيدة الاسلاميه)

كان البشر بغير مصالح ايام اخذ العهد عليهم ولهذا اعترفوا بربوبيه الله وهم ارواح في ظهر ابيهم ادم

وبقي ان يعترفوا بعبوديتهم لله وهم اجساد علي الارض

فالاعتراف الثاني تابع للاعتراف الاول فالاعتراف بالربوبيه يقود مباشره للاعتراف بالعبوديه ولهذا كان اسناد اسم الرب فقال تعالي (واذ اخذ ربك) ليفصح عن السبب الثاني الذي يدل علي الخالق لما يتبع ذلك الاخذ باعتبار مايتبعه من اثار الربوبيه حيث وان ذلك فيه ارتباط العهد بتسخير الكون ومافيه لخدمه الانسان عندما قبل الانسان حمل الامانه حيث جعل الانسان سيذا علي الكون واودع فيه العقل والحواس والفطره وادوات العلم

ولهذا فان هذا الحديث من الله لعباده يهدف الي تذكير الناس بما هو معروف لديهم لان الاعتراف بالربوبيه يقود الي الاعتراف بالربوبيه غير ان الناس تختلف عندما تهبط الي الارض فمنهم من يذكر ومنهم من ينسي او يتناسي او يذكر ويحارب هذه الذكرى

ولهذا تاتي هذه الاضافه الي اسم الرب لغرض اظهار رحمه الله لعباده التي وصفها بانها وسعت كل شي رحمه وعلمها فقال تعالي (ورحمتي وسعت كل شي)

ولهذا فان التذكير بعهد الذري فيه حديث الله الرحيم المستمر الي الناس واياته في الكون وفي انفسهم ومعجزاته المدهشه في الافاق وفي متناول انظارهم شاهده علي عظمه الله وقدرته ولو تأمل الانسان لحاله لوجد نفسه يعيش في انعام الله التي لاتعد ولاتحصي يقول المحاسبي في كتابه (الرعايه لحقوق الله)

تعرف الله اليك قبل ان تولد فعرفته وتجلي بنعمه عليك لك فشهدت والهكم الاقرار بربوبيته فوحدته ثم انه جعلك نطفه مستودعه في الاصلاب فتولاك بتدبيره هناك حافظا لك ومحافظا عليك موصلا لك المدد بلطفه وكرمه من ا

لاباء من ابيك ادم ثم قذفك في رحم امك فتولاك برحمه التدبير وجعل الرحم لك ارضا يكون فيها اناك
ومستودعا تنشا فيها حياتك ثم جمع بين النطفتين والف بينهما فكنت ترجمه لسر الازدواج الذي انبني عليه
الوجود كله ثم جعلك بعد النطفه علقه مهياه لما يريد الله سبحانه وتعالى

ان ينقلها اليه ثم بعد العلقه مضغه ثم فتق سبحانه في المضغه صورتك واقام فيها بيتك ثم نفخ فيك الروح بعد
ذلك ثم غذاك بدم الام في رحم الام فاجري عليك رزقه من قبل ان يخرجك للوجود ثم ابقاءك في رحم الام شهورا
حتى قويت اعضاءك واشتدت اركانك ليهينك الي البروز الي ما قسم لك او عليك ليبرزك الي دار يتعرف فيها بفضله
وعدله ورحمته اليك ثم انزلك الي الارض فعلم سبحانه انك لاتستطيع ان تتناول الطعام الخشن وليس لك اسنان
تستعين بها علي مآكله فاجري العديين بالغذاء اللطيف ووكل بهما منيع الرحمه التي جعلها في قلب الام فكلمنا
وقف اللبن عن البروز استحثته الرحمه التي جعلها في قلب الام لك منبعا لايفتر ثم انه شغل الام والاب بتحصيل
مصالحك والرافه عليك والرحمه والموده لك وما هذا كله الارحمته هو سبحانه ساقها للعباد في مظاهر الاء والا
مهاث تعريفا بالوداد وفي حقيقه الامر ماكفلك الا ربوبيته ولا حضنتك الا الوهيته ثم انه ازم الاب القيام بك الي
ان تبلغ واوجب عليه ذلك رافه منه بك ثم رفع التكليف عنك حتى يكتمل فهمك ثم انه مضي يتعرف اليك برحمته
الي ان صرت كهلا ثم يقطع عنك نوالا ولا فضلا ثم اذا انتهيت الي الشيخوخه.... الخ

لو عرف الانسان هذا لادرك ان الحجه تلزمه دون ما حاجه لارسال الرسل فهو عندما يطلب منك ان تشكره فان
شكرك لايساوي شي من انعامه فانت لم ولن تخرج عن احسانه ولم تدعك رحمته وفضله وامتنانه ورعايته لك
وعنايته تري اثارها في كل احوالك

فهذا السبب الثاني التابع لعهد الفطره الذي يدل ان ارسال الرسل محض رحمه وكرم من الله تعالى ولهذا كان
مناسبا عطف الجمله

علي ما قبلها من الايات التي اختتمت بذكر قصه بني اسرائيل مع رسلهم في سياق تناول السوره لقصه نشاه
البشريه وحضارتها من ادم وصولا الي امه موسي عليه السلام حيث عرضت لنا نماذج لحضارات البشريه خرجت
عن منهج الله وانفصلت عن الديانه وكانت نهايتها الهلاك والفناء ثم عرضت لنا الحضاره العبريه وسقوطها وما تلا
ذلك من ضياع امانه العلم بعد ضياع امانه الحكم وهذا يعود الي التهاون في شرع الله وافراغ النصوص عن
مضمونها نتيجه تعاقب الاجيال وتحريف النصوص مقابل المال رغم علمهم بالحق مبينا ان النجاه والسعاده في
التمسك بكتاب الله وختم ذلك بتذكيرهم بالميثاق الماخوذ منهم

فالتمسك بالمنهج يحتاج الي عزمه وهمه وصبر علي مشقه التكاليف وامرهم بتذكر امر الله لاجل خوف الله
وخشيته لان الغفله والشهوه اصل الشر فاهل العلم لا بد ان يتذكروا الله علي الدوام حتي لاتصيبهم الغفله فالعالم
هو من يخشي الله فمن لم يخشاه فليس بعالم فهو جاهل غافل اذ لافائده من العلم اذا لم يتبعه عمل فان العلم بما
انذرت به الرسل يوجب الخوف فاذا كان العلم يوجب الخشيته الحامله علي فعل الحسنات وترك السيئات فكل
عاص جاهل ليس بتام العلم وهنا يعطف انه لا عذر علي عدم الاهتداء بما جاء به الرسل من هدايه عامه بما جعل
فيكم بالفطره من المعرفه واسباب العلم ففي كل ذلك ما يقتضي معرفته تعالى بالحق ومحبتة له وقد هداه ربه
الي انواع من العلم يمكنه ان يتوصل بها الي سعاده في الدنيا والاخره وجعل في فطرته محبه ذلك وانما الانسان
يعرض عنها بجاهليته وغفلته فلا يطلب ما ينفعه من العلم ف الله قد تفضل علي الانسان باصل السعاده بان جعله
مفطور علي معرفته ومحبتة فقال تعالى (واذ اخذ ربك من

بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم علي انفسهم)

الموضوع الثاني

ان عليك ان تفهم ان مهمه الرسل هو تذكير الفطره ماهو معلوم لها وتقويته وامداده ونفي المغير للفطره فالرسل بعثوا بتقرير الفطره وتكميلها لابتغير الفطره وتحويلها والكمال يحصل بالفطره المكمله بالشرعه المنزله فليس في الرسل من قال اول ما دعا قومه انكم مامورين بطلب معرفه الخالق فانظروا واستدلوا حتي تعرفوه فلم يكلفوا اولا بنفس المعرفه ولا بالاداله الموصله الي المعرفه لماذا

لان قلوبهم تعرفه وتقر به فكل مولود ولد علي الفطره ولكنها تعرضت لتلوث غيرها ولهذا فان الانسان اذا ذكر ذكر مافي فطرته من العلم الذي يعرف به ربه ويعرف به انعامه واحسانه وافتقاره لربه فالله قال لموسي في خطابه لدعوه فرعون (فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشي) بما ينذره من العذاب

والتذكر هنا للعلم الفطري والتوحيد الفطري والحب الفطري المودع في الفطره لانه مغروس في الانسان نفسه فكل ذره وكل خليه وكل عضو في الانسان خلق لمعرفه الله ومحبه وعبادته وتوحيده فالاعتراف بربوبيه الله وحده اخذ عليهم وهم ذري يوم خلق الله الخلق فقال تعالي (واشهدهم علي انفسهم الست بربكم قالوا بلي شهدنا)

تبين الايه انه بعد ان اخرجهم من صلب ادم اخذ عليهم العهد بعد ان ركب فيهم من دلائل وحدنيته وعجائب خلقه وما اودع فيهم من علم فطري ومحبه فطريه وتوحيد فطري فقال لهم هل قبلتم امانه حمل الاسماء وامانه الخلا فيه بعباده الله ومحبه ومعرفته وتوحيده وحده لاشريك له فكانهم قالوا (بلي) اي امانا برينا وشهدنا علي انفسنا واقررنا انك خالقنا ومالكنا ومعبودنا وهذا يدل علي ان الله اودع في الخلق العلم الفطري والتوحيد الفطري و المحبه الفطريه فاقام في نفوسهم ما يمكنهم من معرفه الله ومحبه وعبادته والاستدلال علي صدق ما جاء به الرسل اذا سلمت الفطره من التلوث والعقل من الفساد

فالعلم بالحق يدعوا صاحبه الي اتباعه لان الحق محبوب في الفطره فالمعرفه موجوده في قلوب الناس فالفطره تستلزم معرفه الله ومحبهه وتخصيصه بانه احب الاشياء الي العبد وهو التوحيد فقد ورد في الحديث القدسي الذي يرويه الرسول عن ربه ان الله تعالي قال (اني خلقت عبادي حنفاء فاجتالهم الشياطين وحرمت عليهم ما احللت لهم وامرتهم ان يشركوا بي ما انزل به سلطانا)

فاخبر انه خلقهم حنفاء وهذا يتضمن توحيد الله ومعرفته ومحبهه

فالذكر الذي هو الكتاب المنزل مع الرسل انما يذكرهم بما قد علموه فالانسان اذا لم ينسي ربه الذي عرفه وحصل له ذكره علي الوجه الذي يقتضي محبهه ومعرفته وتوحيده فانه يذكر نفسه بضعفها ويبصر ما كان فيها قبل من معرفه الله ومحبهه وتوحيده

فالله انما خلق الخلق لعبادته ليزكروه ويشكروه ويعبدوه وارسل الرسل وانزل الكتب ليعبدوه وحده وليكون الدين كله لله ولهذا نجد ان الايات

الموضوع الثالث

ان اللازم عليك اخي المسلم ان تقف مع نفسك هذه اللحظات امام هذا المشهد الذي تجسده الايه بكل جوراحك بان تفكر بضخامه المشهد وانت في قبضه الخالق سبحانه وتعالى قبل ان يخلق الوجود لتعرف نفسك وان كل ذره وخليه منك وكل ملكاتك وكل جزء وعضو منك ظاهرا وباطنا انما الهدف الحقيقي منه هو معرفه الله ومحبهه وعبادته عليك ان تدرك انه مهما انشغلت بالملذات الماديه فانك لن تجد سعادتك مهما كانت لان السعاده الحقيقيه

باختصار لن تجدها الا في الله تعالي فمهما بلغت في الثري والمناصب والملك فانك لن تجد السعاده ابدا

فالانشغال بالدنيا وملذاتها لن تصلك الي السعاده بل الي تودي الي تحمل انكاد الدنيا كما قال بعض السلف من

احب الدنيا فليوطن نفسه علي تحمل المصائب يقول ابن القيم فمحب الدنيا لاينفك من ثلاث هم لازم ..وتعب دائم ..وحسره لاتنقضي (ذلك ان صاحبها

يظل باحثا عن الذات العليا التي تولد في قلبه جاذبيه خفيه اليها فهو مانال من الدنيا شي الا طمحت نفسه لما فوقه يتصور انه سوف يجد سعاده في الوصول اليها وهذه الجاذبيه الخفيه توجد حتي في الطفل الرضيع فهو ينجذب لأمه بعد ولادته ثم بعد ذلك تنتقل الي حب الزوجه والاولاد والمال والجاه ولايجد ذاته العليا

لان هذه الجاذبيه هي المحبه التي اودعها الله في فطره الانسان للاله الحق ولهذا فان ذروه كمال الانسان هو الوصال ب الله تعالى عندها فقط يجد الانسان سعاده

الموضوع الرابع

ان اللازم عليك الايمان بحصول العهد الذري كما اخبرنا الله به دون الخوض في كيفية الاخذ لان الكيفيات المتعلقة بافعال الله غيبية لاتدركها ابصار البشر معلما ان الله لاتدركه الابصار كما بينت الايه في المقطع السابق (ق ال انك لن تراني ..الخ

وكذلك فقد اخبرنا الله في سوره البقره ان ابراهيم اراد معرفه كيفية عمل قدره الله في احياء الموتى فلم يمنح ذلك فلم يري يد الله وهي تعمل في احياء الموتى لان الكيفيات المتعلقة بافعال الرب من الغيبات التي لاتدركها الابصار فليس كمعله شي

ثانيا

تبين الايه ان الله خلق الانسان علي الاسلام والاستسلام لله تعالى فقد اودع الله في الانسان الفطره فقال تعالى في موضع اخر (فطره الله التي فطر الناس عليها لاتبدل لخلق الله ذلك الدين القيم)

وهذه الايه تنسجم مع قوله تعالى هنا (الست بريكم) اي انه سال ارواح فاجين كلهن بانه تعالى ربهن فقال تعالى (بلي شهدنا) في هذا الحوار يشير الحق سبحانه وتعالى الي انه غرس في الفطره خاصيه الاقرار بوجود الله وانه مالكهم وخالقهم ولايستطيع احد ان ينكر ذلك ولهذا يخبرنا الله بعدها عن عدم وجود عذر لهم بعد هذا الاقرار فقال تعالى (ان تقولوا ا يوم القيامه انا كنا عن هذا غافلين)

الامر الاول

تبين الايه ان الحجه قد قامت بما اودع الله في الانسان من اقرار فطري وعلم فطري ومحبه فطريه وتوحيد فطري فمعرفة الله ومحبهه وحب رسوله موجوده في قلوب المنكرين ولكن افسدته الغفله والله والشهوات ولهذا يقول الله انه تعالى ارسل الرسل يحملون المنهج الذي يذكر الناس بريهم الذي تعرفه الفطره وتبين للناس ما انزل اليهم من ربهم ومهمه الرسل هو ان يبلغوا الناس البلاغ المبين والمطلوب من الناس ان يعقلوا ما بلغه الرسل ف العقل والفطره يتضمنان العلم والعمل فمن عرف الخير والشر فلم يتبع الخير ويحذر الشر فهذا قد اضر بنفسه لانه لم ياخذ ما ينفعه ولم يدع ما يضره فعدم انتفاعه بالعقل والفطره وما فيهما من العلم الفطري والحب والتوحيد الفطري يعود الي حب الرياسه والشهوات وانشغاله بهن وبالمعاصي يودي الي الران الذي يغطي ويحجب عن القلب الرويه ويصيبها بالعمي والطيف الذي يمنعه من رويه الحق فانسيانهم ربهم كان سببا لنسيان انفسهم عقوبه لهم باعراضهم عن الحق وعدم معرفتهم بما كانوا عارفين به قبل ذلك

ولهذا يقول لهم لاحجه ولاعذر لكم ف الله قد اوضح الدلائل علي وحدنيته وصدق رسله فيما اخبروا به فمن انكروه فهو معاند ناقض للعهد وقد لزمته الحجه فانسيانهم وعدم حفظهم لايسقط الحجه بعد اخبار المخبر الصادق صاحب المعجزات

الامر الثاني

تحذر الايات من التقليد في الدين فالله قد ازاح العذر وازال العلل فلا ينكر احد ان الله الخالق اذا سالتهم (من خلق السموات والارض ليقولن الله)

لكن التقليد والبيئه الفاسده هي التي تودي الي طمس معالم الفطره وعدم رويه الحقيقه ولهذا اخذر التقليد للاباء لانه سبب الانحراف وطمس معالم الفطره وتعطيل العقل فالرسول صلي الله عليه. سلم يقول (كل مولود يولد علي الفطره)...وهي الحنفيه السمحاء التي خلق الناس عليها ولكن ابواه يفسدان ذلك فيهودانه او ينصرانه ويمجسانه ويشركانه فيجعلانه منكرا لما في قلبه من معرفه الرب ومحبتة وتوحيده ولهذا يقول الحق ان خلق الانسان وما ركب فيه من الفطره والعقل فيه قطع الجحه عليهم اذا لم يستعملوا العقل والفطره في الايمان بما جاء به الرسل فهم ماخوذون بتركهم شريعته الله ولاعذر لهم بعد ذلك لانهم ساروا في طريق اسلافهم واباءهم وما سنوا لهم من اباطيل فهم قد استحقوا العذاب يوم القيامه علي تركهم منهج الله الموافق للفطره التي خلق الناس عليها فدليل صدق ما جاء به الانبياء بداخل الانسان نفسه ولهذا قال تعالي (او تقولوا انما اشرك ابوانا من قبل وكنا ذريه من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون)

الامر الثالث

مما سبق نفهم انه تعالي لما خلق الناس عرفهم بنفسه وانه وحده المستحق للعباده ولكن البيئه تفسد الفطره ولها تاثير سي في تغيير الفطره وطمسها ولهذا لم يعترك الله الناس لفطرتهم بل ارسل الرسل يدعونهم الي الهدي ويرشدونهم الي المنهج الذي يحفظ لهم فطرتهم من الزيع والضلال لان الفطره وحدها قد تنحرف وقد تبطل فلا تحس وقد تعمي فلا تبصر وقد تنتكس وتنحط فتكفر وتعبد الهه من البشر وغيرها من المخلوقات وكل ذلك من تاثير البيئه المنحرفه والتقليد ولهذا يقول الحق تعقيبا علي ذلك (وكذلك نفضل الايات ولعلمهم يرجعون)

ان تفصيل الايات اي توضيحها وبيانها لاجل نفي المغير عن الفطره وازاله الغبار الذي لوث الفطره فمهمه الرسل ليس تغيير الفطره وتحويلها وانما تذكير الفطره بما هو معلوم لها وتقويه امدادها من خلال هذا البيان التفصيلي للايات ونفي المغير للفطره فالرسل ارسلوا لتقرير الفطره وتكميلها بالشرع المنزل الذي يذكرهم بما يعرفوه وما علموه وما هو مستقر في فطرتهم من علم فطري وتوحيد فطري ومحبه فطريه فهذا التوضيح كفيلا بتذكيرهم ما نسوه ليعودوا الي ربههم تائبين فهذا هو البيان المطلوب من الرسل ان يبينوه للناس ليرجعوا الي الدين الحق فاذا حصل البيان الذي يكمل الفطره وينفي المغير لها فقد اقيمت الحجه فكان التعريف بمهمه الرسل وما انزل من كتب بانها مكمله للفطره مناسبا بمجي هذا التعقيب لو رجعت الي الموضوع الثاني الورد في تاويل ايات هذا القسم من المقطع

القسم الثاني

(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الي الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بايتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثل القوم الذين كذبوا بايتنا وانفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلاولئك هم الخاسرون ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفتقون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون)

اولا

ابتدات الايه بقوله تعالي (واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها)

وهذا امر للرسول صلي الله عليه وسلم من ربه ان يتلو علي قومه هذا الخبر عن عالم السوء الذي خرج عن ما اعطاه الله من علم رباني وكفر بعد الايمان والايه فيها التفات بديع كونها وردت بعد ان بينت الايه ان اصل السعاده في الفطره التي خلق عليها الانسان اذا سلمت من التلوث فهذه ايه في تكوين الانسان نفسه ثم ان الله قد اعطاه سببا اخر يعرف به ربه ويحبه ويدعوه الي عبادته وتوحيده وحده لاشريك له وهو مشاهده احسانه وعطاءه وانعامه واياته الكونيه التي يحدث الخالق بها عبادته عن الوهيته وربوبيته وحده لاشريك له فارسل الرسل هو لتذكير الناس بما يعلموه ويعرفوه عن ربهم ولانذارهم من العذاب كما قال تعالى (وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه الوعيد لعلمهم يتقون او يحدث لهم ذكرا) اي لاجل التذكير او الخشيه كما قال تعالى لموسي (فقلوا له قولنا لعله يتذكر او يخشي)

لان منشأ السئيات هو الجهل والظلم ولهذا فان عدم العلم هو منشأ السئيات لانه لايفعل انسان قبيحه الا لعدم علمه بكونها قبيحه او لهواه وميل نفسه اليها ولايتترك شي نافع الا لعدم علمه بمنفعته او لبغض نفسه لها. فمن يعلم انه اذا دخل مكان فانه يعرض لنفسه لخطر الموت لن يدخله فمن وجد مثلا لافته مكتوب عليها عباره احذر الدخول في المكان فانها منطقه الغام. فان العاقل والعالم لايمكن ان يدخل الي المكان الا ان يكون مختلا فاقد لعقله او انه لم يقرأ اللافته كونه غافل او ساهي او انه غير جازم بوقوع الضرر ان دخل الي المكان وكذلك فان من يرتكب المعاصي اما ان يكون غير جازم بان ما يفعله سوف يلحق به الضرر اي غير جازما بتحريمه او يكون غير جازما بعقوبته كما قال اليهود (سيغفر لنا) او يغفل عن ذلك كله فلا يستحضر تحريما ولاوعيدا ولاعقوبه فهو غافل عن ذلك كله والغفله ضد العلم وقد هدي الله هدايه عامه بما جعل فيهم بالفطره من معرفه واسباب العلم وبما انزل اليهم من الكتب وارسل اليهم الرسل فقال تعالى (اقرا باسم ربك الذي خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرام الذي علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) وقال تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) ففي كل انسان ما يقتضي معرفته بالحق ومحبه له وقد هداه ربه الي انواع من العلم يمكنه ان يتوصل به الي سعاده الدنيا والاخره وجعل في فطرته محبه لذلك ولكن قد يعرض الانسان بجاهليته وغفلته عن طلب ما ينفعه او انه يعرف ما ينفعه ولكنه لايريد ولايعمل به فهو يتركه رغم معرفته له ولهذا يقول تعالى

(واتل عليهم نبأ الذي اتيناها اياتنا فانسلخ منها)

فهذا النوع الذي تحدثنا عنه الايه ليس جاهلا بايات الله بل عالما بها ولكن فيه من الهوي المعارض ما يحتاج معه الي الخوف الذي ينهي النفس عن الهوي فهو عالم ومطلع علي ايات الله سواا الكونيه او التكونيه او المسموعه والتي فيها الدلائل علي عظمه الله وقدرته وجماله وجلاله ولكنه يتغبا عنها ويدعها ولاياخذ بها

فهذا من علماء السوء الذي امر الله نبيه ان يتلو علي قومه قصته

ولم يذكر الحق في القرآن اسم هذا العالم ولامكانه ولازمانه وقد ذهب بعض المفسرون للقول انه من بني اسرائيل واسمه بلعام بن عوراء كان من علماء بني اسرائيل وبعدها فسد

ومنهم من قال انه عالم كان في بيت المقدس ومنهم من قال انه من بني اسرائيل كان مجاب الدعوه وكانوا يقدمونه وقت الشدائد فبعته موسي الي ملك مدين يدعوه للايمان فاعطاه الملك المال فارتد عن دينه... الخ

لكن الحقيقه انه لم يرد في القرآن ولا السنه دليل علي ما ذكر صحيح وبالتالي فلاحاجه لاستدعاء الاسرائيليات وعدم ذكر اسمه في القرآن لاجل الاتي

الامر الاول

ياخذ العبره فهذه القصة نموذجا متكررا يحدث في كل زمان ومكان فهذا المثال نموذج لانحراف الفطره وسقوط العقل في الوحل ولهذا لم تذكر القصة تفاصيل المكان والزمان فهذه حكمه اغفال تلك التفاصيل للتحذير من

تجاهل آيات الله فمن لم يعبا بها ولم يفكر بايات الله التي في متناول نظره وعقله سواء كانت كونييه كالشمس و القمر وتعاقب الليل والنهار والامطار وغيرها من انعام الله التي يحدثنا الله بها عن رحمته وعطفه وانعامه وقدرته وجماله وعظمته او ما هو مغروس فيك من الايمان الذي فطر الانسان عليه او آيات الله المسموعه فان تجاهلك لها تكون فريسه سهله للشيطان وظلم للنفس اشد ظلما وهبوط الي مرتبه اقل من الحيوانات تخرج الانسان عن ادميته

الامر الثاني

يريد الحق ان يبين لك ان الايات الداله علي الوهيته وربوبيته ووحدانيته لاشريك له محيطه بالانسان احاطه. كامله فانت اينما توجهت تري انعام الله واياته التي فيها حسنه واحسانه وحده لاشريك له ولهذا يقص علينا نباء هذا العالم السوء كنموذج لانحراف الفطره ونقض العهد الماخوذ عليها والنكوص عن آيات الله ومثال لانحراف العقل وسقوطه في الوحل بعدما راي آيات الله وعلم مافيهها فقال تعالي (فانسلك منها)

فشبه صورته تخلصه من آيات الله كانسلاخ الحي من اذيمته اللاصقه بها والتعبير بالسلك لاجل تصوير المشهد بما فيه من عنف وحركات قاسيه للدلاله علي نزعه اداله العلم المحيطه به من كل اتجاه وكانه بذل جهد ومشقه لنزع الايمان وادالته التي تحيط به من كل اتجاه وانها لاصقه به وفي داخل كيانه

الامر الثالث

ان التعبير بايتاء الايات فيه اشارته الي عطاء الله وانعامه بان اعطاه آياته التي ترشده الي الخير وتدله عليه فقد كانت في متناول يده ولكنه انسلك عنها اي انه ضل بعد العلم واختار الكفر علي الايمان عمدا لاجهلا فهو قد فارق الايمان مفارقه من لايرجي عودته لانه قد نزع عنه كل ما هو متعلق بالايات الايمانيه فانسلك منها كما تنسلك الحيه من قشرها فلا تبقى معها شي من ذلك

فزع الايمان والعلم عنه كان بنزع الخشيه من الله والله يقول (انما يخشي الله من عباده العلماء)

ولهذا فان العلم بما انذرت به الرسل يوجب الخوف والعلم يوجب الخشيه الحامله علي فعل الحسنات وترك السيئات ولكن صاحبها خلع عن جسده رداء الخشيه بالتعزز بالجاه والسلطان والمال لقد خلعوا رداء الدين ولبسوا رداء الكبر والتعاضم والتعزز والتفاخر فكانوا اصدادا لنعمه الله التي انعم بها عليهم ولهذا وقع في مصيده الشيطان فقال تعالي (فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين)

اي انه فقد اللباس الواقى الذي يمنع اصابته بسهام الغوايه التي توعده بها ابليس كل من ترك منهج الله فقال تعالي(ربي بما اغويتني لازينن لهم في الارض ولاغويناهم اجمعين)

فما سبب وقوعه في الغوايه مخالفته منهج الله فالمنهج كان غطاء واقى يمنع وصول سهام ابليس اليه فقد كان يلبس درع العبوديه لله وحده لاشريك له فكانت هذه العبوديه هي الدرع الواقى له ف الله يقول (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين)

فعليك ان تفهم العبوديه لله والخضوع والاذعان لله هي السلاح الواقى الذي يحميك من نفعات الشيطان وسهامه فالشيطان لا يقترب من الانسان الا اذا ترك الانسان آيات الله او لم يعبا لها عندها ياتي الشيطان من كل الجهات ولهذا قال تعالي (فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين)

تكمل الصورة لانسان انسلك عن آيات الله وسار في طريق الضلال عندها تبعه الشيطان اي ادركه ولحقه بحيث ظفر به واقتراسه فاستعمل فاتبعه ولم يقل تبعه فكانت اتبعه ابغ في التعبير عن حاله وتصور المشهد بصوره متحركه فيها ايقاعات علي النفس موثره عن ما وصل اليه فقال تعالي (فكان من الغاوين)

اي اصبحت من جنود ابليس بعد ان كان من اهل الرشده لقس امسي مطرودا من رحمة الله تعالى ومن مطايا ابليس اللعين

ثانيا

عدم ذكر اشخاص القصة لان هذا نموذج متكرر في كل زمان ومكان ولاجل تربيته الجماعة المسلمه علي قيم الايمان بحيث يكون للعلم اثار تترجم في واقع الحياه فلا يكون العلم مجرد نظريات وثقافه بلا عمل ولهذا يعرض لنا هذه القصة والتي تحكي واقع من عرف الحق وعلمه ولكنه لم يتبعه فما الذي جعل هذا العبد لا يتبعه مع ان الاصل ان العلم بالحق يوجب اتباعه

الامر الاول

دلت الايه انه لم يطلب الخير بالعلم الذي كان لديه فالخير يكون بمعرفه الحق واتباعه و في العلم والعمل جميعا صلاحي القول والعمل فالعلم النافع هو القائم علي توحيد الله سبحانه وتعالى عندما يكون طلب العلم عباده لله ولاجل تزكيه النفس وبلوغها مقامات الخشيه والقرب من الله وتصحيح المسار وترسيخ الايمان في القلب يحصل الانتفاع بالعلم

فالعلوم النافعه لاشك انها تلك التي تدفع المسلم الي التفكير في المخلوقات وتامل بدايع حكمته وعظمه الله وجلاله فالطبيب الذي يمارس مهنته الطب لا بد ان يشاهد آيات الله الظاهره في تكوين الانسان وبالتالي فان علمه هذا لا يكون نافعا الا اذا ازداد ايمانا بربه ورسخ الايمان في قلبه وكذلك فان عالم الفلك لا بد ان يشاهد آيات الله في الكون اثناء قيامه بدراسه احوال الكون وكذلك المهندس والكيميائي وعالم الاحياء البريه والبحريه وعالم الجبال والصخور وهكذا كلا في مجاله فاللازم ان يكون للعلم غايه نبيله واصوال ثابتة تستدل بها علي قدره الله وبديعه صنعه

الامر الثاني

الايه فيها التوجيه لك اخي المسلم بالاستزاده من العلم لكن بشرط ان تخلص انيه من تعلمه ان يكون العلم لله وان يتبعه العمل الصالح فهذا العلم هو الذي يحصل فيه علو قدر صاحبه ورفع منزلته عند ربه فقال تعالى (ولو شئنا لرفعناه بها)

والرفعه بالعلم يكون بالاتي

المفهوم الاول

ان يغرس في النفس تقوي الله والخشيه منه تعالى لقوله تعالى (انما يخشي الله من عباده العلماء) فالخشيه محصوره في اهل العلم بلفظ انما فالعلماء اكثر الناس خشيه من ربهم ولهذا فان العلم من اهم وسائل تزكيه النفس من قذورات الدنيا ومطامعها

المفهوم الثاني

ان العلم وسيله لا بد منها في انماء النفس وتكبيرها وتزكيته فهذه هي البدايه الصحيحه لتزكيه النفس وطهارتها من امراضها فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول (من اراد الله به خيرا يفقهه في الدين)

والمراد بالفقه في الدين ان يدرك مقاصد الدين واحكامه قولاً وعملاً فينتج اثاره في سلوك المسلم لحفزه الي طريق الخير والسعاده فهو الطريق الموصل الي الجنه وهو ميراث الانبياء وبه حياه القلوب وسعاده النفوس

المفهوم الثالث

ان العلم النافع هو الذي يتبعه عمل ويلتزم صاحبه بالخلق الفاضل والاعتصام بكتاب الله وسنه واخلاص القصد لله سبحانه وتعالى فهذا العلم المثمر لقوله تعالى (اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون)

فالعلم لا يودي وظيفته الا ان يصحبه العمل الصالح مع الاخلاص لله تعالى والتزام الاداب المطلوبه للعالم والمتعلم وان يتجنب الجدل والخصام في مسائل العلم

المفهوم الرابع

علي المسلم ان يدرك انه سوف يسال يوم القيامة عن علمه ماذا عمل به وهل اثمر عنده الخشيه من الله والتقرب اليه بالعمل الصالح ام اتخذه وسيله للتظاهر والتباهي امام الناس فقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال (لاتزال قدما عبد يوم القيامة حتي يسال عن عمره فيما افناه وعن علمه فيم فعل .. الخ

ولهذا فان العلم اذا لم يعصم صاحبه من ارتكاب المعاصي فلافائده من هذا العلم لان كل حي يهرب مما يوذيه ويضره فهذا هو فائده العلم فاذا لم يحصل هذا فان العلم غير مثمر

المبحث الثاني

تبين الايه ان العله بحرمانه من نعمه القرب من الله والرفعه عند ربه بهذا العلم يعود الي الاتي (ولكنه اخلد الي الارض واتبع هواه)

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

الايه فيها حث المسلم علي مجاهده النفس والهوي والشيطان فعليك ان تدرك انك في معركة مع هولاء الاعداء ولهذا فان الرفعه في العلم تكون في الوصول الي اليقين في الفكر والتصديق بالقلب ثم المجاهده للنفس بالعمل الصالح والعبات والصمود

فعامه المسلمون ورتوا الدين وعلمو احكامه فهم مسلمون لكن حقيقه الايمان يحصل شيئا فشيئا وهذا قد يوصلهم الي اليقين

ولكن لا يصلون الي الجهاد الذي بدونه لاتكون الوصول الي القرب من الله والرفعه في الدرجات عنده لقوله تعالى (يرفع الله الذين امنوا والذين اوتوا العلم درجات) ولقوله تعالى (اليه يصعد الكلم الطيب) (والعمل الصالح يرفعه)

وبدون قوه مجاهده النفس ودوامها للاستقامه علي امر الله وشرعه فان اليقين الذي وصل اليه العبد من العلم الذي اتاه الله لا يصمد امام التشكيك اذا ما شكك من الاعداء فما لديه من علم بيقين يزوال تدريجيا ويقع العبد في الغفله فيصبح بلا درع واقي يمنع اصابته برماح الشيطان فقد ادركه الشيطان ولحقه يقول ابن القيم رحمه الله الشيطان مع الانسان مثل الكلب والغزل ان الغزل سريع جدا لا يقارن سرعه الكلب قفزه واحده واذ الكلب من ناحيه والغزل في ناحيه اخري لكن ما الذي يحصل يطارده الكلب بلا توقف فكيف يصطاده رغم سرعه الغزل انه يظل يطارده حتي يلتفت الغزل فاذا التفت ضعف وخارت قواه فيقع في مخالبا الكلب بهذه الطريقه والافهواسرع

وهذا هو حاصل للانسان فاذا التفت للشيطان وطاوعه في خطواته وتزينه فقد ادركه الشيطان واما اذا لم يلتفت الي وساس الشيطان ولا لخطوره ولا يتبع خطواته فانك سوف تسير سيرا صحيحا مستقيما اما اذا التفت الي

الشيطان فانه يزين لك خطوته فيوقعك في مصيدته وعندها تفقد العلم وتصيرا تابعا

فالسلاح الواقي من العدو هو المنهج الرباني بان تلتزم بما فيه وتعمل بما امر الله وتجاهد نفسك فتترفع عن كل مافي الدنيا من ملذات مخالفه لمنهج الله بالشوق الي ما عند الله

الامر الثاني

فاليقين يتضمن القيام بامر الله واجتناب ما نهى الله عنه تعني القيام بما يوصل الي الشرف والفلاح والنجاح الذي وعد الله به اوليائه واهل طاعته فقد ورد عن الرسول صلي الله عليه وسلم انه قال كل يدخل الجنة الا من ابي قيل ومن يابي يارسول الله قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابي

ولهذا تبين لنا الايه ان عالم السوء هذا ترك الاخذ بعمره العلم الذي هو الدرع الواقي وانحراف عن الهدي الي الباطل نتيجه عدم حبس النفس عن اهاوا ورغباتها لقد ضعف امام عدواه النفس وتحكم الاهواء فالانسان مخلوق من جسد ارضي وزوح سماوي وهي تميل الي الشهوات والملذات تقف بين قوه جذب ارضيه وقوه جذب سماويه تتنازعه ولهذا فان فقدان الخشيه واستحضار عظمه الله وقوته وعذابه وعقابه ادي الي الغفله فغفل عن ذكر ربه الذي عرفه باياته وادالته لكن الهوي والغفله استحوذ عليه فاختر الادني دون الاعلي فقد هبط في افقه و التصق بوحل التراب واتبع الشهوات فاصبح مسخ كلب بهيئه انسان يلهث سواء طارده ام لم تتطارده فهو يلهث وراء الشهوات وقد الغي عقله

ولذلك عوقب بحرمانه من نعمه. القرب من الله والرفعه عند ربه بهذا العلم بسبب اختياره لما هو ادني واتباع الهوي فقد غلبه هذا الباعث علي باعث الدين كما قال تعالي (ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا)

الامر الثالث

تبين الايه ان جاذبيه الجانب الارضي المادي الجسدي في عالم السوء هذا قد انتصرت علي قوه جاذبيه الروح لديه في المعركه التي خاضتها النفس الاماره بالسوء مع النفس اللوامه فقد كان النصر في هذه المعركه للنفس الا ماره بالسوء فقال تعالي (ولكنه اخلد الي الارض)

فضل الدنيا علي الاخره لانه اختار الذي هو ادني فقد كانت المعركه بين باعث الدين و باعث الهوي فتغلب داعي الهوي علي باعث الدين عندها استسلم للشيطان وصار تابعا له وجنديا من اتباعه وسلم قياده امره لشهواته واشتري الدنيا بالاخره. ومن استسلم لشهواته لا بد ان ينقض عهوده ويسير في طريق الغوايه

فلم يعد قادرا علي كبح جماح نفسه والامسك بها وضعف امام عنادها وزغ عن طريق الحق فجعلته عبدا لشهواته ولهذا نجد هذا التعبير الدقيق في تصوير حاله بقوله تعالي (ولكنه اخلد الي الارض واتبع هواه)

فالايه تبين صورته السقوط في الوحل بان اختياره للادني لم يكن عن خاطر وحديث نفس ولكنه ميل الي الارض بالكلية فالاخلاذ لزوام الاقامه علي الدوام فهو رغب عن هداه واتباع هواه فصارا تابعا لهواه وسلم قياده امره لهواه

المبحث الثالث

عليك ان تعلم ان الشهوات والغرائز التي خلقها الله في الانسان من الحب للمال والبئنون كما اخبرنا تعالي في موضع اخر فقال (زين للناس حب الشهوات مو النساء والبئين والقناطر المقنطره... الخ

وكذلك خلق في الانسان الخوف والجزع فقال تعالي (ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير

منوعا الا المصلين)

فهذا الغرائز مزوجه التأثير فهي سلم ودرجات اما ان تترقي بصاحبها وترفعه واما ان تهبط به الي اسفل سافلين
فالله قد ابتلي الانسان بهذه الغرائز اختبارا لصدق ايمان المومن وقوه اردته في طاعه ربه بقوه هذا الحب
الغرائزي الذي يسيطر علي نفسه وعقله فما ان تترقي بالنفس للوصول الي النفس المطمئنه او تهبط بصاحبها الي
منزله اقل من مستوي الحيوان فقال تعالي

(مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث)

فالذي فضل ايثار الدنيا علي الاخره والجهل علي العلم والمعصيه

علي الطاعه شبهه بالكلب الذي هو اخس الحيوانات واخسها نفسا وابخلها واشدها قال ابن القيم رحمه شبهه الله
من اتاه الله كتابه وعلمه فترك العمل به واتبع هواه واثر سخط الله علي رضاه ودينياه علي اخرته والمخلوق علي
الخالق بالكلب الذي هو اخس الحيوانات واشدها حرصا واسقطها نفسا فمن شده حرصه انه لايمس الا عظمه في ا
لارض يشمم ولايزال يشمم دبروه دون سائر اجزاء جسمه واذا رميت له بحجر رجع اليه ليعظه من فرط بهميته
وهو من احقر الحيوانات وارضاءها بالدنايا والجيف القذره واذا ظفر بميته تكفي مائه فانه لايدع كلبا يتناول منها
شئيا ومن عجيب امره وشده حرصه انه اذا راي صاحب ثياب رثه حمل عليه كانه يتصور مشاركته له او منازعته
في قوته واذا راي صاحب هيبه حسنه وثياب جميله خفض راسه الي الارض ولم يرافعه

فهو شديد اللهث سواء طارده ام لم تطارده

المهم هنا ان تفهم ان من سقط في مستنقع الشهوات واتباع الهوي فان الشهوات تجعله ينحط الي اسفل
السافلين لماذا

لانه تعامل من اجل اشباع شهواته وبالتالي فهو يقع اسيرا الشهوات وكم اغري المال طلبه الي السرقة وارتاب
الجرائم لاجل جمعه وكم اغري الشح صاحبه لجمع المال وصار عبدا له يحراسه ولايتوقف عن اللهث بطلب المزيد
منه ويغريه علي الجراهه علي الله ليحظي بحب المال او النساء فلايبالي بغضب الله وانما يبالي بغضب من
يتصور انه بيده ان يشبع رغباته كما قال تعالي (واتبعوا من لم يزد له ماله وولده الاخسارا)

ولهذا حذر الله من فتنه المال والبنون فقال تعالي في موضع اخر (انما اموالكم واولادكم فتنه والله عنده اجر
عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون)

فتقوي الله فيها الفلاح والنجاح وتزكيه النفس بمجاهديتها هو وسيله التخلص من الاخلاط الرديئه للارتقاء بـ
النفس وتكبيرها فالاسلام لايحارب الشهوات وانما ينظمها فتكون في اطار طاعه الله تعالي

الاسلام دين فيه التوازن بين متطلبات الجسد ومتطلبات الروح ولهذا يقول النبي صلي الله عليه وسلم (ثلاث من
كن فيه وجد حلاوه الايمان. ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره
ان يعود في الكفر بعد ان انقذه الله منه كما يكره ان يقذف في النار)

وحلاوه الايمان تعني تذوق طعمه فهذه لايعرفها الا المومنون بالذوق التي تحصل في القلب لذه ومتعه وسرور
فهذه الحلاوه يحس بها المومنون حقا فهي تحمل صاحبها علي تحمل مشاق الطاعه وايثار ذلك علي اغراض الدنيا
فالمحبه لله والمحبه لرسوله لاجله تعالي ومحبه الاعمال الصالحه هي كمال التوحيد

ولهذا فان المراد بالمحبه محبه الاختيار لاحب الطبع حيث يجد بها حلاوه الشئ لانه تابع للمحبه لان من احب
شي فانه يجد اللذه والسرور بالقيام به والوصول اليه ولذلك فهو يعمل الاعمال التي من اسباب الوصول الي من

يحب ولو كانت شاقه فلا يحس بمشقه القيام باعمالها لان الحب جعله يجد لذه في القيام بذلك ولهذا فان الايه ترسم لنا فساد قوه المحبه لدي هولاء فقد تعلقت نفوسهم بالدنيا واخذوا لها ولهذا فهم مثل الكلب الذي يبحث عن شهواته

فهو منقطع الفواد يلهث بصفه دائمه في حال ازعاجه وتركه وهكذا هو حال من يترك الهدي فانه لافواد له وان فواده منقطع اي ليس له فواد يحمله علي الصبر علي الدنيا فهو يلهث علي الدنيا من قله صبره والكلب يلهث من قله صبره علي الماء فالكلب اقل الحيوانات صبرا علي العطش فاذا عطش ياكل التراب او البروز وان كان اكثر صبرا علي الجوع فهو اشد الحيوانات لها قائما وقاعدا وواقفا لشده حرصه فحراره الحرص فيه موجب اللهث وكذلك فان الانسان قليل الصبر لايفلح في مجاهده. نفسه فالنفس كلما تعلقت بحفظها واهواها ازدادت حاجه العبد للصبر لان النفس عنيده وتضغط علي صاحبها لاشباع رغباتها ولهذا فان الذي يفقد التحكم في نفسه. فان النفس تدفعه للهث وراء الشهوات وبالتالي فلا تنفعه الموعظه والنصيحه فهو يلهث سواء نصحته او تركته. ولم تعظه فهو يلهث فهذا من ضعف اليقين فهو لايجد السعاده ولايجد ما يشبع به رغباته حتي يهلك فالله بحكمته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط وذكر ان ابن مسعود قال (اليقين الايمان كله و الصبر الايمان)

ثالثا

تاتي الايه مبينه ان هذا المثال هو لتعرف حال من كذب بايات الله فقال تعالي (ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) ففي ذلك العظه والعبره كما قال تعالي (لقد كان في قصصهم عبره لا ولي الالباب) وقال تعالي (تبصره وذكرني لكل عبد منيب)

فالامله هنا تفصح عن المراد من الامر بتلوه هذا النبء بان المراد من القصة ان تاخذ ماوراء النبء والامر يحتاج الي التفكير والتدبر لاستنباط المفاهيم ولهذا عقب بقوله لعلهم يتفكرون

فالامثال للاتعاظ والاعتبار ولكن. لاينتفع بها الا من يفكر كما قال تعالي (وما يعقلها الا العالمون)

والعلم مراد به الاعتبار والاتعاظ والعمل فمن تعلم ولم تظهر اثار العلم في سلوكه فان هذا اسوا من الحيوانات

فالعلم النافع هو الذي يكون به انماء النفس وتزكيتها من الاوساخ فالعلم هو الذي ينتج ثمراته ويتحول الي واقع حياه اما الذي ياخذ العلم من اجل التباهي والتفاخر او لاغراض الدنيا كتطويع الدين لمصلحه الشخصيه ومساعدته الطغاه من خلال الفتاوي الظالمه وتبرير انتهاك المحرمات فان هذا العلم ولذته الدنيويه لايشبع رغبات صاحبه فهو يظل لها وراء الدنيا واملذاتها الخسيسه مثل الكلب دون فائده فقال تعالي (ساء مثل القوم الذين كذبوا باياتنا وانفسهم كانوا يظلمون) فهذا اسوا مثال بان شبهوا بالكلاب التي لاهمه لها الا في تحصيل اكله وشهوه فعليكم ان تفكروا هل هنالك اسوا من هذا المثال مثلا فهل هنالك اسوي من الانسلاخ عن الهدي هل هناك اسوا من اللصوق بالا رض واتباع الهوي فمن خرج عن الهدي والعلم واقبل علي الشهوه واتبع هواه صار مثل الكلب وبئس المثل القبيح معله فهو مثل الكلب لاينتفع باللهث الا العناء والتعب لانه ظالم لنفسه بعدم استفادته من العلم

رابعا

تختم الايه ماسبق بقوله تعالي (من يهد الله فهو المهدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون)

المقصود بالهدايه هنا الهدايه الخاصه التوفيق والسداد والنجاح والفوز وهذا يكون بعد القبول بالهدايه العامه والايمان باليقين الذي يتبعه الجهاد مجاهده النفس والشيطان والهوي والدنيا

فاللازم ضبط النفس وكبح جماحها والتحكم فيها والسير في طريق صلاحها وسعادتها بطاعه الله فعليك ان

تحرس الغفور لمنع تسلل الاعداء اليها فالقلب له غفور يتسلل اليه العدو والهوي من خلال الشهوات والشبهات وبالتالي فعليك ان تسد الثغرات بتذكر الله علي الدوام ومجاهده النفس لان الله يهدي من يجاهد ليهدي كما قال تعالي في موضع اخر (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين)

فقد علق الهدايه بالجهد فاكمل الناس هدايه اعظمهم جهاد وهدى الله ورضاه مرهون بالجهد للاعداء الاربعه واخس الناس من ترك الجهد فمن لم يمنع نفسه من ارتكاب المعاصي فانه يضل ويخسر سعاده في الدنيا والاخره ولهذا فان من ترك الجهد يكون من الهدى بحسب ما عطل من الجهد فانت في معركه مع الاعداء فاما ان تنتصر عليهم وتنال الدرجات العلي واما ان تنهزم وتهلك ف الله يقول في موضع اخر (فاما من طغي واثر الحياه الدنيا فان الجحيم هي الماوي واما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوي فان الجنة هي الماوي)

ومن هنا نفهم ان العلم ولو كان باليقين لاقيمه له بدون جهاد النفس علي طاعه الله وجهاد الدنيا بحب الاخره وجهاد الهوي بان تسلم قياده لكتاب الله فيكون الهوي تابعا لمنهج الله فالمنهج الرباني هو الذي يقود حياتك عندها تنتصر علي الاعداء الثالثه النفس والهوي والدنيا وايضا تنتصر علي الشيطان

خامسا

(ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذن لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون)

المبحث الاول

ماهو معني (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) وما المراد بالعطف والقسم (بقد) واللام في قد وفي جهنم ؟

الذره بمعني الخلق لقوله تعالي (وجعلوا لله مما ذرء من الحرث والانعام)

ولهذا وقع الكثير من العلماء في اشكال تفسير وتاويل الايه وبماهو غريب المنطق فهناك من نسب لسعيد بن جبير قوله ان اولاد الزنا ممن ذرا الله لجهنم

وهذا القول يتنافي مع واقع الحال لانه ثبت صلاح بعضا منهم

ولكن الواضح من سياق الايه انها اخبار من الله تعالي انه تعالي مثلما جعل للخير والهدايه اهلا وانصارا وهم الذين يهتدون بما جاء به الانبياء والرسول من ربهم اي المنهج فانه تعالي قد جعل للشر والضلال اهلا وانصارا ودعاه وهم الذين يرفضون القبول بمنهج الله ويتبعون الشيطان فانقسام الناس لفريقين اهل الهدايه واهل الضلال لان الله مثلما خلق للجنة اهلا يوهلهم للوصول والاستقرار فيها والتنعم بما فيها من نعيم فقد خلق للنار اهلا جعلهم مؤهلين لاستحقاق عذاب الاخره لعملهم بعمل اهل النار فالايه معطوفه علي جملة (واتل عليهم نباء الذي اتيناه اياتنا فانسلك منها) والمناسبه ان صاحب القصة المعطوف عليها انتقل من الايمان والهدى الي الكفر والضلال مع انه كان عالما ولان الله اخبر في موضع اخر ان الهوي وحده لا يستقل بفعل السيئات الا مع الجهل ذلك ان صاحب الهوي اذا علم قطعا ان ذلك يضره ضررا راجحا انصرف عنه النفس بالطبع لان الله جعل في النفس حبا لما ينفعها وكراهيه ونفور مما يضرها فلا تفعل ما تجزم انه يضرها فلا تفعله الا لضعف عقلها ولهذا فان الهوي يدفع صاحبه لا ستماع تزين الشيطان الذي يصور السيئات بانها حسنة ويذكر للنفس ما لها من المحاسن كما فعل ابليس مع ادم وحواء فقال (يا ادم هل ادلك علي شجره الخلد وملك لا يبلي) ولهذا اجمع الصحابه علي ان كل من عصي الله فهو جاهل ولهذا فان الجهل نوعان الاول المضاد للعلم مثل الذي يجهل الاحكام هل هي حلال ام حرام فهذا اذا عرف الحق وتبين له اتبعه وعمل به فهذا هو الذي يحدث له القران ذكرا المشار اليه في قوله (وكذلك تفصل الايات

ولعلمهم يرجعون)

اما النوع الثاني فهي فقدان الخشيه من الله فلا يخاف العاقبه

فمن لم يدفعه العلم بما انذرت به الرسل الي الخوف من عقاب الله

فانه لم يكن عالما ب الله لان العلم يوجب الخشيه ويدعو الي عمل الحسنات وترك السيئات فالعالم ب الله وانه مسافر الي الله والدار الاخره فان هذا العلم يولد فيه قوه دافعه لطاعه الله شوقا للجنه ولهذا فانه لا يحس بمشقه التكليف وهذا الشوق يقمع قوه الشهوات ويجعل قوه الحب زاد تمده بالصبر فتكون الطاعات غذاء روحاني يمد به الطاقه والنشاط وكذلك فان ذلك يخمد الشهوات وتتصل النفس بربها فترتقي النفس الي النفس المطمئنه الزاهده عن الدنيا وهذه من قوه العزيمه وكذلك فان الاشفاق من عذاب الاخره والنار فانه يجتنب المحرمات ولهذا فهو يتراقب الموت بالمسارعه في الخيرات وبهذا تقوي الهمة ولهذا اختتم الايه السابقه بقوله تعالى (من يهد الله فهو المهتدي ومن يضل فالولئك هم الخاسرون) والايه وردت تعقيبا علي من ضل بعد الهدي وكان منه الغفله بعد العلم لان الهوي تغلب علي العلم فلم ينتفع بالعلم بالحق الذي يتضمنه التذكر ولم يستطع دفع الهوي لعدم وجود الخشيه المانع من اتباع الهوي فمشكلته ليست العلم والتذكر بل

عجزه عن تحويل العلم النظري الي واقع حياه لعدم الشعور بوجود الله وعدم التصديق بعقاب الله لان دفع الهوي انما يكون بالخشيه فاذا حصل ذلك ابصر القلب وعلم لكن هذا الشقي اختار الدنيا علي الاخره فلم يكن عاملا لا خرته ولم يكن مريدا للجنه ولم يسعى لها سعيها فنفسه خسيسه اختارت الدنيا ولما كانت الارداه والعمل من لوزام النفس وهي اساس القوه العمليه الارديه فان ضعف هذه القوه وفسادها اوقعه في غضب الله تعالى فسعاده الا نسان التامه موقوفه علي استكمال قوته العمليه والاردايه فهو كان عالما بربه واسماءه وصفاته وافعاله والطريق الموصل اليه.... لكنه لم يستكمل قوه الاردايه العمليه والتي لا تحصل الا بمرعاه حق الله علي العبد والقيام بها اخ لاصا وصدقا واحسانا ومتابعه وشهودا لمنتته تعالى عليه ولهذا يستحي ان يقابل الله علي تقصيره واخبرنا الله تعالى انه لاسبيل الي استكمال القوتين الا بمعونته تعالى فالعبد بحاجه الي هدايه الله الي ما هدي اليه اولياءه الذين هداهم الي الصراط المستقيم وان يجنبك الخروج عن ذلك الصراط وان يمدك بالصبر والنشاط والعبات فلا سبيل للاستقامه علي الصراط الابهديته تعالى ولهذا ندعوا الله في الصلاه بذلك كلما قمنا الي الصلاه اثناء قراءه الفاتحه حيث نبدا بالحمد لله والثناء عليه وبرحمته ثم نتوجه بذكر اننا نعبده وحده ونستعين به وحده فنقول (ايك نعبد وايك نستعين) ونختتم بالدعاء (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)

و الصراط المستقيم هو الطريق الموصل الي الجنه والي الفلاح والنجاح الذي عرفه الله لمن انعم عليهم من النبيين والشهداء والصديقين والصالحين ولهذا فالعبد بحاجه معونه الله له ان يهديه الي هذا الطريق يحتاج الي معونه الله وهذا فضل من الله تعالى فهو تعالى قد ارسل الرسل وانزل الكتب وازاح العلل ومكن من اسباب الهديه و الطاعه وهذا الابصار والسمع والعقول وهذا عدله تعالى ووفق من يشاء لمزيد من عنايته و توفيقه وهذا فضله لان الانحراف الي احد الطريقين انحراف الي الضلال الذي هو فساد العلم والاعتقاد وهذا ناتج عن فساد القوه العمليه او الانحراف الي الطرف الاخر الذي سببه فساد القصد والعمل و فساد قوته العمليه الاردايه فيوجب له الغضب فعدم التوفيق جزء للعبد اما ان يكون جزء او عدم صلاحيه المحل لاستقبال الهدايه وهذا يكون بفساد القوه العمليه النظرية وهذا يودي الي الضلال ولهذا ختم بقوله (من يهد الله فهو المهتدي ومن يضل فالولئك هم الخاسرون)

فالتوفيق والسداد والنجاح لمن اراد المولي فضل منه تعالى وعنايه لمن اراد وهو سبحانه وتعالى وان اضل من شاء وقضي بالغي والضللال والخساره علي من شاء فذلك محض العدل في حكمه لانه وضع الاضلال والخذلان في موضعه اللائق ف الله من اسماءه العدل وكل افعاله واحكامه سداد و صواب ولتأكيد استحقاق هولاء للخذلان والا

اضلال والتخلي عنهم جاء العطف للجمله علي ماقبلها

فقال تعالى (ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس)

لتاكيد الخبر المتعلق بعدله تعالى في حكمه بلام القسم وبقد. لقصد تحقيقه لان غرابته تترك سامعه حال الذهن منه منزله المتردد في تاويله لان المخبر عنهم قد وصفهم بان لهم قلوب لا يفقهون بها فارد بهذا الايضاح

الامر الاول

انه سبحانه تعالى عادل فقد اوضح السبل وارسل الرسل وانزل الكتب وازاح العلل ومكن من اسباب الهدايه و الطاعه بالعقول والاسماع والابصار وهذا عدله ووفق من شاء بمزيد عنايه فمن اراد الله ان يوفقه ويعينه فهذا فضله وانه تعالى خذل من ليس باهل لتوفيقيه وفضله وخلي بينه وبين نفسه ولم يرد الله تعالى من نفسه ان يوفقه فقطع عنهم فضله ولم يحرمهم عدله وهذا نوعان

ان يكون ناتج عن فساد قوه الانسان العمليه القصد والعمل فهذا موجب لغضب الله تعالى فيكون المنع والحرم من الهدايه الخاصه

الامر الاول

عقوبه للعبد علي اعراضه وايثاره المعصيه علي طاعه الله وايثاره الدنيا علي الاخره وايثاره الجهل وتناسي ذكر الله والجحود لانعامه علي العلم والتذكر والخشيه وشكر الله فهو اهل ان يخذله الله تعالى ويتخلي عنه وهؤلاء مغضوب عليهم

وهذا النوع ماتناولته الايه السابقه بقوله تعالى (ولوشننا لرفعناه بها ولكنه اخلد الي الارض واتبع هواه... الخ

ولهذا ذهب البعض للقول ان اللام في لجهنم لام العاقبه والصوره لبيان ان الجزء من جنس العمل فالنفس لابد ان تتحرك لان الاراده والحركه من لوازمها فانها حيه طبيعيه لكن سعادتها ونجاتها انما تحقق في الحياه النافعه الكامله فاذا عرفت الحق واحبته وارادته وعبدته فذلك من تمام انعام الله عليه والافهي بطبعها لابد لها من معبود فاذا انصرفت عن الله واخذت الي الارض فانها تعيش في ضنك الدنيا وعذاب الاخره فيكون الخذلان والاضلال والخساره الفادحه لان كل مالها من الحياه موجب لعذابها فلا هي متنعمه بالحياه الدنيا لانه وصفه مثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وان تتركه يلهث ولاهي ميتة مستريحه من العذاب فكان الخذلان. عقوبه له لانه عاش حياه البهائم وبالتالي فهو يعيش في ضنك الدنيا وعذاب الاخره التي اعداها له فهي العاقبه التي يصير اليها

الامر الثاني

ان تكون اللام هنا في قوله (لجهنم) هي لام التعليل وهذا الارجح لان الايات تتناول النوع الثاني من الخذلان والاضلال عطا علي ماسبق من قصه من انتقل من الهدى للضلال : بانه تعالى لايشاء ان يوفقه ابتدا لما يعلم انه لا يعرف قدر نعمه الهدايه ولايشكره عليه ولايئني عليه بها ولايحبه فالمحل غير صالح لاستقبال نعمه الهدايه فقضي علي هذه النفوس بالاضلال والمعصيه وذلك محض العدل كما تقتل الحيه والكلب العقور (نقلا من كتاب الفوائد لابن القيم بتصريف)

ولهذا جاء باللام (لجهنم) لام التعليل اي خلقنا كثير لاجل المكوث في جهنم وهي مستعمله في هذا السياق في الافعال الموجهه لها بعلاقه السببيه لانهم خلقوا لاعمال الضلاله المفضيه الي المكوث في جهنم ولم يخلقوا لاجل جهنم فلا يقصد ايجاد خلق لتعميرها وعلي هذا فان اللام ليست للعاقبه باعتبار ان الايه تتناول بيان انه تعالى لايشاء لهم التوفيق لما قد علم في علمه الازالي المكشوف من نفاذ علمه ان هولاء لايقدرنون نعمه الله ف

المحل غير صالح لاستقبال النعمه وهذا العلم ازالى غير متوقف على زمان ولا على حركه ينشا بعدها الفعل في ع
الم العباد الحادث

وهذا العلم ليس هو الذي يدفع هذه الخلائق الي الضلال الذي تستحق به جهنم وانما الخذلان عائدا لعلمه بان
انفسهم غير صالحه لقبول النعمه ولهذا قال بعدها (لهم قلوب لا يفقهون بها... الخ

لتفهم من هذا ان هولاء الناس لاياتي منهم الا اعمال وافعال اهل النار فكان التعبير بالخلق (ذرانا لجهنم) للدلاله
على تمكنهم مما يوهلهم لدخول النار ولهذا كان تقديم الجار والمجرور على المفعول في قوله تعالى (لجهنم
كثيرا) وهي متعلقه ب(ذرانا) ومعنى ذلك خلقنا الكثير لاعمال الشر المفضيه الي النار لتفهم ان الخذلان وعدم
التوفيق ليس بمجرد المشيئه التي لاسبب لها وانما سبب ذلك عدم اهليه المحل فهو سبحانه وتعالى خلق المحال
متفاوته في الاستعداد والقبول فالجمل مخلوق لاجل حمل الاثقال وغيرها من الامور ولهذا فان اقصى ما يفعله
ويقدر عليه هو حمل الاثقال فهذه هي الغايه التي خلق لها وهذه الفائده من قواه وتلك هي استعدادته وهي
تختلف عن الجماد فلا تقبل ما يقبله الحيوان. وهكذا هنالك تفاوت في الاستعداد والقبول واما الانسان

فقد شاءت حكمه الله سبحانه وتعالى ان يكون للنفس قابليه التوجيه للخير او الشر وجعلها فيها قوي من شانها
افساد الانسان لانها تميل احيانا للشهوات قال تعالى (فالهتما فجورها وتقواها) فالانسان في معركه مع باطنه
ومافيه من قوي متحاربه بين الجسد والروح معركه بين الخير والشر كلا منهما يريد ان يمسك بزمام قياده الا
نسان فالروح والقطره تدعوا الانسان الي الخير وهذه هي قوي العلم الايمانيه العقلية المنطقية فاذا استجاب لنداء
القطره والعقل فانه يعود الي الوضع الطبيعي الذي خلقه الله عليه وميزه على سائر المخلوقات لكن اذا تغلبت قوي
الشر وتولت قياده الانسان فانها تطمس اشعاع الروح المضيه وتهبط بالانسان الي مستوي اقل من الحيوانات
لماذا لانه لا يستخدم طاقاته الروحيه ولهذا وصفهم الله بقوله تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون
بها ولهم اذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون) ولهذا فان الخذلان لعلمه تعالى ان
المحل غير صالح للنعمه فقد علم الله من قلب هذا العبد اي محله لاتناسبه النعمه المطلقه فهناك مانع يمنع وصول
النعمه ولهذا اخبر ان محلهم غير قابل للنعمه كما قال تعالى في موضع اخر (ان شر الدواب عند الله الصم البكم
الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون)

فقد ترجحت في نفوسهم دواعي الشهوه والغضب على الفطره برغم ان دلائل الحق في نفوسهم ولكنهم يتصرفون
وفقا لاهوائهم وكانهم خلقوا لجهنم وكانهم لم تخلق فيهم دواعي الحق في الفطره فاسباب الخذلان عائدا للنفس
ذاتها فهي غير صالحه لاستقبال النعمه لانها غير صالحه للارتقاء الروحي الذي يتطلب التخلص من الخلط الردييه
بحيث يكون لديها استعداد لقبول النعمه ومعرفتها وشكر المنعم والقيام بواجبها وهؤلاء علم الله انهم المحل فيهم
غير قابل للنعمه وليس اهلا لها ولهذا لم يشاء ان يهديهم وهذا عدل من الله تعالى

المبحث الثاني

سبب تقديم الجن على الانس في الايه :

هذا لان ابليس هو مؤسس مدرسه الشر وهم من سعوا للاضلال في بدايه الامر فهم القاده وائمه الضلال ولما كان
المتبوعين اول من يدخل النار فقد ابتدا بالجن ثم ذكر الانس لانهم تابعين للجن

والجن خلق غير الانس وظاهر النص انهم عقلاء وانهم مطبوعون

على ما خلقوا لاجله من نفع او ضر او خير او شر وهذا الخلق لا يوجد لدينا تفاصيل عنه غير ما ذكر بالقران

ولهذا فان قوله تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها .. الخ

حال اوصفه لخصوص الانس لانهم الذين لهم عقول وقلوب وعيون واذان ولم يعرف هل للجن مثل ذلك ام لا ولهذا فان تقدم ذكر الجن علي الانس في الذكر يتعين معه ان الصفات الوراده بعد هي صفات الانس بقريته قوله تعالي (اولئك كالانعام)

المبحث الثالث

تبين الايات اوصاف هولاء الذين لم يشاء الله هدايتهم فقال تعالي

(لهم قلوب لايفقهون بها ولهم اعين لايبصرون بها ولهم اذان لايسمعون بها)

الصفه الاولى

(لهم قلوب لايفقهون بها)

الفقه هو الفهم فدل هذا علي سقوط الوعي منهم فهم لايدكرون ما ينفعهم ولا ما يضرهم يتصرفون كمن لايرجو ثوابا ولا يخاف عقابا

الصفه الثانيه

(ولهم اعين لايبصرون بها)

الاعين لاتنظر لدلائل قدره الله واياته في الكون نظره تامل واعتبار لايبصرون ما ينفعهم ولايبصرون طريق الحق وسبيل الرشاد

الصفه الثالثه

(ولهم اذان لايسمعون بها)

اي لايسمعون موعظ القران سماع تدبر وتفكر فهي لاتؤثر فيهم

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ان الله عادل في حكمه فقد ارسل الرسل وانزل الكتب وازاح العلل وامدهم بادوات معرفه الحق المساعده علي العلم به وهي القلوب والاذان والابصار وبالتالي فلا عذر لهم لانهم عطلوا الحواس ولم يستعملوها فيما خلقت لاجلها فالانسان مخلوق متميز علي سائر المخلوقات ولهذا فان التاثر بالشريعه الحقه انما يكون باستعمال الملكات فيما خلقت له بمعرفه حقوق الله وحقوق بني جنسه. حقوق غيره فيكون التفاني في خدمه البشريه لاجل ارضاء الله فالانسان مخلوق لعباده الله ومعرفته ومحبته وتوحيده وقد منحه الله ملكات واعضاء وكلف كل عضو وجزء وملكه من ملكاتك للقيام بمعرفه الله ومحبته وعبادته وتوحيده ولهذا فذروه الكمال لها هو الاتصال بالله وان تظل مفتوحه وان تودي كل منها الوظيفه التي خلقت لاجلها فلا يجوز مثلا استعمال حاسه النظر لمعرفه ذوق وطعم المر او الحلو لان ذلك من مهام اللسان فهي اداه الذوق والطعم

يقول الله ان هولاء لم يقدورا النعمه التي انعم الله بها عليهم فهم ليسوا اهلا لنعمه الهدايه لان المحل غير صالح

فهم لم يفتحوا قلوبهم لاستقبال انوار الهدايه وفهم ما فيه فقد اغلقوا القلوب ومنعوها من ان تصل اليها اداله الهدايه فقلوبهم مغلقه باقفال الشرك والضلال كما قال تعالي (علي قلوب اقفالها)

ولهم اعين ولكن مغلقه لاتبصر ايات الله المشهوده الداله علي حسنه وجماله واحسانه والداله علي قدرته وعظمته وجلاله

ولهم اذان لاتسمع ايات المتلوه وتتدبر مافيه من احكام فقد عطلوا الحواس التي ترشدهم الي مافيه منافعهم ولهذا وصفهم بانهم (اولئك كالانعام)

لان البهائم لم تكلف الا بخدمه الانسان ولهذا فهي تاكل وتشرب وتتناكح اما الانسان فهو مميز عن الحيوانات بـ العقل والفطره وحرية الاختيار ولهذا فعندما يسقط عنه الوعي بربه وعندما تنحرف الفطره عن الحق فان ذلك يودي الي تعطيل الحواس عن مهمتها التي خلقها الله لتكون عوناً للانسان علي معرفه الحق واتباعه فالله يقول في موضع اخر (وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئده فما اغني عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شي اذ كانوا يجحدون بايات الله وحق بهم ما كانوا به يستهزون)

ولهذا فهم اضل من الحيوانات لتعطيلهم الحواس وترك الهدايه التي جاء بها الرسل

الامر الثاني

عليك ان تفهم ان قيمه الاشياء هو بمنفعتها وثمرتها وفائدتها لا بمظهرها فالمولي سبحانه وتعالى ذم تعطيل الكفار الانتفاع بالقلب والعين والاذن فقال تعالى (لهم قلوب لايفقهون بها ولهم اعين لايبصرون بها ولهم اذان لايسمعون بها)

فلم ينفي وجود صوره الادوات والالات بل اكد وجودها انما هي صورته بلا منفعة منها فاصبحت بلا فائده فالقلوب خلقها الله لتعي وتعقل وتفهم الغايه من وجودها وتعرف الحق من الباطل والاعين لتبصر دلائل الحق والاذن لتسمع الحق سماع تدبر وايمان ولهذا قال بعدها (اولئك كالانعام) جمله مستأنفه فجعل هذا الابتداء بالكلام لاجل شد الانتباه بما سوف يخبرهم به فاستعمل اسم الاشاره للتنبه بما سيذكر بعده وهو تسويتهم بالانعام في عدم الانتفاع بما ينتفع به العقلاء فكان قلوبهم واعينهم واذانهم قلوب انعام واعين انعام واذان انعام ذلك ان البهائم السارحه لها قلب ولها عين ولها اذن لكنها لاتفقه مايقال لها ولاتفهم ماهو الصالح وماهو غير الصالح ولاتمييز بين الخير او الشر ولها عين ولها اذان لكنها لاتفهم النداء فهي لاتسمع الا صوت كما قال تعالى في سوره البقره (مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء صم بكم عمي فهم لايعقلون)

اي وصفهم في حال دعائهم للايمان كمثل الانعام اذا دعاها راعيها لاتسمع الا صوت ولاتفقه مايقول ولهذا عليك ان تدرك ان الله انعم عليك بالحواس فلا تعطل عملها وتفقد قيمتها وهذا فيه الاتي

الامر الثالث

عليك ان تفهم انك مخلوق لمعرفة الله وعبادته ومحبته وتوجيهه وان الله قد انعم الله بالعقل والفطره وحرية اختيار وميزك بذلك علي سائر المخلوقات ولهذا فان الادوات التي اعطاك اياه الله والاعضاء لله عليك في كل عضو وجزء من اعضائك امرا وله عليه فيه نهي وله فيه نعمه وله به منفعة ولذو يقول ابن القيم (فان قام لله في ذلك العضو بامرته واجتنب فيه نهيه فقد ادى شكر نعمه الله عليه فيه وسعي في تكميل انتفاعه ولذته به وان عطل امر الله ونهييه فيه عطله الله من انتفاعه بذلك العضو وجعله من اكبر المم ومضرتة)

ولهذا فان كل انسان يملك قلبا لكنه لايعني انه يملك قلبا عاقلا لانه قد الاداه موجوده لكنها معطله لامنفعه منها ولهذا فلا تستغرب ان ترى كثير من البشر يتصرفون كمن لاقلب له ولاعقل ولاتستغرب ان لايستجيب هولاء لنداء العقل والفطره الذي يتوافق مع ما يدعوهم اليه الناصحون فهم لهم قلوب ولكن معطله فقدت منفعتها فهم مشغولون بالاكل والشرب كالبهائم

الامر الرابع

عليك ان تحرص علي فهم الاشياء والتفكر في الايات وتدبر معانيها

انتبه من تعطيل ما انعم الله به من حواس لانك ان فعلت هذا فانت المؤخذ لعدم توجيه اردتك لفهم الامور و التفتش عن الحقائق ف الله يقول (لهم قلوب لا يفقهون بها ... الخ

فلم يقل لهم قلوب لا تفقه وانما قال لا يفقهون بها لبيان انهم الموحذون عن تعطيل توجيه الحواس للبحث عن الحقيقه والتامل والتفكر فكل من له قلب لا يفقه الحق وعين لا تبصره واذن لا تسمعه فانه قد حط من منزلته وكرامته التي فضله الله بها علي سائر المخلوقات وبالتالي فانه يكون كالانعام بل اضل فعجبا لمن اتاه الله قلبا يفقه به وعينا يبصر بها واذنا يسمع بها ثم تراه يتخبط في دورب الضلالات والشرك والكفر فهو مثل البهائم بل اضل لان البهائم تتفادي ما يضرها بحسب ما فيها من غرائز وتطلب ما ينفعها لكن الانسان يقدم علي ما يضره معانده ومكابره مع العلم بالهلاك فقال تعالي (بل هم اضل) فلذلك كانت البهائم احسن حالا منهم

وهذا فيه تنقيص لمرتبه الكفار عن رتبه الانعام فهم اسوا حالا والسؤال كيف يمكن الجمع بين قوله بالتسويه بالا نعام وقوله انهم اضل

المساله الاولى

ان يكون الاضراب (بل) هنا انتقالي لا ابطالي حيث انه ذكر في الاولى تشبيههم بالانعام في اصل الضلال لافي مقدره ثم كان استخدام (بل) للانتقال الي بيان مقدره تنقيصا لرتبتهم بانهم اسوا حالا من الانعام اذا ان الانعام ليس لها سوي الاستعدادات الفطريه ثم تهذيها اما الانسان فقد زواده الي جانب الفطره بالقلب الواعي والعقل المدرك والعين المبصره وزوده بالقدره علي اتباع الحق والهدى وانحراف الي الضلال فاذا اغلق منافذ الهدايه فانه يكون اضل من الانعام الموكوله الي استعدادتها الفطريه فهم اضل من الدواب التي تقوم بما خلقت لاجله ام هولاء فقد عطلوا الحواس التي تساعدهم علي التميز بين الخير والشر والصالح والفاسد والنافع والضرار ولهذا وصفهم بـ الترقى في الضلال مع ما اعطوا من الافهام والعقول المميزه فكيف يطلبون ان يعيشوا حياه البهائم

ولهذا فان بل للانتقال والترقى في التشبيه في الضلال وعدم الانتفاع بما يمكن الانتفاع به ولان قوله كالانعام فيه وجه الشبه موول الي معني الضلال كان الارتقاء في التشبيه بطريقه اسم التفضيل في الضلال فقال (بل هم اضل)

ووجه كونهم اضل من الانعام ان الانعام لا يبلغ بها ضلالها الي الوقوع فيما يودي الي هلاكها فهي مغلا تتجنب الا ماكن الهاويه التي يمكن ان تسقط منها فلا تمشي في الجبال الشاهقه الوعره التي لا طريق فيها وموكد السقوط منها والتردي فلا تسلك الطرق التي فيها فجوات ولهذا استعمل صيغه التفضيل لبيان كيفيه الضلال الواقع فيه الضال ومقدره لانهم حجروا علي عقولهم ومدراكهم ومنعوها من النظر والتفكر والاستدلال علي ما ينفعها وبالتالي فهم اضل من الانعام

المساله الثانيه

ان يكون المراد بالاولي ضلال المتبوعين اي طائفه القاده وائمه الضلال وفي الثانيه ضلال طائفه التابعين و الجنود والمروسين

ووجه كونهم اضل من الانعام انها اي الانعام تنقاد لاربابها وتعرف من يحسن اليها وتجتنب ما يضرها اما هولاء فهم لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم وهم ينقادون لبشر مثلهم

المبحث الثالث

تختم الایه تعلیل ماسبق بقوله تعالی (اولئك هم الغافلون)

الامر الاول

وهذه الصیغه فیها قصر الغفله علیهم وهذا یتناسب مع الاسلوب الذی وصفهم بالواصف المتدرجه من نفی انتفاعهم بمداركهم ثم تشبیهم بالانعام ثم الترقی بانهم اضل فكان التذییل مناسبا للترقی قبله بانهم اضل من الای نعام فكان مجی قصر الغفله جملة تعلیل لقوله بل هم اضل للإشاره الی بلوغهم حد النهایه من الغفله وبلوغهم هذا الحد قید بصیغه القصر الانعانی بانحصار صفه الغفله فیهم بحيث لا یوجد غافل غیرهم بعدم الاعداد بغفله غیرهم لماذا

لان غفلتهم متعلقه باجدر الاشیاء التی لا ینبغی ان یغفل عنها احد

والغفله تعنی عدم الشعور وهذا یرتبط الی التحذیر من اتباع الشهوات لانها تعمی العقل عن الرویه السلیمه بل انها تعطل الحواس وتحجب عن القلب الرویه والفهم فقد غفلوا عن انفع الاشیاء غفلوا عن الایمان ب الله وتركوا اعمال الحواس فیما خلقت له فاستعانوا بها علی ضد المقصود منها فلم یستعملوا الحواس فی عباده الله والایمان به ومحبتة والتی تكون فیها سعاده العبد ولهذا فان غفلتهم هذه تجعلهم مستحقون بان یكونوا ممن خلقهم الله للنار باعمالهم باعمال اهل النار واهمالهم تزکیه نفوسهم

الامر الثاني

علیک ان تحرص علی الیقظه فلا تغفل عن آیات الله فالسعاده ان تظل ابواب ونوافذ القلب مفتوحه تجاه الله لان القلب هو محل الاعتبار والفهم والهدایه ولهذا فان الغافل الذی یغلق ابواب القلب دون الحق او سماعه فهذا الغافل یحرم الفهم والهدایه لانه مغطی بالران التی تكون نقط سواد تحجب عنه الرویه والفهم والسمع فلا یتمكن من قراءه الاشیاء وبالتالي فلا یتاثر بالموعظ ولا تنفع الذکری الا القلب الحی المتیقظ

فالغفله لیس المراد منها الغفله ای الجهل المضاد للعلم فقط بل الغفله التی تمنع دفع الهوی لعدم الخشیه عندما یصبح الانسان یعیش لاجل ان یأكل ویشرب ویتناسل فان هذا السلوك یهبط به الی منزله حیوانات وینبغی حاجزا وسدا بین الانسان و بین الاتصال بریه ولهذا فهو لا یفهم الایات ولا یحس بها وهذه الخطوه الاولی للانحراف ثم انه یرى الایات فی الكون ولكنه یمر علیها دون ان یحدث له ذلك عبره او فهم یشاهد بها احسان الله وحسنه وجماله وجلاله

فلا یتاثر قلبه بما یشاهد ویسمع الایات القرانیه دون ان یرى لها اثر علی مسامعه وقلبه فهذا یعیش مثل حیوانات بل اقل مرتبه منها لانه یعطل الطاقه الروحیه التی اودعها الله فیها ومطلوب منه ان یستعملها فهو اضل من حیوانات لان حیوان لیس مطالبا بالارتقاء الروحی ولا قادرا علیه وانما فطرته القیام باقصی ما خلق له وهو انه مسخر لخدمه الانسان

الامر الثالث

كما ان الایات تبین اعجاز علمی عن حقیقه القلب بقوله تعالی

(لهم قلوب لا یفقهون بها ولهم اعین لا یرى بها ولهم اذان لا یسمعون بها)

فالایه تبین ان القلب محل الفهم والفقه والعلم والوعی والادراك ولهذا فان الناس قد یملكون عقولا لكنهم لا یملكون

القلوب الوعیه القلوب التي استقر فيها عواطف حب الله والخوف من الله فهي تذكر الله عندما تسمع آيات الله في القرآن يحدث لها ذكرا وهذا يعود الي قوه الفهم والعلم التي استقرت في القلب والي قوه الحب لله وآياته والتي تعني قوه علم تذكر وقوه خشيه تدفع الهوي فالقلب له دور في زياده المعرفه وهو يعقل ويبصر ويسمع ف الله يقول في موضع اخر (فانها لاتعمي الابصارولكن تعمي القلوب التي في الصدور)

ولهذا وصف الله من عطل اداء القلب لعمله بانه غافل وقصر الغفله عليهم لان القلب هو محل الوعي والادراك و الفهم وليس المخ او الدماغ كما يعتقد البعض وهذا ما تم اكتشافه حديثا من خلال مراقبه الاطباء لعمليه زرع القلب الطبيعي او القلب الصناعي

حيث لاحظ العلماء انه بعد زرعه قلب جديد في صدر اي مريض

ان النبض يبدأ علي الفور دون ان ينتظر اشاره المخ

مايوكد صحه الايه لهم قلوب لايفقهون بها لان هذا الاكتشاف يوكد ان القلب هو الذي يوجه الدماغ في عمله فكل خليه من خلايا الانسان لها ذاكره في القلب يقول احد الاطباء في زراعه القلب ان تاريخنا مكتوب في كل خليه من خلايا جسدنا

وقد شاهد الاطباء بعد زراعه القلب الصناعي الذي عباره عن مضخه دم تعمل باستمرار وكان اول زراعه في عام 1982م

والذي استمر اربعه اشهر ومات المهم شاهد الاطباء ان كل من زرع له قلب صناعي يصبح بلا عواطف ولا احساس وفاقد للتفكير يقول احد المرضى لقد تغيرت بالكامل فلم اعد افهم ولا ادرك شي لم اعد احس بالعاطفه تجاه اولادي واحفادي الذين كنت احبهم كثيرا لم اعد اشعر بوجود رابطه تربطني بهم لقد فقدت حتي الايمان ب الله واليوم الاخر لم اعد افكر بالمستقبل واتمني ان اموت

فدل هذا ان القلب هو الذي يفكر وفيه العواطف والحب وهذا ما اكده الاطباء فقد ذكرت امره تدعي كليرا سليفيا تم زراعه قلب لها العام 1988 من شاب كان عمره 18سنة توفي في حادث تقول هذا المراه منذو تم زرعه قلب الشاب في صدري بدأت اتغير فاصبحت اميل الي سلوك الذكور وكذلك اصبحت ارغب بطعام لم اكن اطيع رويته وهكذا تغيرت حياتي بالكليه والعجيب انها عندما قابلت اسره المتبرع تبين لها ان تصرفاتها هي نفس تصرفات المتبرع بالقلب (نقلا عن بحث الاعجاز العلمي في الايه)

المهم ان هذه الظاهره تكررت وهو ماجعل العلماء يتوصلون الي وجود ذاكره في القلب عن كل خليه في جسم الا نسان ولذلك بدا العلماء في التسعينات يرقبون التغيرات النفسيه لمن يتم زراعه قلب جديد لهم لمعرفة اسباب هذه التغيرات فاتضح لهم ان هنالك ترددت كهربيسه يبعتها القلب توزي تلك التي يبعتها الدماغ وهو ما جعل العلماء يتبعون مجراها فوجدوا ان الذاكره ليست في الدماغ وانما هي في القلب ومن هنا نفهم قول الرسول صلي الله عليه وسلم الا ان في الجسد مضغه اذا صلحت صلح الجسد واذا فسدت فسد الجسد الا وهي القلب)

فغفله القلب سبب فساد الانسان وانحرافه اسال الله تعالي ان يصلح قلبي وان يرزق بصري البصيره التي اري فيها آيات الله وان يمتع سمعي بقراءه القرآن وتدبر مافيه

القسم الثالث

آيات هذا القسم امتداد لما قبلها فهي تتناول قضيه التوحيد التي استعرضتها النصوص مبينه ان الانسان مغروس فيه العلم الفطري والمحبه الفطريه والتوحيد الفطري ثم تناولت النصوص بيان حاله الانحراف من التوحيد الي الشرك ومن الهدي الي الضلال وتناولت مساله تعطيل الحواس مبينه ان ذلك من اسباب الغفله والضلال

تهبط بالانسان الي مستوي اقل شانا من البهائم وهو ما يقتضي اليقظه

فسعاده الانسان وكماله انما تكون بالاتصال بالله علي الدوام فهذا فيه السعاده في الدراين فقال تعالي (ولله الا
سماه الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسماءه سيجزون ما كانوا يعملون وممن خلقنا امه يهدون بـ
الحق وبه يعدلون والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين او لم يتفكروا
ماصاحبهم من جنه ان هو الا نذير مبين اولم ينظروا في ملكوت السماوات والارض وما خلق الله من شي وان
عسي ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يومنون من يضل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم
يعمهنون)

اولا

ابتدات الايه بقوله تعالي (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسماءه سيجزون ما كانوا
يعملون)

فيها الاتي

المساله الاولى

اثبات الاسماء له تعالي

وهي الاسماء الحسنى وهي التي ذكرها الله في كتابه والنبي صلي الله عليه في سنته وقد ورد عن النبي صلي
الله عليه وسلم انه قال ان لله تسع وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة) وفي روايه اخري من حفظها دخل
الجنة) وهي (هو الله لاله الاهو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر
الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع
البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل
الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الرشيد الحق الوكيل القوي المتين الوفي الحميد
المحصي المبدي المعيد الحي المحيي المميت القيوم الواجد الماجد الاحد الصمد القادر المقدر المقدم المؤخر الا
ول الاخر الظاهر الباطن الوالي المتعال البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والاکرام المقسط
الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوراث الرشيد الصبور)

المساله الثانيه

اثبات كونها حسنى

بيان لعظيم جلال الله وسعه اوصافه يحدثنا فيها المولي سبحانه وتعالى عن اسماءه الحسنى فيخبرنا انه تعالي له
اسماء حسنى كل اسم دال علي ذاته المقدسه وعلي صفه كمال عظيمه ولهذا استعمل صيفه

اسم التفضيل الحسنى لبيان ان اسماء الله كلها حسنى فهي اعلي درجات من الكمال المطلق

المساله الثالثه

الامر باقتصار الدعاء لله سواء في العباده او المساله باسماء الله حيث نجد ان الايه ورد فيها الضمير العائد علي
الله سبحانه وتعالى (فادعوه)

الهاء والمراد بهذا ان الدعاء ايان كان لايجوز ان يتوجه الا الي الله تعالي وان ذلك لا يكون الا باسماءه الحسنى
فقال (فادعوه بها)

فالهاء في (بها) عائده علي الاسماء الحسنی

المسالة الرابعة

ترك الملحدین الذین یتجرون علی الله فی الشریک باسماءه وصفاته وافعاله سواء فی انکارها والوجود بها او جحود معانیها او تعطیلها او تحریفها عن الصواب او اخراجها عن الحق واما بجعلها اسماء لمخلوقات كما فعل المشرکون الذین اشتقوا اللات من الله والعزی من العزیز

المسالة الخامسة

توعد الملحدون بالعذاب والهلاک فی الدنیا والآخره

وهذا فیہ الاتی

الموضوع الاول

ان کمال العبد وسعاده متوقفه علی قوه العلم الحب ای العلم ب الله وحب الله تعالی فکلما کان الانسان عارفا بربه ومحبا له كانت سعاده وکماله اقوی ولهذا لما تناولت النصوص فی الایه السابقه حال من انقطع عن الاتصال بربه بانه صار ادنی منزله من حیوان وحصر علیه الغفله جاء ت الایه تحدثنا عن کیفیه الخروج من الغفله وکیف یستعید الانسان انسانیته وتکریمه الذی کرمه الله وجعله سیدا علی الخلق انما کان بالعلم والروح والتسویه بید الخالق فقد علم ادم الاسماء فقال تعالی (وعلم ادم الاسماء کلها) وبهذا العلم کشف الحق للملائکه مکانه ادم ومنزلته والروح هی مصدر التکریم

ولهذا فان الانسان قد حمل امانه العلم وامانه الخلافه والعلم یعني العلم بالماده والعلم بخالق الماده ولما كانت الغفله نقص للانسان وغياب الدين ومعرفة الرب يجعل النفس تتخذ لنفسها معبودا وحينها تفقد کرامتها التي انما تكون بعباده الله وحده وکیف للانسان ان یعبد مخلوقات من البشر امثاله او جماد او جن او ملائکه وهو الذی فضله الله علی الملائکه وامرهم بالسجود له تکریماً وسخر له الکون کله ان هذا الانحطاط انما یحصل لعدم معرفه الله ولهذا نفهم لماذا یحدثنا الله عن اسماءه الحسنی لان استعادته کرامه الانسان ومنزلته انما تكون بمعرفه الله ومحبه وعبادته وتوحيده وحده لاشریک الله فتحقیق هذه الغایه التي خلق لها الانسان والقیام بحمل امانه العلم بالاسماء وامانه الخلافه اول وسيله للوصول ونیل الغایه هی العرفان الصحیح ب الله تعالی والايمان بالاله الحق القدير الحي القوي العزیز فمن اخطا فی هذه الخطوه فانه ینحرف فی سائر الخطوات ولهذا جاء تقديم الخبر فی قوله تعالی (ولله الاسماء الحسنی) لان تقديم ماحقه التأخیر یفید الحصر فهو تعالی له دعوه الحق فاسماء الله الحسنی هی الحقیقه المطلقه لان الله تعالی هو الحقیقه المطلقه وماغداه الاسماء صور تظهر وتختفي وتجد وتهالك فمل مافی الكون صور تخضع لما تخضع له الصور والحقیقه الباقیه هی اسماءه الحسنی وهي وسر كونها الحقیقه كونها ترمز الي عزته وتشیر الي جلاله والانسان بحاجه للاتصال ب الله ودعائه فالانسان یعيش فی ارض الله خالقه ولهذا فهو بحاجه ان یعرف اسماء خالقه بحاجه الاتصال به کیف له ان یتحرك فی الارض دون اعانه خالقه ولهذا فهو بحاجه الي ان یعرف اسماء خالقه لیدعوه ولهذا فعليك ان تدرك ان حدیث الله لنا عن اسماءه هو کرم منحه الله للانسان انها شفقه ورحمه من الله تعالی الذی احتجبت ذاته المقدسه عن انظار الخلق فکشف لنا اسماءه الحسنی لیدلنا علی طریق الدعاء بها فجعلها الله طریقاً لدعوته والاتصال به تعالی فانت ترى ان الانسان یلتفت اذا ناداه احد باسمه فان رحمه الله تبارک وتعالی تسرع لمن ینادیه باسماءه سبحانه وتعالی عندها ینخرج الا نسان من الغرابه لانه یحس بالاتصال ب الله ولهذا وصفها بانها الحسنی بصیغه المبالغه فاراد منك ان تشعر بلذه معرفه الله ترى حسنه واحسانه وجماله فالانسان مفطور علی حب الجمال والکمال

فالحق یرید ان تفهم وتدرک ان العبد ینقطع عن الله حتی تتصل اردته ومحبه بوجهه الاعلی وهذا لا یتم ا

لا بالرغبة بالمحبوب والشوق اليه بحيث تفضي المحبه اليه وتتعلق به وحده لاشريك فلا يحجبها شي دونه فاراد بهذا تقويه المحبه والشوق لان اللذه تقوي بقوه المحبه وتضعف بضعفها والشوق والمحبه تابع للمعرفه والعلم به وباسمائه وصفاته فمن كان عالما بالله واسمائه وصفاته كانت محبته اقوي وكان اتصاله بها اقوي. وكانت فاعليته ايجابيه فقد ورد عن الرسول صلي الله عليه وسلم في الحديث ان لله تسع وتسعون اسما من حفظها دخل الجنة .. الخ

فالحفظ هنا ان تتصل باسماء الله وصفاته وافعاله فلا تطمس انوراها بالتعطيل او التشبيه يعني حفظ امانتها وحملها وعدم تضيعها بوصفها المثل الاعلي والحقيقه المطلقه فهي هدف المسلم في حياته علي الارض

ويقدر ما يحمل المسلم من اسماء الله الحسني يكون حظه من التوحيد

عندها يحبس الانسان نفسه لله تعالى فهو مطلوبه فلا يخاف احد لانه مومن ان الله مع عباده المخلصين فهو لا يلتفت الي الدنيا وما فيها فهذا يظل ذاكرا لله يقظا وبالتالي فهذا هو علاج الغفله

الموضوع الثاني

عليك ان تدرك انك مكلف بحمل امانه حمل اسماء الله الحسني وهذا يقتضي معرفتها والمعرفه تعني الفهم الصحيح لاسماء الله الحسني

وهو طريق (التعلق والتخلق) والتعلق بالله واسمائه وحده لاشريك له تعني ان تعيش مع اسماء الله تعالى وتتدبر معانيها ليحصل لك القرب من الله وتري جمال الله وجلاله وعظمته سبحانه وتعالى

والتخلق باوصافه لتكون رباني فهذا يعني التحول من الهمجيه الي الانسان ثم من انسان الي انسان اخلاقي ثم من اخلاقي الي رباني وهذا يعني ان تستفيد من دراسته اسماء الله الحسني في تزكيه النفس واصلاح السلوك من خلال صفات التخلق التي نتعلمها من صفات الرب فانت عندما تعرف ان الرب رحيم فان اللازم عليك ان ترحم من في الارض ليرحمك من في السماء عليك ان تتخلق بالعبود عن من اساء لك تخلقا باخلاق الرب واذا كان الرب كريم فان حظك منها ان تتعامل مع الناس بمثل ذلك فهناك اسماء لله يجوز للعبد ان ياخذ من اخلاقها مثل ما ذكرنا

وهناك اسماء لايجوز التخلق بها مثل. الله والرحمن فلا يجوز التخلق بهما وانما يجوز لك التعلق بهما والمقصود بـ التعلق هو التاله ومعني ذلك كما قال حجه الاسلام الغزالي ان يكون العبد مستغرق القلب والههم بالله تعالى لا يري غيره ولا يلتفت الي سواه ولا يخاف ولا يرجو الا اياه

وكذلك فان عليك ان تفهم ان الله قد سمي نفسه باسماء فعليك ان تحسن اختيار الاسم المناسب للدعاء فانت اذا اردت ان تطلب الرزق من الله فقول يارزاق ارزقني ..وياغفور اغفر لي ..ويارحيم ارحمني

فهذا هو الفهم الصحيح لاسماء الله تعالى وليس كما ذهب البعض للقول بان له هنالك خواص للاسماء بالفهم الخاطي لها كما اشار اليه الامام حسن البناء رحمه الله تعالى في كتابه العقائد فقال (يذكر البعض ان لكل اسم من اسماء الله تعالى خواصا تتعلق به وقد يتغالي البعض ويتجاوز هذا القدر الي زعم ان لكل اسم خادما روحانيا يخدم من يواظب علي الذكر به والذي اعلمه في هذا وفوق. كل ذي علم عليم ان اسماء الله تعالى الفاظا مشرفه لها فضل علي سائر الكلام وفيها بركه وفي ذكرها ثواب عظيم وان الانسان اذا واظب علي ذكر الله تعالى طهرت نفسه وصفت روحه ولاسيما اذا كان ذكره بحضور القلب وفهم المعني اما ما زاد علي ذلك فلم يرد في كتاب الله و لاسنه نبيه وقد نهينا عن الغلو في دين الله تعالى والزياده فيها وحسبنا الاقتصار علي ماورد)

والامام البناء حذر من التحريف الذي حصل من البعض نتيجه الغلو في النظر لخواص الاسماء حيث تحول الفهم الصحيح للاسماء الي فهم فاسد عندما حاول البعض استخدام الاسماء الحسني في الدجل والشعوذه والسحر

بمزامع الاتصال بعالم الارواح وهذه المحاولات تخرج صاحبها عن الايمان وهو تحول خطير مثل تحول اليهود من التواره الي الكتب الشيطانيه كما قال تعالي (واتبعوا ما تتلوا الشياطين علي ملك سليمان الخ

وهو ما ينبغي الحذر منه اخي المسلم فلا تدعوا الله الا بالاسماء الحسنی التسعه والتسعين المذكوره وان كان هناك اسماء لانعلمها كما ورد في الحديث (اللهم اني اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك انزلته في كتابك او علمته احد من خلقك او استاثرت به في علم الغيب عندك)

هو

1

ان دعاء الله باسماء الحسنی هي من ابواب الخير ومفاتيح الاستجابه فعلي كل منا ان يحسن طرق الباب عسي ان يفتح الله له الابواب المغلقه

2

ان اللازم عليك ان تعيش مع اسماء الله وصفاته وتدبر معانيها واهم ما يستفاد من دراسه اسماء الله وصفاته هو تزكيه النفس واصلاح السلوك والقرب من الله فعكوف القلب وانايبته علي الله والاشتغال بالله هو الطريق الي الجنه كما قالت امراه فرعون (رب ابن لي عندك بيت في الجنه) فكلما ذكرت الله حصل البناء لمنزلك في الجنه فذكر الله والتعلق به سبحانه وتعالی هي مواد البناء فاذا توقفت عن ذكر الله توقفت الملائكه عن البناء ولهذا فان تعلق القلب وعكوفه علي الله يعني تذوق طعم الجنه وانت في الدنيا عندها تصل الي اعلي مراتب النفس النفس المطمئنه يقول تعالي (الا بذكر الله تطمئن القلوب) ويقول تعالي (يايتها النفس المطمئنه ارجعي الي ربك راضيه مرضيه فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) فحقيقه عكوف القلب تعني العكوف علي محبته وذكره بالاجلال و التعظيم وهذا هو التعلق وعكوف القلب الذي يحدث به الاتصال بالله ويزول بين الذاكر والمذكور حجاب الغفله التي تحدث عند الانشغال والالتفات لغير المذكور العبد وعندها يحصل التخلق بصفاته باصلاح السلوك وتزكيه النفس بالاستقامه علي امر الله بحيث يتصل العمل بامر الله ونهيه فتفعل ما امر الله به وتترك ما نهى بعكوف البدن والجوراح علي طاعته والاخلاص له والمتابعه لرسوله ويتصل الحب والخوف والرجا والفرح والسرور وكل مايخص الانسان بالله عندها يانس بالله ويعيش حياته كلها لله تعالي وحده لاشريك له فهو يتعلق بموصوف بكل كمال

الموضوع الثالث

يامر الله المومنين ان يتركوا الملحدين الذين انحرفوا ويقومون بتحريف اسماء الله فقال تعالي (وذروا الذين يلحدون في اسماءه)

وكلمه ذروا تعني اتركوا فهل معني الامر بان يتركوا الملحدين والسؤال هنا من هم المقصود بالملحدين وهل الامر للمومنين بتركهم يعني عدم مناصحتهم وبيان الحق لهم ثم كيف يكون هذا والمعلوم انه لا يترك الظالم علي ظلمه فلا بد من رده فالامه وصفت بانها خير امه اخرجت للناس لانها تامر بالمعروف وتنهي عن المنكر؟

الامر الاول

تحذر الايه من سلوك اهل الضلال الذين فرقوا دينهم بالانحراف عن منهج الله بالبدع والشبهات فاحدثوا في عقيدتهم ما احدثوا بمخالفه الحق كما قال تعالي (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا الخ

ولهذا فان المراد بالملحدين كل اهل الملل والنحل الضاله (المشركون والوثنيون واليهود والنصاري)

فالاحاد هو التكذيب واصل الاحاد في لغه العرب العدول عن القصد والميل والجوار والانحراف ومنه اللحد في القبر لانحرافه الي جهة القبلة وحقيقه الاحاد تعني الميل بالاشراك والتعطيل لاسماء الله وصفاته كلها او بعضها ويكون الاحاد اما بتكذيبها وانكارها واما بجحد معانيها بتعطيلها او تحريفها واخراجها عن الحق او بالتشبيه وغيرها من الاحوال ولهذا فان المراد من الامر بقوله (وذروا الذين يلحدون) اي اتركوا الملحدين اي لاتسلكوا مسالك الضالين والملحدين ولاطريقهم فانهم علي ضلال كلهم

الامر الثاني

يامر الله تعالي المومنين ان يتركوا مسالك المفترقه من اهل الضلال الذين سماهم الله الملحدين مبينا ان هولاء قد جعلوا لانفسهم ديناً اخترعوه واصوال دين قد ابتدعوها برايهم فاشتقوا اللات من اسم الجلاله الله واشتقوا اسم العزي من العزيز وصار ذلك عندهم ديناً وكذلك فان اليهوديه اتخذت من عقيدته التشبيه ديناً فادي ذلك الي تعطيل الصفات لله وكذلك فعلت النصاري عندما زعمت ان عيسي ابن الله... الخ

و قد قاموا بوضع فلسفه لاضلال الناس بمعتقداتهم الفاسده من خلال تحريف الكتب السماويه لانهم عندما عرضوا اراءهم علي الكتب السماويه لم يجدوا ما يوافق اهواءهم ولهذا اتخذوا طريق التحريف للنصوص والايات وهذا نوع من الاحاد

وكذلك فان المشركون لجأوا الي تغيير ملامح ايات الله التي جعلها في مكه لتدل علي عقيدته الحنفيه التي جاء بها ابراهيم عليه السلام

حيث جعلوا اصناماً حول الكعبه منها اساف ونائله الصنمان الذان وضعت في الصفا والمرواه لاجل اضلال الناس بما يشبهون به عليهم لاجل طمس شعائر الحج التي تحكيها تخليد موقف السعي بين الصفا والمرءه التي تجسيد موقف هاجر التي حملت الرساله التي كلفت بها فقالت لزوجها ابراهيم الخليل عندما تركها وطفلها لم تكن في هذه المنطقه المقطوعه فعندما لم يرد قالت له الله امرك بهذا فقال ابراهيم نعم قالت ان الله لن يضيعنا ولهذا انزل الله قوله في البقره (ان الصفاء والمروه من شعائر الله... الخ

لرفع الحرج عن بعض المسلمين الذين كانوا يتخرجون من الطواف بوجود الاصنام

المهم هنا ان الله يريد منك ان تحذر من طريق الاحاد الذي يسعي لطمس معالم الايمان من خلال التحريف للنصوص واستغلال المتشابهه منها كما فعلت المرجئه والقدرية والباطنيه والفلاسفه والجهميه في العصر العباسي من تحريف تاويل النصوص فجعلوا اقوالهم البدعيه محكمه يجب اتباعها واعتقاد موجبها والمخالف لهم بنظرهم اما كافر او جاهل وليس له علم بالمعقول ولا بالاصوال حيث تمسك الزنادقه بالمتشابهه من القران لتاويلاتهم الفاسده التي انتهت الي تعطيل الصفات فقالوا ان كل محدث لابد له من حادث واطلقوا هذه الاوصاف علي الرب سبحانه وتعالى

وهذا الفساد ناتج عن فساد المقاييس فلا يمكن ان يقاس الخالق في اسماءه وصفاته بالبشر ف الله له صفات الكمال وهو منزه عن صفات البشر

ولهذا فان المولي سبحانه وتعالى يحذرنا من مخالفه منهج الله الذي فيه اسماءه وصفاته تعالى

يقول لنا اعتصموا بكتاب الله ففي ذلك الاصوال التي يكون بها الوصول الي الله تعالى فمن اراد النجاه فعليه اتباع الرسول صلي الله عليه وسلم

يقول انتبهوا من ان اتباع ما احده الملاحده من امورا ظنوا انها اصول وهي باطله شرعا وعقلا فان ذلك موراد للهالك والضياع والحرمان من الوصول لماذا لانهم ضيعوا الاصول فقال تعالى (سيجزون ما كانوا يعملون)

وفعلا عندما وقعت الطوائف في فتنة الفلاسفه والملاحده وخالفوا العقل والشرع سلط الله علي الطوائف وعلي المسلمين عدوهم ودخل التتار بغداد بسبب غلط الملاحده من ابناء المسلمين الذين جعلوا ما افترواه من نظريات اصولا للدين فحرموا الوصول

ثانيا

بعد الامر الالهي للمومنين بان يلتزموا بمنهج الله وان يتركوا مسالك الفرق الضاله يقول الحق (وممن خلقنا امه يهدون بالحق وبه يعدلون)

وهذا فيه الاتي

الموضوع الاول

(اهميه التمسك بالاصوال العابته التي جاء بها الرسل)

يقول الرسول صلي الله عليه وسلم تركت فيكم ما ان تمسكنم به لن تضلوا بعدي ابدأ كتاب الله وسنتي) ولهذا فان الايات فيها التنبيه لامه الدعوه من انتقال داء الامم الضاله الي الجماعه المسلمه مبينه ان ذلك يحدث من خلال البدع والتاويل بالشبهات من قبل الملاحده الذين يجعلون اراءهم اصولا بينون عليها عقائدهم وان خالفت منهج الله فهم يعرضون اراءهم علي الكتاب فان وافق ذلك اراءهم اخذوا به وان خالفه لجأوا الي التاويلات الفاسده والتحريف للنصوص لاجل صناعه اصولا توافق اهواءهم بتطويع الكتاب والسنة لاغراضهم ولهذا يحذر المولي سبحانه وتعالى المسلمين من ذلك السلوك قبل وقوعه يحذرهم وهم في مرحله البناء للصرح الاسلامي بان. اساس البناء ينبغي ان يكون قائما علي التوحيد بالفهم الصحيح للنصوص وان فروع الشجره ينبغي ان تظل متصله بالاصل الذي تفرعت عنه كما قال تعالى (مثل كلمه طيبه كشجره طيبه اصلها ثابت وفروعها في السماء.... الخ

وقال تعالى (افمن اسس بينانه علي تقوي من الله ورضوان خير امن اسس بنيانه علي شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم)

فالكلمه الطيبه لها اصل ثابت في قلب المومن ولها فرع عال وهي ثابتة راسخه لاتزحزح بعكس الكلمه الخبيثه مثل الشجره الخبيثه غير مستقره ولا مكان لها

يقول لنا الحق ان الاصول العابته هي اصول الانبياء لانهم يتلقون العلم بالوحي فهذا هو الطريق المستقيم الذي يهتدي فيه العبد الي الحق والي صراط الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين هذه هي الاصول التي يبني عليها مافي القلوب ويتفرع عليها ولهذا. قال تعالى (وممن خلقنا امه يهدون بالحق وبه يعدلون).. الخ يعني ان هناك جماعه مومنه سوف تتمسك بالعقيده والاصوال العابته فالتوحيد هو الكلمه العابته التي في قلب العبد المومن فهي العقيده الايمانيه التوحيديه فهي كالشجره التي اصلها ثابت وفرعها في السماء فاصل اصول الايمان ثابت في قلب المومن كنبات الشجره الطيبه فالله ضرب مثال مثل فيه الكلمه الطيبه اي كلمه التوحيد بشجره طيبه اصلها ثابت وفروعها في السماء فبين ان لها اصل ثابت في قلب المومن ولها فرع عال وهي ثابتة في قلب ثابت كما يحبب الذين امنوا بالقول العابت في الحياه الدنيا وفي الاخره فهو في نفسه ثابت علي الامر مستقر لا يتحول عليه فكان مناسباً هنا ان يقول (وممن خلقنا امه يهدون بالحق وبه يعدلون) اي يقولون الحق ويدعون الله به ويعملون به ويقضون باحكامه فهي ثابتة علي الاصول التي فيها الهدايه الي الحق. الذي

هو الشي الثابت والهادف وعكس ذلك الباطل الشي الزائل والعاث لاهداف له ولاثبات. فهو مثل الشجره الخبيئه في المعتال الورد في سوره ابراهيم للكافر والمشرک (ومثل كلمه خبيئه كشجره خبيئه اجتعت من فوق) استوصلت واجتعت كما يقطع الشي يجتث من فوق الارض (مالها من قرار) يقول شيخ الاسلام لامكان تستقر فيه ولا استقرار في المكان فان القرار يراد به مكان الاستقرار كما قال تعالى (بنس القرار) وقال تعالى (جعل لكم الارض قرارا) فالمبطل ليس قوله ثابت في قلبه ولا هو ثابت فيه ولا يستقر كما قال تعالى (فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض)

فان الشرك وان امتلك المال والجاه والسلطان وكل مظاهر القوه فانه عند الحقيقه تخونه كالمشرك يضل عنه ما يدعو من دون الله وكذلك الافعال الباطله التي يعتقدها الانسان عند الحقيقه تخونه فهي مثل الشجره الخبيئه التي اجتعت من فوق الارض ما لها من قرار ولهذا يقول الحق (سيجزون ما كانوا يعلمون) ويقول تعالى (والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين)

فالايه تحذر من الاضلال الذي يقع فيه من يتبع الفلاسفه والملاحده الذين يصنعون اصولا اما ان يبتدعونها او من خلال التاويلات الفاسده

فان هذا انما هو استدراج للمكذبين بايات الله وعقوبه وجزء لمن يخالف منهج الله من المفترقه من اهل الضلال التي اخبرنا الله في الايه (ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس.. الخ

فهناك من العلماء من قال ان اللام في (لجهنم) لام المال والعاقبه اي خلقنا خلقا كثيرا منهم شردوا فاستحقوا النار وهنا قال تعالى (وممن خلقنا امه يهدون بالحق وبه يعدلون)

وكذلك خلقنا خلق عرفوا الله وتمسكوا بالاصوال الثابته التي بها سلکوا الطريق الموصل الي الجنه فاستحقوا الجنه ولهذا فان الايه تفصيل لقوله تعالى (من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضل... الخ

حيث ابتدا بذكر بيان من يستحقون جهنم وهم الذين اهملوا استعمال القلوب والاعين والحواس ورفضوا القبول بمنهج الله وانهم كثيرون

ولم يسميهم الله امه لانهم لاتجمعهم في الضلال جامعه ولان الباطل كثير واصنافه متفرقه ولانهم ضيعوا الاصوال الثابته التي يجب ان يجتمع الناس عليها ثم ذكر الله امه الايمان الذين هداهم الله وسماهم امه الحق فهذه الرفعه والتفضيل لها لانها تمسكت بالاصوال الثابته التوحيد فكان لها الاتصال بمصدر العزه بينما اهل الضلال ضيعوا الاصول فحرموا الوصول

يقول شيخ الاسلام

فمن كان معه كلمه طيبه اصلها ثابت كان له فرع في السماء يوصله الي الله فهو القائل (اليه يصعد الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه)

ومن لم يكن معه اصل ثابت فانه يحرم الوصول لانه ضيع الاصوال ولهذا تجد اهل البدع والشبهات لا يصلون الي غايه محموده كما قال تعالى (له دعوه الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشي الا كباسط كفيه الي الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال)

والله سبحانه وتعالى بعث الرسل وانزل الكتب بان يكون هو المعبود وحده لاشريك له وانما يعبد بما امر به علي السن رسله

واصل عبادته معرفته بما وصف به نفسه في كتابه وما وصفه به رسله ولهذا جاء الامر (فادعوه بها وذروا الذين

يلحدون في اسماءه سيجزون ما كانوا يعملون)

وقد نفذ الصحابه الامر فكانوا يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل

وهذا هو المراد من الايه اي ان يلتزموا بالاصوال الثابته وان يتركوا مسالك وطريق المفترقه من اهل الضلال ومنهجهم واصوالهم التي احدثوها وليس المراد ان لانصحهم وندعوهم الي الطريق الصواب

ولهذا قال تعالي بعدها (وممن خلقنا امه يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا بايتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين)

الموضوع الثاني

الايه فيها توجيه لك اخي المسلم ان تلتزم الاصوال الثابته في بناء العقيده واقامه الحياه انتبه من البدع والتاويل بالرأي. فكل رأي مردود الا ماجاء في كتاب الله وسنه رسوله والسير في طريق السلف الصالح

فهذه الاصوال هي التي يجب ان تكون مصدر اجتماع الامه عليها

واللازم عليك ان تترك مسالك وطريق المفترقه من اهل الضلال ومنهجهم واصوالهم التي احدثوها وابتدعوها انتبه من التاويلات الفاسده وعليك ان تلتزم جماعه الحق الفرقة الناجيه من النار فقد ورد في معني الحديث عن الرسول صلي الله عليه وسلم في معني الحديث انه قال تفرقت اليهود الي سبعين فرقه والنصاري الي واحد وسبعين وسوف تتفرق امتي الي بضع وسبعين فرقه كلها في النار الا واحده

ولهذا فان الايه تتحدث عن وصف هذه الفرقة الناجيه بانها امه تجتمع فيها كل الكمالات امه ايمانيه متقيه عالميه تتصف بالكمالات كلها

ولهذا وصفها بانها (امه) للاشاره الي اجتماع الكمالات كلها فيها لان الكمالات للامه بمجموعها فانت تجد فيهم الشجاع وقد لا يكون كريما لكن تجد ايضا فيهم الكريم وتجد فيهم المحسن وتجد فيهم من يحب خدمه الناس ف الكمالات موزعه بين افرادها فمجموع الكمالات يشكل امه ولهذا وصف الله ابراهيم بانه كان امه كما قال تعالي (ان ابراهيم كان امه قانتا لله حنيفا وما كان من المشركين)

والرسول صلي الله عليه وسلم كان امه كونه معصوم وقد قال لاتجتمع امتي علي ضلاله ويد الله مع الجماعه

ولهذا فان شجاعته وقيادته ورحمته وعطفه صلي الله عليه وسلم وكل المناقب التي فيه كلها كمالات شموليه في شخصه ولا يمكن ان تجتمع في شخص واحد غيره وانما كمالات الامه باجتماع تلك الصفات في الامه فالامه معصومه بمجموعها ولهذا اخبرنا عن هذه الامه التي تجتمع فيها الكمالات امه محمد صلي الله عليه وسلم فهي تدين بعقيدته واحده ثابتة علي عقيدته التوحيد وما جاء به الرسول صلي الله عليه وسلم من ربه ثابتة علي الحق فهم يهدون بالحق ويدعون غيرهم اليه يسعون الي تحويل العقيدته الي واقع حياه بتنفيذ احكامه وتطبيقها علي واقع الحياه لهم مواقف ايجابية يحافظون علي الامانه ويحرسونها ويقومون بواجب الذود عنها لايتوقعون علي انفسهم ولا ينزون بالحق الذي يعرفونه بل يقومون بنشر الحق والخير ومحاصر الشر يدعون غيرهم للحق ويسعون الي اقامه حكم الله وتحويل المعتقد الي واقع حياه فالتوحيد هو الذي ينظم حياه الناس السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعيه يسعون الي اقامه دوله الموحدين وتغيير واقع الحياه لتكون وفقا للصوره التي يريدتها الله لعباده وهذا فيه

المفهوم الاول

ان دعاه الحق عليهم ان يختلطوا بالناس ويصبروا علي اذاهم لان مهمتك هو تنميه جوانب الخير ومحاصره جوانب الشر ولهذا فان ذلك لا يتحقق اذا كان الدعاه متقوقعون علي انفسهم ومنعزلون عن المجتمع من حولهم ومنزون بالحق فان هذا يجعل الخير محصورا ويجعل الشر يمتد ويقوي

ولهذا فان دعاه الحق اجتماعيون يعيشون هموم المجتمع والالام التي يعاني منها المجتمع تولمهم ويسعون الي ازالته

المفهوم الثاني

والايه فيها توجيه بلزوم الجماعه ولكن عليك ان تفهم ان المراد به لزوم الحق واتباعه وان كان المتمسك به قليل و المخالف له كثير لان الحق هو الذي كانت عليه الجماعه الاولي في عهد النبي صلي الله عليه وسلم واصحابه ولا نظر الي كثره اهل البدع

وقد ورد عن عمر بن ميمون الازدائي انه قال صحبت معاذ باليمن فما فارقتة حتي واريته في التراب بالشام ثم صحبت بعده افقه الناس ابن مسعود. فسمعتة يقول عليكم بالجماعه فان يد الله مع الجماعه ثم سمعتة يوما من ا لايام وهو يقول سبلي عليكم ولاه يوخرون الصلاه عن مواقيتها فصلوا الصلاه لميقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافله

قال قلت يا صاحب محمد مادري ماتحدثونا قال وماذاك قلت تامرني بالجماعه وتحضني عليها ثم تقول صل الصلاه لوحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعه وهي نافله

قال ياعمر بن ميمون قد كنت اظنك من افقه اهل هذه القرية تدري ما الجماعه قلت. قال الجماعه ماوافق الحق وان كنت وحدك

وفي روايه قال الجماعه ماوافق طاعه الله عز وجل

وقال نعيم بن حماد اذا فسدت الجماعه فعليك بما كانت عليه الجماعه قبل ان تفسد وان كنت وحدك فانك انت الجماعه حينئذ

ذكره البيهقي وغيره

وذكر ابن القيم في اعلام الموقعين ما ملخصه وقد جعل البعض السنه بدعه والمعروف منكرا لقله اهله وتفردهم في الاعصار والامصار وقالوا من شذ شذ في النار وماعرفوا ان الشاذ من خالف الحق فان كان الناس كلهم الا واحد خالفوا الحق فهم الشاذون وذلك الواحد هو الجماعه

المفهوم الثالث

ان معرفه الحق ليست مجرد ثفافه وعلم يتباهي به بل يجب تحويله الي واقع حياه فالتوحيد لم ياتي ليبقي في القلوب ولا يخرج الي واقع الحياه كما يتصور البعض بل اتي ليستقر في القلب ويحكمها ثم يخرج الي واقع الحياه ويحكمها ف الله انزل القران ليحكم وينشا دوله الموحدين وليس مجرد وعظ وارشاد بل يجب ان يكون له سلطه تحكم وتنفيذ ما فيه من قيم ومبادئ هكذا انشي الرسول صلي الله عليه وسلم دوله الموحدين في المدينه ولو ان القران انزل للوعظ والارشاد فقط ما كانت الهجره من مكه الي المدينه فقد كان مع الرسول افضل الصحابه ولهذا فان الهجره كانت لاجل انشاء دوله التوحيد ولهذا قال تعالي (يهدون بالحق وبه يعدلون)

تجاوز دورهم المعرفه للحق والهدايه به الي تحقيق دور المنهج (الحق)

في حياه الناس ليحكم احوالهم واوضاعهم تحقيقا للعدل الذي لايقوم الحكم الا بهذا الحق فهو الميزان الذي لاتقوم الحياه الا به

المفهوم الرابع

ان الارض لاتخلوا من الهداه المهدين العادلين التابعين للحق فلا يخلو عصر من دعاه يجتمعون علي الحق

المفهوم الخامس

ان امه الاسلام كامله في نفسها مكمله لغيرها يهدون انفسهم وغيرهم بالحق فيتعلمون الحق ويعلمون غيرهم ويدعون الناس اليه ويعدلون في الحكم بين الناس في الحقوق وكل شي فهم ممن انعم الله عليهم من الصديقين والشهداء والصالحين والنبيين وان كانوا في انفسهم متفاوتون في المراتب كلا بحسب عمله فالنجاه بالاهتداء الي الصراط المستقيم وهذا بمعونه الله تعالى

المفهوم السادس

ان الفاعليه الايجابيه للحركه ليس بالاختصار علي معرفه الحق والتصديق به بل اللازم ان تدعوا غيرك الي هذا الكمال وان تحوله الي واقع حياه فالمتفوق لا يكون متفوقا الا اذا كان فاعلا وموثرا بحيث يتفوق من حوله ف الصادق لا بد ان يصبح من حوله صادقين لانك تغرس فيهم صفات التفوق فالاب لا يكذب امام ابنائه لانه يريد ان يكون قدوه حسنه لهم يريد ان يحصل ابنائه علي مرتبه التفوق الذي وصل اليها ولهذا يحرص علي ان يرشدهم علي طريق التفوق الذي وصل اليه هو

المفهوم السابع

ان الموقف الكامل المعبر عن الكمال هي مظهر من مظاهر التعبير عن التائر بالمنهج. ويدل علي صدق الاتباع لمنهج الله لان من تائر حقا لا بد ان يترجم معرفته لحقوق ربه وحقوق بني جنسه حسب مراتبهم ولهذا يحسن استعمال ملكات العدل والرحمه والاحسان في محلها فيقوم بتاديه تلك الحقوق بحسب مراتب الناس فهو يتفاني في خدمه الاخرين

لينشر انوار الحق في كل مكان من خلال المواقف المعبره عن هذا الكمال واهميه حسن استعمال الملكات لان الموقف الايجابي الكامل المعبر عن الكمال لا يحتاج الي ثقافه عاليه وفلسفه يحتاج الي قلب رحيم يحتاج الي تواضع وتفاني في سبيل الله لاجل التقرب من الله بتاديه حقوقه تعالى وحقوق عباده فتحكم بالعدل بين الناس فالواصل بالله لا يتحقق الا بذلك فالتائر بالشريعه والواصل بالله يجعلك تتفاني في خدمه الناس بدافع حب الايمان والاعمال الصالحه لوجه الله

ثالثا

عليك ان تدرك حقيقه المعركه بين الحق والباطل فاهل الحق عليهم ان يقوموا باصلاح الاوضاع والحياه لتخضع لمنهج الله ولذلك فان الباطل سوف يقف بوجه الحق بشتي الوسائل والاساليب وسوف يستدعون كل الطاقات لديهم لمحاوله صد الحق من الوصول الي هدفه الذي يرون انه يهدد مصالحهم حيث ان الكثيرون يدعون الا تنساب للدين لكن تلك الادعاءت تهدف الي المتاجره بالدين واستخدمه كسلاح فئوي او حزبي او طائفي لاجل المصالح والامتيازات التي تعود عليهم من دعوي الانتساب للدين ولهذا فانهم يلجأون الي تطويع النصوص القرانيه لتخدم افكارهم ومعتقداتهم الفاسده التي يستغلون بها الناس ولهذا فان اصطدام الحق باهواء اهل الباطل ومصالحهم امر لا بد من حدوئه والمطلوب منك ان تقف بوجه الباطل وتزيل الشبهات التي يحدثها ائمه الضلال و التي قد ينخدع بها من يعطل حواسه وعقله من الناس الذين يتبعون ائمه الضلال وهم يحسبون انهم يحسنون

صنعا

فوجود جماعه تحمل الحق وتعمل علي اقامه الحق في الحياه ضروره بشريه وفريضه شريعه ولهذا فعليك الثقه بان الحق سوف ينتصر مهما كانت قوه الكفر فقال تعالى (والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين)

وهذا فيه الاتي :

الامر الاول

طالما انك مع الحق فيجب ان تتجه اهدافك صوب طلب الحق وتدور مع الحق حيث كان وانت متمسك بالحق و الخطاب لامه الاسلام كلها فان عليها ان لاتخاف من الاعداء طالما انك متمسك بدينك فانت لابد ان تجد عراقيل يضعها اهل الباطل في طريقك يحاولون منع الحق من ان ينتشر سوف يسعون الي اطفاء نور الحق لمنع الناس من رويه الحقيقه ان اهل الباطل يخافون من الانوار لانها تكشف اباطليهم فهو يسعون لنشر الظلام في مقابله النور ولهذا فان مشكلتهم هي مع الايات فقال تعالى (والذين كذبوا باياتنا)

فتكذيبهم للآيات سواء الآيات المسموعه القران الكريم .. او الآيات الكونيه المرئيه او دليل الحدث تعود الي كراهيه هواء للانوار التي تحدثها الآيات حيث انها تزيل الظلمات وتفتح اعين الناس لمشاهده الحقيقه وتكشف زيف الباطل وتاذان بزواله وزوال انشطته

ولهذا فان تكذيبهم بالآيات يتخذ صورا واشكال متعدده منها جحود الآيات بحيث ينكرها ويحاول منع الناس من التأثير بها حيث نجد ان المجتمعات اليوم مثلا اصبحت لاتعيا بالآيات وبالموعظ فانت لو قمت بفحص ما يشاهد عموم الناس وما يتداولون في وسائل التواصل الاجتماعي ستجد الاغلبيه الساحقه منشغله بالرفاهيات وربما المحرمات

او المباحات مثل متابعه كاس العالم وغيرها في حين لا ينظر الي الصفحات التي تتحدث عن الدين اي انها لاتعيا بكلام الله ولا تتلقي آيات الله بالتعظيم والاجلال نتيجه العقافه التي عمد اعداء الدين لاشغال الناس بها فقد وجدوا لهم مشاغل تبعدهم عن التفكير بدين الله

ان هذا الامر عائد لغياب الروح الاسلامي عن الشخصيه المسلمه بعدما سيطر عليه الروح الغربي في حقه الا ستعمار ولهذا قال تعالى (وذروا الذين يلحدون في اسماءه .. الخ

فاخبرهم ان يتركوا مسالك الاعداء والملحدين واخبرنا اننا موصفون بالكمال اذا حصل منا الاجتماع حول الحق وهدف الحق

وكذلك فان من صور التكذيب آيات الله تشويه صورته الاسلام من خلال خلق جماعات تدعي الانتساب للاسلام بل تدعي احتكار الحديث عن الاسلام وتقوم بارتكاب ابرع الجرائم باسم الدين من خلال تحريف النصوص عن مضمونها لتولد حاله النفور من الاسلام وتعيق دور الامه في هدايه غيرها من الامم

ومن صور التشويه للاسلام والآيات ان يعمد الكيرون الي تاويل القران بما يجعل له اصولا لدعوه السلاله و العنصريه واستعباد الناس باسم الله والحق الالهي

وغيرها من الامور ويدخل في هذا اخفاء الاكتشافات العلميه في الكون عن اعين الناس والتي تؤكد معجزه القران لمنع اكتشاف الناس الحقيقه

ومن صور التكذيب لايات الله تحريف النصوص من خلال علماء السلطه لتكريس الظلم وهدم القيم والحريات و
الحقوق وتصوير الاسلام بانه دين صلاه وصيام وحج وزكاه وهذا كله يهدف الي اخفاء ما فيه من انوار يكشف
الحقيقه

ولهذا فمهمتك ان تزيل الظلمات فلا تخشي الاعداء مهما كانت قوتهم طالما انك علي الحق فان انشطه الباطل
ليست ذي قيمه فهي نوعا من العبث ولا بد ان تزول ف الله يقول (قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان
زهوقا)

فهم في استدراج من حيث لا يعلمون لقد انبهروا بالقوه الماديه التي ادت الي انحطاط في القيم الروحانيه فيرون
انهم اصحاب قوه حتي يتفاجوا بالهلاك ف الله يمهل ولا يهمل

الامر الثاني

عليك ان لاتتأثر بما قد ينعم الله به علي اعداء الحق من مظاهر القوه والسلطان والجاه والنعم انتبه من ان تضعف
في حمل الحق والدعوه للحق انتبه من الانسحاب من مجال الدعوه للحق تحت ضغط الضجيج الاعلامي الذي
يحدثه اهل الباطل فلا تنهزم في المعركه فاعلم ان العدو يريد اجتثاث الهمم والمدرجات يريدون اضعافك
يضعفون لك مالدبهم من قوه كما هو حال امريكا اليوم التي تحمل رايه الباطل وتقف امام انوار الحق تحارب الا
سلام باسم الارهاب تسعى جاهده الي وقف المد الاسلامي تسعى الي تغييب الوعي الاسلامي عن ابناء الاسلام
وساعدها في ذلك غياب دور الحكومات الاسلاميه بل صارت اغلب الدول تروج للباطل وافكاره وصارت قنوات الا
علام العربيه للاسف الشديد تروج للصهاينه في حملتهم ضد اهلنا في غزه للاسف الشديد اصبحنا نسمع من اقوال
تخدم الاعداء من اشخاص محسوبون علينا انهم من علماء الاسلام ومن المثقفون العرب يستدلون بالآيات
القرانيه بهدف تبرير جرائم الاعداء وكل هذا انبهار منهم بقوه الغرب وانهزام فكري وخوف من قوه الاعداء وهذا
ما حذر الله منه فقال تعالي (والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملئ لهم ان كيدي متين)

فالاستدراج مشتق من الدرج والتي تستعمل للطوع الي مكان او النزول منها والفاء والسين في كلمه
(سنستدرجهم)

للطلب اي طلب منه التدرج في الصعود والنزول فيها تمثيل لحال القاصد ابدال حال احد الي غيرها بدون اشعاره
كحال من يطلب من غيره ان ينزل من درجه الي اخري بحيث ينتهي به الي المكان الذي لا يستطيع الوصول اليه
بدون ذلك وهذا تمثيل بانتقال حال هؤلاء الي حال اسوا واقبح يصعب عليهم الخروج من حالتهم السيئه وان ذلك
يتم دون ان يعلموا ولهذا جاء (من حيث لا يعلمون) اي استدرجهم من مكان لا يعلمون انه مفضي بهم الي المبلغ
الضار ف(حيث) للمكان علي اصلها اي من مكان لا يعلمون ما يفضي بهم وحذف مفعول يعلمون للدلاله علي الا
ستدراج بانه عظيم لا يظن بالمفعول به ان يتفطن له

ولهذا جاء بعده (واملي لهم ان كيدي متين)

والاملاء من الافعال وهو الامهال وهذا فيه

المفهوم الاول

يريد الحق ان تتبدل كل مقياسك للاشياء وتفسيرك للاحداث فلا تغتر بامهال الله الظالمين والظغاه. فتتصور ان
الله يهمل الظالمين او تتصور ان عطاء الله لهم وانعامه دليل علي انهم علي الحق لانهم امتلكوا عناصر القوه ولهذا
قال (واملي لهم) فاللام في (لهم) هي لام التبيين والتي يقصد بها تبيين اتصال مدخولها بعامله لخفاء في ذلك الا
تصال لان اشتقاق املي من الملو هو اشتقاق غير مبين لان المشتق منه ليس فيه معني الحدث فلم يجي منه فعل

مجرد فاحتيج الي اللام لتبين تعلق المفعول بعله ولهذا قال بعدها (ان كيدي متين)

في موضع العله للجملتين الاستدراج والاملاء جاء بضرب من الكيد والكيد له معنى اي قوي لا انفلات منه للمكيد وموقع ان في (ان كيدي متين) موقع التعليل والتفريع اي يكون ذلك الاستدراج وذلك الاملاء بالمعني الذي اردناه بهم من كيدي القوي

فالله يمهل ولا يهمل والاستدراج بين الناس بعضهم البعض قد يتفطن له فيقوم بافساد عليك استدراجك له لكن استدراج الله قوي لا يعلم به فهو قوي بحيث لا يستطيع احد التغلب عنه

فاذا علمت هذا فماذا الذي تخافه من اعدائك ومالديهم من قوه فان الله يستدرجهم بها فهو عندما ينعم علي عباده فان ذلك العطاء يكون للكفار استدراج لانهم عندما يعصوا المنعم فان ذلك موشر بزوال النعم لقوله تعالى (واذ تاذان ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد)

المفهوم الثاني

عليك ان تثق بالله طالما انك علي الحق فلا تخاف احد فهذا الرسول صلي الله عليه وسلم يقول والله ياعماه لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الامر حتي يظهره الله او اهلك دونه

والمراد بهذا ان تثبت علي الحق فلا تنهزم امام الضجيج الاعلامي لاهل الباطل عليك ان تثق ان النصر للمومنين وان الله يقف في صف اوليائه في حربهم مع اهل الباطل فلا تصاب بالياس وانت تشاهد قوه الاعداء

فان ذلك مقدمه لزوال الباطل واهله لان الله يستدرجهم الي ما يكرهونه فهو ياخذهم بتدبيره الخفي الذي لا يشعرون به فجمله (ان كيدي متين)

لتعليل الاستدراج والاملاء للكفار بانه من فعل من ياخذ علي خفاء دون ان يدركوا فياخذهم بما يغر الماخوذ فلا يحتاط له فهو استدراج من حيث لا يعلمون ولهذا اطلق الكيد هنا علي طريقه التمثيل بتشبيهه الحال التي يستدرج الله بها المكذبين مع تاخير العذاب عنهم الي ابعادهم عن المغفره بحال من يهيئ اخذ لعدوه مع اظهار المصانعه و المحاسنه ليزيد عدوه غرورا وليكون وقوع ضرر الاخذ به اشد وابعد عن الاستعداد لتلافيه

وهذا فيه تطمئن المومنين من ان الحق لا بد ان ينتصر لان الله وعد بنصر اوليائه بان اعداءهم لا يحسبون حسابا للقوي الكبرى اي قوه الله في المعركه مع الباطل واهله فهم يجهلون ان ماهم فيه من القوه انما هو استدراج من الله واملاء الي حين فسنة الله انه يمهل الظالمون والطغاه استدراجا لهم في طريق الهلكه وامعانا في الكيد و التدبير لهم ومن الذي يكيدهم انه الله العزيز الجبار ذي القوه المتين ولكنهم غافلون ولا يدركون ان العاقبه للمتقين

رابعا

بعد ان بينت النصوص ان العاقبه للمتقين وان المظاهر التي يظهر بها الباطل واهله من القوه والجاه والمال و التمكين فهي مظاهر زائفه هي من قبيل الاستدراج والاملاء لهم فهم في غفله عن آيات الله وبالتالي فقد استحقوا الهلاك والضياع والعذاب لانهم عطلوا الحواس والعقول التي منحهم الله اياها ليهتدوا الي الحق ولهذا يتوجه الخطاب الي العقل يحاوره (اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنه ان هو الانذير مبين او لم ينظروا في ملكوت السماوات والارض وما خلق الله من شي وان عسي ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يومنون ومن يضل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون)

الايه فيها

المبحث الاول

ذم الكفار الذين انكروا ما يدعوهم الرسول صلى الله عليه وسلم من التوحيد واثبات عظمه الله وكماله ووحدانيته وانه المستحق للعباده وحده لاشريك له.. وانه انما يعبد بما امر به علي السن الرسل

حيث ان المشركون بدوا معركتهم مع الاسلام من خلال محاوله النيل من شخص الرسول صلى الله عليه وسلم لمنع اجتماع الناس حوله فتعمدوا التشويه بشخص الرسول صلى الله عليه وسلم بالزعم ان مايقوله غريبا وانه مجنون حيث كانوا يترصدون عند مداخل مكة للحجاج والزائرين فيحذرونهم من الرسول صلى الله عليه وسلم

مع انهم كانوا يستمعون للرسول صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القران خلسه ويجدون متعه في ذلك وهم معترفون انه ليس بكلام بشر فانزل الله الايه

(او لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنه ان هو الانذير مبين)

المفهوم الاول

فيها جمله مستأنفه مساقه للرد علي مزاعم الكفار تلك فجاء بالاستفهام للتعجب من حالهم والانكار عليهم ما يزعمون من ان الرسول. به جنون لتمويه واضلال الجماهير

المفهوم الاول

تحذر الايه من العناد بان صاحبه يسلك طريق وعره ويضيق عليه المخرج وهذا هو حال المعاند يفقد معه المعاند عقله فمن كثر نزاعه بالباطل اعماه ذلك عن الحق فيصيحون بلا عقل ولهذا يدعوهم الي اعمال العقل والمنطق و التفكير في شان الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق رسالته

والدعوه تهدف الي حثهم علي ترك العناد فهم كانوا في قراره انفسهم يعلمون ان الرسول صلى الله عليه وسلم صادق فيما يدعوهم اليه ومتاكدين ان القران كلام الله لكن العناد وارداه التغلب هو الذي يدفعهم الي الجدل بالباطل ولهذا يدعوهم الحق الي ترك العناد وان عليهم ان يجلسوا مع انفسهم ويتفكروا بشأن الرسول صلى الله عليه وسلم فهو منهم وملازم لهم ويعرفونه بانه ليس به جنون ولهذا قال تعالي (ما بصاحبهم من جنه) وسماه صاحبهم فالصاحب من يلزم غيره

كما قال تعالي (ياصاحبي السجن)

والمراد بهذا ايقاظهم من غفله العناد التي ضيفت عليهم المخرج ولهذا فان مخاطبه العقول والمشاعر تهدف الي ان تحدث ارتجاج عميق لنفوسهم مما يجعل اهتزاز القلوب بقوه لتنفض الركام عن الفطره وتخرج من غفلتها فلم ياتي بنفي الجنون عن الرسول بجدل ذهني بارد بل توجه الخطاب الي العقل والوجدان والعاطفه والفطره فقال تعالي

(ما بصاحبهم من جنه)

وما نافية للجنون عن الرسول نفي للتاكيد والاستغراق وفعل يتفكروا منزل منزله اللازم فلا يقدر له متعلق للاستغناء عن ذلك بما يدل عليه النفي (ما بصاحبهم من جنه)

اي لم يكونوا من اهل الفكر والنظر بسبب العناد وكثره النزاع الذي اعماهم عن رؤيه الحق والا فهم يعرفون الرسول حق المعرفه ولا يخفي عليهم انه الصادق الامين

المفهوم الثاني

ان علي اللازم علي العبد الانشغال بالحق من حيث الفائده التي تستفيدها من الانشغال به فهذا هو الانشغال المفيد بالحق ولهذا يذم الله المشركون الذين انشغلوا بالخوض في امره بكيفيه منع انتشار دعوته عنادا منهم ولهذا وصف الرسول بانه صاحبهم بمعني اشتغلوا بشانه ولزموا الخوض في امره وتكذيب ما جاء به فانكر عليهم وتعجب من اعراضهم عن التفكير بشأن الرسول انه غير مجنون ردا عليهم لما وصفوه بالجنون بدلا من الانشغال باتباع ماجاء به والذي فيه تحذيرهم مما يضرهم ولهذا جاء بعدها بجمله (ان هو الانذير مبين)

استئناف بياني متعلق بقوله (ما بصاحبهم من جنه)

فالنذير هو المحذر من شي يضر واصله الذي يخبر القوم بقدوم عدواهم كي ينشغلوا بما فيه الاحتياط من الخطر القادم ولهذا فان المغفل هو الذي ينشغل بالقاء التهم علي المنذر بدل الانشغال بعمل يحرز النفس ويحفظها من سوء المصير

خاصه ان المنذر قد اخبرهم بالخطر بشكل بين وواضح لاغموض ولالبس فيه فقال تعالى (نذير مبين) وصف النذير بانه واضح وفيه وصف للخبر والمعني انه النذير المبين لنذراته بحيث لا يوجد ادني شك في صدقه ولا في تصوير الحال المخبر عنه فالغرض من اتباع النذير بوصف المبين التعريض بالذين لم ينصاعوا لنذراته ولم ياخذوا حذرهم من شر ما حذرهم منه وذلك فيه قطع عذرهم وقيام الحجه عليهم

المبحث الثاني

الامر الاول

تحذر الايات من التعمق بالذهاب خلف الاوهام في زعم طلب الاسرار الذي تسلكه الفرق الضاله التي تترك الاصول الغابته وتصنع لها اصولا فاسده ضاله قائمه علي الخرافات والاساطير واكثر احوالهم التصاقا بالاساطير وبعد عن المنهج العقلي هو الظواهر الطبيعه من مطر ورعد وبرق وما يشاهد في السماء والارض من انهار وبحار وكواكب ونجوم وما هنالك من ظواهر ومافيهما من مخلوقات حيث لجأوا الي تفسير ذلك تفسيرات اسطوريه خياليه وجعلوا منها اصولا دينيه ووسائل اتصال ب الله يحتكر معرفتها الكهنه فقط وهذا التفكير جعل اصحاب الملل و النحل ينحرفون عن الطريق المستقيم وعن التوحيد فهذا هو حال العالم عند بعثه النبي صلي الله عليه وسلم ولهذا جاء الاسلام

/1

يرفض كافه اشكال الخرافات والاساطير والشعوذه والسحر وكل ما يتنافي مع العقل والتفكير السليم وعاء القرآن الي تحكيم العقل والتفكير الصحيح والاستفاده من الحواس التي زواد الله الانسان بها للوصول الي الحقائق واكد ان الذين يعطلون الحواس هم اقل منزله من الحيوان وهم شر الخلق فقال تعالى (ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس.... الخ

/2

يدعو الناس الي التحرر من كافه اشكال التقليد للاخرين او الاعتماد علي الغير في اتخاذ القرارات وعد كل انسان مسوولا عن اختيار ما يصلح له في حدود التفكير السليم وعد المقلدين لآبائهم او لآخريين بانهم سواء في الضلال و العمي فقال تعالى (سيجزون ما كانوا يعملون)

(والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون)

/3

يبين لهم اساس المنهج العقلي التجريبي بانه يقوم على اعمال الحواس وعلى تجربته فقد جمع المنهج الاسلامي جميع مصادر المعرفة لكن بترتيب محدد ورائع ابتدا بعلم الله فقال تعالى (ولله الاسماء الحسنی فادعوه بها) ثم تحكيم المنهجيه الكامله بالحس والعقل وسياجها رفض التقليد وتمحيص كل تراث بشري على اساس هذه المنهجيه فقال تعالى (او لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة) فصدق النبي صلي الله عليه وسلم معروف بالحس و العقل

والاسلام اعتمد المنهج العقلي حتي في العقيدة وفي اثبات اخطر قضيه وهي التوحيد فقد اكد القران اهميه اثباتها بالعقل والمنطق ودعا منهج الاستقراء العقلي فقال تعالى (او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شي) وهذا فيه دعوه الي معرفه الله عن طريق مشاهدته اياته المشهوده للعين وفيه دعوه الي اعتماد المنهج العقلي في تفسير الظواهر وما في الكون بان كل ما فيه هي من خلق الله تعالى له سنن وقوانين تسير عليها لايرتبط شي منها الا بتلك السنن الغابته فلايوثر فيها احد ولايوثر هي نفسها باحد لانها خلق الله تعالى فهي لاتملك من امر نفسها ولامن امر سواها شيئا ولهذا قال تعالى (اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وماخلق الله من شي)

فاراد بهذا ان تشاهد ماوراء هذه المخلوقات والايات المشهوده لتنظر ان الفاعليه والتاثير هي لله تعالى لان الا سباب تنتهي الي الله تعالى فلا يستقل بالتاثير وحده دون توقف تاثيره علي غيره الا الله الواحد القهار فلا ينبغي ان يخاف او يرجي غيره ولهذا يامر الله العبد ان يدرسوا ويتعاملوا مع الكون وما فيه على اساس ماسبق اي دراسته الظواهر والسنن التي تحكمها لتصل الي العلم بالماده ودراسه القوي المؤثره التي تقف خلف هذا التنسيق في حركه الكون لتعرف خالق الماده وبهذا يتمكن العبد من تحقيق الهدف من خلق الكون وهو تسخيرها لخدمته لانسان وايضا يتعرف علي الخالق فينظر الي القوه التي تقف وراء هذا التدبير والابداع ولهذا فان ايضاح القران لنا بوجود سنن دون تفسيرها فيها دعوه لك الي ادراكها ومشاهده مفعولات الله الداله علي الفاعل سبحانه وتعالى فاراد بهذا ان يتركوا التعمق بالذهاب خلف الاوهام في مزاعم طلب الاسرار مبينا ان هذا الطريق من سلكه فانه يستدرج فيه الضال ولايمكنه الرجوع الي الحق وان هذا ليس طريق الله لان الطريق الي الله خال من اهل الشك ومن الذين يتبعون الشهوات والغافلون عن مستقبلهم وهو معمور باهل اليقين والصبر والفاعليه الايجابيه فقال تعالى (وان عسي ان يكون قد اقترب اجلهم فباي حديث بعده يومنون من يضل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون)

الامر الثاني

يلاحظ ان الايه جاء فيها ترقي في الانكار والتعجب من حال الكفار في كل زمان وليس المقصود به المشركين من اهل مكه فنحن لسنا نقرأ القران علي انه تاريخ المهم ان هذا الترقي فيه انتقال من انكار اعراضهم عن التفكير بصديق الرسول صلي الله عليه وسلم والايمان برسائله رغم معرفتهم بحاله ولهم تجارب معه الي انكار وتعجب من حال اعراضهم عن النظر في آيات الله المشهوده في الكون وبالوقوف علي هذا العطف نجد انه استعمل في الا ولي الامر بالتفكر وفي الثانيه الامر بالنظر فلماذا وايضا لماذا عطفت عليه

المساله الاولى

من الاهميه ان تعرف ان الله تعالى جعل لعباده طريقين لمعرفته الاول النظر في مفعولاته والعاني التفكير في آياته وتدبرها

يقول ابن القيم في كتابه الفوائد فتلك آياته المشهوده وهذه آياته المسموعه المعقوله

ومن هنا نفهم ان لماذا جاء الامر في الانكار والتعجب من اعراض المشركين من التفكير بشأن الرسول صلي الله

عليه وسلم وما جاء به من عند الله بصيغته (او لم يتفكروا) لان النقاش متعلق باعراضهم عن آياته المسموعه
القران الكريم منكرا عليهم ذلك الانكار لانهم لو تأملوا وتدبروا وتفكروا في آيات الله وبحال الرسول صلي الله عليه
وسلم النبي الامي الذي يعرفونه ولهم معه تجارب فهم يدركون انه لم يجلس لمعلم وهو لا يقرأ ولا يكتب وهو
الصادق الامين فيهم وهم اهل لغه وبلاغه ولا تخفي عليهم حقيقه معجزه القران وبالتالي كيف لهم ان يصفوا ان
قائله مجنون فالتفكير والتدبر هو باب فهم مافي القران من آيات

ولما كان النظر في الآيات المشهوده هو باب المعرفه لها قال تعالي (او لم ينظروا في ملكوت السماوات والارض
وما خلق الله من شي)

فالمفعولات امام انظارهم يقول ابن القيم (و الافعال تدل علي صفات الفاعل ويدل علي وجوده وقدرته ومشئته
وعلمه ثم ان مافيها من التخصصات المتنوعه تدل علي ارداه الفاعل ومافيها من المصالح والحكم والغايات
المحموده الداله علي حكمته تعالي ومافيها من النفع والاحسان الداله علي رحمته ومافيها من البطش والانتقام
الداله علي غضبه. وما فيها من التقريب والاكرام الداله علي محبته وعنايته ومافيها من الكمالات التي لو عدمتها
كانت ناقصه دليل علي ان معطي تلك الكمالات احق بها فمفعولاته من ادل شي علي صفاته وصدق ما اخبرت به
رسله عنه فالمصنوعات شاهده تصدق الآيات المسموعه ولهذا كان عطف انكار حالهم واعراضهم عن الرسول الذي
يعرفونه وعن آيات الله القران الي انكار اعراضهم عن النظر في آيات الله في الكون

فقال تعالي

(او لم ينظروا في ملكوت السماوات والارض وما خلق الله من شي وان عسي ان يكون قد اقترب اجلهم فباي
حديث بعده يؤمنون من يضل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون)

فاخبر الحق ان القران حق فالآيات المشهوده فيها الدليل والبرهان علي صدق الرسول فهي شاهده بصدقه فليس
ينقصهم العلم والمعرفه لكن الطغيان افقدهم صفاء الذهن فاعماهم عن النظر والاستدلال بافعاله تعالي واحكامه
فاذهانهم مستغرقه في الطغيان ومنشغله بذلك ولهذا فقدت جودتها وقوتها التي تقف به علي الحق فهي تحب
الباطل ولهذا يقفون في صفة فامتلا القلب بالباطل اعتقادا ومحبه لم يبقي فيه لاعتقاد الحق ومحبه موضع فهو
مشغول بالباطل واهله ولهذا فانه غير صالحا لقبول الحق الذي يشترط بتفريغ المحل من ضده اي تفريره من
الباطل

المساله الثانيه

فيها امر بالنظر للآيات المشهوده والتفكير فيها وتامل حكمه الله والله ولطفه واحسانه وعدله وقيامه بالقسط بعد
مجي الامر بتامل آيات الله المسموعه كلها بالفهم الخاص عن الله ورسوله فاراد بهذا ان يدخل التوحيد في
منطقه المشاعر الانسانيه بحيث يحب ويكره بناء عليه

يقول لنا الحق بهذا معرفته سبحانه وتعالي ينبغي ان تتجاوز معرفه الاقرار التي يشترك فيها كل الناس فلا احد
ينكر وجود الله حتي الكافر الملحد الي المعرفه التي توجب الاحساس بجماله وجلاله معرفه توجب محبته وتعلق
القلب به تعالي والخشيه منه والشوق للقائه والاشفاق من عذابه والانس به تعالي وهذه المعرفه يتفاوت فيها
المؤمنون لانه لا ينالها الانسان الا من عرفه الله بنفسه وكشف لقلبه معرفه ما اخفاه عن سواه

يقول ابن القيم وانه تعالي جعل لذلك بابان باب التامل والتفكر في آياته المسموعه بالفهم الخاص عن الله ورسوله
وباب آياته النظر في آياته المشهوده بتامل حكمه الله ولطفه واحسانه وعدله وقيامه بالقسط.

ولهذا نفهم سبب الترقى في الانكار والتعجب من حالهم واعراضهم عن التفكير في شان الرسول صلي الله عليه

وسلم وما جاء به من ربه الي الانكار والتعجب من اعراضهم من النظر فيما هو اوضح من ذلك وهو الايات المشهودة وعدي فعل النظر الي متعلقه بحرف الظر فيه لان المراد التأمل والتدبر وهو التفكير كقوله في انفسكم اف لا تبصرون

وتقول نظرت في الشيء فدل بحرف الظر فيه علي ان هذا التفكير عميق متغلغل في اصناف الموجودات لان جماع البابين هو الفقه في معاني

اسماء الله الحسني وجلالها وكمالها وتفردته بذلك وتعلقه بالخلق والامر يقول ابن القيم فيقول فقيها في اوامره ونواهيه فقيها في قضاة وقدره في اسماء وصفاته فقيها في الحكم الديني الشرعي والحكم الكوني القدري

ولهذا اضاف الملكوت الي السماوات والارض لبيان انه تعالي له الملك للسماوات والارض ومن فيهم ليدل هذا علي عظمه الله وقدرته وابداعه

يامرهم ان يتاملوا ابداعه وتنسيق المجرات وكل ما في الكون كلها تدل علي العلي القدير وعطف عليهما (وما خلق الله من شيء)

علي ملكوت السماوات والارض فقسم النظر الي نظر في عظيم ملك الله والي نظر في مخلوقات الله ودقائق احوالها الداله علي عظيم قدرته تعالي فكلها تدل علي الواهيه الله وانفراده بالخلق والامر وانه المستحق للعباده وحده لاشريك فهذا هو المنهج العقلي الذي يصبح العقل به في غايه من القوه والجلاله في استنتاج الاداله العقليه ويتقي بذلك الخطا والعتار اما المنهج الثاني فهو المنهج الروحاني وهو الشعور بوجوده وتنفيذ امر الله فيتصل الفكر بالعمل ولهذا قال تعالي (وان عسي ان يكون قد اقترب اجلهم)

فانت بحاجه الي الشعور بوجود الله والشعور بانك مسافر الي الله والدار الاخره وانك سوف تحاسب علي اعمالك فاللازم ان تستعد للقاء الله وعمرك قصير والموت سوف يداهمك في اي لحظه فعليك ان تكون في حاله ترقب للموت بالمسارعه بالاعمال الصالحه

فاللازم علي المومن ان يقدر الله حق قدره كما يجب عليه ان يتقيه حق تقائه وان يجاهد فيه حق جهاده ف الموت احدث خطر ينتظره الفاعل من يستعد لما بعد الموت فمن لم يتعظ بالموت فلن تجد له واعظا ولهذا ختم المولي بقوله (فباي حديث بعده يومنون)

ان من لم يعرف الله معرفه توجب الحياء من ان يراه في معصيه ومن لم يعرف الله معرفه توجب له مشاهده جماله وجلاله ومحبتة تعالي فان هذه المعرفه لاتنتج عنها عقيدته لها فاعليه وتأثير تنعكس في حياه العبد وبالتالي فانه لايمكن عودته للحق لان معرفته باسماء الله وصفاته من قبيل التعمق في الذهاب خلف الاوهام في طلب مزاعم الاسرار كما هو حال من يحاول استعمال تلك المعرفه في السحر والشعوذه فهؤلاء ميوس منهم ولن يعودوا الي الحق فهم يدخلون نفق مظلم لا يخرجون منه فقال تعالي (من يضل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون)

فسنه الله الجاربه بالهدي والضلال وفق ما ردتته مشنته تعالي من هديه من يطلب الهدايه ويجاهد فيه ويضل من ترك طريق الهدايه وهم الغافلون الذين عطلوا العقول والحواس من اعانتة علي معرفه الحق فهم قد اغلقوا منافذ الهدايه فعقابهم الله باهمالهم وتركهم في باطلهم يخوضون في ما فيه البوار والهلاك

القسم الرابع

تبدأ آيات هذا القسم ببيان ما كان من أسئلة المشركين استهزاء عن موعد ساعة قيام القيامة لانهم ينكرون العوده للحياه او من اليهود كما ذهب البعض انهم اردوا اختبار صدق النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اذا كان كاذبا فانه سوف يذكر لها وقتنا وان كان صادقا فلن يحدد مواعدها والارجح ان السؤال كان من المشركين لان الايه مكيه فقال تعالي (يسالونك عن الساعه ايان مرساها)

اولا

مناسبه الايه وارتباطها بما قبلها هو ان الايه تهدف الي بناء الشخصيه الايمانيه فالايمن بالله واليوم والجنه و النار...الخ

من اهم العوامل التي تسهم في تشكيل الشخصيه ورسم معالمها ولهذا نجد ارتباط الايمان بالله باليوم الاخر في اكثر من موضوع لان ذات الله لاتدركها الابصار وكذلك فان الايمان باليوم الاخر والحساب والعقاب من الامور الغيبيه ولما كانت الايات السابقه قد تناولت تأكيد القران علي اهميه اثبات قضيه التوحيد بالعقل والمنطق واستدعاء منهج الاستقراء العقلي فقال تعالي (او لم ينظروا في ملكوت السماوات والارض وما خلق الله من شي....الخ

فكان مجي اسئله المشركين بعدها مناسبا لما قد يحاول البعض اثاره الشبهات حول دعوه الاسلام الي اعمال المنهج العقلي للوصول للمعرفه فيقول كيف يقال هذا وهناك جوانب غيبيه يومن بها المسلم في العقيدته الاسلاميه ؟

ولهذا فان الجواب فعلا توجد جوانب غيبيه في العقيدته الاسلاميه

ولكنها ترتكز الي الاصل العقلي وهو وجود الله فاذا تقرر بالعقل وجود الله عز وجل وانه القادر علي كل شي فلا حرج بعد ذلك اذا وجدت امور غيبيه مثل الايمان باليوم الاخر والجنه والنار وسائر المغيبات ولهذا تختلف معرفه المسلم بالله وايمانه عن معرفه الفاجر بالله فلا احد ينكر وجود الله قال تعالي (ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله)

لماذا الاختلاف لان معرفه المومن يترتب عليها امور منطقيه فهم يعلمون ان من له الخلق له الامر ولهذا يخضعون لله ويعبدونه وفقا لما انزل علي السن رسله

هم يومنون باليقين الجازم ان من خلق هذا الكون وابداعه قادر علي اعادتهم الي الحياه بعد الموت بينما الكفار ينظرون ان ذلك مستحيل

ولهذا يقول الله في نهايه هذه الايه (يسلونك كائك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لايعلمون)

ومن هنا نفهم الفرق بين المعرفه المجرده لله التي يشترك بها البر والفاجر وبين المعرفه المطلوبه من المسلم بان يكون العالم والمتعلم عنصرا موثرا وفاعلا مستفيدا من علمه. فالعلم بالله الذي لا يولد الايمان باليقين بقدرته تعالي علي البعث والنشور مرفوض ولا يعد العالم عالما اذا لم يودي العلم الي خشيه الله ف الله يقول (يعلمون) ظاهرا من الحياه الدنيا وهم عن الاخره هم غافلون)

فكان مجي الايه باسئله المشركين عن موعد قيام الساعه مناسبا لما ختمت به الايه قبلها من تصوير تركهم في الطفيلان والضلال والخذلان في تصوير عدم انتفاعهم بالعلم الذي اظهره الله لهم

لترسم الايه الفرق بين العلم الذي هو معرفه الاشياء اي نظريه في المعرفه باعتبارها اداه تفسير الاشياء كما هي وبين العقافه التي

تفسر الاشياء كما يجب ان تكون فالمعرفه ليست هي نظريه ام الثقافه فهي التي توجه السلوك فالرجل العالم قد ع
الما بالمشكله بفكره لكنه لايجد في نفسه الدوافع التي تجعله يتصورها كعمل

ولهذا فان المثقف هنا يعني هو الذي يري نفسه مدفوعا بمبدا الاخلاص النابع من الايمان باليقين ان يقوم بالعمل و
الاستعداد حتى لايتفاجا بالكارثه فهو يعمل علي احتواء الضرر قبل وقوعه

ولهذا ذم الحق اسئله المشركين حول الساعه بدل الاستعداد لها

فقال تعالى (يسلونك عن الساعه ايان مرساها قل انما علمها عند ربي لايجليها لوقتها اهو ثقلت في السماوات والا
رض لاتاتيكم الا بغته)

ثانيا

الساعه تستخدم في القران غالبا للتعبير عن الوقت الذي تقوم فيه القيامه يقول الزجاج :-

يريد من هذا التعبير ان تفهم انها ساعه حقيقه تحدث فيها امر عظيم حيث يكون البعث والنشور وخراب الارض
واضطراب احوالها يوم فيها احوال عظيمه فذكر الساعه في اغلب الايات مقرونه بذكر الله يعود الي ان الحق
سبحانه وتعالى يريدان يدخل التوحيد في منطقه المشاعر الداخليه للانسان فيحب في الله ويكره في الله وبهذا
ينزل التوحيد الي مجال عمله الطبيعي ويكتسب معناه وفاعليته ولهذا لا بد ان تكون نظره الانسان للحياه انها
طريق يسلكها العبد للوصول الي الله والدار الاخره هذه هي النظره الايمانيه التي تجعل العقيدته لها تاثير وفاعليه
ايجابيه تربط بين الفكر والعمل اي يكون الايمان اعتقاد عقلي يوتر في احساس القلب وهو عمل تقوم به
الجوراح فالتوحيد هنا يكون هو الذي يحكم. اسلوب الحياه ويوجه القلب ينشي الرغبه في العمل ويهيمن عليه
وهذا انما يتحقق بالشعور انك سوف تحاسب علي اعمالك وان الدنيا طريق عبور للاخره ولهذا قال تعالى
(يسالونك عن الساعه ايان مرساها قل انما علمها عند ربي)

الساعه تستخدم غالبا للتعبير عن يوم القيامه فمعني الساعه في القران الوقت الذي تقوم به القيامه والسؤال من
المشركين هو عن موعد حصول البعث والنشور وهذا السؤال يراد منه الاستهزاء لانهم ينظرون للحياه نظره ماديه
وهم منكرون البعث والنشور فجاء الجواب (قل انما علمها. عند ربي)

ان علم موعد حصولها من الامور الغيبية التي لم يطلع الله عليها احد من خلقه لانبي ولاملك ولا احد ولهذا
استعمل كلمه (قل) بان الرسول صلي الله عليه وسلم لايعلم موعدها انه بشر ومصدر علمه الوحي الذي يوحيه
اليه ربه وامور الغيب من خصائص الالوهيه وهو بشر عبد لله لايتعد حدوده حتي يتناول بالقول فيما لاعلم له به

فلا يعلم بموعدها الا الله تعالى ولهذا. جاء اسلوب الحصر (قل انما)

اي عنده تعالى وحده علم موعد حصولها ثم قال بعدها (لايجليها لوقتها اهو)

جواب عن طلب معرفه الوقت الذي يكون ارساءها فيه فاخبر انه لايكشف وقت مجئها لاحد فهي تاتي مفاجئه وال
لام الداخلة علي وقتها يسمي لام التوقيف والمعني لايكشف حجاب الخفاء عنها ولايظهر وقتها المحدد لاحد الا
هو تعالى فاخفاء امرها علي العباد حتي يكونوا دواما علي حذر وهذا يكون ادعي للطاعه وازجر عن المعصيه لا بد
ان تكون مشاعر العبد مستحضره حلول ساعه القيامه في اي لحظه يكون العبد في حاله ترقب موعدها فهو يمكن
ان يحل في اي لحظه فهل سالت نفسك ماذا اعددت لها من الاعمال ماذا اعددت لها من زاد فامرها عظيم واهوالها
كثيره واثقالها شقت علي السماوات والارض واهلها فقال تعالى (ثقلت في السماوات والارض لاتاتيكم الا بغته)

فهي ايه عظيمه عبثها ثقيل علي الجبال والكواكب والبحار والنحوم والشمس والقمر والملائكه والجن والانس وكل الخلائق فالاولي بكم الاهتمام بالاستعداد لهذا اليوم واخذ الحيطه والحذر فامرها عظيم والعمر قصير وهي تاتي مفاجئه فيجب ان تستقيظوا من الغفله

ثانيا

تستمر الايه بعرض الحاح المشركون علي معرفه موعد مجي الساعه فقال تعالى (يسلونك كانك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لايعلمون)

فالايه ترسم حرص المشركون علي معرفه موعد مجي الساعه اي وقت مجيها وهذا الحرص من باب الاستهزاء. فقال تعالى مكررا نفس الجواب (قل انما علمها عند الله)

ان علم وقتها اختص الله به نفسه وهذا التكرار للتاكيد علي ان هذه المساله من امور الغيب التي لم يطلع عليها احد

ولهذا فعليك اخي المسلم ان لاتصغ لمن يزعم انه يعرف موعد نهايه العالم وزوال البشريه لان الله لم يطلع افضل الخلق وهو النبي صلي الله عليه وسلم

وان الواجب عليك مراقبه نفسك وان تصرف اهتمامك عن محاوله معرفه موعد حلولها الي الاهتمام والاستعداد لذلك اليوم فهي لاتاتي الا فجاه ولله حكمه في ذلك لايعلمها اكثر الناس

ومن هنا نفهم الفرق بين علم الساعه وعلم امارتها :-

حيث وان الكثير من الناس يخلط بينهما وترتب علي ذلك الفهم الي اهمال اهميه علم امارات الساعه بحجه انها من امور الغيب وهذا فيه تعطيل لاصل اصيل من الدين الاسلامي وهو فقه التحولات الذي ارتبط بعلامات الساعه والتي ورد ذكرها في حديث جبريل حيث سال الرسول عن الساعه فقال الرسول له ما المسول باعلم عنها من السائل... حيث يفهم من هذا ان الرسول فهم ان جبريل يساله عن موعد حلول الساعه فكان ذلك الرد الذي يؤكد انه لايعلم بها لانبي ولاملك مثل جبريل فقد استاثر الله علمه بها وحده فقال له ان هذا الامر لايعلمه احد ابدا

فكرر جبريل السؤال عن الامر المقصود من السؤال عن الساعه فقال ما اماراتها فقال الرسول (ان تلد الامه ربتها وان تري الحفاه رعاها الشاه يتطاولون في البنيان... الخ

ثم ختم الحديث اتدرون من السائل قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا جبريل اتاكم يعلمكم دينكم

وهذا فيه ان الرسول صلي الله عليه وسلم عندما رد علي جبريل ما المسول باعلم منها من السائل... ليس انه فهم ان جبريل يساله عن موعد حلول الساعه وانما اراد ان تفرق بين علم موعد الساعه وبين العلم بامارات الساعه فاراد ان نفهم انه لا مجال لمعرفة موعد قيام القيامة ولكن هنالك علامات واشراط ينبغي ان نعلمها هي علامات قيام القيامة وهذا العلم من امور الدين الذي ينبغي ان نتعلمه لانه يذكرنا بيوم القيامة واهوالها فنكون في يقظه ف لا نغفل بالاعراض عن تذكر اليوم الاخر ولا نغفل بالاعراض عن القيام بالمسوليات الشرعيه في الحياه

ثالثا

تستمر الايات في عرض الاسس والاصوال التي تقوم عليها عقيدة الاسلام بشأن الايمان بالغيب ب الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنه والنار والقضاء والقدر فجاء الامر الالهي للرسول ليعلم للناس كلهم انه لايعلم الغيب الا الله وانه لايملك لنفسه نفعا ولاضرا فقال تعالى (قل لا املك لنفسي نفعا ولاضرا الا ماشاء الله ولو كنت

اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) وهذا فيه الاتي

ابتدات الايه بكلمه (قل) امر الهي من الله سبحانه وتعالى لنبيه صلي الله عليه وسلم بهذا الاعلان المتضمن اعلان النبي صلي الله عليه وسلم النبي المعصوم الذي له مقام عظيم عند ربه بانه لايملك جلب المنافع لنفسه ولا دفع الضرر عنها الا ماشاء الله تعالى ان يوفقه الي الاسباب التي يتم بها تحصيل النتيجة

مبيننا انه لايعلم الغيب الا الله تعالى فلا يطلع احد الا مايشاء الله وبقدر مايشاء ووقت مايشاء ولو كنت اعلم الغيب لاكثر من الافعال التي تودي لكثرة المنافع واجتناب الشر ومبيننا انه وظيفته هي الانذار بالعذاب والتبشير بالجنه وان المنتفعون هم المومنون

وهذا الاعلان فيه الاتي

الدرس الاول

ان موقف الانسان من مساله الغيب هو ينظر اليه انه بيد الله تعالى فلا تصدق من يدعي انه عالما بالغيب مهما كنت ترى فيه صلاحا والتزاما لانه اذا كان شان النبي المعصوم وهو سيد الخلق انه عاجز عن الاخبار بامور الغيب فهل يصح ان يدعي انسان من الدرجه الدنيا انه يعلم الغيب ولهذا فان اللازم عليك ان لاتجلس الي من يدعي علم الغيب سواا كان ساحرا او منجما او قاري الفنجان فكل من يدعي معرفته بالغيب او امتلاكه النفع والضرر فهو كاذب دجال لايجوز الجلوس اليه. لان الله قد اخبر نبيه ان يعلن انه لايعلم الغيب ولايملك ان ينفع نفسه ولايدفع الضرر عنها وبالتالي كيف تاتي الي انسان وتقول له حدثني عن مستقبلي انتبه من ذلك فلا يوجد انسان ولا مخلوق كائن من كان يعلم الغيب فالغيب لايعلمه الا الله

الدرس الثاني

تهدف الايات الي بناء الشخصية المسلمه المومنه التي يهيمن علي ايمانها عقيدة التوحيد البناء الصحيح يهدف الي تحريرها من الاوهام والخرافات والاساطير ينقذها من ان تصير اسيره المخاوف ويحفظها من الوقوع في الا وهام ذلك ان جميع الحضارات والاديان المنحرفه تقوم علي اسلوب التخويف للانسان من اشياء كثيره وتظهر من اشخاص الكهنه والملوك والاسر السلاليه انهم يمتلكون قدرات خارقه وانهم الطريق الوحيد لخالص الانسان من تلك المخاوف التي يخوفون بها الانسان للسيطره عليه واسترقاق العقول فهم يخوفون الناس من الطبيعه و المستقبل. ومن الرب الذي يصورنه بصوره مخيفه مرعبه يخوفونه من الجن وانهم هم القادرون علي التخاطب مع الطبيعه واسكات غضبها وانهم هم القادرون علي الكشف عن المستقبل واسراره وخطاره وانهم هم الذبن يغفرون ا لاطياء ويخلصون الانسانيه من غضب الالهه

ولهذا فان عقيدة الاسلام تشفق علي الانسان من ان تستعبده الطبيعه فالانسان مخلوق عزيز حر كيف له ان يتصاغر امام الشمس التي خلقها الله لتمد الانسان بالضوء والحراره او امام القمر او الكوكب او كل مافي السموات والارض من مخلوقات فاخبرنا الله انها مخلوقات مسخره لخدمه الانسان فمن غير المنطقي ان تستعبدك الطبيعه التي خلقها الله لخدمتك

وكذلك يحرر الانسان من الاهواء الذي هو جزء منك فلا يصح ان يجرجر كيان الانسان كله جزء منه اشباع لرغبه او شهوه

فالاسلام حريص علي تفجير الطاقات الانسانيه العارمه ولهذا يربط امر المستقبل الغيب ب الله الواحد القهار الذي ليس كمثل شي ولم يكن له كفوا احد فيقول لك الحق ان المستقبل الذي هو الغيب لايعلمه الا الله تعالى فلا يعلمه لانس ولاجن ولا ساحر ومنجم.

وحتى الرسول صلى الله عليه وسلم المويد بالمعجزات والوحي مأمور ان يعلن للناس انه لا يعلم الغيب ولا يملك لنفسه نفعا ولاضرا

لتعلم ان الله لا شريك ولا منيل له فهو تعالي من له الخلق والامر ولهذا تحرر طاقاتك فلا تخاف ولا ترجوا الا الله تعالي فالعباد سواء

وبالتالي عليك ان تعتز وتستعلي بالله وتعتمد على الله تعالي واما الخلق فهم سواسيه واندادا

ولهذا تحقق الحريه للانسان ويتخلص من ضغوطات النزوات والاهواء ومن المخاوف لانه يتوكل على الله لانه يخضع للقوي الكبرى الذي بيدها النفع والضرر فهذا الايمان يفجر الطاقات وينطلق المومن الي ارحب الكون بالا ستسلام لله تعالي ينطلق متحررا من كل سلطان سواه بهذا يكون انطلاقه منسجما مع نداء الكون الذي هو نداء الخضوع ونداا الفطره ونداء العزه فهذه القوه الكبرى التي يومن بها تعني انه يستعلي بالحق ولهذا يسلم ويخضع لله ويتحرر مما سواه

فالحق يريد ان يتم بناء الشخصيه المومنه على وحده التصور بحيث يهيمن التوحيد على كل جوانب الحياه من عبادات وقيم ومعاملات بين الانسان مع نفسه او مع ربه او مع غيره فتجعل كل ما يصدر عنه من فكر وقول وعمل منسجم مع بعضه فهو ينطلق من عقيدته التوحيد وغرس هذه العقيدته في اعماق النفس تعني اطمئنان النفس وانسها بجوار ربها ولهذا تخرجه من القلق والحيره فعندما يشعر ان له ربا يتولي رعايته واغداق النعم عليه فانه يطمئن بالاتصال بالله

ولهذا فصل بين شخص الرسول وبين خصائص الالوهيه بهذا الاعلان الذي فيه تنقيه عقيدته التوحيد وتجريدها التجريد المطلق من كل صور الشرك فصفاة الالواهي لا يشاركه فيها احد ولو كان هذا المخلوق هو النبي الخاتم وما له من مقام عظيم عند الله فقد امر باعلان ان الغيب خاص به تعالي

الدرس الثالث

اللازم تربيته الابناء والتلاميذ على المبادي والقيم وعدم تعليق الايمان على المصالح الدنيويه ولهذا يقول الحق لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل لا املك لنفسي نفعا....ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الانذير وبشير لقوم يؤمنون)

فمن الخطاء ربط الاتباع بالمصالح او الوظائف او غيرها حيث ان التجارب اثبتت ان الانسان اذا لم يعمر قلبه بالا يمان لا يصمد في وجه الازمات حيث شاهدنا تساقط العديد من العاملين في المجال الاسلامي بعد ضعف الحركات الاسلاميه في الكثير من البلدان

ولهذا يعرض الاسلام نفسه على الناس بهذه الصوره لترسم معالم الشخصيه المسلمه بانها تعتز بالحق وتستعلي به تعالي ومنه تستمد قوته وعزته فهؤلاء هم الذين ينتفعون بما في القران من الانذار والتبشير فهم الذين يفقهون حقيقته ما جاء به ويدركون ما وراء الانذار والتبشير فالاسلام جاء لتقرير الحريه للانسان وازاله ما يعيق حريه الا اختيار وترك للانسان حريه الاختيار فهذه هي مهمه الاسلام فقال تعالي (ان انا الانذير وبشير لقوم يؤمنون)

فهذا هو الاساس الذي يعرض الاسلام نفسه على الناس بالحكمه والموعظه الحسنه والجدل بالتي هي احسن لمن لديه استعداد وقبول لها ولهذا ربط مساله تحرير الانسان من النزوات والمخاوف ليصل التوحيد الي اعماق النفس البشريه فالكلمه لاتعطي مدلولها الحقيقي الا اذا كان القلب مفتوح لاستقبال ما فيها من طاقه تزود النفس بالطاقه والنشاط وهذا يحتاج الي اخراج كل الشوائب من القلب لاجل ان يكون صالحا لاستقبال مدلولات كلمه التوحيد وليكون لها تاثير وفاعليه ايجابية في حياه المومن فالاسلام لا يرغم الناس على الايمان ولا يلزم الرسول باجبار

الناس علي التصديق ف الله يقول في موضع اخر (افانت تكره الناس حتي يكونوا مومنين)

وانما يقوم بتحرير الانسان من اغلال وقيود المخاوف التي تستعبد الانسان ويعيد لهم حريتهم وعزتهم بدعوتهم لانطلاق في الكون من خلال الاستسلام والخضوع لله تعالى بعد التحرر من كل سلطان سواه يقول لهم ان الغيب امر لا يعلمه الا الله وحتى الرسول لا يعلم الغيب وهذا النداء من اهم دواعي تعلق الانسان بربه وتحريره من الاوهام والخرفات وبهذا يخرج الناس من ظلم الناس الي عدل الاسلام يتحرر فيها الانسان من كل انواع الخوف سوي خوفه من الله تعالى فهذا هو سياق الحريه الذي لا يستطيع الانسان بدونه ان يكون حرا مهما اطلق له العنان ولا يستطيع ان يستمتع بما اوتي من حريه ظاهره بدون هذا السياج لانه مكبل باغلال الخوف ومكبل بقيود الاوهام ولهذا لا ينتفع بالانذار والتبشير

لانه يستعلي بالمظاهر الخادعه فهو تكون لديه امکونات كلها سواسيه لا يتفاعل مع دعوه الايمان فهو لا يعبا بما يبشره الرسول من الاجر عند الله في الجنه ولا بالانذار بالعذاب في الاخره فغياب الانفعال الخلاق الذي يمتب في الفكر الشوق لما عند الله والاشفاق من عذابه غير موجود ولهذا فان انفعاله العقلي والقلبي ينصرف الي المصلحه و الجاه والمال لانه ينظر للحياه من نظره ماديه لا تخرج عن نطاق تحصيل الشهوات والملذات فهو لا يري ان هنالك حياه بعد الموت ولهذا لا يتاثر بنداء الايمان ولا يجد مدلول الكلمه سبيله الي قلب الكافر

اما المومن فان الايمان يرسم لنا ملامح فكره ومقومات شخصيته

ولهذا فهو عندما يسمع الايه التي فيها التكليف له بطاعه الرسول وامتناع اوامره وعندما يسمع الحديث عن اليوم الاخر فانه ينصت ويتدبر لانه يري في ذلك خاتمته عندها يحدث اهتزاز وارتجاج لكيانه ينتقل الي اعماق النفس و الي كل جزء منه تزلزل وتعصف باعماقه فتحدث حياه للروح تخرجه من سجن العاطفه والذات وتجلب البهجه له وتجلب مشاعر الحب للبشريه وتنهى الشكوك ويحصل الانسجام بين العقل والغرائز ويجد السعاده بما يشعر من ا لايامن ولهذا فهو يعبت امام العواصف لانه يري ان الازمات امتحان وابتلاء من الله وان القوه بيد الله فهو يستعلي ب الله ولهذا فان الايمان يحمي صاحبه من مزلق التخائل فهو يري ان الله وضعه في برنامج عملي يفحص فيه الصادق في ايمانه من الكاذب ولهذا فان هذا الاستعلاء بالحق يولد قوه انفعال خلاق يعينه علي تثبيت العقيده حين يستشعر انه يعمل في مجالات المومنين وفقا لاوامر الله فيدفعه الايمان الي الالتزام بما امر الله ويدوام علي محاسبه نفسه ولهذا يكون لمدلول الكلمه اثرها فيه

الدرس الرابع

كما ان الايه فيها توجيه بان علي العبد الاعتراف بعدم قدرته علي ما ليس من حوله ولا من قوته فهذا من تمام عبوديه العبد لربه

ولهذا فان علي العبد الايمان بالقضاء والقدر بعد الاخذ بالاسباب التي باستطاعته الفرار من قدر الله الي قدر الله فان اصابه خير شكر الله لانه وافقه لذلك وان اصابه شر صبر فالعبد عليه ان يلتزم امر الله فالله اعلم ما ينفعك كما قال تعالى (وعسي ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسي ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون) فعليك تفويض امرك الي من يعلم عواقب الامور

فالله يعلم العواقب فقد يكون هنالك شيئا بنظرك انه مكروه لكنه قد يجلب المحبوب وهكذا فان هنالك امور بنظر الانسان انها محبوبه لكنها قد تجلب مكروه ولهذا فان الانسان لا يعلم الغيب وانما يعلم الغيب الله وحده ولهذا فانه لا انفع من امتثال امر الله لان الله يعلم ما ينفع الانسان وما يضره

ولذلك فان نظره العاقل ليس للاشياء وانما مقايسه الغايات هل هي محموده ام مذمومه ولايعني ذلك ان الغايه تبرز الوسيله ليس هذا المقصود وانما المقصود ان تنظر للغايات من وراء ستور مبادئها

وهذا يحتاج الي قوه اليقين الذي تدرك به الغايات من مبادئها والي قوه الصبر في مواطن الشده في سبيل الوصول الي الغايه المحموده فعليك ان ترضي باختيار الله وفيما يقضيه فلا تقترح علي ربك ولهذا فان عقيدته الايمان بالقضا والقدر تريح الانسان من الافكار المتعبه وتولد فيه قوه صبر وعزيمه فلا يجزع ولايفزع. لانه لاخروج للانسان عما قدر الله عليه فاذا صح التفويض والرضي بما اكتنفه من القدر الرباني فان الله يعطف عليه ويلطف به فيهون عليه ما قدره سبحانه وتعالى فهذه هي عقيدته التوحيد التي يجب علي المومن الالتزام بها

الدرس الخامس

تبين الابيه لنا اهميه معايشه هموم الناس والامهم لا بد ان يكون اندماج العلماء مع الجماهير وان يشاركونهم احزانهم والامهم ولهذا ارسل الله الرسل من البشر ولم يخرجوا عن بشريتهم فهم يتالمون ويعانون ويحزنون ف الرسول لا تربطه بالسماء اسباب غير الوحي فقال تعالى (قل لا املك لنفسي نفعا ولاضرا الا ماشاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الانذير وبشير لقوم يؤمنون)

فهذه هي واقعيه الرساله التي يتوقف عليها نصيبها من النجاح لان اي فكره تخرج عن نطاق الواقع لا يكتب لها النجاح ومصيرها الفشل

وهذه الواقعيه لا يمكن ان يدركها الناس الا من خلال انسانيه من يحمل الفكره فالتناس يعرفون الرساله من خلال شخصيه صاحبها فقد تبهر الناس بالشخصيه الملائكيه القديسه الي حين لكنهم لا يستريحون لصحبتها دواما في كل حين قد تبهر الناس بالكرزما التي تمتع بها الشخصيات الطاغيه لكنها التجارب ان مثل تلك الشخصيات قد تصلح للزعامه الموقوته لكنها لا تصلح للهدايه الموصوله والرساله الخالده ومن هنا كانت شخصيه الرسول الانسان الذي يحس ويتالم ويعاني ويتحمل المشقه والتعب خير دعوه ودعايه لرسالته فيه النموذج المحرك للجماهير فيه البساطه الاسره والانسانيه الغامره والجاذبيه الساحره يعيش هموم الناس ومشاكلهم يعاني مثلهم من المتاعب يقف عاجزا امام قدر الله عندها يصبر ويحتسب ذلك عند الله

ولهذا يقول تعالى للنبي (قل لا املك لنفسي نفعا ولاضرا. الا ماشاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الانذير وبشير لقوم يؤمنون)

فالرسل لم يكونوا يتوقعون في حصون يحرسهم اتباعهم او ينظرون من وراء جدر بل كانوا يخرجون للناس وياكلون مما ياكلون ويشربون مما يشربون يتحملون المعاناه فالرسول الكريم كان يمرض ويجوع ويتالم كان يمشي في الاسواق ليراه الناس فيقتدون به ويتاسون بحاله لم يكن الرسول يتهرب من مواجهه المشاكل فيتواري عند تلاطم الهموم ويقول انتم وشانكم وانما كان يقدم نفسه وعقله ويتبني هموم الناس يدفع ويزيل العوائق التي تعيق التقدم كان يتحمل المتاعب فقد شاركهم مشقه الحصار في شعب ابي طالب شاركهم هموم الاستضعاف المعيشي والاضطهاد الاجتماعي

الدرس السادس

عليك ان تدرك ان لله حكمه في كل امر فقد ترى اشياء محبوبه وياتي منها مكروه والعكس ولهذا عليك الرضي بما يقضيه ويختاره لك ربك فهو تعالى لايسال عما يفعل وهو تعالى له حكمه في كل شي فلا يفعل شي عبثا ولهذا لا يكشف لك المولي سبحانه وتعالى حكمته بابعادها الكامله لانه لو حدث ذلك لذهب اختيار الناس وبطلت حركتهم وتوقف صراعهم ولهذا قال تعالى (ان انا الانذير وبشير لقوم يؤمنون)

هذه هي مهمه الرسول وليس مهمته ان يعلم الغيب او ان يكشف للناس عن حكمه الله التي اخفاها عن عباده في كثير من الامور

فالله اختص نفسه بامور الغيب وهو تعالي لا يكشف الحكمة الالهيه لاي انسان بابعادها الكامله لان انكشافها تعني ان الانسان سوف يصاب بالدهشه التي تولد في نفس الانسان حين يعرف حكمه الله التي يستغرق تأملها ملا بين السنين فهي تستطيع ان تقضي علي ادراك الانسان الانساني ويمكن ان تدمر كيانه المحصور في الرغبات والا مال والاحلام فالانسان لا يتحرك حركه واحده يكف عن محاوله استكمال نقصه وتسجنه الدهشه في مكانه لا يصبر الانسان حين يعاين طرفا من حكمه الله معلما لم يصبر موسى عليه السلام وهو يراقب تصرفات الخضر وهو يخرق السفينه ويقتل الغلام ويصلح جدار في قريه ابت ان تضيفهما ان غضب موسى ودهشته واحتجاجة علي تصرفات العبد الذي اتاه الله من لدنه علما كان امر طبيعيا للغايه لقد وقف موسى وهو من اولي العزم العارفين ؛ الشريعه وقف امام عبد علم طرفا من حكمه الله فلم يصبر عليه وهذا ماحدثه به العبد العالم بالحقيقه (وكيف تصبر علي مالم تحط به خبرا)

رحمه بالناس... اخفي رب الناس حكمته عن البشر

نقلا من كتاب (الله في العقيدة الاسلاميه تاليف احمد بهجت)

فاعطي الله الناس من حكمته قدرا يمكنهم من الخلافه في الارض او تحقيق مشيئته في عماره الكون. واعطي الا نبياء من حكمته قدرا اعلي يمكنهم من الدعوه ورسم افاق الكمال الانسان ولهذا جاء الاستثناء في خطاب الرسول الامور باعلانه للناس فقال تعالي

(قل لا املك لنفسي نفعا ولاضرا. الا ماشاء الله)

يقول لهم انا بشرا مثلكم لا علاقه لي باسباب السماء غير الوحي فهذا العلم الذي انقله لكم مما علمني الله اياه مما هو متعلق بالوحي فقال تعالي (الا ماشاء الله) كما قال تعالي (عالم الغيب لا يظهر علي غيبه الا من ارتضي من رسول)

اي ان الله يعطي كل من عباده قدرا من حكمته بما يمكنهم من اداء مهامهم اما عمق حكمته وسر حكمته فقد ابقاه سر لذاته

ولهذا فان الايمان بالله وباليوم الاخر يستوجب الايمان بقضاه وقدره فهو الاطار العام الذي تتحرك داخله حريه لانسان وقدرته علي الحركه ولهذا فان الانسان ينطلق من هذه العقيدة التي تجعله. احيانا مخير وحيانا مسير في جميع المواقف التي يتعرض لها في حياته لا يخرج عن نطاق هذان الامران وهو محاسب علي ماكان مخيرا فيها ولايحاسب علي ماكان مجبورا فيه ومعيار ذلك ان هنالك اشياء يعرفها الانسان واشياء لايعرفها هناك اشياء يفهمها واشياء لايفهمها اشياء يقدر عليها واشياء لايستطيعها فالانسان حر فيما يعرف ويفهم ويقدر وهو مجبور فيما لايفهم ولايقدر ولايعرف

ولهذا فان انوار العقل وحدها لاتستطيع اكتناء سر القضاء والقدر فنحتاج الي انوار اخري من لون اخر انوار ليست ماديه والقضاء والقدر يصدران من الله كما يتصلان بالانسان وما صدر عن الله تعالي لاتصلح انوار العقل وحدها لاكتشافه لان غايه جهدالعقل ان يفهم ويعرف وليس الفهم وحده هو المطلوب من المسلم كما ان المعرفة العقلية ليست بمفردها هي الغرض النهائي لوجود المسلم فتمه مستوي يعلو علي الفهم والمعرفة العقلية نتحدث عن الحب

ولهذا بغير الحب يصعب علينا تفسير القضاء والقدر فالحب يعني الطاعه العذبه والاستسلام المحض باختيار ارده المحبوب وحبس النفس في طلب المحبوب يختار الانسان ان يكون بلا اراده امام اراده الله تعالي فتخضع حريته

لمشيئه الله المطلقة وهذا الجبر الاختياري هو عين الحريه لانك تخرج من كل سلطان غير سلطان الله

القسم الخامس

تستأنف النصوص الحديث عن حقيقه التوحيد باعتباره الاساس الاعتقادي الذي يجب ان ترتبط وتتصل به جميع جوانب الحياه وميادينها فاساس نظام الاسلام مرتبطا باساسة الاعتقادي فهذا الاساس هو الذي يجب ان يصوغ الحضاره ويخرج الامه فهو يهيمن علي نظام الحياه وينظم مجراها ويحكم وضعها فهذا هو اصل عقيدة الاسلام واسباب بناء الحضاره الاسلاميه ولهذا نجد ان الايات تاتي بجمله استنافية لتقرير دليل التوحيد وابطال مظاهر الشرك الذي سلكه المشركون الذين كانوا يدعون انهم علي دين ابراهيم فقال تعالى

(هو الذي خلقكم من نفس واحده وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق وهم يخلقون ولايستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الي الهدى لايتبعوكم سواءعليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون)

اولا

ابتدات الايه بذكر نعمه خلق الانسان من ادم ونعمه خلق حواء من جنس ادم اي ان الانثي خلقت من جنس نوع الذكر ليانس اليها

ثم ذكر انعامه بحصول التناسل للذريه. فذكر الله ما انعم عليهم من اطوار الخلق من العدم للوجود ثم من النطفه التي استقرت في بطن الام ومن الضعف الي القوه ثم بين اعطاهم الموائيق واخذ منهم العهود بعباده الله وطاعته ثم اخبر تعالى عن غدرهم ونقضهم العهود وكفرهم للنعم ونقض الموائيق فالايات سيقت لتوبيخا للمشركين ونقضهم العهود وغدرهم وليس كما ذهب البعض الي الحديث عن قصه خرافيه مفادها ان حواء لما حملت جاءهاهي وادم وقال لها انني انا صاحبكما الذي اخرجكما من الجنه لتصغي او لاجعلن له قرني ايل فيخرج من بطنك فيشقه ولافعل وكذا يخوفهما ويطلب ان يسميه عبد الحارث فايبا ان يصيغها له فخرج ميتا ثم حملت فجاءها ابليس وكرر ماسبق ثلاثا حتي اثر عليهما حب الولد فسماه عبد الحارث وذكر البعض ان نسبه الشرك لادم وحواء في الطاعه ولم يكن في العبادهوهذا القول غير صائب ولا صحه له فهي قصص خرافيه فالذين اشركوا هم ذريه ادم وليس ادم وحواء للاتي

الامر الاول

ان الايات سيقت لتوبيخ وذم المشركين الذين ينقضون عهد الذريه بافساد فطرتهم التي تعرف ربها اذا تركت وكذلك عطلوا حواسهم وهم يغدرون بما يعاهدون الله عليه في انفسهم بسبب تعطيل عقولهم وحواسهم ولهذا تاتي الايات بهذه القصة التي فيها تمثيل لانحراف النفس مبينه كيف يبدأ الانحراف الي الشرك ومداخله ترسم لنا خطوات السقوط من التوحيد الي اسفل السافلين الشرك في النفس لترسم حال الانسان الذي تتوزع الاصنام اجزاءه اوزاعا واشتاتا تتنازع السيطرة علي اشلائه الالهه والارباب عندما يعطل قواه وطاقاته وحواسه التي منحها له الله الواحد الاحد الفرد الصمد فان الانحراف عن التوحيد ينتهي به الي السخافه والسذاجه في التفكير والتنازل عن عقله وادميته ولهذا يعرض عليهم الحق بدايه الانحراف للنفس وتصور خطواتها وكيف ينتهي بها الي الضلال الذي لارجوع عنه فقال تعالى (هو الذي خلقكم من نفس واحده وجعل منها زوجها ليسكن اليها)

فيها عوده قوله تعالى (ولقد ذرانا لجهنم كثير من الجن والانس...الخ

وليس علي قوله تعالى (قل لا املك لنفسي نفعا ولاضرا)

لان ذلك القول قصد به ابطال الملازمه من وصف الرساله وعلم الرسول بالغيب فكان التوجه بالخطاب للمشركين
مناسبا لاقامه الحجه عليهم بفساد عقولهم في شركهم وذم عبادتهم للاصنام وكذلك ما كانوا يمارسون من طقوس
فيها تسميه الابناء بانهم عبيد للالهه باعتقاد ان ذلك سببا للنجاه والعيش كما كان سائدا في القرن الماضي الي
نهايه العمانيات فقد كنا نشاهد الكثيرون يحضرون ابناهم الي الاضراحه عند ولادتهم ويقومون بحلق الشعر
للمولود وثقب اذنه للتعبير عن شراء المولود من صاحب الضريح ويعتبرون الذبيحه التي يتم ذبحها عند الضريح
انها واجب الشكر علي هذا المولود الذي طال انتظاره ثم يطلقون عليه اسم بحسب ما يامرهم به القائم برعايه
الضريح هذه الاشياء

وهولاء الناس كانوا يعتقدون ان ذلك هو دين الاسلام الذي جاء به الرسول صلي الله عليه وسلم وهو نفس حال
مشركي مكه الذين كانوا يقدمون الاضحي للاصنام بعد ولاده المولود ويطلقون عليهم اسماء عبد اللات ..وعبد
العزي...وغيرها من المسميات ويزعمون انهم علي دين ابراهيم عليه السلام ولهذا فان دعوه الاسلام كانت تجد
حواجز تمنع وصول الدعوه للناس نظرا لان الشرك صار عقيدته جميع اهل مكه ارتبطت بها اخص مايطمح له كل
انسان وهو انجاب الذريه الصالحه فهذه الامنيه يتمناها جميع الناس الفقير والغني الضعف والقوي فالنفس وقت
الخوف والطمع تنقشع عنها الاغطيه فتعرف ربها وتوجه اليه وحده لاشريك له ولهذا نجد ان

ولهذا نجد ان النصوص تتوجه بالخطاب الي العقول والواجدان تحاورهم بالمنطق تطلب حضور العقل تعرض
عليه حقائق التوحيد من خلال العرض المنطقي الذي يعرض به الله سبحانه وتعالى دينه باسلوب رائع في ايراد
كل معارضه ومناقشه كل مخالفه ومناهضه كل نزوه فالخطاب دعوه لاعمال الفكر والفقه والتدبر تهدف الي اعاده
تشكيل انهم وتكوينهم العقلي للوصول الي تقرير عقيدته التوحيد في اعماق نفوسهم ولهذا قال تعالى (هو
الذي خلقكم) فضمير الخطاب هنا للمشركين من العرب وهو لكل انسان في كل زمان لان المراد هو التذكير بنعمه ا
لايجاد من العدم

بخلق ادم من الطين فقال تعالى (من نفس واحده) وخلق زوجته حواء فقال تعالى (وجعل منها زوجها) وهذه
النعمه العظيمه لاينكرها احد من البشر فالجميع يعترف ان الله هو الخالق لكل المخلوقات ولهذا فان الاستنائف
مساقي للاتي

/1

لبيان ان مقتضى التوحيد الذي هو المقصود الاعظم يعني ان الله هو المستحق بالعباده والخضوع فهو الذي عنده
علم الغيب وهو الذي خلقكم من نفس ادم وجعل من نوع هذه النفس وجنسها زوجها
فعليك ان تسال نفسك لماذا خلقتك من العدم ولماذا جعل للانسان زوجه من نوع هذه النفس ؟

ان هذا اليجاد لم يكن عبثا وانما خلق الله العالم ليعبده فهذه هي الغايه من الخلق كما قال تعالى (وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون)

وقد فسر ابن عباس بالعباده بالمعرفه والمعرفه اعم واشمل من العباده لان معرفه الله تعني انه يفتح داخلك كون
علي الكون الاكبر فانت تتصل بالغيب من خلال هذه المعرفه كما تتصل بالمشهود تفهم ان عليك ان تبد ارحله
السفر في الكونين معا غير ان كل شي في الدنيا نسبي المعرفه والمعرفه الانسانيه نسبيه وناقصه وتتغير ولهذا
لايد ان يكون سبب الخلق اكبر من مجرد المعرفه ولهذا اقتترنت المعرفه بالحب فالعباده معلما انها قمه من قمم
المعرفه فهي قمه من قمم الحب يقول ابن القيم ان الله خلق العالم ليعبده والعالم والعباده هي قمه المحبه وكمالها

/2

ولما كان المعلوم للبشر انه لا يطلب احد من احد ان يحبه الا اذا كان يسبقه بفضل الحب ولهذا يبين الله لعباده انه تعالى عندما امرنا ان نحبه فانه تعالى قد سبقنا بهذا الحب فهو تعالى له فضل الخلق والايجاد لنا ابتداء ونعمه الذريه والبعث انتهاء ولهذا جاء التذكير بنعمه الايجاد من العدم بخلق ادم وكذلك تكميل النقص الذي لا تكتمل لذه الحياه بدونه وهي الزوجه فقال تعالى (وجعل منها زوجها) من التبويض (منها) والمراد من نوعها فهي صفه لقوله (زوجها) قدمت علي الموصوف للاهتمام بالامتنان بان جعل الزوج وهي الانثى من نوع ذكرها ليحصل الانس فيحصل بيننا الموده والرحمه فاراد المولي بهذا الاتي

المفهوم الاول

ان تحس بانعام الله تعالى فتري حسنه واحسانه لتفهم ان حب الله لك سابق وحبه تعالى هو العطاء والرحمه و الرفاه بنا فقد اوجدنا من العدم وكرمنا علي سائر المخلوقات وانعم علينا بالزوجه من جنس نوع نفس الرجل ولهذا جاء التعليل (ليسكن اليها)

اي جعل من نوع الرجل زوجة يانس اليها ليرتاح ويزيل الهموم والواجع وجعل هنالك شهوه لينساق اليها ارتبطت بالتناسل فلو جعل التناسل حاصلًا بغير الشهوه مثلا لكانت نفس الرجل غير راغبه بالاستكثار من نسله ولو كان التناسل حاصلًا بحاله الم لكانت نفس الرجل مقله بحيث لا تنصرف اليها الا مثل ما ينصرف المريض الي الدواء المر الطعم ...

المفهوم الثاني

يريد المولي منك ان تحبه فهذه النعم توجب عليك محبه الله ولهذا جاء الاستطراد بالانتقال من ذكر نعمه الايجاد والخلق من العدم وخلق الزوجه من نفس نوع الذكر لتانس اليها الي ذكر نعمه قوام

النوع. بالنكاح والنسل ولهذا فرع بالتعقيب بالفاء (فلما تغشاه) والغشاء يستعمل للتعبير عن الغطاء الذي يغطي الشئ فيستره من فوقه وهو هنا كناية عن الجماع ومعناها يغشي الزوج الذي هو الذكر الزوجه التي هي الانثى للذ لاله عن نعمه قوام النوع الذي ميز به الحق الانسان عن الحيوانات حيث جعل لذلك طريق الزواج ولهذا اعتبر الزنا افساد لقوام النوع واعتداء علي قوه الشهوه التي هي من جنس قوه الحب ولهذا يخبرنا المولي عن سكون الزوج للزوجه هو الغشيان الذي يعني قضاء الشهوه فيما يحقق قوام النوع بالنكاح الشرعي الذي يحصل به التناسل فكان التعبير بهذه الكلمه دقيقًا ومتناسقًا مع اجواء السكن والموده وانشاء ذريه صالحه وليس مجرد قضاء شهوه ولهذا ذكر انه مع حصول الغشيان يبدا معه الحمل واطوراه وما يصحب ذلك من طموح في النفس ان ياتي المولود الصالح الذي يحمل اسمك من بعدك فهذه النعم كلها توجب عليك محبه الله تعالى لان النفوس مجبوله علي حب من احسن اليها وتبغض من اساء اليها فالله عندما يطلب منا ان نحبه فهذا لانه تعالى قد سبقنا بالحب من قبل ؛ الخلق ابتداء والايجاد والانعام الذي به يحصل استقرار الحياه وبنعمه قوام النوع الذي فيه تكريم لنا

المفهوم الثالث

عليك ان تفهم ان علاقه الزوجيه ينبغي ان تقوم وفق النظام الذي حدده الله الذي فيه تكريم النوع الانساني وبقاء قوام النوع فهذا التكريم للانسان انما يكون باتباع منهج الله في كل امر

ولهذا جاء الاسلام بهذا الاعلان الذي يدعوا الي احترام حقوق المراه في زمان كانت المراه لاحقوق لها وكرامتها تداس بالاقدام جاء يعرف المسلم ان الرابطة بين الرجل هي رابطة تكامل فالزوج يكمل نقصه العاطفي بزوجته و الزوجه تكمل نقصها القيادي بزوجها وهذا التكامل لاجل المساهمه في تاسيس الاسره المومنه التي تعمل علي القيام بامر الخلافه

فالمراه لها احساس ومشاعر وافكار ينبغي احترامها وقيادتك لها هي قياده ارشاد وتوجيه لاجل وقيادتها من الهلاك ومن العذاب في النار ليس اذلالها واهانتها فينبغي التعامل معها علي انها اساس حفظ حقوقها وكرامتها ويجب عليك تحقيقها لتحمل رساله تربيته الابناء وفق منهج الله

ينبغي ان تفهم ان لها دور في الخلافه من خلال المساهمه في انجاب الجيل المسلم فهذا هو اساس الرغبه لقضاء الشهوه الذي يجب ان يكون هو الهدف الذي تسعى اليه انت وزوجتك لا مجرد قضاء اللذه فانت لك هدف من ذلك انت تختلف عن الحيوان الذي لاعقل لديه فليس الغرض الالتقاء الجسدي بل التقاء لضمان بقاء النوع الانساني علي الصوره التي تميزه عن الحيوان ولهذا فاللازم ان تلزم الانضباط في حياتك بحيث تكون وفق منهج الله تعالي فهذه هي نظره الاسلام للمراه

الامر الثاني

ان الانبياء معصومون من الكبائر ولايمكن ان يكون ادم وحواء قد ارتكبا هذه المعصيه الشرك وهذا ما يدل علي كذب ماورد في القصة الخرافيه من نسب الشرك لادم وحواء فهذا القول غير سليم وانما المشركون من ذريتهما وما يؤكد ذلك الاتي

/1

حديث الشفاعه الذي ذكر ان الناس يطلبون من ادم الشفاعه فعتذر لانه ارتكب معصيه الاكل من الشجره ولم يذكر هذا الذنب

/2

ماورد في القصة من ان ابليس قال لهما انا صاحبكما الذي اخرجكما من الجنه فلا يعقل ان يصدق ادم وحواء وقد خاض تجربته السابقه اضافه الي انه لايمكن ان يقول من يريد اغواهما انه ابليس فهذا القول يتعارض مع تزيين الشر الذي هو وسيله الاغواء

/3

لم يذكر القران حصول توبتهما من الذنب وكيف يذكر ارتكاب الذنب دون ذكر التوبه

/4

ختم الايه بقوله (فتعالي الله عما يشركون)

والانبياء معصومون من الكبائر ولو كان المقصود ادم وحواء لقال عما يشركان ولكن الحديث يتناول المشركون من الذريه كما قال تعالي (كان الناس امه واحده.... الخ

ثالثا

القصة تتناول الحديث عن انحراف النفس التي تعرف ربها لانها مفطوره علي معرفه الله ومحبهه وهذا ما حدث للذريه بعد ادم وحواء وليس المراد بذلك ادم وحواء فالايه تتحدث عن نقض العهد الفطري الذي يشد النفس ويدفعها الي ربها تطلب منه الذريه الصالحه ثم تنقض العهد بعد ان يرزقها الله المولود الصالح فقال تعالي (هو الذي خلقكم من نفس واحده وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما اتاهما صالحا جعلنا له شركاء فيما اتاهما فتعالي الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون)

وهذا فيه

الامر الاول

ذكر انه الخالق للانسان بهذا التكريم والتفضيل بالعقل والتسويه والعلم فجعل كمال القوي العقليه المنطقيه الايمان وجعل كمال قوه الشهوه قوم النوع بالنكاح والتناسل فذكر الحمل الخفيف في البدايه للاشاره الي انه لا الم فيه فذكر انها تمر به وتجتازه بدون تعب والا الم (فمرت به)

وحقيقه المرور الاجتياز ويستعار. عدم الاكتراث كما قال تعالي (فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الي ضره)

فالنصوص فيها حكايه للواقع بانها لم تتفطن ولم تفكر بهذه النعمه فلم تقف عندها لتشكر الله عليها في مرحله الحمل الاولى فهذه هي حقيقه المرور (وكاين من ايه في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون)

وهذا فيه ان الاصل علي العبد ان يشعر بنعمه الله فلا يتغافل عنها

فالايه وردت باسلوب الاطناب ولهذا قال بعدها (فلما اثقلت. دعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين) وهذا الاطناب الذي سلك فيه وصف تكوين النسل يهدف الي تذكير النفس بتلك

الافعال الداله علي دقيق حكمه الله وقدرته ولطفه واحسانه

فهو تعالي يبين انه لما اصبح امر الحمل واضحا وقد قربت الولاده واثقل الحمل علي الزوجه فان النفس هنا تبدأ لديه الطمع ان يكون ابنها افضل الابناء في الصلاح سواء من حيث الجسد فلا يكون معاقا او من حيث العقل او من حيث الدين فالصلاح كلمه عامه

فالنفس هنا تبدأ بمناجاه الله ان يرزقهما طفلا سليما معافا لان الركاب الذي يغطي الفطره وقت الخوف او الطمع ينتفض فلاتري الاربها ولهذا تتوجه اليه وهذه الحاله لابدان تحدث من الابواين سوان كانا مسلمين او غير مسلمين فهما يتمنان ان يكون لهما مولود صالح سواء نطقا بذلك ام اضمره في نفوسهما فان مده الحمل طويله و لاتخلوا من حديث النفس خلالها بذلك والمشركون كانوا يعترفون بربوبيه الله وانه خالق الكون فما الذي حدث بعد ولاده الطفل الصالح يقول الحق (فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهم فتعالي الله عما يشركون)

فجاء تنزيه الله نفسه عن ذلك الشرك سواا كان هذا الشرك بتسميه الابناء بانهم عبيد للاصنام كما ذكر البعض عبد الحارث او عبد الكعبه او نحوه فكل اسم معبد لغير الله حرام فقد اتفق العلماء ان ذلك شرك في الربوبيه والالوهيه لان الخلق كلهم ملك لله وعبيد له تعالي استعبدتهم لعبادته وحده واحكامه ساريه عليهم قال تعالي (وان كل من في السماوات والارض الا اتي الرحمن عبدا)

وهذا ما ذهب اليه ابن حزم بتحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد الكعبه او عبد الحارث واستثناء من ذلك كلمه عبدالمطلب وهذا استثناء من العموم من كل اسم وهذا لان اصل اسم عبد المطلب يعود الي اخ هاشم الذي قدم من المدينه ومعه شبيه ابن اخيه هاشم رديف خلفه وهو لم يكن قد جاء الي مكه حيث انه عاش عند اخواله بني عبد النجار في المدينه وقدم وهو شاب فعندما شاهده اهل مكه قالوا هذا عبد المطلب وعلق الاسم به بعد ذلك

الامر الثاني

الايه فيها هجوم علي الانقياد لهوي النفس والعرف والتقليد الفاسد انه استنهاض لحيويه الاراده الانسانيه التي بها يغدو الانسان قوه ايجابيه فعاله ولهذا يبين الحق انه اقام في كل نفس شاهدا من وعيه ومن عقله ووعيه علي

قضية العقيدة تقطع عليه طريق الاحتجاج والتنصل فقد خلق الانسان واخذ عهد الذري كما سبق واوضحنا ولهذا فان الانسان يجد في نفسه جاذبيه البحث عن الذات العليا ولهذا اخبرنا الله تعالى في مقدمه هذا المقطع عن حال من يوتر المروق من حصانه العقل الي نزوات الهوي من يختار التمرغ في مواخم الضلال بانه لا يجد الذات العليا و لا الكمال الذي يبحث عنه فهو يصبح مثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وان تتركه يلهث لانه اخطي الطريق التي توصله الي الكمال فالحب هو الذي نكمل به ذواتنا الناقصه وانفسنا الحائره ولهذا تجد الانسان يبدا بحب والديه في طور البحث عن الذات العليا ثم ينتقل الي حب زوجته ثم الابناء والذريه والمال وهكذا لا يجد الكمال ولا الذات العليا التي يبحث عنها ولهذا يصور القران ان هذا ظالم لنفسه لانه عطل الادوات التي يري فيها محبوبه الحقيقي الذي يبحث عنه المحبوب الذي يستحق الحب الاعظم فجاء الايات (اولم يتفكروا ما بصاحبهم)(اولم ينظروا في ملكوت السماوات والارض ...الخ

(يسلونك عن الساعه ايان مرساها ...الخ

(قل لاملك لنفسي نفعا ولاضرا الا ماشاء الله ...الخ

(هو الذي خلقكم من نفس واحده...الخ(ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون نصرهم ولا انفسهم ينصرون ..الي قوله (ان الذين يدعون من دون الله عباد امثالكم...الخ

وهذا فيه الاتي

المساله الاولى

يدعوهم الي ان يكون الحب الاعظم لله تعالى لا شي سواه

فالحب مرتبط بالمعرفه ومرتبب بالعمل لان الذي لايعرف شيئا لاقيمه له ومن الصعب علي من فقد القيمه ان يحب فالحب هو الحجر الاخير في هرم القيم فاذا كان الهرم غائبا فكيف تضع الحجر الاخير فلا يقدر علي الحب الا من يقدر علي الفهم والملاحظه والرويه والاحساس والعطا وكلما زادت المعرفه زادت قدره القلب الانساني علي الحب فيدرك ان محبوه الاعظم هو الحي القيوم الذي لايمت فليس هنالك طريقه للاتصال بالكون والاخرين غير الحب

يقول الحق لك احب ادم حواء علي الارض وولد من حبهما النوع الانساني وبغير الحب تتحول الحياه الي سجن انفرادي وعزله قاسيه

فالحب هو الحل الوحيد امام الانسان ليخرج من سجن الذات الي اتساع الكون ورحابه الاخرين ولهذا يصل الاسلا م المسلم ب الله اولا واخيرا فالانسان حينها لا يكون غريبا فهو متصلا ب الله خالق الكون ومصدر الامان ولهذا فعقيدته الاسلام اذ تقيم عقيدته الدين في الانسان والتي تبدا بالنطق بالشهادتين ان لا اله الا الله فانما تقيم البناء العقلي والنفسي لكل فرد من افراد الامه تخرج الانسان من غريته ووحدته الي اتصاله ب الله ايمان ناتج عن تميز عقلي لهذه الحقيقه ومشاهده جماله وجلاله واحسانه وعطفه تعالى علي العبد فالشهاده تعني شهود ويقين فاذا شهد الانسان ان له ربا يبسط عليه خيام المن الالهي والرحمه فاذا ايقن الانسان انه ليس وحده في الكون فانه يتحرر من الغريه والخوف وتتححر طاقاته وتنطلق المواهب من قيود السكون عندها يصير الانسان حرا ولهذا فان المسلم يتاله الله في كل الاحوال فهو تعالى وحده الذي يملك الخلق والامر وكل ما عداه مخلوقات عبيد لله تعالى وبهذا الاتصال يجد المسلم الذات العليا التي يبحث عنها اما المشرك فانه يظل باحثا عنها ولا يجد ما يبحث عنه فيعيش في حيره وقلق

المساله الثانيه

يقول الحق ان الذي خلق هو الذي يستحق ان يعبد فمن له الخلق له الامر واصنامهم لاتخلق شيئا بل هي مخلوقه

ولهذا يستنكر المولى عليهم مثل هذا الانحراف الذي لا يقبله عاقل فمناقشه العقل هنا جاء بهذا الاسلوب الذي فيه ا
لانتقال من الحكايه عن حديث النفس وانحرافها يهدف الي ضبط قوي النفس من خلال اسلوب المواجهه المباشره
مع المشركين بهذا الهجوم علي انقياد النفس للهوى والعرف والتقليد في هذا الهجوم استنهاض لحيويه الاراده الا
نسانيه لتكون ذو فعاليه ايجابية ولهذا يتوجه الخطاب الي العقول بهذا الاستفهام الذي ينكر عليهم هذه التصورات
الساذه والسخيفه يعرض عليهم دليل الخلق والقدره فالعقل لو استقيظ من غفلته لما قبل بهذه بعقيده الشرك
الساذه فهي لاترضاه لولا ان الشهوات تضلل صاحبها وتخدعه ولهذا جاء بهذا الحوار كيف لك ان تعبد مخلوق ما
الداعي لتلك الساذه والسخافه يدعوهم الي التفكير يدعوهم الي وزن الامور بالعدل والقسط فالخالق الله تعالي
وبالتالي فان اللازم ان تكون قوه الاراده في فعل المامور ناتجه عن حب الله وترك ماسواه لان من يخلق له الامر
(الا له الخلق والامر)

وهذا يتناول نفي ان يكون المعبود المدعوا من دون الله فهم مخلوقات سواء كان المدعوا من الملائكه او الانس او
الجن او الجماد او الكواكب او النجوم فكل سوي الله مخلوقات خلقها الله فكيف تعبد مخلوق مملك وقد كرمك
الله عليهم ان انت عبدت الله وحده لاشريك له

فالمخلوقات لاتملك لنفسه نفعا ولاضرا فهي لاتملك ان تنفع غيرها ان عبدها ولا تستطيع ان تضر من لم يعبدها
وهذا فيه انتفاء الرغبه والرهبه من جهته بخلاف الرب الذي بيده النفع والضرر

ولهذا كان استخدام برهان القدره والخلق لتقويه القوه الجذبيه لطاعه الله وحده وكذلك تقويه القوه الغضبيه
النفرية من كل ماعدا الله لان النفس لاتكف عن الظلم الا بالقوه الغضبيه ولهذا يفهم منه ان المحبوب الذي ينبغي
ان تتوجه اليه الخلاق هو الله تعالي لان اندفاع المكروه لايمكن ان يحصل بدون المحبوب

كما قال تعالي (ماريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوه المتين)

ولهذا يتسال كيف تعبدون عاجزا لايقدر علي نصركم فهو لايقدر علي نصره نفسه فقال تعالي (ايشركون ما لا يخلق
شيئا وهم يخلقون ولايستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون)

الامر الرابع

تهدف الايات الي ابطال عقيدته الشرك واقامه الحجه علي المشركين بان الاوثان والاصنام والملائكه والانس كلها لا
تصلح ان تكون الهه تعبد فذكر انهم لا يخلقون شي ..وانهم مخلوقون مريبوبون مقهورون ..وانهم عاجزون عن نصره
غيرهم ولايقدرون علي نصره انفسهم فهذه الصفات متوفره في غير الله فهم لا يصلحون ان يعبدوا ولا ان يعتمد
عليهم ولا يسمعون الدعاء فقال تعالي (وان تدعوهم الي الهدى لايتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم
صامتون) فهم لا يسمعون لانهم ام موتي او غائبون او عاجزون فقال تعالي (ان الذين تدعون من دون الله عباد
امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطنون بها ام لهم اعين
يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها)

تهدف الايات لبيان انهم عاجزون لايقدرون علي شي فلا يقدر عليه الا الله تعالي فانكر الله عليهم عبادتهم اصناما
واوثان بهذا الخطاب الذي فيه بيان شده جهل من يعبد غير الله وايضا في الايه نفي اي مخلوق علي النفع والضرر
والمراد بهذا ابطال دعوي الشرك فالخلق والامر لله فليس لاحد شي ولا نبي مرسل ف الله قال لنبيه (ليس لك من الا
مر شي)

فكيف تتعلق انت بمخلوق وكيف تعتمد علي بشر وقد ورد عن النبي صلي الله عليه وسلم يوم نزلت (وانذر
عشيرتك الاقربين) انه قال يامعشر قريش اشتروا انفسكم من الله لا اغني عنكم من الله شي) قال هذا قبل ان
يهاجر ومعني اشتروا انفسكم من الله بالتوحيد والايمان ثم نادي عمه العباس فقال يا عباس بن عبد المطلب عم

رسول الله لا اغني عنك من الله شي ياصفيه عمه رسول الله لا اغني عنك من الله شي يافاطمه بنت محمد سلني من مالي ماشئت ولا اغني عنك من الله شي)

يقول لاهله لاتعتمدوا علي لاني رسول الله فهذا حق الله فالواجب طاعته واتباع منهجه وما وظيفه الرسل الا البلاغ فلا يملكون لانفسهم نفعا ولاضرا فالعباده والدعاء لا يصلح التوجه بها الا الله تعالى فلا يجوز التوجه بها حتي للنبي صلي الله عليه وسلم

فهذه هي العقيدة التي تم بناء بها الشخصية المسلمه المتحرره من كل الاصنام ولهذا انطلق المسلمون الاوائل يحملون دعوه التوحيد لا يخافون احد فهم اقوياء بعقيدته التوحيد ولهذا نفهم. سبب التعقيب بامر الرسول صلي الله عليه وسلم ان يتحدي المشركون فقال تعالى (قل ادعوا شركاءكم ثم كيذون فلا تنظرون)

اي استنصروا بها في مكائلكم واجتهدوا جهدكم فلا تمهلون فاني لا اخاف اصنامكم

وهذا فيه دعوه لكل صاحب دعوه الي التحرر من الاصنام فلا تخاف ان تفصل من الوظيفة ان وقفت مع الحق انتبه ان تسكت علي الباطل خوفا من العدو ومن سلطانه فهذه الاصنام عاجزه عن النفع والضرر الا اذا شاء الله فعليك ان تعتمد علي الله فهو يتولي اوليائه ويحميهم ويرعاهم فقال تعالى (ان وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولي الصالحين)

اي قل حسبني الله وكافي وهو ناصرني وعليه متكلي واليه الجأ وهو ولي في الدنيا والاخره

فكيف اخاف من المشركين واصنامهم فقال تعالى (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الي الهدى لا يسمعون وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون)

والخطاب فيه التفات من الغيبه للمخاطب لشد الانتباه لاهميه الامر

الامر الخامس

لماذا خص بالذكر عجز المعبودت غير الله من نصره من يعبدها هنا

عليك ان تدرك ان الخير والشر له مقتضي من المحبوب والمكروه

ولهذا نجد اقتران الرزق بالنصر في اغلب آيات القران لان الرزق من قوه الحب والنصر من قوه الغضب ولما ذكر الله انه الخالق فدل هذا علي انه الرزاق وهذا فيه بيان انه الغني وانه تعالى هو المستحق للحب العظيم ولما نفي عن الاصنام الخلق فهي مخلوقه

انتقل الي نفي قدرتها علي نصره من عبدها او الحاق الضرر بمن لم يعبدها فدل هذا ان النصر بيد الله وخص ذلك بالذكر لان طبع الانسان يعظم دفع المكروه وبالشرع يعظم دفع المكروه بالتقوي

فالعاقبه لاهلها ولهذا يتوجه القران الي النفوس التي يعلم الخالق انها فيها تعظيم لمن ينصرهم بدفع الضرر عنهم. من عدو او غيره لان اهل الرزق معظمون لاهل النصر اكثر من تعظيم اهل النصر لاهل الرزق. ولان النصر بلا رزق ينفع ولان اندفاع المكروه محبوب ايضا وهو لا يحصل الا بقوه الدفع التي هي اقوي من قوه الجذب فاختص الناصر بالتعظيم لدفعه المعارض فالناصر محبوب معظم وهذا لا يعني التسليم ان قوه الدفع اقوي بل الجذب قد يكون اقوي بل هو اقوي في الاصل لانه هو المقصود بالقصد الاول والدفع خادم تابع له (نقلا عن ابن تيمه)

فالمانع تحتاج اليه عند ثبوت المعارض وقد لا يكون هناك معارض فالمقتضي والمحبه هو الاصل والعمده في الحق الموجود والحق المقصود اما المانع والبغضه فهو الفرع والتابع ولهذا كتب الله في الكتاب الموضوع عنده فوق

العرش (ان رحمتي تغلب غضبي)

ولهذا نجد ان الحق يتوجه بهذا الخطاب قائلا (وان تدعوهم الي الهدى لايتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون)

يقول الحق كيف لكم ان تتركوا عباده الله وترفضوا الانصياح لهدايه القران الذي انزله الله لانقاذ البشريه و الحفاظ علي كرامتها وصيانه العقول من يستعبدها مخلوقات مثلها وتطلبوا الهدايه من الاصنام التي لا تهدي لنفسها فكيف تهدي غيرها لانها اصنام جامده لا تسمع ولا تري ولا تتكلم فهي خاضعه لقدرته تعالي مخلوقات مثلكم

فقال تعالي (ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين لهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبسطون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها)

فهي عاجزه عن نصره نفسها فاقده للحركه والحياه لا تسمع الدعاء ولا ارجل ولا اذن ولا ايدي ولا اعين لها ... فلماذا تخاف من العاجز ولما تطمع بالهدايه ممن لا يملكها ولهذا يتوجه الي الرسول صلي الله عليه وسلم وهو نداء لكل داعيه ان لا يخاف من غير الله ويامر ان يتحدهم الاضرار به هم واصنامهم فقال تعالي (قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) اي اجتمعوا انتم واصنامكم ولا تتركوا جهدا في جمع كيدكم بلا امهال ولا انتظار فان كيدكم لا يقف امام قوه الله ونصره لاوليائه فقال تعالي (ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولي الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الي الهدى لا يسمعون و تراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) اي عليكم ان تعتمدوا علي الله وتتوكلوا عليه فهو الولي والناصر فلا تخافوا الا الله تعالي عليكم استقبال اوامر الله بالتعظيم لامره للوصول الي القرب من الله عليكم بتقوي الله لتحظوا بنصره الله عليكم الاستعلاء بالحق والاستهان به بالمظاهر الخادعه الكاذبه للدنيا فلا تتخذوا فيها فهذا هو السبيل للوصول الي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

المقطع الحادي عشر من سورة الاعراف

بعد ان تناولت النصوص السابقه قببح عقيدته الشرك وسخافه عقول المشركين واقامت الحجج عليهم وسجلت عليهم تعطيل ادوات العلم ومكابرتهم وعنادهم وفساد معتقداتهم وامعائهم في الضلال وهذا فيه تقويه قوه النفور في قلوب المسلمين من الشرك واهله ولهذا جاءت الايات بعدها تامر النبي صلى الله عليه وسلم وهو امر لكل المسلمين بمكارم الاخلاق في التعامل مع الاخرين وملاطفتهم وامرهم بالمعروف والاعراض عن الحمقى فلا يكون الانتقام والغضب للنفس فقال تعالي (خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين)

فهذه هي المناسبه التي كان هذه الاوامر اذ ان الايه مكيه ولم يكن قد شرع امر القتال وهذا فيه بيان الخطوط العريضه لاهل الدعوه بان علي الداعيه ان يميز بين فقه الدعوه وفقه الدوله انت تعيش داخل هذا المجتمع وعليك ان تحسن التعامل معهم لتكون قادرا علي عرض نفسك والفكره التي تدعو اليها علي الناس ولهذا ابعدت الايه بـ التوجيه بالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بثلاث امور

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

ان المولى سبحانه وتعالى تولى تربيته النبي صلى الله عليه وسلم واعاداه بالخبرات اللازمه التي تساعد علي ايصال الخير للناس

فالنبي صلى الله عليه وسلم هو المربي والمعلم والهادي للناس ولهذا يعلمه الله كيف يقوم بعرض الدعوه علي الاخرين فيقول له

انتبه ان تصنع حاجزا بينك وبين الناس يمنعهم من القرب منك ومعرفه ما تدعوهم اليه لان الفكره انما تعرف من خلال شخصيه الداعيه ولهذا فعليك

1

ان تتعامل مع الناس بالسهل علي الناس فلا تكون فظا غليظ معهم فلا تكلف الناس بما يشق عليهم وعليك التزام اللين وعدم الشده عليك مراعاه ضعف الناس وتفاوتهم ولهذا عليك التسامح وغيض الطرف عن الضعف البشري و العطف عليهم والتعامل معهم بسعه صدر من اجل ان تسير الحياه فاللازم التسامح معهم في التعامل فلا تضيق عليهم الخناق بالتكاليف الشاقه وهذا في الاخلاق وليس يعني هذا التفريط في امور العقيدته فلا مجامله في العقيدته وانما يراد به يعاملهم بحسب طاقتهم ولايطلب المثاليه والكمال منهم

/2

وكذلك يامر بان يامرهم بالعرف الذي يعرف المجتمع حسنه فلا تامرهم بما هو غريب عنهم لان النفس يصعب عليها حمل التكاليف الغريبه عنها ويصعب ترويضها وقيادتها وانما يكون تطويعها بالامور المألوفه عليها المعروفه انها من اوجه الخير فيكون انقيادها بسهوله فالعرف كما عرفه العلماء هو ما استقرت النفوس عليه بشهاده العقول وتلقته الطباع بالقبول

3

ثم يامر بان لاينتقم لنفسه من الذين اساءوا له فعليه الابتعاد عن السفهاء والاعراض عنهم فذلك هو الافضل لان

الجدل معهم قد يؤدي الي مفاسد اكبر اما الاعراض عنهم فقد يكون دافعا الي تركهم اللجاج وهو ايضا يوصلهم الي العزله ويصبحون منبوذون من اصحاب الضمان الحيه الذين لايقبلون بافعال السفهاء فعندما يشاهدون حلم صاحب الدعوه عن السفهاء فانهم يتاثرون لانهم يعلمون ان الحلم هو اعلي مراتب الشجاعه

ولهذا جاء الامر للرسول صلي الله عليه وسلم وهو امر ملزما لجميع المسلمين فالايه فيها

المفهوم الاول

ان علي الداعيه ان يكون حريصا علي ايصال الخير للاخرين ولهذا فلا بد ان تحرص ان يكون تعاملك مع الاخرين سواء في التخاطب او الاحكام حاملا علي الاستمتاع بما تقول وبتعاملك معهم ودافعا لتطبيقها ف الله يقول (ادعوا الي سبيل ربك بالحكمه والموعظه الحسنه وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين)

ففي الايه امر ملزم بان تكون الدعوه الي سبيل الرب جامعته بين الحكمه والموعظه الحسنه وسبيل الرب جنس مضاف يقتضي الاستغراق فكل سبيل ربنا في الاصول والفروع والتبليغ والتطبيق والاعتقاد كل ذلك مطلوب ان تكون الدعوه مشتمله علي الحكمه والموعظه الحسنه

فالحق يامر نبيه اخذ ما يحقق ايصال الخير من الاحكام القادره علي جذب استمتاع المستهدفين بتطبيقها من خلال ربطها بالحكمه والموعظه الحسنه الحامله علي اصلاح العبد فاذا كان العفو مثلا يؤدي الي مزيد من الشر فانه لا يحقق الغرض من الحكمه منه

المفهوم الثاني

ينبغي ان يكون خطاب الداعيه واومره قائمه علي فهم الواقع والمرحله فلا بد من مراعاة الزمان والمكان ليكون لكل زمان لسان ولكل مكان اذان ولكل حدث حديث ولكل مقال مقام ولكل مصاب جواب ولكل داء دواء يقول الدكتور عبدالله الزبير عبد الرحمن في كتابه دعوه الجماهير مكونات الخطاب ووسائل التسديد (فالداعيه الموافقه هو الذي يتناسب خطابه بحال زمانه ومكانه ولايتخذ نموذجا قد طبع علي حاله واحده وسياق واحد ومدلول متبلد علي معني معين وهدف فرد... وطريقه محدد

انما خطابه يكون بحسب الزمان والمكان الذي يعيش فيه والنوزال التي تحدث والقضايا التي تتور وتظهر فليس الخطاب الذي يطلق في زمان الركود والوقود كالخطاب الذي يصدر في عهد اليقظه والنهوض ولايصح ان يكون الخطاب ايام الاستضعاف والهوان كالخطاب ايام الاستعلاء ولا الخطاب حال العز والتمكين كالخطاب حال الانهزام والتبعيه ولا الخطاب في زمان الصحوه كالخطاب في زمان الغفله ولكن لكل حاله خطاب يناسبها ويفل حديدها ويسد ثغورها)

ولهذا فان قوله تعالي (خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين)

ليست منسوخه كما زعم البعض مستدلين بقوله تعالي (ياايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب عليهم)

لان الايه المذكوره نزلت في المدينه في عهد التمكين والعز اما الايه في هذه السوره فهي مكيه فليس للاسلام دوله ولاقوه ولهذا فان المرحله تتطلب التعامل بسلاح يناسبها فالداعيه مطلوب منه ان يفهم الواقع والمرحله ليستخدم السلاح المناسب لعلاج القضايا ولاجل ان يكون خطابه وفعاله فيها جوابا لمشكلات العصر الذي يعيشه والواقع الذي يتلبسه

لابد ان تكون الدعوه مرتبطه بالواقع فلا يجدي ان تتجرد الدعوه تنظيرا تبعد عن ملامسه الواقع من الخطا اقامه

الدعوة في الازمان دون ان تنزل الي ارض الواقع

فالداعية الناجح هو الذي يفقه المرحله والواقع ويفهم العصر فيحدد حاجاته بناء علي تشخيص دقيق لهذا الواقع ومعرفه طريقه تفكير اهله والوقوف علي سنن التغيير والمدافعه ليكون قادرا علي اختيار العلاج المناسب حتي لا تكون الدعوه شاغله عن المهم داعيه لهامشات الامور التي لاتحرس ديننا ولاتقيم حدا ولاتنقذ شرعا ولاتحني قلبا ولا تنقذ شعبا ولا تفك رقبه ولا توجه مسلما الي طريق الحق فيميل عن هم الدعوه والتمكين لدين الله بالتفاعل مع واقعه العثره والجدل والمراء ولهذا جاء الامر بالاخذ بالعرف لان المرحله تتطلب ان يكون هذا هو الموقف لتحقيق الاهداف فلو ان المسلمين قاموا بالانتقام لمن يعذبهم في مكه باغتيال ابوجهل مثلا او برد كل اذيه جسديه بمثلها فما هي النتيجة بنظرك لاشك ان رده الفعل سوف تنعكس علي واقع الجماعه المومنه دون رحمه وكذلك لو ان الرسول صلى الله عليه وسلم امر المومنين بعدم تزوج المشركات وهم في مكه بصيغه التشريع كما حصل في المدينه عندما نزلت الايه (ولاتنكحوا المشركات حتي يومن) فمن الموكد ان ذلك سوف يترد اثره سلبا علي واقع المسلمين المستضعفين في مكه

فاللازم عليك ان تركز علي الاولويات لكل مرحله فالعهد المكي نجد فيه تركيز الخطاب القراني علي مساله التوحيد لم ينشغل الخطاب بامور هامشيه ولم يتعرض فيما لاحاجه للمسلمين فيه

هناك قضيه رئيسه هامه ينبغي التركيز عليها فمن الخطا الواقع فيه الكثيرون الانشغال بقضايا ثانويه واهمال القضايا الاساسيه فمثلا العالم الاسلامي اليوم يعاني من ازمه كبيره تهدد مقدسات المسلمين في فلسطين وتهدد بمحو شعب غزه بل والصفه. من قبل اليهود وترى من علماء المسلمين من ينتقد ناطق المقاومه لانه يغطي وجهه ويجمع الناس ليحدثهم عن ما يزعم انه جهاد السنه بان لا يغطي وجهه اليس هذا تهمة للقضية وتهوين لجرائم لاعداء بحق اهلنا بغزه ولهذا فان علي الداعيه ان يفهم الواقع فالمقصود الاعلي هو السعي لتمكين دين الحق في الارض يقول شيخ الاسلام والمفضل قد يكون انفع لبعض الناس لمناسبتة له كما قد يكون جنسه في الشرع في بعض الامكنه والازمنه والاحوال فالمفضل تاره يكون افضل مطلقا في حق جميع الناس وقد يكون

افضل لبعض الناس لان انتفاعه به اتم)

فالداعيه الحق هو الذي يزواج بين الواقع والواجب وبين التبليغ ومقتضيات العصر والداعيه الموفق هو الذي ارتبط خطابه بزمانه ومكانه وبنيته وحال قومه واهله ولهذا قال تعالى (خذ العفووامر بالعرف)

اي خاطبوا الناس بما يعرفونه لان مخاطبتهم بما لايعرفون فتنة لهم وفساد عريض وهو من اقوي اسباب التكذيب وقال علي رضي الله عنه حدثوا الناس بما يعرفون اتحبون ان يكذب الله ورسوله)

ولذلك جاء امر الله سبحانه وتعالى (خذ العفو وامر بالعرف)

والعرف كما عرفه العلماء هو ما استقرت النفوس عليه بشهاده العقول وتلقته الطبائع بالقبول (المرجع كتاب عبد الله الزبير عبد الرحمن دعوه الجماهير وخطاب الدعوه والتسديد)

فالحق يحذر من الخطاب الذي ينفصل عن الواقع او يتعلق بامور لاحاجه للمسلمين فيها بقدر ما فيه من تهمة للقضية وتهوين للدعوه وتسفيه لامر الدين الحق

المفهوم الثالث

يحرص الاسلام علي تصويب الجهود بالاتجاه نحو الاهداف الاستراتيجية ولهذا يحذر من الخطاب الذي ينفصل عن الواقع او يتعلق بامور لاحاجه للمسلمين فيها بقدر ما فيها من تهمة للقضية وتهوين للدعوه وتسفيه لامر الدين الحق وتشتيت لجهد الدعاه ولهذا يامر الحق نبيه بالاعراض عن الجاهلين فقال تعالى

(واعرض عن الجاهلين)

لان الحمقى من اهل الكفر يحبون منكر القول والفكر والفعل فهم ينظرون له انه وسيله ليعرفوا ويذكروا فشعارهم (من لم يفعل منكر لا يذكر) فنحن نشاهد ان الكثير من السفهاء الذين يريدون الشهرة في الوقت الحاضر يلجأون الي التطاول علي الدين والعلماء في وسائل الاعلام بدون ان يعلموا شي فهؤلاء الحمقى يعتقدون ان سييلهم الي المجد هو التشهير باهل الصلاح لاجل ارضاء اسيادهم الذين يسعون لنيل اعجابهم من التطاول علي الدين فهذه هي افه وعله الحمقى ولهذا عندما يجدون ردا من اهل الصلاح والخير بالمثل فانهم يفرحون بذلك لانهم يعتبرون ان قدرتهم علي استفزاز اهل الخير شهاده لهم عن ائمه الكفر يقربهم اليهم ولهذا فان الاعراض عن الجاهل لغه قويه للرد عليه

الامر الثاني

لاشك ان توجيه الخطاب للنبي صلي الله عليه وسلم بقوله تعالي (خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين)

هو خطاب لجميع امته وان التوجه به للنبي صلي الله عليه وسلم

يهدف الي شد انتباه الامه ومشاعرها الي تدبر وفهم ما في الخطاب من وصايا وتوجيهات فالامر بهذه الصيغه يعني ان الموضوع ذو اهميه كبيره يتطلب منك ايه المسلم العنايه والاهتمام

فانت عندما تسمع الامر (خذ العفو) عليك ان تفهم انك مكلف من الله وملزم باخذ العفو والامر بالعرف والاعراض عن الجاهلين

لان هذا البيان الذي سيقى عليه الايه يعني ان هذه الصوره التي ترسمها الايه انما تضع لك معالم وملامح وصوره الواقع الذي ينبغي ان يبني عليه المجتمع المسلم هذه هي الصوره التي ينبغي ان يقوم عليها المجتمع المسلم ولك ان تقف مع نفسك فتتظر الي هذه الصوره التي سيكون عليها المجتمع المسلم لو تم الالتزام بما في هذه الكلمات الثلاث اي مجتمع مثالي ستعيش فيه ايس هذه الحياه والمدينه المعاليه التي يطمح كل انسان ان يعيش فيها

ان هذه الاخلاق الفاضله التي امر الله بها نبيه ان ياخذها هي اخلاق يجب ملازمتها وعدم تركها ولهذا قال تعالي (خذ العفو)

والاخذ للشئ هو لازمه او عدم تركه فاخذ العفو ملازمته اي لا بد ان يكون هذا الخلق ملازما لك لماذا

لانك تريد ايصال الخير للناس فهذا هو الطريق للوصول الي القلوب

فالايه تدل ان الرسول صلي الله عليه وسلم كان منشغلا بامر الدعوه يريد ان يتمكن من الوصول الي قلوبهم لاجل ان يوصل الخير اليهم ولهذا ابتدأت النصوص بهذه الكلمه الجامعه خذ العفو

انه الخلق الاول لا يصلح الي الاخيرين والعفو له عده معاني

حيث انه يطلق علي الصفح عن المذنب والمعني هنا خذ الصفح خلقا لان الذي يصفح عن المذنب انما يصله بخير لان المذنب يستحق العقاب ولهذا فان العفو (الصفح) بمثابة اوصول الي المذنب ولهذا يشترط ان يعترب عليه اصلاح ولا يودي الي مزيدا من الشر

فالاخذ هنا اذا اخذنا برأي من قال انه من الصفح فانه بمعني خذ الصفح خلقا خذ الحلم خلقا خذ الرحمه خلقا خذ العفه خلقا خذ الستر علي الاساءه خلقا

لكن العفو الذي بمعني الصفح عن المذنب اي اسقاط حقه اكراما واحسانا انما يكون مع قدرتك علي الانتقام فتوتر
الترك برغبه الاحسان ومكارم الاخلاق. اما عندما تكون عاجزا عن الانتقام فان الصفح لايسمح هنا عفوا لانه لايعمر
في النفوس باصلاحها ولو اعتبرنا ان الامر للرسول بالعفو عن اذيه المشركين له وللمسلمين فان هذه المواقف لا
ينتج الصفح اثاره لان المسلمون كانوا مستضعفون وانما امرهم الله بالصبر في مثل تلك الاحوال

ولهذا فان نزول الايه في مكه فالسوره تتحدث عن حسم المواقف فقد نزلت بعد الانتقال بالدعوه من مرحله
السريه الي الجهرية

وهي مرحله الذي تعني مخاطبه الناس كلهم ودعوتهم الي الاسلام ولا بد فيها من المواجهه مع الاعداء ولا بد من
ازاله الشبهات التي يثيرها الاعداء وبالتالي فان الايات مرتبطه بتلك الاحوال

ولهذا يفهم من النصوص ان المراد بالنصوص الاتي

ارشاد الي كيفيه التعامل مع الناس في هذه مرحله والخطاب الذي يجب ان يتوجه به الي الناس بان يتعامل
باسلوب. التلطف بالناس لتستخرج منهم الحق ولتردهم عن الباطل فقال تعالي (خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين)

فان المراد بهذا التعامل بالمداره فذكر احوالها خفض الجناح للناس. (خذ العفو) والرفق بالجاهل في التعليم (وامر
بالعرف)

وترك الاغلاظ في نهى الفاسق بالانكار عليه بلطف القول والفعل وذلك بالاعراض عنهم حتي لايتصور رضاك عن
افعالهم

فالامر فيه توجيه بمخالطه الناس والتخلق باخلاق حسنه في التعامل معهم ولهذا ابتدا بخفض الجناح للناس خذ
العفو

فمن معاني العفو ما زاد علي الشئ الذي يعفو علي السطح وهذا يعني عليك ان تاخذ الظاهر من اخلاق الناس ما
تراه ابتعد عن التجسس عليهم وكشف المستور لان ذلك يعيق ترتيب الصفوف ويفقد الثقة بين المعلم والتلاميذ
والامر بالرفق بهم بالتعامل بالظاهر مشروط بعدم مخالفه الشرع فلا مجامله في دين الله لان المجتمع اذا خالف
منهج الله وكان السكوت عن ذلك وعدم انكار المنكر فمعني ذلك ان العفو يودي وظيفه سلبيه ولا يترتب عليه اصلا
ح فانتفاء الشرط يعني ان العفو لم يعد فيه ايصال خير وانما يودي الي مزيدا من الشر وبالتالي فان هذا لا يعد
عفوا وانما ديوته باسم العفو والحلم وينافي الغيره والعفه وهو وصمه عار وليس عفو

ثم امره بقوله (وامر بالعرف)

جاء الامر بالعرف محذوف مفعوله لافاده عموم المامورين فالله يامر رسوله ان يامر الناس كلهم بكل ما فيه الصلا
ح والخير ويدخل في هذا العموم المشركون الذين في زمان الايه

ثم يامر بالاعراض عن الحمقاء الذين سوف يقفون في طريق الدعوه بعد اقامه الحجه عليهم وامرهم بالمعروف
فامر بالاعراض عنهم صيانه له ورفقا لقدره عن مجادله الجهلاء كما قال تعالي (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلا
ما) (واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لانبتغي الجاهلين) فالايه بينت
كيفيه التعامل مع الناس في هذه مرحله بانه يكون بالمداره وحذرت من المداهنه التي هي من الدهان وهو الذي
يظهر علي الشئ ويستتر مافيه فالامر بالاعراض عن الجاهلين حتي تدراك ان هنالك فرق بين المداره المطلوبه في
مثل تلك مرحله التي كانت تمر بها الجماعه المسلمه والتي تعني استعمال التلطف لدفع المنكر وبين المداهنه التي
تعني باظهار الموافقه لاهل الباطل علي باطلهم من غير انكار عليهم ماهم فيه فهذا امر لاتقبله الشريعه

الامر الثالث

تبين الابه اهميه حسن الادب في مخالطه الناس وان كانوا مشركين طالما انك تعيش في هذا المجتمع ولكن هذه المخالطه ينبغي ان تهدف الي استقطاب الناس الي الخير وهذا يتطلب منك معرفه احوالهم واوضاعهم وان تدرس الوسائل والاساليب التي تسهل علي استقطاب من يمكن استقطابه لصف جماعه الايمان فمعرفه المداخل التي يسهل عليهم الاجابه امر هام وضروري لعمل الداعيه

ولهذا فان من الاخطاء التي وقع فيها الكثيرون من رواد الحركات الاسلاميه هو المغالاه في الزهد بدعوه الناس الي ترك الدنيا والانعزال عن الناس وهذا ما ولد جهلاء تركوا الدنيا بفهم ان هذا هو الدين واصبحوا عناصر تعيق الدعوه وتشوه صورته الاسلام حيث صار التشدد وتكفير الناس صفات اغلب هولاء

ونهايه المطاف تري شباب هذه الجماعات اما مريض نفسيا مختل عقليا نتيجة تصادم قوه الباطنه الناتج عن الا فراط في التدين واما متطرف صار الدين عنده الانتماء للذوات وليس للفكره والدين

المفهوم الثاني

ان اللازم عليك عند الدعوه الثاني عند موارد العجله فلا تستعجل في خطواتك فعليك ان تضع النقط علي الحروف لاتفصل بين العلم والتربيه فالصعود الي القمه يتطلب ان تصعد السلم درجه درجه حتي تصل الي القمه ولهذا فان هذا الامر يتطلب منك ترتيب الاولويات وهذا يعني ان لاتامر الناس بترك الدنيا (الزهد) قبل ان تامرهم بترك الذنوب لانهم لايقدرن علي تركها يقول ابن القيم (فاول خطوه عليك ان تامرهم بترك الذنوب مع اقامتهم علي دنياهم فترك الدنيا فضيله وترك الذنوب فريضه فكيف يومر بالفضيله من لم يقم الفريضه

فان صعب عليهم ترك الذنوب فاجتهد في تحبيب الله اليهم بذكر الاثمه وانعامه واحسانه وصفاته كماله ونعوت جلا له فان القلوب مفطوره علي محبته فاذا تعلقت بحبه هان عليها ترك الذنوب والاستقلال منها والاصرار عليها

وقد قال يحي بن معاذ طلب العاقل للدنيا خير من ترك الجاهل لها

العارف بالله يدعو الناس الي الله من دنياهم فتسهل عليهم الاجابه والزاهد يدعوهم الي الله بترك الدنيا فتشق عليهم الاجابه فان الفطام عن العدي الذي ماعقل الانسان نفسه الا وهو يرتضع منه شديد ولكن تخير من المرضعات اركاهن وافضلهن فان اللبن تائيرا في طبيعه المرتضع ورضاع المراه الحمقي يعود بحمق الولد وانفع الرضاعه ماكان من المجاعه فان قوبت علي مراره الفطام والا فارتضع بقدر فان من البشم مايقتل)

نقلا عن ابن القيم رحمه الله في كتاب الفوائد

المفهوم الثالث

تحت الايات علي الاهتمام بالعلم والتنزه عن منازعه السفهاء فهذا فيه ارشاد الي عدم جدوي مجادله الحمقي لان من كثر نزاعه بالجهل دام عماه عن الحق فالحمق يودي الي الجهل والجهل يعني الفقر الحقيقي فقد ورد ان علي ابن ابي طالب قال اغني الغني العقل واكبر الفقر الحمق واوحش الوحشه العجب اي من اعجب بنفسه مقته الناس فلا يوجد له انيس فهو في وحشه دائمه

ثانيا

(واما ينزغتك من الشيطان نزغ فاستعد بالله انه سميع عليم)

الامر الاول

(مناسبه الايه لما قبلها)

وهذا ما ابتدأت به الايه بامر الله الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون بحسن الادب في مخالطه الناس ؛
التعامل معهم فجاء الامر بخفض الجناح للناس والرفق بالجاهل في التعاليم وبالفسق بانكار ما هو عليه بأسلوب
لطيف ولما كانت هذه التوجيهات شاقه علي النفس . وما فيها من قوه غضب والاسلام يعترف بما في النفوس من
قوه غضب فالرسول صلى الله عليه وسلم بشر يجري عليه ما يجري علي البشر من انفعالات ولان البشر لابد لهم
من مواقف ورده فعل علي افعال اي طرف مقابل

ولهذا نجد ان الاسلام قد جاء بعلاج الاثار الجانبيه التي تصاحب قوه الغضب والحب ولهذا لما امر الله بالمعروف
في الايه السابقه وهو يشمل النهي عن الضد المنكر لان الامر بالشئ نهى عن ضده وانما اقتصر بذكر المعروف هنا
لانه الاهم في دعوه مشركي قريش لانه يدعوهم الي اصول المعروف التوحيد

ولما كان الامر بالمعروف مما يهيج الجهلاء ويظهر سفاهتهم عند ذلك امر بمقابله ذلك بالسكوت والاعراض عنهم
فقال تعالى (واعرض عن الجاهلين)

ولما كان المعروف ان افعال واقوال السفهاء قد تهيج الغضب وقد لا يبقى الانسان علي حاله من السكوت لان لكل
فعل رده فعل مساوا له في القوه ومضاد له في الاتجاه فهذا القانون فيزيائي

والخروج من حاله السكون التي تسبق رده الفعل هذه تبدأ من الغضب الذي يحمل الانسان علي ما لا ينبغي تحت
تأثير ثوره الغضب لان الشيطان يجد من ذلك مدخلا لوسوسته وتزيينه. لرده الفعل ولهذا يضع الحق لعباده العلاج
لهذا الداء فقال تعالى (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) عليك الالتجاء الي الله لانك الغضب يجعلك عرضه
لوسوسه الشيطان الذي يستغل حاله غضب النفس وفقدانها زمام القيادة عند الغضب فالايه مع ما قبلها تبين لنا ان
طريق للعبد للنجاة تكون من ثلاثه

الاول

العمل بالعلم

عليك ان تفهم انك مكلف بايصال الخير للاخرين وازاله الشر والفساد ومجاهدته ولهذا ابتدأت الايه السابقه بالامر
(خذ العفو) يامر الحق نبيه بحسن الادب في مخالطه الناس وهذا مافهمه السلف فقد ورد عن البغدادي انه قال لا
بنه بني اجعل عملك ملحا وادبك دقيقا اي استكثر من الادب حتي يكون نسبته في سلوك من حيث الكثره كنسبه
الدقيق الي الملح الذي موضع فيه وكثير من الادب مع قليل من العمل الصالح خير من كثره العمل مع قله الاداب
ولهذا لما بين الله في الايه السابقه كيف يكون التعامل مع الناس الذي فيه اصلاح احوالهم وازاله كل مظاهر
الفساد في الارض لو التزموا بتلك الوصايا قفي الله عليها بالوصيه باتقاء افساد الشيطان فقال تعالى (واما ينزغنك
من الشيطان نزغ فاستعذ ب الله انه سميع عليم)

ولهذا تضمنت الايه : تنبيه العبد من الغفله التي تمكن الشيطان من بيت افكارك وارادتك فقال تعالى (واما ينزغنك
من الشيطان نزغ)

قال الزجاج :النزغ ادني حركه تكون من الادمي ومن الشيطان ادني وسوسه ولهذا يقول لك الحق عليك الانتباه
من مداخل الشيطان الي تصوراتك وارادتك لانه يفسدها عليك يصعب عليك تدراكها فهو يلقي عليك الافكار و
الوسوس والخواطر المضره فالخواطر والافكار مبدا كل التصورات وتدعوا الارادات فكن في يقظه من امرك انتبه
ان تفسد خواطرك وافكارك فقال تعالى (واما ينزغنك من الشيطان نزغ)

اي اما ان يصرفك عن ما امرك الله صارف (فاستعذ ب الله انه سميع عليم)

اي لاتغضب لنفسك واغضب لله علي نفسك لاتحدث نفسك بخطيئه ولا تصر علي صغيره مهما كانت فلا تسعي للا
نتقام لنفسك

وهذه التوجيهات فيها بيان الفرق بين الحميه لله وبين الحميه للنفس

فالحميه لله تعود الي تعظيم الامر الالهي وتعظيم الامر اي الله سبحانه وتعالى فالحميه لله تعني ان تحمل قوه
الغضب القلب علي تعظيم امر الله وحقوقه علي عباده ولهذا تصير هذه القوه نور لها سلطان علي القلب تجعله لا
يغضب الا لله

اما الحميه للنفس فهذا يعود الي تعظيم النفس والاعجاب بها

ولهذا فان دناءه النفس من الاعجاب الانسان بنفسه وارادته بغيره

ولذلك فان الحميه النافعه هو فطام النفس عن رضاع اللوم من ثدي الخبائث والقبايح من خلال معرفه الانسان
نفسه بضعفها وعيوبها وافتقارها لربها

ومعرفه ربه بجلاله وعظمته وجماله وقدرته واطلاعه علي كل شي فتتكسر النفس امام خالقها وتخضع لامر ربها
وتذعن لسلطانه لان النفس قد تجد فيها نوع من الاباء والشروء من الطاعه او رغبه في المعصيه ولهذا فان
معرفتها لربها وحاجتها اليه تجعل النفس تنكسر امام امر الله وكذلك فانها عندما تذكر ربها وعظمتها فانها تخضع
لسلطانه وتطرد صارف الهوي والشيطان

العاني

الاستغناء ب الله والفرع الي الله تعالى في كل حال فهو حصن من الغوائل ومخلص من شرور النوزال سبحانه من
يسمع استعاذتك فيجيب ويعلم مايصلح امرك ولهذا يرشد الله العبد الي كيفيه مجاهده النفس والهوي والشيطان

فقال تعالى (واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ ب الله انه سميع عليم)

يوجه الله العبد بدفع الخواطر الواراه عليه قبل ان تصير فكرا عليك اصلاح الفكر الخواطر والهيمه الارده يقول
لهم ان السعاده بالقرب من الله والشقاء في البعد عنه وسخطه عليك ولهذا قال تعالى (فاستعذ ب الله انه سميع
عليم) اي يسمع لدعائك ولوسوسه الشيطان ولكل صوت عليم باستعاذتك ولوسوسه الشيطان

فصلاح الخواطر انما يكون بمراقبه النفس لوليها والهها صاعده دائره علي مرضاته ومحابه فانه تعالى به كل صلاح
ومن عنده كل هدي ومن توفيقه كل رشد ومن اعراضه وتولييه عنه كل ضلال وشقاء فيشعر بوجود الله واطلاعه
علي كل مايصدر عنه

ولهذا قال تعالى (سميع عليم) ولم يقل السميع. العليم فالذي يسمعك ويبصرك هو عليم بك لان الذي يعلم قد
يكون غائبا عنك ولهذا فان السمع فشمم العلم والرؤيه والسمع

ليغرس في النفس الشعور بوجود الله فتخاف ان يراها الله فيما يغضبه فتحذر الوقوع في ذلك وايضا لتشعر
النفس ان الاستعاذه ب الله هي المنقذ من وسوسه الشيطان فهو تعالى يسمع دعائك ويسمع وسوسه الشيطان

ولهذا فان نجاه العبد بمعرفه الله وتوحيده وانزاله اياه حاضرا معه مشاهدا له ناظرا اليه رقيبا عليه مطلعا علي
خواطره وارادته وهمته فحينئذ يستحي منه ويجله ان يطلعه علي عوره يكره ان يطلع عليها مخلوق مثله او يري

في نفسه خاطرا يمقته عليه

ولهذا قال تعالى (انه سميع عليم)

فمن انزل ربه هذه المنزله منه وقربه منه واكرمه واجتباها وبقدر ذلك يبعد عن الاوساخ والدنات والخواطر
الردئيه والافكار الدنيئه كما انه كلما بعد واعرض عنه قرب من الاوساخ والدنات والاقذار ويقطع عن جميع الكما
لات ويتصل بجميع النقائص

فالانسان خير المخلوقات اذا تقرب من بارئه والتزم اوامره ونواهيه وعمل بمرضاته واثره علي هواه وشر
المخلوقات اذا تباعد عنه ولم يتحرك قلبه لقربه وطاعته وابتغاء مرضاته فمتي اختار التقرب اليه واثره علي نفسه
وهواه فقد حكم قلبه وعقله وايمانه علي نفسه وهواه وشيطانه وحكم رشده علي غيه وهداه علي هواه

(نقلا من كتاب الفوائد) ولهذا قال تعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا
هم مبصرون) ومتي اختار التباعد من ربه فقد حكم نفسه وهواه وشيطانه علي عقله وقلبه ورشده فقال تعالى
(واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون)

العالت

(التحرز بالخوف)

ولهذا نجد انه بعد ان امر الحق النبي صلي الله عليه وسلم بدفع الخواطر والاستعاذه بالله من وسوسه الشيطان
يصف الله حال المتقين فقال تعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون)

وهذا فيه الاتي

المساله الاولى

اهميه اليقظه علي الدوام وسد الغور ومجاهده الشيطان وسوسه

والنفس والهوي لان الانسان قد يخفي عليه كثيرا من احوال نفسه فلا يشعر بها ومن ذلك حب الرياسه التي
يطلق عليها الشهوه الخفيه فالكثيرون لا يعرفون ما قد يكون في انفسهم من حب الرياسه ويتصور نفسه مخلصا
وعندها تخفي عليه عيوبه لاسيما وان الشيطان يغطي علي الانسان امورا ولهذا يامر الله نبيه بالتيقظ ومجاهده
الشيطان مبينا بعدها ان التيقظ سنه المتقين

فقال تعالى (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون)

فيه تهيج للمومنين بمتابعه الرسول صلي الله عليه وسلم فهو مامور بمجاهده الشيطان لانه متق ولهذا عليكم الا
قتداء به اذا اردتم ان تكونوا من المتقين كما قال تعالى (اولئك الذين هدي الله فبهداهم اقتده)

فالمتقون في حاله يقظه دائمه فهم (اذا مسهم) والمس تعني ملامسه من غير تمكن كالكفار الذين يتسلط عليهم
الشيطان

ولكن مجرد ملامسه اي ان الشيطان يختلس من قلوب المومنين حين تنام العقول الجاربه للقلوب مواطن النوم
فيجد ثغره فيحاول ان يتسلل منها ولهذا قال (طائف) اي انه يتاتي حين تنام القلوب فهو يرجوا غفلتها فهو لاياتي
الي القلوب دائمه الاستيقاظ

فذكر الحق ان المتقين لا ينتظرون ان يغور الطائف في اعماقهم ويظلم قلوبهم وانما بمجرد المس يتذكر فيتعوب الي الله انه يستقيظ وعندها يلجاء الي الله بالاستغفار فيسترجع ما اختلسه منه الشيطان فيبصر مكائد الشيطان ومواطن الزلل فيحذر الوقوع فيها

المسأله الثانيه

لماذا قال تعالى (تذكروا) ولم يقل ذكروا وما علاقه ذلك بالتقوي؟

التذكر اعم واشمل وهذا فيه اشاره الي ان الغفله لا يطردها مجرد الذكر بل تحتاج الي الذكر ميدانه اللسان بينما التذكر ميدانه القلب ولهذا انما يطرد الغفله التذكر والاعتبار

فالنفس لها سلطان هوي قاهر وغالب يتطلب قمعها وتزكيتها بالتقوي التي تعني الخوف من عقاب الله وعذابه الذي توقن بوقوعه لامحاله اذا ارتكبت الذنب لان الذي لا يوقن بذلك لا يعترك هواه ف الله يقول (فما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوي فان الجنة هي الماوي)

وقد وصف الله المتقين بانهم يومنون بالغيب وهم بالاخره هم يوقنون ولهذا فان تزكيه النفس وضبط قوتي الحب والغضب

ولهذا قال تعالى (تذكروا) محذوف متعلقه اي تذكروا الجنة والنار والعقوبه فهذا التذكر ماحي لطيف الهوي من قلوب المتقين وعلي هذا يكون المعني ان التذكر ادي الي الخشيه اي تذكر فخشي فابصر بانوار شمس البصيره فقال تعالى (فاذا هم مبصرون)

او ان المراد بها ان الخشيه تدعوهم الي التذكر

وهذا لان المتذكر اما ان يتذكر خالقه الذي تعرفه فطرته وتجه فيتذكر انه مخلوق وان الله خالقه ويتذكر انعام الله واحسانه ويتذكر ان فقير الي الله ومحتاج لله علي الدوام فيكون التذكر سبب للتزكي بامتثال امر الله ورسوله فهو يتذكر فينيب كما قال تعالى (وما يتذكر الا من ينيب)

واما ان يتذكر ما يقتضي الخوف والخشيه وهو لا بد له من الانابه حينئذ لينجو مما يخاف

ولهذا قال تعالى (تذكروا) لان التذكر الماحي للطيف من قلوب المتقين مراتب بحسب مراتب المتقين لان الخوف الناتج عن التقوي له اربع مقامات الاول خوف الايمان (خوف المريرين) وعلاماته مفارقه المعاصي والذنوب- وخوف العلماء وعلامته الاشفاق والورع والخشيه.... وخوف الصديقين (خوف الفوت) وعلامته بذل الجهد في طلب مرضاه الله برجود الهيئه والاجلال لله عزو جل.... وخوف خص الله به الانبياء والملائكه وهو خوف الا عظام لانهم امنون علي انفسهم بامان الله لهم فخوفهم تعبدتهم لله اجلالا واعظاما ولهذا قال تعالى (تذكروا فاذا هم مبصرون)

فاستخدم الفاء الفجائيه الداله علي حصول مضمون جملتها دفعه بدون تريث اي تذكروا تذكر ذوي العزم اشاره الي الفزع من الطائف العارض النازل بالمكان فلم يتأخروا في دفع الخواطر لان الخواطر اذا اهملت لم تلبث ان تصير عزمًا ثم عملا

ولهذا وصفهم باسم الفاعل مبصرون دون الفعل للدلاله علي انهم سارعوا علي دفع الخواطر ومحو الطيف من قلوب المتقين علي حسب مرتباهم ومقاماتهم فقال (تذكروا) فمرتبه التقوي يدخل فيها الانبياء والمرسلين و الصديقين والاولياء والصالحين وعامه المسلمين فتقوي كل واحد حسب مقامه ولهذا كان استخدام كلمه تذكر وا مناسباً ليجمع المقامات فلو خص بالذكر قسما من مقامات التذكر لم يدخل فيه الا اهل ذلك القسم اي لم تبين

لكل قسم الحق كان دفع الخواطر الشيطانية وكان التمسك بالحق والعمل بما تذكروا

ولهذا فان توسيع دائره المتقين يراد منها ان تدرك ان الله تعالى اراد توسيع دائره رحمته والتقوي التي تعني امتثال اوامر الله. واجتناب نواهيه وجعل لذلك مقامات فلو انه قال ان الذين اتقوا لايمسهم طيف من الشيطان لخرج كل احد الا اهل العصمه

والمراد بهذا تعظيم امر الله تعالى

ومن هنا نفهم لما عظمت التقوي حيث قد سبق وان اوضحنا سابقا في موضوع تعظيم النصر... ان الخوف صار يعظم بالشرع والطبع دفع المكروه فاما بالشرع فبالتقوي. فالله يقول (تلك الدار الاخره نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فساد والعاقبه للمتقين) وقد اوضحنا ان الناس تعظم من ينصرهم اكثر من اهل الرزق... ولهذا سوف نبين لماذا عظمت التقوي لانها تضبط قوي الحب الشهويه وقوه الغضب البغضيه والرسول صلي الله عليه وسلم يقول (اوثق عري الايمان الحب في الله والبغض في الله)

يقول شيخ الاسلام فان هاتين القوتين هما الاصل وقال النبي صلي الله عليه وسلم (من احب لله وبغض لله واعطي لله ومنع لله فقد استكمل الايمان) فالحب والبغض هما الاصل

والعطاء عن الحب وهو السخاء والمنع عن البغض وهو الشجاعه ولما كان الغضب له حاله خصوص لوجود شده تقوم في النفس تقترب بحاله غليان دم القلب لطلب الانتقام وهذا يسمي الغضب الخاص لهذا جاء الاسلام لضبط هذه القوه فمقابله الشهوه بالبغض يجب ان لايريد به الغضب الخاص لان الغضب الخاص يكون فيه نسبه هذه النفه بنسبه الطمع الي الشهوه اما الغضب العام فهو القوه الدافعيه البغضيه المقابله للقوه الجاذبه الحبيه ولهذا يقول الله في موضع اخر(نبي عبادي انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم)

ويقول تعالى ايضا في موضع اخر (قل ان كان اباؤكم وابناءكم.....الي قوله احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا)

ولهذا فان تعظيم التقوي لانها :-

تحفظ الفطره وتمنع فسادها والعبد يحتاج الي رعايتها لان المحبه الفطريه. والعلم الفطري مغروس فيها ولهذا اخبرنا الله ان المتقون اذا اصابهم هذا الطيف الذي يطيف بقلوبهم يتذكرون ما علموه قبل ذلك فيزول الطيف ويبصرون الحق الذي كان معلوما ولكن الطيف كان يمنعه عن رويته فالذنوب تغطي القلب وتمنع عنه الرؤيه وتفسد الفطره وتجعلها تنسي ما كان معلوما لها ولهذا كان اعظم ما دعت اليه الرسل الاخلاص والنهي عن الاشراك لان الاقرار الفطري حاصل لوجود مقتضيه وانما يحتاج الي اخلاص ودفع الشرك ولهذا كانت حاجه الناس الي الدوله الدافعه عنهم الظلم لبعضهم البعض والجالبه لمنفعه بعضهم البعض ومن هنا نفهم لما صار النصر معظم في الشرع والطبع وكان تعظيم التقوي ذلك ان المجتمعات التي لا ايمان لها فان الجرائم تنتشر كلما وجد الناس فرصه الافلات من عقاب القانون والدوله

اما المجتمعات المومنه فانها تراقب الله لانها تخاف الله ويشعر الفرد انه ان استطاع الافلات من عقوبه القانون فانه لن يستطيع الافلات من عقاب الله تعالى

الامر الثاني

يخير الله عباده ان الحكمه في رياض الخوف ودوامه تذكر احسان الله لك مع مخالفتك وتذكر رحمته لك وستره عليك مع قلبه حياءك وحلمه عنك مع اعراضك عن ذكره وان علي العبد ان يفارق الهوي والغضب وان يعمل في اسباب التيقظ فمفاتن الدنيا براقه خلايه تجلب لك الغفله عن عاقبتك وتنسيك ما انت صائر اليه فالعمل علي

تحصيل اسباب التيقظ لازم عليك لسلامتك من دار الغرور ولهذا فان عليك ان تحذر مواطن الغفله احذر ان
تخدع بتزيين الشيطان واحذر من هجمات الهوى التي تجعلك تستخف بالمعصيه وانت لاتدري انها تصير نكته
سواء في قلبك حتى يصير مظلمًا فلا يبصر ولهذا فاعداء اعدائك هو نفسك عليك تواجه ضرواه الشهوه وتقمعها
بقليل من الصبر وذكر الله فالله يقول في موضع اخر (انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت
عليهم آياته زادتهم ايمانا... الخ

فقد وصف المومنون بالخوف والوجل عند ذكره وذلك لقوه ايمانهم وكانهم بين يديه ونظير ذلك قوله تعالى (وبشر
المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) وقال تعالى (الا بذكر الله تطمئن القلوب)

فهذا كله يرجع الي كمال المعرفه وثقه القلب والوجل الفزع من عذاب الله فلاتناقض وقد جمع الله بين المعنيين
في قوله (الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها معاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الي ذكر الله)

اي تسكن نفوسهم من حيث اليقين الي الله وان كانوا يخافون الله

فهذه هي حال العارفين بالله الخائفين من سطوته وعقوبته لا كما يفعل المبتدعون من الصياح والنعيق مثل
الحمير فيقال لمن تعاطي ذلك وزعم ان ذلك وجد وخشوع

فاحذر اخي المسلم من مجالسه هؤلاء فهم في غفله انهم اخوان الشياطين... وفيها خروج عن السبيل فقال
تعالى (واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون)

يحذرك الحق من ارتكاب الذنوب فهي تورث الغفله يقول ابن مسعود اني لاحسب ان الرجل ينسي العلم قد علمه بـ
الذنب يعمله

والغفله تورث القسوه والقسوه تورث البعد عن الله والبعد عن الله يجعلك مطايا الشيطان ولهذا قال تعالى
(واخوانهم يمدونهم في الغي)

اي ان الشياطين اخوانهم بالكفر يزيدون لهم الضلال والشرك

فهي تمدهم في غيهم (ثم لا يقصرون) اي تصبح في اسر الشيطان واسر النفس الاماره بالسوء وسجن الشهوات
وتسقط من العبد الجاه والمنزله وتقرب اليه اعداء الله وهم الشياطين من الجن والانس ومن اثار ذلك حصول
الحرمان من العلم

وتورث في القلوب الاثار القبيحه من الرين والطبع والختم والنفاق وسوء الاخلاق فالمعاصي سنيه العواقب فهي
تجعلك تابعا للشياطين الذين يزيد اعتناهم بالاغواء فهم لايسامون ويعابرون لاضلالك فهم لايقصرون في المدد وا
لامداد ولا عن الغي فاستعمل اداه الترخي (ثم لا يقصرون) اي لايتركون اغواهم ولا لحظه فلا يقصرون عن المدد و
الامداد فلا يبصرون مع ذلك الغي ما هو معلوم لهم ومستقر في فطرتهم لكنهم ينسونه

فالذنوب خصوصا ذنوب الخلوات التي تكون بينك وبين الله ويحصل الادمان عليها من اخطر الذنوب فانت ترى
في الحياه ان هناك اناس كانوا صالحون لكنهم فجاه ينقلب حالهم. فهذا الخذلان انما سببه ان صاحبه كان له
ذنوب عظيمه يدوام علي ارتكابها ولايستحي من الله فكانت سبب ظلمه قلبه... فاحذر اخي المسلم من مثل ذلك.
لان المبارزه لله تعالى تسقط العبد من عينه تعالى

فكن حريصا علي ان تنال القرب من الله

فالعبد المومن اليقظان لا يتلذذ بالمعصيه لانه عند التذاذه يقف بازائه علمه بتحريمها وحذره من عقوبتها. فان قويت معرفته راي بعين علمه قرب الناهي وهو الله فيتغنص عيشه في حال التذاذه.

كما قال تعالى (والذين اذا فعلوا فاحشه او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم... الخ

ولهذا فلا يتلذذ بالمعصيه الا دائم الغفله لان سكر الهوي يغلبه والشياطين يزيدون له بالغى حتي تصير الشهوه له طبع فلا يتغنص قلبه بالمراقبات حتي يجد نفسه في خزي دائم وندم ملازم وبكاء متواصل واسف علي ماكان فهذا هو نهايه الغي وهو الغفله الدائمه التي هي خلاف الرشد فالذنوب تفسد الفطره والعقل وتضعف اراده القلب وانا بته الي الله ويزوال بها عن القلب استقباح الذنوب

ولهذا فان هذا العبد لا ينتفع بما في القران من ذكري لان من الناس من يتذكر فينتفع به والاخر تقوم عليه الحجه ويستحق العقاب فالله يقول في موضع اخر (فذكر ان نفعت الذكري) وقال تعالى (وذكر فان الذكري تنفع المومنين)

وقال تعالى (فما لهم عن التذكره معرضين كأنهم حمر مستنفره فرت من قسوره) فهؤلاء معرضون عن التذكره لا يسمعون فتذكيرهم هو التذكير العام الذي تقوم به الحجه لا كما يذكر المومنين التذكير الخاص كما قال تعالى (فذكر بالقران من يخاف وعيد) وكما قال تعالى (سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقي)

ولهذا يخبرنا الله ان هؤلاء قد انحرفت فطرتهم وفسدت بسبب الغفله الدائمه ولهذا فانهم لا ينتفعون بالتذكير الذي في القران وانما تقوم عليهم الحجه فقال تعالى (واذا لم تأتهم بايه قالوا لولا اجبتيتها)

اي انهم لا يقبلون هدايه القران فنفسهم تحب الشر وتميل الي الكفر فقد طمس الشيطان علي اعينهم فلا يرون الحق ولا يسمعون مافيه ولهذا فان طلباتهم ليست لغرض فهم الحقيقه وانما تهدف الي الجدل والاستهزاء بالحق فهم يطلبون ازالة المعجزات الماديه كشرط الايمان وفي الحقيقه حتي لو حصل ذلك فانهم لن يؤمنوا

وانما اقترحاتهم من باب التعجيز وتدل علي عدم التادب مع الحق ولهذا تنقل لنا الايات جانباً من الجفاء وقساوه القلوب فهم يقولون للنبي لولا اخترعت الايات وابتدعتها من عندك فانت تقول انك نبي فقال تعالى (واذا لم تأتهم بايه قالوا لولا اجبتيتها)

والاجتباء افعال من الجبايه بمعني الجمع يقال جببت الماء في الحوض اي جمعته ويستعمل بمعني الاختراع وهذا فيه تصوير فساد قوه التصور لديهم فهم يقولون للنبي صلي الله عليه وسلم لولا اخترعت وابتدعت المعجزات من نفسك او هلا الححت في الطلب علي ربك ليعيطك اياها ويجمعها لك

ولهذا تاتي الايات بعدها مبينه لهم وظيفه الرسول وطبيعه الرساله

فقال تعالى (قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي)

يبين لهم حقيقه الرسول صلي الله عليه وسلم انه بشر اصطفاه الله بالوحي فهو يتلقى الوحي من الله لا يبتدع الايات ولا يختلقها من عنده انظر الي عرض الامر الالهي للرسول (قل) ليعرض نفسه علي الناس فهو ليس ذلك المتعظم المتعجرف بل بشر اختاره الله للوحي والله اعلم حيث يجعل رسالته فهو لا يقترح علي ربه شيئا

ولهذا فعليك ان لاتستحي ان تقول انت ايه المسلم عندما تسال عن مساله لاتعلمها الله اعلم

فهذا رسول الله يقول انما اتبع ما يوحى الي من ربي عندما طلب منه ان يتخلق الايات فيها تربيته لكل مسلم بان عليه الاقتداء بالرسول صلي الله عليه وسلم

فهل يفهم هذا من يبتدع بالتاويل الفاسد للنصوص صورا للتدين تدعم فكرته الضاله كيف يجرا هولاء علي مالم يتجري عليه الرسول الخاتم افضل الرسل فقد رد علي طلب المشركون بانه متبع لما يوحى اليه ربه ولاياتي بشي من عنده

ثم تبين الايات حقيقه الرساله ومن المنتفعون به فقال تعالي (هذا بصائر من ربكم هدي ورحمه لقوم يؤمنون)

ارشدهم سبحانه الي ان هذا القران اعظم معجزه وان فيه الدلالات واصدق الحجج والبيانات فقال تعالي هذا القران بمنزله البصائر للقلوب به يبصر الحق ويدراك الحق فالمعجزه هي عين المنهج فهو فيه الهدايه لكم من الضلال والرحمه من العذاب لكن المنتفع به هم المومنون الذين تطهروا نفوسهم من الاوساخ والقذورات فلا يدخل الا نفس طاهره مستعده لاستقبال انوار الله وامداد وليها فاذا فقدت الاستعداد والامداد فقدت الخير كله

ثانيا

تبين الايه ان العلم لاينال الا بالاتي

الامر الاول

باراده القلب والنفس للخير واصل هذا هو شرف النفس وخستها

ولهذا فان شرف النفس بصيانتها من الدنيا والرذيل فالنفس الشريفه لاتقبل الدون ولاترضي به اما النفس الخبيثه فانها تحوم حول القذورات وهو يورث الجفاء الذي يترتب عليه غلظه في النفس وقساوه في القلب يتولد عنها بعد عن الحق وجاذبيه للباطل تجذب صاحبها الي القذورات نتيجه مهانه النفس وقساوه القلب ويعيش في غفله وقله معرفه وجهل لايري الحقائق رغم وضوحها ولهذا فهو يري حقائق القران الواضحه ومع ذلك لاينتفع بها وهو محروم من الهدايه الخاصه ومن رحمه الله

اما صاحب النفس الشريفه فان قلبه سليم من ارداه الشر ويسعي الي الوصول الي الكمال بتزكيه نفسه فهذا القلب خالي من ارداه الشر بعد معرفته به كما قال تعالي (يوم لاينفع مال ولابنون الا من اتى الله بقلب سليم)

فالقلب السليم من جميع الافات التي تعترى القلوب المريضه من مرض الشبهه التي توجب الظن او مرض الشهوه التي توجب اتباع الاهواء فهذا القلب يكون صالحا لاستقبال انوار الله فقال تعالي (هذا بصائر من ربكم هدي ورحمه لقوم يؤمنون)

الامر الثاني

القاء السمع

فقال (واذا قري القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون)

تبين الايه ان الطريق الموصل الي رحمه الله بالقران والحصانه من نزع الشيطان هي الاستماع لايات الله في القران والانصات مده القراءه والسماع هنا جاء بصيغه الاستماع وهذا ابليغ من السمع

لان السماع انواع فهي عمليه يتم من خلالها استقبال الاصوات والترددت الصوتيه من البيئه المحيطه وارسال اشارات الي الدماغ ليقوم بعمله اي انها تستقبل الاصوات دون فهم مافيهها ولهذا فان السماع انواع سماع صوت دون فقه المعاني كما قال تعالي (ومغل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لايسمع الادعاء ونداء صم بكم عمي فهم لايعقلون)

وهناك سماع فقه ولكن ليس هنالك قبول للانتفاع به كما هو حال اليهود..وهناك معرض ممتنع عن السماع وهم المشركون الذين قال عنهم الله (وقالوا لاتسمعوا لهذا القران والغوا فيه لعلكم تغلبون)

فنزلت هذه الايه (واذا قرى القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون)

فالسماع الذي امر الله به هو سماع ماجاء به الرسول صلي الله عليه وسلم سماع فقه وقبول

اي ان يكون السمع بقصد ونيه السماع والفقه للمعاني بتوجيه الحواس لادراكه لان السمع قد يحصل ولكن بدون قصد ولانيه ولهذا فان القلب غير حاضر لفهم المعاني

ولهذا فان مجي الصيغه بالاستماع تهدف الي ان تغرس فيك الحرص علي الاستماع الذي يتحقق منه الفقه و القبول والفهم للايات كما تحرص علي التلاوه فاراد بهذا الانتقال بالسمع الي ما هو اكثر من استقبال الترددت الصوتيه الي التركيز علي الاصوات وفهم مافيها فالمساله تتعدى مجرد سماع الاصوات الي القدره علي استخدام حاسه السمع بشكل فعال ومركز من خلال تشغيل كل القدرات الذهنيه والقلبيه لاستيعاب مايصدر من الاصوات وفهم مافيها لامجرد الاحساس بترددت الاصوات كما هو حال الكفار وحال الكيبرون الذين يسمعون القاري الفلا ني في الكايسه وهو يتلو القران باحساس بتذبذت الترددت للصوت دون فهم ولافقه مافيه او احساس وفهم ولكن دون قبول باحكامه ولهذا فان السماع المطلوب هو سماع فهم وقبول وتذوق وامتنال يتبعه عمل كما قال تعالي (الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه)

الامر الثالث

بالتواضع امام المعلم فالرسول صلي الله عليه وسلم يقول توضعوا لمن تعلمون منه)

ولهذا نجد ان الايه جاء فيها التوجيه بحسن الاستماع وحسن الاصغاء عند قراءه القران وحسن الانصات فقال تعالي (واذا قرى القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون)

فالحق يامر عباده بالتادب مع المعلم فجاء النهي عن رفع الصوت بالكلام علي صوت القاري عمدا فانه يحرم العبد من رحمه الله الخاصه يقول لهم توقفوا عن الكلام وانظروا الي من يحدثكم انه يتلو عليكم كلام الله واذا كان الله قد امر الناس بعدم رفع الصوت فوق صوت النبي فقال تعالي (ياايها الذين امنوا لاترفعوا اصوتكم فوق صوت النبي ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض)

فالنهي عن رفع الصوت علي اصوات التالي لكلامه تعالي اولي

ولهذا فان التواضع للمعلم بالاستماع لما يلقي عليك خاصه اذا كان هذا المجلس هو مجلس ذكر تلاوه كلام الله فعليك ان تحرص علي فهم ما يتلي عليك ففقه الدين وكمال الايمان لايجعل الا بالاستماع والتفكر والتامل و التدبر بنيه الاهتمام بكل ايه والعمل بها فالايمن الانعاني الصحيح يزداد. عند قراءه القران ويترتب عليه قيام العبد بالاعمال الصالحه وقد اخبر الله عن الجن فقال تعالي في موضع اخر (واذ صرفنا اليك نفر من الجن يستمعون القران فلما حضروا قالوا انصتوا.... الخ

الامر الرابع

الانكسار امام الخالق والانعان له تعالي في كل الاوقات. والشعور انك انت المحتاج الي الله وان الله غني حميد فطاعتك لن تزيد في ملك الله شي وان معصيه العاصي لن تنقص في ملك الله شي

ولهذا يخبرنا الله ان عنده الملائكه لايعصونه ما يامرهم هم يسجدون لله فليس بحاجه الي طاعتك وانما انت ايه

العبد المحتاج الي ان تخضع وتذعن لله ولهذا يبين الحق انه تعالي خالق الانسان. ذو طبيعه مزدوج فهو اذا اذعن
استسلام لله يكون افضل من الملائكه واذا تمرد وتعجرف فانه يكون اقبح من الشيطان وهذا كله يعود الي القلب
السليم والقلب الفاسد فاذا صلح القلب صلح سائر الجسد ولهذا يامر الحق نبيه (واذكر ربك في نفسك

الخ.....

وقد سبق ان ذكر ان المواظبه علي ذكر الله. هي التي تحفظ الانسان من الغوائل فالاستعاذه ب الله هي الحصن من
النوازل وبينت بعدها الايات لنا ان الكفار متعجرفون بدليل اسئلتهم الرسول ان يبتدع لهم الايات ويخلقها من
عنده فقلوبهم متكبره مثل البقعه من الارض التي لا يستقر فيها الماء ولهذا الكبر وخسه النفس ومهانتها مانع من الا
نتفاع بهدايه القران

اما المومن فان معرفته بربه واسماءه وصفاته وجلاله وعظمته ومعرفته بنفسه وعيوبها وافاتها يولد فيه الانكسار
وخشوع القلب امام كلام ربه فيخشع قلبه خجلا وحياء عندها تخمد شهواته وتسكن دخانها في صدره فينجلي
صدره بانوار الهدايه والرحمه وتخمد الجوراح ويطمن العبد لله وذكره بالسكينه التي تنزل عليه من ربه

(هذا بصائر من ربكم هدي ورحمه لقوم يؤمنون)

حيث ان هذه السكينه تنزل فصار مبختا له والمبخت المطمئن

ويقال علي الارض التي تنتفع بالماء بخيت فكذاك القلب المبخت يخشع ويطمن بذكر الله فيكون كالبقع
المطمئه من الارض يجري فيها الماء ويستقر فيها وعلامته ان يسجد بين يدي ربه اجلالا له وانكسارا بين يده
سجده لا يرفع راسه عنها حتي يلقاه

(نقلا بتصريف من كتاب الروح لابن القيم)

رابعا

كما ان قوله تعالي (واذا قري القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون)

والاستماع كما اوضحنا هو السماع للاصوات والفهم لما فيها

والاصفاء تعني التركيز وتفاعل القلب والمشاعر كما قال تعالي (ان تتوبا الي الله فقد صغت قلوبكما)

والانصات ترك الاشتغال والتفرغ للاستماع وهو اعلي درجات الكمال في فن المحادثه وهذا فيه عده مفاهيم مهمه
في حياه المسلم نذكر منها الاتي

الامر الاول

ان المسلم بحاجه الي حسن الاستماع والانصات بي كاهه شئون حياته ليتخذ القرارات المناسبه. ازاء اي امر من الا
مور فهو لا يستطيع ان يقوم بتحليل وفهم ما يعرض عليه دون الاستماع والانصات بشكل دقيق فالمسلم بحاجه
الي الانصات في كثير من التخصصات وجميع المجالات

الامر الثاني

ان الانصات الايجابيه من اهم الاشياء التي تمكن المتلقي للرسائل التي يبعثها المرسل فهم ما تحمل من توجيهات
وارشادات وتحذيرات فالانصات الجيد هو الذي يمنحك القدره علي قراءه ما وراء الكلمات من مفاهيم والمراد منك

القيام به

الامر الثالث

تدريب المومنين علي حسن الاستماع والانصات والاصغاء فهي من الامور المهمه التي يحتاجها الانسان في حياته فانت بحاجة الي كسب قلوب الاخرين ولهذا فان عليك ان تتعلم حسن الاستماع والاصغاء والانصات

فالمسلم بحاجة الي اكتساب هذه المهاراه كي يحسن التواصل مع الاخرين ففي حسن الاستماع والاصغاء والا نصات مفاتيح الاقناع ولهذا تلاحظ ان الدبلوماسي يتمتع بحسن الاستماع والاصغاء والانصات لانه يريد ان يفهم وايضا لاجل اظهار الاهتمام بالمتحدث وهذا الامر من ما تميزت به شخصيه النبي صلي الله عليه وسلم بالرجوع الي سيره النبويه نجد ان الرسول صلي الله عليه وسلم كان يهتم بمن يحدثه فهذه عائشه كما ورد في حديثها عن ام زرع التي طلقها ابو زرع تحكي للرسول صلي الله عليه وسلم ما كان بينهما من حب والرسول لم يقاطعها حتي اذا انتهت حديثها قال لها اي لعائشه ساكون لك كابي زرع لام زرع غير اني لا اطلقك

خامسا

اذا تاملنا الي حال الصحابه رضوان الله عليهم والبيئه التي نزل بها القران فاننا نشاهد عظمه القران وكيف انه احدث ذلك التغيير العظيم في نفس العربي الذي عاش حياه خشنه وكانوا اضعف الشعوب فصاروا قاده العالم وصناع الحضاره ولهذا فنحن بحاجة اليوم لدراسه كيف حدث ذلك التغيير لنخرج بالنفس من حاله الجمود و السكون التي تعيشها النفس العربيه وهذا مايتمناه كل واحد منا فما هو السر الذي كان به احدث ذلك التحويل و التغيير في المجتمع المسلم الاول من الموكد انه لم يوسس علي عاطفه مجردة ولا بالشعور الحلو في التغيير بل قام علي اساس جوهرية من الاخاء بين المهاجرين والانصار وعلي اساس العدل والمساواه والشوري والحريه اسست علي القران فكانت الايه القرانيه تستخدم كوسيله منطقيه تساق لغرض تعليمي

ولهذا كانت الايه القرانيه هي المعلم المباشر للانسان وكانت تصل الي اعماق مشاعر النفس الداخليه لتستقر في ضمير المسلم وحياته وجوانب فكره ومناحي سلوكه مباشره فكان لها تاثير علي النفس والعقل والقلب جعلت المسلم ينظر لما حوله نظره بعيده الامد والافق تتجاوز الواقع السطحي في نظره لواقع الحياه وحقائقها وكل ما فيها ناتجه عن قراءته لايات الله التي كان لها تاثير عليه علي الانسان المسلم الذي بدا يعرف حقوق ربه وحقوق بني جنسه والمحيطين به ولهذا فان التاثير بالقران جعله يحسن استخدام الملكات العدل والاحسان والرحمه في اداء حقوق ربه وحقوق الاخرين كلا بحسب مرتباهم كل ذلك طاعه لله خضوعا وخشوعا لله تعالي خضوع وتعظيم واجلال ومحبه بدون ملل وكسل وهذا يعود الي استخدام الايه القرانيه كفكره موحاه لا فكره مجردة

ولهذا يامر الحق المومنين بحسن الاستماع والاصغاء والانصات عند استماع القران فذلك هو طريق الرحمه. فقال تعالي (واذا قري القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون)

لان هنالك فرق هائل بين الحقيقه من حيث كونها مفهوما نظريا يتسم به الادراك المجرد وبينها كحقيقه. فاعله موثره تلهم الانسان مختلف نشاطاته

وهذا هو الفارق بين استماع المسلمون للقران اليوم واستماع المسلمون في زمن الرسول صلي الله عليه وسلم واصحابه من بعده. فقيمه الايه بما تحدث لدي السامع من تاثير انظر لحالهم فالقران لم يكن يفسر ليعرف الناس معانيه بل كان كل واحد منهم يقرأ القران يشعر كانه انزل عليه هو لهذا كان يصل الي الضمائر ليزلزل كيانه فقد كان القران منبعا للطاقه يكهرب ارداه المجموع ويمدهم بالطاقه والنشاط والحيويه وتصميم علي تنفيذ امر الله تعالي فهذا هو المطلوب من الاستماع للقران والانصات لتصل الي رحمه الله تشعر كانه انزل عليك انت ولهذا قال الحق بعدها

(واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين)

وهذا فيه الاتي

الامر الاول

يعلم الحق عباده كيف يذكرون الله في انفسهم بان يستشعروا حضوره فيما بينهم في عظمته وجلاله وجماله
استحضار العارف بمعاني الايات التي يقولها مستحضرا لصفات الكمال والعلو ذكر فيه التعظيم والاجلال

ولهذا لم يكن يتحدث الرجل من الصحابه عن ذات الله كما صورها علم الكلام لم يكن يتحدث عن الله العقلي بل
يتحدث عن الله المتجلي لعباده بالقهر والرحمه والفعال لما يريد ذكر من يشعر بنفحة الله في كل موقف وهذا
مايفهم من اسئله المسلمين للرسول صلي الله عليه وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله (واذا س
الك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوه الداع اذا دعان)

فهذه الاسئله تنقل لنا النقله التي اخرجت العربي من ماساه الجاهليه الي نور الايمان الذي تصله بربه من خلال
التربيه بالقران والسنة النبويه نقله عظيمه تجلي فيها نعمه الله ورحمته

وهذه الاسئله تعطي المسلمين العلاج للخروج من الماساه التي هم فيها اليوم فتلك يمكن ان تحل كما يري مالك بن
نبي اذا تحولت الايه القرانيه الي اثر مباشر علي الضمير هنا تفسح الفكره المجرده مكانها لتشغله قيمه ماديه
محققه يعني تركيبا ناشطا للفكر والعمل

...

ففي ذلك التغيير والتطور والوقايه من الغفله فعندما تشعر انك انت الذي ينزل عليه القران فانك تدرك انك
المخاطب بكل حرف من حروفه مطلوب منك ان تتذكر معاني اسماء الله وصفاته مطلوب منك التذكر الذي يحدث
به الاتعاض والاعتبار بكل مافيه من آيات واحكام وقصص وامثال مطلوب منك ان تذكر جنته وناره ووعده
ووعيده مطلوب منك تكثر من ذكر الله علي الدوام

مطلوب منك ان تذكر الله وانت منكسر متذل خاضع باستكانه ومحبه في جميع الاوقات

الامر الثاني

من المعاني الوراده في الايه ايضا التي يمكن حملها علي قوله تعالي(واذكر ربك في نفسك)

ان يكون التوجيه للنبي صلي الله عليه وسلم بالخطاب وهو خطاب لكل المسلمين وهذا فيه عده مفاهيم

المفهوم الاول

ان يراد بهذا الخطاب الاشاره الي اهميه الاخلاص لله بالعباده والذكر يشمل ثلاثه انواع الذكر باللسان والذكر بـ
القلب والذكر العملي والمراد بهذا ان يصبح التوحيد قانونا موثرا يتحكم في حركه الانسان ويسيطر عليه فالمراد
بهذا ان يمارس التوحيد دوره في حكم اسلوب الحياه وتوجيه مشاعر القلب وينشي الرغبه للعمل ويهيمن عليه
فحقائق التوحيد التي جاء بها القران لم تنزل ليحتفظ بها الناس في عقولهم او يتمتعون بها بين شفاههم بل
ليمارس دوره في ضبط شؤون الحياه

ولهذا فان اللازم ان نتجرد من الرياء وكل ما من شأنه ان يفسد اجر الذكر فاللازم ان تكون في يقظه وانتباهه فلا تسمح ان ينسحب القران من حكم النفوس والمجتمعات

فالذكر هنا هو الذكر العملي الذي نقصد به قيام المسلم بدوره كحارس لقيم الخير وكمسئول عن قتال الالم و الشرور في الارض

ولهذا فيه التنبيه من الغفله

المفهوم الثاني

ان يراد بهذا الخطاب الحث علي التفكير في الخلوه اي اذكر الله خاليا منفردا فان ذلك ابعد عن الرياء وارجي للقبول عند الله تعالي ففي حديث السبعه الذين يظلمهم الله تحت ظل عرشه يوم القيامه (ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من الدمع)

فالامر هنا بذكر الله في خلوتك كما تذكره في مجامع الناس

فالمسلم مامور بذكر الله في الخلوه كما يذكره في العلن حتي يتخلص من سلوك النفاق الذين من علاماتهم (واذا قاموا الي الصلاه قاموا كسالي يراءون الناس ولايذكرون الله الا قليلا)

ولهذا فان المسلم مامور ان يجعل لنفسه اوقات يخلو بنفسه يناجي فيه ربه يشكوا اليه حاله وضعفه وافتقاره ويطلب مغفرته ورحمته يقف بين يديه مستحضرا عظمه الخالق فالعقيدته الاسلاميه واضحه تامر اتباعها ان يسالوا الله مباشره بلا واسطه من نبي او ولي

والذكر انواع ابسط انواعه ذكر اللسان لله كالتلفظ باسم الذات الالهيه وفوق ذلك مستوي ارفع هو حضور فكره الله في القلب

ولهذا فانه من غير المنطقي ان يكون الذكر باللسان وتفيض عيناه من الدمع فان ذلك لا يحدث الا اذا كان هنالك موطاه القلب واللسان بذكر الله كما قال تعالي (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلي جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار)

فالذكر اعم من التفكير واشمل لانه يقود الي التفكير والذكر اعم من التسبيح الذي يكون باللسان لقوله تعالي (ياايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا)

فالتسبيح نوع من انواع الذكر والذكر اعم من التفكير كما بينت الايه

ولهذا. فان الامر بذكر الله في النفس اعم من مجرد ذكر اللسان

ولهذا فعليك ان تستبعد مايقع من مظاهر البدع التي تحدث في الموالد سواء كان عند الاولياء او غيرها والتي يحدث فيها التمايل علي دق الطبول فهؤلاء لا يذكرون الله انما هم مفتنون بفتنه اصحاب العجل الذين كانوا يدقون الطبول ويرقصون حوله فهذا تقليد وثنى يهودي انه دين العجل وليس ذكرا لله

المهم ان تفهم ان الامر بذكر الله يعني ذكر اللسان والقلب الذي يقود الي التفكير ومطالعه صفات الرب بمشاهده انعامه والاءه يتجلي لك بقهره وقدرته ورحمته وعظمته سبحانه وتعالى وانت تشاهد مخلوقاته وحين تري تعاقب الليل والنهار

فاراد بهذه الخلوه تاديب النفس بالمناجاه والمراقبه فقال تعالي

(تضرعا وخيفه ودون الجهر من القول)

والتضرع تعني الخشوع والتذلل والاستكانه لله تعالى والتواضع اي حضور القلب اي ان تضع قلبك دون العرش
فتناجي من هناك وفي رد القلب الي المراقبه مراجعتان :-

مراقبه النظر مع تذكر العلم ف الله يقول (انه يعلم ما في الصدور)

وقال تعالى (يعلم ما في انفسكم فاحذروه)

ثم تذكر العظمه لوجود الحلاوه وقيل ان الله سبحانه وتعالى اوحى الي ابراهيم يا ابراهيم اتدري لم اتخذتك خلي
لا قال لا يارب قال لطول قيامك بين يدي

قال ف قيل انما كان قيامه بالقلب وليس بالصلاه. وهذا يوافق قوله تعالى (انا اخلصناهم بخالصة ذكري الدار)

و حديث النبي صلي الله عليه وسلم اعبد الله كأنك تراه)

وقول حارثه كاني انظر الي عرش ربي بارزا

وقال اعلي الاعمال في الدرجات ان تعبد الله علي السرور بمولاه ثم علي التعظيم له ثم الشكر ثم علي الخوف

ولهذا قال تعالى (تضرعا وخيفه ودون الجهر من القول)

اي بالتذلل والخشوع وبالخوف من الله وبالقول الوسط فقال تعالى (خيفه) ولم يقل خفيه كما في ايه الدعاء
وهذا لان ايه الذكر هنا متعلقه بمراقبه النظر وتذكر العلم كما اسلفنا اي العباده القلبيه يتطلب ان يودي الذكر الي
استحضار عظمه الله ولهذا ذكر في حديث السبعه الذين يظلمهم الله ان الذاكر تفيض عيناه من الدمع وكذلك فان
المنفق في الخلوه يخفي ما انفق حتي لا تعلم شماله ما انفقت يمينه فخص الخوف من الله في ايه الذكر لحاجه
الذاكر الي الخوف لان الذكر يستلزم المحبه. ولهذا فهو بحاجه للخوف مقابل المحبه. لان انفراد المحبه قد تودي
الي الاضرار بصاحبها لانها قد تورث الادلال والاجترار علي الله فالقلب انما يكون عامرا الا بالخوف والاحزان و
الفكر الذي يكون نورا مضي يري العبد مداخل ابليس فيرميه بالانكار لما يدعوه اليه ويعتصم بما ايده الله به من
نور قلبه فخراب القلوب انما يكون من فقدان الخوف ومن قبول الغفله

ولهذا فان الذاكر بحاجه الي الخوف اما الدعاء فانه يحتاج الي الخفيه فقال تعالى في ايه الدعاء (تضرعا وخيفه)

اي ان يكون النداء مخافت وهذا اكمل الاخلاص وابعد عن الرياء

الا في بعض المواقف مثل رفع الصوت بالذكر حين انصراف الناس من الصلاه كماورد في الحديث عن ابن عباس
انه كان يعلم بانصراف الناس من الصلاه بسماع اصواتهم بالتهليل

وهذا لتعليم الناس وتذكير الناسي وكذلك في التلبيه بالحج وفي العشر من ذي الحجه فالدعاء الاصل فيه الاخفاء
الا ماجاء فيه النص بالجهر

الامر الثالث

عليك ان تدرك ان الذكر يعني الحياه لانك تتصل بمصدر الحياه الحقيقيه ولهذا ورد عن الرسول صلي الله عليه
وسلم انه قال (مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكر الله مثل الحي والميت)

يقول صاحب كتاب (اعرف الله)

فهذه الصورة التي يقدمها الرسول صلى الله عليه وسلم للذكر ليست تعبيراً ادبياً إنما هي حقيقة يقينيه ان الذين يذكرون الله هم الاحياء اما الذين انقطع الاتصال بينهم وبين الله فقد انقطعت صلتهم بالحياء حتى ولو احدثوا اكبر ضجيج يمكن احداثه في الدنيا وذكر الله يعني عباده الله يعني اسلام الوجه لله ولهذا قال تعالى (تضرعا وخيفه)

فليس المراد بالصلاه والصوم والزكاه والحج مجرد القيام بالقراءه والركوع والسجود فقط بل العبره بما تسكبه في الضمير فعندما تصلي وانت ترتكب الفحشاء والمنكر فمعني هذا ان صلاتك لامعني لها لان ذكر الله ينبغي ان يكون له اثر في النفس تشعر فيه بلذه الطاعه تجد اثرها في السلوك لابد ان يكون للعمل اثر في القلب

لان حياه الروح بذكر الله فذكر الله هو الشحن الذي يمدك بالطاقه فاذا توقفت الشحن توقفت الطاقه ولهذا قال تعالى (بالغدو والاصال) انه الغذاء الروحي بالاتصال بمصدره والحق يريد قلبك لاصوتك ولهذا قال تعالى (تضرعا وخيفه ودون الجهر من القول)

ولهذا غذاء الروح بذكر الله فالروح تبحث عن مصدرها ولهذا فان العبره بما في العبادات هي العباده القلبيه التي تصل الانسان بخالقه لان ذكر الله يعني حب الله وليس هنالك شرف اعظم. ولا اكبر فوق شرف الذكر ولا قيمه اعظم من استحضار جلال الله في القلب والسجود لعظمته والاستسلام لامره فقد فسر بعض العلماء قوله تعالى (اذكروني اذكركم)

ان (اذكروني) تعني تذللوا لجلالي

واما اذكركم فمعناها اكشف الحجب عنكم وافيض عليكم رحمتي واحساني واحبكم

ولهذا فعليك ان تسال نفسك هل تعيش حياتك كلها لله كيف حال قلبك مع الله يقول ابن القيم بين العمل والقلب مسافه وبين القلب وبين الرب مسافه فانت بحاجة الي ان يقطع العمل المسافه بينه وبين القلب وبحاجه الي ان يقطع القلب المسافه التي بينه وبين الرب

ولهذا اذا قرأت القران فعليك ان تقف مع نفسك وتنظر هل وصل اثر هذا العمل الي قلبك تحتاج ان هل وصل القلب الي ربه

فالعبادات القلبيه كالحياء والخوف والرجاء والاخلاص والتوكل واليقين والايمان والصدق يجب ان نتعلمها كما نتعلم الصلاه وبقية التكاليف فالله يقول (والله اخرجكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شئيا وجعل لكم السمع والابصار والافئده لعلكم تشكرون)

فيجب ان نتعلم الاخلاص واليقين نتعلم كيف نخلص وكيف نتوكل نتعلم كيف نخشع ونكسر لله ولهذا يقول لك الحق (اذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفه ودون الجهر من القول بالغدو والاصال ولا تكن من الغافلين)

الامر الخامس

عليك ان تدرك ان قلبك يحتاج الي شحن حتي لاينفذ ما فيه من طاقه تصله بخالقه وهذا انما يكون بذكر الله تحتاج الي تجديد الشحن للقلب فقال تعالى (بالغدو والاصال) كي تنطلق ولهذا فعليك بذكر الله في كل الاوقات وانت في البيت والمدرسه والمتجر والمحكمه والمعمل ووقت ماتنام وفي كل الاوقات وخص بالذكر بالغدو والاصال للتنبيه علي استغلال الاوقات التي يكون فيها التفكير والاعتبار افضل من غيرها فالفائده عظيمه في مثل هذه الاوقات لتتعلم العبادات القلبيه فالقلب عندما يشاهد بدايه النهار وما فيه من آيات مصاحبه لضوه وكذلك عمليه

الغروب فان ذلك يساعد العبد علي تعلم العبادات القليه حيث يتاثر القلب وهو يشارك الكون ذكر الله وتسبيحه فيستجيب ويحصل له اليقظه والترقيق وكذلك فان الايه تدعو العبد الي الحرص علي ان يكون القلب في يقظه في كل الاوقات يراقب الله في كل لحظه يحرس فيه قلبه من الاغذيه التي تفسده وتستنفذ مافيه من شحن لا ستهلاكها في غير ماصنع له فالقلب اذا اصابه الجفاء والقساواه والافات فانه يصبح ما بداخله هواء كما قال تعالى (وافندتهم هواء)

ولهذا فانت مطالب بان تحمي قلبك من كل المواد القاتله فلا تغفل عن حراسه قلبك الذي فيه صلاحك او فسادك ان اهملت

عليك معالجته فلا تغفل عنه ولهذا قال تعالى تعقبا علي ذلك (ولاتكن من الغافلين)

وعكس الغفله اليقظه واليقظه تعني الانتباه. والصحوه والامر بها يراد منك الاهتمام والقدرة علي الحفاظ علي الا نتباه واليقظه في جميع الاقاوت (بالغدو والاصال)

وعلاقه الوقت هنا ان اللازم عليك القيام بمحاولات الكشف عن مظاهر الحوافز التي تجعلك في حاله تيقظ وكذلك مراقبه احوال النفس علي الدوام لاتقاء نزغات الشيطان فالغافل انما يكون لديه تدهور في القدره علي البقاء في حاله تيقظ نتيجه انخفاض في معدل اكتشاف الاشارات التي تدعو الي اخذ الاحتياطات اللازمه لتفادي اثار الازمه لان اكتشاف الاشارات انما تكون بالتزام الهدوء والعمل والتيقظ فالغافل عن ذكر الله هو الذي لا يخفق قلبه لما يشاهد من آيات الله فهم لا يلتقطون الاشارات ولا يفهمونها لانهم لا يلاحظون النعم التي تؤدي الي زياده الايمان و اليقظه وكذلك فان قراءه الاشارات يتطلب مطالعه الجنايه التي ارتكبتها عليك ان تسال نفسك عن احسان ربك ووجودك تسال نفسك عن اكرامه وذنوبك. وتسال نفسك عن لطفه وخطيئتك فلا تياس من رحمه بل عليك ان تتخذ من الاجابه طريقا للتقرب من الله فقد ورد عن الرسول صلي الله عليه وسلم انه قال رب ذنب ادخل صاحبه الجنه قالوا كيف ذلك يارسول الله قال لا يزال تائبا فارا منه خائفا من ربه حتي يموت فيدخله الجنه)

يقول العارفين ب الله :ان معصيه تورث ذلا وافتقارا خير من طاعه اورثت عزا واستكبارا

وقال الشيخ ابو العباس المرسي:

كل اساءه ادب تتمر ادبا فليست باساءه ادب وكان رضي الله عنه يكرم الناس علي قدر رتبهم عند الله حتي انه رويما يدخل عليه مطيع فلا يبالي به وربما دخل عليه عاصي فاكرمه لان ذلك الطائع اتي وهو متكبر بعمله ناظر لفعله مستحسن لنفسه وذاك العاصي جاء منكسر بمعصيته وذلته مخالفته

والتيقظ حاله نفسيه وفسولوجيه ولهذا جاء التوجيه بقوله تعالى (واذكر ربك في نفسك)

فالنفس تبحث عن معبودها علي الدوام فهذه هي حاله التي تحتاج اخي المسلم الي ان تجلس مع نفسك بهدوا وتسمع نداء الفطره فعليك ان تجعل نفسك تابعه لمنهج الله فالذكر هنا يشمل ذكر العمل الذي يتمثل في تحويل المعتقد الي واقع حياه فالذكر اذا لم يوتر في السلوك فلا قيمه له فالحاله النفسيه التي يجب علي المسلم ان يكون في حاله استقياض وقدره علي رد ه الفعل تجاه المورثات فعندما تشاهد انعام الله تذعن وتخضع لله بالشكر وعندما تشاهد تقصيرك تخاف من عذاب الله فتبادو الي التوبه والاستغفار

لا بد ان يحدث انزعاج قلبك من المعاصي فيودي ذلك الي زياده ضربات القلب تدفعك الي تلافي القصور والاختلاء والعمل علي اصلاح ذلك فصلاح قلبك باليقظه لان نور القلب انما هو مع تيقظه وحياته يقول المحاسبي (فاذا غفل مات واظلم وطفي نوره فيلبس علي العبد مايدخل عليه العدو او يكون عليه فاخترس ابليس من حينئذ من العبد واستدام القلب بالغفله فتسور عليه الاثام فاذا اصر علي الاقامه عليها ورضي بها علاه الرين فاظلمه واستقر

فيه ابليس ثم سلك به سبيل الاثام الي ان يوصله ويوقعه في الكبائر ولاشي اعجب لابليس من ظلمه القلب وسوداه وانطفي نور قلبه وتراكب الرين عليه ولاشي اثقل علي الخبيث من النور والبياض والنقاء والصفاء وانما ماواه في الظلمه والا فلا ماوي له ولاقرار في النور والبياض)

ولهذا فان المسلم بحاجه الي ان يتعلم كيف يوقظ قلبه ويصلحه

وهذا انما يكون بتزكيه النفس حتي تنفتح في القلب عين تري بها الاشياء بنور الله تجد اللذه في طاعه الله وتبذل الجهد للوصول الي ان تدمع العين من خشيه الله فالسير الي الله لايقطع المسافه بالاقدام وانما يقطعها بالقلوب ف الله لاينظر الي صوركم ولا امولكم ولكن ينظر الي قلوبكم واعمالكم

وهذا يبدا من استعياب الغايه من وجودك وانك مخلوق لعباده الله ومعرفته ومحبهه تبدا من معرفتك بنفسك بضعفها وافتقارها لربها تبدا من معرفتك لربك بعظمته وجلاله وجماله وقدرته وكمالته تب

دا من اصلاح قلبك وانكساره امام ربه وان تدوام علي ذكر الله في كل الاوقات واساس اليقظه استخراج العز الموهوم من النفس وتمزيقه وقطعه من قلبك بالياس من الناس ليكون تعلقك ب الله وحده ان تهب نفسك لله وحده لاشريك له ورجوعك الي الله سكون قلبك عليه وفي سكون قلبك عليه الازدياد من طاعته والوصول الي خاصيه عبادته وفي وجود خاصيه عبادته النزول عند درجه العبيد فقال تعالى (ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) يمدح الله الملائكه لتقتدي بهم فجاء بالعنديه ولاتعني المكان وانما المراد بها القرب من الله انما تكون بالخضوع والسجود والنزول عند درجه العبيد لتفهم ان في النزول عند درجه العبيد اصابه شرف العبوديه وفي اصابه شرف العبوديه اكتساب القلب المذله لله عزوجل وفي ذلك افتقاد العز المذموم من قلبك فتكون اعز ذليل تذلت لله عزوجل لتعلم ان الله ليس ينقص في ملكه عصيان العاصي ولايزيد في ملكه شى طاعه المطيع وانما انت الذي تحتاج الي الله فاعزك الله بطاعته وخضعت له فشرقم بعبادته

الامر السادس

يحذر الله من اللاهين عن ذكر الله ولهذا يذكر بعد هذا التحذير دواعي الذكر وبحثك علي الاقتداء بالملائكه بان تعكف علي وجه الحق بالخوف والخشيه من سلطان ربوبيته وعظيم الوهيته علي الدوام منقادا لله تعالى فذكر احوال الملائكه الذين هم عباد الله المقربون بانهم يسجدون لله ويسبحونه عليالدوام فقال تعالى (ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون)

وقيل ان هذه السجود المامور به السامع للقران او المصلي ان يسجد لله فهي موضع سجد عند الجمهور فقدورد في سنن ابن ماجه عن ابي الدراء عن النبي صلي الله عليه وسلم انه عدها من سجديات القران)

والايه تدعوا المومنين الي ملازمه الاستسلام والخضوع والطاعه لامر الله اقتداء بالملائكه ولتعلم ان الله لايريد ان يتكبر بعبادتكم من قله ولايتعزز بها فهو الغني وانما يريد ان ينفعكم بشرف طاعته ويعزكم بعبادته

وبهذا انتهيت من مفاهيم سورته الاعراف والتي ابتدأت العمل بها في 24شوال سنه 1445هجريه وانتهيت في 1ربيع اول سنه 1446هجريه

المراجع والمصادر

- § تفسير الجالين
- § تفسير ابن كثير
- § تفسير السعدي
- § تفسير النسقي (مدراك التنزيل وحقائق التاويل)
- § تفسير البغوي
- § تفسير في ظلال القرآن للسيد قطب
- § تفسير الماوردي النكت والعيون
- § تفسير ابن ابي حاتم الاصيل
- § تفسير السمعاني
- § تاويل مختلف الحديث
- § تفسير العز عز الدين ابن عبدالسلام
- § تفسير القرطبي
- § تفسير الطبري
- § تفسير فتح الرحمن في تفسير القرآن
- § صفوه البيان
- § تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور
- § التفسير الميسر
- § التفسير الوسيط
- § التفسير المختصر
- § جامع البيان
- § كشف البيان في تفسير القرآن للعالبي
- § تفسير ابو السعود
- § ابن عطيه
- § تفسير الشوكاني

- § تفسير الشعرواي
- § تفسير صفوه التفاسير
- § تفسير زهره التفاسير
- § تفسير البيضاوي
- § تفسير الالوسي
- § تفسير الرزاي
- § تفسير الزمخشري الكشاف
- § تفسير المنار لمحمد رشيد رضا
- § التفسير الموضوعي
- § تفسير الدرر في تاويل السور
- § الشنقيطي
- § تفسير ابن باديس مجالس الذكر
- § تفسير ابن القيم
- § تفسير ابن تيميه
- § مجموع فتاوي ابن تيمه
- § الزجاج
- § الفاموس المحيط
- § اعراب القران للنحاس
- § تفسير سعيد حوي
- § تفسير مختصر الاعراف
- § كتاب مقاصد السور ل محمد عبدالعزيز الخضري
- § تفسير روح البيان
- § مقالات وبحوث للشيخ صالح الغالبي
- § مقال بعنوان وقفات مع قصه بدء الخلق خلق السحاب. موقع الجزيره نت للشيخ علي محمد الصلابي
- § مقال للصلابي عن مفهوم الخلافه في الاسلام

- § التفسير الميسر
- § مقاصد سورة الاعراف لابراهيم الدوسري
- § كتاب تأملات قرآنيه
- § كتاب القران والشريعه للاستاذ وائل حلاق
- § موقع الدرر السنيه
- § كتاب البلاغه في القران
- § مختصر اللمسات البيانيه
- § كتاب المصطلح القراني مفهومه واهميته
- § خصائص المفهوم القراني شبكه الالوكه
- § المفاهيم القرآنيه سبيل نهضه الامه
- § المفاهيم القرآنيه بين الجمود والتاويل
- § المفاهيم والمصطلحات القرآنيه مقاربه منهجيه
- § سلسله المفاهيم القرآنيه (طه العلوني للدراسات القرآنيه)
- § بعض المفاهيم القرآنيه ودلالاتها المعرفيه
- § من موقع الكلم الطيب مقال عن الاعراف هدف السوره واغراضها
- § اغائه الله فان لابن القيم
- § كتاب الفوائد لابن القيم
- § كتاب مدارج السالكين
- § كتاب الروح لابن القيم
- § الصور البلاغيه والمعاني الاعرابيه في القران
- § كتاب الباري في شرح صحيح البخاري
- § كتاب الله في العقيدة الاسلاميه (احمد بهجت)
- § كتاب المحاسبي رسائل المسترشدين
- § بحث لعبد الله الزبير عبد الرحمن عن دعوه الجماهير مكونات الخطاب ووسائل التسديد
- § كتاب صحيح البخاري

- § كتاب صحيح مسلم
- § المحاسبي (رعايه حقوق الله)
- § التوحيد
- § تزكيه النفس الجزء الاول
- § تزكيه النفس الجزء الثاني
- § كتاب محوارت الانبياء لاقوامهم
- § الاسس والمنطلقات لابو بكر مشهور العدني
- § الاعجاز العلمي في القران للسيد قطب اعداد مجدي عبد المعطي
- § بدء من انا اب الي الله للمحاسبي
- § عقيدته المسلم محمد الغزالي
- § كتاب الازمه والسبيل للخروج منها
- § الطريق الي الله ابو سعيد الخزار
- § شروط النهضه تاليف مالك بن نبي
- § الدفاع عن الاسلام
- § تفسير محمد راتب النابلسي
- § تفسير المراغي
- § كتاب العقافه الاسلاميه
- § تهذيب السيره للامام النووي
- § محمد علي الصابوني النبوه والانبياء
- § محمد الغزالي كيف تتعامل مع القران
- § محمد قطب دراسات في النفس الانسانيه
- § محمد السيد سلطان مفاهيم تربويه في الاسلام
- § محمد عبده رساله في التوحيد
- § مالك نبي ميلاد مجتمع
- § مالك نبي تأملات

الازمه الدستوريه الشنقيطي §

حقوق المواطنه راشد الغنوشي §

زاد المعاد لابن القيم §

مقدمه ابن خلدون §